مجلة الأزهر

٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٣٥

المجلد الثالث والثلاثون ـ القسم الثاني

السنة ١٣٨١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ — نوفمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٢٦ دوريات

الفهرس

صفحة
٦٥٣ عاش شقيا بالدنيا . . ومات سعيدا بالدين
للأستاذ أحمد حسن الزيات
٦٥٥ أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر
للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت
٦٥٨ مقارنة لغوية : في ضمائر الجنس والعدد
للأستاذ عباس محمود العقاد
٦٦١ كيف دخلت في الإسلام للدكتور : أندريه روماني
٦٦٥ الأزهر في نظامه الجديد
للأستاذ الدكتور محمد البهي
٦٦٩ اشتراكية الإسلام للأستاذ محمد محمد المدني
٦٧٥ المطامع مثار الفرقة بين الناس للأستاذ عبد اللطيف السبكي
٦٧٩ دراسة تاريخ العلم عند المسلمين واجب الكليات بجامعة الأزهر للأستاذ فتحي عثمان
٦٨٣ دراسة عن علي مبارك — ٣ —
للأستاذ محمود الشرقاوي
٦٩١ مدينة كانو أكبر مراكز الإسلام في إفريقية الغربية
للأستاذ محمد جلال عباس
٧٠٠ عبرة في حياة أديب للأستاذ محمد رجب البيومي
٧٠٧ رائد الفضاء للأستاذ محمد محمد خليفة
٧١٤ الفقه في الدين أمان من الزلل للأستاذ علي العماري
٧١٩ فريضة الصلاة تطهير للنفس للدكتور محمد غلاب
٧٢٤ العرب في أندونيسيا — ٢ —
للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

صفحة
٧٣٣ مراكز اللغة العربية في الهند — ٢ —
للأستاذ محمد اسماعيل الندوي
٧٤١ مع قضايانا : إننا عائدون — ٣ —
للأستاذ أحمد الشرباصي
٧٤٦ ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع
للأستاذ محمد محيي الدين المسيري
٧٥٠ مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الأخرى
للأستاذ عباس طه
٧٥٣ مراكش مستقلة للأستاذ عباس محمود العقاد
٧٥٧ الإسلام والتقدم قصيدة لشاعر العراق : معروف الرصافي
٧٥٩ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان
٧٦٥ بريد المجلة : رسالة الإمام الأكبر للسيد نائب رئيس الجمهورية بشأن الرقابة على الأفلام السينمائية ورد السيد نائب الرئيس عليها — تأنيث أفعل على فعلى — حول عقوبة الإعدام — كل بما زعم الناعون مرتهن — تعقيب على رثاء الجزيرة — حديث بين رئيس البعثة الأزهرية بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .
٧٧٢ بين الصحف والكتب . .
٧٧٢ أنباء الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

عاش شقيًا بالدنيا ... ومات سعيدًا بالدين

بقلم: أحمد حسن الزيات

سعادة فى شقاء :

لا أريد بالسعادة ما تناله من لذاذات العيش فتاتا أو على أجزاء كلقاء صديق بعد فرقة، أو وصال حبيب بعد قطيعة، أو قضاء ساعة فى ملهى، أو انبساط قلب فى نزهة، أو انتشاء نفس فى منادمة، أو استغراق حس فى جمال؛ فإن تلك الحالات فلتات عرضية كالانطلاق والضحك والأنس، تنفك ولا تلزم، وتنقطع ولا تدوم.

إنما أريد بالسعادة تلك الحال التى تغلب على المرء فى أكثر عمره فيستلذ معها ألم التعب وذل الحرمان ومض اللوم وقبح السمعة، وهى حال لا أستطيع تعيينها بحد، ولا توضيحها بتعريف، وقصارى ما أستطيعه أن أسوق إليك مثلا من أمثالها الكثيرة المختلفة ستجد فى ذاكرتك من غرائبها ما يؤكد لك أن السعادة لا تعرف الإطلاق، وإنما هى بالإضافة إلى كل إنسان ما ينبثق من الرضا فى نفسه، ويصح من الهوى فى اعتقاده.

عرفت وأنا فى سن الحداثة رجلا فى أعقاب العمر كان يعيش فى قرية مجاورة. كنت أراه وهو يمر بقريتنا على الطريق الزراعى العام ذاهبا إلى البندر فى الصباح، أو آيبا منه فى المساء، فيلفتنى إليه جثته الضخمة على بغلته السوداء، وعمامته المكورة على رأسه الحليق، وجبته الجرداء على جسمه البدين، ووجهه المطهم على صدره العريض، وبطنه المنتفخ على بردعته المضلعة، فأملأ عينى من منظره العجيب، وأتبعه بصرى إلى أن يغيب.

وكان فى موعدى غدوه ورواحه أدق ضبطا من قطار الصبح فى ذهابه إلى دمياط، ومن قطار المغرب فى عودته إلى المنصورة، فكان أصحاب الحقول الواقعة على جانبى طريقه يوقتون بهما فيقول أحدهم الآخر: سأعلق الساقية أو سأحل المحراث عند مرور الشيخ على.

وترددت بحكم الجوار القريب على قرية الشيخ على فعلمت أن له فى حياة الناس شأناً لا يقل عن شأن القدر والحظ. كانت بغلته كبغلة العشر التى توزع الذهب والجوهر على الموعودين فى ليلة عاشوراء كما تقول الأسطورة. كان خرجها كحواصل الطير يغدو فارغاً إلى البنك ثم يروح ملآن إلى القرية، فيجد أصحاب الحاجات من رجال ونساء قد تكدسوا أمام الباب وفوق المصطبة ينتظرون ساعة الفرج ومع كل منهم قطعة من نحاس فى يده، أو حلية من ذهب فى جيبه. فيدخل الشيخ الحجرة الخاصة ويتبعه كاتبه مبروك أفندى، فيجلس بجانب الخزانة المغبرة ويقعد الكاتب أمام المنضدة العتيقة، ثم يدعو المنتظرين واحداً بعد واحد، فمن كان رهنه ذهباً وضعه فى الخزانة، ومن كان رهنه نحاساً ألقاه فى المخزن، ومن كان رهنه عقاراً أخذ منه سند الملكية، ويختم الراهن أو يوقع على بياض ثم ينصرف! حتى إذا خلت المصطبة والزقاق من المأزومين والمعوزين صلى المرابى العشاء وتبلغ بشىء من الخبز الجاف مفتوتاً فى اللبن الحليب، ثم أخذ يباشر هو والكاتب تحقيق الأشخاص وتقويم الرهون وتقرير السلفة وتقدير الفوائد وتحرير الصكوك، حتى ينقضى الهزيع الثانى من الليل فيصرف الكاتب ويعمد هو إلى الخزانة فيحكم القفل، وإلى المخزن فيوثق الرتاج، وإلى الدهليز فيغلق الباب. فإذا اطمأن قلبه على أولئك كله تسلل إلى حجرة نومه دون أن يتيح الفرصة لزوجته الصابرة فتطلب النفقة، أو لأولاده التسعة فيشكوا الضيق، فينام نوم المهموم القلق حتى يطلع الفجر فيصلى، ثم يجد الخادم قد وضعت بجانبه على العادة موقد الكحول وبكرج اللبن، ورغيفين من الخبز الرقيق اليابس، فيشعل النار ويغلى الحليب ويفت الخبز ويفطر، ثم يتهيأ للانتقال إلى حجرة العمل.

فيختبر فى طريقه إليها الأبواب ويفحص الأقفال ثم يفتح الخزانة باسم الله ويمد عينه ويده إلى كل موضع من مواضعها الظاهرة والباطنة، حتى إذا لم يجد ما يريبه أخرج النقود المطلوبة على حسب البيان الذى كتبه فى الليل مبروك، وجاء المقترضون بعد بزوغ الشمس ليقبض كل منهم المبلغ الذى قدره له رهنه وشأنه. ثم تقف بغلة الشيخ فى ميعادها المألوف على الباب فيركبها إلى المنصورة، ليقدم إلى المحامى مستندات قضية، أو ليحضر معه جلسة الحكم فى نزع ملكية!

لم يكن الشيخ على يذوق اللحم إلا مدعواً، ولا يشترى الثوب إلا مضطراً. ولا يعرف الأنس فى أسرة ولا مجلس، ولا متعة الحديث فى قهوة ولا دار، فيئست زوجته من عطفه فانصرفت إلى الدجاج والبط، وقنط أولاده من عونه فتصرفوا فى الربا والتجارة، وحصر هو دنياه فى البغلة

والخادم، وفى الخزانة ومبروك، وفى المحكمة والمحامى، وفى البورصة والسمسار، فأصبح لا يجد سعادة نفسه ولا لذة عيشه إلا فى مال يقبضه، أو حكم يكسبه، أو ملك ينزعه، أو عقار يشتريه. أما الألم الذى يسببه الحرمان، والذل الذى يجلبه الطمع، والندم الذى يبعثه الضمير، فقد مات ذلك كله فى شعوره وغاب أثره عن باله. عنده البنون ولا يجد فيهم عزاً ولا زينة، وفى بيته الخير ولا يبلغ به رضا ولا سكينة، وفى يده المال ولا يأكل فى الدار إلا الخبز فى اللبن، ولا فى القهوة إلا السميذ فى الشاى. وكل عزه وغاية رضاه أن يرى المحتاجين يترامون على بابه باكين أو ضارعين يتوسلون إليه أن يعجل السلفة أو يؤجل السداد أو يرفع الحجز وهو يزور عنهم ويتدلل عليهم رافعا رأسه من التيه، لاويا شدقه من الكبر.

ومرت الأعوام على خطوات البغلة وصفقات المرابى فخربت دور لتعمر دوره، وغاضت موارد لتفيض موارده، وطفحت الخزانة بالذهب فترك البغلة وركب القطار، وأنكر المنصورة وعرف الإسكندرية، وأفرغ خزانة النقود، ليضارب فى بورصة العقود، فلم يحل عليه الحول حتى خسر تسعين ألف جنيه عينا. وحينئذ أحس بالشقاء وشعر بالفراغ وأدرك أن كل شخص يزدريه، وأن كل شىء يعوزه. فلما رجع إلى مبروك أفندى صفى معه الحساب فوجد ما خسره فى المضاربة هو كل ما ربحه من الربا، فانبعث فى صدره إيمان كان قد مات، وتيقظ فى ضميره شعور كان قد رقد. ورأى أن هناك غير المال الذى عبده إلها آخر لا يضيع فى البورصة ولا يغيب فى المصيبة ولا يتخلى فى الشدة، فرجع إلى الله وأصبح يصلى ووجهه إلى القبلة بعد أن كان يصلى ووجهه إلى الخزانة. ثم ضم زوجه إلى قلبه، وآوى بنيه إلى عطفه، وأطلق أيديهم فيما بقى من ثروته وهى الأرض الطيبة والتجارة الحلال، وتفرغ هو لاستقبال التوجيه السماوى للخير، فمسح بالصدقة دموع الربا، وفرج بالمعروف كروب المنكر، وتغير فى ذهنه مدلول السعادة فاعتقده فى إيثار الغير لا فى أثرة النفس، وفى بسمة الشاكر لا فى دمعة المحتاج وانحصرت فى دنياه حدود للغبطة فلم تتعد الإيمان بالله والإحسان إلى الناس، فحج البيت وتطهر فيه، وبنى المسجد ووقف عليه. ثم تنفس به العمر حتى شارف المائة فانتقل إلى جوار ربه. وحياته الحافلة بالكد والدأب، والربح والخسارة، والشر والخير، مصداق لقول الرسول الكريم: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»، تغمده الله بالغفران على ما أساء، ومن عليه بالرضوان على ما أحسن.

أحمد حسن الزيات

أمانة القومية العربية فى ذمة الأزهر

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

وجهت إلينا مجموعة من الأسئلة تدور حول القومية العربية ، ومدى ما يمكن أن تؤديه فى توجيه العالم إلى نواحى البر والخير ، ومكان الجامعة الأزهرية فى كل هذه النواحى ولا بد أن نقدم بين يدى الموضوع بحقائق تمهد له وتلقى مزيداً من الضوء عليه ، فإن لكل أمة شخصية حسية تتصل بالجو والإقليم والمساحة وطبيعة الأرض ونظام البيئة ، وما يتبع ذلك من تأثير هذه العوامل فى أبنائها من حيث الطول والعرض واللون وما إلى هذه السمات من الأوصاف الحسية الملموسة أو الأصول التى تنتسب إليها .

ولكل أمة كذلك شخصية معنوية تتمثل فى إيمانها ومبادئها وأهدافها وخططها التى تسير عليها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها .

ولاشك أن الشخصية المعنوية للأمة تقوى بمقدار قوة الروابط القلبية والعقلية والشعورية ، وكلما قويت هذه المعانى فى أمة كان لها بين الأمم المركز القوى والمكان السامى .

ولقد كان التراث الإسلامى الأصيل الذى انتشر فى أنحاء العالم هو الحبل السماوى الذى ربط الأمة العربية من جميع أطرافها .

وكان تدوين هذا التراث باللغة العربية ، فإنها اللغة التى عبر بها المسلمون عن شتى جوانب الفكر فى حياة المجتمع الإسلامى والعربى .

والمتتبع لاتجاه هذا التراث فى كل نواحيه يجد منبعه من القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من القرآن الكريم وأقوال الرسول عليه السلام بلسان عربى مبين ، هذه العربية التى كانت لغة التنزيل ووسيلة البيان للرسول هى التى وحدت بين الأمم التى شع فيها نور القرآن ، وتألق فيها هدى النبى عليه السلام ، وبذلك تعرب كثير من المسلمين ، ورأوا فى اللغة العربية وسيلة اتصالهم بهذا الدين الذى أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

وكم من شعب غير عربى صار بالإسلام والقرآن عربيا .

وعلى هذا النحو التقت العروبة والإسلام في محيط الثقافة التي تدفقت من القرآن لهذه الأمة ، وامتزجتا كل الامتزاج ، وأصبحتا لا انفكاك لأحدهما عن الآخر ، بل كان ترابطهما ترابطا فعالا قويا وعلى هذا الأساس تواصلت الأمم الإسلامية واتحدت أهدافها وتقاربت أغراضها ، لأن العربي غير المسلم يفزع بقلبه إلى القرآن ، ويتجه بشوقه إليه .

إن المسلم من غير العرب يميل بقوة نحو القرآن ، لأنه الذي يذكى إيمانه ، ويغذى دينه ، ويروى جذور عقيدته ، فذلكم هو الرباط القوى الذي ربط الله به بين الأمم العربية فكان أقوى من رباط اللون ، ورباط الجو ، فإذا تألق نجم القومية العربية الآن وازدهر فذلك للمعاني القلبية التي أذكاها المخلصون من أبناء هذه الأمة ، إنما هي كوامن راسخة في الضمير ومعان ثابتة في الشعور والتفكير .

إن العربية التي تحركت وسارت الآن بخطى واسعة وانطلقت في عمل متصل لتحقيق معاني البر والخير للعرب وللإنسانية ، ليست عربية الجو ولا عربية الإقليم ولا عربية النسب إلى العرب ، إنما هي عربية الشخصية المعنوية التي تتكون ملامحها من طبيعة الشعور والضمير والتفكير .

هذه هي الأسس التي قامت عليها القومية العربية وستظل تروى من هذا المعين الذي لا ينضب .

وللقومية العربية الآن رائدها البصير وقائدها الملهم الرئيس جمال عبد الناصر ، فإنه آمن بها ورأى فيها القوة التي تتحطم على صخورها الصلدة قوى الأمم الظالمة الطاغية التي حبست معاني الحياة عن الأمم الضعيفة أو الآخذة في أسباب القوة .

إن القومية العربية هي التي ستوقف نشاط التسلح الذي تتسابق في ميادينه دول دأبها الاعتداء ودول تقوم على أكتاف دول الاعتداء ، إنها تقف وراء كل دولة ضعيفة تناصرها وتشد أزرها وتذود عنها ، وهي إلى ذلك تقيم الاقتصاد العربي على دعائم قوية .

فقد أتى على الاقتصاد العربي حين من الدهر غط في نوم عميق واعتدى بغاة كل زمن عليه ، وكنا في هذه الحقبة من الزمن نكاد ننسلخ عن مقوماتنا في حياتنا العربية القومية الأصيلة ، إذ تدفقت عليه تيارات جارفة وأمم مستعمرة محطمة ، فسارع كثير منا إليها وارتموا في أحضانها ناسين أصلهم العريق ومجدهم التالد « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » .

وإذا كانت هذه التيارات التي تدفقت علينا شاءت أن تحطم كياننا وإذا كان الرائد الأول جمال عبد الناصر ، قد جعله الله منقذا لقوميتنا . فقد وقف الأزهر في هذه الحقبة من الزمن وقفة الصامد الذي لا تزعزعه

الخطوب ولا تهده الأحداث ، وكان من بين المراكز التى قامت على خدمة الشخصية العربية بل كان هو المركز الوحيد الذى يعد الآن مركزا عاما هاما للدراسات الإسلامية وما يتصل بها من دراسات عربية لجميع الشعوب الإسلامية والعربية .

فرسالة هذه الجامعة من يوم أن أنشئت هى المعارف الإلهية التى رسمت بها السماء شخصية الأمة الإسلامية ، وإذا قلنا الإسلامية دخلت فيها العربية بكل معانيها ، كما بيناها ووفينا الكلام فيها .

إن الأزهر فى الواقع هو الجامعة التى ألقى على كاهلها منذ أنشئت الاحتفاظ بهذه الشخصية المعنوية لهذه الأمة .

إنه المعهد الذى سلمت إليه أمانة الاحتفاظ بالقومية العربية .

هذا الأزهر بالرغم من وجوده وحياته فى قلب الجمهورية العربية المتحدة له طابع دولى وعرفى هام ، إذ هو المنارة العالية التى تتوجه إليها أبصار طلاب المعرفة من كل مكان ، والباحثين عن الحقائق العربية والإسلامية فى كل زمان .

إن الجامعة الأزهرية تعتبر فى كل نواحيها مصدر الإشعاع الدائم والتوجيه المتواصل لخدمة شعوب العروبة .

فكل دول العروبة وكل دول المسلمين ارتشفت من منهل هذه الجامعة واستقت من ماء الحياة فيها ، وهو ماء لا يعرف الفرقة وإنما يتجه إلى الوحدة الشاملة والغايات المتحدة والقوى المترابطة ، فالأزهر يبنى هذه المعانى فى كل هذه الدول .

فمهمة الأزهر ليست مهمة محلية من حيث الدراسات فى بعض نواحى الإنسانية العامة التى يتناولها الناس جميعا ، وإنما هى مهمة تجاوزت ظاهر الحياة إلى باطنها فى كل نواحيها، تجاوزت توصيل المعرفة إلى الأفراد والجماعات إلى تنمية العلاقات بين الشعوب والأمم عن طريق القلب والإيمان والشعور القوى بمهام الأمور ودقائقها .

إن رسالة هذه الجامعة الكبرى هى القوة المتينة والحبل الممدود من السماء إلى الأرض الممهد للسياسة العربية والممهد المجال الحيوى لشعوب تلك السياسة .

هذا هو دور الأزهر فى مجال القومية العربية ، وإنه اليوم لأصلب عودا وأقوى شخصية بمقدار ما يبذله رجال ثورتنا الخالدة ويمنحه له قلب هذا الرجل القوى فى إيمانه وفكرته : جمال، الذى يحرص على أن تكون جامعة الشعوب (الأزهر) فى أبهى ثيابها وأجمل معانيها وأقوى أهدافها لتواصل السير بالأمم العربية والإسلامية إلى الأمام ، إلى القمة والذروة العليا .

محمود شلتوت

مقارنة لغوية في ضمائر الجنس والعدد

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، لأنها وجدت مع أقدم الأسماء فى وقت واحد ، لتنوب عن اسم الشخص المخاطب والغائب ومن هو فى حكمه ، فيقول المتكلم لمن يخاطبه (أنت) ويقول عن الغائب أو الحاضر الذى لا يتجه إليه الخطاب (هو) ويستغنى بذلك عن إعادة الأسماء فى كل خطاب أو إشارة .

ولا يخفى أن الأسماء لا توجد فى القدم دفعة واحدة ولا تزال فى ازدياد وتغيير مع تطور اللغة واتساعها ، فهى - لهذا - لا تصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة ، وبخاصة مقارنة اللغات التى يراد بها الدلالة على القدم أو على أحوال اللغات فى مادتها الأولى .

أما الضمائر فهى محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها أو تتبع أدوارها فى تطوراتها وتبديلاتها ، فهى - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات وأحدثها وهى أدل من الأسماء على عراقة اللغة وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها .

وبهذا المقياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال إن اللغة العربية أقدم اللغات الحية بلا استثناء ، وإنها من أقدم اللغات جميعا إذا شملنا بها اللغات المنتثرة التى تعرف بالتعليم ولا يجرى بها الخطاب اليوم بين الأمم الحية .

وبهذا القياس أيضا يمكن أن يقال إن اللغة العربية أعرقها تطوراً وتدرجا فى الاستعمال على حسب الحاجة ، فليست مزيتها الكبرى أنها قديمة معرقة وحسب ، ولكنها تضيف إلى ذلك مزية أخرى وهى تمام التطور فى استعمال الضمائر حيث تظل اللغات الحية ناقصة أو جامدة لا تقبل النمو على جذورها الحية من جديد .

أما إنها أقدم اللغات الحية بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعا وبقاء أصولها جميعا فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التى تناسبها .

فالضمائر فى اللغات الجرمانية واللاتينية هائية أو ذالية أو لامية . ونعنى بالهائية ما يظهر فيها حرف الهاء ، وبالذالية ما يظهر فيها حرف الذال ومقابلاته فى اللغات الأخرى ، وباللامية ما يظهر فيها حرف اللام كما يظهر فى الألف واللام الموصولة عندنا .

ففى اللغة الانجليزية تستعمل he (هى) لضمير المذكر الغائب (هو) باللغة العربية

وكانت (هيو) تستعمل لضمير المؤنث الغائب heo إلى القرن الثانى عشر ، مقابلة (هى) باللغة العربية .

ومن أسمائهم الموصولة what (هوات) بضم الهاء ، و whose (هوز) وهى تستعمل عندهم كثيراً فى مواضع الذى والتى والإضافة للملكية .

وفى اللهجات الجرمانية والتيوتونية تستعمل (زى) Zij فى الدنمركية و (زيو) فى السكسونية القديمة و (زو) فى الايسلاندية بمعنى (هى) العربية .

وفى اللغات اللاتينية تستعمل (ال) IL بمعنى (هو) وتدخل (ال) التعريف بلفظها ومعناها على بعض الأسماء الأسبانية .

ولا يجوز أن ننسى حرف (التاء) فى هذا المقام ، فإنها ـ وإن لم تثبت مع كلمات الضمائر كحروف الهاء والذال واللام ـ إلا أنها تعم فى اللغة العربية للدلالة على التأنيث وتأتى عرضا فى بعض اللغات للدلالة على التأنيث والتذكير معا كما جاءت فى (توا) toi الفرنسية و thou الانجليزية ، وغيرها .

ويدل هذا على أنها أصيلة فى اللغة العربية مستعارة ـ أو عرضية ـ فيما وردت فيه من اللغات الأخرى .

وعلامة التطور أظهر من علامة القدم فى استعمال الضمائر وتحديد مواضعها ، كما هو ظاهر فى الدلالة على الجنس والدلالة على العدد ولا مثيل للغة العربية فى كلتا الدلالتين .

فالجنس فى الأغلب الأعم من اللغات الهندية الأوربية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مذكر ومؤنث ومحايد ، أى ليس بالمذكر ولا بالمؤنث .

وهذا وضع عقلى مخطئ ، لأن التقسيم الصحيح فى الجنس المتميز أنه مذكر ومؤنث وليس هناك جنس ثالث متميز يسمى بالمحايد بل هناك أشياء لاجنس لها أصلا يستعار لها الجنس على سبيل المجاز ، فتلحق بالمذكر أو بالمؤنث على حسب المناسبة عند وضعها ، وليس هناك جنس ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل ، فإنهما فى حقيقة التقسيم ذكر غير متميز أو أنثى غير متميزة ، ولا ثالث للجنسين يسمى بالجنس المحايد بينهما .

وفى اللغة العربية تمييز بين الضمائر فى حالات الإفراد والجمع لا يعرف لغيرها بعمومه ودقته وتنوع تصريفاته ، فـ (هم) لجمع المذكر و (هن) لجمع المؤنث ، و (أنت) بفتح التاء للمخاطب المفرد و (أنت) بكسرها للمخاطبة المفردة و (أنتم) و (أنتن) للمخاطبين والمخاطبات ، وهذا عدا التمييز بين علامات جمع الأسماء كالمؤمنين والمؤمنات والمتكلمين والمتكلمات ، وهذا التمييز بين الضمائر فى حالات الفعل النحوية والصرفية بالنسبة للجنسين .

ولا توجد لغة حية تلتزم التفرقة على قواعدها المطردة كما تلتزمها اللغة العربية .

ومن أدق الفوارق العقلية الملحوظة فى

مسألة الجنس أن اللغة العربية لا تفرق بين الدلالات الجنسية بتقسيمها إلى مذكر ومؤنث أو محايد بين الجنسين، ولكنها تفرق بينها بتقسيمها إلى ما يدل على العاقل وما يدل على غير العاقل، وهذا هو التقسيم العقلي المنطقي الصحيح مستقرا فى تكوين اللغة لأنها لغة متطورة بالاستعمال إلى ما يناسب الكلام والتفكير، فالفرق بين (من وما) فى اللغة العربية هو فرق بين عاقل وغير عاقل وليس فرقا بين جنس مذكر أو مؤنث وجنس محايد بينهما لا هو بالمذكر ولا بالمؤنث ولا بالمشكل الذى يحسب مذكرا تارة ومؤنثا تارة أخرى.

ولولا أننا نتكلم هنا عن الضمائر لاستطردنا إلى الكلمات التى تطلق على الجنسين ويجعلون لها عندهم جنسا نحويا يسمى بالجنس المشترك Common ولكنه بحث آخر نرجئه إلى غير هذا المقال لأنه يحتاج إلى تفصيل يستوفيه مقال خاص.

* * *

ومن علامات التطور فى ضمائر اللغة العربية دلالتها الصحيحة على العدد كدلالاتها الصحيحة على الجنسين أصلا واستعارة.

فالضمائر فى اللغات الهندية الجرمانية لا تعرف غير حالتين لضمير العدد هما حالة الإفراد وحالة الجمع.

ولكن اللغة العربية تعرف لها حالة ثالثة هى حالة المثنى وهو من وجهة التفكير المنطقى ليس بالمفرد ولا بالجمع، فإن اثنين لا يكونان جماعة من الناس أو غيرهم، والواحد لا يقابل حالة الجمع وحدها بل يقابل أيضا حالة الواحد مع واحد آخر لا أكثر، وليس واحد وواحد بالكثرة الجماعية، ولكنهما واحدان غير منفردين.

والدقة البالغة فى اللغة العربية أنها لا ترى لزوما عقليا لتنويع ضمائر الثلاثة وما فوقها، لأن الفرق بين الثلاثة والأربعة كالفرق بين الثلاثة والعشرة والعشرين، ليس فرقا فى كنه (الجمعية) أو فى الخاصة الجمعية، ولكنه فرق فى صغر الجماعة وكبرها، فالثلاثة جماعة صغيرة والألف جماعة كبيرة، وقد تكون الألف جماعة صغيرة بالقياس إلى عشرات الملايين، وكلها (جماعة) من وجهة الحد العقلى أو الحد المنطقى، وإن كانت من وجهة الحساب جماعة صغيرة وجماعة كبيرة وجماعة أصغر أو جماعة أكبر، على حسب المقدار الحسابى الذى لا يحصر فى تحديد معنى الجمع والتثنية والإفراد.

وتتم الدقة حين نلاحظ أن اللغة العربية تستدرك التفرقة بين الضمائر بالتفرقة بين جموع القلة وجموع الكثرة، فإن التفرقة بين الثلاثة والألف بضمير خاص غير معقولة فى باب التفرقة بين الجماعة وغير الجماعة، ولكن التفرقة بين جمع للقلة وجمع للكثرة هو المعقول

(البقية على صفحة ٦٦٤)

كيف دخلت في الإسلام

للدكتور أندريه روماني

مقدمة :

كاتب هذا المقال لم يولد من أبوين مسلمين حتى يقال « إنه ورث الإسلام عنهما بدون نظر أو تفكير » . . ولم ينشأ في بيئة إسلامية حتى يقال . . « إن عوامل البيئة قد أثرت في عقيدته الدينية ، لكنه ولد لأبوين مسيحيين ومكان ميلاده : (كازولا آن لونيجيانا — توسكانا — إيطاليا) .

وزمن الميلاد هو عام ١٩٠٤ ، وقد تلقى في إيطاليا تعليمه الابتدائي والثانوي والجامعي ونال شهادة الدبلوم والدكتوراه في الطب . . وكذلك في علم النفس .

ولقد بدأ قراءته الواعية اليقظة لكتب القديس توما الإكوينى الكاثوليكي الأكبر لعقيدة التثليث ولم يستطع عقله أن يقبل هذه العقيدة فاتجه إلى التفكير في عقيدة التوحيد وأعلن إسلامه وابتدأ يعلن رأيه في عقيدة التثليث . ولاقى ألوانا من الأذى والاضطهاد من بني جنسه . حتى أنه سجن زمنا طويلا أيام الفاشست . مما دفعه إلى أن يسافر إلى فرنسا ، ثم يتجه إلى إفريقيا فيزور السنغال والكونغو وتنجانيقا ومنها رحل إلى آسيا بحثا وراء المعرفة ليقيم باليابان زمنا ثم ينتقل إلى أندونيسيا وينتهي به المطاف إلى الصومال ، هذا البلد الذي يعتنق أبناؤه جميعا عقيدة الإسلام عن إيمان وتدبر فأنس إلى أبناء البلاد . وأقام بينهم وتزوج إحدى فتياتهم وهو الآن يعمل مدرسا للغة الإيطالية بمعهد الدراسات الإسلامية بمقديشيو ابتداء من العام الدراسي الحالي .

وإني أعرفه ويعرفني منذ سنوات لكننا لم نشترك في عمل واحد إلا في هذا العام وأذكر أنه لما لقيني في المعهد أول يوم عمل فيه ، أقبل على معانقا وشد على يدي وقال : الآن وجدت الطريق لأتعلم اللغة العربية وأتزود من ثقافة الإسلام على أيديكم .

إن أمنيته أن يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة حتى يستطيع كما يقول أن يقرأ كتاب الله الكريم باللغة التي أنزل بها على محمد بن عبد الله وها هي ذي ترجمة مقالته التي كتبها بالإيطالية . . .

(عبد الرحمن النجار)

١ — الطريق إلى الإسلام :

لقد كان طريقاً طويلا ذلك الذي أدى بي إلى الإسلام ، وأستطيع أن أؤكد أن لتحولي جذوراً دينية عميقة وأسبابا ثابتة سواء أكان ذلك لمزاجي وطبيعتي الخاصة التي تميل إلى نوع من البحث الفلسفي أم لميل فطري إلى التوحيد ذي الفكرة الدينية النقية الصافية ، فمنذ شبابي الباكر أحسست دائماً

باهتمام « بالأعمال » الدينية للإنسانية ، وقد كنت أستند بوجه خاص إلى تاريخ مختلف الأديان، ولأنني ولدت فى أسرة شديدة المحافظة على التعاليم الكاثوليكية فقد أرغمت منذ طفولتى على القيام « بالواجبات » الطقسية الكاثوليكية ، وأعترف بأنني شعرت دائماً بنفور شديد وكراهية عميقة لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد فى الصور ... والتماثيل ، لقد كانت مظاهر تترك فى نفسى فراغا روحيا حادا وعدم رضاء متواصلا دائما ، وفى أثناء تلك « الواجبات » كان عقلى يسرح غريزياً فى الطقوس الوثنية ويميل إلى أن يرى الدين الكاثوليكى للوثنية الفعلية تحت شعار المسيحية .

وأمضى قدما فى دراسة الآباء الكبار لكنيسة روما : الأمر الذى كان يقوى فى نفسى - أكثر فأكثر - يقينى بوحدانية الله !!! إن الله واحد وليس له ولد !!!

وليس هنا مجال مناقشة فكرة « تثليث الإله » الكاثوليكية ، التى هى فى بعض أجزائها ... بروتستانتية أيضا .

وقد دفعتنى القراءة الواعية اليقظة لكتب القديس توما الإكوينى العالم المنظرى الكاثوليكى الأكبر لعقيدة التثليث ، دفعتنى - أكثر دائما - نحو فكرة « وحدانية الله » القوية الثابتة .

إنها طريق قطعتها بمشقة وتعب ، أبعدتنى عن الكاثوليكية وقربتنى ، بدون انتباه ، إلى الإسلام ، دين الوحدانية الرائع الذى هو أكثر الأديان صفاء وانطلاقا .

وكان الدليل الروحى لى فى هذا السبيل كتابات كبار الموحدين زمن النهضة الأوربية أمثال سوشينو دا سيينا ، والأسبانى سيرفيتو أكبر المفكرين لفكرة تثليث الإله . وقد عملت وسائل بييتشى ديلا ميراندولا التى كتبها ضد مذهب الصور والتماثيل الوثنى - ذلك الذى طالما أثار فىّ الاشمئزاز - عملت هذه الرسائل على إقناعى بصحة تفكيرى ، ولقد أحسست دائما نحو الإسلام - وبصورة تكاد تكون طبيعية ومقدرة من السابق - بميل شديد وانجذاب قوى فعال ، وكنت أرى فى إيطاليا أن عددا قليلا جداً من الناس يعرف هذا الدين للشريف العظيم ، الذى تعتبره الأغلبية هناك دينا للمتعصبين وقتلة المسيحيين .

وعندما وصلت فى دراستى إلى الجامعة كان من حظى متابعة دروس « الدوبراندينو مالتازى » أستاذ الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامى الذى ربما يمكن اعتباره حتى اليوم أكبر دارس للإسلام فى أوربا كلها ، إنه لإيطالى عظيم ولكنه غير معروف فى الصومال .

٢ — هكذا عرفت الإسلام :

وهكذا عرفت الإسلام بعمق ، فى تاريخه وشريعته وأحكامه ، وفى مبادئه الإلهية السامية وعرفت أن الإسلام ليس مجرد مظاهر زائفة كما روج المسيحيون قرونا ،

ولكنه كان وما زال مظهرا لفكرة دينية صافية خالصة تشكل من نفسها حضارة كاملة ، وإنه لمن الغريب أن يعرف الأوربيون القليل عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، وهم الذين عاشوا قرونا على اتصال بالمسلمين !! .

وفى أوربا يتحدث الناس عما يسمى بالتعصب الإسلامى ، ولكنهم ينسون أن يقولوا إن المسيحيين استطاعوا أن يواصلوا الحياة بين المسلمين بينما لم يقدر المسلمون أبدا على أن ينالوا حظا من ذلك . ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين فى أسبانيا وصقلية لنصمت عما بقى كله ، هذه هى الحقيقة .

وبالرغم من أننى أجبرت على أن « أظهر » كاثوليكيا (وفى إيطاليا من الضرورى أن « تظهر » فقط لا أن « تكون ») . بالرغم من ذلك يمكننى أن أعلن وأنا واعى الضمير أننى لم أكن أبدا كاثوليكيا لنفور طبيعى أشعر به نحو المبادئ الأساسية لهذا الدين ونحو الفكرة اللاهوتية للتثليث ونحو مذهب الصور والتماثيل الداعى إلى الوثنية .

إن ثقافتى الواسعة وتجاربى الأليمة فى الحياة ، والاضطهاد الخاص الذى عانيت منه فى البيئة الكاثوليكية الإيطالية - هذه كلها دفعتنى - أكثر فأكثر - وبلا انتباه تقريبا فى طريق الإسلام بسبب حاجتى إلى دين يدعو إلى التوحيد فى قوة ، ويسمح بالقرب المباشر ، دون وسطاء بين الإنسان والخالق ، دين ذى روح عالمى وشعور عال بالتضامن بين المؤمنين المخلصين .

وواضح أن الإسلام فقط هو الذى كان بإمكانه أن يقدم إلىّ ما طلبت من تهدئة روحى المعذبة .

ومن قبل أن أترك البلد الذى نشأت فيه كنت أحس بنفسى مسلما ، وكان القرآن يمثل قراءتى المفضلة المتروية ، بإنسانيتى وبوثباتى وانطلاقاتى الروحية الصافية الخالصة العظيمة نحو الله ، الرحيم القوى .

لقد كان على منضدتى الصغيرة بالقرب من السرير وفى متناول اليد .

وليعلم جيدا أننى جئت إلى الصومال كمسلم لأمارس بحرية عقيدتى بين إخوانى ولم آت لمنصب أو لجاه أو نفوذ . إننى مسلم باقتناعى العميق وليس من أجل استجداء شىء من أحد وقد توصلت إلى الإسلام عن طريق دراساتى وتجاربى القاسية فى البيئة الكاثوليكية وعن طريق مختلف الاضطهادات التى لاقيتها والتى استمرت أيضا فى الصومال البلد الإسلامى .

٣ — أنا مؤمن بإله واحد :

أنا مؤمن بإله واحد لم يلد ولم يولد ، مؤمن بأنبيائه مؤمن بمحمد خاتم رسله العظام وإن رسول الله عيسى ليظهر لى الآن إنسانا عظيما أوحى

الله إليه فأنار قلبه وليس تلك الصورة القائمة للإله أو ابن الإله ، الشخص الثانى فى عقيدة (التثليث) كما يعلم الكاثوليكيون وكما يريدون .

إن الصلاة الإسلامية التى هى عامل خضوعى عظيم ترضى روحى تماما وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله ، وفى صلاة الجماعة بالمسجد راحة لى وطمأنينة فهى تجعلنى أشعر بتضامن الأخوة الإسلامية .

وهكذا أخيرا أسبغت على وجودى صفاء ووضوحا إلهيين . ونظرا لعدم استطاعتى التسليم بأن للإنسان (إرادة حرة) — اعتنقت الدين العظيم ، الدين الحق دين الإسلام والخضوع لأوامر الله العالم بكل شىء المقرر لكل شىء والمقدر له ،

ومع كل المرارة التى عانيتها والإهانات التى كابدتها فى الصومال وفعل مواطنى القدامى فإن هذه السنوات التى أمضيتها فى هذا البلد المضياف بين إخوتى المسلمين كانت أجمل وأصفى وأهدأ سنى حياتى .

٤ — ماذا وجدت فى الاسلام ؟

لقد وجدت فى الإسلام أخيرا سلام نفسى وسكينة روحى وأشكر الله القوى الرحيم .

الدكتور أندريه روماني

ترجم المقال الأستاذ محمد على ناصر
المدرس بالمدرسة الوسطى (بمقديشيو)

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٠)

فى حساب الفكر وفى حساب الأرقام على السواء ، وإن السامع ليدرك من مجرد السماع أى الجمعين يدل على القلة وأيها يدل على الكثرة مع اختلاف الأوزان بين بعض الكلمات ، فلا التباس بين دلالة أبسطة وبسط ولا بين دلالة أرغفة ورغفان ، ولا بين دلالة أقفل وقفول ، لأن السامع العربى يفهم على الأثر أن أبسطة وأرغفة وأقفلة للقلة وأن (بسط ورغفان وقفول) للكثرة مع اختلاف أوزان فعول وفعلان وفعل بضم الفاء والعين .

ولابد لهذا الاطراد فى الاستعداد لفهم هذه الفروق من أصل صوتى أو اصطلاحى متشابه يرجع إليه ارتباط كل وزن من هذه الأوزان بمعنى القلة أو بمعنى الكثرة . وقد يكون للأصل الصوتى ارتباط بالإشارة المصاحبة لإظهار الحيز أو الصورة المقللة ، والمكثرة على حسب المشاهدة بالنظر ، وكل ذلك مما يصعب تحقيقه الآن ونحاول أن نحقق بعضه على التقريب جهد المستطاع ، ولكنه يشير على جميع الحالات إلى القوانين العريقة التى عملت فى هذه اللغة الجميلة الوافية عملها العميق ، فبلغت مبلغها الذى لا مثيل له بين اللغات من التطور الوافى والتمييز المفيد ؟

عباس محمود العقاد

الأزهر فى نظامه الجديد

للأستاذ الدكتور محمد البهى

---

١ ـ لكى يحكم أى إنسان على نظام الأزهر الجديد الذى حدد إطاره القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكذلك لائحته التنفيذية التى تطبق ابتداء من اليوم الرابع من شهر نوفمبر الجارى يجب أن يقف على أهداف رسالة الأزهر أولا.

ورسالة الأزهر ـ من تاريخه ومن أطوار هذا التاريخ التى مرت عليه ـ هى: العمل على فهم الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ثم نقل هذا الفهم إلى المستويات المختلفة بين المسلمين . وهذا الفهم ونقله معا للمستويات المختلفة هو: عبارة عن الملاءمة بين تعاليم الإسلام وبين الحياة التى يعيشها الإنسان المسلم فى أى جيل . على معنى ألا تكون هناك فجوة ـ فضلا عن أن تكون هناك ثغرة ـ بين الإسلام وبين حياة الإنسان المسلم . وبذلك يبقى إيمان المسلم بالإسلام فى مستوى بعيد عن التردد أو الاهتزاز .

وهذا الفهم للإسلام ولتعاليمه مع ملاءمته لحياة المسلم ، كلما بعد الزمن الذى يعيش فيه المسلمون عن عهد القرآن والسنة كلما اتسع نطاق مراجعة التراث الفكرى والثقافى الذى كان للمسلمين والذى كونه المسلمون ـ عربا وأعاجم على السواء ـ منذ أن ابتدأوا يتفقهون ومنذ أن ابتدأ تكون لهم ثقافة إسلامية .

وكذلك كلما تعددت جوانب حياة الإنسان المعاصر ـ عن طريق تقدم العلم ، وكثرة مشاكل الحضارة الحديثة ـ كلما اشتدت دواعى الفهم للإسلام ولتعاليمه ، وكلما برزت الحاجة إلى الملاءمة بين هذه التعاليم وبين الحياة التى يعيشها المسلم فى زمن العلم ومشاكل الحضارة .

وترتيبا على ما للمسلمين من ماض فى التراث الثقافى والفكرى يجب أن تتوفر الدراسة عليه ، وتحدد مناهج الباحثين والمفكرين المسلمين فيما مضى ، وتوزن نتائج بحوثهم وتفكيرهم فى ضوء الإسلام نفسه وفى نطاق الأحداث التى مرت بالمسلمين فى ماضيهم ، كما يجب أن يدخل فى الاعتبار ما للعلم الحديث من قوانين أو نتائج ، وما للحضارة الإنسانية من مشاكل .

وهنا يجب على الذى يحاول فهم الإسلام ويحاول تطبيقه فى الحياة أن يعيش فى الماضى والحاضر على السواء ، لا يقف عند الماضى ، ولا يتركه ليقيم فى الحاضر وحده .

* * *

٢ ـــ وماضى المسلمين فى التراث الثقافى

والفكرى كان متنوع الجوانب وكان مختلفا فى مستوياته : منه مذاهب الفقه فى المعاملات وفروض العبادات ، ومنه مدارس المتكلمين فى أصول العقيدة ، ومنه معرفة العلماء فى الرياضة ، واتجاهات المفكرين فى شرح الكون وعلله ، وفى تحليل الطبيعة وعناصرها ، ومنه المحاولات والتجارب الإنسانية لتحديد طبيعة الإنسان المادية والمعنوية ، ومنه تحديد منهج البحث والتفكير ... إلى غير ذلك من المعارف اللغوية والاتجاهات الأدبية التى كانت تبحث ، لخدمة فهم القرآن وشرح تعاليمه ككتاب أنزل بلسان عربى مبين.

أما حاضر المسلمين فهو ذلك الحاضر الذى يزهو فيه العلم على الدين بمنهج بحثه ونتائجه التجريبية ، وهو ذلك الحاضر أيضا الذى تتقدم فيه الآلة وتكاد تستعبد بتقدمها الإنسان فى منطقه وفى سلوكه معا ، وهو كذلك الحاضر الذى تتصارع فيه الاتجاهات التوجيهية وتتغالب فيه وسائل الإعلام المختلفة كى تميز اتجاها توجيهيا على اتجاه آخر ، أو كى تحاول الإقناع بمذهب معين أو بعقيدة معينة . ذلك كله فى حاضر المسلمين مضاف إلى قوى الاستعمار المختلفة فى الأسلوب والصورة ، وإن اتحدت فى الأهداف والغايات .

وماضى المسلمين وحاضرهم معا يدفع من يحاول أن يكون صاحب معرفة إسلامية من بين المسلمين المعاصرين إلى المزاوجة فى الدراسة وفى تحصيل المعرفة ، كما يدفعه إلى أن يقف موقف صاحب الحكم على ما مضى وعلى ما يجرى فى حاضره . لا يكون مقلدا لماضيه ولا تابعا ليومه أو غده . وإنما يكون صاحب ملكة وصاحب بصر : صاحب ملكة فى فهم الإسلام ، وصاحب بصر فيما يدفع إليه من نتائج وقوانين باسم العلم ، أو فيما يقع فيه من مشاكل باسم الحضارة والمدنية .

* * *

٣ — وإذا حددت رسالة الأزهر بفهم الإسلام ، وبملاءمته مع أحداث الحياة ومشاكلها ، وإذا ارتبط ذاك الفهم وهذه الملاءمة بما مضى من تراث ، وبما يجد من علم أو أحداث - فالنظام الجديد للأزهر الذى قام على أساس من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ إذ أعان الأزهر على تحقيق هذه الرسالة كان نظاما صالحا فى نفسه ، وكان الخير من ورائه فى اجتماع كل القوى على تنفيذه :

(ا) تناول النظام الجديد الوضع التعليمى فيما سماه من مراحل التعليم المختلفة من التعليم الابتدائى إلى التعليم الجامعى . وفى هذا الوضع التعليمى فى جميع المراحل زاوج بين الماضى والحاضر : حرص على المستوى الثقافى الذى يؤهل الطالب ليكون ذا صلة وثيقة بالإسلام

ومبادئه ، وذا إدراك لأساليب اللغة العربية فى فهم نصوص القرآن والسنة النبوية ، ونصوص كتب السابقين فيما دونوه عن تراثنا الفكرى الإسلامى . وبهذا عمل على إعداده ليكون رائدا فى فهم الإسلام ، وفى طريقة هذا الفهم .

كما حرص هذا النظام فى الوضع التعليمى فى جميع المراحل أيضا على أن يفتح الطالب عينيه على ما يجرى من أحداث أمامه فى حياته اليومية ، وما يواجهه من مشاكل فى هذه الحياة ، وما يلتقى به من توجيهات يدفعها الأثير ، وتدفع بها المطابع ودور النشر ، وما يطلع عليه من نتائج علمية ترصدها التجارب ، ومعامل الاختبارات .

لم يغفل هذا النظام الجديد القرآن وحفظه ، بل أكده فيما خطط من منهج . ولم يضعف من شأن العلوم الإسلامية بل خلصها مما يعوق الطالب عن فهمها ، كما زاد فى مادتها وموضوعاتها . ولم يهمل شأن علوم اللغة وآدابها وتاريخ المسلمين ومجتمعهم الإسلامى والعربى ، بل فى ذلك كله عنى بالتجلية والتوضيح والزيادة .

وأضاف فى منهاج الطالب علوم الرياضة والطبيعة ـ وهى علوم اليوم والغد ـ وجغرافية العالم البشرية والاقتصادية والتاريخية ومذاهبه الفلسفية ومناهجه فى البحث ، كى يصل بالطالب إلى أن يكون ذا صلة بالمجتمع الحاضر ، وذا صلة بمواطنيه وبجيرانه فى الوطن القريب أو البعيد . وبذلك يكون هذا الطالب ذا استطاعة خاصة لا لفهم الإسلام وحده ، وإنما كذلك للوقوف على الطريق الأقوم فى الريادة ، التى هى رسالته كطالب تخرج فى الأزهر .

فإذا أنشأ هذا القانون كليات عملية ، أو كليات علمية بجانب الكليات الإسلامية والعربية فإنه لا يكون ـ بناء على ما مضى ـ متجنيا على المستوى الثقافى والعربى ، أو محاولا الانتقاص منه . بل على العكس فى إنشائه لهذه الكليات ساعد على توسيع نطاق المستوى الإسلامى والعربى فى التعليم ، كما ساعد على توسيع نطاق الريادة لطالب الأزهرى . فكليات الطب والهندسة والزراعة ، وكلية المعاملات والإدارة ستقوم بتزويد طلابها بالمعرفة الإسلامية والعربية فوق ما تقدمه لهم من معرفة رياضية وطبيعية وطبية واقتصادية وتجارية .

والطالب بالأزهر الذى ستزيد سنو الدراسة بالنسبة له سنة فى المرحلة الإعدادية وسنتين فى المرحلة الثانوية سيكون طالبا فريدا فى الجمهورية العربية وفى البلاد الإسلامية . أو بعبارة أخرى سيكون الطالب الذى تقتضيه ظروف حياتنا هنا وحياة المسلمين فيما وراء وطننا العزيز . وربما بتميزه بذلك يصبح التعليم فى الأزهر تعليما نموذجيا يحتذى هنا وهناك .

ومن الخطأ أن يظن أن الطالب الأزهرى

سيتحمل عبئا زمنيا فى حياته الدراسية أكثر مما يتحمله الطالب الآخر فى نظام تعليمى آخر

فليس نظام التعليم فى العالم نظاما واحدا ، وليس نظام الإعداد ذى السنوات الثلاث والنظام الثانوى ذى السنوات الثلاث أيضا هو الأوحد أو الأمثل فى نظم التعليم المدرسية فى إدارة التربية والتعليم فى الأمم والشعوب المختلفة .

على أنه من جانب آخر كان التعليم فى الأزهر على أساس النظام الماضى قبل هذا القانون هو التعليم المتميز بزيادة السنوات الثلاث فى مرحلتين من مراحله عن نظام التعليم الجارى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ومع ذلك لم يقل أحد أن الطالب الأزهرى رغم ذلك يتحمل عبئا زمنيا أكثر مما يتحمله غيره .

ب — وتناول هذا النظام الجديد أيضا وضع اتصال الأزهر بالمسلمين فى مستوياتهم المختلفة ، ومعاونتهم على فهم الإسلام فى مبادئه ونظامه فى الحياة فأنشأ مجمع البحوث الإسلامية ، وحدد جهازه التنفيذى فيما سماه بإدارة الثقافة والبحوث . والمجمع فى تخطيطه فى ظل هذا النظام أكاديمية للبحوث الإسلامية تعكس صورة الأروقة التى تجمع المتفرغين للبحث لذات البحث ، ولخدمة المبادئ والمثل التى يمثلها الإسلام فى نظامه للفرد والجماعة ، وعلى جهازه التنفيذى أن يدفع بمستويات البحوث المختلفة التى تؤدى فيه إلى مستويات العقول والأفهام فى مختلف المجتمعات فى صورة طالب وافد يعد ، أو مبعوث أزهرى يرسل ، أو كتاب ينشر ، أو مجلة تطلع على الناس فى فترات معينة برأى الإسلام فى مشاكل المسلمين ومشاكل العالم .

* * *

٤ — وبهذا الوضع الجديد للأزهر فى النظام التعليمى ، وفى دائرة البحث يستطيع الأزهر أن يدفع إشعاعه فى قوة أكثر ، وأن يصل برسالته إلى أعماق المجتمعات الإسلامية والعربية على السواء ، كما يستطيع الطالب المتخرج فيه أن يكون أخا ورائداً لا خصما يخاصم الآخرين ويخاصمونه ، وينازعونه الرأى وينازعهم ، فوق أنه يصبح ذا صلاحية لأن يعيش فى الحياة عن غير الاحتراف برسالة الإسلام .

وذلك كان شأن المسلمين الأول أيام عزتهم وفهمهم للإسلام فهما صحيحا ، وبتطبيقه فى حياتهم اليومية : فلم يكونوا أصحاب حرفة بالدعوة ، وإنما كانوا أصحاب رسالة يؤدونها فى سبيله . ولم يكونوا ذا عزلة عن أفراد المجتمع الآخرين ، وإنما كانوا منهم وذوى ريادة لهم .

هذا هو هدف النظام الجديد للأزهر نرجو الخير العميم من ورائه ، وندعو للذين صنعوه ، ودفعوا به إلى الوجود بتسديد الخطى ، والثواب الكبير عند الله ؟

الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

اشتراكية الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

---

١ — العالم والنظام الطبقى :

لقد جعلت عنوان هذا البحث « اشتراكية الإسلام » لأنى أومن بأن للإسلام منهجا خاصا يمثل ما لا يمكن أن يرقى إليه الفكر الإنسانى من تصور اشتراكية عادلة منصفة ملائمة للطبيعة ، لاهى مصنوعة ولا موضوعة. فإنه إذا قام مجتمع ما على أساس إنكار طبائع الأشياء أو وجد فيه من أحكام التعامل والسلوك ما ينافرها ويغالبها ، فذلك هو المجتمع المصطنع الذى لا يلبث أن تأباه الطبيعة وتقاومه ، فلا يستطيع أن يثبت أمام مقاومتها .

ومن مزايا التشريع الإسلامى أنه يدرك هذا الأمر حق الإدراك ، وأنه يجرى على مقتضاه جريانا كليا ، لا يختلف أسلوبه فيه مهما تعددت الأحكام ، وليس ذلك بعجيب فهو تنزيل الحكيم الحميد ، الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

إن أول أساس من أسس هذه الاشتراكية الإسلامية هو المساواة بين الناس .

ولكى نعرف المدى الذى وصل إليه الإسلام فى شأن المساواة ، يحسن بنا أن نعرض الصورة التى كان عليها العالم قبل الإسلام بما هو ثابت فى تاريخ الأمم والشعوب قبل الإسلام : إن الناس كانوا منقسمين إلى طبقات ، كما كانوا يعتقدون أن الدماء الآدمية تختلف ، ويعتبرون أن الحقوق تبعا لذلك تتفاوت ، فلهذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك ، ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم .

وبهذا فترت الهمم ، وانحلت العزائم ، لأن الناس أصبحوا يدورون فى فلك ضيق ، فالطبقة المستعلية لا تشعر أنها فى حاجة إلى أن تسلك فى الحياة سبيلا قويما لأن أحداً منها لا يخاف أن يضيع مجده أو ينزل إلى مرتبة العامة ، والطبقات العامة لا تسمو نفوسهم إلى حياة أرفع لأنهم يائسون من ذلك فى ظل هذا المجتمع الطبقى ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثا يصل إلى الأبناء ، عن طريق الآباء ، كما صار الفقر والشقاء ميراثا لقوم آخرين .

هذا النظام الطبقى هو النظام الذى كان يعرفه

العالم ، ويرضخ له ، وكانت الشعوب تسير على مقتضاه مسخرة . ولا تعرف الأكثرية فى ظله حقا ، ولا تستطيع من طول ما أصابها من الذل أن تفكر فى التخلص منه .

وكانت هذه الطبقية تظهر آثارها متمثلة فى المناصب ومن تسند إليهم ، وفى الأرض ومن يمتلكها ، وفى العقوبات واختلافها بحسب مراكز المستحقين لها إلى غير ذلك .

وكذلك كان للعرب فى جاهليتهم على نحو من هذا النظام الطبقى : فيهم قبائل رفيعة ، وفيهم قبائل أقل شأنا ، فنرى الفرزدق الشاعر يفاخر بقبيلته جريرا فيقول :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ونرى غيره يوازن بين قبيلة (نمير) وقبيلتى (كعب وكلاب) فيقول :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبلغ من أمرهم أنهم كانوا يعتقدون أن دماء الأشراف تشفى من داء الكلب ، وفى ذلك يقول شاعر منهم .

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكمو تشفى من الكلب

هكذا كان شأن العالم قبل الإسلام ، يستوى فى ذلك العرب وغير العرب : عالم تسوده الطبقية وتفرق بين أفراده وقبائله وأجناسه هذا التفريق العجيب ، وبذلك انهدم ركن المساواة الذى هو أهم ركن من أركان المجتمعات المثالية .

فماذا فعل الإسلام بإزاء هذا النظام الطبقى الظالم الذى ساد العالم كله شرقيه وغربيه ؟ .

٢ — المساواة فى الإسلام :

بيّن الله تعالى للناس أنهم جميعا متساوون فى أمرين أساسيين :

أحدهما : أنهم مخلوقون لإله واحد هو الله ربهم الذى وهبهم الحياة وهيأهم لها ومنحهم جميع أسبابها ، وإذا فنسبتهم إليه جل جلاله واحدة لا تفاوت فيها بين أفرادهم وطبقاتهم فليس لأحد أن يزعم أن له امتيازا فى هذه الناحية على أحد ، ومن ثم لا يوجد فى الإسلام كهنوت ، وليس رجال الدين فيه إلا كغيرهم فالكل مربوبون لله وليس بينه وبين عباده أية واسطة فهو أقرب إلى كل منهم من حبل الوريد ويمكن لكل إنسان أن يدعوه دون توسيط أحد فى هذا الدعاء فيسمع دعاءه ويستجيب له « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » . « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

الأمر الآخر : أنهم جميعا ناشئون من أصل واحد . « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » .

(كلكم لآدم وآدم من تراب) بهذين الأصلين استقر فى الناس أن إنسانيتهم واحدة وربهم واحد فلا يمكن أن يمتاز فرد من أفرادهم أو طبقة من طبقاتهم أو جنس من أجناسهم أو لون من ألوانهم أو سكان إقليم من أقاليمهم أو سلالة شعب من شعوبهم امتيازا مرجعه إلى الدين أو السلالة والدم.

والقرآن الكريم يقرر مبدأ الكرامة الإنسانية ويجعلها حقا من حقوق بنى آدم التى فاض بها الجود الإلهى عليه كما فاض بتقويمهم فى الخلق وتمييزهم بالعقل وتسخير كل شىء فى السموات والأرض لهم. يقول الله تعالى: «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»، فهذا تكريم شامل مستغرق لجميع هذا النوع من الخلق، ولذلك اتخذ لهم فيه أعم عنوان، وهو كونهم (بنى آدم) فلا تمييز فيه بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين آرى وسامى، ولا بين شرقى وغربى، ولا بين ذكر وأنثى، ولا بين قوى وضعيف، ولا بين غنى وفقير.

هذا هو مبدأ الكرامة الإنسانية تقرره الجملة الأولى فى هذه الآية واضحا حاسما، أما الجمل الثلاث بعدها فتذكر المظاهر الرئيسية لهذا التكريم الإلهى، فقوله تعالى: «وحملناهم فى البر والبحر»، تصوير لمظهر العلو وأن الإنسان مخدوم محمول حيثما حل: سخر الله له فى البر مايحمله وسخر له فى البحر مايحمله.

وقوله تعالى: «ورزقناهم من الطيبات» تصوير للمستوى الرفيع الذى عليه الإنسان فى مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه وهو ما يمتاز به على ما سواه من الأجناس الحية.

وقوله تعالى «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»، إجمال للمزايا الإنسانية والمواهب التى فطر الله عليها هذا النوع، مواهب العقل والقدرة على متابعة التفكير وإدراك الروابط الحسية والمعنوية والاستعداد للانتفاع بما فى هذا الكون، وغير ذلك من ملكات انفرد بها أو امتاز فيها فكان من أجل هذا مفضلا على غيره من أصناف المخلوقات الحية، هذه هى الأسس الثلاثة العظمى التى أقام الإسلام عليها صرح المساواة.

الناس جميعا متساوون أمام الخالق — الناس جميعا ناشئون من أصل واحد — الناس جميعا مشتركون بالكرامة الإنسانية ومظاهرها التى فاض عليهم بها الجود الإلهى.

ولكن هل تركت هذه الاشتراكية فى المساواة دون أن يرد عليها أى قيد وبعبارة أخرى هل تقتضى المساواة أن يترك الناس أحراراً ولو انتهت بهم حريتهم إلى لون أو ألوان من الفوضى؟.

٣ — اشتراكية العلم والمعرفة :

إن عقيدة الإسلام وجميع معارفه النظرية والعملية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهى من أجل ذلك كلأ مباح لكل ذى عقل مفكر ، فليس هناك سر مقصور على رجال يعرفون بأنهم رجال الدين ، بل ليس هناك رجال بهذا الاسم ، فكل عالم بصير منصف هو رجل دين كما هو رجل دنيا ، ورجل علم.

ومن هنا نستطيع أن نقول : ليس فى علم الإسلام كدين أى احتكار ، أو أية طبقية أو إقطاعية ، إذا صحت هذه التعابير .

بل إن الإسلام على العكس من ذلك يوجب على كل رجل أن يعلم ، وعلى كل امرأة أن تعلم وينكر التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ويرفع أولى العلم إلى أسمى مكانة حين يجمع بينهم وبين الله وملائكته فى الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو قائما بالقسط ، أى أنهم عدول فى أعظم قضية ، وأكبر شهادة . يقول جل شأنه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، ويقول « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

ويصل الأمر بالإسلام فى تكريم العلم ، والإقرار بشأن البرهان العقلى إلى أن يقول القرآن الكريم : « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه » فمن المعلوم أنه لا برهان أبدا على شريك مع الله ، وأن واقع الأمر هو الوحدانية . ولكن القرآن مع ذلك يفرض المحال - تعظيما لشأن البرهان وإقرارا بسلطان العقل - ويقرر أن الأمر حتى فى هذا أمر برهان وحجة : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، « قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » إلى هذا الحد يحكم الدليل وما يؤثر من علم وحجة وما ذلك إلا تعظيما لشأن العقل والعلم .

والقرآن الكريم يقرر أن الله لا يرضى باحتكار العلم وكتمانه وأنه سبحانه قد أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، كما يقرر لعنة الله والناس على كاتمى العلم إلا أن يتوبوا ويبينوا فيقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

والفقه الإسلامى يقرر أحكاما كثيرة على أساس أن العلم حق لكل إنسان لا يجوز صده عنه :

فالابن له أن يخرج لطلب العلم المفروض ولو بدون إذن والديه ، وللزوجة هذا الحق ولو بدون إذن زوجها إذا أبى أن يعلمها ما افترض الشارع عليها من علم .

ونفقة طالب العلم واجبة على أبيه الموسر ولو كان الطالب قادراً على الكسب .

وكتب العلم لأصحابها من طلاب وعلماء هى من الحوائج الضرورية كالدار والطعام واللباس فلا تدخل قيمتها فى نصاب الزكاة .

ولا يلزم أصحابها أن يبيعوها لأداء فريضة الحج وإذا أفلس مدين بيع عليه كل شىء إلا كتب العلم للعالم أو الطالب فلا تباع عليه .

والسر فى ذلك كله أمران : أحدهما أن الإسلام واثق من حقائقه وقضاياه ، فهو يعرضها على العقول مطمئنا إلى أنها ستؤيدها .

والأمر الثانى : أنه يدرك تمام الإدراك أن عظمة الإنسان ، بالقياس إلى غيره - حتى الملائكة - إنما ترجع إلى علمه واستعداده لمتابعة التفكير ، واستنباط المجهول من المعلوم .

هذا قليل من كثير فى بيان (اشتراكية العلم) فى الإسلام ، وحسبنا أن الله تعالى علم نبيه وصفوة خلقه أن يدعوه بقوله : « وقل رب زدنى علما » وأنه يقول لخلقه من لدن خلقهم إلى أن تقوم الساعة « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وسبحان ربنا الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم .

٤ — الحرية :

إن المساواة والكرامة يتولد منهما أعز شىء فى هذا الوجود ، وهو « الحرية » ، ذلك بأن الاستعباد إنما يكون حيث يعترف بفارق بين سيد ومسود ، فى الأصل والمنشأ ، أو فى الصلة بالرب الذى خلق وأنعم ، أو فى الكرامة والاعتزاز بالنفس .

ولذلك كان الإسلام منطقيا حين قرر الحرية ، بعد أن قرر المساواة والكرامة الإنسانية .

فالإنسان حر منذ ولدته أمه ، وفى ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) والإنسان حر فى عقيدته « لا إكراه فى الدين » . حر فى إبداء رأيه « وأمرهم شورى بينهم » حر فى تأييد الخير والصلاح وإنكار الشر والفساد « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » حر فى اختيار الأسلوب الذى يريده فى العمل « قل كل يعمل على شاكلته » إلى غير ذلك من مظاهر الحرية التى كفلها الإسلام للناس .

ولكن هذه الحرية إنما هى الحرية التى تعطى لصاحب الشخصية المسئولة ، وليست هى حرية الفوضى من التكاليف المتحللة والضوابط .

يقول القرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفي هذا الختام يتجلى المعنى الذي يريد به الإسلام أن يوجه الحرية إلى العمل الصالح والسلوك القويم ، وذلك يقتضي أموراً أساسية.

منها أن يستمتع الفرد بحريته إلى الحد الذي لا يخرج به من إنسانيته ، إلى الحيوانية المندفعة في مراتع الشهوات ، أو مزالق الغضب والانتقام ، وفي هذا ضمان دون الانفلات باسم الحرية ، إلى ما يعرف بالوجودية ، تلك التي تريد أن تجعل من الإنسان ، بهيما لا صلة له بالمعاني الروحية .

ومنها أن يلتزم الإنسان في حريته عدم التعدي على حقوق الآخرين في حريتهم وإلا كان بانيا نفسه على أنقاض غيره ، وقد عني الإسلام بتهذيب النفوس من هذا الخلق حيث اعتبر من دعائم الإيمان ، أن يحب المرء لأخيه مايحب لنفسه ، وأن يكره له مايكره لها ، وبذلك أعطى كل إنسان ميزانا خاصا يعدل به حريته بالنسبة لغيره .

ومنها أن يعرف الإنسان أن مبدأ المساواة والكرامة مجال يتحقق فيه تكافؤ الفرص أمام العاملين ، وبذلك يسعى إلى اكتساب الميزات ودرجات الفضل ، ويؤمن بالقيم ويستهدف المثل .

ومنها أن يعرف الإنسان أن هناك رقيبا عليه ، يعلم سره ونجواه ، ويتقاضاه حقوق التقوى ، وحقوق الأرحام التي بين بني الإنسان ، ولذلك يختم القرآن الكريم بعض آيات المساواة بقوله « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

والناحية التوجيهية في هذا الختام ذات شعبتين :

إحداهما راجعة إلى العقل ، وهي الأمر بتقوى الله ، الذي خلقهم ورباهم بنعمته ، والذي له بحكم الفطرة في نفوس خلقه كل مهابة وإجلال .

والشعبة الأخرى راجعة إلى العاطفة ، فإن الإنسان إذا عرف أن بينه وبين إخوانه في الإنسانية أرحاما ، تتحرك عاطفته ، فتكون الرحمة ، ويكون الحنان ، ويكون التعاون .

والأرحام دائرة مقسمة :

فالزملاء في علم بينهم رحم من هذه الزمالة يجب أن ترعى ، والزملاء في زراعة كذلك ، وفي تجارة كذلك ، وفي وطن كذلك ، وفي جوار كذلك ، وهكذا تتعدد الأرحام بتعدد الصلات والزمالات ، فتكون منها روابط عاطفية من شأنها أن تيسر أمر المجتمع ، وتعينه على أن يشق طريقه في الحياة ، قويا عادلا متعاونا متراحما .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

المطامع مثار الفرقة بين الناس

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ ـ «قل الأنفال لله والرسول . ٢ ـ فاتقوا الله
٣ ـ وأصلحوا ذات بينكم . ٤ ـ وأطيعوا الله
ورسوله إن كنتم مؤمنين» .

تكاد لا تجد ثغرة من خلاف ، ولا تصدعا بين قوم : إلا وجدت المطامع ، والتزاحم على إشباع الرغبة سببا أول فى المشادة ، والالتواء ، والتدابر والقطيعة ... وهؤلاء : هم أصحاب الرسول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وطليعة المجاهدين معه ممن آثروا التضحية بالروح فى سبيل العقيدة والوطن ، لم يتجردوا من التعلق بالمال ، ولم يتحرروا أول أمرهم من النزوع إلى النفعية ، والجنوح إلى حطام الدنيا إلا بعد أن صقلهم الإسلام ، وتعاهدهم الرسول بالتهذيب حتى تبدلت فيهم النزعة ، وأصبح لبعضهم عزوف عن متع الحياة المشروعة ، وخيل إليهم أن التفرغ من الدنيا لأجل العبادة هو الدين كله .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم ـ يعلمهم أن الإسلام دين ودنيا ، وأن للطبيعة البشرية حظها من الزاد ، والتبسط ، والنوم والراحة ، كما أن للروح نصيبها الحتمى من التزود بالعلم ، والتدين ، وتوثيق الصلة بالله والتعلق بمتاع الآخرة .

وبين الدين والدنيا وسط منشود والوسط هو طابع الإسلام ، ومنهجه الصحيح وانظر ـ معى ـ فى موقف المسلمين الأولين من تطلعهم إلى عرض الدنيا : فأهل بدر وهم أهل السبق إلى ساحات الجهاد ، وأصحاب الحظ الأوفر من رضوان الله : حينما فرغوا من جهاد عدوهم ، وأطاحوا بكثرة من جيش الكافرين تطلعوا إلى الغنيمة التى وقعت فى أيديهم من أموال العدو المهزوم .

وبدأ الشيوخ والشبان ممن كانوا فى مواجهة الكافرين بالملحمة ، أو كانوا فى الحراسة ، يتفاضلون فى استحقاق الغنيمة ، ويختلفون على قسمتها : مساواة . أو تمييزا ! !

ولولا دين يحكمهم ، واطمئنان إلى هدى

الرسول فيهم لكان للأنانيـــة ، وغلبة المطامع شأنهما فى تفرق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم الجـــديدة التى يتعاهدها الرسـول بالتكوين والتقوية .

ولكن رجعتهم إلى الرسول فى بيان تقسيم الغنيمة جنبتهم تصدع وحدتهم ، من فتنة المـال وهم جماعة حديثو عهد بالإسلام لم تتأصل فيهم زهادة المتدين المتعفف المحب لغيره ما يحب لنفسه ، تداركهم الله ، فأوحى إلى رسوله « يسألونك عن الأنفال ، « قل : الأنفال لله والرسول » .

يعنى تقسيم الأنفال ـ وهى الغنائم ـ موكول إلى حكم الله الذى يبلغه الرسول إلى الناس ، وليس منوطا برأيهم ، ولا متروكا لتقديراتهم حتى لا يختلفوا فى استحقاق ، ولا فى مقدار عطاء .

عندئذ خشعت أصوات الجدل ، واطمأنت نفوس الجميع ، مع أن هذا أول موقف يغنم المسلمون فيه مالا فى حرب عدوهم ، ومع أن نزعتهم إلى المـال كانت نزعة مشبوبة متحكمة ، ولكنها كلمة الله نزلت بين قوم عاهدوا الله ، وأوفوا بعهده على الطاعة والسمع .

غير أن القرآن فى هذا المقام أرجأ تفصيل الحكم فى استحقاق الغنيمة ، وبيان سهامها ، وسارع بالدخول فى أمور جوهرية ذات شأن فى حياة الجماعة ـ تلك الأمور : ثلاثة :

(١) اتقوا الله .

(٢) وأصلحوا ذات بينكم .

(٣) وأطيعوا الله ورسوله .

فتقوى الله بتجنب ما يغضبه ، وعمـــل ما يرضيه ، وحينما يعمر القلب بالتقوى يكون تعلقه بأعراض الحياة معتدلا ، ولا تجرفه فتنة المال ، ولا شىء سواه من زخرف الدنيا ويكون دائما على نور من ربه فلا يستهويه شيطان ، ولا يدافع الناس عن خير مشترك .

(٢) والأمر الثانى ـ إصلاح ذات البين ـ إصلاح العلاقة التى تربط بين الناس ، وصيانتها من شوائب الخلف ، والتلطف مع الغير لتظل الأنفس قريبة إلى بعضها ، فلا تتسع بينهم فجوة الغضب ولا يزداد الأمر سوءا بالتقاطع فإن دين الله يدعو الناس إلى الجماعة ، ويعلمهم الرسول أن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار .

وكم علمتنا الحياة أن الشقاق لا يعود بخير أبدا ، إن لم يجلب الشر حتما .

فتوجيه القرآن إلى إصلاح ما بيننا ، وتوثيق الإخاء فينا توجيه إلى ما تقتضيه الحيـاة التى ننشدها لأنفسنا إن كنا بأنفسنا رحماء .

(٣) الأمر الثالث ـ إطاعة الله ورسوله فى ناحية الأموال والروابط وسـواهما من كل ما نعرف عن الدين . والاستئناس بهدى الدين ينير لنا سبيل السعى فى دنيانا ، فنسير فى حياتنا آمنين الانحراف ، والعثرات التى يتردى فيها من يتخبط فى ظلمات الضلال وراء شهواته وشيطانه .

هذه الدعائم الثلاث ـ التقوى والإصلاح ـ

وملازمة الطاعة هى المبادئ الجامعة لعناصر الدعوة الإسلامية كلها ، وهى المسالك التى تتمثل فيها الإنسانية بالنسبة لموقف العبد من ربه وحسن سيره فى مناكب الحياة مع الناس.

وقديما درج عليها أسلافنا ، ودرج عليها صالحو المؤمنين ، فكانوا خير مثل يحتذى ، وكانت محامدهم أنشودة التاريخ .

وعجيب : أن تكون هذه المبادئ هينة فى ذاتها ، وأن تكون من وحى الواقع الذى نلمسه ، ثم نرى أنفسنا فى صدود عنها كأنها ظنون مشكوكة ، أو فكرة مرجوحة ، وهى لا تكون واهنة كذلك إلا عند من لا يفطن إلى ما يلامسه ، وعند من يستقبل دعوة الدين بغير ثقة ، ولا اطمئنان .

وكان من تنبيه القرآن على خطر الأمر فى ذلك التوجيه أن يختم الله نصحه هذا بقوله: « إن كنتم مؤمنين » .

يعنى : هذا نصح واجب الاتباع ، إن كان إيمانكم صادقا ، فإن أثر الإيمان الحق هو السمع والطاعة . . وإلا كان إيمانا واهنا غير وثيق .

ثم انظر : موقف من المواقف بين المسلمين يغريهم حب المال فيه بالتسابق فى الاستحقاق يكون خطراً على مجتمعهم إلى أمد بعيد ، حتى إن القرآن ينزل بتفصيل البيان فى شأن الغنيمة التى كانت سببا ، ويبادر إلى تثقيفهم بما هو ألزم لهم ، وأضمن لاستقامة الأمر فيهم وهو الخيط الذى ينتظم فيه عقدهم .

ثم يعود القرآن فى مقام آخر ويبين لهم تفصيلا تقسيم الغنائم « واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول » الآية .

وحينما خوطب النبى وأصحابه فى هذا الشأن كان ملحوظا بالضرورة أنه خطاب لجميع المسلمين على اختلاف أزمنتهم ، وجنسياتهم .

ولئن كان إيمان الصحابة يومذاك إيمانا حقا - ولا ريب - فمقام التعليم يتناول حاضرى المسلمين ، وغائبيهم ، واقتضى ذلك تذكير الناس بالحث ، والاستنهاض بقوله سبحانه : « إن كنتم مؤمنين » .

وليس فى هذا الشرط تشكيك فيهم ، ولا ريبة فى إيمانهم ، وإنما القصد أن الإيمان الحق يستلزم الرجوع إلى حكم الله ، والأخذ بدينه ، والحفاظ على سلامة الجماعة من التفرق ، ولن يستطيع أحد أن يرتاب فى حقية تعاليم القرآن ، ولكنها مطامع الدنيا تغلبهم ، وتفرق بين جماعتهم

وقديما كان الطمع مشأمة على أبيهم آدم وزوجه ، حينما بوأهما الله الجنة يعيشان فى نعيمها ، ويهنئان فى ظلالها ، آمنين من مذلة الحاجة ، وشقوة الحياة الدنيا ، واثقين من كفالة الله لهما ألا يمسهما سوء ما داما على عهد الله : « يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة ... إن لك ألا تجوع فيها ، ولا تعرى،

وأنك لا تظمأ فيها ، ولا تضحى ... » وليس بعد ذلك من عهد أكيد يعطيه الله على نفسه - سبحانه - لآدم وزوجه ألا ينقصهما تعالى من طعام وشراب ، وكساء وراحة من المجهود ، والتعرض للشمس فى سبيل الكد كما هو شأن الكادحين فى العيش « كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

لم يكلف الله آدم ولا زوجه بشىء غير تحذير من الأكل من شجرة خاصة لا يريد الله أن يأكلا منها ، ولكن نزعة الطمع ، والرغبة فى المزيد إلى غير حد لم تدع للقناعة أثرا عند آدم ، وما كفاه أن تتسع له ولزوجه جنة فسيحة حافلة بخير لا يحصيه غير خالقه القادر ، الكريم البديع الصنع .

ومن هذه الثغرة النفسية - ثغرة الطمع - استطاع إبليس أن يفتن آدم وزوجه ، ونصحهما أن يأكلا من هذه الشجرة ليضمنا الخلود فى هذا النعيم الفضفاض وأقسم إبليس كاذبا على صدقه فى نصحه ، فخدعهما حتى نسيا عهـد الله عليهما ألا يأكلا من هذه الشجرة ، ونسى آدم كذلك أن هذا الشيطان عدوهما الذى حذرهما الله من كيده ، وأنه هو الشيطان الذى تمرد على أمر الله بتعظيم آدم ، وطرده الله من رحمته ، وسجل عليه لعنته إلى يوم القيامة بسبب احتقاره لآدم .

نسى آدم كل هـذا ، واندفع طامعا إلى الأكل من الشجرة فكانت حرمانا له من كل ما يغمره من خير ومتاع ، وراحة وأمان ، ونزلا مع الشيطان إلى الأرض يلاقيان فيها ما قدر عليهما ولهما ، فى الأرض استقرار بين عداوات ، وبين شقاء ، أو متاع إلى حين .

ذلك هو الطمع الذى يساورنا دائما ، والذى يجعل الكثير قليلا فى أعيننا ، وينسينا ما وراءه من شغب ، ومن أكدار ، وخصومات ، ونغص فى هذه الدنيا .

ومن هذا الحديث يتضح لنا الوجه فى عناية الله بتركيز الروح الدينى فى نفوس المسلمين ، ليتخذوا من دينهم مقاومة للأنانية بينهم ، وليحاولوا أن يجتمعوا دائما على السمع والطاعة فى ظل النظام الإسلامى الكفيل ببقائهم كالبنيان المرصوص .

وبهذا البيان من جانب الله يعرف المسلمون لو تجمعوا أن يكونوا أمة مريرة الطعم فى أفواه خصومها ، وأن لا يكونوا طعاما مستساغا تتداعى عليه الأكلة من وحوش الإنسانية .

أو لا يظل المسلمون مخادعين لأنفسهم بحسن الظن فيمن علمنا الله أنهم لا يريدون بنا إلا خبالا ، وذلة ، وضياعا « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم - أصدقاء من أعـدائكم - لا يألونكم خبالا - لا يترددون فى الإضرار بكم » .

والهداية من الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

دراسة تاريخ العلم وبخاصة عند المسلمين واجب الكليّات العلمية بجامعة الأزهر

للأستاذ فتحى عثمان

فى نهاية عام ١٩٤١ م ، كتب علامة العرب المعاصر الدكتور على مصطفى مشرفة - تغمده الله برحمته - يقدم كتاب الأستاذ قدرى حافظ طوقان « تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك » فقال : « فى يونية من عام ١٩٣٥ م كتبت فى جريدة (الجهاد) تحت عنوان (ثقافتنا العلمية) ، فذكرت أننا فى مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ، ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى تاريخنا ، ولا تتصل بتربيتنا . وقلت : إن شجرة المعرفة يجب أن تطعّم على أسس من ماضينا فتتصل اتصالا طبيعيا بمنابع ثقافتنا ، ودعوت إلى نشر المؤلفات العربية المخزونة فى بطون المكاتب وبين جدران المعاهد الأثرية ، وإلى إحياء ذكرى علماء العرب بين ظهرانينا ، فعندئذ يمكن وضع ثقافتنا العلمية على أسس متينة ، وعندئذ يمكن أن تتطوّر هذه الثقافة تطوراً طبيعيا من شأنه أن يعيد إليها مجدها وقوتها ومهابتها ... » .

إن هذا الكلام النفيس من العلامة الكبير يجب أن يكون دستور نهضتنا العلمية .

ولو عقله الناس لما استغربوا فى شىء أن يتطور الأزهر فيضم كليات الزراعة والهندسة والطب ، لأنهم يعلمون أن الأزهر يعــود إلى ماضيه الزاهر يوم كان منار العلم بكل فروعه وألوانه .

ولو عقل الناس كلام علامتنا الكبير لما استغربوا كيف يجمع الأزهر فى كلياته التجريبية الجديدة بين العلم التجريبى والدراسة الإسلامية ، لأن عصرنا قد عرف الحاجة إلى (الثقافة) بجانب الحاجة إلى (العلم) ، ولأن عصرنا قد بات يشكو متاعب التخصص المحدود . ولأن عصرنا يشاهد تطعيم العلم (بالإيديولوجيات) المذهبية فى جامعات الشرق والغرب على السواء .

وأذكر أن قراراً قد اتخذ بشأن تدريس (تاريخ العلم عند العرب) فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، وهو قرار يجد مجالا طيبا لتنفيذه فى جامعة الأزهر العتيدة ، بحكم تاريخها العريق .

ونحن نجد فى القرآن فاتحة مباركة لتاريخ العلم عند المسلمين . . .

لقد فتح القرآن العيون على الكون العظيم ، فكانت عقيدته هى (العلم بالكون) ، وعبادته هى (العمل فى الكون) . تقرأ فى سورة واحدة من القرآن - سورة فاطر - هذه الآيات :

« والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا ، فسقناه إلى بلد ميت ، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » .

« والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم أزواجا ، وما تحمل من أنثى ولا تضع

إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير » . وما يستوى البحران . هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملحٌ أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحُمرٌ مختلفٌ ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وهكذا كان الإسلام إعلانا لنضوج العقل البشرى ، ودعوة لالتماس الدليل فى الكون الفسيح ، بالمنهج الرشيد ...

لقد أورد القرآن ملامح قصة الكون ... ومضات مشرقة تثير الرغبة فى البحث والكشف عن المستور ، لكنها لا تعج بالتفاصيل التى تزحم العقل وتسد عليه السبيل. ومن هنا كان أسلوب القرآن فى قصة الكون غير أسلوب التوراة مثلا فى سفر التكوين » كان أسلوب القرآن مسايرا خطته فى فتح الأبصار والبصائر على الكون ، وترك المجال فسيحا للعقل البشرى ، إذ الناس أعلم بأمور دنياهم . وقد بحث الكثيرون فى إعجاز القرآن فيما أتى به من حقائق علمية ... وأسرف كثيرون فى اعتساف التأويل حقا ، ولكن هناك قدراً أساسيا من الحقيقة تنطق به آيات القرآن نفسه ، ولا تحتاج إلا إلى الإشارة اللماحة والعرض الواعى من راسخ فى العلم .

يقول الأستاذ محمد محمود إبراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة فى الجزء الثانى من كتاب « إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض » .

« ... نرجع بتاريخ الأرض وقت أن انفصلت عن الشمس، وكانت على هيئة سديم ودخان ملتهب فى سماء ملكوته ، فأوحى بالانفصال « ثم استوى إلى السماء وهى دخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » . « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شىء حى » . انفصل من الشمس الأولى الكواكب ومنها الأرض. « أأنتم أشد خلقا أم السماء؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » — أى بردت الأرض من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان ، وقد كانت وهى فى حالة السيولة تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فأصبحت بيضاوية الشكل كما فى قوله تعالى

« والأرض بعد ذلك دحاها » ... وإن تلك الأجرام السماوية وهى ملتهبة عند انفصالها لا تشعر بليل أو بنهار رغم أنها تدور حول محورها أمام الشمس ، فهى نفسها مضيئة ، ولكنها إذا بردت تتجلى حكمة الخالق فى قوله « وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » — أى أصبحت تشعر بالليل وبالنهار وهى تدور حول محورها أمام الشمس . ولما وصل قوامها إلى السيولة أصبحت تشبه الدحية أو البيضة ، ثم فقـدت حرارتها تباعا حتى أصبحت ملائمة لاستقبال الماء . فالترتيب وحده الوارد فى الآيات الكريمة له دلالته .. بل إذا نظرنا بعين العرفان نجـــد أن الآية الكريمة « أخرج منها ماءها ومرعاها » أى أن الماء أخرج منها لما بردت وأصبح لها قشرة صلبة ، وكون الماء منها نتيجة لازمة للتفاعلات الكيمائية التى حدثت أثناء تصلب القشرة الأرضية ، وهذا ما يحدث فى تكوين الكتل النارية التى تعطى الصخور النارية . والمياه النارية المتخلفة من الصخور النارية ، أوجدت الثروة المعدنية القاطعة للصخور ... وفى البداية كانت المياه على هيئة أبخرة عالقة فى جو الأرض أو غلاف مـلازم لها حتى بردت القشرة ، وسمحت لأبخرة الماء أن تتكاثف وتسقط من السماء على الأرض ، فالماء منها وإليها . « وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه فى الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون » ... يفسر الغلاف الجوى على الكواكب : فمنها ما فقد الماء ، ومنها مالا يزال الماء فيه بخارا لم ينزل على سطحه حتى الآن ، وفيها ما ضاع منه جزء من الماء ، وفيها ما احتفظ بالماء جميعه ... وقد فقد كوكب المريخ الكثير من بخار الماء » .

وبهذا التوجيه العلمى للحواس والعقول ، وجـد المسلمون أنفسهم أمام دعوة ربانية للعلم ، ولم يجدوا أنفسهم أمام طائفة متناهية من المعلومات تعطى إليهم كحقائق نهائية كاملة لا سبيل إلى العـلم بغيرها . ومن هنـا أقبل المسلمون على البحث التجريبى ، وأدركوا أن العلوم لا تتقدم بمجرد النظر والتخمين بل لا بد من امتحان الطبيعة بالتجارب العملية ، وابتكروا آلات للرصد الفلكى والتجربة المعملية . وحسبنا شهادة الفيلسوف الرياضى العظيم برتراندرسل فى كتابه (النظرة العلمية) « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق — وبخاصة فى الكيمياء ... وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل فى أن بعض المسيحيين مثل روجر بيكون قد حصّلوا كل المعارف العلمية التى تهيئت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

ومن هنا كانت مدائن المسلمين منارات للعلم فى كل مكان ، يقول لين-بول : « كانت عقول أهل قرطبة كقصورها فى الحسن والروعة فإن

علماءها وأساتذتها جعلوا منها مركزاً للثقافة الأوربية. فكان الطلبة يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا ليتلقوا العلم عن جهابذتها الأعلام. وكان يدرّس بقرطبة كل فرع للعلوم البحتة، ونال الطب بكشف طباء الأندلس وجراحيها من النمو والازدهار نصيبا أعظم مما ناله من قبلهم منذ أيام جالينوس وكان أبو الطيب خلف جراحا ذائع الصيت فى القرن الحادى عشر (الميلادى)، وبعض عملياته الجراحيـــة يطابق اليوم العمليات الحديثة. وجاء ابن زهر بعده بقليل فكشف عن أساليب كثيرة فى العلاج والجراحة، أما ابن البيطار العالم النباتى فإنه سافر إلى كل بقاع الشرق للبحث عن العقاقير الطبية، وألف فى ذلك كتابا جامعا. ويقول هرنشو: «لقد انتقل أثر هذه الثقافة العربية إلى أوربا النصرانية من طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا، فكان من العوامل القوية فى انتهاء العصور الوسطى وانبثاق فجر العصور الحديثة».

وقد ضمت المكتبة الإسلامية مراجع متخصصة فى تاريخ العلم، منها المراجع (الببليوجرافية) التى تسجل أسماء الكتب: مثل الفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، والمراجع التى تتعرض للعلوم: مثل مدينة العلوم وأبجد العلوم وكشاف اصطلاحات الفنون ومفتاح السعادة. ومن مراجع تاريخ العلم عند المسلمين المراجع (البيوجرافية) أى كتب التراجم: مثل أخبار الحكماء للقفطى وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وطبقات صاعد الأندلسى وما إلى ذلك. أما الكتابات الحديثة فى هذا الباب فقد برز فيها سارتون على وجه الخصوص. وهناك كتابات عربية لقدرى طوقان (الرياضيات والفلك) ومصطفى نظيف (الطبيعيات) والخالدى (الكيمياء) وعبد العزيز إسماعيل وكثير من الأطباء (الطب) وقنواتى (الصيدلة) وقد عرض كاتب هذه السطور لمن عالجوا موضوع (الجغرافيا) عند المسلمين فى تقديمه المسهب لكتاب الأستاذ نفيس أحمد «جهود المسلمين فى الجغرافيا» الذى ترجمه الكاتب إلى العربية ونشرته وزارة التربية والتعليم ضمن سلسلة الألف كتاب.

إن فى تطوير الأزهر تصحيحا لمفهوم الإسلام نفسه....

إنه رجوع بالأزهر إلى مجده كجامعة، ورجوع بالإسلام والعلم الإسلامى إلى معناه الشامل وأفقه الواسع. إنه رجوع إلى الحق.... وهو النور المبين.

فتحى عثمان

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ٣ —

ملاحظات ومآخذ :

مع ما نعرف ونشهد به من سعة العلم ، وغزارة المعرفة عند على مبارك . وما نجده من أثر هذه السعة فى كتبه . وخاصة « الخطط التوفيقية » و « علم الدين » فنحن نقع له على مآخذ أو أخطاء يعجب الإنسان لوقوعه فيها .

وليس من اليسير ، ولا من المستساغ ، أن نصف هذه المآخذ بأنها أخطاء . وأن نجهل أو نخطىء من كان فى منزلة على مبارك ومكانته من العلم والمعرفة والدرس . لذلك آثرت أن أسميها « ملاحظات على على مبارك » . وهى ملاحظات يسيرة هينة ، إذا ذكر بجانبها ذلك الفيض الغزير من العلم الصادق والمعارف الحقة المفيدة . والمباحث التاريخية الغزيرة الهامة التى جمعها بين دفتى كتابيه هذين .

وقد أشرنا فى المقال السابق ، لما ذكره بعض مؤرخيه من أنه كان يطلب إلى بعض أصدقائه من القادرين أن يجمعوا له ، أو يعينوه ، على جمع شىء من المواد التى ضمنها كتبه وإلى تلك الإشارات فى كتبه ، التى تدل على صحة ذلك ، أو ترجيحه على الأقل ، فلعل هذه المآخذ أو بعضها مما وقع فيه هؤلاء المعاونون ، ضمها على مبارك لما كتب أو جمع ، من غير مراجعة ولا تمحيص .

من هذه المآخذ أنه يقول عن الفيلسوف العظيم المشهور ، ابن رشد ، أنه من الموصل[1] والذى نعرفه ويعرفه المؤرخون جميعا ، أن ابن رشد ، وأباه ، وجده ، كانوا فى الأندلس . وأن فيلسوفنا الذى يقصده ، ولد فى قرطبة . وتولى قضاءها ، مثل جده ، وقضاء أشبيلية . وأنه عاش فى الأندلس . ثم زار المغرب وأقام فيه بعضا من الزمن . ولقى ، فى مراكش ، سلطانها الفيلسوف أبا يعقوب الموحدى . فهو إذن لم يولد بالموصل ، ولم يعش فيه ، ولم يزره ، ولم يعرفه ولم يعرف غير الأندلس ، وطنه ، ومراكش التى زارها ، كما قلنا ومات فيها .

---

[١] ص ٣٣٥ من كتاب علم الدين . الجزء الأول . ونص عبارته هو : وكان فى القرن الثالث عشر من الميلاد بالموصل العالم الكبير ، والعلامة الشهير ابن رشد شارح مؤلفات أرسطو .

على أن على مبارك يجعل ابن رشد أيضا من رجال القرن الثالث عشر الميلادى . وهو لم يكن من رجاله ، بل من رجال القرن الثانى عشر . فقد ولد فى سنة ١١٢٦ ومات فى سنة ١١٩٨ قبل أن يبدأ القرن الثالث عشر .

ومن هذه الملاحظات أنا نجده يقول ، على لسان الشيخ علم الدين : إنه عند ماهاجر من بلده إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، كان كلما سمع شيئا من حوادث الفرنسيين عند ماغزوا مصر ، قيده . حتى جمع فى ذلك كتابا . ثم نجده بعد سطور قليلة يذكر حوادث الفرنسيين فى مصر ، وأحداث حملتهم فيها ، وحربهم لأهل القاهرة ، وما فرضوه على أهلها من الضرائب . نجده يذكر ذلك كما سجله الجبرتى فى كتابه « عجائب الآثار » . بل ينقل بعض حديث الجبرتى عن ذلك بنصه وحرفه .

ومن هذه المآخذ أنه جعل الشيخ علم الدين فى حديثه عن نهر النيل ، يقول : إن من مزاياه أو من خواصه « أنه لا يعلم مبدؤه » (١) ويقول مرة أخرى : إنه يجىء من الجنة .

ونحن نعلم أن منابع النيل قد كشفت قبل تحريره هذا الكتاب ، وعرفت ، فى عهد إسماعيل ، البحيرات التى يتجمع منها ماؤه ، ويسيل نهرا جاريا . ولست أدرى كيف

[١] ص ١٣٨٦ من الجزء الرابع .

يغيب ذلك عن المهندس العظيم على مبارك ، وهو الذى خصص جزءا من خططه للحديث عن النيل وما أقيم عليه من القنوات والترع والجسور والقناطر . والذى أقام بنفسه ، أو اشترك ، فى عدد كبير من هذه المشاريع الهندسية على النيل ، بل تحدث هو نفسه عن منابع النيل وأسباب فيضانه حديثا علميا(٢) .

ومن هذه المآخذ أنه ، وهو يتحدث عن العرب . ويجعل هذه الكلمة عنوانا على المسامرة التى خصصها لهذا الحديث ، يذكر أسماء غير عربية ، ويتحدث عن رجال ليسوا منهم مثل تيمور لنك .

ومع تلك الدعوة التقدمية التى رأيناها فى حديث على مبارك ودعوته لأن تتعلم المرأة وتعمل وتربح وتنتج . نراه فى مكان آخر(١) يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن التسرى . ويزعم أن الشيخ بهاء الدين تحدث فى ذلك إلى حسان باريس وحاجهن فى ذلك حتى أفحمهن وأصبحن من رأيه فى أنه لاضرر على الحياة العامة ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات والتسرى .

ولست أدرى كيف يمكن ، أن يدعو مفكر إلى أن تتعلم المرأة وتعمل . ويكون لها بذلك

[١] ص ٣٥ — ٣٨ من كتابه نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر .

[٢] المسامرة السادسة والثمانون . ص ٩٧٣ ـ ٩٨٢ ج ٣ من علم الدين .

استقلال فــــردى واقتصادى . ثم ترضى بالضرة والسرّية ... (١) .

ولا أستطيع أن أفهم كيف يؤمن الأوربيون ، على أى وجه من الوجوه ، بأنه لا بأس على حياتهم من تعدد الزوجات، وأنه لا ضرر منه ولا مهانة للمرأة فيه .. أو فى التسرى .

ولو أن على مبارك قال: إن بهاء الدين أقنع بهذا رجالا من الأوربيين ، لكان الخطب أيسر . على بعده أو استحالته . ولكن العجيب أن يزعم أن الشيخ الشاب تحدث حديثه هذا عن تعدد الزوجات . إلى «حسان باريس» وأنه أقنعهن . حتى أصبحن من رأيه . وحتى آمنّ بألا ضرر على الحياة العامة ، ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات، ولا فى التسرى .

وهذا هو الأمر المستحيل الذى لا يمكن تصوره .

ومن هذه الملاحظات أنه يقول ـ فى ثنائه على محمد على ـ ولم يعلم قبله ، أى قبل محمد على ، أن أحدا من المصريين سافر إلى بلاد أوربا .

ولكننا نعلم ، ولابد أن على مبارك يعلم أيضا ، أن كبيرا من أمراء المماليك ، عاصر محمدا عليا وكان أكبر خصومه وأشدهم عليه خطرا ، سافر إلى انجلترا ، وصحب معه عددا من قومه . وأقام فى تلك البلاد أكثر من سنة ثم عاد ، وهذا الأمير هو محمد بك الألفى .

ولعل مجاملة على مبارك لأبناء محمد على وحرصه على أن يسند له أولهم كل فكرة جديدة أو عمل مبتكر ، هو الذى حمله على أن يهمل أمر الألفى .

إهمال ترجمة عمر مكرم :

على أن هناك إهمالا تعجبت منه عند ما أدركت أمره عند على مبارك . وتحيرت فى أن أجد له سببا مقبولا لا يسىء إلى مكانة على مبارك وأمانته كعالم مؤرخ منصف ، ذلك هو إهماله ذكر السيد عمر مكرم والترجمة له . والسيد عمر مكرم كان زعيما جليل المكانة عظيم المنزلة فى تاريخ مصر الحديث ، هو الذى مكن لمحمد على من الاستقلال بحكم مصر، وهو الذى أعانه بسعيه ومكانته وإخلاصه على أن يغلب كيد خصومه الكثيرين الأقوياء . كان محمد على يكثر من زيارته فى بيته ، ويناديه «بيا والدى» ، وعرض عليه ، فى السنين الأولى من حكمه ، أن يقيمه نائباً عنه فى ولاية مصر فأبى السيد عمر . وبمعونة عمر مكرم وتدبيره استطاع المجاهدون فى رشيد أن يصدوا الحملة الانجليزية الأولى على مصر ، وكان محمد على عند ما علم نبأها خارج

---

[١] السرية الامة التى جعل لها سيدها بيتا خاصا عن القاموس المحيط .

القاهرة يوشك أن يترك مصر كلها إلى الشام. وبمعونة السيد عمر ومكانته لدى الشعب. استطاع محمد على أن يقهر كيد الألفى ويفل من عزمه وعزم جيوشه الكثيرة التى جمعها وكاد أن يخرج بها محمد على من مصر . كما استطاع أن يرجح كفة محمد على على كفة منافسيه جميعا من المماليك ، وأعــداته من العثمانيين .

فلما استقر الأمر لمحمد على ، تنكر لوالده السيد عمر مكرم ، وتصدى له بالشر والأذى وأخرجه من القاهرة منفيا إلى دمياط ثم إلى طنطا . ولم يأذن له بالعـــودة إلى القاهرة إلا وقد أصبح شيخا كبيراً فانيا لا يخشى خطره . وبعد أن صارت مصر كلها فى قبضة محمد على القوية .

السيد عمر مكرم . وله هذه المكانة والمنزلة فى تاريخ مصر ، ولتصرفاته ومواقفه هـذا الأثر البين البارز فى أحداثها الجسام . لا نجد له ترجمة فيما كتب على مبارك ، وبين تراجم هؤلاء المئات الكثيرة التى تحدث عن حياتها وسيرها فى خططه . والتى نجـد عشرات كثيرة منهم لا تدانى منزلتها منزلة عمر مكرم ولا تطاولها، بل تقع منها موقعاً صغيراً جدا .

لا نجد فى خطط على مبارك غير إشارة عابرة ذكر فيها السيد عمر مكرم فى حديثه عن مدينة « طنطا » . وعندما تحدث عن مدينة أسيوط(١) التى كان ينتسب لها مكرم ، لم يتحدث عنه بشىء . وقد ذكرت منذ قريب ، أنه من العسير أن نجد سببا لهذا الإهمال لايسىء إلى على مبارك . إذ لا يمكن أن يقال أبدا : إنه يجهل مكانة السيد عمر وسيرته ، وضرورة الترجمة له فى كتاب يؤرخ لمصر ويتضمن سـير رجالها . وليس هناك سبب مقبول لهذا الإهمال سوى الحرص على ألا يتعرض لسيرة محمد على بما يشينها ، والحرص على إرضاء توفيق بألا يذكر من كان جده كارها له وخصما ، وعليه حاقدا(٢).

ومن ملاحظاتنا على على مبارك أنه عندما جعـل السائح الانجليزى يطلب إلى الشيخ علم الدين أن يرافقه إلى أوربا . فرض له على نفسه عشرين جنيها فى كل شهر . فوق مؤنته ومؤنة ولده بهاء الدين . وقال إنه سيؤدى له هذه الأجر كله مدة رحلته معه جميعها (٣) .

وغريب أن يفرض هذا السائح أو يفرض على مبارك ، هذا الأجر الفاحش للشيخ وولده فقد ذكر هو نفسه ما يشعرنا بقيمة النقد ومستوى الحياة المادية التى كان الناس يحيونها فى عصره .

(١) ص ١٠٣ - ١١١ ج ٢ .

(٢) انظر ترجمة السيد عمر مكرم فى كتابنا : [دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر] الجزء ٣ .

(٣) ص ٢٢٦ من الجزء الأول من علم الدين .

ألم يقل إن أهله عندما هاجروا من قريتهم باعوا كل ما يملكون بأربعة جنيهات ؟ .

ألم يفرض له ولإخوانه من أعضاء البعثة التى سافرت إلى باريس ، مع أنجال محمد على جنيهان ونصف فى كل شهر ؟ .

بل نجد من أحاديث على مبارك نفسه ، أن بعض موظفى الحكومة كان مرتبه أربعين قرشا . وبعضهم كان مرتبه مائة وخمسين . وأن بعض أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة كان مرتبهم ثلاثمائة وستين قرشا . وكان مرتب « الصاغ » عشرة جنيهات .

فكيف أوقع السائح الانجليزى فى هذا الشطط . وجعله يفرض على نفسه لصديقه الشيخ هذا القدر الجسيم من المال فى كل شهر ؟.

الحضارة والموقع الجغرافى :

وعلى مبارك داعية جهير الصوت لتطوير الحياة الشرقية ، وإلى أن ينهج أهل الشرق منهج الغربيين فى العلم والتقدم الصناعى بل فى الحياة الاجتماعية نفسها . ولكننا نجده فى فصل من فصول كتابه «علم الدين» يتحدث عن البيئة الجغرافية وأثرها فى سكان البلاد ، فيقول إن البلاد الحارة يقضى مناخها وتقضى بيئتها الجغرافية على سكانها بأن يقفوا عند حدود خاصة من التقدم والدراية والمعرفة . كما تحكم هذه البيئة الجغرافية وهذا المناخ الإقليمى على سكان البلاد بأن تكون لهم أخلاق خاصة ، تغاير أو تناقض تلك الأخلاق التى يتصف بها أهل البلاد الباردة . فسكان البلاد الباردة « بعيدون عن الظنون والأوهام ، عالون عن الكذب والنفاق والخداع والمكر ونحوها ، »[1] وسكان البلاد الحارة أخلاقهم تغاير ذلك . وكلما بعدت البلاد عن هذا المناخ البارد ، كلما بعدت أخلاق أهلها عن هذه الصفات الطيبة . وكذلك العكس . أما النشاط البدنى والعقلى فهما يدوران حيث تدور البرودة والحرارة . فأهل « البقاع المعتدلة لا ثبات لهم على حال » . فطورا فى الفضائل وطورا فى الرذائل . يغشون كل ناد ، ويهيمون فى كل واد . وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك إلى القوى العقلية . فتتساوى لديهم الأمور ، فلا تنبعث خواطرهم إلى شىء ، ولا يهتمون بشىء ، ويغلب عليهم الكسل ، ويتحملون العذاب فى الدنيا بلا ملل ، ولا يجتهدون فى الدنيا بعقولهم فى سياسة أنفسهم فيكون فى ذلك استرقاقهم ، ويرون الرق أهون عليهم من العمل »[2] ومن الأدلة التى ساقها على صدق رأيه هذا أن « سكان جزيرة سيام يقولون: إن النعيم الأبدى هو كون الإنسان لا يجبر على الحركة وإتعاب الجسم .

---

[١] ص ١٢٠٧ من الجزء الرابع من «علم الدين».
[٢] ص ١٢٠٢ من الجزء الرابع من «علم الدين».

فلذلك كان السكون وعدم الاشتغال عندهم أمرا مرغوبا فيه فى تلك البلاد الحارة المضعفة لجميع القوى . ولأن الراحة عندهم أمر طبيعى هو المقصود بالذات »،(١) وهو يجعل أيضا أهل البلاد الباردة أقوى أجساما ، وأسلم أعصابا من الشرقيين .

وهنا نلاحظ أمرين . الأول أن على مبارك يردد ويؤكد تلك الدعوى التى كان يروج لها المستعمرون من الأوربيين : من أن البلاد الشرقية بوضعها الجغرافى والمناخى مقضى عليها إلى الأبد بالجهالة والذل ، لأن أخلاقها وطبائع أهلها لا تجعلهم أهلا لغير ذلك . وأنه لاحيلة لهم فى ذلك لأن أجواءهم ومناخاتهم لن تتغير . وهى التى حكمت عليهم بهذا الوضع . وليس بخاف ما فى هذه الدعوى من العنصرية الطاغية . وأنها لم تقم ، ولم يروج لها حتى تصبح قاعدة من قواعد العلم المقررة ، إلا لأن أهل الغرب يريدون أن يثبتوا سلطانهم على بلاد الشرق وأن يجعلوه دائما قائما على حكم الله أو على حكم الطبيعة التى لا فكاك منه ولا مخرج . ولأنهم يريدون أن ييئسوا أهل الشرق حتى يقبلوا هذا الوضع ولا يحاولو أن يخرجوا عليه أو يغيروا منه شيئا . وقد رأينا فى أول هذا القرن . وفى السنوات العشرين الأخيرة منه خاصة . ما ينقض هذا الرأى - أو هذه الدعوى - نقضا باتا . والأمر الثانى : أن على مبارك بتقريره هذه النظرية أو هذه الدعوى الفاسدة - قد ناقض نفسه ، ونقض رأيه الذى دعا إليه بالصوت الجهير . وهو تطوير الحياة الشرقية ودفعها إلى أن تسير حيث سارت الحياة الأوربية . وكيف يكون ذلك وبين أهل الغرب وأهل الشرق هذا التناقض البيّن فى الصفات والكفاية الذاتية والأخلاق والنشاط والرغبة فى العمل والحرص على الحرية ... ؟ .

لقد سلب على مبارك من أهل البلاد المعتدلة والحارة كل سبب للحياة الحرة ، والرغبة فى العمل ، والإقدام عليه ، بله النشاط ، وجعل الجنة التى يحلمون بها هى ألا يجبروا على حركة ولا إتعاب جسم ، وجردهم من كل خلق كريم . وجعل هذا كله قاصرا على أهل البلاد الباردة . فماذا يجدى أهل الشرق أن يدعوهم على مبارك لحياة القوة والحرية والعلم والنشاط ، مادام هذا حالهم الذى لاحيلة لهم فى الخروج منه مهما فعلوا ... ؟

ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من الآراء والنظريات يعرضها على مبارك بلسان الشيخ أو السائح الانجليزى أو أحد رفقائهما . ويجعل بعضا منهم يعارضها ويردها . ولكنه فى هذا الرأى الذى قرره عن الأمم ، وعن

[١] ص ١٢٠٩ من الجزء الرابع من « علم الدين » .

الشرق والغرب ، جعله مما اتفق عليه الشيخ وابنه والسائح الانجليزى . ومما أيده كل واحد منهم تأييدا قويا جازما .

على أنا نجد بعد ذلك بقليل رأيا له ، يدحض هذا الرأى الشعوبى وينقضه . ولا يجعل العامل الجغرافى سببا للتخلف والتأخر . نجد هذا الرأى المناقض فى مسامرته العاشرة بعد المائة (١) .

ونجده فى كتاب « نخبة الفكر » يقول رأيا آخر يغاير هذا الرأى ، بل يناقضه ، فهو يتحدث عن « أصل سكان مصر وأخلاقهم » فيقول : (إن البقعة المصرية لا تقتضى بطبعها شيئاً من الأخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية أصلا ، ولا يقوم لأحد على ذلك دليل ، وإنما هى الحوادث الدهرية قد وجهت سهامها نحو هذه الديار السيئة الحظ ، فتوالت عليها غارات المتغلبين) (٢) .

وقد روى على مبارك فى تلك الوصية التى وصّى بها الشيخُ علم الدين ابنه عند ما نزح لطلب العلم فى الأزهر ، روى أن بعض المشايخ « لقى أول طلبة العلم فى الأزهر عناء شديدا وجانبه فتوح الله وتوفيقه حتى يئس من الفلاح وفترت همته فى الطلب وعزم على أن يعود إلى قريته ، فلما هم بأن يرحل من الأزهر يائسا حزينا ، شاهد حشرة من حشرات الأرض تحاول الصعود إلى مرتقى صعب عسير فوقعت . ولكنها عادت تصعد مرة أخرى ، فوقف الشيخ يرقبها وهى كلما وقعت عاودت الصعود ، حتى تمكنت آخر الأمر مما تريد . » فقال فى نفسه والله لا أكون أعجز من هذه الحشرة » .

وهذه قصة النملة القديمة المعروفة ، التى رواها الرواة من قديم ، ولعلهم نسبوها إلى تيمورلنك

هذه ملاحظات لنا على كتابى على مبارك الخطط ، وعلم الدين . وهما ، كما قلنا ، أعظم أعماله الأدبية وأجلها شأنا ، وهى ملاحظات أجد من العسير ومن غير المستساغ ، كما سبق القول ، أن نقول إنها أخطاء ، ولا أن نجهل بها على مبارك أو ننقص من مكانته السامية وقدره الشامخ فى تاريخنا الحديث .

على أن هذه أخطاء أو ملاحظات أدركتها فى بدوات القراءة ، فإنى لم أتقص له الأخطاء ولم أتعقب الأغلاط والمآخذ والهفوات .

* * *

البر بالفلاح :

ومن العواطف الكريمة والدعوات البارة التى نجدها عند على مبارك ، عطفه على الفلاح والتنبيه إلى رعايته والبر به ودعوته « ولى الأمر » إلى أن يخص (١) أهل الفلاحة بمزيد

[١] مسامرة « السلف والخلف فى الإسلام » ص ١٣٤٧ - ١٣٥٩ من الجزء الرابع من « علم الدين »

[٢] ص ١٧٤ من الكتاب .

[١] ص ٤٥ من الخطط الجزء التاسع

العناية والالتفات . لأنهم الحاملون لأثقاله القائمون بمصالحه وأعماله إذ لولاهم لما كان للملك قوام ، ولا تم له نظام . ويجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ومساعدتهم بأنواع المساعدات وتطييب قلوبهم والرأفة بهم . وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه (١) .

ومن الكلمات التي يقف القارئ عندها ليتأمل ما وراء هذه الكلمات : « إن أقوى الأسباب لتأخر الزراعة — على الرغم من أنها قوام حياة الأمة — احتقار الفلاحين وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر في أحوالهم . وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة من تسخير أهلها بالعسف والقهر والتعدى عليهم بما يقهقر حالهم ويفسد عليهم أعمالهم . وكالتغالى في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو . خلافا لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة » (٢) .

وإذا ذكرنا كيف كان حال الفلاحين يوم كتب على مبارك هذا الكلام . وكيف السادة والحكام ينظرون إليهم . ثم ذكرنا كذلك سرف إسماعيل وكيف كان ينفق مال الفلاحين في اللهو والزينة . والانكباب على اللعب واللهو إذا ذكرنا هذا وذاك ، أدركنا شرف هذه العاطفة التي دفعت على مبارك لأن يكتب هذا الذى كتب كأنه يقصد به إسماعيل وشيعته . وأدركنا أيضا ما كان عند على مبارك من شجاعة استطاع بها أن يكتب هذا . وما كان عنده من حيلة ولطف مدخل ، حين وضع هذا الحديث على لسان عالم فرنسى يتحدث إلى الشيخ علم الدين وأصدقائه .

ولم يكن عطف على مبارك على الفلاح وبره به دعوة مجردة . بل كان له مع هذه الدعوة عمل دائب مثابر تحدثنا عن كثير منه من قبل . ونذكر فوق ذلك أن إحساسه بالكرامة الإنسانية التى يجب أن تصان للفلاح وللمواطن المصرى على العموم . هذا الإحساس جعله يحزن ويبتئس لما رأى من حال السجون المصرية ويعمل على تحسينها يقول إن هذه « المحبوس » كانت « حواصل » مظلمة لا يدخلها النور إلا قليلا . وكان المحكوم عليهم . اختلاف جرائمهم ، يخزنون فيها كالأمتعة . وداخلها يختنق بمجرد استنشاق هوائها . فوضع على مبارك نماذج لسجون صحية نظيفة وأقرت الحكومة مشروعه . وبنى منها في عهده سجن في الشرقية وآخر في المنوفية .

وكذلك كانت المستشفيات في الأقاليم تقام كما يقول في « ورشة ونحوها وأكثرها متهدم والسليم منها كمربط البهائم » فوضع كذلك مشروعا لبناء كثير منها بالتدريج وتم منها في عهده واحد في الدقهلية وآخر في الغربية .

محمود الشرقاوى

---

[١] ص١٠٣٦ - ١٠٣٧ جزء ٣ من علم الدين .
[٢] ص ١٠٣٣ جزء ٣ من علم الدين .

مدينة كانو

أكبر مراكز الإسلام فى إفريقية الغربية

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمة :

أخذ الإسلام ينتشر فى إفريقية الغربية منذ القرن التاسع الميلادى بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر فى مدن الإقليم ومراكزه التى نشأت عند نهايات الطرق التى تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد السودان آتية من الشمال الإفريقى ، وقد ترتب على ذلك أن تحولت بعض هذه المدن إلى مراكز للثقافة الإسلامية ، ونقط ارتكاز للدعوة ، وكعبة يحج إليها الراغبون فى التزود من علوم الدين والتفقه فيه من أبناء القبائل التى تسكن إفريقية الغربية والتى اعتنقت الإسلام .

وأول تلك المدن التى برزت كمراكز إشعاع الثقافة الإسلامية فى غرب إفريقية هى مدينة «تمبكتو» أو «تنبكت» على نهر النيجر، ثم مدينة جاو وجنى المجاورتين على النهر أيضا ، إلى الجنوب قليلا من «تنبكت» ، ومنذ القرن الخامس عشر اضمحلت مدن النيجر نتيجة لتعرضها للفتن والحروب والغزوات وتحول مركز إشعاع الثقافة الإسلامية إلى مدينة كانو التى ظلت محتفظة بمركزها الأول حتى وقتنا الحاضر .

وسوف نتناول فى هـذا المقال دراسة موجزة لنشأة المدينة وتطورها ثم تحولها إلى مركز إشعاع إسلامى فى نيجيريا ، واعتلائها مركز الصدارة بين المدن الإسلامية فى إفريقية الغربية لما مر بتاريخها من حركات تجديد وإحياء للثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام فضلا عن مركز المدينة فى وقتنا الحاضر .

نشأة المدينة وتطورها :

كانت هناك قمتان ترتفعان عن الأرض المحيطة بهما بضع مئات من الأمتار على خط العرض الثانى عشر شمال خط الاستواء وإلى الشرق قليلا من تقاطع هذا الخط بخط الطول الثامن شرقى جرينتش وتطل هاتان القمتان على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى إلى شمالها ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش السفانا — الذى يعرف باسم النطاق السودانى — إلى جنوبهما ، وفى وقت مبكر من القرون الأولى للميلاد اكتشفت الجماعات

المشتغلة بصهر وصناعة الحديد أن تربة هذين التلين — دالا وجورون — غنية برواسب الحديد، فأخذت تتجمع عندهما أسر الحدادين التي تزعمها فيما بعد رجل يسمى كانو حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل دالا أو دارا. وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجا إلى أن أصبحت مدينة واشتهر سكانها باسم أباجازاوا (١) وهو الاسم الذي ما زال يطلق على طبقة الحدادين حتى وقتنا الحاضر.

ولقد ظلت مناطق شمال نيجيريا تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم الهاوسا والتي تكون الغالبية العظمى من سكان الإقليم الشمالي في نيجيريا، وفي عهد هذه القبائل أخذت مدينة كانو تنمو وتتطور تطورا سريعا حتى أصبحت مدينة لها مركزها الهام بين مدن الإقليم.

وتحكي أسطورة الهاوسا أنهم أبناء بايزيد حفيد أحد خلفاء بغداد، وقد تزوج من ابنة ملك برنو فأنجب منها سبعة أبناء توزعوا في البلاد وكون كل منهم إمارة من إمارات الهاوسا السبع: هاوسا وبوكوي وهي جوبير، وكانو، ورانو، وكاتسينا، وداورا، وزاريا (٢).

وأول من عرف من ملوك كانو هو الملك يوجودا حفيد بايزيد وقد عاش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وتتابع بعده ثمان وأربعون ملكا، وقد ظلت كانو صغيرة إلى أن تكونت بها منطقة السوق (جاكارا) وأخذت تنمو حولها المساكن وأصبح سوق كانو أحد الأسواق الرئيسية التي تنتهي عندها طرق قوافل الصحراء، حيث كانت «تلي» و«الأوجوورون» تعتبران دليلا لهذه القوافل.

وفي القرن الثاني عشر بنيت أسوار المدينة القديمة لحمايتها من الغزوات التي كانت تأتي إليها من الجنوب والشمال واستطاعت المدينة بذلك أن تؤمن داخل أسوارها تجار القوافل القادمين من الشمال الإفريقي.

وظلت السلطة في المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون والهاوسا السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك الهاوسا الإسلام واستطاعوا في ظل هذا الدين الجديد ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم في المنطقة الوجهة التي أكسبتهم كل نفوذ وسلطان، وقد تطورت المدينة في عهدها الإسلامي تطورا تدريجا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب إفريقية.

فجر الإسلام في كانو:

علمنا أن أساطير الهاوسا تجمع على أنهم

---

[١] سيرآلان بيرنز ص٤٨.
[٢] نيفيف ص ٣٦

يرجعون أصلا إلى أحد أحفاد ملوك بغداد المسمى بايازيد الذى وفد إلى البلاد فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، ويدل ذلك على أن الهاوسا كانوا منذ بداية عهدهم مسلمين ، غير أن الرواية التاريخية تدلنا على خلاف ذلك ، فإن الهاوسا فى شمال نيجيريا ظلوا حتى القرن الثانى عشر يدينون بديانة قبلية وأن الإسلام بدأ ينتشر بين شعب الهاوسا تدريجا منذ ذلك القرن ، وأن أول ملوك الهاوسا الذين اعتنقوا الإسلام هو الملك باجى .

وفى معرض هـــذا الخلاف ، وفى ضوء الظروف التى كانت تحيط بمدينـة كانو خاصة وبلاد الهاوسا بصفة عامة يمكننا القول إن الإسلام أخذ ينتشر بين قبائل الهاوسا نتيجة لاحتكاكه مع شعب البرنو فى الشرق وشعوب مالى فى الغـرب والمهاجـرين من الطوارق والتجار العرب الوافدين من الشمال ، وكانت كل هذه الشعوب قد اعتنقت الإســلام منذ وقت سابق فى القرنين التاسع والعـاشر الميلادى .

أما فيما يتعلق بملوك كانو فالمرجح أن بعضهم كان يعتنق الإسلام على يد رجال الحاشية ، وكان أغلبهم من المسلمين ، واستعان بهم ملوك كانو لتنظيم الملك وإرساء الحكم فى بلادهم على أساس النظم التى أتى بها الإسلام .

وواقع الأمر أن بعض الهاوسا كانوا قد اعتنقوا الإسـلام ولـكن بأعداد قليلة نتيجة الاختلاط بالمسلمين ولـكنهم أقبـلوا على الإســلام منذ أن اعتنقه ملـكهم باجى وأخذ يبنى المساجد ، ويحـكم البلاد وينظم العـلاقات والمعاملات ، على أساس النظم الإسـلامية ، فلما شاهد الهاوسا حسنات الإسـلام أقبلوا عليه بل تحولوا بعـد ذلك بقليل إلى دعاة لهذا الدين بين القبائل البدائية التى كانت تسكن إلى جنوب كانو فى حوض نهر النيجر ، وقـد سبق شعب كانو بذلك سائر إمارات الهاوسا بقرن ونصف من الزمان فى اعتناقه للإسلام (١) .

ازدهار كانو فى ظل الإسلام :

وفى عهد الأمير يعقوب (١٤٥٢/١٤٦٣م) وهو الملك التاسع عشر ، حدثت هجرة كبيرة انتقل فيها إلى كانو الـكثير من جماعات الوانجارا ، وهم من العناصر الرئيسية التى كونت امبراطورية مالى ، وذلك بعد أن زاد ضغط الغزوات الخارجيـة على هـــذه الامبراطورية الإسلامية العظيمة من الموسى فى الجنوب ومن المغاربة والطوارق فى الشمال وكان لهؤلاء المهاجرين الجدد بعد أن اختلطوا بسكان مدينة كانو أثرهم الـكبير فى تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند الهاوسا .

[١] بوفيل ص ١٢١ .

وفى عهد محمد رومفا ، الملك العشرون لكانو ، (من ١٤٦٣ إلى ١٤٩٣) وأشهر ملوكها المسلمين . بلغت المدينة ذروة مجدها وبدأ فيها عهد إسلامى جديد سادت فيه كل مظاهر الحياة الإسلامية فكان إحياء رمضان بالصوم والتعبد وكانت الاحتفالات بالأعياد الإسلامية المختلفة ، كما أقامت حركة لتنقية عقيدة الهاوسا مما شابها من أفكار وعقائد الحياة القبلية السابقة .

جهود الأزهر :

وقد ساعد على ازدهار الإسلام فى عهد محمد رومفا أن استوفد عددا من علماء الأزهر من مصر ليعلموا وينشروا مبادىء الإسلام الصحيح فى المدارس العديدة التى افتتحها والمساجد العظيمة التى أقامها ، وفى مجلس بلاطه العلمى الذى كان يعقد فى قصره العظيم الذى شيده فى جبل والا ، ومما يذكر بالفضل للملك محمد رومفا أنه أعاد تنظيم الحكم فى كانو وتوابعها على أساس إسلامى مقتبسا النظم التى كانت متبعة فى ذلك العهد فى مصر .

واستمر ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو فى عهد الملك محمد كيسوكى (من سنة ١٥٠٩ إلى ١٥٦٥ ، وذلك رغم غزوات السنغاى وتعرض البلاد لغزوات أخرى من قبائل الكواراراف البدائية فى الجنوب .

والغريب فى الأمر أن هذه الغزوات كانت مما ساعد على تقوية مركز كانو وتحولها إلى مركز إشعاع إسلامى فى الغرب الأوسط من إفريقية ، ويرجع ذلك إلى عاملين :

الأول : أن غزوات أسكيا محمد امبراطور السنغاى واشتداد مقاومة شعب كانو قد أكسبا هذه المدينة وشعبها احتراما لدى أسكيا محمد مما ، جعله يوقف هذه الغزوات ويعقد مع كانو هدنة يقسر بمقتضاها إمارة كانو ويزوج أميرها بإحدى بناته مما أعطاها قوة واستقرارا .

الثانى : أن هزيمة قبائل الكوراراف ، أمام قوة الهاوسا فى كانو ، ومشاهدة هذه القبائل الغازية المهزومة للنظم الدقيقة والحياة الرفيعة التى يحياها سكان هذه المدينة جعلتهم يقبلون على الإسلام ويستوفدون المسلمين من الهاوسا لنشر تعاليم هذا الدين القيم ثم أوقفوا بعد ذلك غزواتهم .

كانو تصبح ملجأ العلماء :

ومما ساعد على ازدهار الحياة العلمية الإسلامية فى كانو أن تعرضت تمبكتو وجاو وجنى للضعف نتيجة لغزوات البربر والمغاربة التى شغلت بها زمنا ، فاضطر الكثير من علمائهما إلى الهجرة إلى كانو التى

كان الإسلام قد استقر فيها وازدهر فى عهد محمد رومفا ، ومن هؤلاء العلماء الذين نزلوا بكانو وأقاموا فيها يعلمون الدين والفقه الحاج أحمد التنبكتى ومخلوف بن على ومحمد ابن أحمد ، ولكن أشهرهم جميعا محمد بن عبد الكريم المغيلى الشهير باسم البغدادى أيضا .

اشتهر المغيلى بين قبائل الطوارق كداعية للإسلام ولا يزال اسمه يلقى بينهم احتراما وتقديسا، ولكن الفتنة التى أحدثها اليهود وأدت إلى قتل الكثير منهم فى طوات وغيرها من واحات الصحراء الكبرى واستغلال اليهود لها باتهامه بتدبيرها جعله يؤثر الهجرة إلى بلاد الهاوسا[١] حيث أسلم على يديه ملوك كاتسينا ثم انتقل إلى كانو بعد أن كتب لأميرها خطابا يقول فيه :

إن الكفار ببلادكم ما زالوا بين المسلمين فى الأسواق والمنازل فان لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر فى رمضان كان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العقول من عامة شعبكم ونسائه[٢] .

فدعاه ملك كانو لينقى البلاد من الشرك والكفر وأقام زمنا يعلم الفقه وأصول الدين وكتب لأمير كانو كتابا بعنوان « واجبات الأمير » ويدل كتابه هذا على إلمامه الكبير بشئون الحكم ومشكلاته ومتاعبه، وقد كتب كتابه هذا بالعربية مما يدل على أنها كانت لغة منتشرة فى تلك البلاد فى ذلك العهد.

ومما يذكر أيضا أن جلال الدين السيوطى العالم المصرى المشهور قد زار كانو وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن ويفقه فى الدين وعاد منها إلى مصر عام ٨٧٦ هـ .

العهد الفولانى فى كانو :

ظلت مدينة كانو تعيش فى ظل أمراء الهاوسا كمدينة إسلامية ، وكسوق للتجارة ، وكمحطة للقوافل الآتية من الشمال عبر الصحراء الكبرى ،وقد كانت بلاد الهاوسا كلها ابتداء من القرن الخامس عشر تتعرض لهجرات سلمية آتية من الغرب تحمل جماعات مسلمة بعضها يشتغل بالرعى وبعضها يحترف التجارة . فنزل الرعاة من هؤلاء المهاجرين فى مهامه السافانا يرعون أبقارهم جنبا إلى جنب مع الهاوسا الذين كانت غالبية أهل القرى منهم تشتغل بالزراعة وقد عرف المهاجرون الرعاة باسم بورورو جى أى الفولانى البقارة أو أهل البقر، وعرف التجار الذين نزلوا المدن الكبيرة ومنها مدينة كانو باسم فولانى جيدا أى فولانى

[١] إ وارد هوين ص ٧ و ٨ .

[٢] عن حسن محمود فى كتابه تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية .

الحضر [1] ، وقد كان هـذا التوزيع للسكان محققا لنوع من التكامل الاقتصادى فى حياة الهاوسا وبخاصة كانو والمنطقة المحيطة بها الخاضعة لها ، ذلك أن الهاوسا الزراع والبورورجى أو الفولانى البقارة تعاونوا فى مناطق الريف ، كما أن فولانى جيدا أو فولانى الحضر قد ساعدوا على زيادة ازدهار الصناعات القائمة فى مدينة كانو واستطاعوا أن يتاجروا بها لمسافات بعيدة عبر الصحراء فى الشمال أو على طول امتداد نطاق السفانا إلى ساحل الأطلسى فى الغرب .

إلى جانب التعاون الاقتصادى الذى قام بين الهاوسا والفولانى نجد أن الوئام والاختلاط بل الاندماج الكامل قد ظهرت بوادره منذ أن بدأ المهاجرون الجدد من الفولانى يفدون إلى بلاد الهاوسا ، ولم يجد الهاوسا والفولانى أى نوع من الصعوبات تحول دون اختلاطهم فكلهم مسلمون ينتمون إلى دين واحد ويتبعون شريعة القرآن وقد ساعد ذلك على ظهور اتجاه جديد نحو دراسة الدين والتفقه فيه والتعاون من أجل إحياء سننه وشرائعه والعمل على نشره بين القبائل التى لم تكن قد استظلت بظله أو تفتحت أعينها على نوره .

وفى مطلع القرن التاسع عشر ظهر على مسرح الحياة فى نيجريا الشمالية رجل يدعى عثمان دن فديو تفقه فى الدين ، وتعمق فى علوم القرآن والحديث والشرائع والأصول على يد علماء تعلموا فى الأزهر أو فى المدينة المنورة أو فى الزيتونة بتونس أو فى مسجد القرويين بالمغرب ، وقد بدأ حياته معلما ثم جمع حوله الأتباع وبث فيهم روح الكفاح من أجل تخليص البلاد من كل شوائب الحياة القبلية ، ونشر الإسلام بين من لم يسلم منهم ، والعمل على توحيد البلاد فى ملك إسلامى يقيم شرائع القرآن ويحيى أمجاد الإسلام ، ومن ثم أعلن الجهاد على ما كان هناك من بدع ، وعلى التفرق وعلى القبلية القديمة .

وهكذا بدأ الجهاد لتوحيد الإمارات فى مملكة واحدة قوية تكون مصدر إشعاع لهذا الدين القويم ، وبدأت الدعوة من سوكوتو ، ولكن كانو سرعان ما انضمت إلى اللواء الذى عقده لها أمير المؤمنين أو ساراكين مسلمانى كما يسمى بلغة الهاوسا وكانت هى المدينة النيجيرية الوحيدة التى قبلت اللواء دون صراع بين الزعماء ودون حاجة إلى غزو أو حرب أو معارك وذلك لإدراك أهلها أن الوحدة هى سبيل تحقيق الأهداف العظمى من نشر الإسلام وتنقية العقيدة [1] .

وعاشت كانو فى اتحاد إمارات الفولا قرنا

---

[1] سير آلان بيرنز ص ٤٧ .

[1] نيفين ص ١٢٤ .

كاملا حفل بالاستقرار والازدهار فى ظل نظام إسلامى دقيق تعاون أمراء الفولا مع شعب الهاوسا على إقامته والمحافظة عليه، وقد زادت شهرتها كمركز تجارى، واستقر بها الكثير من تجار الشمال الإفريقى من العرب والمغاربة، كما زارها كل الرحالة الذين ارتادوا مناطق غرب إفريقية خلال القرن التاسع عشر وكتب عنها الرحالة الألمانى بارث يقول: «إنها مدينة صناعية تجارية تأتيها القوافل من الشمال من ساحل البحر المتوسط، ومن الغرب من ساحل المحيط الأطلسى، وتمتد شهرتها فى آفاق بعيدة»[1].

ومن أهم الصناعات التى ازدهرت فى كانو صناعة المنسوجات القطنية وصباغة الأقمشة، وكان تجار غدامس يحملون إليها المنسوجات الخام من المغرب لتصبغ فى كانو، ويعودون بها فى ذلك الطريق الطويل ويتكبدون هذه المشقة والتكاليف الباهظة ليحصلوا على نسيج مصبوغ صباغة جيدة بألوان جميلة ثابتة، وإلى جانب صناعة المنسوجات والصباغة اشتهرت كذلك بدبغ الجلود وذاع صيت جلود كانو فى بلاد المغرب وكانت تستورد لتستخدم فى صنع الأحذية فى مراكش.

[1] يوفيل ص ٢١٧.

ثم أتاها الاستعمار :

ومنذ منتصف القرن التاسع بدأت كانو تشهد طلائع الاستعمار البريطانى، ممثلة فى الشركات التجارية التى أخذت تعقد الاتفاقات التجارية مع الأمراء، ولكن هذه الشركات لم تستطع أن تتغلغل بنفوذها فى مدينة كانو على الرغم من أهمية موقع كانو التجارى، إلا أن شركة النيجر الملكية لم تستطع إقامة مركزها هناك بل اتخذت من كادونا المدينة الناشئة مقرا لها وظلت تعمل فى شمال نيجيريا إلى أن أعلنت الحماية البريطانية على هذا الإقليم الشمالى عام ١٩٠٠ ورفض أمراء الفولا فى كانو وبعض مدن الشمال الأخرى الخضوع للنفوذ البريطانى فاضطر اللورد لوجارد أن يرسل حملات لإخضاع هذه المدن ولقيت هذه الحملات رغم قوتها وتسلحها بأسلحة حديثة مقاومة شديدة من شعب الهاوسا والفولا فى كانو وغيرها من مدن الشمال، وقد استمرت هذه المقاومة حتى سنة ١٩٠٣. ثم تغلبت القوة بمساعدة الخونة وقامت السلطات البريطانية بخلع أمير كانو وتنصيب آخر اضطر لتوقيع اتفاقية الحماية.

وبدأت السلطات الاستعمارية تعمل على خلق المشكلات وإثارة الفرقة بين الأهالى فشجعت هجرة الكثير من عناصر الإيبو وهيأت لهم السكن فى كانو على وجه الخصوص وكانت تهدف من وراء ذلك إلى خلق خلاف

كبير بين السكان الأصليين المسلمين وبين هؤلاء المهاجرين من القبائل غير الإسلامية وقد نجحت فى ذلك حيث حدثت اصطدامات عنيفة بين الفريقين أدت إلى تدخل السلطات الاستعمارية ، واتخذ البريطانيون أيضا من وجود هؤلاء المهاجرين ذريعة لإدخال التبشير إلى هذه المناطق الإسلامية الصرفة بحجة تعليم هؤلاء السكان الذين لا يقبلون على التعليم الإسلامى وهى حجة واهية فى الواقع لأن الكثير منهم بعد أن اختلطوا بالمسلمين وشاهدوا محاسن الإسلام أقبلوا على الدخول فى هذا الدين القويم ولكن الاستعمار أوقف هذا التيار بخططه الهادفة .

ومما يذكر أن مدينة كانو قد شاركت مشاركة فعلية فى الحركة التحررية بنيجيريا فكانت مقر حزب شعوب الشمال وكان زعماؤها يؤمنون بوحدة نيجيريا التى أراد الاستعمار تفتيتها وقد استقبلت كانو الرئيس الدكتور نامادى أزيكوى استقبالا رائعا من جانب الشعب والزعماء وتم فى هذا الاستقبال اتفاق بين حزب شعب الشمال وحزب وحدة نيجيريا على النضال المشترك من أجل استقلال نيجيريا ووحدتها .

مدرسة العلوم العربية فى كانو (١)

وكان معظم الذين قادوا الحركة التحررية فى نيجيريا الشمالية من أبناء المسلمين من الهاوسا والفولا الذين تخرجوا فى معهد عربى أنشأه السلطان محمد السنوسى أمير كانو السابق سنة ١٩٣٤ وقد ساعده فى إنشاء هذا المعهد تاجر من الإقليم المصرى كان يقيم هناك ويعلم إلى جانب تجارته علوم الدين وهو الحاج أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد الأمير السنوسى بعض العلماء من مصر والسودان للتدريس فى هذه المدرسة التى كانت تسمى فى أول الأمر باسم مدرسة الشريعة الإسلامية ثم تحولت فأصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية ، وتخرج منها طليعة الزعماء الذين قادوا الحركة السياسية فى نيجيريا الشمالية وأكثرهم كانوا معلمين أو قضاة ، وما يزال هذا المعهد قائما حتى يومنا هذا يتطلع إلى التدعيم وإلى التخلص من آثار النفوذ الاستعمارى التى دخلت إليه ممثلة فى رجال إدارته الذين عينتهم وزارة التعليم فى العهد الاستعمارى فى نيجيريا فما يزال وكيل المعهد انجليزيا . وهذه المدرسة تتطلع فى تدعيمها إلى عون البلاد العربية والإسلامية لتقوم على أقدامها كمركز للتعليم الإسلامى والدعوة الإسلامية فى غرب إفريقيا .

يوم كانو وغدها :

ولئن كانت مدينة كانو اليوم هى أكبر المدن الإسلامية فى غرب إفريقية إذ يبلغ عدد

[١] معلومات من بعض أبناء نيجيريا فى الأزهر الشريف .

سكانها نحو ١٣٠ ألف نسمة فإنها أيضا تعتبر أهم مركز إسلامى فى مستقبل الحياة الإفريقية للعوامل الآتية :

١ — الاستعداد الكبير لدى شعبها وأمرائها لمواصلة الكفاح من أجل نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بين شعوب نيجيريا والبلاد المجاورة .

٢ — وجود أكبر معهد دينى إسلامى فى غرب إفريقيا بها وهو مدرسة العلوم العربية التى يمكن أن تكون فى المستقبل نواة لجامعة إسلامية تتعاون مع الأزهر الشريف وجامعات الشمال الإفريقى على إحياء التراث الإسلامى وإعداد الدعاة والرواد والمعلمين .

٣ — موقعها الجغرافى الذى يسهل اتصالها بجهات إفريقيا الأخرى .

٤ — وجود أقليات من أبناء نيجيريا وجهات إفريقية أخرى يشغلون بعض الوظائف ومختلف الأعمال فى مصانع وشركات مدينة كانو الأمر الذى يمكن أن يكون عاملا يساعد على انتخاب صفوة منهم يتعلمون أصول الإسلام ويتفقهون فى الدين ليعودوا إلى قبائلهم التى لم تنعم بعد بنور الإسلام دعاة صالحين لهذا الدين القويم .

وهكذا نجد فى قلب القارة الإفريقية مركزا من مراكز الإسلام ينتظر له مستقبل زاهر فى الدعوة إلى الإسلام وتنقية العقيدة وتثبيت شريعة القرآن ونظم الإسلام ومبادئه فى عقول الإفريقيين وحياتهم .

محمد مهول عباس

فضل الاقتصاد

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة يسألونه فى دية فصادفوه فى حائط يتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده عن رديئه ، ويجعل كل صنف منها على حدته فهموا أن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عند هذا خيرا . فلما فرغ من حائطه كلموه فأعطاهم .

فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك وأخبروه .

فقال : إن الذى رأيتم من صنيعى قضيت به حاجتكم .

الشك قبل الإيمان

عبرة في حياة أديب

للأستاذ محمد رجب البيومي

فى حياة كل إنسان ، جل أو هان ، موضع للعبرة ، ومجال للتأمل ، وحياة الأديب المفكر بنوع خاص ، أفسح مجالا ، وأدعى مناسبة للعظة والاعتبار ، فهو باطلاعه الثاقب ، وإحساسه الثائر يأتى من الآراء ويبدى من الأعمال ما يتسع للنقاش والتعليل ، ورب موقف صغير من مواقفه الحسية يستحيل فى رأى الدارس المحلل فكرة معنوية ، لها مكانها البارز فى دنيا التعليل والاستقراء ، حتى تتفرد لها الشروح المتنوعة وتوضع المبررات المحتملة ، وكأنها حدث خارق قلب وجه التاريخ .

وستتعرض اليوم إلى مفكر معاصر ، ترقى فى المدارس المصرية فى أظلم عهود الاستعمار تربية مدنية لا تمت إلى التربية الروحية بسبب ، ثم انتقل إلى باريس فدرس تعاليم الإسلام ممسوخة شائهة على أناس يضطغنون عليه ، ويحاولون أن يطفئوا نور الله بأيديهم حتى إذا فعلت مفترياتهم السامة فعلها فى نفس الناشىء المتطلع ، كتب رسالة الدكتوراة عن (حال المرأة فى الإسلام) كتابة لا تسير مع الحق فى طريق ، ثم قدم إلى مصر فثارت عليه الثائرة ، وأتاح الله له من دعاه إلى سبيله ، بالحكمة الحسنة والموعظة الصائبة ، فعرف الحق من الضلال ، وتبرأ مما أسلف فى غربته براءة يغمرها الندم ، وتوقظها النفس اللوامة ، ثم تغلغل الإيمان فى قلبه فأصبح بحمد الله من أقوى المسلمين غيرة على محارم الإسلام ، وأشدهم دعاية إلى سننه وآدابه ، وهكذا جاء يقينه الثابت عن دراسة فاحصة ، وبحث متعقل ، فتمكن من نفسه تمكنا لا تزعزعه الشكوك ، ولا تعبث به الأراجيف ، وفى هذا كله عبرة بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

يقول أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ ﻫ من مجلة الأزهر : « أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى السوربون عن حال المرأة فى الإسلام نال فيها

من خلق الرسول وشرعه وسلوكه ، فلما أنكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادّعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى (الشفاء) للقاضى عياض ، ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدرينى أنها موضوعة ! والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة » .

وأستاذنا الزيات ـ كما يعرفه تلاميذه ـ إنسان كله الله بالأدب والذوق ، فلم يشأ أن يصرح باسم صديقه الكبير الدكتور منصور فهمى ، ولكن الرجل رحمه الله قد شاء لنفسه غير ما شاءه الأستاذ الزيات إذ تحدث كثيراً عن سابقته هذه حديث من لا يفوته اصطياد العبرة من حوادث الزمن وتصاريف الأيام ، فقال فى صراحة محببة نقلا عن مجلة « حياتك » ديسمبر سنة ١٩٥٨ :

« كانت رسالتى فى الدكتوراة عن المرأة فى الإسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر أنى انحرفت قليلا حيث كانت معلوماتى عن الإسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عناداً ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوى الأفق الواسع والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حسونة النواوى والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ على الزنكلونى : هؤلاء الذين يمثلون رجل الدين الحقيق ، فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله » .

ثم يفصل الدكتور منصور الطريقة التى شرح الله بها صدره للحق فيقول فى موضع آخر ، نقلا عن مجلة لواء الإسلام عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ ما نصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حسونة النواوى حين زرته فى منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمهابته وتقواه وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت إليه ، قال لى : أأنت الذى يقال عنك إنك ملحد !؟ فقلت : نعم يامولاى ! فربت على كتفى وقال لى : اقرأ القرآن واقرأ البخارى إن لم تكن قرأته ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت ألا أفى بعهدى ، فعكفت على قراءة البخارى ، وعجبت لغفلتى الأولى ، وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة ، فوجدت ما جاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الإلهام الصادق يبدو فى كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

هذا هو كلام الدكتور رحمه الله عن نفسه ،

ولن نستخلص منه وجه العبرة النافعة إلا إذا استعرضنا ظروف رسالته الجامعية ، وما أحاط بها من ملابسات مصرية وفرنسية ، جعلته يشتط فى آرائه شططا يدفع به إلى الانحراف ، حتى إذا ذهبت غشاوة الضلال عن عينيه أبصر الفجر الوضىء نخرج إلى النور من الظلمات .

لقد سافر الدكتور إلى باريس سنة ١٩٠٨م وهى السنة التى توفى فيها المصلح الاجتماعى قاسم أمين محرر المرأة بعد أن ترك وراءه دويا هائلا يتردد صداه فى كل مجتمع ، وقد جذب إلى آرائه الاجتماعية فريقا كبيرا من جمهرة الشباب المندفع ، وفيهم من درس آراء الرجل فى يقظة وانتباه فعرف ما لا يريد وما يريد ، وفيهم من فهم عن قاسم فهما يعوزه التبصر والروية ، فاعتقد ـ مخطئا ـ أنه يرجع تأخر المرأة وجهلها إلى مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة !! وما هكذا يقول قاسم ، ولكنها فرية مزورة عزاها إليه المرجفون ، وتناقلها متوسطو الثقافة وأصحاب القشور من الدراسات تناقلا أعان عليه أعداء الإسلام بما اختلقوا من مزاعم ، وعللوا من أشياء ، وقد رسخ هذا الوهم فى نفس الدكتور منصور عن قصور فى الاطلاع ، وأخذت جذوره المريضة تمتد فى نفسه حتى اختار أن تكون رسالته الجامعية عن (حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها) فجاءت تنفيسا لما يختلج فى صدره من أوهام ، ومن نكد الطالع أن الذى أشرف عليها من أساتذة السوربون هو الأستاذ (ليفى بريل) وهو معروف فى دوائر الاستشراق بتحامله المغرض على الإسلام ، وقد وجد من الشاب المتحمس عجينة لينة فى يده ، يفعل بها ما يشاء فأخذ يمده بما يدخر الاستشراق من روايات موهومة وأراجيف مزعومة ، وافتراضات متخيلة ونتائج مزورة ، ليكون ذلك كله مادة شططه ومطية جموحه ، حتى جاز له أن يقول مثلا ص ١٦ عن رسول الله مترجما عن النص الفرنسى (١) .

« وهكذا نجد أنه ـ محمدا ـ بعد أن ينام نوما عميقا ، يقوم ليؤدى صلواته دون أن يجدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين الآخرين كان عليهم الشروع فى وضوء وطهور جديدين ، ومن أجل أن يبرر الاستثناء الذى عمل لصالحه اكتفى بأن قال : إن عينى تنام وأن قلبى لا ينام أبدا » .

ثم يقول فى ص ١٨ « وقد حد النبى من نظام تعدد الزوجات ، إلا أنه تعدى بالنسبة لنفسه ما وضعه من حدود للآخرين ، فمع أن بقية المؤمنين لم يكن فى مقدورهم

---

(١) ترجم هذه الفقرات الأستاذ محمد السيد كيلانى فى كتابه « فصول ممتعة » ص ٦ ، ٧ .

أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمدا أن جاز لنفسه أيتزوج بأكثر من ذلك ».

ثم تبالغ الرسالة السوربونية فى مثل هذا الشطط الأرعن لتنتهى إلى القول بأن الإسلام قد ساعد على تأخر المرأة وانحطاطها، وأن اللائق بالأمم الإسلامية أن تأخذ من أوربا مثلا حيا لنهوض المرأة واختلاطها بالرجل فى المتجر والمصنع وأماكن النزهة والترويح، ليسعد المجتمع الإسلامى فى الشرق سعادة المجتمع المسيحى فى الغرب، وإلا فعلى المسلمين العفاء !!

هذه نماذج قليلة مما تورط فيه صاحب هذه الرسالة، وبعضه اختلاق محض كالقول بصلاة الرسول دون وضوء والبعض جهل بدقائق التشريع فى حكمة التعدد من ناحية، واهتمام الإسلام بتربية المرأة وتثقيفها من ناحية ثانية، وقد كانت جريدة المؤيد ما بين شهرى يناير ومارس سنة ١٩١٤ معرضا فسيحا للرد على هذه المزاعم بقوة وإفحام. ولسنا نحتاج اليوم إلى إيضاح الحقيقة فيها، فكل مسلم قارئ يعرف الآن حكمة التعدد، ويطالع صحفا ميسرة مما خط فى هذا المضمار !! ولعل من الوفاء أن نذكر أن الأساتذة الأفذاذ محمد فريد وجدى ومحمد لطفى جمعة وطنطاوى جوهرى قد قاوموا هذه الأراجيف حين صدورها فى رسالة الدكتور مقاومة تتسلح بالمنطق والدليل، فوضعوا الأمر فى نصابه وجعلوا أقلامهم منارة تهدى الطريق، وقد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله، ولم يبق فى جيلنا من يذكر لهم غيرتهم فى الدفاع وسابقتهم فى الهداية، وقد قرأ الدكتور منصور فهمى ماكتبه هؤلاء، ثم اهتدى بمجالسة أصحابه من العلماء، فتبين فى أسف لاذع خطورة ما ورطه فيه أستاذه السوربونى، وانتدب نفسه للدفاع المخلص الحار عن نبى الإسلام، وشريعة القرآن، فانضم إلى الجمعيات الإسلامية محاضرا ومؤسسا، ورفع صوت القرآن فى الجامعة المصرية مكافحا من ينزعون إلى الغواية والاعوجاج، حتى جاز للمجلة الجديدة أن تنعته بالرجعية المتأخرة، وأن نذكر فى بعض أعدادها أن الدكتورين منصـــور فهمى وعبد الوهاب عزام أصبحا رمز التخلف والجمود فى كلية الآداب، وإذا هاجمت المجلة الجديدة أستاذا من أساتذة الفكر فتهمته الأولى لديها هى الوفاء للعروبة والإسلام !!

أجل، لقد رجع الدكتور عن آرائه رجوع المقتنع الدارس، فنزل اليقين من قلبه نزول الطود الراسخ فما يستطيع أن يلم به شك يزعزع استقراره، وكأنى به وقد استشعر غيظا أليما لما كان، فاندفع من أقصى

اليسار إلى أقصى اليمين فى حماس متأجج ، وانضم إلى نوادى الإيمان ومحافل العقيدة ليوضح للشباب ـ ما أمكنه الوقت ـ فى محاضراته وتعقيباته محاسن الإسلام ومبادئ الشريعة ، فكشف عن كثير من العيون ما ران عليها من غشاوة تطمس أمامها خداع المدنية الكاذبة ، وتمويه الحضارة الزائفة ، وترينها الباطل متشحا بوشى خلاب تغمره الزخارف والأضواء ، وقد كان ينتهز المناسبات الدينية فيفيض فى الحديث عن نبى الإسلام إفاضة مسهبة ثم يعدد ما يفترى عليه المغرضون فى ألم نفسى تنعكس سحابته على وجهه المنفعل المعبر ، والدكتور منصور إذا كتب ، فهو فى الكتابة فيلسوف متعقل يزن المعانى الدقيقة ويقدر لها ما يناسبها من اللفظ الموجز والتعبير الفاصل ، أما ارتجاله الخطابى فبحر عجاج متدفق ، وكنت أتخيله وأنا أسمعه فى جمعية الشبان المسلمين داعية دينيا من رجال الوعظ والإرشاد لا أستاذا فى الفلسفة من السوربون ! وكانت المجلات الإسلامية تتزاحم عليه فى مناسبات الهجرة والمولد والغزوات ـ وبعضها دون مستواه ـ فيجيبها عن سماحة وإقبال ، يميل بحديثه إلى جلاء موقف رائع من مواقف صاحب الرسالة ، ولو جمع ما سال به قلمه فى هذا المضمار لكان سفرا جليلا من أسفار النبوة ، والأعمال بخواتيمها كما يقال .

أما نظرته إلى المرأة فى ظل التقاليد الإسلامية فقد انقلبت بعد الدراسة الفاحصة من النقيض إلى النقيض ، فلم يعد الإسلام فى رأيه عامل تحجر وجمود ، بل أصبح تهافت المرأة فى أوربا على الأعمال الشاقة مهزلة أليمة تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر إلى اضطراب قلق لا بهجة معه ولا ارتياح ! وقد نشر الدكتور فى مجلة الرسالة الغراء بالعددين (٤٠٤ ، ٤٠٥) السنة التاسعة بحثا ضافيا عن وجهة نظره الأخيرة فى هذا الموضوع يقرؤه القارئ فيجد تأييداً حارا لنداء الإسلام ، وتأكيدا قويا لما ارتطمت فيه أوربا من انحلال ، وتوضيحا صريحا لموقف قاسم أمين من المرأة فهو كمصلح اجتماعى لم يرد لها التبذل والانحراف ، وإنما كان يعتقد « أن المرأة قد تسمو إلى ما تنشده لها من المكانة لو كلت تربية النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف فى أغلب المسائل الإسلامية (١) » .

ثم إنه ينتقد الحضارة الأوربية انتقاداً مريرا إذ دفعت بالمرأة إلى ميادين العمل

(١) مجلة الرسالة العدد [٤٠٤] تحت عنوان [نساؤنا بين التقاليد والتجديد] .

الشاق فزاحمت الرجل فى ميدانه دون أن تتسلح بمواهبه وبأسه وقوة عضلاته واحتمال أعضائه ! ! يا لله ! هذا الكلام عينه اعتراف صريح بتخطئة الأسس العلمية التى استندت إليها رسالة السوربون ! فقد كانت دعوة صاخبة إلى إنقاذ المرأة من هدوئها الساكن، والزج بها فى أتون العمل والكفاح الشاق كأختها الأوربية سواء بسواء، والدكتور يهاجم وضع المرأة الأخير فى أوربا مهاجمة من تبرأ من قول إلى قول فهو يقول بصدد ذلك: « فقد يغرر العصر الحاضر بالنساء حين يدفعهن إلى ميادين من الأعمال الشاقة كان من الخير أن يزاولها الرجال وأن يتحملوا أوصابها وتبعاتها دون النساء حرصا على أن تسلم وظيفة الأمومة التى هيئت لها المرأة، ووقاية من الزج فى الجهود المضنية التى تعطل فيها صحة أنسجتها العضوية، وتفسد عليها رقة الطبع وسلامة الأعصاب، فحاكاتنا الغروب تدفع نساءنا الحديثات إلى كل ميادين العمل الاجتماعى، ليسرن فى هذا السبيل من غير قيد ولا حذر، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التمادى فى التغرير بالمرأة، وتوريط المجتمع فى كوارث اقتصادية وخلقية حتى إن « أوجست كومت » وهو رأس من رءوس فلاسفة الغربيين كان يرى من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج وذلك لكى تتجه النساء وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة، ودعم أسسها، ومن إنعاش جو المحبة ومن إشاعة نسمات السلام، وذلك ما يوافق تعاليم الإسلام[1] » .

وقد أفاض الدكتور فى بحثه المركز بالرسالة فى الحديث عن مغريات العصر الزائف وسوء فهم الناس للحرية وانقلابها إلى فوضى عارمة تحفل بمعاول الهدم فى المجتمع، وتحدث عن قيود الأسرة فى عهود الهمجية الأولى قبل الإسلام، ومبررات من يزعمون الائتناس والبهجة فى اشتراك النوعين، ثم ندد بالاختلاط تنديدا صارما حين قال[2] .

« فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى والخمر، فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة، وبذل التظرف المصنوع، واتخاذ الابتسامات المنافقة، وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد، أو تدق دقات الزهو الأجوف، وإذا كان فى هذه المجتمعات من تعوزه يقظة الفضيلة

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٠٥ .
(٢) مجلة الرسالة العدد ٤٠٤ .

وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح للغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث فى هدم سعادة الأسر . . . الخ » .

وفى اعتقادى أن هذا البحث المنصف على إيجازه الدقيق نقد شديد لاذع لرسالة السوربون ؟ ! وكأن الأقدار العادلة شاءت للرجل أن يتولى هدم مزاعمه بنفسه ليقيم على أنقاضها فى كهولته العاقلة بناء أصيلا ينهض على الدعائم الراسخة والأركان الوطيدة ، ومما لاحظته على الدكتور أنه استشهد غير مرة فى بحثه الأخير بآراء الأستاذ محمد فريد وجدى فى كتابه « المرأة المسلمة » مع أن الأستاذ وجدى رحمه الله قد ألف كتابه هذا قبل أن يخط الدكتور رسالته الجامعية . وربما لو قرأها إذ ذاك لصححت وجهة نظره ، أقول ربما فقط ، لأن كتاب قاسم أمين كان ذا سحر أخاذ فى نفوس الشباب من امثال الدكتور ، فقارئه الشاب يغمض عينيه ليحلم بجنة مثالية للمجتمع الإسلامى تصبح بها المرأة حورية طاهرة قديسة ! ! ثم يفتح عينه ليرى القيود والسدود فتندفع أشواقه إلى الجنة البعيدة ، والمجتمع المثالى !! وقد كان الدكتور كذلك ثم فتح عينيه - بعد التجربة المريرة والفحص المتعقل - على ما انحدرت إليه المرأة فى مضمار العمل الشاق والاختلاط الدائب من أهوال ، فعرف الفرق بين الواقع الذى يعيشه الناس ، والمثال الذى يحلم به قاسم !! ورأى فيما كتبه الأستاذ وجدى منطقاً واقعياً يضع العلاج ويرسم الطريق فاستشهد به عن اقتناع ! !

إن من يعرف أن الدكتور منصور فهمى كان فى حياته العلمية متأثرا أشد التأثر بفلسفة « كانت » الألمانى التى تقوم على التفكير العميق فى ترجيح الشىء وضده ، ليقدر تمام التقدير أى تفكير حاد عنيف بذله الرجل فى سبيل المعرفة حتى اقتطف ثمرة إيمانه اقتطافاً حياً ، فوجد برد الراحة فى يقينه ، وعاش بقية عمره مثلج الصدر قرير النفس ، ولماذا لا نشبه بالإمام الغزالى حين تعرض لنوبة عارمة من الشك حبست لسانه فى حلقه وألجأته إلى صومعته الموحشة حتى إذا سطع نور اليقين على فؤاده أصدر كتابه (المنقذ من الضلال) فكان آية الآيات فى قوة اليقين وسلامة الاعتقاد ، والفرق بين الرجلين واضح بعيد ، ولكننا نقرن شكا بشك ويقينا بيقين .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بمعهد المعلمات بالفيوم

رائــد الفضـاء

للأستاذ محمّد محمّد خليفه

حدث يا رائد الفضاء لعل حديثك يهدى السادرين فى ظلمات الحيرة الغارقين بين متاهات الشكوك والظنون ، إلى الحقيقة التى هتكت معالمها فى الفضاء ، إلى الحقيقة التى أذهلتك حين شاهدت الأرض معلقة وليس هناك مايحملها وكل ما حولها فراغ ... فراغ .

إلى الحقيقة التى جعلتك تسأل نفسك فى دهشة ترى ما الذى يبقيها هكذا معلقة هناك .

إلى الحقيقة التى فوق طاقة الدنيا وما فى الدنيا ومن فى الدنيا . حقيقة القادر الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا .

حدث يا رائد الفضاء عن الكرة الأرضية : عن جبالها ووديانها وبحارها ، وعن ظلها الذى عشت فيه ساعة من الزمن وعن المحيطات الشاسعة التى تتخللها وتحيط بها ثم عنها جميعها وهى معلقة فى الفضاء كما تشاهدها على (الخريطة) ثم سل المنكرين معى ! قدرة من تلك التى جمعت اليابس والماء وجعلت منهما كرة معلقة تدور فى هذا الفضاء ؟ .

وأية قدرة هذه التى أمسكت الماء فلم يطغ على الأرض حين دورانها وصانت الأرض فلم يحطم الماء على الأحقاب صخرها ولا أذاب ترابها ؟ فإن طلبوا الجواب فقل لهم : إنها القدرة التى فوق كل قدرة . إنها قدرة الله .

لقد شاهدت الأرض بعد احتجاب أشعة الشمس وأحسست بالجمال : جمال المنظر وجمال الألوان وجمال المشهد نفسه ، فقل لمن يجحد الصانع الحكيم : إن هذا الجمال الذى يشاهد فى المنظر والألوان والمشهد أسمى وأعظم من أن يصنعه البشر وإن طبيعته تشير إلى صانع تولت قدرته إبراز المناظر فى صور تذهل اللب وتسحر الناظر ، وكيف لا وذلك الجمال من صنع الله ؟ .

ورأيت الأرض تسبح فى مدارها مقيدة بفلكها لا تخرجها عنه غضبة الطبيعة ولا يؤرجحها ثوران الأنواء بل هى أبدا تبدو ساكنة لا تحس لها قلقاً ولا اهتزازاً ، فقل لمن كفر بنعمة الخالق فى جعلها ساكنة وهى جياشة هادئة وهى دائرة لينعم البشر فوقها بالسكون والاستقرار . إنما دبّر ذلك المدبر : من بيده ملكوت كل شىء من له مقاليد السموات والأرض .

حدث يا رائد الفضاء عن ذلك الفضاء الواسع الذى تضل فى تحديده العقول بل تعيا فيه الأوهام والظنون وقد رأيت ما حول الأرض من فراغ . . فراغ يقصر عن بلوغ

مداه علم البشر ولا يصل إلى غايته ما يصنعه من سفن وغير سفن ، فقل للتطلعين إلى ذلك الفضاء : لا أحد يعلم مداه ، إنما علم ذلك عند مَن مدّ الفضاء ، عند العزيز الجبار ، عند الله .

ثم لماذا كانت عوالم الفضاء تنتظر خيال الشعراء وأقلام الرسامين ولا تنتظر عقول العلماء والمفكرين ليلتقوا هنالك وليسرحوا أبصارهم وليرسلوا بصائرهم تجول فيما وراء هذا الكون تستشف الحقيقة من العوالم البعيدة عن هذه الأرض التي غيرت المادة وظلماتها كل ما فيها وصرفت عن التفكير فيمن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

لقد دارت بك سفينة الفضاء واقتربت بها من النجوم فرأيتها أكثر تألقاً وسطوعا ورأيتها معلقة كما رأيت القمر كذلك فقل للمرتابين والمشككين إن صاحب القدرة التي علقت النجوم والقمر والشمس وأدارتها في أفلاكها بإحكام فهي لا تصطدم أبداً وهي لا تحطم أبداً حتى يحين انشقاق القمر وتكوير الشمس وكدرة النجوم وانتثار الكواكب وانفطار السماء وزلزلة الأرض ، صاحب هذه القدرة خليق بأن تعنو له الوجوه وتؤمن به النفوس هو الحي القيوم هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

يا رائد الفضاء :

لقد بلغت بسفينتك من السمو ما لم يبلغه أحد من البشر قبلك على مثل هذه السفينة المزودة بأجهـــزة الإرسال والاستقبال والتصوير والحساب وغير ذلك وعلوت بها إلى ما عجز عنه الطيران المختلف وقضيت في الفضاء خمسا وعشرين ساعة درت فيها حول الأرض دورات ، فحدثنا : هل رأيت تحت السماء عمداً تعتمد عليها وتصون فوقها عوالمها وهل صورت أجهزة السفينة شيئا من تلك العمد التي عساها قد خفيت على سكان الأرض ثم هل رأيت في تلك السماء التي عملت فيها يد القدرة البناءة شيئاً من الفطور أو التفاوت في أجزاء ذلك البناء ؟ فإن لم تكن شاهدت السماء عمداً ولا رأيت في خلقها فطورا ولا تفاوتا فقل لمن وهبوا العلم حياتهم وكرسوا له جهودهم : إنكم أولى الناس بالإيمان بهذا القادر الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . رفـــع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها .

وقد رأيت القمر في موضعه من الأرض والشمس ، ورأيت أشعة الشمس تنفذ إلى صفحته ثم تنعكس إلى الأرض فضية لامعة وفي ومضة تحدث حركة الاستقبال والانعكاس على البعد الذي بين الشمس والقمر ثم الذي بين القمر والأرض فمن ذا الذي جعل في أشعة الشمس ذلك النفاذ وفي صفحة القمر الاستقبال والانعكاس ؟ إنه الحكيم تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً

ولقد كنت تخشى فى رحلتك سيل النيازك ونشاط الإشعاع الشمسى ، فقد آمنتم بقوة النيازك وخطر الإشعاع الشمسى ، وآمنتم وراء ذلك بأن القوة الحرارية المودعة فى الشمس تخيف وتحرق وتدمر كل من يتطلع إلى طبقات الفضاء العليا ، فسل أولئك الذين جنحوا عن رب الشمس والقمر والأرض والسماء : من الذى خلق النور والحرارة فى الشمس ؟ ومن الذى أمد القمر بنور الشمس ومن الذى أودع القوة الحرارية الجبارة فى الشمس وجعلها فى بعد بحيث ينتفع بالطاقة التى يحتاجها الإنسان والنبات والحيوان فإن أخرسهم طغيان الجحود فقل لهم: هو الله الذى سخر لكم الشمس والقمر والنجوم.

أيها الرائد :

كنت رائد قومك إلى الفضاء ، إلى الكشف عما غاب من عوالمه عن البشرية من الأجواء والأنواء والنيازك وحالة الشمس ونشاطها الإشعاعى، فكن رائد قومك إلى خير الدنيا والآخرة ، إلى الإيمان بمن خلق السموات والأرض .

إن الأرض التى كانت معلقة فوق رأسك وأنت تدور آية من آيات الله .

وإن القمر والنجوم والشمس التى تعلقت كلها فى هذا الفضاء من آيات الله وإن الكون الذى لا ندرى مداه كله من آيات الله .

فقل لكل من نحاه العناد عن التفكير فى الحق : إنى ما رأيت الله ولكنى رأيت آياته البينات التى تشير إليه والتى تنطق بأن هنالك قوة أعظم من النجوم والقمر والشمس والسماء ، هى القوة الخالقة ، وأن هذه القوة تتحكم فى كل ذلك وتدير وتدبر كل ذلك .

وصاحب هذه القوة خليق بأن يدين له الكون ومن فيه، وخليق بأن يؤمن به الناس لأنه رب الناس ملك الناس .

أيها الرائد الذى تجرد حينا من ظلمات الأرض حين رآها معلقة لا يحملها شىء فسأل ما الذى يبقيها هكذا ليمسك بأول خيط الحقيقة ، قل لقومك ما قاله أعظم رائد عرفته الأرض والسماء حين راد قومه إلى الله فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ... إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

أيها الرائد :

قل لرواد الفضاء الذين ستنطلق بهم السفن بعد : تنبهوا هنالك الآيات وأرسلوا عقولكم وراءها تستجلى الحقيقة التى تطل من كل آية على الألباب التى تخيم عليها ظلمات الجحود أو التقليد ثم عودوا إلى عالمنا فهزوا موجات الأثير بصيحات الحق : الله أكبر، الله أكبر ؟

محمد محمد خليفه
المدرس فى الأزهر

الوحدة العربية في شعر الرصافي

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

شاء الله للرصافة الواقعة شرقي دجلة في بغداد أن تسمو مكانتها بشاعر عربي حر يحمل اسمها وضاء يرف سناه في كل مكان بنور الحرية والعروبة ، إذ بها شاعرنا العربي «معروف الرصافي» .

والشاعر الصادق إنسان شفاف الإحساس حاد الذكاء قوى الإدراك يحب لأمته الخير يرجو لها النهوض والتقدم ويدفعها إلى اعتناق المثل العالية وإلى العمل على تحقيق الغايات السامية . وشاعرنا في طليعة فحول الشعراء الذين ضربوا بسهم وافر في التحلي بهذه المفاخر جميعها .

وللشعر عين لو نظرت بنورها - إلى الغيب لاستشففت ما في بطونه . والعبقريات الفذة والنفوس الطلعة تعرف مقدار ما للإنسانية من سمو واحترام ، وتعرف أن الله خلقها حرة طليقة في هذا الوجود ومن حقها أن تتنسم عبير الحرية وتستظل بأدواحها الوارفة وتتنقل بين أفنانها النابضة بالحياة وتعبر عن وجودها في قوة وثبات .

وبمقدار حب النفوس للحرية وتعطشها لرحيقها نرى قوة الدفاع عن حياضها والدعوة إلى رحابها . وقد أشرقت روح الحرية والقوة واضحة جلية أخاذة في شعر الرصافي فقد حمل علم الثورة على أعداء الحرية والعروبة فثار على الحدود المصطنعة والخطوط الوهمية التي رسمها الاستعمار بدسائسه وفتنه وغدره ليجعل منها حاجزاً منيعاً وسوراً حديدياً بين أمم العروبة التي يجمعها لسان عربي مبين .

والمتصفح لديوان الرصافي يجد تحمسه القوى ودعوته الحارة للوحدة العربية في كل مناسبة وأنه لم يمل العزف بهذه النغمة الحبيبة . وتحريك ذلك الوتر الحساس في وقت كان فيه الاستعمار له سطوته وصولته يتحكم بها في الشعوب ولغاتها وأرزاقها . وقد رأينا من جراء هذا الاستعباد الاستعماري وتفرقته بين الشعوب كثيراً من الشعوب الإسلامية وزعمائها ، ولغتهم القرآن العربي المبين ، لا يستطيعون التحدث بالعربية لأن الاستعمار فرض عليهم لغته وعزلهم عن أبناء جلدتهم بألاعيبه وفتنه .

وشاعرنا لا يرضى بهـذه التفرقة بل يدعو إلى الاتحاد والتعاون والإخاء وإنكار الذات ونسيان الأحقاد والفوارق الدينية فى سبيل رفعة العروبة ووحدتها .

فيقول :

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان ، وأوطان ، وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال قرآن . ؟
تمسكم إلى المجد المؤثل تغلب
كما قد تمتكم للمكارم غسان
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
تصافحكم فيه نزار ـ وعدنان
أجب أيها الندب المسيحى مسلما
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
ألا فانهضا نحو العلا وكلاكما
لصاحبه فى المأزق الضنك معوان

والنهضة الحقيقية عند الشاعر هى التى تضرب خيامها البيضاء على مغانى العروبة جميعها وتشرق فى سمائها الصافية وحدة أساسها الإيمان والإخلاص والأخوة والتضامن لرفعة العروبة .

ستنهض للمجد المؤثل نهضة
يقربها «حوران» عينا و «لبنان»
وتعتز فى أرض الشآم دمشقها
وتهتز من أرض العراقين بغداد
وتطرب فى البيت المقدس صخرة
وترتاح فى البيت المحرم أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب
فيحمدها شيخ ويشكر مطران

شاعر العراق يبايع مصر بالقيادة :

وشاعرنا مؤمن بالعروبة والوحـدة الكبرى أمر طبيعى ، فلا بد أن تشرق شمسها وضاءة المحيا فى يوم من الأيام ، وكأنه كان يستشف بذكائه وشاعريته أحداث المستقبل المشرق فهو يسلم لواء القيادة لمصر تاج العروبة

إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

والشاعر الرصافى يدين لمصر بالحب والولاء يزف لها التحايا متصلة ويترجم لغة الأمواج فى دجلة والفرات بأنها تحية للنيل رب الشعر والخطب ، ومصر تاج العروبة يصاغ لها من أندر المعادن وأكرمها ، قامت بها دولة السيف مثل دولة العلم منذ طلعت شمسها فى الشرق عند الفتح الإسلامى من أفق الفسطاط :

منى إلى مصر ذات المجد والحسب
تحية ذات ود غير مقتضب
تدلى بها دجلة اللسناء عن مقة
منها إلى النيل رب الشعر والخطب
إذا العروبة حلت عرش دولتها
فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

كم قام للمجد فى أرجائها علم
تهفو ذؤابته بالعلم والأدب
قامت بمعترك الأسياف دولتها
من قبل معترك الأقلام والكتب
من أفق فسطاطها فى الشرق قد طلعت
شمس إذا غاب قرص الشمس لم تغب
إنى أرى مصر والتاريخ يشهد لى
تحيا بعرف بها من منتضى العرب
يمت للعرب ماضيها وحاضرها
بنسبة غضة فى المجد والحسب

وشاعر الوحدة العربية يعيش بقلبه ونفسه وسط أحداث العروبة وبلدانها فتراه يصدح ويحلق فى أجوائها ، ونحن هنا نذكر طرفا من أشعاره كنماذج للثروة الضخمة التى حلى بها جيد بلدانها .

الجزيرة العربية :

يتحدث الشاعر عن الجزيرة العربية مشرق صاحب الرسالة وحامل لواء الوحدة الشاملة الذى غمر العالم بأضوائه الربانية ووحد بينهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا :

كفى الجزيرة فخرا من مفاخرها
قبر أناف بها قدرا على الشهب
قامت بصاحبهم للعرب نهضتهم
تذكو بعزم لهم كالنار ملتهب
قد وحدوا الله عن علم فوحدهم
روحا تخيلوا لأم كلهم وأب
إذ أصبحوا كبنى الأعيان تجمعهم
لله وحدتهم فى كل مطلب
ما كانت الناس فى أيام دولتهم
إلا سواسية فى الحكم والرتب
من أجل ذاك الرعايا فيهم اندمجوا
مستعربين وما كانوا من العرب

طرابلس الغرب :

وهى العاصمة الثانية للملكة الليبية المتحدة التى تضم تحت لوائها ثلاث ولايات : برقة ، وطرابلس الغرب ، وفزان . وطرابلس مدينة جميلة مشيدة البناء بها كثير من الآثار التاريخية تقع على ساحل البحر الأبيض ولها تاريخ مجيد فى الكفاح والبطولة ولقد لمست فى أهلها الأخلاق الكريمة وحبهم العظيم لمصر وقائدها الزعيم جمال بطل العروبة ولقد شهدت هذه المدينة المعارك الدامية منذ سنة ١٩١٢ ضد الاستعمار الطليانى وشاعرنا يسهم فى المعركة بشعره فيقول :

لك الله يا قتلى طرابلس التى
بها حكم الطليان أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية
إلى أن أحالوا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
فعاد الفضاء الرحب فى عينهم شبرا

تقهقر يبغى فى البلاد تحصنا
فقر بها من خشية الموت[١] واستذرى

تونس :

وشاعر العروبة يشعر بأواصر المحبة والصداقة بين بلدان العروبة ومغانيها التى تجمع بينها روابط قدسية توحد بين صفوفها رغم التيارات السياسية المفتعلة التى لا ثبات لها أمام قوة الحق :—

أتونس إن فى بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
إلى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آية سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وإن قضت السياسة بالبعاد
وإن المسلمين على التآخى
وإن أغرى الأجانب بالتعادى
يحييك العراق برافديه
تحية مخلص لك فى الوداد

وقفة أمام بطل الوحدة صلاح الدين الأيوبى

يدعو الشاعر العرب ليحيوا بطل العروبة صلاح الدين الأيوبى وهو بذلك إنما يدعوهم للوحدة والتكتل فى وجه الغرب .

خليلى قوما فى نطأطئ رءوسنا
إلى جدث تعنو لمن ضم أجيال
لدى الجدث الفرد الذى فيه قد ثوى
من الملك الفرد ابن أيوب رئبال
حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
لينهض ثاو فى مطاويك مفضال

الوحدة العربية طريق الفلاح :

وعند الرصافى أن الطريق العملى لنجاح العرب وفلاحهم هو السير قدما فى ضوء الوحدة العربية وأن من العار الاستسلام للتفرقة التى فنيت بها بعض دول العرب مخالفة بذلك الطريق القويم والتعاليم السماوية :

لا تكتفوا بافتخار فى أوائلكم
فنشوة الخمر لا تغنى عن العنب
بل فانهضوا للمعالى مثل نهضتهم
واستعصموا باتحاد محكم السبب
كانت أوائلكم فى وحدة تركت
أعداءهم قددا فى قبضة الرهب
سلوا بذلكم اليرموك واديه
فإنه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الأبطال يخبرنا
إذ فل جيش العدا بالقتل والهرب
والقادسية عن سعد محدثة
بقتل رستم رب العسكر اللجب
إذا علمنا بأن النصر طالعهم
من أفق وحدتهم ، لم يبق من عجب

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق الدينى

[١] استتر واختبأ .

الفقه في الدين أمان من الزلل

للأستاذ علي العماري

من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، هذا حديث نبوى كريم ، وهو من أصدق الكلم وأنفعها ، وأحقها بأن يتمثله المؤمن فى كل صباح ومساء ، حتى يحقق لنفسه الخير ، ويضمن لعقيدته السلامة ، ولعمله القبول .

وإذا كان الدين ضرورة لازمة لحياة الفرد ، ولحياة المجتمع الإنسانى بأسره حياة سعيدة كريمة ، فإن فهم الدين على حقيقته أكثر لزوما . وما ابتلى العالم الإسلامى بشىء أشد من ابتلائه بفهم الاسلام فهما سطحيا ساذجا ، ولو أن بعض المسلمين ممن فاتتهم الدراسة العميقة وقفوا عند علمهم ، ورجعوا إلى أهل العلم فى المشاكل الدينية أو حاولوا أن يستكملوا ما نقصهم ، ثم تصرفوا وكتبوا على قدر ما يعرفون لأمنا كثيرا من الأخطاء .

والناس ـ إلا قليلا ـ أحرص على سلامة أبدانهم منهم على سلامة أديانهم ، ولو تعهد المؤمن دينه كما يتعهد أى شأن من شئون دنياه لمشى على الماء ، ولكن أمر الدين من الهوان عند بعض الناس إلى حد أنه يقول فيه بغير علم ، ويتقحم على الفتوى بغير اكتراث .

ونحن لم نقل أبدا : إن دراسة الدين قصر على طائفة دون طائفة ، ولا إن فى الإسلام كهنوتا كما يحلو دائما لبعض الناس أن يتقولوا على رجال الدين ، وهى تهمة اعتاد العابثون بتعاليم الإسلام أن يلقوها فى وجه كل عالم يريد أن يردهم إلى الصواب ، أو يعاسرهم الحساب على ما يقترفون من نكر حين ينشرون فى كتبهم أو فى مقالاتهم ما لا يتفق ونصوص الدين .

قال مؤلف مرة فى أحد كتبه : إن ضرب الرجل زوجته من شريعة الغاب ، ولما قيل له وماذا تقول فى قول الله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » ، هل يكون تشريع الله وحشية وافتئاتا على حقوق الإنسان ؟ لما قيل له ذلك صاح : لا كهنوت فى الإسلام ، كأنه يريد أن يقول دون أن يجد من يقول له أخطأت ، ومن يدعو إلى رده إلى الصواب حتى لا يفسد عقائد الآخرين ، والناس فى كل عصر وفى كل مصر يقفون فى وجه كل

من يحاول أن يفسد على الناس شئون حياتهم، فكيف ينكر على العلماء أن يقفوا فى وجه من يحاول أن يفسد على الناس دينهم ؟!

ولا أدرى لماذا يلجأ الناس إلى كبار الأطباء ليعالجوا أمراضهم الجسمية، ولا يلجأون إلى كبار العلماء ليعالجوا أمراضهم الروحية ؟ ولماذا يتحرج صغار الأطباء من إجراء عمليات جراحية خطيرة، ويحيلونها على أساتذتهم، ولا يتحرج أصحاب الدراسات الضحلة فى الدين من القول فيه بغير علم ؟.

إننا نؤمن بأن دين الله للجميع، وأن علوم الدين حرم مباح لكل من يريد أن يوسع دراسته الدينية، ولكننا نقول مع ذلك إن القول فى الدين يحتاج إلى تخصص، وإلى دراسة عميقة واعية متأنية، وإنه ليس من حق كل من قرأ آيات من القرآن، ونظر فى بعض كتب السنة أن يقول ما شاء.

إن بعض العلماء السابقين كانوا - مع طول دراستهم فى علوم الدين، وصحة أفهامهم - يتورعون فى كثير من الأحيان عن الفتوى، ويحجمون عن تولى القضاء، وكان العالم منهم إذا أخطأ فى فتوى أعلم الناس بخطئه، ولم تأخذه العزة والكبرياء أن يقول: إنى أخطأت، وقد حدث أن أفتى العز بن عبد السلام - وكان يلقب بسلطان العلماء - أفتى رجلا فى أمر من أمور الدين فلما رجع إلى كتبه تبين له خطأ فتواه، فأمر من ينادى فى مصر والقاهرة، من أفتاه العز بكذا فلا يعمل به، فقد أخطأ.

أما نحن فكل إنسان يدعى لنفسه الحق فى الحديث عن الدين، وعن أصول الشرع، وإن لم يكن له باع قصير أو طويل فى الدراسات الإسلامية.

وسأضرب أمثلة من هذه (التورطات) لنرى إلى أى حد تجنى الجراءة على دين الله على أصحابها، وعلى المجتمع.

مسألة الفقر والغنى مسألة عالجها الإسلام معالجة صريحة واضحة، ولا يوجد إنسان فيه معنى الإنسانية، ولا يوجد مؤمن صحيح الإيمان ينكر على الفقير حقه فى مال الغنى، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «ما آمن بالله من بات شبعان وجاره بجواره طاو».

وقد شرع الإسلام وسائل كثيرة بعضها عن طريق الإلزام وبعضها عن طريق الاختيار تكفل للفقراء حقوقهم، وتوفر لهم أقواتهم وأقوات من يعولون، ولم يتوان أحد من رجال الإسلام المخلصين لدينهم فى تنفيذ هذه السياسة الإسلامية الرشيدة وقد شن أول خلفاء الإسلام حربا ضروسا كان سببها الأول منع الزكاة وقال فى ذلك قولته المشهورة: «والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه».

وجرى كبار الصحابة على هذه السنة ، وعمل فقهاء المسلمين على وضع الأسس السليمة فى هذا الشأن ، وخلاصتها : أن المسلمين لو عملوا بتعاليم دينهم على وجه مرض لما وجد فقير يشكو الحاجة .

كل هذا نحن نؤمن به ، وندين الله عليه ، ونود ـ دائما ـ أن تنفذ أحكام الإسلام حتى يتحقق للمجتمعات الإسلامية ما كفله لها الإسلام من عيشة راضية طيبة ، وحياة رغدة سعيدة .

ولكن للمسألة وجها آخر ، ذلك أمر يتصل بالعقيدة ، فنحن ـ المسلمين ـ نعتقد أن كل شيء من الله ، ونؤمن بما تضمنه هذا البيت ، وهو مشهور فى كتب العقائد .

وكل شيء بقضاء وقدر
وكل مقدور فما عنه مفر

نحن نؤمن بهذا ، فالصحة والمرض والغنى والفقر ، والذكاء والبلادة ، كلها مقدرات من عند الله وفى القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة تدل على هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : (وأنه هو أغنى وأقنى) وقوله تعالى : « له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم » . وقوله تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » ، وقوله : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

فهل بعد هذا يحملنا التحمس لإعطاء الفقير حقه أن نقول : إن شيئا فى هذه الحياة ليس من الله ، وإنما هو أمر صنعه الناس ، ووضعوه فى أذهان الفقراء ، فننكر بذلك نصا صريحاً فى كتاب الله .

إن الله الذى قال : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً » أمر فى الوقت ذاته هؤلاء الأغنياء أن يعودوا بفضل ما لهم على الفقراء . وأمر الحكام أن ينظروا فى مصلحة الرعية ، وأن يأخذوا من أغنيائها ليردوا على فقرائها فلا منافاة بين بين قضيتين ، الله هو المقدر للغنى والفقر ، وهو الذى جعل الناس طبقات ، وبين أن يأخذ كل إنسان حقه من مال الله الذى فى أيدى الأغنياء ، وإذا وجد من الناس من غفل عن إحدى هاتين القضيتين فينبغى رده إلى الصواب ، ولكن لا يكون ذلك بإنكار القضية التى يتبسط فى الحديث عنها ، وإنما يكون بوضع القضية الأخرى بجانبها ، وبذلك تسلم المؤمن عقيدته ، ويؤدى حكم الله كما نزل ، فإذا وجد من أشباه العلماء فى القديم أو فى الحديث من ذل للطبقات المستعلية وأخذ يعينها على استعلائها وجبروتها ، ويخدر

الطبقات المستدنية ، ويفهمها أن حالها لن تتحول ، فالإسلام برىء من هؤلاء ، لأن الله الذى قدر المرض أوجد الدواء للشفاء منه فالمرض مقدر والبحث عن الدواء مطلوب .

ومثل آخر :

القضية المعروفة عندنا فى الإسلام أن الآخرة خير وأبقى ، وأن رحمة الله خير مما يجمع الناس من الأموال ، وأن الغاية من كل عمل يعمله المسلم الصادق الإسلام إنما هى طلب ما عند الله من الثواب ، وبذلك جاء الإسلام ، ونصوصه صريحة واضحة ولكن كاتبا ـ لا أسميه ـ أخذ يعيد ويزيد ليفهم القراء أن « الدنيويات مفضلة على الأخرويات ، وإن قلنا بغير ذلك » تخلفنا عن ركب الحضارة وانحدرنا وانحدر الإسلام معنا إلى حيث لا يكون شيئا ، و « أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الإسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات » .

كل هذا كلام لا يتفق ونصوص الإسلام ، ولا يتوادم مع روحه ، فالله سبحانه يقول : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » ويقول مخاطبا رسوله الكريم : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير مما يجمعون » ونصوص أخرى كثيرة .

والعمل للدنيا واجب ، وهو فى طبيعة الإنسان ، والعمل للآخرة واجب كذلك ولكن الآخرة خير من الأولى ، والمسابقة يجب أن تكون إلى مغفرة الله ورحمته ولينظر من يشاء فى هذه الآيات : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان،وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،والله ذو الفضل العظيم » . « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » وكيف يكون القول بأفضلية الآخرة على الدنيا انحدارا بنا وبالإسلام إلى أن يصبح لا شىء . هذا عجيب ! .

ونحن حين نلتمس لأعمالنا سندا من نصوص الإسلام أو من روحه إنما نريد أن يطمئن المسلم إلى هذه الأعمال ، ولا ينفر منها ، واطمئنان الناس إلى أى عمل هو الدعامة الأولى لنفعه وبقائه ، فلا ينبغى أن نلجأ إلى التخيلات لنؤيد بها أعمالنا ، وقد قلت : إن للإسلام وسائل كثيرة لإيصال حق الفقير إليه ، وهذه الوسائل بين أيدى

العلماء والدارسين ، ولكن كاتبا أراد أن يشرع لنا تشريعا جديدا، فأضر بذلك القضية أكثر مما نفعها لأنه بناها على كليات استنبطها هو ، وهذه الكليات تحكم الفطرة فى حدود تتسع لما يمكن أن يبلغ الإنسان من تطور فى حالات حياته ، وأول هذه الكليات أن الإسلام قد جعل من أجل الإنسان ، ولم يجعل الإنسان من أجل الإسلام ، وإذن فكل إصلاح اجتماعى أو تشريعى تقوم الدلالة المادية على أنه من صالح الإنسان يكون بذلك من روح الإسلام » .

أليس هذا كلاما غريبا ؟ مصادر التشريع عندنا هى: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا نعرف أحدا أقر أن يفتى أحد دون أن يعرف هذه المصادر ، فضلا عن معرفته بوجوه المتشابه .

فمن أى مصدر من هذه المصادر أخذ الكاتب فتواه هذه ؟ مصلحة الإنسان شىء جميل ، ولكن من يقدر هذه المصلحة ، أظن أن المصلحة كانت مكفولة فى كثير من الأنظمة القديمة التى لا تمت إلى الإسلام بصلة . وإذا شاء قائل أن يقول : إن الدلالة المادية تقوم على أن مصلحة الإنسان فى الشيوعية كان معنى ذلك أن الشيوعية من روح الإسلام ، وإذا أراد آخر أن يقول: إن مصلحة الإنسان فى الرأسمالية ، ويقيم الدليل المادى على ذلك ، كانت الرأسمالية من روح الإسلام . وهكذا تجمع روح الإسلام بين نظامين اقتصاديين متناقضين .

* * *

ولا أدرى لماذا يتعرض الإسلام لحملات ظالمة من بعض الكتاب، إلا إذا كان الغرض من ذلك أن نترك هذا الدين ، أو نترك تعاليمه مع أنه ليس فى تعاليم الدين ما يحول دون أى إصلاح اجتماعى معقول ، ولكن يحلو لبعض الناس أن يرمى الإسلام بالجمود والتخلف ، ويرمى علماءه بالانحراف عن سواء السبيل ، فهذا كاتب يهذى ويقول : إن الشعور الدينى من أكبر الدعائم التى يعتمد عليها كل انتكاس وطنى واجتماعى خطير ، وطبيعى أن يقذف الأزهر ، وهو المربى لهذا الشعور الدينى ، بعوراء منكرة فيقول : والتعليم الأزهرى صورة منحرفة من صور استغلال الدين والاعتماد عليه كأداة لتعطيل التطور ، بل يرمى التراث الإسلامى بكلمة نكراء فيقول : إن التراث الإسلامى نشأ فى أحضان حكام ظالمين .

أى جهل هذا ؟ وأى تجن على الحقائق ؟ أنا لا أعرف خلطا وخبطا مثل هذا إن لعلماء الإسلام السابقين الذين وضعوا التراث الإسلامى مواقف جليلة فى خدمة البشرية ، والذى يقرأ كتبهم يوقن بأنهم وضعوا أدق

(البقية على صفحة ٧٣٢)

فريضة الصلاة تطهير للنفس

للدكتور محمد غلاب

سنتحدث فى إلماعات عاجلة عن الحكمة والحقيقة والعدالة والسكينة والنبل الخلق الذى بلغ حد الكمال ، وقد يبدو غريبا - إن لم يكن داعيا إلى السخرية فى هذا العصر - أن يتحدث المرء عن هذه المبادئ الرفيعة وأن يدعو إلى السكينة الروحية فى وسط هذا القلق النفسى الذى يكتنف العالم ، وذلك الشقاء المعنوى الذى يحدق به إحداق السوار بالمعصم . أو أن يتحدث عن العدالة المثالية فى وسط ذلك الخضم الدولى المائج بالمظالم ، المفعم بالأنانية والوحشية والطغيان . ولكن رسالتنا فى هذه الحياة تحتم علينا ألا نغفل أى مبدأ من هذه المبادئ السامية لنحارب أضدادها بكل ما أوتينا من قوة ، وإلا جارينا غيرنا من أهل العصر فى الاستهتار ، أو فى الإغضاء عن الرذائل ، أو فى الاكتفاء بالسخط القلبى عليها ، وهو أضعف الإيمان ، قد يأخذ علينا البعض أننا نعنى بالمبادئ الرفيعة فى عصر بل فى عالم أصبحت الأكثرية الغالبة من أهله عملية بل مادية ، وأن نصائحنا ستذهب صرخة فى واد أو نفخة فى رماد ، وأن الناس فى وسط ضوضاء هذه المدنية الصاخبة ، لن يستجيبوا لنا ، وأن الحكمة تقضى علينا بأن نشغل بشئ مثمر بدلا من هذا العبث المحقق وأن نعنى بأمر منتج كمعالجة الآلام المادية للفقر والمرض مثلا فإن نتائج جهودها أسرع ، وثمار العمل فى حقولها أنفع ولكن هذا خطأ ، فاقتناص الثمرة العاجلة ليس من الحكمة دائما إذ أنه عندما يهدد النهر مثلا قرية من القرى فإن ارتقاب الثمرة العاجلة يقتضى من أهل تلك القرية سرعة إنقاذ أمتعتهم من طريق الفيضان . بينما أن الحكمة أو الإذعان للمبادئ العالية يتطلب منهم أن يتجهوا فورا إلى التعاون والتضافر على تقوية الحاجز العام الذى يقى قريتهم وغيرها من قرى الدولة ، من الغرق . وإذن يجب أن تتجه الآمال نحو المبادئ العاليـــة ، وصوب صالح الجماعة ينبغى أن تسير كل الجهود متكاتفة متعاونة مبتدئة من تعاليم السماء ، منتهية إلى تطهير المجتمع من أدوائه الخلقية ، وذلك لعمرى أخلد المجهودات ، وأنفع الثمرات ، وقصوى الغايات وعليا السعادات .

ليس لهذه الكلمات هدف آخر غير دعوة

ذوى الاستعدادات الصالحة ، والنيات الصادقة ، والمقاصد الخيرية إلى التنقيب عن أصول الفضائل النفسية العظمى التى نبعت من مبادئ الإسلام الفطرية ، والتى توجد عناصرها فى الكتاب الكريم والسنة الغراء ، والتى برزت للعيان فى تلك المبادئ الرائعة وهاتيك الشعائر الساطعة ، وإلى التأمل فى دلالاتها التى تنتهى حتما إلى مضاعفة القوى الأمينة التى لا تقبل الفساد ، ولا يلحقها الدنس ، والتى إذا غذيت بالتأمل تمت لها السيطرة على الحياتين الباطنية والظاهرية . وبيان هذا أن النفوس البشرية فى أمس الحاجة إلى الهدوء والسكينة ، لأن ضجيج الحياة المادية وعجيج الرغبات الحسية وصلصلة أصوات الأثرة والأنانية ، تجفف النفوس ، وتجعلها أشبه الأشياء بالأرض الفاحلة المقفرة فى نهاية الصيف القائظ حيث تكون فى أشد حالات الافتقار إلى الماء الذى يعيد إليها حياتها وخصوبتها . ومن ثم فإن تلك النفوس قد أصبحت دائبة التطلع إلى المثل العليا التى تقدم إليها هذه المعونة اللازمة لسكينتها التى فقدتها فى وسط تلك الضوضاء الحيوانية . ومن ثم أيضا كان كل ما يعينها فى العثور على طريق هذا الملجأ الخفى ، ويقدم إليها مفاتيح سر الحياة الباطنية ، هو الذى يحقق لها تلك السكينة المنشودة ، وهناك فقط تستطيع أن تظفر بالاعتدال والانسجام والثراء الخلقى الذى هو وحده الوسيلة المثلى التى ترفع الإنسانية ، لأن التقدم الحقيقى هو تقدم النفس لا تقدم الجوانب الدنيا فى الإنسان . ولا غرو فتلك المبادئ الإسلامية التى سنمر بها معك ، كانت كلها منابع طهر وسمو ونور ظهرت فيها عناصر الفضائل الخلقية والفوائد الاجتماعية على يدى ذلك النبى الجليل الذى كان بريد الرحمة السماوية التى أنقذت البشرية من أدوائها وأقالتها من عثراتها ورسمت لها طرق سعادتها وهنائها .

ومن الوسائل التى أراد الله بها السعادة للمسلمين تلك الفرائض التى أمرهم بها أمر المستغنى الذى لا يناله شىء من تلك العبادات وإنما أمرهم بها لتطهيرهم وتسييرهم نحو المثل الأعلى فى الكمال كالصلاة التى سنتحدث عنها اليوم والتى كان لها فى فجر الإسلام أثر رائع يتبينه الباحث فى تاريخ هذا الدين واضحا جليا .

فى ليلة المعراج التاريخية الساطعة فرضت الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ إنها هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والتى لو لم تنتج هذه النتيجة لم يزدد فاعلها من الله إلا بعدا ، والتى ليست مجرد حركات ظاهرية لا روح فيها ولا حياة إذ لو كانت كذلك لكانت عبثا رخيصا يترفع عنه أقل عقلاء البشر

فضلا عن أحكم الحاكمين ، الذى ليست قصوى حكمة الحكماء إلى جانب حكمته سوى قشور أو طفولة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما مرماها الحقيقى هو ألا يهمل الإنسان نفسه تتيه فى ضلالات المادة ، وتنغمس فى بحار الرغبات الدنيا غافلة عن ربها وضميرها متناسية مبدأها ومصيرها .

ومن هذا يبدو أن من أبسط التعريفات التى يمكن وضعها للصلاة هو إدامة التفكير فى النفس ، ووزن مقادير اقترابها من خالقها وابتعادها عنه بسبب مزاولتها للفضائل والرذائل ، والثقة بأنها تمثل خمس مرات فى اليوم بين يدى من : « يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

ولا ريب أن هذا المثول المتكرر بين يدى الله يحفز أقسى القلوب ، وأجف النفوس إلى الشعور بسلوكها والخجل من آثامها ، والندم على ما فرط منها من ذنوب وسيئات ، والتصميم على عدم العودة إلى مخالفة هذا الإله الأعظم الذى سيمثل بين يديه فى الصلاة الآتية بعد قليل . وبهذا يظل نحو ربه على ذكر دائم لا يعتوره النسيان رغم تلك الفوضى النفسية الناشئة عن ضوضاء المادة ، وضجيج الرغبات وتلك أولى مراتب الطمأنينة والسلام.

وبعبارة أوضح موضع طريق الفوز والنجاة ، وعلى أثر وصول المؤمن إلى هذه المرتبة تبدأ درجات صعوده نحو الكمال . وفى الحق أن هذه الدرجات التى تحققها الصلاة الحقة للمصلين الذين يبتغون وجه الله وحده ، ليست بالشىء الهين إذا تأملنا فى أولئك الذين لا يراقبون أنفسهم ، ولا يعنون بتطهير أرواحهم من أدناس الرغبات المحظورة ، ولا يحاولون الاعتدال فى الأنانية ، أو فى حب الظفر بأكبر قدر ممكن من أعراض الحياة إذ نحن نعرف أولئك الذين لا يكادون يستيقظون فى الصباح الباكر حتى يقذفوا بأنفسهم بين زوابع الحيـاة العملية التى لا تكترث بالمعنويات ، ولا تعنى بأوامر السماء ، ولا تلتفت إلى أى جانب من جوانب الحياة الروحية التى هى أولى مميزات البشرية عن بقية الكائنات الأخرى ، بل هم ينتقلون من عمل إلى عمل ، ومن موضوع إلى آخر انتقالات سريعة بل مشوبة بالحدة والعنف كأنهم آلات ميكانيكية ليس للعقل فيها مجال إلا بالقدر الذى يحقق لهم النجاح والربح والامتلاك والاستيلاء بل الابتلاع الجشع الذى لا يعرف الوقوف عند حد من الحدود الفاصلة بين المباح والمحظور وعندما تتاح لأحدهم لحظة عزلة وهدوء يكون من الممكن أن يستعملها فى الاختلاء بنفسه أو فى التفكير

فى روحه ، هو يستخدمها فى تقييد ما ربحه أو فى كتابة ما عسى أن يربحه لو أنه اتبع خطة أشد حرصا ، وأكثر مكرا وأبعد خداعا ، وأدخل فى باب المداهنة والمراوغة . وفيما بين ذلك هم يأكلون ويشربون ، ويمعنون فى إشباع رغباتهم وإذا أقام بعضهم لبعض المأدبات ، فإنما يرمون من ورائها إلى أهدف تدر عليهم ما يساوى عشرات أو مئات أضعاف قيمة نفقاتها . وإذا أرهقت الجهود المتواصلة قوى الواحد منهم أسلم نفسه إلى نوم عميق شاق يتعب ولا يريح ، ويغمس النفس فى الظلام بدلا من أن ينتقل بها إلى عالم الرؤى والأحلام التى تزيل الغواشى بينه وبين الملأ الأعلى .

وعندما يرى المتأمل فى الحياة المعنوية أولئك التعساء ـ وهم فى أكثر الأحايين من ذوى المكانات العالية ـ تبدو له نفوسهم كأنها عجوز قميرة كسيحة سجينة فى حجرة حقيرة مظلمة من حجرات قصر الحياة المعنوية المغمورة فى النور والسعادة دون أن يعنى بها أحد من قاطنيه الهانئين .

وأكثر من ذلك أن فريقا من الشاعرين منهم بهذه الحياة البائسة ، يرد على ناقديه من المتعقلين بقوله : إن سعادتى فى هذه الزوبعة المضطربة المستمرة ، وفى ذلك الهياج الجنونى ، وفى تلك الأعمال المادية التى تنبذونها وتنظرون إليها نظرات المهانة والازدراء . بينما لو لم تحدق بى لقتلنى الضجر والضيق . وكأنى شخص أطبقت عليه الهموم من كل جانب ، وأصبح فى أشد الحاجة إلى أن يتجرع الكحول ليغيب عن صوابه فلا يحس بآلامه المتوالية . ولكن ماذا ينتوى هؤلاء التعساء أن يصنعو بعقولهم التى تقضى عليهم الضرورة بسترها عن طريق مغيبات الأعمال المادية التى لا تفتر ولا تدع مجالا للروحية التى تحقق الفوارق بين الإنسان وبقية الكائنات الدنيا .

أجل إن هذا النوع من الحياة المادية الهائجة المضطربة التى اجتاحت كثيراً من شعوب العصر الراهن ، يبدو أنها ستنتهى إلى إقامة حواجز سميكة بين الأرواح البشرية والمثل العليا ، بل إلى تكميم تلك الأرواح وحجبها نهائيا عن التأمل فى منشئها ومصيرها ولهذا فإن الإسلام ينبذ هذه الحياة البهيمية نبذا تاما . وإننا نحن نهيب بالصفوة من المهيمنين على الشئون العقلية والدينية فى الأمة ، أن يبذلوا كل ما فى وسعهم من جهود لتحقيق سيادة القوى الروحية وإعطائها القيادة والسيطرة وأن يوقنوا بأن عالما أقصيت منه الروحانيات لا يكون سوى تمهيد للحياة الجهنمية .

ومن ثم فإن تلك اللحظات السعيدة التى تحقق الصلاة فيها العزلة الباطنية ، هى المنابع

الصامتة التي تتطهر فيها أرواحنا ، وتظفر بالحزم وقوة الإرادة على تجنب الرذائل ، وسلوك سبيل الاعتدال فى الحياة المادية التى لا بد منها . وفى هذه الحالة المطمئنة تستمتع الروح التقية بالسعادة الناشئة عن الاتحاد العميق المتين مع العالم اللامرئى دون أن تفصم عرى علائقها بالعالم المرئى ثم تظل تحيا حياة مليئة بالأشعة النورانية التى تظفر بالغلبة على سلطان الرغبات فتكبح جماحها وتكرهها على الاعتدال والاتزان .

وعندما تنخفض ضوضاء أصوات الرغبات الحيوانية ، تستطيع النفس أن تنحنى على حياتها تدرسها وتتأمل فى بواطنها حيث تجدها تحتوى على مزيج من مظاهرها كالذى ينظر وهو على مقربة من النهر فيرى أمامه خليطا مما قذفت به أمواجه على الشاطئ من حقير ونفيس فينتقى منه ما يحلو له ، فإذا وقع اختياره على الحقير الضئيل أى تلك الحياة الصاخبة فكأنما اختار الرمال وإذا فضل الحياة الروحية فقد اختار التبر . وهناك فريق آخر بين بين أى أنه يقوم بالمظاهر الخارجية للصلاة ويقتصر على حركاتها الرياضية من قيام وقعود وركوع وسجود دون أن تنال من نفسه أدنى منال فلا يظفر منها إلا بالمشقة المادية إذا صح أن تكون المشقة العابثة ظفرا وفوزا . ونحن نجزم بأن المصلى الذى لا تنهاه صلاته عن آثام الحياة وسيئاتها لا يربح شيئا بل يخسر كل شىء حتى موقفه الذى كان له قبل أن يصلى إذ هو يتقهقر إلى الوراء خطوات وخطوات لأن الخالق أحكم من أن يفرض الصلاة لهذه الحركات الرياضية التى روح فيها ولا حياة وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة وهل يمكن أن يرضى أحكم الحكماء عن مصل يقوم فى كل يوم بتلك الحركات الظاهرية وهو يلغ فى الكذب والخيانة والغدر والدس والإيقاع والملق والرياء وما إلى ذلك من الآثام ؟ وهل من يجل غير الله وينظر إلى غير وجهه ، ويخشى غير سلطانه يحقق فى صلاته معنى تلك الآية الكريمة التى يرددها فى كل ركعة وهى : « إياك نعبد وإياك نستعين » . أولا يعلم أن تقديم « إياك » فى هذه الآية هو بمثابة ميثاق بينه وبين ربه يتعهد فيه بقصر تقديسه واستعانته على القوة الإلهية وحدها دون أن يعمل حسابا لغيرها ، أيا كان سلطانه بل طغيانه وهل يعتبر من المصلين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون ، وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى المزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص ؟

الدكتور محمد غلاب

العربُ في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

— ٢ —

إنشاء مدارس إسلامية عصرية :

بالرغم من كل ما تقدم ظل الذين يهمهم نشر الدين والثقافة الإسلامية وصيانة ذلك الميراث المقدس بهذه الأقطار ، ظل أولئك يقاومون سياسة الاستعمار والتبشير الغربيين .

إنهم عندما رأوا المدارس الحكومية والتبشيرية بدأت تجتذب أبناء المسلمين وبناتهم وتتجه بهم إلى ثقافة لا شرقية ولا غربية بل استعمارية لعينة من نتائجها بذر التحقير والاستهانة بالدين والحط من شأن العرب وما يقوم بإنشائه المسلمون من كتاتيب ومعاهد ، لقاء نشر ثقافة ومدنية غايتها المظاهر الخلابة الفارغة والتفرنج البغيض . قرر أولئك المخلصون أنه لا بد من مجاراة الزمن لئلا يجرف بتياره النشء الحديث وهم غير مزودين ولا مسلحين بمناعة من العقائد الإيمانية والمبادئ الضرورية للرجل المسلم . ففتحوا المدارس على الطراز الحديث ودرسوا فيها إلى جانب التعاليم الإسلامية ولغة القرآن المبادئ النظرية في العلوم الطبيعية .

وكانت أولى المدارس هي : (جمعية خير) بجاكرتا ، ومدرسة حضرموت والخيرية بسربايا ، وشمائل الهدى بفاكالوغان ، والمدرسة العربية الإسلامية بصولو ، ومدرسة المعاونة بشانجور ، والمدرسة العربية الإسلامية بباپوواغى . وقام بالتدريس فيها أساتذة أكفاء ، ومن أشهرهم : الأستاذ محمد بن هاشم ابن طاهر العلوى ، والأستاذ أحمد بن عبد الله السقاف العلوى ، والأستاذ طاهر الدباغ ، والأستاذ رباح حسونة ، والأستاذ عبد القادر بلفقيه العلوى ، والأستاذ حسن ناصر ، والأستاذ عيدروس بن سالم الجفرى العلوى . وغيرهم من العرب والأندونيسيين .

تعاون وتساند العرب المخلصون على إقامة هذه المدارس بالتكاتف وإخوانهم الأندونيسيين وبعض أفراد الجاليات الأخرى كالهنود وغيرهم .

وأخذت هذه المدارس تزدهر وتجتذب الطلاب ، وتؤتى أكلها وتتسع وتتعدد فى المدن والقرى . وشرعوا يجلبون لها الأساتذة الأكفاء من خارج أندونيسيا فقد جىء بالأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى من مكة ليعلم فى جاكرتا ، وجىء بالأستاذ محمد المكى التونسى ليعلم فى صولو ، وهكذا ظل العرب وحدة متماسكة ، متعاونين على العمل للمحافظة على مقوماتهم وواجباتهم نحو الدين والتربية الصحيحة واللغة العربية .

وقد نبغ من خريجى هذه المدارس طائفة يشار إليها بالبنان فى المجتمع الأندونيسى ، كالأستاذ الجنرال عمر الصنداوى الذى صار قائداً لكتيبة (سيلى واغى) فى الجيش الأندونيسى الباسل ، والحاج محمد دمياطى الذى أسس المدارس السلفية فى مقاطعة سوراكرتا بجاوة الوسطى ، والأستاذ الكبير على بن يحيى العلوى ، والأستاذ الشاعر على أحمد باكثير المقيم حالياً بالقاهرة . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لحصرهم .

الاستعمار يحرك الشباك :

كانت إدارة مدرسة جمعية خير بجاكرتا تحت رئاسة السيد الشريف محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى أحد زعماء العرب ممن يحملون روحا إسلامية كبيرة ، كان لها أبعد الأثر فى تأسيس جمعيات إسلامية عظيمة بأندونيسيا مثل الجمعية المحمدية . فقد كانت صلات رئيسها ومؤسسها الأول الشيخ الكياهى دحلان بالسيد محمد المذكور صلات وطيدة قوية ، كما كانت نفس هذه العلاقات بينه وبين الزعيم الوطنى الكبير الحاج عمر سعيد الذى تعاون معه على تأسيس الجمعية الإسلامية الوطنية : شركة إسلام ، التى صمدت لمقاومة السياسة الاستعمارية فى مظاهرها المتعددة من سياسية ودينية وغيرها . فقد كان السيد محمد المذكور معروفا بشدة غيرته الدينية . يخطب فى الجموع المحتشدة ويلهب الحماس الدينى بين الأندونيسيين . وعليه فقد كان محسوبا له حسابه من جانب المستعمر الهولندى . وكانت بين رئيس جمعية خير هذا وبين الشيخ أحمد السوركتى وهو إذ ذاك بالحجاز اتفاقية على أن يأتى إلى جاوة ويعلم التعليم الدينى فى مدرسة (جمعية خير) ، وكان كل ذلك وتم الأمر وبوشر العمل . فرأت الحكومة الاستعمارية فى هذا زيادة توسع فى النشاط الإسلامى يتعارض مع مصلحة الاستعمار .

فما عتم أن مضت أشهر من مباشرة الأستاذ السوركتى لوظيفته كمدرس ، وابتهج بذلك المشتغلون بقضايا التربية والتعليم ، حينئذ بدأت هولندة تنصب شباكها المسمومة ، فأوفدت مستشارها الدينى المستشرق سنجريك

الهولندى وهو معروف بروحه المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين يتملق للشيخ الأستاذ السوركتى بأساليبه الخلابة ويتردد على منزله فى مظهر وداعة المريد المستفيد تارة وتارة بمظهر المعجب المغرم بمفاهيمه . وازداد هذا التردد ، وبدأ زملاء الشيخ السوركتى يستريبون من هذه الزيارات المتكررة مما جعل كثيرا منهم من بينهم السيد محمد بن عبد الرحمن نفسه يفاتح الأستاذ السوركتى بهذا الشأن محذرا إياه من هؤلاء المستشرقين سيما من كان منهم فى خدمة حكومتهم الاستعمارية رسميا مثل ذلك المستشار الدينى . وبدلا من أن تقل الزيارات ، إذا بالأستاذ السوركتى يجعل للمستشار الهولندى أوقاتا خاصة يظهر فيها المستشرق بمظهر التلميذ الذى يريد دراسة اللغة العربية بتعمق . فساور الجميع قلق تحقق لما بدأت الخلافات بين الشيخ السوركتى وبين إدارة جمعية خير بشأن مطالبة الأستاذ بزيادة مرتبه الشهرى وبمسكن أحسن وبمبلغ معين كإعانة له على الاقتران وغير ذلك مما تضيق به ميزانية الجمعية ولم يرد الشيخ السوركتى أن يمهل كثيرا فى الأمر ، بل لوح وهدد بالاستقالة ، الأمر الذى تخوف زملاؤه أن يكون من بواعث التأثر بالسياسة الهولندية الخلابة . وعندما جس النبض تبين أن الأستاذ لا ينوى العودة إلى الحجاز إذا استقال ، فإنه رفض عرض زملائه دفع مصاريف العودة ، بل قرر الإقامة بجاوة حتى بعد الاستقالة .

وهكذا كان ! ثم ما مضت إلا أيام قليلة حتى انتقل إلى دار أخم ، وافتتح قسما داخليا ومدرسة للتعاليم الإسلامية واللغة العربية اتضح أن ميزانيتها تعتمد على نصيب خاص من الميا نصيب الحكومى تدفعه إدارة المستشار الدينى سنجريك - الأمر الذى لم يسبق له نظير من قبل . وقد ازداد استياء زملائه والوطنيين المخلصين من الأندونيسيين لما جاء فى تصريحاته الصحفية التى أدلى بها فى الحجاز حينما أتيحت له فرصة زيارتها من امتداح وثناء على مسلك السياسة الهولندية فى مستعمراتها فى الهند الهولندية حتى ضجت الجرائد إذ ذاك بالاستياء . وبرزت أول مدرسة من نوعها فى جاكرتا فى الربع الأول من هذا القرن العشرين وسميت مدرسة الإرشاد والإصلاح .

فى تلك الأثناء نشرت صحيفة (صولواندبا) الملايوية أسئلة موجهة إلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتى تتضمن هذه المسائل :

١ - حكم مسألة : الكفاءة فى النكاح .

٢ - حكم مسألة : التفاضل .

٣ - حكم مسألة : تلقين الميت بعد دفنه .

٤ - حكم مسألة : زيارة القبور والأبنية عليها .

٥ — حكم مسألة : إهداء ثواب القرءاة والتهليل لروح المتوفى .

٦ — حكم مسألة : تأميم لقب الشريف ولقب السيد .

٧ — حكم مسألة : تقبيل اليد .

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر الجواب المسمى : « صورة الجواب » للشيخ الأستاذ أحمد محمد السوركتى فى كتيب صغير مطبوع ، وزع فى جميع المدن والقرى فى المساجد والدكاكين والشوارع بالمجان . وشرع بعض العلماء من العلويين وغير العلويين ، شرعوا يردون ويعترضون وينتقدون على أجوبة الشيخ التى يشم فيها الغمز والتلويح والاستفزاز ، فمنهم من يجرح ويعدل رواة أحاديث استدلاله ويضعفها ويصححها ، ومنهم من يقابل بفتاوى العلماء الآخرين . ومنهم من يشير صراحة إلى الغايات والعواقب التى ترمى إليها إثارة مثل هذه المسائل الخلافية فى الوسط الإسلامى الذى يسوده الإخاء والتعاون والوئام .

استفزاز مقصود :

والحق أن العمل بهذه المسائل التى قدمت إلى الأستاذ الشيخ السوركتى كان شائعا فى حضرموت والمهجر كشىء عادى درجوا عليه منذ أجيال ، والخلاف فى حكمها الدينى معروف لا يستلزم حدة الخصومة والشقاق . ولكن الجواب وسياقه فى صورة الجواب ، هول هذه المسائل وجعل أنها من الشرك والكفر والخروج عن الإسلام . وأن الذين يدافعون عنها قد أضلوا الأمة الحضرمية بهذه البدع وأنهم فرضوها على العامة وألصقوها بالدين ، وأن الدين برىء منهم . بهذه التهويلات والتصويرات كانت تطالعنا مجلة الأستاذ أحمد السوركتى (الذخيرة) الصحيفة الأولى لجمعية الإرشاد والإصلاح التى أسسها الشيخ فى تلك الأيام ، وانضم إلى تلك الجمعية كثير من أرباب الثراء وشبابهم بجاوة ، وصدرت بعدها مجلة (المصباح) و (الدهنا) وكانت باللغة الدارجة وعندما نشرت الاعتراضات والردود من قبل الجانب الآخر ركزت هذه الصحف حملاتها على العلويين أجمع من سلف منهم ومن خلف ، ووجهت إليهم الهجوم القاسى العنيف فصورتهم بصور الدجالين الضالين المضلين المستعبدين الشعب الحضرمى بهذه الخلافات والضلالات .

وبلغت هذه الاستفزازات إلى حد قذف الآباء والأجداد وذكر الأنساب وأن هؤلاء العلويين ليسوا من السلالة النبوية وإنما هم من مجوس الفرس ، إلى غير ذلك من الفحش والسباب .

بذور الفتنة تثمر :

تأسست جمعية الإرشاد والإصلاح برئاسة الشيخ أحمد محمد السوركتى السنارى السودانى

فى جاكرتا (بتاوى إذ ذاك) ، ومن ضمن مواد قانونها الداخلى الأول مادة تنص على أن لاحق (للسيد) — وكان هذا اللقب المصطلح عليه لا يطلق إلا على كل علوى أو منتسب إلى أحد سبطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذاك الحين فى حضرموت والمهجر وغيرهما من الأقطار — تنص المادة: أن لا حق للسيد أن ينتخب كعضو فى إدارة الهيئة المركزية ولا فروعها — كأنهم ليسوا من المسلمين ! ثم عدل القانون أخيراً بعد أن قرروا تعميم لقب : « السيد » لكل رجل مسلم وكافر ، وأبدل هذا اللفظ الصريح بنص آخر .

أما كان من الأجدر بالأستاذ الشيخ السوركتى والأولى به وقد أسس تلك الجمعية التى تحمل اسم الإرشاد والإصلاح الدينى أن يسلك غير هذا المسلك الوعر الذى أطاح بوحدة أبناء العروبة ؟ نعم . وما أحوج الأمة الحضرمية فى مهجرها إلى جهوده ونشاطه وعلمه ، لو سلك طريق الهدى الصحيح ويسر ولا عسر ولا نفر ، وقارب ولا فرق . فرحم الله أمير الشعراء إذ يقول :

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من قبل الهوى
ومن الغرور فسمه التضليلا

وأخيراً تطورت جمعية الإرشاد والإصلاح عن مسماها إلى واقعها ونتائجها ، فتمخضت عن تكوين طائفة عنصرية بعد أن تكتل فيها المهاجرون والمتأخرون من الحضارم الذين واتتهم الظروف لجمعوا الأموال وأثروا بشتى الوسائل ، وهم من عرفنا تدينا وثقافة ومركزاً اجتماعياً وكفاءة . وأصبح العلويون بطبيعة الحال يمثلون هم ومن والاهم طائفة أخرى . وبات الحضارم حتى الساعة الراهنة طائفتين . هما: الإرشاديون والعلويون ورغم المحاولات والوساطات التى قدمها العلويون لإعادة توحيد الصفوف والعمل على صعيد واحد ، فإن الأمور كانت بأيدى أناس ليس من صالحهم الشخصى التصافى والاتحاد . ورحم الله الأستاذ الشاعر المرحوم أحمد ابن عبدالله السقا إذ يقول فى قصيدة أنشأها وتلاها فى حفل بمدرسة الإرشاد بصولو بمناسبة افتتاحها عام ١٩٣٨ ميلادى قال :

ليس منا من لا يريد الوئاما
أو يرى الخير فرقة وانقساما
وطن واحد ويعرب جد الـ
كل والكل يخدم الإسلاما

وهكذا نجحت سياسة الاستعمار الهولندى بواسطة المستشار الدينى المتملق ، وفعلت

سمومها مفعولها فى تفكيك عرى النشاط الإسلامى الذى وجه إلى غرس المبادئ الدينية القوية بتعاليمها فصرف إلى حملات الانقسامات والفتن فى الصفوف الإسلامية ولم يستفد من ذلك إلا المستعمر وأذنابه وزعانفه .

كان على العلويين أن يفوتوا الفرصة على المستعمر :

إن العلويين قد أخطئوا وفارقهم التوفيق لما اضطروا إلى الدفاع عن أنفسهم حينما هاجتهم صحف الإرشاديين بكل عظيمة . فأخذت صحيفة العلويين (حضرموت) تنافح وتكافح ، وتضطر فى سبيل هذه المنافخة إلى ذكر مالهم من أعمال وأمجاد مفيدة مشرقة ... تأججت فى الجانب الآخر من أجل ذلك كوامن الكره واتقدت نيران البغضاء فزادت الطين بلة والابالة ضغثا . فجعلت هذه المكافحة والمنافحة والمقارنة الفتنة ناراً تلظى واشتد أوارها وقوبل بمزيد من الإغراق فى السباب .

ولو امتلك العلويون الضغط على عواطفهم وكظموا غيظهم وقابلوا هذه الأمور بحصافة ومرونة أكثر جدارة بمن لهم صلة نسب ودم إلى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، لربما جرت الأمور فى غير مظهرها المحزن المؤسف من التطاحن العنيف والمهاترة العلنية التى تطورت وخرج الأمر فيها من القول إلى الفعل ، حينما بدأ الإرشاديون فى إراقة دماء العلويين ، فهوجم شيخ من أسرة آل الحداد يوما إثر خروجه من المسجد وقتل ، وهوجم عدد من العلويين فى مسجد بقرية (بندووسو) بجاوة الشرقية فى المسجد وهم فى صلاتهم فى شهر رمضان وقتل منهم ثلاثة !

الرابطة العلوية :

ألقى العلويون أنفسهم وحدهم فى ميدان الكفاح الإسلامى . ولهم رسالة دينية ومنشآت إسلامية تتطلب منهم التعاون والتكاتف على صيانتها وتقدمها وحياتها ، فأنشئوا الرابطة العلوية كجامعة تجمع شتاتهم وتلم شعثهم وتوحد صفوفهم : غايتها نشر التعاليم الإسلامية ولغة القرآن الكريم فى الناشئة ، ومبادئها كفالة الأيتام ومساعدة الأرامل والتعاون مع الجماعات والأفراد المسلمين على رفع مستوى المجتمع الأندونيسى والحضرمى كما هو منصوص عليه . وهى وإن كانت فى اسمها طائفية ، لكنها فى غايتها ومبادئها إسلامية خيرية عامة . وانضم إليها الكثير من غير العلويين ممن يرون رأيهم بعد أن فهموا الحقيقة بل كان من مؤسسيها المغفور له الشيخ الوقور سالم باوزير . والواقع المشاهد يبرر ذلك ويبرهن عليه ، فها هى مدارسها

ودور أيتامها غاصة بأبناء المسلمين من أندونيسيين وعرب بما فيهم ممن كان ولم يزل آباؤهم متحمسين للعنصرية الإرشادية . وها هي إدارات مدارسها على رأس بعضها رجال من غير العلويين كما تمثله إدارة مدارس الرابطة العلوية بصولو .

محاولات للصلح :

وطبعا : كان لهذه الحوادث المؤسفة صدى عظيما من الأسى فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى ممن يعنيهم أمر الإسلام وإخوانهم فى الدين . فكانت محاولات مختلفة متعددة لإقامة صلح بين الحضارمة الذى سبق أن كانوا دعامة من دعائم نشر الإسلام فى هذه الربوع النائية من الشرق الأقصى والذين ساءت أحوالهم بفعل السياسة الاستعمارية الهولندية المعروفة بعدائها الحاد للإسلام والمسلمين ، فجاءت محاولة المكتب الدائم للجنة العليا بفلسطين وعلى رأسه سماحة الحاج أمين الحسينى ، فانتدبوا مفتى الشافعية بفلسطين لأن يزور جزيرة جاوة للإصلاح بين عربها المتنازعين . ولكن هذه المحاولة قتلت فى المهد ، إذ أن قنصل هولندة وجد أمرا من حكومته بأن لا يؤشر على جواز مفتى الشافعية بالدخول إلى أندونيسيا ـ جاوة . واتضح بذلك لذوى النظر أن لهولندة مصلحة خاصة فى بقاء هذا الخلاف الذى تجاوز كل الحدود الخلافية بين المذاهب الإسلامية فى كل أصقاع العالم الإسلامى ، وهى التى لم تخل من وجود مذهبين أو أكثر مختلفة ولم تضق ذرعا بوجود ذلك شأن ما كان بجاوه وتحت الحكم الهولندى .

وجاء العلامة مفتى حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بصلح عرضه على الطرفين فقبله العلويون ورفضه الإرشاديون .

وجاءت محاولة من جانب جمعية الرابطة الشرقية فقدمت شروطا للصلح قبلت من الطرفين ابتداء ، ثم ردها الإرشاديون بعد ذلك تحت ضغط ما .

وجاء الشيخ عوض بن عبد الله بن شحبل وسعى سعيا حثيثا قابله العلويون بالقبول ولم يحظ لدى الإرشاديين بما يضمن نجاح مسعاه ، حتى كان خلاف بينه وبينهم عظيم وقد كتب الشيخ عوض المذكور مذكراته عن قضايا الخلاف بين الحضارم فى تاريخه عن الحركات الإسلامية بجاوة مدعما بوثائق ومستندات واضحة تضع المجهر المبين على أصابع هولنده الاستعمارية فى إغراء الإرشاديين واغتيالاتهم وإبقائهم الخلاف على أشد حدته ، ولحكمة من تصاريف القدر توفى الشيخ قبل إعداد مذكراته للطبع

رحمه الله ، فقد كان شخصية لها مكانتها المرموقة لدى الحكومة الجمهورية الأندونيسية بما للمغفور له من دور جد مشرف ناصع إبان الثورة الأندونيسية حتى إنشاء الحكومة الجمهورية .

وقدمت مشيخة الأزهر الشريف نصيحتها وكلمتها ، رحب بها الجانب العلوى كل الترحيب ولم تقابل من الجانب الآخر بما يقرب التهادن والتصالح .

وأدلى السيد العلامة محمد رشيد رضا دلوه ورضى العلويون بما ارتآه ، ولم يقابله الإرشاديون بالرضى ، حتى يئس الأمير شكيب أرسلان من إمكانية إقامة صلح بين الطرفين فى رسالة كتبها قال فيها : بعد اليأس لستم بأول قارورة كسرت فى الإسلام يخاطب الحضارم .

تتابعت هذه الأحداث فى جاوة ، وكان موقف العلويين فيها موقف الحريص على إيقاف هذه الخصومة غير الشريفة التى وقفت سدا قويا دون تأدية رسالة الإسلام ونشر مبادئ الدين الحنيف ، ولكن تأبى تلكم الدوائر العليا التى كانت لها القوة والسلطة هى التى كانت مصدرا لهذا الفشل المتوالى فى كل تلكم المحاولات .

مواقف وخيمة :

طرب الاستعمار الهولندى وصفق لهذه الظاهرة فالأنصارها الذين وجدوا العيش الطيب فى هذا الماء العكر ، وتفرقت جهود الحضارم وتمزقت قوتهم التى طالما وقفت صفا واحداً فى وجهه فنازعته وضايقته ، وها هى أموالهم تبذل فى سبيل المؤامرات وإصدار الصحف العفنة واستئجار الأقلام وشراء الضمائر لبذر بذور الفرقة والانشقاق ، بل تأليف لجنة الاغتيال وسفك الدماء وغرس البغضاء والعداوة حتى فى الناشئة الغضة وفى الدور التى بنيت باسم العلم والإسلام ، وتسويد صفحات التاريخ بالحوادث الوحشية .

وفتحت مدارس وسارت على برامج مرتجلة يمليها الهوى ، وتخططها الأنانية ، وحشر لها المعلمون الذين كان منتهى ثقافة أكثرهم الارتفاع عن مستوى الأمية .

وتناسى الحضارم فى هذا الضجيج واجبهم نحو وطنهم القديم وموطن آبائهم وأبنائهم ونسائهم ، تناسوا ذلك فى غمرة هذا الشرف والمجد والعلم والنهضة والتقدم المزيف ! لعلهم إن تذكروا ذلك الوطن البائس بعثت لهم الذكرى صورا مفزعة فى الحياة من شظف العيش فى الأرياف والجبال ووراء الجبال ! ...

[٦]

لهذا لم ينتفع الوطن بثروة أبنائه واجتمع الجهل والغنى والأنانية والحرية القانونية ..
أما نتائج المعارف والمدارس فسيل من الشباب غير المؤهل للكفاح فى معركة الحياة شباب مذبذب الأخلاق ، جاهل لمعنى الدين بعيد عن العروبة وشيمها ، أنانى أجوف ، يغمر القهاوى ، ويعمر البارات ، ولا يأنف عن الاستجداء ، ولا يتورع عن اللصوصية وتدهور فى الحضيض ! ! .

ناهيك بأربعين عاما نخرت فيها أمراض الانقسام على هذا الوضع جسم العرب ، الحضرميين بأندونيسيا . والنتيجة الأخيرة هى : أأنت إرشادى أم علوى ؟ .

أما لو أن الإصلاح والإرشاد الحقيق هو الدافع ، والدين هو الوازع ، والإخلاص هو الباعث ، والحب هو السائد ، والإخاء هو الداعى ، ورضا الله هو الغاية ، لوحد أولئك المعلمون صفوف الأمة وأزالوا دواعى الفرقة ، وحطموا ما يعترض سبيلهم من عوارض الإنشقاق . ووحدوا المدارس وساروا بالناشئة إلى الغايات السامية . على أيدى رجال أكفاء وأساتذة صلحاء ومعلمين علماء ، فأصبحوا ولهم من الجامعات العلمية والشركات الاقتصادية ما يجعلهم فى نظر إخوانهم الأندونيسيين فى مستوى القادة والزعماء . فقد مهد الإسلام لهم فى هذا الشرق سبيل النجاح ومهل وسائل الإصلاح ولكن لو الصيف ضيعت اللبن .

عبد القادر عبد الله الجفرى

(البقية فى العدد القادم)

(بقية المنشور على صفحة ٧١٨)

الأحكام، وأحسن النظم التى يقوم عليها مجتمع فاضل سليم ، ولو أن الكاتب قرأ تاريخ أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، وأشباههما ، وعرف مواقفهم من الخلفاء والحكام لما قال : إن التراث الإسلامى وضع فى أحضان حكام ظالمين .

ولو تفقه فى الدين حق الفقه لعرف قيمة الشعور الدينى فى إيجاد مجتمع فاضل ، فإذا وجد المصلح استطاع أن يستعين بهذا الشعور على كل إصلاح سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى، ولكن الشعور الدينى حين يستغل للانتكاس لا يكون الذنب ذنب هذا الشعور ، وإنما هو ذنب الذين يستغلونه لمآربهم الشخصية .

والتعليم الأزهرى ليس صورة منحرفة من استغلال الدين ، بل هو الذى حفظ لهذا الدين جدته ، وهو الذى جعل من مصر زعيمة العالم الإسلامى بحق .

إننا لندعو مخلصين كل من يريد أن يكتب فى صميم التعاليم الإسلامية أو من يتحدث عن التعليم الدينى أن يتفقه فى الدين ، فإنه حينئذ سيأمن الزلل فى القول ، وفى العقيدة .

والله الهادى إلى سواء الصراط ؟

على العمارى

مراكز اللغة العربية فى الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

— ٢ —

إن المدارس العربية وإن كثرت فى عددها وضخامتها ، فإن لها ميزة هى التخصص فى المنهج والنظام . كما وجد التخصص فى أوربا وفى الجامعات الحديثة . فأصبح الطالب يذهب إلى أكسفورد لدراسة الإنسانيات ، أو إلى كمبردج لدراسة العلوم الدقيقة أو إلى باريس ، أو روما ، أو برلين ، أو هافارد ، ليجلس أمام أساتذة متخصصين ، ولينهل من منبع الجدول المتدفق - كذلك وجد نوع من التخصص فى المدارس الهندية ، وعرفت بعض المدارس بالعناية بفرع من العلم والبراعة فيه ، وبدأ بالتدريج التخصص فى العلوم التالية :

١ — الصرف والنحو والحديث والفقه ، فى ديوبند وسهارنبور ، ودلهى ،

٢ — المنطق والفلسفة . فى رامبور .

٣ — الأدب والبلاغة واللغة والتفسير . فى دار العلوم لندوة العلماء فى لكهنو .

٤ — القانون واللاهوت فى فرنكى محل فى لكهنو .

٥ — المناظرة والتجويد فى الفرقانية ودار المبلغين فى لكهنو .

وقد أضيفت اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى مناهج الجامعات الهندية المعاصرة أيضا كمادة إضافية . أما هذه الجامعات الرسمية فلا صلة لها بالمدارس العربية ، لأن المدارس العربية تقوم على تبرعات الشعب الإسلامى الهندى . ومن الجامعات المعاصرة ، جامعة عليكرة ، وجامعة كلكتا ، وجامعة مدراس وجامعة لكهنو وجامعة الله أباد والجامعة العثمانية . هذه الجامعات الخمسة تمتاز باهتمامها باللغة العربية ولكن مستواها دون المستوى فى المدارس العربية . ولم تنجب هذه الجامعات شخصيات كبيرة فى الأدب العربى والدراسات الإسلامية ، كما أنجبت المدارس العربية أدباء وباحثين فى اللغة العربية .

المركز الثانى :

« الجهود فى إبراز المصنفات العربية »

ونحن نعتبر المركز الثانى للغة العربية فى الهند هو الجهود الشخصية التى قام بها علماء الهند فى ميدان التأليف والبحث . فقد قام الشيخ أحمد على السهارنبورى بالشرح والتعليق والاختصار لكتب الأحاديث وطبعها ونشرها . وقد علق على صحيح البخارى تعليقات

مفيدة فى ضوء فتح البارى للعسقلانى . وكذلك طبع ونشر كثيراً من كتب الأحاديث بجهوده لولوعه بالحديث . وصنف الشيخ عبد الحى الكهنوى مئات من الكتب العربية ومن أشهرها شرحه للهداية وهو من أمهات كتب الفقه الحنفى . والأمير السيد صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ) لا يزال يعترف بفضله فى كتبه الكثيرة مثل :

(١) أبجدية العلوم . (٢) الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد . (٣) الانتقاد والترجيح فى شرح الاعتقاد الصحيح . (٤) البلغة فى أصول اللغة . (٥) حصول المأمول من علم الأصول.

وكتب أخرى مشهورة فى أوساط المشتغلين بالفقه والحديث ، وقد انتهى بهؤلاء القرن التاسع عشر الميلادى .

وفى مستهل القرن العشرين ظهر أدباء وكتاب ومؤرخون فى اللغة العربية . وبلغ هؤلاء شهرة لا تضارع فى هذا المضمار ، وقد اشتهر العلامة محمد شبلى النعمانى بكتابه الشهير « الانتقاد على التمدن الإسلامى » ، ويعتبر هذا الكتاب من أقيم وأوفى ما كتب فى إظهار دسائس المسيحيين العرب ضد الإسلام .

ولا تزال الهند تتزعم حركة الحديث منذ العصور الوسطى ، وقد أسدى العلماء الهنود خدمات جليلة فى السنة ، قال المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : « ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإننى لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ رأيت خطباء مساجد الأزهر وغيره يذكرون الأحاديث فى خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع ، مثلهم فى هذا الوعاظ والمدرسون ومصنفو الكتب ، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بإنكار مثله على أهل بلدى طرابلس قبلهم » - (مقدمة مفتاح كنوز السنة) . وقد ألف الشيخ خليل الرحمن السهارنبورى شرحا قيما على صحيح الترمذى وسماه ببذل المجهود وشرح المحدث الكبير أنور شاه الكشميرى صحيح البخارى وسماه « بفيض البارى » . وشرح الشيخ شبير أحمد العثمانى صحيح مسلم . وهو أوفى وأحسن من شرح النووى ويعرف بفتح الملهم ، وشرح الشيخ محمد إدريس مشكاة المصابيح وسماه : « تعليق الصبيح » ، وشرح الشيخ محمد زكريا الموطأ فى عدة مجلدات ، وهو شرح ضخم فى السنة ، وشرح الشاه ولى الله الدهلوى قديما الموطأ لمالك رحمه الله.

وقد اشتهر حميد الدين الفراهى (المتوفى سنة ١٣٣١ هـ) فى علوم اللغة العربية والبلاغة والتفسير ، وكان يفسر القرآن على وجهة نظره الخاصة ، وكان يرى أن آيات القرآن

يفسر بعضها بعضا وإذا عاقه شيء فى فهم القرآن كان يلجأ إلى الشعر الجاهلى فى تفسير مفردات القرآن ، إذ لم يكن يثق بالقواميس العربية حتى لسان العرب ، وله ملاحظات على القواميس العربية ، وكان يرى أن علماء اللغـة لم يهتموا بالشعر الجاهلى فى شرح المفردات العربية ، وآراؤه تستحق أن تبحث فى أوساط الأدب واللغة ، وقد ترك لنا مؤلفات قيمة فى اللغة العربية أمثال :

(١) مفردات القرآن .
(٢) جمهرة البلاغة .
(٣) تفسير نظام القرآن .
(٤) الإمعان فى أقسام القرآن .
(٥) الرأى الصحيح فى من هو الذبيح .

وقد اشتهر فى التاريخ والسير والجغرافية الشيخ السيد عبد الحى الحسنى الذى وضع فى تراجم علماء الهند وأدبائها وشعرائها كتابا قيما فى تسعة مجلدات ، وقد طبع هذا الكتاب باسم « نزهة الخواطر » وجرى فيه على منوال ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وله كتب أخرى قيمة مثل :

(١) جنة المشرق .
(٢) معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف .
(٣) تلخيص الأخبار ومنتهى الأفكار فى شرح تلخيص الأفكار .

وظهر فى الأدب والشعر الشيخ أبو عبد الله محمد السورتى والأستاذ عبد العزيز الميمنى ، أما الأستاذ الميمنى فهو غنى عن التعريف ، وهـو أشهر أديب هندى فى اللغة العربية ، اعترف بعلمه وفضله جميع أدباء العرب ، وقد ألف وحقق كتبا قيمة فى الأدب العربى مثل :

(١) أبو العلاء المعرى ماله وما عليه .
(٢) سمط اللآلى شرح أمالى القالى .
(٣) إقليد الخزانة .
(٤) شعر أبى العلاء .
(٥) شعر المتنبى .
(٦) النتف فى شعر ابن رشيق وابن شرف .
(٧) ديوان حميد بن ثور (جمع شعره) .
(٨) كتاب الفاضل للمبرد .

وهو يعتبر من القـلة الذين لهم معلومات وافية فى الشعر الجاهلى ومقـدرة عظيمة فى التحقيق والتمحيص والتنقيب ونظرة دقيقة فى المخطوطات العربية النادرة .

وبعـد منتصف القرن العشرين اشتهر من الجيل الحديث أدباء وكتاب فى اللغة العربية وعلى رأسهم الأستاذ أبو الحسن على الندوى وقد طبعت له مقالات قيمة فى المجلات المصرية مثل الفتح والرسالة والثقافة ، وألف كتبا قيمة فى اللغة العربية مثل :

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
(٢) تاريخ رجال الفكر والدعوة .
(٣) روائع إقبال وكتيبات عديدة .

والأستاذ مسعود الندوى وضع كتبا قيمة

فى التاريخ الإسلامى الهندى والدعـــوة الإسلامية ، وقد أضاف إلى القاموس الجديد الذى وضعـه الباحث الكبير العلامة السيد سليمان الندوى كلمات عربية دخلت حديثا فى اللغة العربية وشرحها بالأردية .

* * *

المركز الثالث . الصحافة العربية

ونتحدث الآن بعد هـذا البحث الطويل عن حركة الصحافة العربية فى الهند . وقـد صدرت أول مجلة عربية فى الهند سنة ١٩٣٢م كان اسمها الضياء خريجو دار العلوم لندوة العلماء . وأشرف عليها الدكتور تقى الدين الهلالى المراكشى (مدرس اللغة العربية فى دار العلوم فى ذلك الحين) وتولى رياسة تحريرها المرحوم الأستاذ مسعود الندوى . كانت هذه الثقافة على مستوى علمى وأدبى كبير . وأثنت عليها كثير من المجلات العربية فى مصر ودمشق ولبنان مثل الفتح والمجمع العلمى وغيرها . وبعد فترة توقفت هذه المجلة . ثم أعاد نشرها خريجو ندوة العلماء باسم البعث الإسلامى سنة ١٩٥٤ م . وتولى إدارتها وتحـريرها الأستاذ محمد الحسن ، ويشرف عليها الأستاذ أبوا لحسن على الندوى . وهى تعتـبر الآن طليعة المجلات العربية التى تصدر فى غير البلاد العربية لنشر الثقافة العربية والوعى الإسلامى. ثم أصـدرت الحـكومة الهندية بعد قيام الجمهورية مجلة عربية شهرية لنشر الثقافة الهندية وإظهار جهود علمـاء الهند فى ميدان الثقافة العربية . وهى تصدر من نيودلهى باسم ثقافة الهنـد .

وهذه الجهود التى قام بها أبناء الهند وأحباء اللغـــة العربية فى الهند تحتاج إلى تشجيع وتقدير أبناء الأمة العربية ولا سيما الجمهورية العربية المتحـدة وهى القلب النابض للعروبة ومن جامعة الدول العربيـة التى تحمل لواء الثقافة العربية .

المركز الرابع : المكتبات الهائلة :

ونحن نعتبر المركز الرابع للغـة العربية فى الهند المكتبات الهائلة المنتشرة فى أنحاء الهند . وهى تحتوى على آلاف من الكتب العربية خطية ومطبوعة . ولا يمـكن لنا أن نحصر المكتبات المنتشرة فى أنحـاء الهند فى هذه العجالة .

وتقع معظم هـذه المكتبات فى المدارس العربية التى ذكرناها منذ قليل . ولـكن نكـتفى هنـا بذكر أشهر المكتبات التى نعتبرها سندا لحـركات التحقيق والتأليف والتنقيب . وهذه المكتبات العديدة تنفرد ببعض المخطوطات النادرة التى لا توجد إلا فى الهند . ويحتاج طلاب اللغـة العربية لشد الرحال إلى تلك المكتبات للاطـلاع على المعارف العربية . ومن هذه المكتبات :

(١) «مكتبة خدانجش» فى ولاية بهار فى شمال الهند، وتعتبر أكبر وأضخم مكتبة.

(٢) المكتبة المركزية فى كلكتا، وهذه أيضا أكبر مكتبة تشرف عليها الحكومة.

(٣) مكتبة آصفية فى مدينة حيدر آباد التى أنشأها ملك حيدر آباد سنة ١٣٠٠ هـ وتحتوى هذه المكتبة بين جناحيها على أكثر من ستين ألف كتاب. منها مخطوطات عربية نادرة اهتمت الحكومة بالحصول عليها اهتماما بالغا.

(٤) مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكهنو فى شمال الهند وتعتبر هذه المكتبة أيضا من المكتبات الشهيرة فى ضخامتها واحتوائها على مطبوعات قيمة. ومخطوطات نادرة يبلغ تعدادها أكثر من ألفى كتاب أما، المطبوعات فتبلغ أكثر من ستين ألف كتاب :

(٥) مكتبة دار المصنفين بمدينة أعظم كره فى ولاية يوبى شمال الهند. وبها كتب مختارة وكلها تعتبر من المراجع والأمهات. ولا يقصد إلى هذه المكتبة إلا كبار الباحثين والمحققين.

المركز الخامس : مؤسسات الطبع والنشر

أنشئت مؤسسات عديدة فى منتصف القرن العشرين لطبع ونشر وتأليف الكتب العربية وقد أسس ملك حيدر آباد فى المملكة العثمانية مؤسسة كبيرة باسم دائرة المعارف العثمانية وقد بحثت هذه المؤسسة عن آلاف من المخطوطات العربية النادرة فى أنحاء العالم، وحصلت عليها ثم طبعتها خدمة للغة العربية وحرصا على إحياء التراث الإسلامى الجيدة وتعتبر هذه أكبر مؤسسة عربية لإحياء التراث العربى الإسلامى، وتنفق عليها الحكومة الهندية المركزية وهذه المؤسسة فريدة فى نوعها. وقد اهتم مؤسسو الدائرة والقائمين عليها بما ألف قبل القرن التاسع الهجرى أو الرابع عشر الميلادى فنقب مجلسهم عما أبقته طوارق الزمن من أمهات المراجع فى العلوم المختلفة فطبعوها ونشروها. وطبع من هذه الأمهات أكثر من مائة وأربعين كتابا تقع فيما يزيد على ثلثمائة وخمسين عددا، هذا إلى الأمهات الأساسية فى الأدب واللغة والتاريخ والسير والتفسير والحديث والرجال والفقة والطب والفلك، والتصوف، والمنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والهيئة والطبيعيات، وهذه الكتب العربيه كانت رائجة فى القرون الوسطى، وبعضها لم يكن يوجد منه إلا أصل واحد أو قطعة مخطوطة. ومن أهم هذه الكتب النادرة التى طبعت فى الهند فى هذه المؤسسة.

١ — صور الكواكب لأبى حسين عبد الرحمن الصوفى (المتوفى سنة ٣٧٦ هـ).

٢ ـ كتاب التيجان لملوك حمير لابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) .

٣ ـ القانون المسعودى للبيرونى (المتوفى سنة ١٠٤٨ م) .

٤ ـ كتاب الحاوى فى الطب فى تسعة مجلدات لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى (المتوفى سنة ٩٢٥ م) .

٥ ـ كتاب الجرح والتعديل فى تسعة مجلدات لأبى حاتم الرازى (المتوفى سنة ٩٣٨م) .

٦ ـ كتاب الأنواع لابن قتيبة (المتوفى سنة ٨٧٩ م) .

٧ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى فى أربعة مجلدات (المتوفى سنة ١٣٤٧ م) .

٨ ـ ديوان ابن سناء الملك للقاضى عبد القاسم هبة الله المصرى (المتوفى سنة ١٢١٢ م) .

٩ ـ كتاب المعانى الكبير للبخارى .

وكتب أخرى مثل كتاب مفتاح السعادة ، وكتاب الخيل ، والأمالى لأبى عبد الله اليزيدى ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، والحماسة لابن الشجرى ، والفائق للزمخشرى ، والسنن الكبرى للبيهقى وكنز العمال لعلى المتقى وميزان الاعتدال للذهبى .

وقد استقبلت مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالحفاوة والعناية من قبل الدوائر العلمية والجامعات الكبرى والمراكز التحقيقية ـ فى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وتركيا ومصر والحجاز والشام ولبنان وغيرها ـ ووعد جماعة من كبارهم فى مؤتمر المستشرقين فى استانبول سنة ١٩٥١ بإعانتها علميا وفنيا . والمكتبات الكبرى فقد فتحت أبوابها لإمداد الدائرة بنفائسها الخطية وبالصور الشمسية والأفلام النادرة والمواد المبتكرة .

والمؤسسة الثانية هى مؤسسة دار العلوم لندوة العلماء للتأليف والطبع والنشر . وقد اهتمت هذه من بداية إنشائها اهتماما بالغا بتدريس اللغة العربية على أوسع نطاقه من ناحية الأدب والنقد والفنون الأدبية . ولذلك كانت المدرسة فى أشد الحاجة إلى وضع كتب المبادئ المتوسطة لتثقيف الطالب الهندى وتقريبه إلى الذوق العربى السليم ، وتكوين ملكة راسخة للإنشاء والترجمة فى هذه اللغة لأن المدارس العربية فى الهند لاتزال تواجه صعوبات فى استيراد الكتب الأدبية من البلاد العربية .

ولأن المنهج السائر والكتب الأدبية المتداولة فى البلاد العربية لا توافق طبيعة الطالب الهندى الذى يدرس اللغة العربية بعد نضوجه فى لغته القومية . وتدريس هذه اللغة وتوطيد الملكة الراسخة فى الطالب الهندى يتطلب جهودا متضافرة غير الجهود التى يعانيها أبناء العرب الناطقين باللغة العربية . ولذلك ألف أساتذة مدرسة دار العلوم لندوة العلماء كتبا دراسية فى الأدب والإنشاء والصرف

والنحو والبلاغة . وقد قام الأستاذ أبو الحسن على الندوى (مدرس دار العلوم لندوة العلماء فى ذلك الحين) بوضع كتب دراسية فى الأدب للمرحلة الابتدائية والثانوية . وألف سلسلة من قصص النبين فى مادة النصوص للمرحلة الابتدائية والإعدادية ومختارات الشعر والنثر للمرحلة الثانوية . ثم قام عدد من الأساتذة فى المدرسة بإعداد كتب فى الإنشاء والترجمة والصرف والنحو . وشرح هؤلاء القواعد العربية باللغة الأردية لكى يفهم الطالب هذه القواعد الصعبة بلغته القومية . لأن اللغة القومية تعتبر أسهل طريق لتدريس اللغة الأجنبية . وقد تلقت معظم هذه المدارس العربية فى الهند هذه الكتب بالقبول والترحيب وتدرس هذه الكتب فى أنحاء الهند .

وقد أنشئت مؤسسة أخرى فى مدينة لكهنو لتدريس وتسهيل اللغة العربية وسميت هذه المؤسسة بإدارة تعليمات الإسلام . ووضعت هذه المؤسسة عدة كتب لتدريس اللغة العربية بطريق المراسلة . وهذا المنهج أيضا أفاد كثيراً فى تعليم اللغة العربية . واستطاع بهذا الطريق مئات من الطلبة فى المدارس والجامعات ومن الموظفين أن يتعلموا اللغة العربية فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنين .

ومن الإنصاف أن نذكر الأستاذ عبد الحفيظ البيلياوى (أستاذ اللغة العربية فى دار العلوم لندوة العلماء) بتأليفه القواميس من اللغة العربية إلى الأردية وبالعكس . وقاموسه مصباح اللغات (من العربية إلى الأردية) لا يضارعه قاموس من العربية إلى اللغات الشرقية . وهو أضخم وأنفس قاموس . وقد جرى المؤلف فيه على منوال المنجد . وقد نال مؤلف هذا القاموس جائزة الحكومة الهندية تقديراً وتشجيعاً لخدمته الباهرة . وقاموسه فى متناول أيدى ناطقى اللغة الأردية فى الهند وباكستان .

وقد بقى لنا الآن أن نذكر مؤسستين كبيرتين وهما دار المصنفين فى مدينة « أعظم كره » وندوة المصنفين فى مدينة نيودلهى . وقد ترجمت فى هذه المؤسستين عدة كتب عربية إلى اللغة الأردية كما نشرت فيها بعض الكتب العربية .

وتقوم جميع هذه المؤسسات بنشاطها على نفقات الشعب الإسلامى بالهند ما عدا دائرة المعارف العثمانية . لأن المسلمين فى الهند لا يزالون يعتقدون أن التراث العربى هو تراثهم القومى . وإذا لم يحافظوا على هذا التراث فلن يبق لهم أى كيان فى الهند ، وهذه المؤسسات والمدارس العربية والمراكز الأخرى التى ذكرناها تحتاج إلى تشجيع من الأمة العربية جميعاً ولا سيما الأزهر الشريف وجامعة الدول العربية ؟

محمد اسماعيل الندوى

مع قضايانا

إنّا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصى

إننا عائدون إلى فلسطين العربية الإسلامية لأن كتاب ربنا تبارك وتعالى - وهو القرآن المجيد - يحدثنا عن العودة والرجوع ، حتى فى تاريخ السابقين من الأنبياء لنبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فهو يقص علينا قصة موسى ، فيقول فيها : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

روى ابن كثير فى تفسيره (١) أن دار أم موسى كانت على النيل ، فاتخذت تابوتا ، ومهدت فيه مهدا ، وجعلت توضع ولدها ، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وسيرته فى البحر ، وربطته بحبل عندها ، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه ، فذهبت فوضعته فى ذلك التابوت ، وأرسلته فى البحر ، وذهلت أن تربطه ، فذهب مع الماء ، واحتمله حتى أتى به على دار فرعون ، فالتقطه الجوارى ، وذهبن به إلى امرأة فرعون ، فوقعت محبته فى قلبها ، بينما أصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهول ، وحرم الله عليه المراضع ، وأعاده إلى أمه بقوته وقدرته وحكمته .

وإن الإنسان ليتخيل أم موسى وهى تلقى بوليدها ووحيدها وفلذة كبدها إلى الماء ، والموت يترصد له فى كل جانب ، والغد أمامها غيب مغيب ، ثم يتخيل هذا الوليد وهو يتأرجح فوق الأمواج ، يعلو تارة ويهبط أخرى ، ثم يتخيله وهو يقع بين أيدى الذين يبحثون عنه جادين ، ليعجلوا به إلى الهلاك والدمار ، ولكن يد الله العلى الأعلى تتدخل فتجعل الخوف أمنا ، والعدو حارسا ، والموت حياة ، ثم توسع خيرها وبرها فتحمل هذا الوليد إلى الأم التى ظلت لحظاتها الماضية بلا استقرار وبلا فؤاد :

« فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٨٠ .

وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

فهذه عودة بعد فزع وهلع ، وهذا رجوع بعد تعرض لأخطار جسيمة وأهوال عظيمة وهذه طمأنينة على حق تعرض للضياع والهلاك ، ونحن أولى بموسى من اليهود الصهاينة الذين آذوه وعصوه ، وفعلوا به الأفاعيل ، أليسوا هم الذين قال الله لهم : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » ؟ أليسوا هم الذى قال الله فيهم : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ؟ أليسوا هم الذين عصوا موسى حينما حرضهم على الجهاد ودعاهم إلى موقف الحق : « قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » .

أليسوا هم الذين قال فى شأنهم القرآن الكريم : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ونحن المسلمين نجل شأن موسى ونعظمه ونوقره ، فهو عندنا نبى من أنبياء الله ، ورسول من رسله ، ومن أولى العزم منهم ، وهو كليم الله جل وعلا ، ونحن مأمورون بالإيمان به وبما جاء به من عند ربه ، ونحن نتعبد بتلاوة آيات فى القرآن تمجد موسى وتنزهه . مثل قول الله تعالى عن موسى : « واصطنعتك لنفسى » . وقوله : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » . وقوله : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » . وقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون » . وقوله : « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » .

فنحن إذن أولى بموسى من اليهود ، ونحن أولى منهم بتمجيد ذكره وتعطير مواريثه بالتنزيه والتقدير .

* * *

وإنا عائدون إلى فلسطين لأننا أخرجنا منها من قبل وعدنا إليها ، ولقد أقبل الصليبيون إقبال الوباء المنتشر ، فانتزعوا فلسطين من

أيدى المسلمين ، وظلوا فيها قرابة مئة عام ، ثم أقبل البطل الإسلامى الفاتح صلاح الدين الأيوبى ، واسترد فلسطين بجيش الإسلام والعروبة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وفلسطين المحتلة الآن لم يمض على احتلالها مائة سنة ولا خمسون عاما ، ولا ثلاثون ، وإنما مضى على احتلالها ثلاثة عشر عاما ، ولم تخمد النار ولم يهدأ الجرح بعد ، وإننا لنتحفز للعودة ولن ننام عنها ولن نتأخر فيها : « إنهم يَرَوْنَهُ بعيداً ونراه قريبا »

وفى طبيعة أمتنا العربية المسلمة ألا تصبر على الضيم والهوان ، وألا تستنيم للذل والصغار ، وقد تضطر فتركب الشطط من أمرها حينا ، ولكنها ما تكاد تجد الثغرة للانطلاق والانعتاق والتحرر والتسامى حتى تنطلق ، فلا تتلبث حتى تبلغ غايتها وتقطف ثمرتها ...

حتى شهداؤنا فى قبورهم يأبون علينا ذلك ، فهم يهتفون بنا من وراء الغيب أن اغسلوا العار وطهروا الديار ، وهذا هو الشاعر « باكثير » يقول على لسان أحد شهدائنا مخاطب مؤبنيه :

فيم احتشادكمو هذا ؟ لتأبينى ؟
أنتم أحق بتأبين الورى دونى
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إنى نزلت بدار الخلد فى رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
فى جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجينى
قامت عليهم وحوش البغى قاطبة
من ثعلبان ومن دب وتنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاما فى مجامعهم
بل استردوه قسرا فى الميادين
والمسلمون جميعا من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والصين
لا تندبونى فإنى لم أمت ضرعا
فإن علمتم علىَّ الذل فابكونى
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتى
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين [1] !!

* * *

وإننا عائدون إلى أرض أبينا وأبى العرب وأبى الأنبياء إبراهيم عليه وعليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ... سنعود إليها لكى نعيد « حساء الخليل » إلى بلد « الخليل » ، ونجعل هذا « الحساء » كما كان طعاماً للغادين والرائحين ،

---

[١] كتاب المحفوظات الازهرية ج ١ ص ١٤ .

ومن لم ينله منهم دفعا لجوع أو مسغبة، ناله بعثا للذكرى أو التماسا للبركة ...

وما قصة «حساء الخليل»؟.

إن له لقصة تروى! ...

«الخليل» بلدة من بلاد فلسطين، وفيها دفن إبراهيم عليه السلام، وسميت البلدة باسمه، وروى أن إبراهيم كان كريما مضيافا، وقد يؤيد القرآن الكريم ذلك حين يقول: «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين، فقربه إليهم قال ألا تأكلون»؟!.

وروى أن إبراهيم كان لا يتناول طعاما إلا مع ضيف يشاركه، فقدموا إليه الطعام يوما، فطلب ضيفا يأكل معه، فلم يجدوا له إلا شخصا كافرا، وبينما هما على الطعام فهم إبراهيم أن ضيفه كافر، فلم يطق الطعام معه وطرده. فأوحى الله إليه ما معناه: يا إبراهيم، أنا قد احتملت هذا الكافر في كوني طيلة ما مضى من عمره، أفلا تحتمله أنت ساعة من الزمان على مائدتك؟!.

وتقول القصة إن إبراهيم بحث عن الكافر حتى أعاده، وقص عليه ما أوحى إليه، فأعجب الرجل بدين إبراهيم، وسارع بالدخول فيه! ...

ولما كان إبراهيم مشهورا بالكرم والجود فقد حرص أبناء بلدته «الخليل» منذ عهد بعيد على صنع نوع من «الحساء» يسمونه «حساء إبراهيم»، ويقدمون هذا الطعام للغادي والرائح، وللعاجزين والقادرين على السواء، فينال الناس قدراً منه إثارة للذكرى والتماسا للبركة؛ ولقد زرت «الخليل» مرة ومرة، ورأيت الحساء بعد النكبة ما زال يقدم؛ ولكن أي حساء؟ ..

إنه حساء الفقراء واللاجئين يقدم للمشردين. حساء هزيل غير دسم، يقبل عليه اللاجئون ويقفون صفوفا في انتظار غرفة أو غرفات منه، لا تسمن ولا تغني من جوع. فنحن يجب أن نعود، لنعيد «حساء إبراهيم الخليل» كما كان شهيا دسما مغذيا، ينال منه الأهلون، وينالون منه القادمون، وينال منه المرتحلون، ويمتد به تاريخ السخاء والعطاء مزهراً ناضراً في هذه الديار.

وإننا لعائدون إلى فلسطين لنمحو تلك السبة التي لا مثيل لها في التاريخ، سبة التشريد لهؤلاء اللاجئين الذين أخذ الشعراء يقسمون بجوعهم وعريهم، فيقول أحدهم:

قسما بجوع اللاجئين وعرى سكان الخيام
لنصارعن الموت من أجل الوصول إلى المرام

وإني لأذكر الآن اليوم السادس من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ حيث كنا في المؤتمر الإسلامي بالقدس من أجل فلسطين، وفي

هذا اليوم زرنا قرية « أدنة » الفلسطينية ، وهي من قرى الخطوط الأمامية ، على الحدود الوهمية التي يسمونها حدود إسرائيل ! .

وهناك جلسنا والشمس شاحبة اللون تدنو من الغروب ، وكأنها بشحوبها ودنوها شيئا فشيئا من المغيب تنفض يدها من تراب رمس سوته منذ قليل . وكان جلوسنا في مدرسة قرية « أدنة » ؛ واجتمع أهلوها ليقولوا ويسمعوا ، وتقدم صبي من تلاميذ المدرسة ، وخلفه زملاؤه في صفوف ، وأخذ الصبي ينشد نشيداً يبدأ بقـــول الشاعر :

« قسما بجموع اللاجئين وعرى سكان الخيام »

وما كدت أسمع هـذا المقطع حتى انخرطت في البكاء ، وانفرط عقد التماسك ، فلم أستطع مقاومة الدموع ، فقد تجسم أمامي بؤس هؤلاء الصبيان وشقاؤهم بضياع بلادهم ، وتذكرت أولادي ، وتصورت أنهم قد ينالهم ما نال هؤلاء ، « وكلنا في الهم شرق » كما قال شوقي ، ورددت بيني وبين نفسي قـول العزيز المهيمن : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » .

وهنا هتفت لنفسي : إن القول السديد هنا هو أن نردد في عزم وتصميم : إننا عائدون إلى فلسطين ، إذ يجب علينا أن نعود .

إننا عائدون ... نقولها بصيغة الجمع ، لأن القضية قضيتنا جميعاً ، لا قضية أبناء فلسطين وحدهم ، ونحن بوحي عقيدتنا وديننا أمة واحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « إنما المؤمنون إخوة » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وسنعود إلى فلسطين ، وهناك نصلي « صلاة الفتح » ، فقد روى ابن القيم في « زاد المعاد »[1] ، أن الرسول صلى الله عليـه وسلم صلى ثمـاني ركعات من أجل فتح مكة . وذكر ابن القيم أن سنة الفتح أن تصلي عنده ثماني ركعات ، وكان الأمراء يسمونها « صلاة الفتح » ، وذكر الطبري في تاريخه عن الشعبي قال : لمـا فتح خالد بن الوليد « الحيرة » صلى صلاة الفتح ثمـاني ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف ...

اللهم هيء لنا من أمرنا رشدا ، ولا تطل علينا أمداً . واجعلنا صادقين محقين حـين نقول : إننا عائدون ! ...

أحمد الشرباصي

---

(١) زاد المعاد ، ج ١ ص ٩٣

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

— ٢ —

الابتكار في آراء ابن خلدون :

ذلك هو الغرض من المقدمة وتلك هي مسائلها وهذا هو أثرها في تاريخ ابن خلدون وقد سبق أن أشرنا إلى أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ومؤسس مدرسة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصاديا ، ونحن قد قدمناه على أنه مؤسس علمه ومبتكر مباحثه . بل هو يخص نفسه بذلك فيقول : « إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص [1] » . فإلى أي حد يعتبر مبتكراً . وما أثر آراء السابقين عليه فيما كتب .

لقد أحس ابن خلدون بأن دعواه هذه لا بد أن تعترضها مثل تلك الأسئلة فتولى الإجابة عنها قال : « هذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات اللغات أن الناس محتاجون إلى العبارة من المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع [1] » .

ويذكر ابن خلدون أسماء الذين سبقوه في الإشارة إلى جزئيات هذا العلم الجديد فيشير إلى الموبذان وأنو شروان ثم يقول : « إن في الكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة ، المتداول بين الناس جزءا صالحاً منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره » .

وقد أشار ابن خلدون إلى أن في هذا الكتاب بعض حكم عن تطورات الدولة مصوغة في قالب الحلقات المفرغة ...

« وكذلك نجده ـ في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات ـ

---

[١] مقدمة ابن خلدون ص ١٣٦

[١] المقدمة ص ٣٧ .

الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه إنما يجليها فى الذكر على منحى الخطابة فى أسلوب الترسل وبلاغة الكلام ...[(١)] » .

« وكذلك حوم القاضى أبو بكر الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة إنما يبوب الباب للمسألة ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس ... والهند ... وغيرهم من أكابر الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا ، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما ، وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره ، فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتنى شىء فى إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه ولى الفضل لأنى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدى بنوره من يشاء[(٢)] .

وهناك غير الطرطوشى : الفارابى ، أحمد ابن عبد الله ، ابن مسكويه ، الماوردى ، الطقطقى ، الغزالى ، أبو الفضل الدمشقى . وقد تناول هؤلاء طرفا مما تناوله ابن خلدون فى بحثه ، فنجد الفارابى يتحدث فى كتابه عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع وعن نشأة القرى والمدن ، ونجد أحمد بن عبد الله يطرق موضوعات تقسيم العلوم والصنائع وتأثير طبيعة البلدان فى الأخلاق . ونجد ابن مسكويه يتحدث عن التضامن ، والغزالى عن النفوذ والجاه وأبو يوسف عن موضوع الخراج وغير هؤلاء كثير .

إلا أن ذلك كله لا يقلل من ابتكار ابن خلدون ، فمن تقدم ذكرهم تناولوا جزئيات من الموضوع الواسع . أما ابن خلدون فقد أراد أن يكون من الجزئيات كلا ومن المتفرقات نظاما متماسكا (Systeme) . وقد امتاز كذلك بتجاربه العملية فى سياسة الدولة وهو مالم يتح لكثير منهم . وآية ذلك أنك تجد الطرطوشى مثلا يتكلم عن مسلك السلطان نحو الرعية ونحو الأموال العامة ونحو الجند وعن الظلم وعواقبه وهى موضوعات تكلم عنها ابن خلدون . ولكن طريقة تناول كل من المؤلفين مختلفة عن طريقة الآخر ، فالطرطوشى يجتهد فى تأييد أقواله بالحكم والأقوال المأثورة . بينما يلجأ ابن خلدون

(١،٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨ .

إلى الطريقة العلمية الحديثة وهى الاستنباط والاستقراء من الوقائع والتجارب(١) .

وبجمل ما تقدم أن ابن خلدون لم يكن مبالغا فيما ادعاه لنفسه وهو رجل يعرف قيمة نفسه ويجاهر بها إلى جانب مظهر التواضع الذى يتخذه شعاراً . حقيقة أن تحصيله ممن سبقه كان له تأثير فيما أنتج إلا أن الابتكار فى كتابته واضح لا نزاع فيه على أنه يا حبذا لو أن كتب العلماء المشار إليهم وكتب غيرهم درست بعناية على ضوء البحث العلمى الحديث إذاً لكانت المقارنة أسهل طريقاً وأثبت نتيجة .

وإذا كان هذا موقف ابن خلدون بالنسبة لمن سبقه فالأمر على خلاف ذلك بالنسبة لمن تلاه . ونحن نلمس تأثير مقدمته وتاريخه فى المقريزى والقلقشندى . على أن أثره الأكبر يظهر فى كتاب المقريزى « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، ونجد المقريزى فى هذا الكتاب على غرار ابن خلدون ينسب بؤس القطر المصرى إلى :

١ ــ الفوضى السياسية وانتشار الرشوة وانتقال الحكم إلى أيدى الجهال .

٢ ــ الغلاء المفرط المجحف بالسكان .

٣ ــ ذيوع النقد المنحط .

وفى هذه الفصول شبه كبير بما كتبه ابن خلدون عن الظلم والعمران والغلاء والسكة وانتشار الغش فى النقود . ولا غرو فالمقريزى تلميذ ابن خلدون وقد أخذ عنه حين قدومه إلى مصر .

نفوق ابن خلدون :

هذا هو المكان الممتاز الذى يشغله ابن خلدون بين من سبقه ومن تلاه من علماء الحضارة الإسلامية . ولا يرجع ذلك فقط إلى طرافة ما عالجه من المواضيع وسبقه الغير فيها وإنما تستند شهرته إلى طريقة معالجته للموضوع كذلك . فأسلوبه قوى لا يتعمد فيه السجع وموضوعاته حسنة التبويب منطقية التقسيم تجد البحث يتسلسل من سابقه . ومع ذلك يتجنب الاستطراد والحشو ، كل ذلك يطبعه طابع علمى متين(١) . وهو يتجلى على الخصوص فى إدراكه لقانون السببية ونظرية النشوء والارتقاء ولدرجة الترابط بين العلوم الاجتماعية المختلفة .

(1) "Le caractère principal de l'œuvre d'Ibn Khaldoun est qu'il a donné resolument le pas à l'observation sur le raisonnement abstrait ..."

G. Bouthoul, la philosophie sociale d'Ibn Khaldoun. P. 83.

(1) Unlike some of his brilliant successors he shows a remarkable freedom from bias, innuendo, carping criticism and extravagant praise"

N. Schmidt p. 15.

أما إدراكه لترابط العلوم الاجتماعية المختلفة فيشهد عليه فكرة المقدمة نفسها فهى مجموعة مباحث اقتصادية واجتماعية ومالية وسياسية وتهذيبية وأخلاقية ... والاتجاه الحديث يتجه إلى إظهار الوحدة والترابط بين هذه العلوم الاجتماعية المختلفة .. وبعد ما كانت النزعة إلى تأكيد استقلال كل علم أخذت هذه النزعة تزول وتحل محلها فكرة الاتحاد والارتباط بين هذه العلوم المختلفة ذات الموضوع الواحد وقد نظر إليه من زوايا مختلفة الا وهو العمران البشرى .

وأما إدراكه لقانون السببية فواضح فى كثير من أقواله من ذلك قوله : « إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض [1] » .

وقد أدرك « أن تزاحم الظواهر أو تعاقبها والبحث عن المقنع فى تباينها أو تناسبها [2] » : يؤدى إلى كشف القوانين الخاصة بها وقوانين تزاحم الظواهر هى قوانين السكون وقوانين تعاقب الظواهر هى قوانين الحركة .

كذلك لاحظ ابن خلدون عناصر نظرية النشوء والارتقاء الأساسية فقد سجل « تبدل الأحوال فى الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ... .

وأحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال [1] » .

آراء النقد الغربى فى ابن خلدون :

لقد تبوأ ابن خلدون مكانا رفيعاً فى نظر علماء الغرب . فاعتبره هؤلاء السباق الأول إلى علم الاجتماع وعلم التاريخ . وأطلقوا عليه الفيلسوف والمؤرخ العظيم ، وأعظم رجال المدنية العربية .

وأجمع فريق منهم [2] على أن ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ كما أنه سبق دور كهيم (Durkheim) وغيره من مؤسسى علم الاجتماع الحديث بخمسمائة سنة . وفى المقدمة التى كتبها لتاريخه الكبير وضع فلسفة التاريخ تعتبر من غير شك ، أعظم ما وضعه من نوعها أى عقل فى أى زمان أو مكان .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٩١ فى حقيقة النبوة .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤ .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧ .

(2) Charles Issawi : Ibn Khaldoun. انظر أيضا Toynbee : Astudy of History III, 322. Khaldoun, An Arab philosophy of history, wisdom of the East, John Murray.

ويقول الأستاذ جبلوفتز « لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت بل قبل فيكو الذى أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعى أوروبى جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى فى هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع » (١) .

ويقول دى بوير « لقد حاول ابن خلدون أن يؤسس نظاما فلسفيا جديدا لم يجل بذهن أرسطو ، وأن يجعل من التاريخ نظاما وهو يقول لنا : إن هذا النظام إنما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها ، وثقافته الفكرية ، ومهمته هى أن يبنى كيف يعمل الناس ، وكيف يحصلون أقواتهم ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة إلى الترف الناعم ، وتزدهر ثم تضمحل وتنقضى » .

ثم يقول دى بوير : إن ابن خلدون هو بلا ريب « أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة ، وأن يعرف ظروف الجنس والإقليم ووسائل الإنتاج وما إليها وأثرها فى تكوين ذهن الإنسان وعاطفته فى تكوين المجتمع . وهو يرى فى سير الحضارة تناسقا داخليا منظما » (١) .

ويقول الأستاذ كلوزيد إنه « من حيث الجنس الذى انحدر منه والبلد الذى ولد فيه والحضارة التى ينتمى إليها - يمكن أن يوضع فى صف عظماء الرجال الذين يتبوءون فى التاريخ أسمى مكان » (١) .

ثم يقول الأستاذ كلوزيد فى مؤلفه : « إن كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع تجعله فى مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذى يؤديه العمل والملكية والأجور يحله فى مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين » .

ويرى الأستاذ شميدت أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ويتفق مع جمبلوفتز فى أن الاجتماع وجد قبل أوجست كونت بعصور وأن ابن خلدون ذهب فى تفكيره إلى حدود لم يذهب إليها كونت ، وأنه فيما يعالج من خواص العادة والاقليم والأرض والغـــذاء قد سبق مونتسكيو وسبنسر وغيرهم (٢) .

---

(1) L. Gumplowicz. Ibn Khaldoun ein arabischer soziologe des 14 Jahrhunderts.

نقلا عن الأستاذ محمد عبدالله عنان ابن خلدون ص ٥٢

[١] نقلا عن المؤلف السابق ص ١٥٠ .
De Bœr. Geschichte der philoosphie im Islam (1901).

(2) S. Colosio-Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun. Revue du Monde Musulman XXVI, 1941.

(البقية على صفحة ٧٥٨)

مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة

للأستاذ عباس طه

من حق الأمة الإسلامية أن تزهى بصراقتها وأن تتيه بمبادئها السامية ، فوق ما لها من تراث هو أبقى على الزمن الباقي من الزمن ، وأخلد في صحيفة الأيام أثراً ، ذلك هو شريعتها الخالدة بالقياس إلى الشرائع الأخرى السابقة وهى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الأعظم . فكانت للناس مثالا يحتذى ، وقبسا يستضاء به فى الظلم الحوالك ، فهى شريعة حافلة بالعظائم معرقة فى المبادىء والمكارم جد حريصة على صيانة الحقوق ، والآداب ، والأخلاق . عرفت الإنسان مدى واجباته وحقوقه فى دائرة الحق الطبيعى ، والنظام الحكيم .

وقد أسبغ الله على شريعته ففازت بأرقى أنواع الكمال : قال جل من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . فكان محمد صلى الله عليه وسلم أول قاض قضى بين الناس بهذا القانون الكامل بقوله تعالى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » ، وقوله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى إما بنص كلام الله الذى ينزل به الوحى ، أو باجتهاده فيما لم يكن فيه نص ، وقام مقامه بعد انتقاله الخلفاء الراشدون ، فاجتهدوا فى تعرف الأمور التى تفرض عليهم ، فكانوا يرجعون إلى كلام الله ، فإن لم يجدوا نصا اتجهوا إلى المأثور عن الرسول صلوات الله عليه ، فإن لم يجدوا حكموا الآراء وأجهدوا العقول حتى يصلوا للحق وبه يحكمون .

من هذا تبين أن المصادر للفقه الإسلامى كانت أربعة : الكتاب ، والسنة ، والقياس الفقهى وهو تطبيق حكم حالة منصوص عليها على واقعة غير منصوص عليها ، والمصدر الرابع الإجماع لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تجتمع أمتى على ضلالة) . ولما كان باب الفهم واسعا رجع لما يتجه له كل مجتهد من الفهم لاحتمال الألفاظ لأكثر من معنى واحد كما يرجع إلى الاختلاف فى رواية حديث ، فمنهم من يرى أن الشواهد كثيرة على صحته ، ومنهم من يرى العكس ، غير أن اختلافهم لم يكن ناشئا عن تعصب ولا تعسف بل كان فى سبيل الله والحقيقة ، وتحرى الصواب ، والوصول إلى قانون شرعى يطبق على المجتمع .

وبسبب ذلك اتسعت دائرة البحث العلمي والفقهي ، وانطلق المسلمون في كل ناحية من نواحي الأرض لنشر الدعوة الإسلامية ، واستنباط الآراء الفقهية .

ولقد قام كثير من المشتغلين من المصريين بالعلوم القانونية بأوربا بمباحث قيمة في الشريعة الإسلامية كانت سببا في وقوف الكثير من علماء الغرب على نظمها وأحكامها ودلت على أنها أخصب مصدر للقانون المقارن. فإذا نحن أرسلنا نظرة إلى الشرائع الأخرى كاليونانية والرومانية نجد المدى بعيدا شاسعا بين الطرفين .

وعن الثانية يقول الأستاذ الأمريكي شيرمان: «إن الفضل في عودة المدنية إلى أوربا بعد طوفان العصور المظلمة راجع إلى القانون الروماني» . وإنا لنورد طرفا منها لنتبين الفروق بينها وبين الشريعة الإسلامية .

كانت شريعة الرومان أول أمرها عبارة عن تقاليد مبنية على معتقدات كانت أساسا لنظام الملك ، وكان الملك هو الرئيس الديني المشرع وهو القاضي الذي يحكم طبقا لهوى نفسه وإن لم يتفق حكمه مع العدالة وكان من يخالف حكمه يعتبر معرضا لسخط الآلهة وكانت طرق الادعاء مبنية على أساليب غريبة معقدة شاقة وإشارات وعبارات معينة أقل هفوة فيها كانت تضيع الحق على صاحبه .

ولبيان ذلك نسوق المثل الذي أورده (جيوس) ، وهو يتلخص في أن شخصا قطع أشجارا لجاره بغير حق فذهب الرجل لرجال الدين يستلهمهم صورة الدعوى فأملوه الصورة الآتية: (أقول إن المدعى عليه قطع أشجاري بغير حق) ولكن المدعي عند ما ذهب للحاكم القضائي وبدأ يلقيها لم يقل قطع أشجاري ولكنه قال قطع كرومي ظنا منه أن التخصيص أفضل من التعميم فترتب على هذا التغيير اللفظي سقوط الدعوى وضياع الحق .

دع هذا وانظر للشريعة الإسلامية وما فيها من اليسر تجد الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقضي له قطعة من نار) أليس في هذه المقارنة البسيطة ، ما يدل دلالة صريحة على أن الشريعة الإسلامية شريعة حق وعدل وإنصاف وأنها تعنى بإحقاق الحق لذاته ولا تعنى بالأعراض ؟ .

خذ مثلا آخر عن الشهود وما كانوا يلاقونه من مشقة وتعقيد ، كان الخصوم يستصحبون أصدقائهم وأقاربهم لتأدية الشهادة شفهيا طبقا لنصوص معروفة وشكليات مخصوصة ، فإذا امتنع شاهد عن تأدية الشهادة لنسيان طرأ

عليه لطول عهد الحادثة ، أو لنسيان بعض كلمات الصيغة التي يمليها عليه بعض رجال الدين فإن الشاهد يتعرض للجزاء ، ذلك الجزاء هو أن يذهب من طلبه للشهادة أمام داره ويلقى بعبارات هي في الواقع لعنات ولخطورة هذه اللعنات يخول الشاهد إبطال ذلك السباب إذا استطاع أن يثبت أنه لم يشهد زوراً أو لم ير شيئا يشهد عليه .

وكان عندهم أن للدائن حق الاستيلاء على مدينه إن لم يدفع الدين أو لم يقم كفيلا للسداد وللدائن أن يبيع مدينه كالرقيق ، وأن يسترده إن سرق منه .

وكان عندهم أن السارق إن ضبط متلبسا فللمسروق منه أن يبيع السارق كالعبد .

شريعة قاسية في أحكامها عنيفة في مبادئها يقتل فيها المدين إن لم يسددما عليه من الدين ، كما أن للمجنى عليه أن يقتص من خصمه بيده وكان عندهم أن من يدعى بدين على آخر ولم يثبته فللمدعى عليه أن يدعوه للمبارزة ويثبت الحق في ذمة المغلوب . وكانت عقوبة الموت تنفذ شنقا أو حرقا أو بفصل الرأس عن الجسد أو بالجلد أو بالإلقاء من صخرة .

لعل معترضا يقول : إن هذه الإجراءات الخرافية والمنافية للعدالة كانت في بدء حياة الرومان ، وقد تحسنت حالتهم ووصلت بعد تطورها إلى الحالة العظيمة التي جعلت علماء الغرب يتغنون بذكرها ـ ونحن نقول إن الشريعة الإسلامية بدأت متمشية مع العدالة جنبا لجنب ، وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم في قوم أشداء مشركين طغاة ، متجبرين متكبرين ، فلما أودع الله فيه من صميم الحكمة ولباب الحق وبلاغة الحجة رفع علم الإنصاف والعدل ، فلا يرى في الشريعة الإسلامية من مبدئها للآن خرافة ، ولا نرى فيها عوجا ، وستظل كذلك ليوم الساعة إن شاء الله .

إذن فلا مراء في أن الشريعة الإسلامية تساير كل زمن ، وتواكب كل جيل ، وتفتح صفحاتها . إما بالحسنات الطيبات والمثلات الرفيعات . وإما بالسيئات والموبقات للأمم والأفراد والجماعات . ومعناه أن الشريعة الإسلامية بما حلت في أطوائها من خلود غير مصحوب بجمود تفتح صفحاتها للمحسنين فتجزيهم على ما قدموا من مثلات وما أسلفوا من عبر وعظات . ثم تفتح صحيفة أخرى لمن أساء فهمها وخرج على تقاليدها وتعمد مجاوزة حدودها والتنائي عن مبادئها الفاضلة وأحكامها الماثلة بمعاقبتهم وأخذهم بالجزاء الصارم جزاء وفاقا . فالشريعة ذات ناحيتين : ناحية ثواب . وناحية عقاب ، وذات أفقين : أفق طيب مرىء يسع الأبرار بمثلاته وطيباته وأفق يأخذ على يد الفجار المستهترين الذين خرجوا على حدود الله وجهلوا محاب الله ومراضيه ، فإما نعيم مقيم ، وإما جحيم أليم والعاقبة للمتقين .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

مراكش مستقلة - بقلم : روم لاندو

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ روم لاندو هو أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات إفريقية الشمالية فى جامعة المحيط الهادى بمدينة كليفورنيا ، وهو سائح باحث قديم عهد بالبحث فى مسائل الديانة عامة والديانة الإسلامية خاصة ، وله مؤلفات كثيرة فى هذه المسائل على تعدد أبوابها ، وبعضها مقصور على البحث فى الحياة الإسلامية كما عرفها بين المسلمين من أبناء المغربين الأدنى والأقصى حيث قضى سنوات من حياته ، ولا يزال يقضى ما اتسع له من الوقت فى إحدى حواضرها .

وفضيلة هذا المؤلف فى كتاباته عن المسلمين أنه يشغل نفسه بالتفتيش عن الجانب السليم أو جانب الأمل من الحياة الدينية والدنيوية بينهم ، وليس كل شغلانه بالتفتيش عن الجوانب التى تبعث التشاؤم من الناحية الإسلامية وتبعث التفاؤل من الناحية الأخرى التى تقابلها : ناحية أولئك الذين يتربصون بالإسلام الدوائر من كتاب التبشير والاستعمار .

وعلى سنته هذه جرى فى الكتابة عن حالة المسلم المصرى المثقف ، وغير المثقف ، فى البلاد المراكشية بعد استقلالها ، وبخاصة فيما يتراءى للمراقبين الأوربيين الذين يزورون البلاد وينظرون إلى أثر الحضارة والحرية على قوة العقيدة الدينية بين الشبان المتعلمين . وقد كتب أحد السائحين الإنجليز مقالا زعم فيه أن طوالع الأحوال كما رآها أخيراً تدعو إلى اليقين بانفضاض البلاد عن الدين وإقبالها على المراسم الأوربية بعد سنوات قليلة ، فيما يتعلق بنظم الحكم ونظم المعيشة التى تتصل بالمعاملات الأجنبية ، سياسية كانت أو اجتماعية .

فكتب الأستاذ لاندو يرد على ذلك السائح بما وعاه من مشاهداته الكثيرة ، ومنها أحاديث المتعلمين فى وليمة بمدينة مراكش حضرها وذكر أن الحديث على المائدة أوشك أن يدور على موضوع واحد وهو موضوع التصوف ، ثم قال :

« شجعنى موضوع هذا الحديث على إثارة السؤال عن حالة الإسلام فى مراكش المستقلة ... فانبعثت كلماتى حماسة عظيمة وكاد الحاضرون أن ينطلقوا بالكلام معاً دفعة واحدة . ثم تكلم الحاكم نفسه ـ وهو أوفرهم نصيبا

من التربية الأوربية ـ فأفضى بما يعتبر الرأى الفصل المتفق عليه بين الحاضرين ؛ وفحواه أن السائح الأجنبى يستحيل عليه أن ينفذ إلى حقيقة الحياة الدينية الإسلامية . فإن الشاب المراكشى قد يشرب ويطلق لسانه بالحديث فى مظاهر المعيشة الأوربية ، ولكنه إنما يفعل ذلك حبا للظهور أو لاختيار نوع غريب من المعيشة . وقد يتخلف عن الذهاب إلى المسجد ولكنه يؤدى الصلوات فى مواقيتها ويدين بالمهم الأساسى من الفرائض الدينية ، وإذا احتاج إلى الهداية الروحية فى أزمات ضميره فإنما يتجه بطلب هذه الهداية إلى القرآن . ولا تزال علاقاته بأبويه وبأهله وبما يؤمن به من فضيلة أو رذيلة هى تلك العلاقات التى يستوحيها من الآداب الإسلامية . وربما خطر له أن يوقع فى روع صاحبه الأوربى أنه رجل (متقدم) يتخلى عن القديم ليأخذ بالجديد ، ولكنه ضرب من الدفاع عن الذات أمام الغريب . إذ هو على يقين أن هذا الغريب يجهل حقيقة الإسلام ويعتبره فى عرفه مرادفا للرجعية ... على أن الغرباء الأجانب إنما يسمعون هذه الأحاديث من فئة قليلة بين الذين يقال عنهم إنهم فكريون Intellectuels ويجوز أن يكون بعضهم قد تحول عن ديانته ليدين بالمذاهب الهدامة . إلا أن هؤلاء الفكريين المزعومين لا يمثلون أحداً فى الأمة المراكشية غير أنفسهم . فإذا أردت حقا أن تعرفنا ـ كما نحن ـ فإنما تعرفنا هذه المعرفة بمشاركتنا فى حياتنا اليومية ... »

وقد سرد الأستاذ لاندو فى الكتاب أحاديث شتى سمعها من الشبان والشابات ، وروى جملة من المشاهدات التى مر بها اتفاقا فى مدن العواصم وقرى الريف ، ومن أعجبها عنده أنه كان يتحدث إلى فتاة متعلمة تحسن الكلام بالفرنسية كإحدى الفرنسيات ، وكانت تشترك فى أحاديث المجلس وهى مقنعة بقناعها التقليدى فسألها : كيف توفقين بين عادة البرقع وهذه الآراء العصرية التى تجهرين بها . فكان جوابها أن الإنسان لا يعتقد ما يعتقده بملابسه . وأنها تستطيع أن ترفع القناع ولكنها لا تحب أن تؤلم أباها وأمها بعمل لا يستريحان إليه . وحكى أنه كان يركب أحيانا إلى منازه المدن فيرى الفتى الناشئ ينزل عن مطيته فى موعد صلاة المغرب لينتحى جانبا ويؤدى صلاته قبل مواصلة السفر إلى وجهته ، وحكى عن طائفة الأتباع والخدم الذين عرفهم فى بيته أو فى بيوت أصحابه أنهم يعاشرون الأجانب زمنا ولكنهم يقومون بفرائضهم ولا يشربون الخمر أو يأكلون المحرمات .

ولم يستطع الرجل أن يحكم على الذين حادثهم واختبر شئونهم من أبناء البلاد بحكم واحد يشملهم جميعا ، ولكنه استطاع أن يقول أن الأوربيين المتعجلين يخطئون الظن خطأ بعيداً إذا اغتروا بظواهر الفرنجة وحسبوها علامة على المروق من العقيدة . فإن الظواهر

خداعة فى مسائل الدين التى تنطوى عليها الضمائر خلال عصور المحنة وليست هى بالعلامة الصادقة على الشعور الخفى الذى لا يدركه صاحبه أحيانا ، فضلا عن الغرباء عنه من أبناء وطنه أو أبناء الأوطان الأجنبية .

فربما شوهدت الغيرة على الإسلام بين أناس يهملون الشعائر ويخالفون الفرائض ولا يحرصون على التقاليد ، وربما كانت الغيرة الوطنية التى تحتدم فى نفوس الكثيرين من الساسة المتطرفين قبسا من غيرة المسلم على حماه وعلى تاريخه القديم ، ولا يجوز أن يفهم الأوربى أن المسلم يتخلى عن نسبته إلى الإسلام إذا لاح عليه أنه قد تخلى عن بعض الشعائر والتقاليد .

والذى نحب أن نزيده على تعليقات الأستاذ لاندو أن أمثال هذه الظنون التى تخامر بعض الكتاب عن الإسلام قد سلفت فى الأزمنة الخالية غير مرة منذ أوائل الدولة الأموية إلى هذه الأعوام الأخيرة ... وقد خفيت على مؤرخى القرون الخالية دلالتها العارضة ودلالتها الدائمة ، فخطر لهم فى كل مرة أنها نذير بزوال الدين أو عرض من أعراض النهاية التى يقدرونها لكل عقيدة كما يقدرونها لكل حضارة أو لكل نظام من نظم الاجتماع ، ولو أن المتأخرين استفادوا من عبر الماضى لاجتنبوا الخطأ فى رأى واحد بين سائر الآراء وهو خطأ الظن بأنها « الشيخوخة » قد عرضت للدين نفسه وآذنت بانتهاء حياة الإسلام إلى ما تنتهى إليه كل حياة . فإن العرض الواحد لا يكون من أعراض الشيخوخة عشر مرات .

حدث فى أواخر أيام الخلفاء الراشدين أن المسلمين الذين انتقلوا إلى البلاد المفتوحة فتنوا بمحنة الحضارات المنحلة ، وقارفوا بعض منكراتها وهجروا بعض عاداتهم فخيل إلى أعدائهم كما خيل إلى بعض الغلاة منهم أنها نذر الضياع على قول فريق ونذر القيامة على قول آخرين ، وجاء « رد الفعل » كما نقول فى اصطلاح هذه الأيام غلواً من الخوارج فى التشديد وإمعانا من الأعداء فى الدس الخفى أو فى العدوان الظاهر ، ثم انقضت الدولة كلها ـ وهى أول دولة إسلامية ـ وقامت بعدها دولة العباسيين على أساس من الغيرة للدين والنخوة لبيت النبوة . وتكررت هذه الظاهرة على مثال أخطر وأكبر فى إبان دولة العباسيين ، فإن احتكاك العالم الإسلامى بعالم الحضارة الرومية وعالم الحضارات الشرقية المنحلة قد أفشى بين المسلمين من جميع الأجناس بدعا كهذه البدع التى يذكرها السائحون المعاصرون ويرد عليهم الأستاذ لاندو بما أجملناه ... كان الرجل منهم يتظرف بالزندقة ليقال عنه إنه من التقدميين على اصطلاحنا فى هذه السنين ، وكان الفكريون المزعومون يلقى بعضهم بعضا بالسؤال عما يعتقده مذهبا له كأنما كانت عقائد المذاهب ضربة لازب مع العقيدة

الإسلامية العامة كما قال ميسرة بن حسان السمرى يسأل ابن أبى الشيخ :

دخلتنا الشكوك يا ابن أبى شيخ
بأى الأديان أنت تدين
وإلى أيها تميل يا ابن أبى جعفر
كم ذا الهوى وذا التلوين ؟

وكان « التظرف » يقضى على أدعيائه أن يخلطوا الهزل بالجدل فى دعاوى المجون والحكمة وشواغل الأدب وغير الأدب كما قال ابن الرومى فى صاحبه أبى على البصرى :

قولا لطوط أبى على
بصريّنا الشاعر المنجم
المتندر المضحك المغنى
الكاتب الحاسب المعلم
الفيلسوف المعظم شأنا
العائف القائف المعزم
الماهن الكاهن المعادى
فى نصر إبليس كل مسلم

وظن « السائحون » قديما من قبيل السائحين حديثا أن العالم الإسلامى مرق من الإسلام وانطفأت غيرة الإنسان على حوزته من قلوب المسلمين ، ولكن العالم الإسلامى — هذا بعينه — قد وقف بعد ذلك حقبة قصيرة فى وجه القارة الصليبية وجاء بشعوبه من أقصى المشرق لرد الغارة بمثلها إلى قلب القارة الأوربية .

ولما مضت على هؤلاء المسلمين فى شرق القارة الأوربية بضعة قرون خيل إلى بقايا الصليبيين أنهم قد « نضجوا » للتبشير وقد أصبحوا على استعداد للنزول عن شريعتهم كما نزلوا عن أحكام معاملاتهم فى تلك الامتيازات « الأجنبية » التى سموها من أجل ذلك « بالتنازلات » Capitulations أو التسليمات !

ولكن هذه التنازلات بعينها كانت بعد ذلك صيحة الثورة على السيطرة الأوربية ، حتى زالت الآن ورجعت عنها الدول الأوربية بدلا من رجوع الإسلام بعدها عن غيرها من معالمه وتقاليده .

فإذا كان شيوع التقاليد الحديثة أحيانا باعثاً من بواعث الأسف ودليلا من أدلة التهاون ، فتلك حالة توجب على المسلمين ، ولا ريب ، أن يبدلوا بها ما هو أوفق منها للآداب الإسلامية ، بل للآداب الإنسانية التى تخالفها التقاليد المعيبة كما تخالف حقيقة الإسلام .

ولكن التشاؤم منها يزيد على قدره الصالح إذا خيل إلينا أنه تشاؤم من مصير الدين كله ويزيد تفاؤل المتربصين به أيضا عن قدره الصالح لهم إذا اعتبروه « عرضا إسلامياً » ولم يفهموا من حقيقته قبل ذلك أنه عرض أجنبى يسرى من جانبهم ويوجب عليهم أن يتشاءموا منه لأنفسهم ولا يقصروا شؤمه على مستقبل الإسلام .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

الإسلام والتقدم

لشاعر العراق : معروف الرصافى

يقولون فى الإسلام ظلما بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله فى عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم فى الإسلام إلا فريضة ... وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم
وحلت له الأيام عند قيامه ... حباها وأبدت منظر المتبسم
فأشرق نور العلم من حجراته ... على وجه عصر بالجهالة مظلم
ودك حصون الجاهلية بالهدى ... وقوض أطناب الضلال المخيم
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجدا ليس بالمتهدم
وأطلق أذهان الورى من قيودها ... فطارت بأفكار على المجد حوم
وفك إسار القوم حتى تحفزوا ... نهوضا إلى العلياء من كل مجثم
فخلوا طريقا للبداوة مجهلا ... وساروا بنهج للحضارة معلم
فدوت بمستن العلى نهضاتهم ... كزعزع ريح أو كتيار عيلم
وعما قليل طبق الأرض حكمهم ... بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
وقد حاكت الأفكار عند اصطدامها ... تلألؤ برق العارض المتهزم
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت ... بها عن بنى الدنيا شكوك التوهم
وما ترك الإسلام للمرء ميزة ... على مثله ممن لآدم ينتمى
فليس لمثر نقصه حق معدم ... ولا عربى بخسه فضل أعجمى
ولا فخر للإنسان إلا بسعيه ... ولا فضل إلا بالتقى والتكرم

وليس التقى فى الدين مقصورة على صلاة مصل أو على صوم صيم
ولكنها ترك القبيح وفعل ما يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
فتقوى الفتى مسعاه فى طلب العلى وما خصت التقوى بترك المحرم
فهل مثل هذا الأمر بالأولى النهى يكون عثاراً فى طريق التقدم
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلما فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم رويداً فقد قارفتم كل مأثم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها لأظهر من هذا الحديث المرجم
علونا وكنتم سافلين فلم نكن لنبدى إليكم جفوة المتهكم
ولم نترك الحسنى أوان جدا لكم وتلك لعمرى شيمة المتحلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم كشفتم لنا عن منظر متجهم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها كما هى إذ أودت بعاد وجرهم

معروف الرصافى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٩)

وقد بلغ من إعجاب الأستاذ كاوزبو بابن خلدون أن قال مقارنا إياه بمكيافلى : « إذا كان رجل فلورنسا الكبير قد علمنا كيف يساس الناس فإن طريقته فى ذلك إنما هى طريقة الدبلوماسى والسياسى الحاذق بينما نرى أن العالم التونسى قد نفذ إلى الظواهر الاجتماعية ناظرا إليها نظرة الاقتصادى والفيلسوف المتعمق فسمح له ذلك بأن يعالج موضوعه بسعة أفق وروح نقد لم يعهد لهما نظير فى زمنه (١) » .

وإننا ندعو رجال العلم أن ينهضوا لننفض عن نفائسنا الغبار لتتخذ مكانها فى مجال العلوم والمعارف ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تحقيق هذا الأمل العظيم .

محمد محيي الدين المسيري

(1) S. Colosio-Revue du Monde Musulman. XXVI, 1914. p. 319.

الكتب

نقـــد وتعريف

بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — جرائم الحدود :

للأستاذ محمد عطية راغب

هذا الكتاب نشرته مكتبة القاهرة الحديثة تحت عنوان : جرائم الحـدود فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، والمؤلف غير غريب عن مجلة الأزهر ، فهو يمدها من حين لآخر بمقالاته المعنية بالدراسة القانونية .

ودراسة الكتاب تقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، وهى دراسة فى الفقه المقارن ، وقد يكون الكتاب الأول من نوعه فى انفراده بعرض الحدود على ضوء الدراسة المقارنة ، والمؤلف يمهد لهذه الدراسة بتعريف شامل لجرائم الحدود ، وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الجرائم التعزيرية من ناحية وبينها وبين جرائم القصاص من ناحية أخرى ، ثم تجىء موضوعات الكتاب فى خمسة أبواب تناول فيها المؤلف : جرائم الحدود ، الزنا ، السرقة ، قطع الطريق ، القذف ، شرب الخمر .

وفى كل باب يعرض الجريمة الحدية وحكمة تحريمها ، وعدالة الاسلام فى توقيع العقوبة على مرتكبها ، ثم يحلل أركانها ، وما يحوطها من شبهات ، وشروط أدلة الاثبات ويناقش ، العقوبة وتطوراتها فى مجال الإسلام والتشريع الوضعى ، وهو فى العرض والتحليل والمناقشة يعتمد على آراء الفقهاء المسلمين من أصحاب المذاهب المقلدة وغيرهم من المجتهدين ويلم ، إلماما دقيقا شاملا بالموضوع حتى تأتى دراسة وافية كاملة .

المؤلف حصر الحـدود فى تلك الجرائم الخمس المتفق عليها تقريبا ، ولم يتعرض للردة وهى حد من حدود الله ، وقد أضاف ابن حزم أيضاً جحد العارية ، وذكر الأستاذ عبد القادر عودة فى التشريع الجنائى أن الحـدود سبعة أضاف إلى الخمسة : الردة ، والبغى ، وكذلك الدكتور عبد العزيز عامر فى كتابه : التعزير فى الشريعة الإسلامية ، وما كان يضير الكتاب أن يتناول المؤلف بقية الحـدود المختلف فيها على أوسع نطاق .

وقد خلا الجزء الخاص بقطع الطريق من الدراسة المقارنة ، حيث لم يشر فيه إلى رأى الفقه الوضعى ، كما أن الحواشى للكتاب قد طغت طغيانا كبيراً على الدراسة الأصيلة فى الكتاب ، وكان من الممكن ألا يعمد المؤلف إلى التركيز المبالغ فيه ، وكنا نود أن لا يؤيد المؤلف أحد آراء الفقهاء مثلا فى عبارة تسليمية سريعة دون أن يذكر أسباب حكمه على الرأى الذى أيده ، والرأى الذى عارضه ، فعبارة « فأخذ بالرأى الأول أو الثانى ـ مثلا ـ لأنه أقرب إلى الصواب » مثل هذه العبارة التأييدية لا وجود فيها للبراهين العلمية ، والمؤلف بعد ذلك أسرف فى التبويب للدراسة ، فاستهلك صفحات عديدة فى تركها بيضاء إلا من سطر أو سطرين ، ولا أظن أن القارىء يستريح إلى تنسيق الفهرست الذى يعول عليه كثيراً من يعتبر هذه الدراسة مرجعاً أصيلا .

ولا نكران فى أن الأستاذ محمد عطيه راغب بذل جهوداً ضخما فى تقديم دراسة مقارنة ، تعتبر مرجعاً وافياً شاملا ، وقد ألم إلماما دقيقا بآراء فقهاء الإسلام ، وبآراء فقهاء التشريع الوضعى فى البلاد العربية ، ولو أنه عرض لآراء الفقه الوضعى المعاصر فى الغرب لجاءت الدراسة فريدة فى نوعها ، ومع هذا فالدراسة التى قدمها تشهد للمؤلف الحقوقى الشاب بعقلية ناضجة وأفق واسع ، وطاقة احتمال كبيرة فى استيعاب النصوص .

٢ ـ عبد الله بن سبأ :

للأستاذ مرتضى العسكرى

هذه طبعة ثانية من الكتاب نشرتها مكتبة النجاح فى بغداد . والمؤلف أحد علماء الشيعة بالعراق ، والكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، إلا أن قضية عبد الله بن سبأ لم تظفر منها إلا بصفحات معدودة . وقضية ابن سبأ هى الأصل فى موضوع الكتاب .

والمؤلف فى الدراسة الخاصة بابن سبأ يرى أن ابن سبأ نفسه أسطورة ، وليس حقيقة تاريخية ، ويعتمد على أن الطبرى هو المرجع الأول فى القصة أخذ منه من جاء بعده من المؤرخين ، كابن الأثير وابن عساكر ، ومن المعاصرين كالشيخ رشيد رضا والأستاذ أحمد أمين فى « فجر الإسلام » ، والطبرى اعتمد على رواية « سيف بن عمر التميمى » ، وأخذ المؤلف فى تجريح « سيف » تجريحا بالغا مستشهداً بآراء جمهرة من العلماء ، كابن معين ، وأبى حاتم ، والنسائى ، وأبى داود ، وابن عدى ، والدار قطنى ، والحاكم ، وابن عبد البر ، وابن حجر ، والسيوطى ، ولسيف بن عمر مؤلفان : الفتوح الكبير والردة ثم مسير الجمل وعائشة وعلى . .

والدراسة الخاصة بهذا الجزء نقدرها ونحترم المؤلف فيها .

إلا أن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ يكشف عن نفسه فى بقية الكتاب ، فهو يقرر بأسلوب سلس ، أن مؤامرة دبرت على رأسها الشيخان : (أبو بكر وعمر) لتنحية (على) عن الخلافة ، ويأخذ عليهما أن أمر الخلافة حملهما على أن يتركا رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ مسجى ، ويهتما بأمر جماعة المسلمين ، ولا يقنعه : أنه كان من الممكن أن يندلع لهيب الفتنة ، لو لم يظهر حزم عمر ، ويجمع أمر الجماعة على خليفة لرسول الله ، كان صفيه وخليله ونائبه فى الصلاة حين ثقل عليه المرض ، وقال عنه ـ صلوات الله عليه : إن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأسرها .

والعجيب أن الروايات والأحاديث التى ساقها المؤلف ورأى فيها دليلا على أحقية (على) بالوصاية على المسلمين ، ليس فيها رأى قاطع أو شبه قاطع ، والتأويل يقوم بدور خطير فى القضية ، كما أن الروايات المتراخية التى تشبث بها الشيعة ليست بأحسن حالا من روايات وأحاديث (سيف بن عمر) مبتكر أسطورة (عبد الله بن سبأ) .

وليس التشكيك فى خُلق (الشيخين) وضميرهما بالشىء الهين السهل ، وقضية الوراثة فى الخلافة الإسلامية فى الحكم مما لا يقره الاسلام فى كثير أو قليل ، ولا يرضاها الاسلام لبنى هاشم أو بنى أمية ، أو بنى العباس ، ولا لمن جاء بعدهم .

وبعد ـ فقد كنا نود أن يرحم الاسلام اليوم من المناقشات الطائفية ، وهو المثخن بالجراح من أتباعه وأعدائه على السواء ، لا سيما أن المؤلف عالم جليل له قدرات كبيرة فى التحقيق العلمى ، وقد استطاع فى الترجمة للأعلام ، والتأريخ للحوادث ، أن يودع مؤلفه جانبا من المعلومات تعتبر بمثابة مرجع موجز سريع ، يفيد منه الدارس والقارئ معا .

* * *

٣ - الاسلام . . لا الشيوعية :

للأستاذ اسماعيل مظهر .

كتاب جديد لأستاذنا نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة ، وهو على صغر حجمه يحمل بين دفتيه معانى كبيرة على جانب من الخطورة ، هى فى مجموعها عرض للخطوط البارزة للإسلام الذى رضيه الله لعباده ، ثم دفاع عنه موجه إلى أعدائه المتربصين به الدوائر ، وإلى أتباعه المتخلفين عن ركب الحياة الصحيحة التى رسمها الاسلام نفسه .

فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهو دين الانسانية التى تقدس حياة الفرد وكرامته وحريته .

ويناقش أستاذنا فكرة الاسلام دينا ودولة ، فيقرر أن الحقيقة الرائعة المستمدة من طبيعة الرسالة الاسلامية وأصولها

وفروضها وسننها هى أن الاسلام : دين ودولة ، فى الرسالة لا ينفك إسلام عن دولة ، ولا تنفك دولة عن إسلام ، ورسالة الاسلام مخالفة لجميع الرسالات التى سبقتها ، ومن هنا كان المعنى المستفاد من أنها مكملة الرسالات وخاتمتها .

ثم يعد له المؤلف كليات الاسلام التى تتجه جميعها إلى خير الإنسان ـ والإسلام جاء من أجل الإنسان ـ وهى أولى الكليات ، والثانية أن الإسلام روح قبل أن يكون نصوصا ، والثالثة أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة فى الأفضلية على الأخرويات والرابعة أن رسالة الإسلام رسالة الحرية والاستقلال ، والخامسة أن رسالة الإسلام مرنة فيها طواعية لحاجيات البشر ، والسادسة والسادسة أن الإسلام رسالة لا تعقيد فيها ، والسابعة أنها رسالة العلم والفكر ، والثامنة أن الحكم فى الاسلام يقول على الشورى ، والتاسعة أن التقوى أساس المعاملة ، كما أن العدل أساس الحكم ، والعاشرة والأخيرة ، أن رسالة الإسلام دولة تقوم على هذه الكليات...

وبعد أن يعرض الغزوين اللتين وجهتا إلى الإسلام : الغزوة الاستعمارية ، والعزوة المادية الالحادية الدموية ، يأخذ بنواصى الشيوعية ، ويفند أوهامها ، ويأتى على أصولها ، ويقرر أن الإسلام والشيوعية نقيضان وشتان ما بين نظام يقوم على حرية الفرد والشورى والعدل والمساواة ، ونظام يقوم على الاستبداد الفردى وحرب الطبقات..!

ولكن أستاذنا يقول فى صفحة أخرى : إن حد الدين فى الإسلام شىء ، وحد الدولة شىء آخر ، والحدان بينهما برزخ ، حتى لا تبغى ناحية منهما على أخرى . . . من هنا أعتقد اعتقادا جازما أن الدين والدولة منفصلان تماما فى مفهوم الإسلام ، وأنهما لا يلتقيان إلا فى ناحية واحدة ، هى أن ما شرع للدولة وما شرع للدين فى الإسلام ، كلها فرائض فى عنق المسلم ، من غير أن يكفى الدين على فرائض الدولة . . وبالعكس .

ولست أدرى كيف يستقيم هذا القول مع قول آخر للمؤلف : الإسلام فكرة جامعة ، ومعنى الفكرة الجامعة أنه دين ودولة ، ومهما حاول البعض أن يخرج عن الإسلام هذه الصفة ، فسيظل فكرة جامعة تجمع الدين والدولة فى فكرة واحدة ، هى فكرة الدفاع عن المجموع الذى يستظل بظل الإسلام . . » ؟

إن مصادر الإسلام السليمة وفى مقدمتها : الكتاب والسنة المعتمدة ـ هذه المصادر ، شرعت للدين أصوله ، والدولة أحد هذه الأصول ، ولا يشذ الأصل الخاص بالدولة عن استمداد تنظيماته من الدين ، وإذا فهمنا

من القول الأول للأستاذ ، أن يكون الدين مجرد صلة بين العبد وربه . فلن يكون ثمة فرق بين هذا المفهوم . وبين مفهوم المحاولين لهدم كيان الإسلام عن طريق حصر الدين فى أن يكون مجرد صلة بين العبد وربه ، وترك الدولة تحت سيطرة أهواء وشهوات الحاكمين بأمرهم !

والمؤلف لا ينكر أن فى التشريع قواعد أصولية تضمن للدولة أن تساير الحياة وتطورها ، وحيثما كانت المصلحة فثَمَّ شرع الله كما يقول الأصوليون . . وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا لقلبه وفكره . . !

٤ – مبادئ ومثل :

للأستاذ أحمد محمد جمال

المؤلف أديب حجازى ، وعضو مجلس الشورى فى المملكة العربية السعودية ، وهو يواصل الكتابة تحت عنوان : (على مائدة القرآن) وحلقته هذه هى الحلقة الرابعة التى نشرتها فى كتاب « مكتبة الثقافة » فى مكة المكرمة .

جاء الكتاب فى فصلين كبيرين ، تناول الأول ، مبادئ ومثلا لإصلاح الفرد والأسرة ، وتناول الفصل الآخر : مبادئ ومثلا لتوجيه المجتمع والدولة ، ولقد عرض فى الأول بضعة عشر جانبا فى الأبوة والأمومة ، الحقوق والعقوق ، قضية المرأة ومشكلة الأنثى ، قوامة الرجل ... وفى الفصل الثانى عرض بضعة وعشرين جانبا : فى القدوة العملية ، فلسفة الاحتياج ، محاكم التوفيق ، قدسية العلم ومكانة العلماء ، بين الإنسانية والأنانية . .

والأديب الحجازى ، يلجأ إلى ساحة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرض المعانى الكبرى ، والقضايا الحية ، مستشهداً به فى أسلوب تحليلى خصب ، يمتزج بسلاسة اللفظ ، وعمق المعنى ، وقوة الحجة ، وبالقصة القصيرة لاستخلاص عظة ، واستنتاج فكرة ، ويتجه نحو المعنى الإنسانى ليبرزه إبرازاً ، ويحوطه بهالة من الجلال والعظمة .

إنه اتجاه جديد فى إيصال معانى القرآن من أقرب طريق ، وفى أيسر أسلوب ، دون ما لجوء إلى مناقشة بيزنطية مملة ، أو تأويل مرهق للذهن ، أو غموض مشوش للتفكير .

ولكن الكاتب الأديب فى بعض الأحيان تحمله الغيرة الإسلامية على أن يسمح للأسلوب الخطابى بالتسلل إلى أسلوبه ، كما أن عنصر المناقشة الهادئة فقدناه كثيرا فى كتابه ، إذ أن للمبادئ والمثل العليا التى طرقها ما يقابلها من مبادئ ومثل دنيا ، كانت فى حاجة إلى مناقشتها والأخذ بنواصيها لا سيما وأن الأستاذ جمال عود أسلوبه أن لا يطرق بابا من أبواب التزلف ، وألا يفتح نافذة من نوافذ النفاق ، والتزلف والنفاق

يكادان يمثلان اليوم ومن قبل هناك ، جزءا من كيان معظم الأدباء .

٥ — بناء الاقتصاد في الإسلام :

للأستاذ زيدان أبي المكارم

هذا الكتاب نشرته مكتبة دار العروبة في القاهرة ، والمؤلف عالم فاضل ومبعوث وزارة التربية في ألبانيا كمدرس في جامعتها .

جاء البحث في ستة فصول : الاقتصاد في مكة في ضوء القرآن ، ثم في ضوء السنة والسيرة ، والاقتصاد في المدينة في ضوء السنة أيضا ، ثم توجيه الإسلام للاقتصاد ، ثم موقف الإسلام من علم الاقتصاد ـ هذا وقد قدم لدراسته ببحث موجز عن الروحية والمادية .

يرى المؤلف أن الإسلام في توجيهه للاقتصاد ، رسم قواعد التخطيط ، فوضع قانون التسعيرة ، وحرم الربا والاستغلال ، وضمن كفالة الضعفاء .

الحق أن فضيلة الشيخ زيدان أبي المكارم استوعب بين دفتي كتابه نصوصا قرآنيـــة وأخرى من السنة والسيرة ، ولكن الذي نأخذه على فضيلته أنه أسهب في النقل دون تعقيب مناسب ، كما أن دراسته خلت من عنصر المقارنة ، فهو لم يتعرض من قريب أو بعيد للمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، وموقف الإسلام منها ، وهذا نقص كنا نود أن يتلافاه ، كما أنه مر بقضية الربا مرورا عابرا دون أن تنال ما هي جديرة به من المناقشة ، وهي تمثل اليوم في اقتصادنا مشكلة قائمة عتيدة .

٦ — بركان الدماء :

للأستاذ عبد الحليم حفني بكري

هذه دراسة فازت بجائزة وزارة الشئون ، والمؤلف شاب من خريجي كلية اللغة العربية ، كانت دراسته حول (الثأر) واعتمد فيها على واقع البيئة التي درج ونشأ فيها ، وهي إحدى قرى الصعيد حيث يتفاعل الثأر في حياة الناس هناك ، ويمتزج بكل أحاسيسهم ومشاعرهم ، ويحتل جزءا مهما في كيانهم .

أعجبني في المؤلف عنايته بتقديم إحصائية عن البيئة موطن البحث ، ودراسة موجزة عن الثأر بين الشعوب ، وعادات تتعلق بالثأر ، والثأر بين التشريع الإسلامي والقانون الوضعي ، ثم وسائل العلاج لهذه المشكلة المستعصية ، ومن هذه الوسائل التمسك بالتشريع الإسلامي في القصاص . عدم الإفراج عن القاتلين إلا بعد انتهاء المدة المقررة ، العناية بتكوين جماعات أهلية للصلح ، نشر الثقافة في المجتمع الريفي ، محاربة البطالة .

لقد اعتمد المؤلف على الوقائع التي حدثت في البيئة ، ومزج مناقشته بالآراء الإسلامية والاجتماعية ، واستحق بذلك جائزة وزارة الشئون .

محمد عبد الله السمان

بين الصحف والكتب

عهدت المجلة إلى الأستاذ عبد الرحيم فودة أن يقدم لقرائها تحت هذا العنوان مختارات مما يقرأ في الصحف والكتب ، وهي ترجو أن يجد فيها القراء مائدة فكرية شهية واسعة منوعة .

الحل الأول هو الحل الأخير :

... ويسمع الأغنياء هذا فيقولون : قد سمعنا ووعينا فسنبذل لهم مختارين ما تطيب به نفوسنا من الإحسان ليعيشوا . فيردذوو المهنة : ليس إحسانا ما نطلبه ولكنه حق لأنه ثمرة ما بذلنا من جهد ، وثمن ما نؤديه من عمل .

ويسمع الوسطاء ما قال هؤلاء وما قال أولئك فيتساءلون فيما بينهم ، أيهم أصاب وأيهم أخطأ . ؟ أهو إحسان أم حق . ؟ ثم يميل بعضهم إلى هذا الجانب ويميل بعضهم إلى ذاك . وتتعدد الآراء . وتتعارض المذاهب ، وتصطرع العقول والقلوب . وتنشأ الجماعات المختلفة . تدعو كل جماعة منها لمذهب ، ويشتغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترعوا « نظاما » يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية . والاشتراكية . والنازية . والفاشية . والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم مادية أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء . وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بتربية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير وتوثيق أواصر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوى والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة . من غير طغيان على حرية الفرد ،

ولا إذلال له . ولا إنكار لذاتيته : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

ذلك هو النظام ، فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع . .

إن عندنا الحل

الحل الأول الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وهو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية .

الرئيس جمال عبد الناصر

من كلمة كتبها لتقديم كتاب العدالة الاجتماعية

(اخترنا لك)

الحاجة إلى هداية الرسل :

حاجة العالم إلى هداية الرسل كحاجة الإنسان إلى العقل والقلب ...

فأنا وأنت وهو . وكل فرد بإزاء فرد فى مجتمع ، وكل مجتمع بإزاء مجتمع فى أمة . وكل أمة بإزاء أمة فى هذا العالم . تحكمنا غرائز فردية وجماعية . فمن أثرة جائعة طامعة لا تشبع ولا تقنع . . إلى حب استعلاء وكبرياء يدفع إلى ازدراء أقدار الضعفاء واحتلال أرضهم واستذلال رقابهم . . إلى آخر ما ركب فى الإنسان من ميول وشهوات تدفعه إلى ما ينفعها ويشبعها ولو من طريق الإثم والظلم والعدوان والطغيان ...

هذه الغرائز لا يكفى العقل وحده فى صدها وردها إلى الحق والعدل والصراط المستقيم بل إن هذه الغرائز قد تحكم العقل وتستخدمه سلاحا لهتك الحرمات وسفك الدماء .

ولو أن عاقلا فاضلا أو جماعة من العقلاء الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل فوضعوا قوانين تمنع الطامح أن يجمع والكادح أن يضيع والمجرم أن يجرم . والحاكم أن يظلم . . لكان الخضوع لها فى منطق المنحرفين — وما أكثرهم فى كل بيئة ومجتمع - خضوعا للقوة مماثلة أو معادلة وغرما لا يقبلونه إلا مرغمين كارهين ، فإذا حانت الفرصة التى تمكنهم من الانتقاض والانتقاص — وكثيرا ما تحين — تمردوا واستأسدوا وانطلقوا بكل قواهم يعصفون بكل القيم والمثل وقوانين الأخلاق ...

ومن ثم كانت معجزات الأنبياء — مع ما فيها من دلائل على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله — تذكيراً بالقوة العليا التى يتساوى الجميع فى العجز عنها والفقر إليها ... وكانت شرائع الأنبياء من عمل هذه القوة التى تحكم ولا تظلم : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

من جريدة الشعب « عالم »

طلع الصباح :

الله أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفأ القنديلا

من كتاب الوحي المحمدي « البوصيرى »

أعجب ما رأيت :

قيل للمهلب بن أبي صفرة ما أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة « من الخوارج » قال : فتى كان يخرج إلينا منهم في كل غداة . فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عنى لو درت
مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقصده ، فإذا كان الغد عاد إلى مثل ذلك .

من مختار العقد الفريد

بعض الرجال :

بعض الرجال حديد حين يقرعه
خطب وبعضهمو أوهى من الخزف
فلا ترعك الغواشى وهى مقبلة
فعل الجبان الذى يخشى من التلف
ولا تقف فى مهب الريح ملتويا
كالواو والياء. بل قف وقفة الأسد

من ديوان الأسمر

محمد الأسمر

الأكراد عرب !.

والكرد بالضم جيل من الناس معروف والجمع أكراد ، وأنشد :

لعمرك ما كرد من ابناء فارس
ولكنهم كرد بن عمرو بن عامر

فنسبهم إلى اليمن ..!

« لسان العرب »

ألفاظ القرآن وألوانه اللطيف :

وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة . وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت على معناه محدودا . هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك ... حتى ترى للجملة الواحدة ، أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل للصحة . كأنما هى فص من الماس يعطيك

كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان ، يأخذ منه كل ما يسر له ، بل ترى محيطاً مترامى الأطراف لا تحـــده عقول الأفراد ولا الأجيال .

(النبأ العظيم)

الدكتور محمد عبد الله دراز

أمام القضاء :

وشكا يهودى علياً إلى عمر بن الخطاب فى خلافة عمر . فلما مثلا بين يديه خاطب عمر اليهودى باسمه بينما خاطب عليا بكنيته فقال له يا أبا الحسن ، حسب عادته فى خطابه معه ، فظهرت آثار الغضب على وجه علىّ فقال له عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا . وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة... فقال على : لا . ولكننى غضبت لأنك لم تسوّ بينى وبينه ، بل فضلتنى عليه إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتنى بكنيتى (والخطاب بالكنية كان أسلوبا من أساليب التعظيم للمخاطب) .

(من حقوق الإنسان فى الإسلام)

الدكتور على عبد الواحد وافى

الفكر الحر :

أحب الفتى أن يستقل بنفسه
فيصبح فى أفكاره مطلقا حراً
وأكره منه أن يكون مقلداً
فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى

من ديوان « الرصافى »

عظيم فى كل ميزان :

إن محمداً عظيم فى كل ميزان . . .

عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية إلا أن يرين العنت على الطباع فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها ولا خسارة على السواء . .

إن عمل محمد لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء .

إنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله ، ولم تكن أصنامهم كأصنام يونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال إن فاته أن يحسب له هدى الضمير ، ولكنها أصنام شائهات كتعاويذ السحر التى تفسد الأذواق وتفسد العقول . فنقلهم محمد من عبادة هذه الدمامة إلى عبادة الحق الأعلى ، عبادة خالق الكون الذى لا خالق سواه ، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة . ومن فوضى

إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية كما لم ينقله قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات .

إن عمله هذا لكاف لتخويله المكان الأسنى . بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يضن على صاحب هذا العمل بالتوقير . ثم يجود بالتوقير على اسم إنسان.

(من كتاب عبقرية محمد) (العقاد) .

من قفص الاتهام :

إنى مسلم . . ولأنى مسلم وجب على أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه . إن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة ولا هو القوة بل الحق هو الحق ، وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم ، الناس كلهم متساوون فى الإنسانية ، متساوون فى الحق متساوون فى الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وإنما معياره العمل وحده فأعلاهم قدرا وأكرمهم حسبا أحسنهم عملا وأتقاهم لله . إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا، ولعمرى إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإنسانية ، فإن كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظالم إنه ظالم .

الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة فى إعلاء كلمة الحق التى قدمتها الأمة الإسلامية فى كل دور من حياتها ، ألا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر، ويتغلغل فى لجج الدواهى والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعمارى ولا يرده عن دينه وأداء فريضته .

إنى أقول حقا . إنه لا يؤلمنى أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتى، وأنها لا تحاكمنى إلا لأن تزجنى فى السجون ، إذ هذا أمر لابد منه . . وإنما الذى يؤلمنى فيفتت كبدى هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما . فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق . يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه .

أبو الكلام آزاد

« من مجلة ثقافة الهند » .

بريد المجلة

مخالفات دينية فى فيلم :

أرسل الإمام الأكبر رسالة إلى السيد كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية الكتاب الآتى :

السيد كمال الدين حسين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإننا إذ نكتب إليكم اليوم نرجو أن يكون هذا الموضوع محل رعاية خاصة وتوجيه يحفظ علينا ديننا ويبقى على مقوماتنا وحتى تكون عباداتنا محل احترام وقداسة .

نقل إلينا بعض من نثق فيهم أن إحدى دور السينما تعرض الآن فيلم (وا إسلاماه) .

وقد حدثونا أنه يعرض فى بعض أجزائه للصلاة فيعرضها فى صورة هزلية لا تعرف إلا عند الأطفال أو المجانين ، ولا تصور حقيقتها ولا تؤدى بكيفيتها التى جاءت إلينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ بعد تكبيرة الإحرام يهوون ساجدين مباشرة من غير قراءة ولا ركوع .

وأنتم تعرفون مدى ما يتركه هذا الجهاز فى نفوس أبنائنا وبناتنا ، فهو بهذه الصورة يدع الخطأ فى العبادة يتسرب إلى أذهان من جهلوا الصلاة ، أو التشكيك فى معلومات من عرفوها وتعلموها . وما أحرى أجهزة الرقابة أن تكون على بصيرة من هذه الحقائق حتى تستطيع أن تحبس عن الجمهور ما يشككه فى العبادات والحقائق الدينية ، بل ينبغى أن تتخذ من هذا الجهاز وسيلة للتعليم وطريقا للتهذيب حتى يكون طريق خير ووسيلة إصلاح لا وسيلة شر وسبيل إفساد ، وحتى يعلن عنا أحسن إعلان وأطيبه .

كما نقلوا إلينا أنه قد عرض لشخصية إسلامية وطنية لها فى نفوس العلماء والمسلمين الحب والتقدير والاحترام بما يهبط بمستواها فى نظر الجماهير ، عرض للشيخ العز بن عبد السلام الذى كان له الموقف الوطنى الرائع فى القضاء على التتار ، وكان من جرأته أن أفتى فتواه المعروفة التى لم يخف فيها فى الله لومة لائم . فعلمه ووطنيته وقوته فى دينه وسمو خلقه كل هذا يأبى أن يدع مجالا لمخرج الفيلم أن يزعم على هذا العالم أنه حضر حفلا راقصا بمناسبة زفاف شجرة الدر ، وهذا لا يتناسب مع مركزه وعلمه ولا يتفق وكرامة العلماء ممن يدعون إلى الفضيلة ويوجهون إلى الخلق ويأخذون الناس إلى الاستقامة ، وينشئون الأجيال تنشئة صحيحة

قويمة . ولذا فإننا نرجوا أن تعملوا مشكورين على حذف هذين الجزأين من الفيلم المعروض الآن :

وبهذه المناسبة نأمل أن تعرض الأفلام على الأزهر قبل عرضها على الناس، أو على الأقل أن يعين الرقباء على هذه الأفلام من بين الأزهريين الذين تشهد لهم كفاياتهم ومقدرتهم بالقيام بهذا العمل على الوجه الأكمل . وذلك عن طريق مراجعة الأزهر قبل تعيينه .

وبذلك نكون قد أرضينا الله وأسهمنا جميعا فى بناء مجتمعنا على الوجه الذى يرضى الله ورسوله وحتى تستطيع هذه الأجهزة أن تكون أداة إصلاح وخير دعاية لنا فى العالمين الإسلامى والعربى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

فأجابه السيد نائب رئيس الجمهورية هذا الجواب :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد تلقيت الرسالتين اللتين تتضمنان ملاحظات فضيلتكم على بعض الإذاعات المسموعة والمنظورة فى الراديو والتليفزيون وأثرها على الناشئة وتأثيرها فى مستقبل الأمة ، والملاحظات الأخرى التى نقلت إليكم عن فيلم « وا إسلاماه » .

وإنى إذ أشكر لفضيلتكم هذه الغيرة وهذه اليقظة لأشاركم الرأى فى ضرورة حماية شباب الأمة من كل ما يمكن أن يؤثر فى تكوينهم وفى سلوكهم ، ليكونوا فى أمتهم ، كما أراد الله ، جندا عاملين للفضيلة بناءين لمستقبل الوطن ...

وقد اتخذت إجراءات عاجلة لبحث موضوع هذه الملاحظات والعمل على تجنب كل ما يمكن أن يتنافى مع الخلق والفضيلة أو يصور الإسلام وأبطاله غير الصورة الصحيحة التى نعتز بها وندعو إليها ، ونرجو أن نكون قد وفقنا ...

والله يسدد خطانا فى كل ما نحاول لخدمة أمتنا ووطننا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

نائب رئيس الجمهورية

إمضاء (كمال الدين حسين)

تأنيث أفعل على فعلى :

أستاذنا الكبير : الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد

فقد وقفت فى عدد المحرم سنة ١٣٨١ على قولكم :

« وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى

إنما يكون للقوة الأشد ، وفى عدد ربيع أول على قول سيادتكم : « إلى الغاية الأكرم » واسم التفضيل إذا كان مقترنا بأل يجب أن يطابق ما قبله فى التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

ولما كان تأنيث الأشد هو الشدّى والأكرم هو الكرمى وليس ذلك متداولا ولا مشهورا بيننا . رأيت أن أبين : هل تأنيث اسم التفضيل يوقف عند المسموع منه أو هو قياس مطرد يجوز لنا ولو من غير سماع عن العرب .

لقد عرض النحويون لهذا : فى كتاب التصريح على التوضيح ٢/ ١٠٤ ، قال أبو سعيد : ولا يستغنى فى الجمع والتأنيث عن السماع فإن الأشرف والأظرف لم يقل فيهما الأشارف والشرفى والأظارف والظرفى كما قيل ذلك فى الأفضل والأطول، وكذلك الأكرم والأمجد قيل فيهما الأكارم والأماجد ولم يسمع فيهما الكرمى والمجدى .

ويرى الرضى فى كتابيه شرح الكافية والشافية أن تأنيث اسم التفضيل قياس مطرد (شرح الكافية ٢/١٥٥ وشرح الشافية ٢/٣٢٥) .

ولعل مثل هذه البحوث تدعونا إلى تقدير جهود النحويين والعناية بآثارهم ؟

محمد عبد الخالق عضيمة

أشكر للأستاذ الفاضل غيرته على سلامة اللغة وحرصه على مراعاة القواعد ، وأناقش المسألة من وجهين : أما أحدهما فإنى أميل إلى الرأى القائل بأن تأنيث اسم التفضيل على فعلى سماعى لا يقاس وتوقيفى لا يطرد .

فلم يقل العرب فى الأبصر والأسمع : البصرى والسمعى ، كما قالوا فى الأكبر والأصغر : الكبرى والصغرى ، فما ورد عنهم من ذلك استعملناه ، وما لم يرد سوينا فى صيغة الأفعل المذكر والمؤنث ، وهذا قول لا بد من عرضه على مجمع اللغة العربية ليرى رأيه فيه .

وأما الآخر فإن المزاوجة بين الألفاظ والموازنة بين الجمل تجيزان تغيير الكلمة ومخالفة القياس مراعاة لحسن النسق فى الأسلوب فقولى : « إن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للرأى الأسد ، والقوة الأشد ، والسلاح الأحد ، اقتديت فيه بسيد البلغاء ، وأفصح العرب : محمد صلوات الله وسلامه عليه إذ قال: « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وهو يريد (ملمة) وإذ قال « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وإنما أراد (موزورات) من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للموازنة وصحة المزاوجة ، وليس هذا التغيير مقصوراً على الحديث الشريف .

وإنما وقع أيضا فى القرآن الكريم فقد قال

شمس الدين بن الصائغ فى كتابه (إحكام الراى فى أحكام الآى) : « وتتبعت للأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكما » نذكر نحن منها على سبيل المثال تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو «فلله الآخرة والأولى» ، والإفراد فى موضع التثنية نحو « لا يخرجنكما من الجنة فتشقى » بدل فتشقيان ، وتغيير بنية الكلمة نحو طور سينين بدلا من طور سيناء

والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

أحمد حسن الزيات

حول عقوبة الاعدام :

منذ أيام كتب كاتب كبير فى جريدة « أخبار اليوم » تحت عنوان جاء فى شبه سؤال أو تساؤل « عقوبة الإعدام . . وهل تبقى أم تلغى » .

عرض الكاتب آراء المؤيدين لإلغائها ، وآراء المعارضين لهذا الإلغاء ، وحجة المؤيدين تكاد تنحصر فى أنه إذا تبين فيما بعد أن المتهم برىء فما من سبيل لإصلاح الخطأ الذى وقع القضاء فيه . . . الحكم بالغرامة أو الحبس يمكن إصلاحه برد الغرامة والتعويض . . . أما الإعدام فلا حيلة فيه بعد تنفيذ الحكم . ؟ ؟

وقد أثارت الكاتب القضية الأخيرة التى أوقف فيها حكم الإعدام على متهمين فى اللحظات الأخيرة .

وأخذ الكاتب يعرض نماذج من تفكير الدول فى محاولتها إلغاء الإعدام ، وتفكير الهيئات أيضا ، ومنها الكنيسة الانجليزية فى لندن . .

ونحن لا ندرى كيف يحملنا توقع خطأ لم يحدث فى التاريخ إلا نادرا ، بل ربما لم يحدث فى المائة السنة الأخيرة فى شتى أنحاء العالم إلا مرتين أو ثلاثا على أكثر تقدير - كيف يحملنا توقع خطأ نادر جدا - والنادر لا حكم له - على أن نلغى نصا قانونيا يؤمن حياة الألوف من البشر .

إن حوادث القتل الخطأ وغير المتعمد والتى يتدخل القدر فيها تقع فى حياتنا بالعشرات كل يوم ، حوادث الطائرات والسيارات وقطارات السكك الحديدية والفيضانات والزلازل والبراكين . . ومعنى هذا أنه يجب ألا تقوم قائمة لهذه الوسائل ، وأن نبحث عن حل لتجفيف البحار وتثبيت الأرض حتى لا تختطف أرواح المئات من الضحايا البشرية ؟ ؟

و (الحائط المائل) دائما فى نظر الكاتب وأمثاله ، هو التشريع الإسلامى ، فهو يقول فى نهاية مقاله متهكما ، ومستعديا على ما تبقى من النصوص الإسلامية :

« وأما القول بأن الشرائع المنزلة نصت على إعدام القاتل . .

فيمكن الرد عليه بأن نفس هـذه الشرائع السماوية نصت على قطع يد السارق ، ورجم الزانى والزانية بالحجارة حتى الموت .

فهل هناك من يعمل بهذه النصوص المنزلة أو يطالب بالعمل بها ؟ »

والكاتب يجهل تماما أن الشريعة الإسلامية لا تضارع بأية تشريعات وضعية فى الاحتياط من تنفيذ القصاص . فإن فقهاء التشريع الإسلامى يشترطون شروطا فى غاية الدقة لتوقيع القصاص على القاتل منها : التأكد من التعمد دون أية شبهة ، وموافقة أولياء الدم على تنفيذ القصاص ، والشرط الأخير ليس له وجود فى الشرائع الوضعية ، والجريمة لا تثبت على المتهم إلا بأدلة قوية لا تقبل مجرد الريبة والشك .

والقضية المثارة فى هذه الأيام بشأن المتهمين الذين أفلتا ـ مؤقتا ـ من حبل المشنقة ، كان للمفتى الممثل للتشريع الإسلامى رأى يطالب بعدم توقيع عقوبة الإعدام على المتهمين ، ولما لم يكن رأى المفتى الدينى إلا استشاريا فقد أهمل ، ولقد قال المفتى للصحف :

« إنه ناقش أدلة الاتهام فانتهى منها إلى عدم وجود شاهـــد رؤية للحادث فضلا على إنكار المتهم الأول ، مما يعدم وجود دليل أو اعتراف يبرر الحكم بالإعدام . . إنه ليس بالدعوى قرينة قوية على ارتكاب المتهمين جريمة قتل اللواء . . وليس فى القضية دليل من الأدلة الثلاثة التى يلزم توافرها الحكم بالقصاص شرعا ، وهذه الأدلة الثلاثة هى : الاعتراف والبينة والقرينة القاطعة . وللمحكمة أن تقدر الشبهة التى حاطت المتهمين وتوقع عليهما عقابا آخر خلاف القصاص الذى ينبغى أن يحتاط فيه بما لا يحتاط فى غـــيره من العقوبات الأخرى » .

أيهما أدق فى الاحتياط وأبعد فى الحرص على دماء المتهم ؟ وهذا هو التشريع الإسلامى؟

نحن لا نسوق آراء رجال القانون التى تؤيد بقاء هذا الحكم ـ وهم أقدر على فهم وإدراك حاجات المجتمع ـ

السادة : المستشار كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة العليا ، والمستشار كامل البهنساوى ، والأستاذ على نور الدين رئيس نيابة أمن الدولة يقولون بضرورة الإبقاء على عقوبة الإعدام ، بل إن إدارة التشريع بوزارة العدل تؤيد الإبقاء لأن العقوبة حماية للأمن وتطهير للمجتمع ، والإعدام عقوبة وقائية علاجية ولا يمكن لمجتمعنا الاستغناء عنها ، ورأى إدارة التشريع هو الذى بعثت به إلى هيئة الأمم المتحدة التى طلبت آراء الدول الأعضاء فى عقوبة الإعدام . . » .

أما إن الكنيسة الانجليزية تطالب منذ سنوات بإلغاء عقوبة الإعدام وحجتها مستمدة من روح الدين المسيحى ، فلتوجه عظاتها إلى حكومة بريطانيا ، التى سفكت ظلما ولازالت تسفك دماء الألوف من سكان مستعمراتها فى آسيا وأفريقيا .

أما إن برلمان نيوزلندة يناقش منذ أسبوعين فكرة إلغاء عقوبة الإعدام ، فالمؤكد أن مشروع البرلمان يناقش هناك فعلا التفكير فى إعادة عقوبة الإعدام التى ألغيت منذ خمس سنوات ، ونشر هذا فى أول أكتوبر فى صحف القاهرة وبالأخص جريدة الأهرام .

أما منطق الكاتب فى أن بعض نصوص الشرع لا تطبق ولا تجد من يطالب بتطبيقها ، فلم الاحتفاظ بنص عقوبة الإعدام ؟ فقد كنا نود أن لا يتورط الكاتب الكبير فيه .

فإذا فرض - كما يزعم الكاتب - أنه لا يوجد من يطالب بتطبيق جميع نصوص الشريعة الإسلامية الملغاة ، فلن يكون هذا مبررا لإلغاء ما تبقى من النصوص حتى ولو كانت ضرورية لصيانة أمن المجتمع ؟

إن توقف إحدى اليدين عن أداء وظيفتها بسبب الشلل مثلا لا يبرر قطع اليد الأخرى ، ما دام العلاج قد فشل فى معالجة الأولى .

محمد عبد الله السمان

كل بما زعم الناعون صرتهن :

تناقلت بعض الأفواه فى المملكة السعودية والجمهورية التونسية نعى الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة ، فكتبت صحفهما الفصول الطوال فى رثائه ، وكان من هذه الصحف مجلة الجزيرة التى تصدر عن الرياض فكتبت مقالين ضافيين أحدهما بقلم الأستاذ عبد الله ابن خميس رئيس التحرير ، والآخر بقلم الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل ، ثم كذبت الخبر فى الصفحة الأخيرة من المجلة ، فلما اطلع الأستاذ على النعى والرثاء والتكذيب أرسل إلى المجلة كتابا نشرته فى عددها الأخير ، وقدمت إليه بقولها :

الزيات يعقب على رثاء الجزيرة :

« على أثر الإشاعة السيئة الكاذبة التى أشيعت بموت الأديب الكبير أحمد حسن الزيات سكبت الجزيرة دمعة حارة لذلك ، وبعد أن اطلع أديبنا الكبير على هذا الرثاء تفضل بهذه الرسالة الرقيقة مد . الله فى حياته ومتعه بالصحة والسعادة » .

وهذه هى الرسالة :

أخوى الأعزين عبد الله بن خميس وعبد الرحمن بن فيصل بن معمر .

لأول مرة فى تاريخ الإنسان يقوم ميت ليعتذر من نعاه ويشكر من رثاه.

ولأول مرة فى تاريخ الأدب يقوم كاتبان

يجوز عليهما ما يجوز على الناس فى هذا العصر من كفران بالجمال ونكران للجميل فينثران معنى الوفاء نثرا كأزهار الروض عطر الألفاظ نضير الجمل على قبر كاتب غريب لم يرياه فى مكان ولم يعايشاه فى وطن ولم يلابساه فى صداقة ، وكل ما بينهما وبينه صلة أدبية عامة يكفى فى التعبير عنها إذا قطعها الموت كلمة بمجلة تكتب من وراء القلب فتنفى الحرج وتدفع الملام وتشغل حيزا من المجلة ، ولكن ما كتبتماه يا أخوى نمط آخر غير ذلك كله : عبرات من الكلم لا يسكبها إلا قلب ابن بار على أب حنون ، وزفرات من الأسى لا ينفثها إلا صدر مؤمن أسيف على أخ شهيد ، وشهادتان لذوى عدل كل ما أتمناه على أهلى أن يدرجوهما فى كفنى لألقى بهما الله .

لقد مت فى (الجزيرة) وكل حى سيموت ، ولقد بعثت فى (الجزيرة) وكل ميت سيبعث . والبعث عمر جديد وأجل مستأنف . والمتنبى عاش طويلا بعد أن بعث إلى سيف الدولة يقول :

يا من نعيت على بعد بمجلسه
كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن

وشتان بين من نعانى ونعى أبا الطيب ! نعاه ناعيه للشماتة والعبرة ، ونعانى ناعى للأسف والحسرة . والفضل لكما يا أخوى فى أنكما حققتما لى أمنية لم تتحقق لحى من قبلى ، وهى أن يقرأ الميت بعينيه ما كتب عنه بعد موته ، مد الله فى عمريكما حتى تعودا فتجودا بصيب الرحمة وطيب الرثاء ثراى المحرور فى مثواى الجديد ، والله يحفظكما .

أحمد حسن الزيات

حديث بين رئيس البعثة الأزهرية فى الصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .

جرى بين رئيس البعثة الأزهرية بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية حديث تناول مختلف الشئون ، ومما جاء فيه :

١ - كيف انتقلت من الأعمال الإدارية إلى ميدان التعليم ؟

من أهم الأشياء التى دفعتنى إلى التعليم حادثة أثرت فى نفسى تأثيرا بالغا . . ذلك أن حضر إلىّ طفل صومالى ، وأنا أشتغل بالإدارة فى بربرة ، وكان معه رجل متنصر من الصومال . جاء الطفل وطلب منى ورقة ليؤذن له بالسفر إلى عدن .

فقلت له : لماذا يا بنى تذهب إلى عدن ؟ وأنت طفل صغير ؟؟ .

فقال . . لأصير كافرا !!! .

فعرفت من ذلك أنهم يريدون أخذه لمدرسة تبشيرية إلى عدن ... فسألته لماذا تصبح كافراً ؟ فقال . . لأتعلم الإنجليزية ،

فآليت على نفسي من تلك اللحظة أن أترك الإدارة وأذهب إلى التعليم ، وأعلم الإنجليزية لأمثال هذا الطفل الذي يترك دينه ودين آبائه ليتعلمها ...

٢ - ما مدى تقديرك للأزهر ؟ ؟

أنا أعتبر أن إنشاء الأزهر ، كان عناية ربانية ، ومعجزة من المعجزات ، ونعمة من نعم الله . إتماما لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون » فالله تعالى لكي يحافظ على كتابه يسر إنشاء الأزهر ، وأمده برعايته وجعل رسالته شاملة لجميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ، وذلك لكي يوفي بحاجات الإسلام في العصور التي كانت مقبلة على الإسلام بعد إنشائه .

وإنني أعتبر حقا أن المصدر الحقيقي لإنقاذ العالم الإسلامي مما كان يراد به من جانب الاستعمار من إفساد العقيدة الدينية وقتل الروح البشرية هو الأزهر . . وأن جهود الاستعمار بمختلف أساليبه في سائر أنحاء الأمة الإسلامية كان يمكن أن تحقق أغراضها لولا وجود التأثير الأزهري الذي تمثل في روح جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده وأمثالهما من أبناء الأزهر المكافحين .

حقا إن ما نراه اليوم من التقدم في العالم الإسلامي ، واسترجاع حرية أبنائه وأخذ نصيبهم من الحضارة الحديثة ، أعتقد في تقديري أن مبعثه الأزهر الشريف ، ولو سرنا نحو الحضارة بدون الأزهر ، لما كنا قد وصلنا إلى ما نحن عليه الآن ، فالأزهر متمم لتلك الرسالة السامية ...

فقضية الأزهر اليوم هي : قضية آسيا وإفريقيا .

عبد الرحمن النجار

كيف تبنى الاوطانه ؟

حديث لفضيلة الإمام الأكبر مع محرر مجلة بناء الوطن .

بناء الأوطان ليس بالأمر السهل ، ولكنه أمر تذوب فيه القلوب وهو بحاجة إلى لبنات طيبة وعناصر صالحة ، وأهم ما تبنى عليه الأوطان لبنتان : لبنة من العلم ، ولبنة من القوة .

فلبنة العلم تنير السبل أمام أرباب الوطن فيتخيرون مواد البناء والأيدي البانية واللبنات التي يبنون بها .

وبالقوة ترد عن البناء عادية المعتدين ، ومتى كمل البناء وسويت اللبنات على هذا الوجه من العلم والقوة قام البناء بمهمته وأدى وظيفته في الحياة من غير خوف عليه من

أعاصير الأحداث وأحداث الأعاصير .

فعليكم أبنائى - وأعنى أبناء الصحافة جميعا - بملء القلوب بهذين العنصرين ، فبالعلم البناء وبالقوة الحفظ والصيانة ، وصدق الله العظيم إذ يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

وقوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : « القوة الرمى وكررها ثلاثا ، فأطلق كلمة الرمى لتشمل كل ما يرمى به دفاعا عن الدين وعن الوطن .

هذا رأيى فى بناء الأوطان ، وهى نصيحتى لك ولإخوانك الصحفيين ، فالصحافة مع الأزهر يكونان جهاز الدعوة إلى الأديان والأوطان ، وما لم تتفق جميع الأجهزة وتسير فى خط واحد فلن نصل إلى مقصودنا .

أما قانون الأزهر فى واقعه وفى نظر من يقرؤه ويدرس ما فيه ، فهو بدء مرحلة جديدة تعلى من شأن الإسلام وتظهر مبادئه عن طريق البحث الجامعى الحر ، وهو من جهة أخرى يصل ما بين الطـــلاب الأزهريين وإخوانهم الطلاب فى المدارس المدنية بعد أن فرقهم الزمن واعتبر كل فريق من الطلاب كأنه من أمة أخرى ، لا يجمعهما رباط ولا تشرق عليهما شمس .

والآن والحمد لله يجتمع أبناء المدارس مع أبناء الأزهر فى دار واحدة ، وفصل واحد يستمعون إلى أستاذ واحد لفكرة واحدة ، هى فكرة الدين والوطن .

وحسبنا وحسب المسلمين جميعاً من هذا التطوير أن طلاب الثانوية العامة فى مدارس الدولة تقدموا لامتحان القبول فى كلية : الإدارة والمعاملات ، وأدوا الامتحان بنجاح فى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية فى العقيدة والأحكام ، وهذا ما كان ليتحقق إلا بعد أعوام وأعوام ...

فلهنأ المسلمون عامة ، وأبناء الجمهورية العربية المتحدة خاصة بهذا ... ونسأل الله التوفيق لهذه الجامعة والرجال الذين يهيمنون على المعاهد الدينية والمدارس ...

the earth whether in mountains, seas, rivers, or skies, in his service and for his own profit. He is over and above endowed with all the treasures known or unknown to him and he is on his way to reveal them.

Man's place in the universe was determined as such because he was the creature prepared for gaining the profits of the universe and the creature perfectly shaped and modelled to attain that end.

"Who made all things good which He created, and He began the creation of man from clay; then He made his seed from a draught of despised fluid; then He fashioned him and breathed into him of His spirit; and appointed for you hearing and sight and hearts. Small thanks give you." (S. 32, V. 7 — 10).

Besides life (and breathed into him of his spirit) which is the power to enable man as well as all other living creatures to move and seek his living, man was endowed with hearing and seeing which are the most powerful means of realising what is around him. He also was given the heart which is the abode of belief and creed. Over and above he was endowed with the mind which is source of understanding and conceiving what is beyond touch and vision. By such gifts man was distinguished from all other creatures. For such peculiarities he was given a special place in the life of this universe. Islam through the call to belief in one God aimed at reviving man's conscience as to such distinguished place and at arousing his sense of human dignity.

Thus the call to belief in one God is mainly a call to man to know himself and to know his peculiar place in this universe and to comprehend his value in this life. It is incumbent upon man out of dignity as a distinguished creature to know his proper place and to realise his inherent values. On the other hand it is rather degrading and humiliating to keep himself within the bounds of the inherited creeds which call for the Worshipping of gods other than Allah such as idols, images, and men who in the order of creation are either below him or on the same footing with him.

The call to monotheism is moreover a call to liberation and liberality, a call to dignity and might and a call to freedom in motion and research throughout the world to reveal its secrets and to solve its riddles. It is man's own right to move and seek in such universe, which the Supreme Creator has bestowed upon him, the mastery of its resources whether in heaven or on the earth and whether over ground or underground.

(Continued . . .)

ideals which are the perfected values. The endeavour to attain such sublimity can only be realised through the belief in Him only, through the belief in the absolute perfection in existence that is Allah. It is by the belief in Him only that one can rid himself from the humility of serving in his Worship a tangible creature, one can free himself from the slavery to a creature either below him in degree or on the same footing with him. The observance of human dignity requires to direct direct one's worship to a more sublime one than he is to a being over and above him. There is nothing over and above all existing creatures but Allah who is above all and "There is nothing like Him".

In the olden times man worshipped animals as well as idols made of stone. He too worshipped his fellow-man " They Worship besides Allah that which neither hurts them nor profits them, and they say: These are our intercessors with Allah. Say: Would you inform Allah of (some thing) that He knows not in the heavens or in the earth ? Praised he He high exalted above all that you associate with Him". (Surah 10. V. 19).

Man had worshipped idols, images, animals and all sorts of things which we have counted and others which we have not counted save Allah. He had tied himself and his future in life to these terrestrial beings which can not hear the prayers, or even if they could hear them could never respond because they are unable to understand or to act accordingly.

Mohamed's mission, may peace be upon him, called people to believe in one God. His call was the same as the call of the prophets who had preceded him before it was mutilated by the apolgists of such religions " And We sent no messenger before you but We inspired him, (saying) There is no God save the (Allah), so Worship Me". (S. 21, V. 25).

In fact Mohammad was sent by God to readjust the human values to revive man's dignity and to correct his status in life and the universe. " He it is who created for you all that is in the earth". (S. 2, 29)".

" See you not how Allah has made serviceable unto you whatsoever is in the skies and whatsoever is in the earth and has loaded you with His favours both without and within". (S. 31, V. 20).

However man's place in life is such as ordained by God to be the sole owner of all that is in earth, to have all what is in Heaven and on

many inherent potentialities and so many latent drives. They all are cropped out to defend his own safety and his own existence by arming him with certain abilities to keep him either powerful to be feared and respected or to show him as a pugnacious warrior who can fight the oppressors.

The Islamic Society :

The Islamic society was formed to realise one end, that is to attain liberation and supremacy. In other words, it was formed to fight weakness and achieve power and authority. The Islamic society has a peculiar status in that it does not confine itself to a limited area or certain race. It is a society which comprises humanity at large. Thus it arises to liberate humanity from the bonds of superstition and soothsaying, to rid it from false beliefs in casuality and images, and in polytheism. It arises, on the other hand, to be free from such bonds and to lead a life of authority and power : an authority to overthrow oppression and slavery an authority to curb itself from ill-deeds, obscenity and adultery, and an authority through performing the duties, a power in spirit and conscience, a power in following the right and performing the good, and power in offering what leads to the achievement of ease and happiness of humanity at large.

As such the Islamic society is both liberal and moralistic.

1) The belief in one GOD.

To liberate humanity from all forms of weakness and humiliation, Islam makes it encumbent upon man in the Islamic society which will be the abode of freedom and liberality to offer his prayers only to Allah and to Him only and never to associate with Him any partner. Allah only is to be worshipped and he is the absolute perfection in existence. "Allah there is no God save Him. His are the most beautiful names".

The attributes of God, praise be to Him, are the traits of perfection for which He deserves to be our Lord and to be worshipped. "That is God, your Lord ! There is no god but He, the Creator of all things : then worship you Him : and He has power to dispose of all affaire. No vision can grasp Him, but His grasp is over all visiont : He is above all comprehension, yet is as acquainted with all things". (Sourah 6, V. 103).

The belief in one God is the turning point in the life of humanity. It is the turning point between shortsightedness in belief and conception which should disappear and go into oblivion and a far sightedness enabling man to set forth seeking the

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

The Society :

A human society is not a mere gathering of a certain number of people however their counting may be in a certain locality. The human society only exists wherever there is a common case which unites a certain people living in one locality. In contrast, the primitive people never form a society because they are only a collection of people without a common aim. They have nothing to unite their effort. They only live together while each is making his own living and satisfying his own needs of food, drink and sexual desire. Such people remain disintegrated until they find a certain aim for which they work together to achieve a common end. Whenever they realize such collective effort, they turn to be a human society.

The objective of a human society is the achivement of an end which is far beyond the mere satisfaction of any biological desire. It is the realization of a common objetc which bears upon their common will as a group of individuals forming by their mutual endeavour the society which unites them all.

Such objective may be the seeking of sovereignity or the liberation from occupation or submission to others. A human being encountering another, the may either endeavour to submit him self to his rule or to struggle to get rid of such rule. Human societies as well through their old and recent history are working along the same lines. They realize their existence or self conscience either through the struggle for sovereignity and supremacy or through the struggle for liberation from the control of others. Thus it is evident that the objectives which the individual seeks to realize in his limited and private life are quite the same as those which the society as a whole seeks to achieve in public life. In each individual there exist so

indeed hearing, sight and heart, all these are favours for the right use of which one is responsible". (XVII, 38). "O you who have believed, if a reprobate comes to you with a report, make certain it is correct before taking actlon, lest you may injure honest people unknowingly and then you regret what you have done". (XLIX, 6). "O you who have believed, let not one group of people make mock of another; they are possibly better they; and let not women make mock of other women, they are probably better than they; do not scoff at each other, or revile each other with nicknames...... Avoid much suspicion. Suspicion is sometimes a sin". (XLIX, 11/12). "Say to the believers that they cast down their eyes and guard their private parts. This is more becoming for them... And say to the believing women that they cast their eyes and guard their private parts and show not their ornamets, exept so far as they (normally) appear, and let them throw their scarves over their bossoms...." "(XXIV, 30). "O you who have believed, do not enter houses other than your own until you have familiarised yourself to its inmates and saluted them; that is better for you.... If you find no one there, do not enter until permission is given to you, and if you are told to go away, go away....." (XXIV, 27/28). "O you who have believed, when you are asked to make room in gatherings, make room; Allah will make room for you....." (LVII, 12).

These are the major elements of the Islamic system for a prosperous and happy life. Islam has demanded that all men, subjects and rulers should cooperate towarde the observation of these elements of its teaching and should fear God in them. The Qur'an reads, "O you who have believed, have piety, the piety due to Allah, and die not except as Muslims. Seek strength in the bond of Allah as one body and do not separate up..." (III,97/98). "And let there be found of you a community inviting to good, urging what is reputable and restraining from what is disreputable." (III,100).

This is Islam, and this is the religion of Allah. This is the life planned by God for His creatures. What else can we crave for? There can be no better system and there can be no better organisation. "O you who have beleived, enter into the bond of peace altogether, and follow not the steps of Satan." (II, 204).

Wassalamu-alaikum warahmatu-llahi-wa barakatuh.

Therefore, licenciousnes and immorality which are destructive to his institution are severely condemed, and abstinence from union outside the wedlock is not only virtuous but is also given the honorific name "Honour!" In this way Islam ensured full cooperation towards the fundamental goals through closey-knit and well organised human relations.

Ties of Kinship result in small blood groupings, through which the immediate needs of the individual way be fulfilled. Such grouping, however, is limited in scope and naturally breeds racialism and prejudices. Islam therefore has established the bond of brotherhood which crosses the boundaries of blood and all the barriers of geography and nationalism. On the basis of this bond, Islam has established a nation- The Ummah of Islam - in which all citizens are equal regardless of their origin, their colour or their tongue.

The safety of this nation is the collective responsibility of all Muslims on earth, and measures for defending it against agressors are to be adequately taken. Sura VII Verses 26-63 read, "Prepare for them whatsoever force and cavalry you are capable of gathering to overcome those who are the enemies of Allah and your enemies as well as others besides them - whom you don't know but Allah knows.... And if they are inclined to make peace, make peace." (VII, 62-63).

In this nation or society of Islam all mutual rights and obligations are well defined, namely, between the individual and his kins, between the individual and his immediate neighbours, between the individual and the rest of the world of Islam and between the individual and his temporal authority. Manners of good conduct and courtesy are given an adequate importance. In this connexion the following passages are quoted; " O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger and those of you who have the command." (IV, 59). " The believers are nothing but brothers." (XLIX, 10). "Do not (be disdainful) screwing up your cheek to the people, and walk not boisterously upon the earth. Indeed Allah does not love any conceited boaster. Be moderate in your gait and lower your voice.." (XXXI, 17/18). "Do not walk boisterously upon the earth; indeed you will not make a hole in the earth, nor yet reach the mountains in stature," (XVII, 39). "Do not seek to peep through the privacies of others,

laid the earth low for you; so walk about in the regions of it and eat of His provision . . ." and sura IV Verse 33 reads, "O you who have believed, do not consume your property among you in vanity, except there be trading by mutual consent on your part."

While Islam praises work for earning wealth it teaches moderation in spending and condemns dxtravagance and meanness. It encourages the practice of thrift, and urges those with wealth to be charitable and kind to under-priviledged. Sura XVII Verse 28 — 29 reads, " And give to the kinsman his ritgh, and to the poor, and the follower in the way, but do not be extravagant at all. Verily the squanderers are the brothers of the Satans and Satan is to his Lord unthankful." Verse 31 of the same chapter reads, "And neither keep your hand chained to your neck, nor spread it wide open and so sit blamed and inpoverished."

In this way Islam has solved the thorny problem of wealth, which for long threatened peace and has been causing endless troubles. Islam thereby has reduced the danger of the financial greed and destroyed the dangerous seeds of communism. It preserved the incentive for work and opened the gates for healty competition in exploring the potentialities of nature and exploiting them in the service of mankind. This is in addition to eliminating misery and promoting love and mutual understanding.

The teaching of Islam guides man in the way of communicating with his Creator and in the way of worshipping Him. All the details of worship are given, and they are made in such a way as not to encroach upon the needs of material life. They aim at fostering the ties of brotherhood, among the worshippers by the inspiration of peity and righteousness.

Islam, moreover, has mada learning and seeking knowledge a most worthy pursuit. By learning here is meant to seek knowledge of the secret of the universe. Such knowledge strenhthens the faith in the Almighty, and helps towards the progress and advancement of the society. In this connexion the Qur'an reads, " Of His servants only those woh have knowledge fear Him. " [XXX, 25]. " Say : Ars these who have knowledge on the same footing as those who have not." (XXXIX,12). " Allah will raise up in honour and status, those who have believed and those to whom knowledge has been given." (LVIII, 12).

The stability of the family is of a paramount impotance in Islam

series of the Prophets. He is related to have made the following simile, " I, as last, and all the Prophets who were sent by Heaven before me, resembled a house which the architects perfected and which they adorned with all sorts of decoration. A place for one stone was left out empty, however. People went inside the house and admired it. But they would say, how perfect and how beautiful the house is except for that empty space for one stone ". The Prophet continued, " I am the stone and I am the seal of the Prophets".

* * *

By harmonising the physical and spiritual needs of the individual, Islam, as we have seen earlier, has assured a happy and prosperous life, and helped society to advance and to progress.

We now propose to discuss the elements in the Islamic teaching which aim at a harmonious and orderly social life where the needs of the individual and those of his community are guaranteed.

In the first place, Islam guided to the belief in truth, in the Unity of the Righteous and Benevolent Creator whom alone our devotion and prayers are to be addressed. The relationship between man and his Creator, who sustains him and who provides for him, is direct, and there is no intercession or intermediary in Isalm. This inspires the individual with the sense of dignity and self-respect, and with courage and justice. He would say the truth because it is the truth, and follows what is right because it is right.

In the second place, Islam encourages hygienic practice, and requires its adherents to be healthy and strong. Any practice and anything that is phsically injurious is prohibited, and the believer is instrcted to safeguard against infection and the causes of illness. Again, all practices that would adversely affect the intellectual power are not allowed. Therefore wine and opium are to be avoided. Sura V verse, 92 reads, " O you who have believed, wine, gambling, stone alters and divining arrows are simply an abomination, some of Satan's work . . ." V. (92).

The pursuit of earning by tilling the land or through trade or industry is highly praised, and is reckond a kind of worship for wich reward is assured. Sura LXIIV verse 10 reads, " Then when the prayer is finished scatter abroad in the land and seek the bounty of Allah and call Allah frequently to mind . . ." Sura LXVII Verse 15 reads, " He it is who has

depens on the fulfilment of the needs of the body and the requirements of the soul. Physical enjoyment, however, should not encroach upon the spiritual needs, and the cravinge for spiritual purity and perfection should not lead to physical suffering or deprivation.

Man is therefore, allowed and even encouraged to enjoy within his means the pleasures of life without excess. He is permitted to eat good food, to drink what is not harmful and to wear elegant clothes. He is permitted to enjoy living in elegant houses, the accumlation of waelth and the company of the opposite sex, But he is forbidden from committing abomination and from seeking the fulfilment of his pleasure through means that would be in any way injurious to himself, to his family or to his society. On the other hand, man is guided towards spiritual purity, spirtual enjoyment and spiritual elevation through spiritual training in such practices as fasting, pilgrimage, meditation, reflection in God's greatness and creations, and through seeking communion with God in prayers!

In this connexion the following passages from the Qur'an are quoted :

Sura VII Verses 29 - 30 read.

" O children of Adam, take your adornment at every place of worship and eat and drink, but do not be extravagant. Verily He loves not those who are extravagant. Say, Who has forbidden the adornment which Allah has produced for His creatures and the good things He has provided ? ". The Qur'an continues, " Say, My Lord has only forbidden indecencies, both open and secret, and has forbidden evil and unjustified greed . . . .". Another verse reads, " O you who have believed, do not make forbidden the good things of what Allah made permissible for you; and do not trangress...." (V. 89). Another verse reads, " Say, My Lord had commanded justice. Set yourselves in order at every place of worship, and pray to Allah, associating no one with Him as an object of your devotion and worship.' (V. 28).

Thus, Islam, by harmonising the physical and spiritual needs of the individual, and by directing tbe fulfilment of these needs towards the well being and the advancement of society Islam has become the faith of the spiritual and material worlds at one and the same time. Islam is the last religion revealed from Heaven, and it was revealed with a system of life that has pushed man leaps higher on the ladder of progress and civilisation. The man who was the exponent of the faith; Muhammad, son of Abdullah, was the perfect and the last one in the noble

ISLAM AS A SYSTEM THAT ENSURES HAPPINESS AND PROSPERITY

Delivered by
His eminence shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University
During his visit to Malaya

For the benefit of those with " living hearts " and with righteous souls I offer this essay in which I give a brief analysis of the principles established by Islam as a means for a prosperous and successful life.

I pray that this essay will be intelligently studied, and that the readers and listeners would hold fast to the enanciated principles until good defeats evil and prosperity replaces misery, so that mankind may enjoy glory in this life and eternal happiness in the next.

* * *

God, in His grace, established the faith of Islam and has made it a system which ensures peace and prosperity both for the individual and society in this world, and which guides to success and to eternal happiness in the world to come. There is nothing useful or beneficial or righteous in the world except that it is recommended and encouraged by Islam, and there is nothing harmful or evil in the world except that it is prohibited in Islam.

The guidance of Islam is comprehensive and embracing. Man is not left along in life to the physical pleasures or the material needs that would drive him away from the advantages of the immortal life, nor is he left alone to the attractions of the material needs and the legitimate enjoyment. The Islamic system is based on firm foundations, on the fact that man is a body and a soul, and on the recognition of the needs both of the soul and of the body.

The body has certain legitimate needs, and the soul has legitimate requirements; and Islam recognises that the ultimate happiness of man

Quran only : "Take what the Prophet has given you and avoied what he ordered you to avoid, and be pious if you believe in God".

The state system in the modern society regards as the area of infuence the physical entity of man rather than his spirit. Perhaps it does so in order to leave to the church the "spirit" as its area of influence. The separation between church and state is in accordance with the division that took place at the time of the french Revolution.

But the system of society in the nation which God created regards man as a whole, his physical as well as spiritual entity, as the area of its protection, Thus it took care of the body as well as of the spirit by considering man one unity which is under one leadership. This system encourages man psychdogically to be creative by way of his conscience.

Perhaps the worst stain in the state system of modern society is that " dualism " of religion and state, the split into two authorities, the authority of the church as religious authority, and the authority of the state as the secular authority.

But in the nation the God created the society is not divided into two authorities. Instead, its system follows one leadership and one guidance : "The system of God which is the best system."

among the people are guided by co-operation, love and fraternity. This is the highest ceiling human society.

The nation which God created is not a divine one, nor is its society sacred or its ruling class holy because of their relationship to the Book of God. The individuals of this nation are rather human beings, its society is a human society and the ruling class are people apt to committing mistakes once in a while.

The government in the nation which God created is not a divine one does not have to be obeyed without question or heard without argument. It is rather a government which derives its decisions from consultation. This government may continue as long as it recognizes justice and nourishes good inter-relations among the people.

Man in the nation which God created is active. He practices his rights according to his qualifications. He may hit the target now and fail it the next time.

The only difference between this man and the man in the state which man made is the former is not conceited by his human qualifications nor is he deceived by the independence of his mind. He, beside using his mind and human faculties, seeks consultation in the Book of God, God's Book is no more than general planning for the sake of mankind. Wherever is found any narrow limitation in interpreting the Book of God it should not be attributed to the quality of the Book, for interpretation is the work of man.

Until now, the Muslims in the Islamic oriental society cannot clearly comprehend that the dual system which in Europe led to the separation between state and church has no relation to either Islam or Its system.

Islam is not a church, its jurists and scholars are not priests. But Muslims are all equal. They are first of all Muslims, then People of vocations and professions. Islam has no group assuming divine authority or which spreads its influence over the people, physically or spiritually, in the name of God. They are all equal citizens of one nation. This nation is that to which the Quran referred in the saying: "You were the best nation created for man".

Islam, after all, is not responsible for the misinterpretation of Its instructions and general maxims. The responsibility of Islam lies in the

distinction. This group is the ruling class, the " people of decision", of whom God says: " Oh people, who believe, oby God and oby the Prophet and the people of decision among you. If you had any dispute over something, solve it in the light of the instructions given by God and the Prophet if you believe in God and the Day of judgement. This is the best for you ". The people of decision are those who distinguish themselves by striving to understand what God revealed and endeavoured to comprehend the Book of God and distinguish themselves by their ability to apply analogy. They are the endeavorers and therefore their instructions are to be obeyed and followed and obeying this group is obedience to God and His Prophet.

Islam relates obedience of these instructions to obedience to God and His Prophet and therefore obeying the law becomes obedience founded on conviction and belief combined. Thus, deviation from law is minimized since law is not imposed from outside. It is neither limited nor codified by peole whose merits lie in their humanity alone, but because they are pious scholars.

From this comparison between the state which man made and the nation which God created we infer that the system of government, or the syetem of guiding the individuals in human society, which depends on the existence of the three authorities - the executive, judicial and legislative authority - is found in both societies. This is because it is a prerequisite for the existence of any pattern of society. Later on some shortcomings crept into the government system of the modern society. These shortcomings made the system insufficient for reaching the ultimate goals of society which are: stable inter - relationships among the individuals and equal opportunities for them. Meanwhile this system looks at the individuals as groups of aggregates which should be pushed without considering the freedom of the individual and human dignity.

The system of government in the nation which God created, as we previously pointed out, corrected the defects existing in the state system. The nation of God recognizes the strong conscience of man and man's belief in God. From these two principles spring personal freedom and human dignity. At the same time the inter-relationships.

a result conscience is one's final resort in his judgement and talk. And this is how the judicial right is founded on conscience as well as on jurisprudence and the people know what God has allowed and forbidden, and revealed.

The judicial authority in the state system also relies on jurisprudence and coscience. But it is the jurisprudence and conscience of man. It is not law of God nor is it the conscience which springs from the fear of God. Add the difference between the defined and the unlimited. It is the difference between that which is not influenced and that which is influenced. The difference between the consience of man and the conscience which springs from the fear of God is the difference between power limited by the factors of environment, heredity and the executive authority and the power which is above this limitation, for it is guided by God Himself.

The phenomena of jurisprudence and conscience in judicial matters are necessary factors in applying justice. But the kind of jurisprudence as well as the kind of conscience is more important in applying justice itself. It is, perhaps, the predominent factor in doing or neglecting justice.

To evaluate conscience, which is founded on belief in and fear of God, and its value for doing justice the Prophet, peace be upon Him, says the following to two persons who had come to Him with an argument: "I am nothing more than a human being. It may happen that one of you will be more eloquent in presenting his case and thus I may do wrong by judging in his favor. The one, whom I may fovor by giving him part of his brother's property is like the one who took a piece of fire".

3) Beside the executive and the judicial right in the nation of God there exists also the legislative right which is similar to the legislative authority of the state system in modern society. The legislative right is not delegated to a committee which is formed by way of national election or by way of appointment by the executive authority, but is delegated to a group which is formed by way of natural election, i.e. by way of personal distinction or personal qualification. These qualifications alone are the sign of selection and

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by
Dr. Mohammad El-Bahay
The director of Al-Azhar University in charge

— 2 —

2) The judicial right is also found in the nation of God in the function of installing justice as is supposed to be in the judicial authority which is the second pillar of the state system in modern society. The Glorious Qur'an says : " When you judge among people, judge justly.God's commandments are the best. God is the one who hears and sees." It also says : "When you speak, speak justly even when it concerns your relatives." Quran thus demands that among believers speech and judgement should be fair. Quran emphasizes its demand by saying that justice in judgement and talk should not be influenced by either emotion or relationship. It also demands justice even when the affairs concern unbelievers. It says : "Don't let your hatred lead you to do injustice. Doing justice is the shortest path to piety. Be pious for God knows what you are doing". But the existence of the judicial right in the nation of God differs from the existence of the judicial authority in modern society and because of this differentiation the nation of God distinguishes itself for recognizing justice and strengthening the stability of the ralationships among the citizens.

Islam, therefore, asks for justice in judgement and talk between believers and unbelievers and constantly mentions this jointly with the reminder of observing God and It demands that a judge or a speaker should remember God in his actions. The verses of justice in Quran. always end in : " The commands of God are the best." "This is what God entrusted you with." "Be pious for God knows what you are doing." Quran thus constantly remindes the people of God so that man, in his judgement, verdict or speech keeps distance from his emotional bias. As

of the Muslim life, clear the way in front of the Arabs to lead the way to their greatness and to restore their glorious past. Indeed, Al-Azhar is the university which undertakes to keep the immaterial personality of the Arab nations. It is the university which the united Arab Republic pays all its expenses and which peoples depend upon it to keep the Arab Nationalism.

Though Al-Azhaar university is on the land of the united Arab Republic, it has an important and an Arabic international position. This is because it is the source of the islamic and arabic studies, as it is the place which attracts the students who look for islamic and Arabic culture. Hence, Al-Azhar is the university which sends its rays to the whole world to lighten the way in front of all mankind and to guide them to the straight path.

Nearly, every Arab and Muslim nation has delegates of its students studying at Al-Azhar university, the nations send students to receive islamic and Arabic education to guide their people when they finish their studeis at Al-Azhar and return back to them. The studies of Al-Azhar teach students the virtue of unit in the different spheres of life and prepare them to face thier enemies, as well as it teaches them how to treat each other brotherly and kindly.

Verily, the role of Al-Azhar university is not a local one, it does not teach only the general human aspects, but also it teaches all the knowledges which benefit the human beings during their life and which lead them to the good in the Hereafter — Moreover, Al-Azhar university is performing an international part such as consolidating the relationship among the nations and the govrnments. This is because, it purifies the people's hearts and plants good feelings in it, Hence, the message of Al-Azhar became the link which ties the sky to the earth, and which makes a way for the arabic policy that benefits the nations which follow it.

This is the duty of Al-Azhar university due to the Arab Nationalism. Al-Azhar — wheather in olden times or in the present times — is the international university which opens its doors for all Muslim students from all nations of the the world. This is — by the grace of our revolutionists and their leader Gamal Abd El-Nasser who is making his utmost to make. Al Azhar the universsity of the peoples from everywhere, our leader also is doing his best to enable this university to preach and spread its messoge, to perform its duty completely and to lead Arab and Muslim nations to the top of glory and greatness.

is against tyranny and aggression wherever they are, it also spreads justice, equality and brotherhood. Hence, the imperialists are trying their best to destroy the economic system of these nations, but by the grace of the Arab Nationalism and the struggling of the faithful young men, the economical condition is now advancing to the better and people are leading their way to the complete prosperity and the full progress.

The Arab economical condition had passed through a crucial period of its history, it was the period of decline and the time of the weakness. Hence, the aggressors started to prepare their plots for the occupation of our land till they succeeded, and consequently, some of the ill-mannered people let their nationality aside, forgot their previous glory and greatness, and helped the imperialists who aggressed people and humiliated the free youngmen. In this respect the Quran says: "Those in whose hearts is a disease - thou seest how eagerly they run about amongst them, saying" We do fear lest a change of our fortune bring us disaster "Ah perhaps God will give (thee) victory, or a dicision according to his will. Then will they repent of the thoughts which they secretly harboured in their hearts."

[Surah the Table, verse 55.]

At the time, while tyrants and the aggressors were making their utmost to destroy our glory and geeatness, will of God was preparing for our benefits, God inspired some of our faithful youngmen, under the wise leadership of the presedent Gamal Abd El-Nasser, to revolt against those who aggressed our people, separated us, occupied our land and took our properties forcely. At the same time, Al-Azhar university was performing honestly his devine message for the benefit of the Arab Nationalism, the professors and the students of Al-Azhar were facing these terrified events with faithful hearts and good spiritual souls. Hence Al-Azhar is considered in the sight of all people as the sole university which offers its services to all nations and societies. Moreover, it is an important organization for the islamic and the arabic studies, and as a result of this, students from all over the world came to have an islamic education in the oldest university on the earth, and this — by turn — leads them to know each other, to exchange openions and to discuss with one another: How to solve their own nation's problems.

Surely, the university of Al-Azhar is performing its holy message, since more than one thousand years. This message includes regulations and rules which cotrol all the aspects

Arab nations everywher to each other. No doubt that Arabic language is the one which expresses all the Islamic thoughts that prevail in the life of the Arab and the Muslim societies. Any one studies Islam, its teachings and prenciples, will observe that the Qur'an and the prophetic traditions are its main sources. And because Islam was revealed into arabic environment, and to the people whom language is arabic, this language became a tie and a motive for unit among the nations that embraced Islam and carried out the instructions of the Quran. Consequently, arabic Qur'an was the cause which attracted the non-Muslim Arab nations to be converted to Islam, this is because its language is their own. Moreover, many of the non-Arab Muslim nations became the greatest because of their inclination towards Islam and its language. Hence, Islam became the strongest tie among the Arab nations, and this tie is granted to them by God, so it is also stronger than any other kind of connections.

If we observe that Arab Nationalism has taken its position among the nations of the world, we must keep in our mind that this position is by the grace of the faithfulness which filled the hearts of the active, youngmen of our nation. Surely, Arab Nationalism, which reached to the highest top of glory and greatness, is reached to this rank by means of the Arabic immaterial personality, besides the faithfulness of its individuals' hearts.

As a matter of fact, the solid foundations which the Arab Nationalism had been built on, will last to be provided with the instructions of the two great sources of Islam "Qur'an and prophetic traditions", these sources will last forever. Surely, Arab Nationalism is the power which stands as an obstacle in the way of the imperialists who tried to humiliate the weak nations, occupied their lands, took forcely their properties and treated them badly and unkindly. The leader of the Arab Nationalism " Gamal Abd El-Nasser" is always supplying the weak nations with activity, teaching the humiliated people how to be enthusiastic fighting openly against the tyranny and leading the peoples to the right way which enables them to live in suitable standard of living under the flag of freedom, fratirnity and peace.

Now every one can observe that Arab Nationalism is the obstacle which hinders the advancement of the aggressors, it also attempts to stop the race of the armament among the big nations. In fact, these big nations had built their glory and greatness on the shoulders of the other weak nations. So, Arab Nationalism supports every weak nation, it

AL-AZHAR IS THE PROTECTOR OF THE ARAB NATIONALISM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The following article is the answer to the question which was addressed to his eminence Shaykh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar University, by one of the newspapers correspondents.

Dear brother: On the pages of the newspaper which you work at, you have written a group of questions asking us to answer them. These questions are about the difinition, the foundation and the guidance of the Arab Nationalism for humanity in the different aspects of the life which benefit people everywhere. And particularly, one of these questions was about the duty of Al-Azhar university due to all these aspects. Putting an answer for this question, I should firstly introduce the following facts :

Every nation has a materialistic personality which belongs to its climate, its area, the nature of its land and its environment, as well as it belongs to its individual's tallness, fatness, colour and the other physical qualities.

Also every nation has an immaterial personality which is clearly centerlized into its mottos, its convictions and its aims which it always defends with all its might. The more stronger is that the immaterial personality is the more powerful link which joins the individuals of the society to each other as it is the way which leads the nation to take its position among the other nations of the world.

As a matter of fact, the immaterial personality is the strongest link that ties a nation to a nation and which joins a society to another. Indeed, Islam, is the spiritual religion, is the best contact which links the

soldiers are living, their arms are not bombs but Qur'an, their mean is not death but life, their aim is not distruction but construction and their purpose is to spread among all mankind equality and peace. Because our leaders are making their utmost to realize the best leadership for their people's freedom, because they want to be the pioneers of the world peace, they should gather both the power of Al-Azhar camp and the power of the military camp to gether in one place. Hence, they will be gathering the materialistic arm to the spiritual one. Moreover, they will be establishing on the land-where the imperialists erected up markets for slavery — minarets for guidance and refuge for freedom.

Surely, we have the opportunity to work, the land of Alrica is ready to be cultivated and Al-Azhar is, very eager to put the seeds. Hence it is the duty of our State to play the part of sendiog clouds to water the thirst african souls which are very keen to drink islamic knowledges and religious education. Afte that, Africa will has the ability to exist the faithful youngmen who understand the meaning of the real independence and who can offer proofs very obvious in front of the European peoples that man is known everywhere by his work and faith and never deffers or distinguishes according to natmionality, colour or race.

people, to lighten their minds and to guide them to the straight way when they return home.

Now, there are about three thousands of the foreigners tudents in Al-Azhar university, but this number is less than what actually the spiritual struggle needs in new Africa. Surely, the evacuation of the imperialists from Africa, will give a chance to those who struggle in the cause of African language and the islamic teachings to widen its area and to extend its land. Now, it is the duty of the State to support the university of Al-Azhar and to help it to carry out its plan through the fertile land of the new Africa, it is its role to enable Al-Azhar to preach its message by giving it money to realize its good hopes in this great Continent.

Supplying Al-Azhar university with money, and giving it a chance to preach its divine message among the african idolators, it will pick them out of the slavery of the spirit, mind, and body. As well as this matter is a great political profit that imperialists tried to gain it — wheather by tricks, by temptation, by the time or by shedding blood, but they had been evacuated out of this good land which they humiliated its people, treated them unkindly, took their properties and wealth and let them living in a complete poverty, illness, ignorance and difficulty.

Indeed, Islam will improve all their conditions. it will change them completely from darkness to light, from poverty to richness, from illness to health, from disruption to good and from disintegration to unity and brotherhood. At-that time, they will not find among them any one who is called master or servant according to his colour, but they will find that all people enjoy freedom, the national wealth will be devided among them justily and all of them live in a suitable standard of living and enjoy all the human rights.

If the african people untlerstand Islam and believe in its teachings with faithful hearts, it will surely promote them to the highest top of freedom and humanity, where there is no distinction among the people because of nationality or colour, but there wil be people like Abu Bakr, Omer and Othman beside Belal, Sohaib and Salman.

Really, Al-Azhar university can be considerd as a camp, where God's

the Islamic institutes to pave the way for the french civilization to be spread here and there, and this will lead us to occupy the helpless nations".

This is the strength of Islam relegion in the christian preachers openion, and that is its effect in the imperialist's view. Indeed, Islam — is looks like the water which benetrates rocks and stones — passes through the viels and the obstacles of the nature so. But to give Islam the chance, to move forward very easy, and to enable it to trod over the hindrances which prevent its starting to spread its guidance and advices, we should remove these obstacles from its way, and this will help Islam to lead the way with complete easiness. To remove these obstacles and to oblitirate them, we have to use an instrument which is Al-Azhar university. As a matter of fact, Al-Azhar university in Egypt and the first sanctuary in Mecca are the two things which combine the meaning of Islam in the minds of the African Muslims. The african Muslim considers that the sacred Mosque is the place where his faith is planted and at the same time considers that Al-Azhar university is the place where the Islamic teachings and principles can be obtained.

Verily, Al-Azhar university spares no effort to preach its divine message among the people of the african continent. For example: It sent some of its learned men, its professors and advisors to Somali land, to Abysinia and to the other parts of the world. Moreover, Al-Azhar is surely doing its utmost to make the preachers who preach Isalm in Africa, of the youngmen of Africa itself, this will enable the preachers to preach Islam in the language of the african people themselves according to the Almighty God sayin "We sent not an Apostle except (to teach) in the language of his (own) peole, in order to make (things) clear to them. Now God leaves straying those whom He pleases and guides whom He pleases : And He is exalted in power, full of wisdom ".

(Surah Ebraham, Verse 5).

Al-Azhar university established the muslim foreigners hostel where all the foreigner students — who receive educatiou at Al-Azhar — are residing. This hostel offers lodging and food — three times daily — for all those students freely. Also Al-Azhar gives them knowledges, prophetic traditions and provides them with all the means of preaching to transfer God's message to their

it is the natural easy religion, as it has no complexity or difficulties and also because it is the feature of monotheism, and faith which denies the intercession between man and his creator, Millions of people embraced it or gladly converted to it, for example: 3,245,390 persons from Abysinia converted to Islam, 1,746,301 in somali land, 300,000 in Zanzebar, 200,000 in Quenia, 1,500,000 in Tanganica, 138,000 in both Rovdisia and New Ziland, 650,000 in Mozonbique, 88,000 in southern Africa, 7,500,000 in the french western Africa, 23,000,00 in Nigeria, 30,000 in Togoland, 150,000 in Ghana, 120,000 in Ghambia, half million in Kamiron half million and four hundred thousands person converted to Islam in liberia. These numbers are according to the last census for ten years ago, and it is very natural that Muslims have been increased during this period wheather it was by the new birth of the muslim infants or by the converted people to Islam.

The effect of Islam and its attraction for all these people had been surprised the christian preachers, wheather they are english, french, Belgian, Italian or American. They gathered together and asked each other the following question: "Why did we fail to convert the idolators into christianity in spite of offering people many services like, drugs, money and education, while Islam succeeded to convert them to it without offering them any thing, also there is no government to support it or any society to help it ?" Then the christian phelosophers and the specialized people of them made their utmost to study this matter, but they failed in getting any result. But at the end, they submitted, and determind that they will use Islam as if it is a way for the idolators to passe over it to christianity. Then they began to investe the inner power of Islam and they attempted to make it as a passage to get the primitive idolators out of the darkness, after that, they will try to attract them to their modern civilization and call them to faith in and embrace their christian religion. In this respect one of the historian of the church said : "Surely, Islam is the bridge which the african people used it as a way to passe over it from idolary to christianity. Hence, we should be very kind with Islam and help it to extend its message and preach it everywhere. We must offer money for mosques and

YOU, GIVE AL-AZHAR A CHANCE TO CONVEY HIS MESSAGE IN THE NEW AFRICA

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since God created the earth and the people who are living on it, the inhabitandts of Africa continent have lived in a complete darkness: ignorace, worshipping idols, slavery and imperialistic rule. But, fortunately, at the Present time, we observe that Africa is getting up after its long sleep, striving hard to achieve a suitable standard of living after its complete poverty and struggling bitterly to realize its dreams and materialize its hospes which are: Freedom, dignity and peace. Indeed, Africa continent is influenced by the Egyptian Revolution which has, its effect, not only on Egypt and Arab nations, but also on the nations of the whole East.

In olden times, the Afican people had some knowledges about the guidance of Islam by means of the Arab traders and the muslim emigrants, and consequently, some of them felt that there is the light which oblitirates the darkness that they were living in, and that in the universe, there is Almighty God who sends his messengers to guide humanity to the right way and to spread among the people equality, morality and brotherhood. Hence, they refused to be humiliated or opressed, but the guidance of Islam was very faint in their hearts because they did not know the Arabic language which is the language of the Qur'an and the prophetic Traditions. Surely, they recite some of the Qur'anic verses without understanding its meanings, they also perform the rites of Islam by imitation, without complete knowledge about the Islamic laws. Neverthless, Islam found its way to the hearts of the idolators. This is because

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع — رجب سنة ١٣٨١ هـ — ديسمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الأزهر

في ضوء قانونه الجديد

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

لقد عاصر الأزهر تاريخ ألف سنة من حياة العروبة والإسلام، بل كان روحا لهذه الحياة وعاملا ذا أثر إيجابي فيها. وظل خلال هذه السنوات الألف منارا للعلم وحصنا له، ودرعا للإسلام وعدة للدفاع عنه، وحمى للعروبة وأمينا على لسانها، وحارسا لكياننا القومي، وقلعة شامخة في وجه المتربصين به، كلما أطلت برأسها فتنة، أو تهدد الأمة شر.

وعلى مدى ألف سنة اكتسب الأزهر خصائص تميز بها في مجالات العلم والعقيدة، واللغة والقيادة، والتوعية والتوجيه، كما اكتسب اسمه بهذه الخصائص قداسة وجلالا فانعطفت قلوب المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامي إليه، وقويت على تعاقب السنين صلتهم به والانقياد إلى رأيه. لا يطلبون علوم الإسلام وأسباب المعرفة إلا في حلقات درسه ومجالس علمه، ولا يجدون ضالتهم من فقه الكتاب والسنة إلا في أفواه علمائه وألسنة رواده... فكان الأزهر بوصفه هذا قبل أكثر من نصف قرن في مقدمة الحياة، يجد المجتمع مطالبه وحاجاته في خريجيه،

بل لم يكن لينهض بمطالب الحياة إلا خريجو الأزهر ورواده يومئذ .

فلما بدأ عصر النهضة فى مطلع هـذا القرن كان الناس يومئـذ مشدودين إلى التقليد والمحاكاة ، مأخوذين بكل غريب وافد ، فأقبلوا على ترجمة كل شىء ، بل ترجموا الحياة نفسها ، حتى نظم التعليم ومناهجه ، وبرامجه ، قامت جميعاً على أفكار مستوردة وثقافات مترجمة وطرائق معربة باعـدت بيننا وبين الحياة التى يجب أن نحياها ، وقطعت صـلة التعليم ببيئته وتراثه ، وتاريخه ودينه ، وكان طبيعيا أن يعتزل الأزهر هذه النهضة ، وينفر منها ، فانزوى عن المجتمع وتراجع إلى ما وراء حاجاته ، ولم يندمج فيه لأن الأفكار المستوردة والاتجاهات المترجمـة أو المعربة لا تتلاءم مع طبيعته ، ولا تتفق مع خصائصه ، ولـكنها تتنافى مع ما أخـذ نفسه به وانطبع عليه . . ولما انتهت الحرب العالميـة الأولى قامت فى أعقـابها نهضة ، وبدأت محاولة لتعديل نظم التعليم لم تحدث تغييرا جـذريا فى أسسه وفلسفته ونظمه وخططه ، وإنما حدث خلط وترقيع لم يصلح فاسدا وإنما زاد فسادا . حتى أن اللغة العربية والدين ـ مع فرط العناية بهما فى مدارس الدولة ـ لم يتحقق لهما ما يرجوه كل مسلم للغته ودينه ، ذلك لأننا بنينا على أساس غريب عنا بعيد عن بيئتنا وتراثنا ، وعقيدتنا وتاريخنا .

وكان نتيجة لذلك أن وقعنا فى الخطأ مرتين: أخطأنا مختارين أو مكرهين بترجمة نظم التعليم والبعد به عن الحياة التى يجب أن نحياها .

وأخطأنا مرة أخرى ــ تساهـلا أو انقيادا ــ حين اكتفينا فى إصـلاح التعليم بالخلط والترقيع .

وفى كلا الحالين ظل الأزهر فى مكانه بعيدا عن الأفـكار المترجمة والمعربة ، وبعيدا عن الخلط والترقيع كذلك .

إلا أن وقوف الأزهر حيث هو ، والحياة من حوله تتفاعل فى نشاط متجدد وتطور مستمر ، أضر بخريجيه إذ أرادهم على أن يكونوا رجال دين فحسب ، يتخذون منه حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه .

وأضر الأزهر بخريجيه كذلك إذ فرض عليهم وضعه هـــذا نوعا من الانعزال عن المجتمع الذى يعيشون فيه ، فقد وجدوا أن ثقافتهم لا تواجه احتياجات النهضـة ، ولا تتفاعل معها وأن ميادين العمل والإنتاج فى واد وخبرتهم فى واد آخـر ، بل زاد فى انعزالهم عن المجتمع مشكلة التعطل التى تواجههم ويتسع نطاقها عاما بعد عام . هـذا جانب من المشكلة ، وجانب آخر أشد ضررا وأخطر أثرا ، فقـد كاد وضع الأزهر هذا أن يوهن عقيدة الناس ويضر المجتمع ، حين يقع فى وهم خريج الأزهر أن عالم الدين مصيره التعطل ومآله الضياع لأن الدولة لا تعترف به

والمجتمع يحاربه فلا يتسع له ، فيعقول الخريج الدولة والمجتمع ، حتى إذا ضاقت به الحياة كان حربا على الدولة وحربا على المجتمع .

وبالتالى فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا فى صورة عالم الدين ، فإذا كان هذا وضعه فى المجتمع ومصيره ، فما أسرع أن تتشكك قلوب وأن تفسد عقائد ... كذلك فإن بقاء الأزهر على وضعه القديم يصرف المسلمين عنه ، ويضعف صلتهم به . وأن مركزنا القيادى فى العالم الإسلامى ، لم يكن فى يوم من الأيام بسبب تقدمنا وإمكانيتنا ، ولا بسبب ما فرضته علينا الحياة ... وإنما باسم الأزهر وماضيه اكتسبنا ذلك المركز القيادى ، فيجب أن تظل بالأزهر نفسه هذه الصفة وتلك المكانة ، وهذا يجعلنا نفكر فيما يحتاج إليه المجتمع الإسلامى فى حاضره ، فنمسحه مسحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. ونخطط التعليم فى الأزهر خاصة بحيث يحقق للعالم الإسلامى مطالبه ، ويلبى حاجاته ، بعد أن خرجت أمم كثيرة من تحت نير الاستعمار وبدأت تأخذ بأسباب التطور والنهوض ...

فى ضوء هذا الواقع صدر قانون تطوير الأزهر ، يحمل لكل مشكلة حلا ... ويعد لكل ميدان من ميادين العمل خبرة ، ويهيىء لكل مجال من مجالات الإنتاج طاقة ، ويربى لمراكز الخدمات الإنسانية باحثين ودعاة ورادة إنسانيين تهديهم جميعا إلى الحق والخير فطرة سليمة ، وعقيدة مستقيمة ، ومثل من روح الإسلام وقيم من هدى القرآن .

ومن أجل ذلك كان تجديد الأزهر وتطويره ودعمه ، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

وليظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتسع نطاق العالم به ويزدهر .

ومن أجل ذلك كان قانون الأزهر .

* ليتخرج فيه علماء ذوو عقيدة وخبرة ومعرفة يعيشون لدينهم لا بدينهم .

* ولتتحطم الحواجز والسدود بين خريجيه وخريجى الجامعات والمعاهد الأخرى .

* ولتزول الفوارق بينهم وبين إخوانهم فى كل مستوى .

* ولتتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم ومجالات العمل .

وما كان للقانون الجديد أن يحقق الغاية المرجوة منه لولم يأت على المشكلة من جذورها ويبدأ الطريق من أوله ، فعنى برعاية جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد إلى الأزهر بالإشراف عليها ، ورصد لها الأموال لتنهض بتبعاتها وتقوم بواجبها فى إعداد العناصر الصالحة للالتحاق بالأزهر وتغذية معاهده .

كذلك ما كان للقانون الجديد أن يتجاوب مع المجتمع لو ترك التعليم فى معاهد الأزهر نظريا بحتا كما كان من قبل، بعيداً عن مجالات الخبرة

والدربة العملية ، فهيأ الدراسة للطلاب بحيث تتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مـــدارس الدولة ليحصلوا على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية إلى جانب دراستهم لعلوم الدين واللغة ، وليحصلوا على شهادة الثانوية العـامة بقسميها الأدبى والعـلمى أو الثانوية الفنية فى الزراعة أو الصناعة ، أو التجارة ، إلى جانب ما درسوا كذلك من علوم الدين واللغة . فإن شاء طالب الأزهر خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب وإذا شاء واصل الدراسة فى المراحل العالية بكليات الأزهر أو كليات الجامعات الأخـــرى أو الـكليات العسكرية وفق مواهبه واستعداده.

كذلك لم يترك القانون كليات جامعة الأزهر لتصنع خريجها فى هذا النطاق الضيق المحدود وأن تعيش بهم فى بيئتها هى بعيدة عن المجتمع الأم منفصلة عنه ، فرجع بها إلى مجد سلف وماض نفتقده ، يوم كان علماء الإسلام علماء طب وفلسفة ، وأساتذة تاريخ ورياضة وأصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون فى الحياة ويكتسبون منها ، فقد جعل القانون للدراسات العربية كلية تحفظ الثقافة العربية وتنميها ، وتنفى عنها ما أدخل عليها أو اندس فيها ، وجعل للدراسات الإسلامية كليات تزدهر فى رحباتها ثقافة الإسلام ويتسع بهـا فهم الـكتاب وفقه السُّنة وتزداد بدراستها معرفة الطالب للإسلام وهى كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية للفتيات التى ستفتح أبوابها فى العـام القادم إن شاء الله .

ولقد روعى فى هذه الـكليات أن تنهض برسالة اللغة والدين وأن تحافظ على مستواها كما ونوعا مع ضمان التنمية المستمرة وازدهار الرسالة العلمية الإسلامية فى جامعة الأزهر ، هذا إلى جانب ما أنشأ وينشئ من كليات للإدارة والمعاملات والهنـدسة والصناعة والزراعة والطب .

كل ذلك كفله القانون ووضع له أسسه وخططه ، لإعداد طالب متفاعل مع بيئته ومجتمعه ، سواء فى موطن الأزهر بالجمهورية العربية ، أوفى الموطن الـكبير الممتد إلى ماوراء الحدود فى أرجاء الوطن العربى والإسلامى...

كذلك لم يغفل القانون وضع الرأى العام الإسلامى من الأزهر ، ووضع الأزهر من العالم الإسلامى ، فقرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية على نطاق دولى إسلامى يعيد إلى المسلمين الصـورة التى عرفت عندهم باسم الإجماع . . لتناقش فيه البحوث الإسلامية على نطاق دولى ، ولتتجدد ثقافة الإسلام وتتجلى فى جوهرها الأصيل ، وليذاد عنها كل دخيل غريب ، ولينفى عن العقيدة كل خبث يضر بها أو يكيد لها مما ينتحل باسمها أو ينسب إليها ...

حكاية الشعر الجديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كتب إلىّ السيد محمد رضا من أدباء الثغر بكرموز يسألنى عن هذا النوع من الشعر الذى يقرأه من حين إلى حين فى الصحف فلا يدرى كيف ينسبه إلى بحر من بحور العروض ، ولا كيف يرجعه إلى فن من فنون القريض ، ويشكو من أن أذنه لا تسيغه وأن ذهنه لا يهضمه .. والسائل الأديب يقصد ولا شك تلك المقطوعات العاطفية التى ينظمها بعض الشعراء الشباب مطلقة من قيود القافية ، وذلك ما نسميه بالشعر المرسل ويسميه الأفرنج بالشعر الأبيض .

وكان أول من استحدث هذا النوع الشاعر الإيطالى « تريسينو » سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون ، ولكن الآذان لم تلبث أن ألفته وصغت إليه فانتشر فى أوربا ونظم منه شكسبير بعض دراماته . ثم تطور وغلا فى التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من بعض أثقال العروض ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت يليه من أربع أو أكثر ، وذلك هو « الشعر الحر » .

وكان أكثر ما يُستعمل النوعان فى الملاحم والمسرحيات والمطولات إشفاقا على الشاعر من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة .

وكان من العوامل التى مهدت لقبول الشعر

وبعد . .

فإن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذى خبرة وكفاية يقوى به الإسلام ويشتد ساعده وتنتشر به رسالته ، وتتسع رقعته ، ويزيد به معتنقوه ، وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به .

وما كانت القوانين لتصنع رجالا أو تعد دعاة إذا لم يكن فى الأزهريين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم ...

بل ليس فى مقدور القانون أن ينهض بتبعات رسالة ، أو يحافظ على قداسة عقيدة إذا لم تتملك هذه الرسالة وتلك العقيدة قلوب الداعين إليها والعاملين فى سبيلها .

ومن قبل نادى دعاة الإصلاح بتطوير الأزهر ... وثار الأزهريون من أجل تطويره ... وها هو ذا بين يدى كل أزهرى وكل مسلم أمانة حملها وخيراً دعا إليه .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

محمود شلتوت

المرســـل فى العروض الأوروبى أن القافية بمعناها العربى لم تكن عنصراً جوهريا فى الشعر الأفرنجى ، وإنما كانت القافية فيه نوعا من الاتحاد الصوتى بين الكلمة والكلمة كما يكون بين كتاب ونظام وبين عظيم وقدير. فلما اتصل « التروبادور » وهم شعراء جنوب فرنسا فى القرون الوسطى بعرب الأندلس اقتبسوا منهم القافية بحكم الجوار والخلاط .

قال المؤرخ الفرنسى « لويس فياردو » فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ العرب والبربر فى أسبانيا : « كان الشعر الفرنسى مضروبا على مثال الشعر الأسبانى المأخوذ عن الشعر العربى . لأن الأسبان لم يقفوا على الشعر اليونانى ولا على الشعر الرومانى قبل القرن الرابع عشر حتى يقلدوهما . . . ولقد أخذنا صناعة الشعر ونظام القوافى عن العرب ، جاءتنا مع التجار الأسبان عن طريق مرسيليا وطولون » .

أما الشعر العربى فله خصيصتان يتميز بهما على سائر الشعر : إحداهما القافية الواحدة للقصيدة مهما تطل ، والأخرى بناء كل بيت فى القصيدة على عدة التفاعيل التى قام عليها بناء البيت الأول ، فتكون القصيدة كلها كاملة أو مشطورة أو مجزوءة على حسبه .

وللقافية سلطان طبيعى قوى على النفس العربية . لذلك لازمت الشعر فى طوره الأرقى وهو طور القصيد . ولم يحاول شاعر فى العصور الأولى أن يتخلص منها بالشعر المرسل إلا ماروى أبو عبيدة لابنة أبى مسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليث غريف ذو
أظافير وإقـــدام
كحبى إذ تلاقوا و
وجوه القوم ألوان
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبد آن
وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام
وقد ترحل بالركب
وما نحن بصحبان

وإلا ما روى غيره لغيرها من نحو قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك
بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة
إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إننى
بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه بشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخو الملاط نجيب

وهذان المثالان وغيرهما مما روى ولم نطلع عليه إنما صدر عن ذوق متخلف وطبع متكلف ، فلا دلالة فيه على مذهب نشأ ولا على تطور حدث .

على أن من شعراء الأندلس والعراق من ضاق بتماثل النغمة وتكرارها فى التزام روى واحد فى القصيدة المطولة فعالجوا ذلك الرتوب بتنويع القافية على نحو ما فعلوا فى الموشح والزجل . ولكن شعراء هذا العصر الحديث حينما دُفعوا بحكم التطور إلى نظم الروايات المسرحية والمطولات القصصية قاسوا من التزام القافية رهقاً شديداً وقعوا منه فى الغرابة أو الركاكة أو الفضول أو النبو، فدعوا إلى إرسال الشعر من غير قافية وقصروا هذه الدعوة على الشعر القصصى والتمثيلى وما فى حكمهما من القصائد ذوات الحوادث المتعددة والمواقف المختلفة .

بدأ ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنشر فى مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣ استفتاء فى الشعر المرسل كانت مادته ترجمة بالشعر المرسل لخطبة أنطونيو فى رواية يوليوس قيصر لشكسبير ، فاستطار حولها الجدل وتقسم فيها الرأى ، ومضى يؤيد رأيه بالعمل فنظم بالشعر المرسل « مقتل سيدنا عثمان » و « خسرو وشيرين » و « زهراب ورستم » : وحذا حذوه المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى فترجم بهذا الشعر رواية « ممنون » لفولتير ، و « ترنيمة أتون » لبرستيد .

ومن قبل هذين الرائدين عالج الشعر المرسل السيد توفيق البكرى فى قصيدته « ذات القوافى » ، وجميل صدقى الزهاوى فى « المؤيد » ، وعبد الرحمن شكرى فى « الجريدة » .

ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة واستمسكت القافية على عرك النقد وشدة التطور حتى أتاح الله لها داعيا جديداً بعد فترة دامت عشر سنين هو الأستاذ دريني خشبة فجددها فى « الرسالة » ١٩٤٣ وأيدها بقوة . ولكن الأذواق لا تقارَع بالمنطق ولا تجابَه بالدليل ولا تتغير بالأمر ، فظل الشعر الحر أمنية فى بعض النفوس وحديثا فى بعض المجالس ، حتى أصيب الغناء المصرى فى العهد الأخير بالتجديد المسيخ المفتعل فزيف شعور أهله وقطع تيار ماضيه ووضع فى الأغنية الواحدة أنغاما من كل لحن وأصواتا من كل أمة .

والغناء أصل الشعر ، والشعر مادة الغناء ، فتأثير أحدهما فى الآخر تفاعل من عمل الطبيعة يحدث من غير اكتساب ولا قصد . فكما أراد بعض الملحنين أن يخضعوا الغناء المصرى للغناء الأوربى فى الموسيقى ، أراد بعض الناظمين أن يخضعوا الشعر العربى للشعر الأوربى فى العروض ، فأصبحنا نقرأ ما ننكر كما كنا نسمع ما نكره .

وأكثر ما ينشر اليوم من الشعر المرسل هو الشعر الحر الذى يتخلص غالبا من التزام القافية ، ويتجرد دائما من تساوى الشطرات . والشعر الحر يقبل فى الأغانى والموشحات ، كما يقبل الشعر المرسل فى الملاحم والمسرحيات . واستعمالها فى غير ذلك قلب للأوضاع ، وحرب على الأذواق والأسماع ، ونزول بالقصيدة الريضة المحكمة إلى مستوى هذه

الرقاعات الصوتية التى ينطبق عليها كل اسم تشاء ما عدا الغناء !

كل شىء يجوز النزول به إلا الفن . وكل فن يجوز التيسير فيه إلا الشعر . وكل تيسير يجوز النظر فيه إلا القافية . ذلك أن الشعر يتميز من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسية ، وصعوبة عسيرة التسهيل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها فى الذاكرة . فالشعر الحر يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقية إذا زاوج الشاعر بين الأبيات واستفاد من الحرية التى أوتيها ، فتخير الألفاظ وعدل الأقسام وألف الألوان وحرك المعانى ونوع الصور . وأخشى بعد أولئك كله ألا يرتفع عن النثر البليغ المحكم .

ولكن الصعوبة التى تلقى الشاعر فى كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك وهى تنتظر فى غير صبر ، بتلك الحيلة الفنية واللفتة الذهنية والكلمة الصادقة الموسيقية ، لا تجدها فى غير الشعر المقفى . . كذلك يعجز الشعر الحر عن أن يهىء للذاكرة فى التمثيل على الأخص ما تهيئه لها القافية من نقط الارتكاز وعلائم الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بإلغاء القافية يخمد الذهن ويجدب القريحة ؛ لأن الصعوبة ترهف الفكر فيدق إحساسه ، وتوقظ العقل فيزيد إنتاجه ، وتبعث الفن فيحيا بين إلهام الشاعر وإعجاب القارىء .

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فإن الطبيعة الغنائية للشعر العربى من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من أخص لوازم الشعر وأسهل فنونه ولنا فى الأراجيز القديمة والموشحات الحديثة وسائر ما استحدث المولدون من الأنواع القائمة على موسيقى القافية دليل ناهض على ما نقول .

فإذا وقع شاعر اليوم فى رهق من بناء القافية لقلة محصوله من اللغة أو لمعالجته التمثيل أو القصص الطويل ، كان له فى تنويعها مندوحة عن هـــذا النوع الذى تذبذب بين النثر والنظم فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ! بذلك استطاع البستانى أن يترجم الإلياذة ، وتسنى لشوقى أن يبدع فى مسرحياته .

* * *

وبعد فإنى أفهم لماذا نيسر الكتابة ونسهل النحو ، ولكنى لا أفهم لماذا نيسر الشعر ونسهل الغناء ، أليكون الناس كلهم مغنين وشعراء ؟ لا ، يا أخى ! المسألة فى الفن استعداد واجتهاد وقريحة .

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

أحمد حسن الزيات

الصّفة فى اللغة العربيّة

للأستاذ عبّاس محمود العقاد

الصفة من أقوى الدلالات على ضبط الأداء فى لغة من اللغات .

وهى أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء فى المفردات وفى تراكيب التعبير ، فما من لغة متقدمة أو متأخرة تخلو من الأسماء بعدد الأشياء التى يتحدث عنها أهلها ، ولكن اللغات التى تقدر الصفات على حسب الموصوفات هى اللغات التى تطورت بقواعد التعبير والتمييز بين مواضع المعانى والألفاظ أو التطبيق بين الكلمة ومعناها .

والأسماء ، كما هو معلوم ، قد تكون توقيفية لا إرادة للتكلم فى وضعها وإطلاقها على مسمياتها ، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شىء قليل من التعديل فيها ، وقد تكون مع ذلك مطلقة فى أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها ، كهذا الاسم الشائع باسم (كبريت) وأصله نسبة إلى جزيرة قبرس بمعنى القبرسى ، لأنها كانت فى الزمن القديم أشهر البلاد بمناجم الفوسفات التى تصنع منها عيدان الثقاب ، ولولا الاستعمال لما كانت هذه المناسبة كافية لإطلاق هذا الاسم على مسماه عندنا ... لأن الكلمة غريبة عن لغتنا وهى إذا ردت إلى أصلها لم يكن لها معنى غير أنها شىء منسوب إلى جزيرة كما ينسب إليها الأحياء وغير الأحياء المنتمون إليها ، ولكن هذه المناسبة اليسيرة كافية لتكوين الأسماء أول الأمر ثم سيرورتها على الألسنة بغير بحث عن مناسبتها الأولى .

أما الصفات فلا بد من المطابقة بينها وبين الموصوفات فى كل كلمة وكل مناسبة ، ولا بد للغة الوافية من أن تستوفى أدواتها وتحسب لها حسابها ، وإلا كان النقص فى تكوين الصفة وتطبيق شروطها نقصا أصيلا فى وسائل الدلالة اللغوية .

وليس فى لغات الحضارة لغة تمت لها أدوات الصفة وشروطها كما تمت للغة العربية ، فهى جامعة لكل ما تفرق من هذه الشروط بين أكبر اللغات وأوسعها انتشاراً فى الزمن الحاضر ، وفى الأزمنة المتقدمة .

إن الصفة تابعة للموصوف فى اللغة العربية ، مطابقة له فى الإفراد والجمع ، وفى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير ، وفى مواقع الإعراب .

وقد يلاحظ بعض هذه المتابعات فى بعض

لغات الحضارة ، ولكنها لا تلاحظ جميعا بقواعدها المطردة فى غير اللغة العربية .

ففى الإنجليزية ، وهى لغة يتكلم بها اليوم أكثر من مائتى مليون إنسان ، تأتى الصفة سابقة لموصوفها ، فيقال مثلا : « واحد عظيم رجل » بدلا من رجل عظيم ، ويقال « عظيم رجال » بدلا من رجال عظماء ، ويقال « عظيم نساء » بدلا من نساء عظيمات ، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الإعراب بين موقع الفاعل أو موقع المفعول ومواقع الأسماء المجرورة .

واللغة العربية تعرف الفرق بين الصفة الملازمة والصفات المتعلقة بالأفعال والمرات.

فهناك فرق بين كلمة « كريم » وكلمة « معطاء » فى الصيغة وفى المادة وفى الدلالة ، لأن الكرم صفة تتحقق بالخلق الذى تدل عليه ، وبين الكريم وبين المعطى وبين المعطاء فروق فى طبيعة الصفة لا تتوقف على عدد المرات ولا على مقدار العطاء ، فمن أعطى مرة واحدة فهو معط أو فاعل لفعل من أفعال الكرم وإن لم يكن كريما على الدوام ، وكذلك المعطاء الذى يعطى مرات كثيرة ولا يلزم من ذلك أن يكون كريما أو أن يكون عطاؤه من عنده ، فربما كان المعطاء ، فى معنى من معانيه مرادفا للصراف على هذا الاعتبار .

ومن ثم وجدت فى اللغة العربية صيغة اسم الفاعل وصيغة الصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، وكلها أصل مقرر فى اختلاف اللفظ واختلاف الدلالة على حسب معناه .

وقد يأتى لفظ الصفة تابعا لمعناها فى علامات التذكير والتأنيث كما يأتى تابعا لهذا المعنى فى بعض الأوزان .

فالصفة يجب فيها التأنيث إذا كان الموصوف مؤنثا على الحقيقة أو على المجاز ، ولكنها تؤنث بمعناها ولا ضرورة لتأنيثها بلفظها إذا امتنع اللبس وبطلت الحاجة إلى العلامة اللفظية .

فلا حاجة إلى تاء التأنيث فى مثل (حامل ومرضع وطالق) لأن اللبس بين التذكير والتأنيث ممتنع فى هذه الصفات ، ولكن التاء قد تلحق بالصفة إذا كان ملحوظا فيها الفعل ولم يكن الملحوظ فيها هو الحالة كما جاء فى الشاهد المشهور .

أيا جارتا بينى فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأيا كان الحكم فى الخلاف بين الكوفيين والبصريين على سبب حذف التاء هنا ، فالذى لا خلاف عليه أن حذفها ملحوظ فيه حالة دائمة وليست حالة وقوع الفعل لمرة أو عدة مرات .

فالبصريون يقولون « إنما حذفت علامة

التأنيث لأن قولهم طالق وطامث وحائض وحامل فى معنى ذات طلاق وطمث وحيض وحمل على معنى النسب ، أى أنها قد عرفت بذلك كما يقال رجل رامح ونابل ... ولا خلاف هنا على التفرقة بين حالة الدوام وحالة الحدث المتكرر مرة أو مرات .

أما الأسماء التى يتساوى فيها المذكر والمؤنث فالغالب فيها أنها أسماء أخذت مأخذ الصفات المشتركة التى لا فارق فيها بين صدورها فى المذكر أو صدورها فى المؤنث ، كالضبع والفرس والعقاب والنعامة وما إليها من أسماء الحيوان المشتركة . فإن الضبع هنا أخذت صفة الجائحة التى تأتى على كل شىء كالسنة المجدبة .

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم الضبع

والفرس صفة من الفراسة والفرس أو التفرس كأنها اسم جنس يطلق على الذكور والإناث .

ولم يأت هذا الإبهام عن قصور اللغة فى التسمية ولا عن نقص فى علامات التأنيث والتذكير ، فإن التاء قد تدخل على الضبع كما تدخل على الفرس ، وقد يسمى ذكر بالضبعان ويسمى ذكر الخيل بالحصان وتسمى أنثاها بالحجر ، وقد عرف ذكر النعام باسم الظليم ، وعرفت أنثى النسر والعقاب باسم أم قشعم مع الالتباس بين العقبان والنسور .

فليس هناك إبهام راجع إلى قصور اللغة وقواعدها ، ولكنه تغليب للمعنى على اللفظ أحيانا حسب الصفة المقصودة بين السامع والمتكلم .

ومن استعمال المصدر فى موضع الصفة يتضح لنا أن اللغة قد بنيت على التفرقة بين المعانى فى التذكير والتأنيث وفى بعض الفروق الأخرى التى توافرت علاماتها ، ولا يمكن أن ينسب إغفالها إلى نقص فى تلك العلامات.

فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد فى مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثيرين . فإن « العدل » مثلا عدل واحد فى صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيس رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل لأن الأسماء هنا فى حكم المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى ، ولا تأبى اللغة مع ذلك أن تستخدم العلامات أحيانا على حسب العرف المشهور .

ولا تظهر دقة اللغة فى منطقها الخاص بها من شىء فى قواعدها ، كما تظهر فى مواضع التسوية بين التذكير والتأنيث فى بعض صيغ

المبالغة ، كما يتساوى رجل راوية وامرأة راوية ويتساوى رجل متلاف وامرأة متلاف ، ويتساوى رجل صبور وامرأة صبور ، فإن فى المبالغة نوعا من الكثرة والزيادة يلحقها بكثرة الجمع ، ويجرى عليها ما يجرى على « كل جمع مؤنث » من قبيل « قالت الرجال وقالت النساء » ، والعرب المستعربة والعرب المستعربين ... وهو التفات عجيب يدل على تناسق خفى وراء هذه القواعد يبعدها عن خلط المصادفة والارتجال .

ومثل هذا فى الوضوح ظهور الفارق بين الكلمات التى تؤنث فى اللغة العربية وهى خالية من علامات التأنيث وبين كلمات الجنس المشترك فى اللغات الأجنبية ، فإن هذه الكلمات تبلغ المئات فى اللغات الأجنبية لنقص فى التمييز يعوضونه بإضافة ضمير فى ضمائر التأنيث ، ولكنها لم تترك عندنا بغير علامة مميزة لأن اللغة عاجزة عن تمييزها بعلامة من علاماتها الكثيرة ، بل هى متروكة لاعتبارها أصلا من المؤنثات المجازية أو المذكرات المجازية ، فليس السبب هنا راجعاً إلى نقص العلاقات والصيغ أو إلى قواعد اللغة على العموم ، ولكنه راجع إلى التصور النفسانى الذى يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة التى تعمل عملها فى هذه التفرقة عند أبناء اللغات أجمعين .

وهذه مزية الصفة عندنا نضيفها إلى المزايا الأخرى التى تستحق بها اللغة العربية عندنا وعند غيرنا من المنصفين أن تسمى بأم اللغات .

عباس محمود العقاد

من حكم شوقى

اثنان من نعم الله عليك ، عدو تشغله كثيرا ، وصديق يشغلك كثيرا .

إن كنت عصا فكن لينا ، وإن كنت سيفا فكن قاطعا .

الإقدام والجد إذا اجتمعا لرجل لم يقف له شىء فى طريقه .

من وثق بالله مشى على الماء .

العلم أرفع النسب والعمل أرفع الحسب .

فى النفس ألف داء ، وفى القرآن ألف دواء له ودواء .

لا أدب فى أمة يقساب أدباؤها .

من حدث الناس عن نفسه بما يرضى تحدثوا عنه بما يكره .

القوى الشعبية
وكيف تعبأ نحو الاشتراكية العربية

للأستاذ الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

بحث فلسفى قيم عالج فيه الأستاذ الكاتب تعبئة القوى الشعبية لتحقيق الاشتراكية العربية والإيمان بها وذلك بتحليل مصادرها المعنوية المختلفة من التاريخ والدين والفكر والتعبير ، ودور الأزهر الجديد فى غرس هذا المفهوم الثورى الجديد فى أذهان الشعب عن طريقه الخاص ، وقد نشرنا فى هذا العدد هذا الجزء منه وسننشر بقيته فى العدد القادم .

— ١ —

ربما أرى من الأوفق فى تحديد هذه القوى أن أنتقل من مفهوم الاشتراكية العربية إلى بيان : ما هى القوى الشعبية ؟ أهى عدد من الأفراد فى قطاعاتها المختلفة ، أم هى بجانب العدد والكم قوى أخرى نوعية يحملها بعض الأفراد فى تلك القطاعات ، وللبعض الآخر منهم صلاحيته لحملها وأدائها .

الاشتراكية العربية :

وهنا أود أن أسأل سؤالا : هل العامل فى المصنع اشتراكى لأنه عامل ؟ — وعندئذ تكون الاشتراكية صفة للعامل تلازمه أينما وجد .

أم الاشتراكية صفة ومعنى آخر يقوم بذات العامل إن وجد هذا المعنى فيه ، ويقوم بذات غيره إن وجد فيه هذا المعنى كذلك ؟

الشيوعية تجعل العامل شيوعيا واشتراكيا لأنه عامل إذ أنها قامت على أساس تفكيرى معين . قامت على أساس : أن الطبقة العاملة — وهى طبقة عمال المصانع بالذات — هى التى يجب أن تؤول إليها السلطة فى المجتمع ، ويجب أن تباشر أمر السيادة فيه ، لأن ذلك هو نهاية الخط الذى تسير فيه أحداث التاريخ . فالمجتمع — كما يتحدث منطق الشيوعية — تغير وانتقل من وضع إلى نقيضه ، وما زال ينتقل من وضع إلى نقيضه ، وسيزال ينتقل من وضع معين إلى نقيضه ، حتى يصل إلى الوضع الذى يجعل من المجتمع مجتمعا عماليا .

فالمجتمع الملكى — وهو الذى يعتبر فيه المال فى صوره المختلفة ملكا للملك ، ومن عداه رعايا أشبه بعبيد له — انتقل من الوضع الملكى إلى الوضع الإقطاعى ، بعد أن تملك حكام الملك فى المجتمع السابق الأراضى وأجروها للمزارعين . وهذا المجتمع الإقطاعى بدوره انتقل من مجتمع إقطاعى إلى مجتمع رأسمالى استخدمت فيه الأموال فى المصانع ، بعد

أن هرب أصحاب الإقطاع من الأراضى الزراعية إلى المصانع ليوظفوا فيها أموالهم. وبتملك عمال المزارع الأراضى، وبانتقال أصحاب الإقطاع بأموالهم إلى المصانع قام المجتمع الرأسمالى، ثم هـذا المجتمع الرأسمالى انتقل بدوره بعد الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال وبين عمال المصانع إلى مجتمع عمالى من عمال المصانع أولا وبالذات.

وهنا يكون عمال المصانع - فى نظر الفكر الشيوعى - هم الاشتراكيون أو الشيوعيون: لكن هل الاشتراكية العربية هى هذه الصورة من الاشتراكية الشيوعية؟ لا: لأن الاشتراكية العربية تبقى على الملكية الفردية، بينما الملكية الفردية محرمة فى المجتمع الشيوعى أو المجتمع العمالى. الملكية الفردية سواء فى الأراضى، وسواء فى المصانع، وسواء فى التجارة باقية وتكون القطاع الخاص بجانب القطاع العام الذى تملك فيه الدولة بعض الأراضى وبعض المصانع وبعض المتاجر.

إذن نعود من جديد لنسأل عن مفهوم الاشتراكية العربية، وعن الماصدق الذى تتحقق فيه ... هل هى المبادلة؟ هل هى أداء واجب وأخذ حق؟. هل العامل فى المزرعة، والعامل فى المصنع، إذا أدى عملا وأخذ أجرا عليه يكون اشتراكيا عربيا؟ هل الموظف فى مكتبه إذا أدى عمله وأخذ الراتب عليه يكون اشتراكيا عربيا؟، هل الطبيب إذا قدم المشورة لمريضه وأخذ على ذلك الأجر المقرر يكون اشتراكيا عربيا؟. هل المدرس الذى يقوم بواجب التدريس فى مدرسته والأستاذ الذى يقوم بواجب أستاذيته فى جامعته حسبما يخطط له ويأخذ كل منهما الراتب المخصص له يكون اشتراكيا عربيا؟ هل التلميذ فى المدرسة والطالب فى الجامعة إذا واظب كل منهما على الحضور ونجح فى امتحاناته المدرسية أو الجامعية مقابل رعاية والده ومدرسته وجامعته إياه يكون اشتراكيا عربيا؟. هل الزوجة إذا قامت بالشئون الزوجية أو بدور الأمومة لقاء ما ينفق عليها من الزوج تكون اشتراكية عربية؟ وهل الزوج إذا قدم ما يجب عليه من إنفاق لقاء ما يأخذ من خدمات فى الأسرة يكون اشتراكيا عربيا؟.

إذا كانت الاشتراكية العربيـة هى إعطاء لقاء الأخذ، وخدمة مقابل الأجر فكل فرد من أفراد الشعب عندئذ اشتراكى عربى، وبالتالى هو فرد من أفراد القوى الشعبية.

لا أعتقد أن الاشتراكية العربية هى التحرك فى دائرة الأخذ والعطاء. وفى دائرة الأجر على قدر العمل، أو بالعكس: العمل على قدر الأجر. وإنمـا الاشتراكية العربية - فيما أعتقد - هى: أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد.

كيف إذن يكون الفرد للمجموع ، وكيف يكون المجموع للفرد ؟. لا يكون الفرد للمجموع ، ولا يكون المجموع للفرد إطلاقا إذا كان تحرك الفرد هو التحرك فى دائرة الإعطاء مقابل الأخذ ، والعمل على قدر الأجر . وإنما يجب أن يكون تحقيق ذلك بأن يكون هناك فضل زائد فى العمل من كل فرد عن مقدار التساوى بين الأخذ والإعطاء ، وبين الحق والواجب ، وبين الأجر والعمل . يجب أن يكون هناك فضل وراء ذلك ، وهو فضل غير مادى هو فضل إنسانى هو مجهود بشرى خالص فى الدرجة الأولى ، قد يترجم هذا المجهود البشرى فى خدمة مادية أو خدمة معنوية فى صورة محسوسة أو غير محسوسة .

فالعامل — بناء على ذلك — يكون اشتراكيا عربيا إذا أدى — بجانب ما يجب عليه من إنتاج فى عمله — خدمة زائدة على ذلك ، قد تكون فى إتقانه العمل ، وقد تكون فى مساعدته الضعيف فى العمل ، وقد تكون فى النصح والارشاد لمن لا خبرة له ، وقد تكون فى غير ذلك .

والطبيب يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى أيضا - فضلا زائداً عن المشورة الطبية التى أخذ عليها الأجر . قد يكون هذا الفضل فى إعطاء المشورة لفرد آخر عاجز عن الدفع دون أن يأخذ منه ، وقد يكون هذا الفضل فى إتقان أمر النصح والمشورة ذاتها ، فلا يعطيها إلا بعد دراسة ، وبعد عمق فى هذه الدراسة وبعد تريث ، حتى لا يترتب عليها أذى أو ضرر لمريضه ، قد يكون هذا الفضل فى الإرشاد والتنوير لمن هو فى حاجة إلى الإرشاد والتنوير الطبى ، قد يكون فى صورة أو صور غير هذه ، تكون نقابة الأطباء نقابة اشتراكية عربية إذا أعطت فضلا زائدا عن خدمات الأعضاء لقاء ما يجب عليهم أداؤه من اشتراكات : إذا أسهمت فى إقامة مستشفيات لأصحاب الحاجة مجانا ، إذا قدمت خدمات طبية بدون مقابل لسكان القرى ؛ إذا كونت حملات متعاقبة للتنوير الصحى فى قرى الريف ، وقد يكون هذا الفضل الزائد فى صور أخرى غير هذه ، ولكنها على كل حال صور تعبر عن معنى إنسانى لا يقابله جزاء مادى .

والمدرس يكون اشتراكيا عربيا أيضا إذا زاد فضلا عما يجب عليه أن يؤديه مقابل ما يأخذ من حق له ، قد يكون هذا الفضل فى مساعدة ضعيف على وجه خاص بين تلاميذه ، قد يكون هذا الفضل فى إتقانه العمل ، قد يكون هذا الفضل فى الإسهام مع آخرين من زملائه فى مباشرة أمر التدريس فى مدرسة لأبناء الشعب دون مقابل مادى ، حتى يكون من وراء ذلك تخفيف عن بعض تكاليف الحياة لمن هو صاحب حاجة من أبناء

الشعب. تكون نقابة المعلمين نقابة اشتراكية عربية إذا خرجت عن دائرة الخدمات التى توفرها للأعضاء مقابل اشتراكاتهم إلى خدمات أخرى تؤدى لأبناء الشعب كفتح بعض المدارس بدون مصروفات أو تخصيص بعض منح دراسية فى الدراسات العليا لبعض المتفوقين من الطلاب أصحاب الحاجة، أو نشر الوعى الثقافى، أو إزالة الأمية فى القرية يسهم فيه أعضاؤها عن طريق توفير الإمكانية لهم من الاشتراكات التى تدفع لصندوق النقابة.

والمهندس يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى من خبرته الفنية أزيد مما يؤجر عليه ويحدد له؛ إذا أعطى خدمات فنية تعود على بعض أفراد الشعب بدون مقابل، كما إذا أسهم مثلا فى تصميم أو فى إقامة بيوت سكان الريف، أو إذا توسع فى التبصير والإرشاد لصغار المزارعين عن طريق تكرار الزيارة لهم سواء فى مزارعهم أو فى بيوتهم، مما يشعر أنه لا يقف بخبرته الفنية عند حد الأجر وإنما يتجاوزه عما ينم عن معنى إنسانى لم يقابل بأى جزاء مادى.

ونقابة المهن الزراعية تكون نقابة اشتراكية عربية إذا توسعت فى خدماتها الفنية عما يعود على الأعضاء المشتركين فيها بالمنفعة الشخصية، تكون اشتراكية عربية إذا أقامت حقولا نموذجية للزراعة فى أماكن متعددة أو أقامت بيوتا ريفية نموذجية فى قرى مختلفة أو أقامت معارض للإنتاج الحيوانى فى قطاعاته المختلفة أو غير ذلك مما يفهم منه أن النقابة لم تقصر خدماتها على أعضائها وإنما تجاوزت حدود هؤلاء الأعضاء إلى أفراد الشعب أنفسهم الذين ليسوا ممثلين فى هذه النقابة.

والموظف يكون اشتراكيا عربيا إذا قدم فضلا هو خدمة إنسانية أزيد مما يدعوه واجبه الرسمى: إذا أسرع مثلا فى إنجاز حاجة أصحاب الحاجة، إذا وفر للمترددين على المصالح الحكومية وقتهم وأعفاهم من مشقة هذا التردد عليها؛ إذا استقام فيما يبديه من رأى ... إلى غير ذلك من صور الخدمات الإنسانية التى لا يحاسبه عليها واجبه الرسمى، وإنما تحاسبه عليها إنسانيته.

إذن الاشتراكية العربية هى أمران: عدل وتوازن بين الأخذ والإعطاء فى علاقة الفرد للفرد، وفضل وراء هذا العدل يعود أثره على المجتمع بدون مقابل، وهنا يتحقق معنى أن الفرد للمجموع لأن نشاطه لم يقف عند حد ما يأخذه من الفرد الآخر، ويكون المجموع للفرد لأن جميع الأفراد كانوا اشتراكيين على هذا النحو فى خدماتهم الزائدة على واجباتهم فى خدمة الفرد.

(البقية فى العدد القادم)

دكتور محمد البهى

التكافل في الإسلام

للأستاذ محمد المدني

لقد فرض الإسلام التكافل بين الناس على صورة واسعة النطاق تتناول جميع نواحي الحياة أدبية كانت أو مادية ، وقبل أن نبين ما قرره الإسلام فى هذه النواحى ونتتبعه فرعا فرعا ، نحب أن نلفت إلى ظاهرة فى أسلوب الإسلام الذى سار عليه فى شأنها : ذلك أنه لم يفرض التكافل بمجرد الأمر به والنهى عما يخالفه ولكنه أقام المجتمع على أسس أصلية هى بذاتها تنتج التكافل وتنضج ثمراته وتجعلها دانية القطوف .

فأول هذه الأسس مايقرره القرآن الكريم فى غير موضع من أن المؤمنين أخوة ومن ذلك قوله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) ، (فأصبحتم بنعمته إخوانا) وأسلوب القرآن فى إثبات هذه الأخوة هو أسلوب من يقرر حقيقة واقعة ثابتة لا تقبل التغير ، فكل امرئ يعلم أنه أخ للمؤمنين وأنهم جميعا أخوانه فيقول لنفسه : مادامت هذه هى حقيقة الصلة بينى وبينهم فلابد من أن ألاحظها دائما فى كل تصرف من تصرفاتى .

وأن أنزل على مقتضياتها فى كل حال من أحوالى ، وقد قطع الإسلام كل صلة تتعارض مع أخوة الإيمان فنهى عن اتخاذ الآباء والإخوان من النسب أولياء - أى نصراء وحلفاء - إن استحبوا الكفر على الإيمان ، وتوعد الذين يؤثرون أى علاقة نسبية أو منفعة مادية على الله ورسوله والجهاد فى سبيله بالوعيد الشديد ، والآيات فى ذلك مشهورة معروفة ومنها قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه الآية الكريمة الحاسمة فى معناها البعيدة المدى فيما تقرره فهى تنفى أن يوجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم مع ذلك يبادلون المودة من خرج عن حدود الله ورسوله ، وهى تنفى أن يوجد هذا النوع حتى بين المتصلين بالصلات النسبية أو القومية من الأبوة أو البنوة أو العشيرة .

وبعد أن تنفى هذا بهذا الأسلوب الحاسم تلتفت إلى تقرير حالة المؤمنين الذين يسيرون

على مقتضاه فيقطعون جميع الصلات إلا صلة الإيمان فتصفهم بأوصاف أو تقرر فى شأنهم قرارات واضحة تقع فى سبع جمل فى هذه الآية الواحدة :

« أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

بهذا يتبين إلى أى مدى وصل الإسلام فى تقرير صلة الأخوة بين المؤمنين ، ونفى كل ما ينافيها وهذا هو المنبع الأول الذى ينبع عنه التكافؤ فى الإسلام .

المنبع الثانى هو مايقرره القرآن الكريم فى شأن الولاية والتناصر بين المؤمنين : فهو يقرر أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما يقرر أن المنافقين والمنافقات بعضهم أولياء بعض وينهى عن اتخاذ الكفار أولياء . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) والأمر فى ذلك كله منطق تحكم به العقول السليمة ، فما كان المنافق المذبذب المتأرجح بين الحق والباطل بصالح لأن يكون ولياً ونصيراً وحليفاً للمؤمن الثابت الإيمان الذى يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما ، إن كلا من المنافق والمؤمن لا يمكن أن يتلاقى مع صاحبه لا فى عقيدته وقرارة نفسه ولا فى أهدافه ومثله ولا فى أساليبه وطرق حياته فكيف يمكن أن تقوم بينهما محالفة أو مناصرة ، وإذا فالمؤمنون هم أحق الناس بولاية المؤمنين ، ولذلك مقتضياته من التعاون والتكافل فى الشدة والرخاء كما هو شأن الحلفاء والنصراء .

فهذا هو المنبع الثانى الذى ينبع منه التكافؤ فى الإسلام .

والمنبع الثالث هو التكافؤ فى الدماء فليس هناك مؤمن إلا ودماؤه غالية عزيزة كريمة وحياته من أجل ذلك مصونة محترمة ، فكلهم سواسية فى ذلك ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

المنبع الرابع هو ما أمر الله به من المحبة بين المؤمنين ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه « أحب للناس ما تحب لنفسك » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

هذه هى الأسس أو الينابيع التى ينبثق منها التكافل بين الناس ، وهى دوافع طبيعية يسوقها الإيمان فى جميع المجالات الحيوية التى نرى فيها التكافل واضحا بين المؤمنين .

* * *

بعد هذا نجول مع التكافل فى مجالاته المختلفة التى أجاله الإسلام فيها :

١ — فنجد التكافل فى المجالات المادية واضحا فى الزكاة التى أمر بها الإسلام ، لا الأغنياء فقط ، ولكن جميع طبقات الأمة تقريبا ، وذلك أنه جعل لها نصابا هو نحو عشرة جنيهات يحول عليها الحول فيجب فيها ربع العشر ومن ثم نجدها فريضة يقدر عليها العدد الضخم فى كل مجتمع ، بل الأكثرية أو ما يقرب من الأكثرية فى الأمة ، وفائدة ذلك أن يعم الناس شعور واحد فى التضامن والتكافل وبأنهم فى أكثر الحالات معطون باذلون لإخوانهم مما آتاهم الله ، ولهذا الشعور لذة وعزة .

ونسبة الزكاة قليلة تسخو بها النفوس ، ولا يكاد الشح يتسلط فى شأنها على أحد يؤمن بالله ورسوله ، ثم هى عامل من عوامل الألفة والمحبة بين الناس حيث يشعر الذين يأخذونها بالمحبة والارتياح والعاطفة المشتركة

ونظرة سريعة إلى العلائق الطيبة التى تنشئها زكاة الفطر مثلا ، وهى التى تخرج فى ليلة العيد عن كل نفس كبيرة أو صغيرة وإن لم تكن من الغنى بمنزلة ملك النصاب ، نظرة سريعة إلى هذا اللون من التكافل الاجتماعى تعطينا فكرة عن المدى الذى يصل به الإسلام إلى تحقيق مبدأ التكافل والتضامن فى المجتمع .

وقل مثل ذلك فيما يذبح من الأضاحى يوم عيد الأضحى ، فالكثرة من الناس تذبح وتنحر ، وتأكل وتؤكل ، ويبدو الناس يومئذ فقراؤهم وأغنياؤهم كأنهم مدعوون إلى مأدبة عامة شاملة أنزلها الله من السماء .

ونجد الإسلام يحقق التكافل فى صورة أخرى جميلة هى صورة إكرام الضيف وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

ولا شك أن هذا لون من ألوان التكافل كريم فى مظهره ومقصده وقلما يعرف الأوربيون هذا اللون من الكرم فليس لهم حساب فى الضيافة ولا الضيفان وليس فى تقاليدهم أن ينزل إنسان على إنسان فيشاركه فى طعامه وشرابه ويكون بذلك راضيا مسرورا معتقدا أنه أرضى ربه وأرضى الشهامة والنخوة وما أبدع ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الضيف (جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام بعد ذلك ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه) وتفسير ذلك فيما ذكره العلماء أن الضيف له يوم وليلة يكرم فيها إكراما فوق العادة التى اعتادها أهل البيت وله بعد ذلك ثلاثة أيام يطعم فيها من طعامهم المعتاد ولا يحل له بعد ذلك أن يقيم فى هذا البيت الذى استضافه أهله حتى يحرجهم ، وحد الإحراج فى كل بيت بحسب طاقة هذا البيت ومركزهم وظروف حياتهم ، أى أن الضيف عليه أن

يقابل ماله من حق بواجب التخفيف حتى لا يؤدى أمره إلى الإحراج .

ما أبدع هذا التكافل فى المعانى المادية والأدبية ، والقرآن الكريم ينعى على (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) والماعون : هو ما يتبادله الناس بعضهم من بعض من الأوانى والمنافع وقد جرت المجتمعات المتكافلة المتضامنة على تبادل مثل ذلك .

٢ — ونجد التكافل فى المجالات الأدبية فى صورة ما يسميه الإسلام فروض الكفاية التى يجب على المجتمع أن يهيئها ، ولو أنه أهملها لكان كل أفراده مشتركين فى الإثم .

فمن ذلك أنه إن وجد وباء وجب أن يتعاون القادرون على درء هذا الوباء، فيقوم منهم من يطعم الناس ضد هذا الوباء ولو تطوعا ، ومن ذلك أنه يجب على المجتمع تجهيز الميت إذا لم يكن له من يجهزه وتغسيله والصلاة عليه ودفنه .

ومن ذلك كل مايوجبه الإسلام من الأعمال النافعة للناس من إماطة الأذى وإصلاح الطرقات وإنارتها وعلاج الفقراء ونحو ذلك .

وقد أصبحت كل هذه الفروض الكفائية تقوم بها الحكومات والهيئات البلدية ونحوها وفى ذلك تحقيق للفروض الكفائية على الوجه الذى يبتغيه الإسلام .

٣ — ونجد التكافل فى مجال التعاون على الإصلاح ودرء الفساد وذلك هو ما يسميه الإسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شأنه أن يحقق نوعا عظيما من التكافل بين أفراد الأمة، وأن يكون مجتمعات واعية، فيها ما يعرف الآن بالرأى العام المهيب الوجه الذى يؤيد الحق ويشد أزره ويحارب الفساد ويقلم أظافره ، ولأن المجتمع إذا استقام أمره على الخير والصلاح وطهرت أرجاؤه من الشر والفساد عم النفع فى ذلك جميع الأفراد وأصبحوا محاطين بسياج يدرأ عنهم التفكيك والانحلال المفضيين إلى الفناء والزوال وما أبدع ما يصور به صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حيث يقول (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم — أى منعوهم من خرق السفينة — نجوا ونجوا جميعا .

أما بعد فهذه مثل من التكافل فى مجالاته المتنوعة التى أجاله فيها الإسلام ولم نرد الاستقصاء. ولكن أردنا التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

كراهية الحق
نزعة جاهلية ونقيصة خلقية

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ « يجادلونك فى الحق بعدما تبين .
ب ـ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

١ ــ بين الناس تفاوت فى الأفهام ـ ولا شك ـ وصدى هذا التفاوت يبدو فيما يثور من جدل بينهم حول مفهوم علمى ، أو فى تقدير أمر تشوبه الاحتمالات ، ويحتاج إلى تمحيص من الشبهات .

لذلك : لم يكن غريبا فى حكم العقل قديما ولا حديثا أن نعتبر الجدل فى الرأى ظاهرة اجتماعية لا مندوحة عنها فى معترك الحياة : لأنها الوسيلة إلى التخلص من البداوة المحدودة الأفق ، وإلى تجلية الشبهات عن صواب ينشده العقل ، وتستريح إليه النفس الطامحة إلى المعرفة فى وضعها الحق .

وفوق ذلك يعتبر النقاش والتمحيص استجابة للقرآن فى كثير من توجيهاته ، ومسايرة للدعوة الإسلامية فى منهجها التربوى .

فإن الإسلام بصفة عامة يقتضينا النشاط العقلى فى غير تراخ ، ويثيرنا إلى التفكير بتقليب النظر فى نصوصه ، ومفاهيمه ، وفى الكائنات المادية لنصل دائما إلى الحق من الطريق المنطقى الحق .

ويأبى علينا التقليد الوراثى ، والاستسلام للتلقى المطلق ، حتى لا نتعثر فى ضلالات الرأى الخاطىء ، أو نتورط فى المتابعة الذليلة .

٢ ــ وإن تكن للقرآن فى حضه على النظر ، وإذنه فى الحجاج غاية ثقافية أصيلة ، فأنه لا يتركنا نسترسل فى الجدل ، ونتمادى فى طريقه : لئلا يأخذنا حب الغلب ، حتى نتجاوز الحق ، زاعمين أنا نبحث عن الحق ، فنكون كما قال الشاعر المتنبى :

إذا استشفيت من داء بداء
فأقتل ما أعلك ما شفاكا

والوقوف فى الجدل عند الحق ، والكف عن تجاوزه إلى المراء المحظور هو ما وضح قصده فى آية الموضوع .

٣ — فهى آية ناقدة لقوم من الناس كانوا يجادلون الرسول جدلا ملحا فى شأن بيّن ، وضح الحق فيه ، حتى لم يعد للشك غبار عليه .

بل كانو يعلمونه حقا ، ولا يزعمونه خافيا عليهم ، ولكنهم يتمحلون المعذرة للإفلات من لزومه ، والمفروض أن الحق بعد ظهوره يكون الخضوع له لزاما ، والأخذ به دينا ، والانتصار له مبدأ ، وخلقا محمودا ...

وإن لم يكن للحق هذا المقام عندنا فأى فرق بيننا وبين المبطلين ؟ ؟ .

أولئك قوم بلغ بهم التريث فى قبول الحق أن صاروا فى اعتبار القرآن كمن يساق إلى الموت كرها ، وهو يراه شاخصا أمام عينيه، أو يرى وسائله الحتمية .

وانظر إلى هذا التشبيه وما فيه من قوة التصوير لنفسية الكارهين للحق ! ! أرأيت مشهدا يكون أبغض إلى الإنسان من مظهر الموت ينتظره وهو مسوق إليه فى غير ترفق به ؟ .

نسمع أن المحكوم بإعدامه يساق من غرفة سجنه إلى غرفة الموت فى هوادة ، حتى إنهم يحجبون بصره ، عما يتعرض له قبل التنفيذ ، ويقصون عليه ما ارتكبه من جريمة كانت سببا فى الاقتصاص منه ، ثم يسألونه عما تشتهى نفسه ... وكل ذلك تلطف به من بشاعة الموقف ، مع تسببه فى هذا بما اقترف ، فهذا هو وجه الشبه فيمن تتحدث عنهم الآية ، وعن كراهيتهم للحق وإحجامهم عن المبادرة إليه .

وبقدر ما يكون تمنعهم عن الحق تكون كراهية الله لهم . . فإن الله حق ، ومتصف بالحق ، وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما شرع لعباده إلا حقا وما كلفهم ، ولا وعدهم وعدا إلا حقا .

فتجافيهم للحق فى شأن ما من شئونهم ، يكون محادة لله ، ونفرة عما وصف به نفسه، وارتضاه فى هيمنته على خلقه وتدبيره لملكه .

٤ — فمن هم يا ترى أولئك القوم الذين أشخصتهم الآية فى هذا الموقف العنيف المزعج .

الأقرب إلى الذهن أنهم الكافرون بالأنبياء وهم يتمثلون فى الكفار بمحمد عليه الصلاة والسلام ـ من قريش وسواهم

فهم على جلالتهم ذوو جدل كثير ، وما كان جدلهم عن رغبة فى معرفة جديدة . . ولا وسيلة إلى اقتناع بحق ، ولا إظهارا لعلم عندهم يخرجونه للناس ! !

وإنما كان مراءا فاسدا ، ودفاعا عن باطل غيرهم من كل جانب ، وتشبثا بتقليد أعمى لقوم سبقوهم إلى التورط فى ضلالات ، وظلمات بعضها فوق بعض .

وربما كان لأوائلهم فى الجاهلية عذر يلتمس لهم ، فهم فى فترة من الرسل من عهد إسماعيل عليه السلام .

وغيرهم من أهل الكتاب كان مأخوذا بشىء من العصبية لدياناتهم السابقة .

ولكن ما عذر العرب يومذاك وقد جاءهم رسول منهم ، يتلو عليهم آيات الله بلسانهم ، ويترفق فى دعوتهم ، ويسلك بهم كل سبيل راشدة .

فليس كثيراً عليهم إزاء هذا أن ترميهم الآية بما يجرحهم ، وأن تكشف ما هم عليه من إفك ، ومراء .

غير أن سياق الآية التى معنا ليس حديثا عن الكافرين .

وإنما هى فى معرض الكلام عن المؤمنين بل هم فى طليعة المجاهدين مع الرسول فى غزوة بدر الكبرى .

أراد الرسول وصحبه أن يعترضوا قافلة لقريش عائدة من الشام بتجارتها إلى المدينة ، وكان مقصدهم الأول أن يظفروا بالتجارة : لا أن يشتبكوا فى حرب .

وقد وعد الله رسوله أن يتيح له إحدى الفرصتين من غير تعيين ـ التجارة أو هزيمة العدو ، ولكن عير التجارة أفلتت مع حراسها الأربعين . ثم تجمعت قريش لاستقبال المسلمين فى حرب تشفى بها من الجمع الإسلامى الصغير .

وصار مفهوما أن وعد الله أصبح محصورا فى مجاهدة العدو : على غير ما كانوا يقدرون .

وعندئذ اضطرب الأمر فيهم ، وخاف كثير منهم الإقدام على معركة لم يستعدوا لها اليوم ، فليرجئوها إلى موعد بعد .

ولبث الرأى فيهم حول هذا بين مد وجزر . . حتى كانت الرغبة فى التأجيل أشبه بالإعراض عن الجهاد ، وكانوا فى تشبثهم بهذا أشبه بمن يساق إلى الموت وهو باد له ، وشاخص أمام عينيه .

وما كان لهم أن يتخوفوا ، ويرغبوا فى التأجيل ، والنصر مكفول لهم مع القلة فيهم بمقتضى وعد الله سبحانه .

وكيف يكون الحق فى وعد الله واضحا لقوم يؤمنون ، ويكون محصورا فى منازلة العدو ثم يجادلون فى ذلك ؟ ؟

كيف يتهيبون الحرب وخاصة بعد أن تشبعوا بالدين الحق ، وغدوا لا يضنون بأرواحهم فى سبيله ، وقد كانوا من قبل يتهافتون على الحرب فى سبيل الباطل ، والعصبية الجامحة ؟ ؟

لا شك أن الإحجام بعد أن خرجوا من المدينة يعتبر نكوصا عن التضحية . . وترددا فى جهاد عدو بغى عليهم ، وطردهم من مكة ، ويعتبر تخاذلا عن البيعة التى عقدوها مع الرسول - غير مرة - ويطمع فيهم ذلك العدو من جديد ، بعد أن يئس منهم منذ هجروا مكة إلى المدينة وأصبحت لهم معقلا حصينا ، ورداءً مأموناً .

تغلب فيهم الرأى الحق ، وانقطع الجدل ، ونشبت الحرب ، وصدق الله وعده ، فنصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

٥ — هذه غزوة بدر التى كانت على غير أهبة كافية ولكن الله أراد أن تكون الركيزة الأولى للراية الإسلامية ، وأن يكون صداها مدويا فى آفاق الجزيرة العربية ، وأن يمتد ذلك الصدى إلى الأمم والأقطار الأخرى فيروع قلوب الصناديد من أبطال العرب ، ويهز عروش الحكم فى دولات عريقة ، ويتوجسون الخوف من ناحية هذا الدين الجديد : لم يكن تردد المسلمين نكوصا عن الدين ولا كان جدلهم من قبيل المراء فى مناصرة نبيهم الذى دعاهم إلى حق ، وآمنوا به فى صدق ، وتابعوه فى غير مداهنة ، وأشربوا حب دينه فى غير هوادة ، وإنما هو الرأى الصريح الذى تعودوه ، رجح لديهم أو لدى كثير منهم أن يرجئوا الحرب حتى يستعدوا لها ، ولا يعجلوا بها اليوم لئلا يظفر العدو بهم فيها ، خوفا على جماعتهم القليلة وحفاظا على دعوتهم الناشئة ، وإبقاء على نهضتهم الفتية.

ولكن القرآن يناشد المسلمين يومذاك أن لا يستجيبوا لخلجات أنفسهم ، وألا يحسبوا لهذه الاعتبارات حسابا ، وهم على يقين من وعد الله ، وأن خير البر عاجله .

وهو يعلمهم أن حكمة الله فى هذه الحرب أنها معركة البداية فى الجهاد المسلح ، وأنها وسيلة أولى فى قمع الكثرة الباغية اليوم ، ووسيلة تمهيدية لاستئصال شأفتهم من مكة بعد ...

«وتودون أن غير ذات الشركة تكون لكم» أى تريدون عروض التجارة من القافلة ، وليس فى إحرازها كبير نفع لكم .

« ويريد الله أن يحق الحق بكلماته » يريد الله لكم أن يحقق وعده فى خصوص الحرب ليهزمهم اليوم ، ويذلهم غدا بإخراجهم من مكة ويقطع دابرهم منها ، وهم جبابرتها ، وسادتها وهذا كله لغاية عظمى وهى تركيز الإسلام فى الأرض ، وجعله دينا خالداً وإن كان آخر الأديان « ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون » ولقد حقت كلمات الله وعمرت الدنيا بكتابه ، ودينه ، وهو الذى نزل الذكر ، وهو الذى يحفظه إلى يوم لقائه .

٦ — وأنت ترى بعد ذلك الإجمال ، وفى سياق ما سلف : أن الله عتب على المسلمين جدالهم فى الحق الواضح مع رسوله واعتبرهم كمن يساق إلى الموت وهو ناظرة .

ولكن عتاب فى أسلوب تهذيبى ، وتوجيهى ، فهو يجتث من أنفسهم حب المراء ويحملهم على التخلق باحترام الحق مهما يكن فى سبيله من تضحيات .

ولم يكن عتابه سبحانه فى أسلوب التهديد بالعذاب ، وإعلان سخطه ، كما ترى مثل ذلك فى حديثه على الكافرين والمنافقين !! .

فرق : بين جاحدين يسلكون فى الجدل مسلك إبليس ، ويأبون متابعة الحق ، ويمارون فيه على غير هدى ، ويتعصبون للباطل فى شتى ألوانه ، وليس لديهم برهان . . وبين مؤمنين توافرت فيهم الثقة بالله ، وأخذ الإيمان من قلوبهم مأخذه ، واستقرت فى جوانحهم عقيدة راسخة ، وإنما يجادلون فيما يظنونه أجدى عليهم ، وأسلم لهم ، ثم يتعهدهم الله فيعتب عليهم عتبا فيه شدة ، ولكنه حق ، وفيه شائبة الغضب ، ولكنه غضب الرحيم ليقلعوا عن تلك الآفة : آفة اللجاج — فقسا ليزدجروا . . .

وللقرآن كثير من التوجيهات فى هذا الجانب ، ينبهنا إلى أن اللجاج ظاهرة العنت من أهل الشرك وهو نقيصة فى الخلق ، وممزق للقلوب ، ومشتت للجماعة .

وكم يحكى القرآن لنا عن جدل قريش ، وعن مراء أهل الكتاب ، وعن سخط الله على الممترين ، ولعلنا ندرك كثيراً مما يقع بيننا أن هذا النوع من الجدل الجاف الذى يثار فينا ، ولا يكون فى رفق ، ولا يقف عند صواب أنه فى عرفنا خلق مسخوط ، ورذيلة مستهجنة .

ومن أجل هذا كان تنفير النبى من الجدل حتى ما يكون منه صوابا .

ومن حديثه فى ذلك « أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان حقا » صلوات الله عليه وسلامه ووهبنا حب الحق ، وعصمنا من المراء وآثاره .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

إقرأ تعليقا على هذا المقال فى « بريد المجلة » من هذا العدد .

عبد الله بن عبّاس: إمام المفسّرين

للأستاذ محمد حسين الذهبي

ترجمته :

هو عبد الله [١] بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . ولد والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأتى به النبي عليه الصلاة والسلام فحنكه بريقه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام في صغره ؛ لقرابته منه ، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم مافاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح ، وله من العمر سبعون سنة . مات بالطائف ودفن بها ، وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية ، وقال بعد أن سوى عليه التراب : مات والله اليوم حبر هذه الأمة .

مبلغه من العلم :

كان ابن عباس يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه ، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير ، وكان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه . وكان يقول له : إنك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم خلقا ، وأفقههم في كتاب الله . وقال في شأنه : ذاكم فتى الكهول ؛ إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا . وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: لا أتكلم حتى يتكلموا . وكان عمر رضي الله عنه يعتد برأى ابن عباس مع حداثة سنه ؛ يدلنا على ذلك ما رواه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال: « إن عمر كان إذا جاءته الأقضية

---

(١) من كتاب له تحت الطبع عنوانه ــ التفسير والمفسرون ــ .

المعضلة قال لابن عباس : إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل ، فأنت لها ولأمثالها ، فكان يأخذ بقوله ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه » . قال عبيد الله : وعمر هو عمر فى حذقه واجتهاده لله وللمسلمين ، وما رواه البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه وقال : لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناءً مثله ؟ فقال عمر إنه من أعلمكم فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم ، فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ... » ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا ، فقال : أكذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك . « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » ، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول » اهـ . وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره . وقال فيه ابن مسعود رضى الله عنه « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » . وقال فيه عطاء « ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس . أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع » . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه : وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ، وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه فى رأى منه ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما » . وقيل لطاوس لزمت هذا الغلام — يعنى ابن عباس — وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تداروا فى أمر صاروا إلى قول ابن عباس » . وروى الأعمش عن أبى وائل قال : « استخلف على عبد الله ابن عباس على الموسم فقرأ فى خطبته سورة البقرة — وفى رواية سورة النور — ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا » ، وكان على ابن أبى طالب يثنى على تفسير ابن عباس

ويقول : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » .

وبالجملة ، فقد كانت حياة ابن عباس حياة علمية ، يتعلم ويعلم ، ولم يشتغل بالإمارة إلا قليلا لما استعمله على على البصرة ، والحق أن ابن عباس قد ظهر فيه النبوغ العربى بأكمل معانيه ، علما ، وفصاحة ، وسعة اطلاع فى نواح علمية مختلفة . لا سيما فهمه لكتاب الله تعالى . وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضى الله عنه : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) (١) .

أسباب نبوغه : ونستطيع أن نرجع هذه الشهرة العلمية ، وهذا النبوغ الواسع الفياض ، إلى أسباب نجملها فيما يلى :

أولا : دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بقوله : اللهم علمه الكتاب والحكمة ، وفى رواية أخرى « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » ، والذى يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور ، يرى أثر هذه الدعوة النبوية يتجلى واضحاً فيما صح عن ابن عباس رضى الله عنه .

ثانياً : نشأته فى بيت النبوة ، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز فكان يسمع منه الشىء الكثير ، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التى نزلت فيها بعض آيات القرآن .

ثالثاً : ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، يأخذ عنهم ويروى لهم ، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن ، وتواريخ التشريع وأسباب النزول ، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال : (وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار ، فإن كنت لآتى الرجل فأجده نائما ، لو شئت أن يوقظ لى لأوقظ ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ وأسأله عما أريد . ثم انصرف) .

رابعاً : حفظه للغة العربية ، ومعرفته لغريبها ، وآدابها ، وخصائصها ، وأساليبها ؛ وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذى يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربى .

خامساً : بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تحرجه منه ، وشجاعته فى بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد ، ما دام يثق بأن الحق فى جانبه ، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن ، ولكن لم ترق إليه همة نقده ، بل ما لبث أن رجع إلى قوله ، واعترف بمبلغ علمه ، فقد روى أن رجلا أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا

(١) انظر أسد الغابة ج ٣ ص ١٩٢ — ١٩٥ .

أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، (١) فقال : اذهب إلى ابن عباس ثم تعال أخبرنى ، فذهب فسأله فقال : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال : قد كنت أقول : ما تعجبنى جرأة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتى علما .

هذه هى أهم الأسباب التى ترجع إليها شهرة ابن عباس فى التفسير يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة ، منبع الهداية ، ومصدر النور ، وما وهبه الله من قريحة وقادة ،وعقل راجح ، ورأى صائب ، وإيمان راسخ ، ودين متين .

قيمة ابن عباس فى تفسير القرآن :

تتبين قيمة ابن عباس فى التفسير ، من قول تلميذه مجاهد : (إنه إذا فسر الشىء رأيت عليه النور) ، ومن قول على رضى الله عنه يثنى عليه فى تفسيره) كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) ، ومن قول ابن عمر : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) ، ومن رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه فى فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله فكثيراً ما توجه إليه معاصروه ليزيل شكوكهم ، ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله تعالى ، فى قصة موسى مع شعيب أشكل على بعض أهل العلم ، أى الأجلين قضى موسى ؟ هل كان ثمان سنين ؟ أو أنه أتم عشراً ؟ ولما لم يقف على رأى يمم شطر ابن عباس ، الذى هو بحق ترجمان القرآن ، ليسأله عما أشكل عليه ، وفى هذا يروى الطبرى فى تفسيره ، عن سعيد بن جبير قال : (قال يهودى بالكوفة ـ وأنا أتجهز للحج ـ إنى أراك رجلا تتتبع العلم ، فأخبرنى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب ـ يعنى ابن عباس ـ فسائله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ؛ إن النبى إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته فقال : صدق وما أنزل على موسى ، هذا والله العالم) . ا هـ (١) .

وهذا عمر رضى الله عنه يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله ، فلما لم يجد عندهم جواباً مرضياً ، رجع إلى ابن عباس فسأله عنها ، وكان يثق بتفسيره ، وفى هذا يروى الطبرى (أن عمر سأل الناس عن هذه الآية يعنى « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

(١) تفسير ابن جرير جـ ٢٠ ص ٤٣ .

وأعناب ... الآية (١) » . فما وجد أحدا يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين إنى أجد فى نفسى منها شيئا ، فتلفت إليه فقال تحول ههنا ، لم تحقر نفسك؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان إليه » اهـ (٢) .

وسؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » وجوابه بالجواب المشهور عنه ، يدل على أن ابن عباس كان يستخرج خفى المعانى التى يشير إليها القرآن ، ولا يدركها إلا من نفحه الله بنفحة من روحه . وكثيراً ما ظهر ابن عباس فى المسائل المعقدة فى التفسير بمظهر الرجل الملهم الذى ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، كما وصفه على رضى الله عنه ، الأمر الذى جعل الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون بتفسيره ولقد وجد هذا التقدير صداه فى عصر التابعين فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس . استقرت هذه المدرسة بمكة ، ثم غذت بعلمها الأمصار المختلفة ، وما زال تفسير ابن عباس يلقى من المسلمين إعجابا وتقديراً ، إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر ، وقد صرح الزركشى بأن قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم فى التفسير (١) .

رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون فى فهم معانى القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة فى ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التى نزل فيها القرآن ، وكان رضى الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل فى كثير من المواضع التى أجملت فى القرآن وفصلت فى التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان فى دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

---

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .
(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٤٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٣ .

اتهامات مردودة :

نجد فى كتاب (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) اتهام مؤلفه (جولد زيهر) لابن عباس بتوسعه فى الأخذ عن أهل الكتاب ، مخالفا ما ورد من النهى عن ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)

ونرى أن نذكر عبارة المؤلف بنصها ، ليتضح مبلغ اتهامه لابن عباس ، ثم نرد عليه بعد ذلك . قال : (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن ، كان - أى ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى ، الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظرا ، فإذا كان يوم ختمها ، حشد لذلك ناس ، وكان يقول : كان يقال تنزل عند ختمها الرحمة . وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب فى الاستفادة من التوراة .

ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس ، نجد أيضا كعب الأحبار اليهودى ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم ، ممن حذر الناس منهم ، كما أن ابن عباس نفسه فى أقواله حذر من الرجوع إليهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم ، ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس ، والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر ، مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعبا عن التفسير الصحيح لأم القرآن وللمرجان مثلا ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم - على العموم - فى القرآن وفى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعانى الدينية ، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد - من كل جهة - من سؤالهم) اهـ (١)

هذه هى عبارة الأستاذ جولد زيهر فى كتابه ، ومنها يتضح لنا مبلغ تجنيه على الصحابة وعلى ابن عباس على الأخص .

وقد تابعه الأستاذ احمد أمين على هذا الرأى ، حيث يقول فى فجر الإسلام : (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود فى الإسلام ، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ،

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٥ — ٦٧ .

ودخلت فى تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم) اهـ (١) .

فالأستاذ جولدزيهر ، والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة – وبخاصة ابن عباس – لم يأبهوا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير فى التفسير ، وأن اللون اليهودى قد صبغ مدارس التفسير القديمة ، وبالأخص مدرسة ابن عباس ، بسبب اتصالهم بمن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب .

رد هذا الاتهام :

والحق أن هذا غلو فى الرأى ، وبعد عن الصواب ، فابن عباس – كما قلت آنفا – وغيره من الصحابة ، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شىء يمس العقيدة ، أو يتصل بأصول الدين أو فروعه ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك ، بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدقوه ، وما خالف ذلك نبذوه ، وما سكت عنه القرآن واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه . وبهذا المسلك يكون الصحابة – رضوان الله عليهم – قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) وقوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار ، لما فيها من العظة والاعتبار ، بدليل قوله بعد ذلك : « فإن فيهم أعاجيب » . والثانى محمول على ما إذا كان المخبر به من قبلهم محتملا ، ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ، لأنه ربما كان صدقا فى نفس الأمر فيكون فى التكذيب به حرج ، وربما كان كذبا فى نفس الأمر فيكون فى التصديق به حرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، كما أفاده ابن حجر ونبه عليه الشافعى رضى الله عنه (١)

ثم كيف يستبيح ابن عباس رضى الله عنه لنفسه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا

---

(١) فجر الإسلام ص ٢٤٨ .

(١) فتح البارى جـ ٨ ص ١٢٠ .

التوسع الذي يجعله مخالفاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن عباس نفسه من أشد الناس نكيراً على ذلك ، فقد روى البخاري في صحيحه عنه أنه قال : (يا معشر المسلمين : تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرءونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا « هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا »[1] أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم ؟) اهـ[2] .

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم :

كان ابن عباس رضى الله عنه يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي ، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن ، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة . فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النحل : « أو يأخذهم على تخوف » ، فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له : هذه لغتنا . التخوف : التنقص ، فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فيقول له : نعم ، ويروى قول الشاعر :

تخوف الرحل منها تامكا قرداً
كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر رضى الله عنه لأصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم »[1] .

غير أن ابن عباس ، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره ، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، وقد روى عنه الشيء الكثير من ذلك ، وأوعب ما روى عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ، وقد بلغت مائتي مسألة ، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير ، وقد ذكر السيوطي في الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس ، وسرد مسائل ابن الأزرق

(١) في الآية ٧٩ من سورة البقرة .

(٢) البخاري في كتاب الشهادات جـ ٥ ص ١٨٥ من فتح الباري .

(١) القصة في الموافقات جـ ٢ ص ٨٨ وليس فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل عن الأب رجع إلى نفسه وقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر ، لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها على معرفة معنى التخوف ، بخلاف الآية الأخرى فإن المعنى الذي يراد منها لا يتوقف على معرفة معنى الأب .

وأجوبة ابن عباس عنها ، فقال : « بينا عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا . وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عزين »[1] قال : العزون : حلق الرفاق . قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ . قال : نعم . أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى
يكونوا حول منبره عزينا ؟

قال أخبرنى عن قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة »[2] . قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك تكحلى وتخضبى

إلى آخر المسائل وأجوبتها[3] ، وهى تدل على قوة ابن عباس فى معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها ، إلى حد لم يصل إليه غيره ، مما جعله ـ بحق ـ إمام التفسير فى عهد الصحابة ، ومرجع المفسرين فى الأعصر التالية للعصر الذى وجد فيه ، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص ، حتى لقد قيل فى شأنه : (إنه هو الذى أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن)[1] .

هذا وقد بين لنا ابن عباس رضى الله عنه ، مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية فى التفسير . وحض عليها من أراد أن يتعرف غريب القرآن ، فقد روى أبو بكر بن الأنبارى عنه أنه قال : (الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه[2] » .

وروى ابن الأنبارى عنه أيضا أنه قال : « إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب[3] » .

فابن عباس رضى الله عنه كان يرى رأى عمر فى ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلى ، للاستعانة به على فهم غريب القرآن ، بل كان أكثر الصحابة إلماما بهذه الناحية وتطبيقا لها .

---

(١) الآية ٣٧ من سورة المعارج .
(٢) الآية ٣٥ من سورة المائدة .
(٣) ص ١٢٠ من الإتقان جـ ١ .

---

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن صـ ٦٩ .
(٢) الإتقان جـ ١ صـ ١١٩ .
(٣) الإتقان جـ ١ صـ ١١٩ .

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعى الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن (١) ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم فى القرآن والحديث ؟ .

والحق أن هذه الخصومة التى جدت فى الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس ، فالأمر ليس كما زعمه أصحاب هذا الرأى ، من جعل الشعر أصلا للقرآن ، بل هو فى الواقع ، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى يقول « إنا جعلناه قرآنا عربيا (٢) » . وقال « بلسان عربى مبين » (٣) ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلى للاستشهاد به على المعنى الذى يذهبون إليه فى فهم كلام الله تعالى .

الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة :

روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى التفسير مالا يحصى كثرة ، وتعددت الروايات عنه ، واختلفت طرقها ، فلا تكاد تجد آية من كتاب الله تعالى إلا ولابن عباس رضى الله عنه فيها قول أو أقوال ، الأمر الذى جعل نقاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التى جاوزت الحد وقفة المرتاب ، فتتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا العدول ، وجرحوا الضعفاء ، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفا .

وأرى أن أسوق هنا أشهر الروايات عن ابن عباس ، ثم أبين مبلغها من الصحة أو الضعف ، لنعلم إلى أى حد وصل الوضع والاختلاق على ابن عباس رضى الله عنه . وهذه هى أشهر الطرق :

أولها : طريق معاوية بن صالح ، عن على ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وهذه هى أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد رضى الله عنه « إن بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً (١) » . وقال الحافظ ابن حجر (. . وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وهى عند البخارى عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس (٢)) .

وكثيراً ما اعتمد على هذه الطريق ابن

(١) ومن هؤلاء الإمام النيسابورى صاحب التفسير المشهور وقد صرح بذلك فى مقدمة تفسيره ج ١ ص ٦ .

(٢) الآية ٣ من سورة الزخرف .

(٣) « ١٩٥ من سورة الشعراء .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

جرير الطبرى ، وابن أبى حاتم، وابن المنذر ، بوسائط بينهم وبين أبى صالح ومسلم صاحب الصحيح وأصحاب السنن جميعا يحتجون بعلى ابن أبى طلحة .

طعن بعض النقاد على هذه الطريق :

ولقد حاول بعض النقاد أن يقلل من قدر هذه الطريق فقال (إن ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير) (١) وعلى هذا فهى طريق منقطعة لا يركن إليها، ولا يعول عليها .

وقد استغل هذا القول الأستاذ جولد زيهر فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) فقال :(صرح النقدة المسلمون بأن ذلك الرجل - على بن أبى طلحة - لم يسمع التفسير الذى تضمنه كتابه مباشرة من ابن عباس. وهكذا فإنه حتى فى صحة القسم الخاص بالتفسير الأكثر تصديقاً ، يحكم النقدة المسلمون بهذا الحكم فيما يتعلق بصحة نسبته لابن عباس على أنه هو المصدر الأول له)(٢).

تفنيد هذا الطعن :

ويظهر لنا أن الأستاذ جولد زيهر ، جهل أو تجاهل ما رد به النقاد المعتبرون على هذا الطعن الذى لا قيمة له ، فقد فند ابن حجر هذا النقد بقوله : (بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك) (١) وقال صاحب إيثار الحق (وقال الذهبى فى الميزان : وقد روى - يعنى على بن أبى طلحة - عن ابن عباس تفسيراً كثيراً ممتعا ، والصحيح عندهم أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس ، وإن كان يرسلها عن ابن عباس فمجاهد ثقة يقبل)(٢).

وجملة القول : فهذه أصح الطرق فى التفسير عن ابن عباس ، وكفى بتوثيق البخارى لها واعتماده عليها شاهداً على صحتها .

ثانيها : طريق قيس بن مسلم الكوفى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا ما يخرج منها الفريابى والحاكم فى مستدركه .

ثالثها : طريق ابن إسحق صاحب السير ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهى طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيراً ، وأخرج الطبرانى منها فى معجمه الكبير .

رابعها : طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ، تارة عن أبى مالك ، وتارة

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨

(٢) ص ٧٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) إيثار الحق ص ١٥٩ .

عن أبي صالح عن ابن عباس ، وإسماعيل السدى مختلف فيه ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة ، وهو تابعى شيعى [1]. وقال السيوطى (روى عن السدى الأئمة مثل الثورى وشعبة ، لكن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقهوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى [2]) . وابن جرير يورد فى تفسيره كثيراً من تفسير السدى عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس ، ولم يخرج منه ابن أبى حاتم شيئا ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد .

خامسها : طريق عبد الملك بن جريج ، عن ابن عباس ، وهى تحتاج إلى دقة فى البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنما روى ما ذكر فى كل آية من الصحيح والسقيم ، فلم يتميز فى روايته الصحيح من غيره وقد روى عن ابن جريج هذا جماعة كثيرة ، منهم بكر ابن سهل الدمياطى ، عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس ، ورواية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج وفيها نظر . ومنهم محمد بن ثور عن ابن جريج ، عن ابن عباس، روى ثلاثة أجزاء كبار . ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، روى جزءاً وهو صحيح متفق عليه .

سادسها : طريق الضحاك بن مزاحم الهلالى عن ابن عباس ، وهى غير مرضية ، لأنه وإن وثقه نفر فطريقه إلى ابن عباس منقطعة لأنه روى عنه ولم يلقه ، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فضعيفة لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبى حاتم . وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ، لأن جويبرا شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبى حاتم من هذه الطريق شيئا ، إنما خرجها ابن مردويه ، وأبو الشيخ بن حبان .

سابعها : طريق عطية العوفى ، عن ابن عباس ، وهى غير مرضية ، لأن عطية ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذى . وهذه الطريق قد أخرج منها ابن جرير، وابن أبى حاتم كثيراً .

ثامنها : طريق مقاتل ابن سليمان الأزدى الخراسانى ، وهو المفسر الذى ينسب إلى الشافعى أنه قال فيه : (إن الناس عيال عليه فى التفسير) [1] ومع ذلك فقد ضعفوه ، وقالوا إنه يروى عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما ، وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه

(١) إيثار الحق ص ١٥٩ .
(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٦٢

أحد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه (١) ، وتكلم عنه السيوطى فقال : (إن الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب الردية(٢) وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال : (لا تنظروا فيه ، فقال السائل : ما أصنع به ؟ قال ادفنه - يعنى التفسير -) (٣) وقال أحمد بن حنبل : لا يعجبنى أن أروى عن مقاتل بن سليمان شيئا (٤) . وبالجملة فإن من استحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول « ما أحسن تفسيره لو كان ثقة » (٥) .

تاسعها : طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، وهذه أوهى الطرق والكلبى مشهور بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع كما قال ابن عدى فى الكامل ، ومع ذلك فإن وجد من قال : رضوه فى التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع . وممن يروى عن الكلبى ، محمد بن مروان السدى الصغير ، وقد قالوا فيه : إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك ، ولهذا قال السيوطى فى الإتقان « فإن انضم إلى ذلك - أى إلى طريق الكلبى - رواية محمد بن مروان السدى الصغير ، فهى سلسلة الكذب » (١) ، وقال السيوطى أيضا فى كتابه الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٣ « الكلبى : اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه : كل شىء حدثتكم عن أبى صالح كذب ، ومع ضعف الكلبى فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً ، وهو محمد بن مروان السدى الصغير ، وكثيراً ما يخرج من هذه الطريق الثعلبى والواحدى .

هذه هى أشهر الطرق عن ابن عباس ، صحيحها وسقيمها ، وقد عرفت قيمة كل طريق منها ، ومن اعتمد عليها فيما جمع من التفسير عن ابن عباس رضى الله عنه .

التفسير المنسوب إلى ابن عباس وقيمته :

هذا ، وقد نسب إلى ابن عباس رضى الله عنه جزء كبير فى التفسير ، وطبع فى مصر مراراً باسم « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادى الشافعى ، صاحب القاموس المحيط ، وقد اطلعت على هذا التفسير ، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهذا السند « أخبرنا

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٩ .

(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .

(٥) التفسير - معالم حياته - منهجه اليوم ص ٩ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٩ .

عبد الله الثقة بن المأمون الهروى ، قال : أخبرنا أبى . قال : أخبرنا أبو عبد الله محمود ابن محمد الرازى ، قال : أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى ، قال : أخبرنا على بن إسحق السمرقندى ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس » . وعند تفسير أول البقرة ، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلى عبد الله بن المبارك ، قال حدثنا على بن إسحق السمرقندى عن محمد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس . وفى مبدأ كل سورة يقول : وبإسناده عن ابن عباس .

... وهكذا يظهر لنا جلياً ، أن جميع ما روى عن ابن عباس فى هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدى الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وقد عرفنا مبلغ رواية السدى الصغير عن الكلبى فيما تقدم . وحسبنا فى التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن عبد الحكم قال : « سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث »(١) . وهذا الخبر - إن صح عن الشافعى - يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس ، وليس أدل على ذلك ، من أنك تلمس التناقض ظاهرا بين أقوال فى التفسير نسبت إلى ابن عباس وأخرى رويت عنه . ويمكن أن يقال - إن هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية فى الغالب ، وإنما الشىء الذى لا قيمة له فيه ، هو نسبته إلى ابن عباس .

أسباب الوضع على ابن عباس :

ويبدو أن السر فى كثرة الوضع على ابن عباس ، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره ، أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان من الناس من يتزلف إليهم ، ويتقرب منهم بما يرويه لهم عن جدهم ... وربما نعرض لأسباب الوضع فى التفسير ، وإلى القيمة العلمية للتفسير الموضوع بصرف النظر عن وضعه ، فى مناسبة قريبة ، إن شاء الله تعالى .

محمد حسين الذهبي

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٩ .

الإسلام واللغة العربية
فى مستقبل إفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرقاوى

١ — منذ كتبنا مقالنا : « الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة » (١) ونحن نجد فى كل يوم مظهراً جديداً من مظاهر الحياة الجديدة فى هذه القارة الجديدة : مظاهر الحياة التى تتطلع فيها شعوب هذه القارة وزعماؤها وحكوماتها إلى مستقبل حر قوى كريم .

فنى هذه الفترة — على قصرها — نالت نحو عشرين دولة فى هذه القارة استقلالها ، ودخل أكثرها مجموعة الدول العالمية فى هيئة الأمم المتحدة . وزار كثير من زعماء هذه الدول التى نالت استقلالها بلادا كثيرة ، شرقية وغربية ، عربية وغير عربية ، يعملون لتوطيد هذا الاستقلال الذى نالته بلادهم ، ويسعون إلى مغانم جديدة يحققونها لأوطانهم ، ويوثقون الصلاة والروابط بين حكوماتهم وشعوبهم وبين أكبر مجموعة من الدول ، وبخاصة تلك التى تستطيع أن تمد يد العون المخلص لهذه الدول الإفريقية الناشئة .

هذه الدول الجديدة وشعوبها ، لم تنل استقلالها بثمن هين ، ولم يخرج منها الاستعمار الغربى الشرير مخرجا سهلا . بل خرج منها مرغما مقهورا . فقد كان هؤلاء المستعمرون يخلصون لكلابهم وخيولهم وحيواناتهم ويعطفون عليها ويطعمونها ويدللونها أكثر مما يخلصون للآدميين من أهل هذه البلاد الإفريقية ويعطفون عليهم ويطعمونهم . وقد نشرت الأنباء والصحف حديثا عجيبا أدلى به متحدث رسمى فى مجلس اللوردات البريطانى يدل على قيمة الإنسان الإفريقى عند هؤلاء المستعمرين :

تحدث لورد موم قبل أسابيع فى هذا المجلس فقال : إنه « اشترى » رجلا فى السنة الماضية من إحدى مناطق الصحراء الكبرى التى تسيطر عليها فرنسا . وكان ثمنه سبعة وثلاثين جنيها وعشرة شلنات . . ! وكان غرضه من هذه الصفقة أن يثبت أن تجارة الرقيق ماتزال تمارس فى المناطق الخاضعة لفرنسا .

وقال لورد موم إن العبد « إبراهيم » كان جاثما كالكلب عند أقدام بائعه : « ميخائيل » . ثم انتقل فجثم عند قدمى اللورد ، بعد إتمام الصفقة . . ! وهذه شهادة مسئول إنجليزى كبير عن الدولة الصديقة لإنجلترا : فرنسا .

---

[١] عدد صفر ١٣٨٠ من هذه المجلة .

ونشرت الأنباء والصحف يوم ذاك تقريراً لهيئة الأمم المتحدة يقول إن القارة الإفريقية يباع فيها فى كل شهر خمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال . ثم يهرّب أكثرهم فى حراسة القوافل المسلحة إلى خارج القارة .

٢ — هذه القارة البكر التى خرج منها الاستعمار الغربى مرغما مقهوراً ، ستجد دولها الجديدة صعوبات كثيرة ، بل متاعب ومحناً ، فى سبيل الحفاظ على استقلالها ، وفى أن تقيم لأبنائها حياة كريمة حرة مستقرة . وهى ، لذلك ، تتطلع إلى صديقاتها من الدول الإفريقية بخاصة ، تطلب إليها العون . ومن حقها أن تطلب وأن تجاب ، على أسس حكيمة مدروسة واعية .

وقد قلنا فى مقالنا السابق نحدد بعض السبل لهذا العون : (... السبيل - أو أوضح السبل - لذلك ، ندركه من حديث مسئول فى جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له : « إن شعورى بعد عودتى أن للإسلام جولة أخرى فى معركة الحرية العالمية . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التى زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب فى مستهل فجر الإسلام . إن طريقنا الرئيسى أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم فى أيسر تفسير [1] يحمل شحنات من القوى الروحية المباركة التى تدفع عزائمهم هؤلاء العمالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنوياً ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها) .

هذا ما قلناه فى مقالنا الماضى عن السبيل الذى نستطيع به أن نعين هذه الدول الإفريقية الجديدة وأن نسدد خطاها وهى تتطلع إلى المستقبل .

ولكى ندرك بعض ما يحيط بسبيلنا هذه من المؤثرات والمعوّقات نعرض بعض الحقائق المحيطة بهذه الدول ، وما يتناوشها من التيارات .

٣ — بعض هذه الحقائق أن الدول التى كانت تستعمر هذه الشعوب ، ثم خرجت منها مرغمة مقهورة ، تركت هذه الدول على حال من البلبلة والجهل والفساد بحيث لاتستطيع أن تستقيم لها حياة إلا بعد فترة طويلة من السنين . وقصدت هذه الدول الاستعمارية أن تتعثر دول إفريقيا الجديدة فى سيرها وأن تلتوى بها المسالك ، حتى يسيطر عليها الشعور بالعجز ، والإحساس بأنها فى حاجة لمعونة الدول التى كانت تستعمرها . لا تستطيع أن تستغنى عن إرشادها وتوجيهها ، فيعود من النافذة من خرج من الباب ، كما يقول المثل الأوربى .

---

(١) أقول : وأكثره سدادا وحكمة وفهما وإخلاصا .

ترك الاستعمار الفرنسى غينيا ولغتها فرنسية ، وليس فيها تعليم جامعى ولا فنى ولا ثقافى . حتى أن معظم الوزراء ، فى عهد استقلالها الجديد ، غير حاصلين على تعليم جامعى .

«قبل الاستقلال، كانت فرنسا - باختصار - هى كل شىء ، هى الحكومة وهى الاقتصاد ، وهى الدولة والثقافة .

كان الاقتصاد الغينى فى يد مجموعة من الشركات الاستغلالية الفرنسية وبعض الشركات الزراعية الفرنسية أيضا » .

هذا مثل . وقد ضربنا فى مقالنا السابق أمثلة أخرى .

وبعض هذه الحقائق أن الاستعمار الغربى قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن البلاد الإفريقية التى دخلها الإسلام ودخلتها اللغة العربية ، قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن هذه البلاد صبغتها هذه الإسلامية والعربية . فالبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (مالى) وزاره ابن بطوطة وسماه بهذا الإسم وتحدث عن الإسلام فيه ، هذا البلد المسلم العربى يسميه الاستعمار : (غانا الفرنسية) و (السنغال الفرنسى) . والبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (غانا) يسميه المستعمرون : (ساحل الذهب) ، لأنهم لا يعرفون من هذا البلد إلا ذهبه وخيره وأسلابه وحطامه .

حتى أسماء الأحياء من الناس والزعماء ، يمحون عنها صبغتها العربية ، ويحيلونها إلى صبغة أوربية :

فالزعيم الإفريقى (سيكوتورى) زعيم غينيا إسمه العربى - أو لقبه - (شيخ الطريقة) فتحولت كلمة : شيخ إلى (سيك) وكلمة : طريقة إلى (تورى) . والزعيم الآخر : (سيف الله ضياء الله) رئيس الجمعية الوطنية فى غينيا يتحول اسمه إلى (سيفولا ديااللو) . والزعيم النيجيرى : (أبو بكر أبو عليوه) يتحول إلى : (أبو بكر باليوا) . ورئيس وزراء السنغال المسلم : (محمد ضياء) . يمسخ اسمه إلى (ماما دو ديا) . ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية (أحمد سراج الدين) يمحى عنه هذا الاسم المشرق ، فيصبح (آمادو سردونا) . ورئيس جمهورية مالى ، التى تعيش فيها أكثرية مسلمة : المؤدب كيتا ، يصير (موديبا كيتا) . وهكذا يصنع الاستعمار الغربى ببلاد إفريقيا ليقطع صلتها بماضيها ويفقدها شعور الثقة والعزة الذى توجده عراقة الأصل والأرومة والدين . وليربط حياتها وإحساسها به وحده .

ولو أن هذا الاستعمار أبقى لهذه الشعوب

لغـــة دينها ـ العربية ـ لما صارت أسماء زعمائها وألقابهم إلى هذا المسخ .

هـذه السياسة الشريرة التى كانت الدول الأوربية تلتزمها وهى تستعمر إفريقيا ، وتسيطر عليها وتتحكم فى حاضرها ومستقبلها : هذه السياسة الشريرة ، ما يزال الغرب مصرا عليها للمستقبل أيضا . يضع لها الخطط البعيدة ويرسم لها الخطوط ويحدد الأوضاع .

يتحدث العالم الأوربى عن « السوق الأوربية المشتركة » قبل شهور فيجعل إفريقيا من مجالات نشاطه وتخطيطه ، ويضع عليها نظره لتكون سوقا محتكرة لهـذه الدول . والنفوذ الاقتصادى له ما بعده من النفوذ السياسى والعسكرى والثقافى وغيرهما من ألوان النفوذ .

وفى الكونغو عاد رجال الإرساليات المسيحية فى أول من عاد بعد استرداد بلجيكا بعض نفوذها فيه .

وليست أوربا وحدها هى التى تجعل بلاد إفريقيا مجالا لنشاطها ومطامعها وتخطط لمستقبلها ونفوذها فيها . بل هناك أمريكا أيضا . ولأمور خاصة بأمريكا وأوضاع الملونين فيها ، تستعين بالدول الأوربية على بسط نفوذها على بلاد إفريقيا ، ويتعاون الشريكان الخصيمان المتوجسان على التمكين لهذا النفوذ ، والحيلولة دون غيرهما ، ودون الاتصال بهذه الدول الإفريقية الجديدة . بما فى ذلك الدول الإفريقية المستقلة ، التى هى أولى الدول بأن تلجأ إليها وتستعين بها فى هذا السبيل .

وصحف أمريكا تعلن ذلك ولا تخفيه ، وهذا مثل مما كتبته فى ذلك : (واليوم وقد نهضت أوربا من كبوتها الاقتصادية وصارت تعامل أمريكا معاملة الند للند صرفت أمريكا الشطر الأوفر من اهتمامها إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . على أن اهتمامها بإفريقيا له المكانة الأولى لأسباب سياسية استراتيجية ظاهرة . وفى ذلك يقول والتر ليبمان ، المعقب الأمريكى المعروف ، وهو يعرض لواجب التفاهم التام بين أمريكا وأوربا الغربية : « إن هذا التفاهم بين ندين هو أوجب ما يكون فى إفريقيا ، إفريقيا الشمالية وإفريقيا الوسطى وإفريقيا الجنوبية . يلزمنا الاعتراف بأننا لا نستطيع أن نجرى فى إفريقيا على سياسة أمريكية مستقلة لأننا لا نزال بعيدين عن النجاح فى حل المشكلة المتعلقة بمواطنينا المنحدرين من أصل إفريقى . لهذا السبب » وهو سبب كاف وإن تكن هناك أسباب أخرى تضاف إليه « يمكننا أن نمارس أعمال البر فى إفريقيا ، لا أعمال السياسة) .

ولكن هذا لا يمنع أمريكا من أن تمارس « أعمال السياسة » عن طريق الدول الأوربية الغربية ، إما فرادى وإما جمعا ، ونحن نعلم إذن ما تكون هذه السياسة .

وليست دول أوربا وأمريكا وحدها هى التى تحاول وتجاهد فى أن تتسلل إلى إفريقيا الجديدة لتبسط عليها نفوذها مرة أخرى . بل هناك إسرائيل : الخطر الأكبر على العرب والإسلام .

فنى مذكرة أذاعتها الأمانة العامة الجامعة العربية أنه يوجد فى أثيوبيا وأريتريا ٤٨٠ خبيراً إسرائليا يعملون تحت ستار المعونات الفنية . وأن هؤلاء الخبراء الإسرائيليين « يعملون بهمة ظاهرة لتشتيت أكثر من عشرة ملايين من أصل عربى من موطنهم الأصلى المتاخم لبعض الدول العربية ، وكلما بدت معارضة أو تكتل ضد الصهيونيين كان مصير أصحابها السجون » . وذكرت مذكرة الأمانة العامة للجامعة عدة شركات صهيونية « تتحكم فى الحياة الاقتصادية فى هذين البلدين : أريتريا وأثيوبيا »[1] .

فإسرائيل إذن ، يساندها الاستعمار ويؤازرها ، تعمل وتجاهد لتسبق غيرها فى التمكن من إفريقيا ، وسعيها هذا لا يذهب عبثا ، كما نرى .

وإسرائيل تدرك ما يمكن أن تصل إليه الدعوة الإسلامية فى دول إفريقيا المستقلة ، وما يمكن أن تتأثر به شعوبها إذا قامت هذه الدعوة على أسس سليمة مدروسة مثابرة حكيمة .

وإدراك إسرائيل لأثر هذه الدعوة وما يمكن أن تتأثر به شعوب هذه الدول منها ، يجعلها - أى إسرائيل - تبادر بنشر الدعوة الإسلامية - عن طريقها هى - بين هذه الشعوب . وليس هذا غريبا على خبث إسرائيل . لأنها تحقق به لنفسها مكاسب كبيرة من السهل إدراكها .

فقد نشرت الصحف أن إسرائيل ترسل إلى الدول التى استقلت حديثا فى إفريقيا مدرسين يعلمون أبنائها الإسلام واللغة العربية وأن مدرسيها هؤلاء يشكلون خطراً غير قليل فى بعض هذه البلاد ، ويمتد نفوذهم ، وبالتالى نفوذ دولتهم ، فيها ويستوغل . ونشرت الصحف أيضا أن إسرائيل بنت على نفقتها مسجداً فى سيراليون أهدته لمسلميها . . !

فإسرائيل تدرك أن المستقبل فى دول أفريقيا للإسلام واللغة العربية . وأن هذا هو السبيل للتأثير على سكان تلك البلاد وكسب مودتهم والسيطرة على عواطفهم . ثم التحكم بعد ذلك فى مصائرهم . والدول الأوربية فى ذلك من وراء إسرائيل . ولنا من ذلك عبرة واضحة .

---

(١) جريدة الأهرام : ١٤ نوفمبر ١٩٦١ .

٥ — ولكى ندرك الاحتمالات القائمة فى دول إفريقيا الجديدة نحو مستقبل الإسلام، نذكر ما نشرته صحف القاهرة من أن أربعة آلاف فى جنوب السودان دخلوا فى الإسلام خلال أربعة شهور [1] وأن خمسين ألفاً فى تلك البلاد أسلموا قبل ذلك. منهم عشرون من السلاطين. وأسلم فى أسبوع واحد، ثلاثمائة وخمسون.

وقد تكون هذه الأرقام محتاجة إلى الدقة. ولكن الوضع فى إفريقيا كلها، بلا شك، لا يستنكر معه ذلك ولا يستبعد، وكل الدلائل قائمة على صدقه، كما هى قائمة على استمراره ودوامه.

وفى السطور التالية ننقل بعضا من تقرير يؤيد ذلك ويؤكده: «وجماعة التبشير الإسلامى والإصلاح بالسودان تضم ٣٠٠ عضو يدفع كل منهم اشتراكا سنويا قدره خمسة وعشرون قرشا، وقد أصبح لها الآن مركز رئيسى فى الدلنج فى جبال النوبة غرب السودان يضم ٥ فروع فى هذه المنطقة، و٣ مراكز أخرى فى الجنوب فى مناطق «ياى» و«كاجو كاجو» و«جوبا».

ورغم ضآلة إمكانياتها المالية لقيت رسالتها إقبالا كبيراً من سكان المناطق المقفلة سواء فى المديريات الجنوبية أو فى جبال النوبة، وقد اعتنق الإسلام على أيدى بعثات الجماعة أكثر من ٢٠ ألف نسمة، معظمهم من مناطق جبال كرمتى، والنتل، وكاركو، وكندكرو، وكندكير، وضلدان، وأبوصيبة، والمندل، والصبى، والكاشة، والشفر، وكروه.

كما أسلم على يد بعثات الجماعة جميع تلاميذ منطقة سيلارا بالقرب من الدلنج.

وأنشأت الجماعة داراً فى أمدرمان خصصتها لإيواء ٦٠ طالبا ممن أسلموا فى الجنوب، وجاءوا لتلقى علومهم فى الخرطوم على نفقة الجماعة [1]».

فإذا نظرنا إلى الناحية المقابلة نجد أن بعثة تبشيرية واحدة فى مساحة لا تزيد عن عشرة آلاف ميل مربع من «وسط أفريقيا — قد قامت فيها ٥٥٠ مدرسة، و٢٥٠ كنيسة.. فى حين أن عدد أتباعهم الذين استمالوهم فى هذه المنطقة لا يزيد على ١٨٠٠٠ وطنى، أى بمعدل كنيسة لأقل من ٥٠ شخصا، ومدرسة لأقل من ٢٥ شخصا..! [2]».

ومع هذا التباين الكبير فى الجهد والسعى والإنفاق، نجد هذه النتيجة التى أسلفناها من انتشار الإسلام وتمكنه وشموله، وهذا

---

(١) جريدة الأهرام: ٢٩ مايو سنة ١٩٦٠

(١) جريدة الأهرام: ١٣ فبراير ١٩٦١.

(٢) نقلا عن مجلة [تيم] الأمريكية.

أمر طبيعى لأسباب أهمها طبيعة الإسلام نفسه ، ثم تليها طبيعة الأوضاع فى دول إفريقيا المستقلة نفسها ، فبعض هذه الدول للإسلام فيها السيادة والقيادة . وبعضها يجد فيه الرجاء والأمل .

٦ — وقد زار صحفى عربى جمهورية الصومال قبل شهور ، فكان مما كتب عن شعبها وعقيدته وإيمانه مايلى :

« وأهل الصومال مسلمون متعصبون لدينهم بدرجة كبيرة . والواحد منهم يبدأ حياته الدراسية دائما بحفظ القرآن ، مهما كان مركزه ومهما كان مستقبله . ولقد حاولت بعثات التبشير هناك أن تحارب هذا بإمكانيات ضخمة . بل إنها لجأت إلى إنشاء دار ضخمة ليقيم فيها الأطفال ، ويتعلموا مجانا مقابل أن تستطيع أن تخرجهم من الإسلام للمسيحية . ولكنها لم تفلح ، ولعل البلد الوحيد فى إفريقيا الذى سجلت فيه البعثات التبشيرية فشلا ذريعا هو الصومال . ولقد رأيت عددا كبيرا من الصوماليين يبدأ من سن العشرين فى اقتصاد مبلغ من المال كل عام ليحج بيت الله الحرام »[1] .

وما يزال شعب الصومال يتبع التقويم العربى فى توقيته اليومى ، أى أن « النهار » يبدأ عندهم من طلوع الشمس .

فعندما يتطلع شعب الصومال هذا إلى معونة الجمهورية العربية المتحدة ـ وقد تطلع فعلا ـ لكى تعينه فى ثقافته وتعليمه ، فإلى أى مكان من هذه الجمهورية العربية يتطلع ..؟

وعندما يستعين شعب الجمهورية الصومالية ـ وهذا مبلغ تمسكه بالعقيدة وحرصه على حفظ القرآن وتعليم الدين ـ عندما يطلب هذا الشعب العون على تعليم أبنائه ما يريد لهم أن يتعلموا ويحفظوا ، فأى الهيئات هى التى تستطيع أن تلبى حاجته تلك وحاجة أبنائه ..؟

الجواب واضح بيّن .

وقد تنبأت جريدة بريطانية واسعة الانتشار هى صحيفة « سكوتسمان » بأن جميع المستعمرات والبلاد الهامة فى إفريقيا ستنال استقلالها قبل سنة ١٩٦٥ . وقد يكون ذلك أقرب من هذا الأجل القريب . ونقول نحن إن بلاداً كثيرة من هذه المستعمرات الإفريقية سيكون الوضع فيها بعد الاستقلال شبيها بهذا الذى نراه الآن فى الصومال ، أو قريبا منه .

ومن قبل تحدث سفير السنغال فى القاهرة فقال إن شعب بلاده هو أقرب الشعوب الإفريقية للعرب ، وأن كثيرين من أهله يعرفون اللغة العربية وأنه هو نفسه ـ السفير ـ يقول الشعر العربى ، ويحفظ للمتنبى وشوقى والبوصيرى . واسم هذا السفير : « التيجانى » ومن هذا الاسم نعرف أنه مسلم ، بل هو

---

[١] الأستاذ أحمد زين : جريدة الأخبار فى ٩ مايو سنة ١٩٦١ .

« شيخ طريقة » التيجانية ، وكان أبوه شيخا لها وزعيما روحيا تلقى العهد على يديه أربعمائة ألف سنغالى ، من ثلاثة ملايين .

وهذه حقائق يجب أن تدخل فى الاعتبار ونحن نتحدث عن الإسلام والعربية فى مستقبل الدول الإفريقيــة المستقلة ، وما يمكن ، بل مايجب ، أن نفيـده من ذلك لديننا ولغتنا .

وقد زار القاهرة قبل شهور زعيم من زعماء المسلمين فى كينيا : هو الشيخ على سنيدى ، رئيس اتحاد المسلمين فيها . وتحدث هذا الزعيم المسلم عن بلاده ووضع الإسلام فيها ، وفى هذا الحديث نجد عبرة تفيدنا فيما نحن بسبيله من حديث الإسلام فى إفريقيا :

يقول الشيخ سنيدى إن المهاجرين الأولين من المسلمين ـ العرب والفرس ـ الذين دخل الإسلام إفريقيا معهم ، كان أول شىء فعلوه هو تعليم مبادئ الإسلام وأصوله لأبنائهم . وتحفيظ القرآن لصغارهم ، وكبارهم ، رجالا ونساء ، وصبيانا وفتيات . حتى لا يوجد فى سواحل كينيا من لم يحفظ القرآن ويكتبه ، لحفظ القرآن ودراسته إذن ، حملهم عن التعلم والتعليم ، وأزال عنهم الجهل والأمية ، وعلمهم الحرص على اللغة العربية .

ثم جاء العصر الحـديث ، عصر الاستعمار الغربى والغزو الصليبى ، فتعرض الإسلام فى كينيا (لأكبر دعاية مستأصلة له) ـ أى تريد أن تستأصل الإسلام من تلك البلاد . وشرح الزعيم الكينى وسـائل الاستعمار والصليبية فى ذلك .

ثم ننتقل إلى الوضع فى (غانة) فنجد فيها مليونين من المسلمين ، أى ثلث سكانها . ونجد اللغة العربية فيها تزاحم الإنجليزية ، فهما اللغتان الذائعتان ، على رغم ما تجد العربية من عنت ومعاندة ، وتجـــد الإنجليزية من معونة ومساندة . ونجد فى كبرى مدنها : كوماسى مسجداً على طراز عربى يسع عشرة آلاف مصل .

وفى نيجيريا نجـد ما هو أبين وأوضح ، نجد زائراً من مصر ومن الأزهر ، يقيم فيها فترة من الزمن باحثاً دارسا ثم يقول : (إنى وجدت المسلمين فى تلك البلاد ـ نيجيريا ـ على بعد الشقة بيننا وبينهم ـ يقدرون مصر حق قدرها ، من أجل الأزهر ، ومن أجل الأزهر فقط ، ويكنون له ولعلمائه كل تقدير وإجلال) [١] .

والمسلمون فى نيجيريا متشددون متدينون ، يعتبرون يوم الجمعة عيداً ، وصلاتها مظهراً للفرح والبهجة والسرور . يلبسون لها أنخر ما عندهم من الثياب وأكثره نظافة . تسير

---

[١] من تقرير للدكتور محمد الفحام . مجلة منبر الإسلام عدد ٥ السنة ١٩ .

أمامهم لصلاتها الطبول والمزامير، فى الذهاب والعودة ، ذلك مظهر من مظاهر تدينهم .

ويقول بعض من زار تلك البلاد إنه كلما تنصر واحد من أبنائها أسلم فى مقابله عشرة ، مع ما يبذل من السعى والجد والمال لنشر المسيحية .

وهذه حقيقة معروفة ، نشرتها جريدة « التمبو » التى تصدر فى المكسيك فقالت : « إن الإسلام ينشر بسرعة فى دول إفريقيا التى استقلت حديثا . وإن تعلم اللغة العربية يسير مع موجة انتشار الإسلام جنباً إلى جنب » (١) .

ونيجيريا هذه التى يقيم فيها عشرون مليونا من المسلمين بين خمسة وثلاثين من السكان المسيحيين والوثنيين، زعيمها ورئيس حكومتها مسلم مخلص متدين هو الحاج أحمد بللو سردونا . وهو ليس رئيس حكومة فقط ، بل هو ، إلى ذلك ، رئيس حزب وزعيم أمة ، يحفظ القرآن ويعرف أصول الإسلام ويتكلم العربية فيحسنها ، وكان تدينه من أسباب زعامته وقيادته ورياسته .

وهذه العاطفة والمعرفة والعقيدة . هى التى جعلته يخاصم إسرائيل ، ويمانع فى تسللها إلى شمال نيجيريا على رغم معاونة بريطانيا لها فى ذلك ، وجعلته يمنع بعثات إسرائيل من دخول المنطقة التى يحكمها . ويرفض أن يعقد اتفاقات معها .

فأى قوة أعظم من هذه العواطف وهذه العقيدة نستطيع أن نفيد منها وندرك المدى الفسيح الذى يمكن أن تبلغه دعوة الإسلام والعربية فى مثل هذه البلاد .

٧ — وليست الأوضاع والحقائق وحدها هى التى ترسم الطريق وتحدد المعالم لمستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة . وتدعونا ، بل تصرخ فينا ، أن نفكر ونعمل ونبادر ، بل الطلائع والاتجاهات فى تلك البلاد تدعونا لنعمل ونبادر .

من هذه الطلائع والاتجاهات أن المؤتمر السنوى الثانى للجمعية الثقافية الإسلامية فى السنغال قرر مطالبة الحكومة باعتبار اللغة العربية فى البرامج الدراسية ابتداء من الصفوف الأولى . وزيادة عدد المدارس العربية فى مدن السنغال وقراها ، والاعتراف بالشهادات الصادرة عن المدارس العربية .

ومن هذه الطلائع أن غينيا فى عهد استقلالها بدأت تتطلع إلى المستقبل وتقيم له الأسس الراسخة ، ففرضت تعليم اللغة العربية لغة ثانية على طلبة المدارس الثانوية ، لأنها — كما قال الحسينى أيوب وزير استعلامات غينيا — : « اللغة الإفريقية الوحيدة المكتوبة، وبما أن ثمانين فى كل مائة من سكان غينيا

(البقية على صفحة ٨٣٦)

(١) من مجلة المصور : ١٥ مايو ١٩٦١ .

من معاني القرآن :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

كلمة « رب » تطلق فى كلام العرب على معان ثلاثة يرجع إليها كل ما عداها من المعانى كما يقول فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق:

فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا .

والرجل المصلح للشىء يدعى ربا .

والمالك للشىء يدعى بالنسبة له كذلك ربا .

فربنا هو السيد الذى لا شبيه له ، وهو المصلح أمر خلقه بما أسبغه عليهم من نعمه ، وهو المالك الذى له الخلق والأمر .

ومن ثم لا تستعمل كلمة « الرب » بالألف واللام فى غيره تعالى ، لأن معناها المالك المتصرف فى كل ما عداه . ولا يقدر على ذلك إلا الله ، وأما « رب » بدون أل فتستعمل فى غيره تعالى مقيدة بما تضاف إليه ، فتقول رب الدار ، أى مالكها ، ورب الأسرة ، أى القائم على رعايتها وسياستها .

وكلمة « قلب » تطلق القرآن على العقل ، وهو أداة التفكير والإدراك ، كما تطلق على هذا الجهاز الإلهى الذى نعرفه وهو مناط الشعور والإحساس .

والهداية هى الدلالة على المقصود بخفاء ولطف ، وهى لا تكون بالعقل وحده . فقد يخطىء العقل وتخطىء الحواس ، وإنما تكون الهداية ويكون الاتجاه إلى الخير والحق بالإحساس الراشد ينبعث من داخل النفس . وبالإلهام الخفى من الحكيم العليم ، وبالاعتصام بحبله ودينه مصداق قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » . ولعل فى هذا بعض ما يفسر دعاءنا فى كل صلاة بقول الله : « إهدنا الصراط المستقيم » . لأن الهدى كما يقول الله « قل إن الهدى هدى الله » .

والزيغ هو الميل والانحراف عن طريق الحق ودين الله الذى ارتضاه .

وهذا الدعاء ورد فى القرآن على ألسنة الراسخين فى العلم ممن وفقهم الله إلى الانتفاع بعقولهم وقلوبهم ، وآمنوا بيوم الحساب ، يوم يكون الثواب والعقاب . فهم يسألونه – ونسأل الله معهم – أن لا يزيغ قلوبهم بعد أن هداهم وأن يهب لهم من عنده رحمة – وهى تفسر بما ينشأ عنها من النعم – لأنه دون غيره المنعم الكثير الهبات ذو الفضل العظيم . وهم يؤمنون بيوم الحساب وهو يوم لا شك فيه ، لأن العدل الإلهى يقتضيه ، فلا يفلت مسىء من عقاب ، ولا يحرم محسن من ثواب ، ولأن الله وعد به عباده ، وخلف الميعاد نقص يستحيل عليه سبحانه . وهذا الإيمان يعبرون عنه بهذا الدعاء : « ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فودة

مكتبة النقد الأدبى فى اللغة العربية
صحيفة بشر بن المعتمر

للدكتور أحمد أحمد بدوى

سوف ندرس تحت هـذا العنوان أهم الآثار التى كتبت باللغة العربية فى النقد الأدبى ، وأعنى بالنقد الأدبى كل ما يقوّم النصوص الأدبية ، ويبين أسباب جمالها ، ويدرس نواحى التأثير فيها ، فيشمل لذلك ما نسميه اليوم بعلوم البلاغة ، فهى فى حقيقة الأمر من صميم النقد الأدبى ، ومعيار من معاييره ، لأنها تبحث فى بعض وسائل التأثير فى النفس الإنسانية ، وتدرس بعض ألوان الجمال فى التعبير عن المعنى المراد ، ثم تجمّعت مسائلها بعضها حول بعض ، وأصبحت هذه المسائل تدعى بعلوم البلاغة ، وهى فى الواقع من فروع النقد الأدبى ، وأبحاثها من بين أبحاثه الأصلية .

ولهذا سأجعل الكتب التى تناولت فنونا من دراسات البلاغة من مكتبة النقد الأدبى ؛ لنتبيّن كيف كانت هذه الدراسات مبعثرة بين مسائل النقد ، وكيف تبلورت واستقلت .

وسوف أتبع فى عرض هذه المكتبة المنهج التاريخى ، منذ العصور الأولى إلى وقتنا الحاضر ؛ لنتبين تطور هذه الدراسات عبر الأزمان ، ونرى كيف أثر السابق فيمن جاء بعده ، وكيف استفاد الخلف من السلف ، فصححوا ، وفصلوا ، وزادوا ، وبوّبوا .

— ١ —

وإنا لنرى بذور النقد الأدبى منذ العصر الجاهلى ، وإن لم يطلقوا عليها ذلك الاسم الاصطلاحى ، فقد نقل الرواة ملحوظات كان السامعون يبدونها على ما يلقى عليهم من الشعر ، وآراء يحكمون بها على الشعر والشعراء ؛ فهذا النابغة الذبيانى مثلا كانت تضرب له فى سوق عكاظ قبّة حمراء من جلد ، وكان الشعراء يأتون إليه ، فيعرضون عليه أشعارهم ، وحدث أن أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسّان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم أنشدته الخنساء قصيدتها فى رثاء أخيها صخر ، التى منها :

وإنّ صَخْراً لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن

أبا بصير ـ يعنى الأعشى ـ أنشدنى قبلك ، لقلت : إنك أشعر الجن والإنس[1]. وبذلك يكون النابغة قد حكم بأن الأعشى أشعر الذين أنشدوه ، ثم تليه الخنساء فى جودة الشعر .

كما روى أن عمرو بن الحارث الغسانى فضل حسان على النابغة ، وعلى علقمة بن عبدة، وكانا حاضرين معه ، وأثنى على لامية حسان التى فيها :

لله در عصابة نادمتهم
يوما بجلق فى الزمان الأول

ودعاها البتارة التى بترت المدائح [2] .

كما كانوا يأخذون على النابغة الذبيانى الإقواء ، وهو اختـــلاف حركة الروى فى القصيدة ؛ وعابوا على الشاعر أن يصف الشئ بغير ما هو له ، إلى غير ذلك من ملحوظات تتعلق بالمعنى حينا ، وبالصياغة حينا آخر ، وكلها يهدى إليها ذوقهم المتمرس بالشعر ؛ فيجعل فى مكنتهم أن يدركوا جماله ، ويوازنوا بين قائليه .

ويأتى الإسلام ، فيتسع المجال للنقد الأدبى عندما يستمعون إلى القـرآن ، فيتذوقون بلاغته المعجزة، ويوازنون بينه وبين ماعرفوه من فنون القول ؛ أو عندما يصغـون إلى ما ينتجه شعراء الإسلام ، والشعراء المخالفون لهم ، ويفضلون إنتاجا على إنتاج .

ويتقـدم الزمن ، ويغزر إنتاج الشعر ، وتتعدد مراكزه بين الحجاز والشام والعراق وتشب خصومات بين الشعراء ، ويوضع علم النحو ، ويتدخل النحاة فى تقويم الشعر ، كما يتدخل اللغويون فى هـذا التقويم ، ويكون من ذلك كله نشاط للنقد الأدبى تتعـدد فيه الاتجاهات، وتكثر فيه الموازنات، وتعرض الأسباب لما يذكر من الآراء ، ويتناقل الرواة هـذه الثروة النقدية جيلا عن جيل ، حتى أتى من أخذ هذا التراث فنظمه فى كتاب يعد أول مؤلف جمع تلك الآراء المبعثرة ، فرتبها وألف بينها ، وحفظها من أن تضيع مع السنين ذلك هو ابن سلام مؤلف كتاب « طبقات فحول الشعراء » .

كما تحتاج الدولة إلى الكتابة ، ويتعلم بعض أبنائها الخطابه ، ويضع رجال الأدب قواعد يجدر أن يتبعها الكتاب والخطباء . وبقى لنا من ذلك صحيفة لأحـد رجال الكلام الذين كانوا يعنون بالجـدل وبلاغة القول تؤثر فى السامعين ، فيميلون إلى حيث يريد رجـل الكلام أن يقودهم ، وتلك هى : « صحيفـة بشر بن المعتمر » .

---

[١] تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، لطه أحمد إبراهيم ص ١٢ .

[٢] المرجع السابق ص ١٤ . وجلق : دمشق .

— ٢ —

صحيفة بشر بن المعتمر(*):

وقبل الحديث عن كتاب ابن سلام أرى من الخير أن أعرض لصحيفة بشر بن المعتمر فقد تعرضت مع إيجازها لمسائل من النقد يحسن بيانها:

« ا »

تعرضت الصحيفة أول ما تعرضت لوقت إنتاج العمل الأدبى، وأوصى بشر أن يكون ذلك عند الرغبة فى الإنتاج، فعلى الأديب أن ينتهز تلك الساعة، فإنها تنتج أبرك الثمرات يقول بشر:

« خُذ من نفْسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك؛ فإن قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرا، وأشرفُ حسباً، وأحسنُ فى الأسماع، وأحلى فى الصدور، وأسلمُ من فاحشِ الخطأ، وأجلب لكل عين وغرّة(١) من لفظ شريف، ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطولُ، بالكدّ والمطاولة(١) والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً(٢)، وخفيفا على اللسان سهلا، وكما خرجَ من ينبوعه، ونجم(٣) من معدنه».

والجملة الأخيرة تدل على إيمان بشر بأن الإنتاج إذا كان ناشئا عن رغبة فى الأديب جاء طبيعياً واضحاً لا التواء فيه ولا غموض.

أما إذا حمل الأديب على نفسه، وأكرهها على ما لا رغبة لها فيه، فهنا يسير الأديب فى طريق وعر، يدفعه إلى التعقيد الذى يذهب بالمعنى، ويضيع بهجة الألفاظ، وفى ذلك يقول:

« وإياك والتوعرَ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك».

وكأن بشراً بذلك يعقد صلة نفسية بين الوضوح فى الانتاج والرغبة النفسية، وبين الغموض والتعقيد وحمل النفس على الانتاج قسرا. وهو رأى له صوابه.

ويتحدث بشر عن اللفظ والمعنى، فيقول « ومن أراغ(٤) معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف

---

* فقيه معتزلى مناظر، تنسب إليه الطائفة البشرية من المعتزلة، مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) [من الاعلام للزركلى] والصحيفة فى الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ص ١٠٤ (المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٦ م).

(١) العين: خيار الشيء. والغرة: الشريف

(١) المطاولة: المغالبة.
(٢) قصد فى العمل: استقام.
(٣) نجم: ظهر.
(٤) أراغه: أراده.

ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما [1] وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما».

وهو بذلك يوصى أن يكون اللفظ مؤديا معناه فى وضوح، وأن على الأديب أن يبحث عن اللفظ الموضح لفكرته، حتى لا يفسد المعنى واللفظ معا، وتضيع بذلك الثمرة المرجوة من الكلام، وهو نقل الإحساس والشعور من الأديب إلى السامع أو القارئ، فإذا لم يوح اللفظ بالمعنى المراد أصبح الأديب بعبارته المنقوصة أسوأ حالا منه قبل صياغة نصه الغامض الهجين؛ لأنه يوقع السامع فى ظلام بهيم.

وسوف توضح الصحيفة مايريده بشر بالشرف، حين تتعرض لفكرة لانزال نتعرض لشرحها إلى اليوم، وهى فكرة الموهبة فى الأدب، فالأديب فى عقيدتنا اليوم موهوب كما هو عند بشر، غير أن هذه الهبة قد تكون واضحة تبدو لأول وهلة وقد تكون خفية يحتاج صاحبها إلى بحث وتنقيب. وبشر يضع اختبارا به يعرف الإنسان نفسه أموهوب هو فى الأدب أم غير موهوب، إذ يقول:

«فكن فى ثلاث منازل؛ فإن أولى الثلاث: أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت العامة أردت».

«والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال».

«وكذلك اللفظ العامى والخاصى، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معانى الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام».

هذا هو الاختبار الذى يختبر المرء مقدرته الأدبية، فإذا استطاع أن يثبت فيه علم أنه البليغ التام، وعلم أنه موهوب عليه أن يتابع خطاه.

أما الأديب التام فهو الذى تتحقق فى ألفاظه العذوبة والرشاقة والفخامة والسهولة، وفى معناه الوضوح، وأن يكون الكلام مناسبا لما يتطلبه المقام، وموافقا لمن قيل لهم، فتختار ألفاظه من القاموس الذى تحيط به

(١) هجن الأمر: قبحه

الطبقة المثقفة إذا كان الكلام قد أنشئ لها ، وتنتقى كلماته سهلة قريبة التناول إذا كان للعامة قد صيغ .

وهذه لفتة طيبة لبشر بن المعتمر ، عندما أدخل فى حسابه الأدب يكتب لطبقة العوام ، ولكنه مع ذلك لا يريد أن ينزل بالأدب ، بل يريد أن يرتفع بمستوى العوام ، فيعد من مقدرة الأديب أن يتلطف حتى يفهم العامة معانى الخاصة ، ويصوغ ذلك فى أسلوب لا تنبو عنه أذواق الخاصة من المثقفين ، وهو بذلك يحفظ للأدب سموه عن أن يكون عبارة مبتذلة .

ولعل بشرا أراد برشاقة اللفظ وعذوبته أن يكون متخير الحروف ، وبفخامته ألا يكون سوقيا ، وبسهولته ألا يكون هناك تنافر بين حروفه .

وإذا كان بشر يرى استعمال اللفظ العامى فى موضعه ، كاللفظ الخاصى فى مكانه ، كلاهما قد وضع حيث ينبغى أن يوضع ، وهو بذلك يستجيب لحاجات الجماهير الشعبية ، فى أن يكون لها أدب تستطيع أن تفهمه فإنه يفضل الارتقاء بالأسلوب كما ذكرنا ، وذكره للجلال بين صفات اللفظ يدلنا على أنه لا يقبل بحال أن تكون العبارة سوقية مبتذلة .

وشرح بشر ما يريده بالمعنى الشريف ، وأنه لا يقصد أن يكون من معانى الخاصة ؛ فإن المعنى لا يتضع بأن يكون من معانى العامة ، ولكن المعنى الشريف هو المصيب النافع . وإذا كان من السهل إدراك ما يراد بالإصابة فى المعنى ، بأن تكون الحقائق التى فيه يقرها الواقع والتاريخ ، فإن إحراز المنفعة الذى وصف به المعنى يحتاج إلى تريث فى فهم معناه ؛ فهل يعد بشر تلك المعانى التى لا تعود بفائدة على قرائها ـ غير شريفة ؟ وما معنى الفائدة التى ينبغى أن تؤخذ من الأدب حتى تعد المعنى شريفا ؟ أو أن المنفعة تحرز إذا أدرك المعنى الصواب ؟ فيكون معنى الشرف حينئذ صواب المعنى ؛ فإذا أخطأ الأديب فى المعنى الذى يريده ، فقلب الحقائق مثلا ، أو وصف الشئ بما ليس من صفاته ، لم يكن المعنى إذاً شريفا .

يعرف الأديب المطبوع نفسه بسرعة استجابة المعانى له والألفاظ ، وهناك صنف آخر من الأدباء لا يستجيب لهم القول فى أول وهلة ، ولا ينقاد لهم الكلام عند تطلبه ، ولكن لهم مع ذلك موهبة الأدب ، فهؤلاء عليهم أن يعاودوا المحاولة ، فإن استجاب القلم لهم أدركوا أن هناك هبة وطبعا . يقول بشر :

« فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسمح لك عند أول نظرك ، وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع

موقعها ، ولم تصل إلى قرارها ، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول فى غير أوطانها . فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت تكلفتهما ، ولم تكن حاذقاً مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ؛ فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة ، فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك ، وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة ولا المؤاناة (١) ، إن كانت هناك طبيعة . أو جريت فى الصناعة على عرق » .

وهنا يلح بشر على نقطة واحدة ، تلك أن يكون للكلمة عمل تؤديه كاملا فى الجملة ، بأن تؤدى نصيبها فى المعنى المراد ؛ فإذا لم تقم بهذا الأداء كانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها . وذلك العيب ينبعث من أمور كثيرة فصلها النقاد بعد ذلك ؛ فالكلمة لا تقع موقعها إذا لم تفد معنى جديدا ، ولا تصل إلى قرارها إذا لم تكن دقيقة ، ولا تنال حقها من أماكنها المقسومة إذا لم يتبع فى ترتيبها ترتيب المعنى فى نفس قائلها ، ولا تحل القافية فى مركزها وفى نصابها إذا لم تفد معنى ، وإنما جىء بها لإكمال الوزن فحسب ، ولا تتصل القافية بشكلها إذا اضطر الشاعر من أجل القافية إلى أن يأتى بها سهلة فى بيت قد اختيرت كلماته قوية جزلة ، أو جزلة بين ألفاظ سهلة . أو غريبة بين كلمات قريبة مألوفة . وتكون قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها إذا أفسدت معنى البيت أو أضرت به .

تلك عيوب الصياغة يقع فيها من يحتاج إلى دربة طويلة ، ومعاودة نظر فيما كتب ، ولكنه يصلح ما أفسد إذا عاود النظر ، ورجع إلى ما كتب فاستطاع أن يهذب ويقوم ، ويكون ذلك دليلا على أن لديه موهبة الأدب ، فله أن يستمر فى عمله أديبا منتجا .

أما هذا الذى يعاود الكرة ، مرة بعد مرة ، من غير أن يستجيب قلبه لما يريد فذلك دليل على أنه غير موهوب ، وأن عليه أن يبحث عن عمل آخر غير الأدب ، يقول بشر : « فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛

(١) المؤاتاة الموافقة .

فإنك لم تشتهه ، ولم تنازع إليه ، إلا وبينكما نسب ، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ؛ لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة ؛ فهذا هذا » .

فبشر يرى الأديب أحد رجلين : أديب ينقاد له القول فى سهولة ويسر ، وآخر يحتاج فى إنتاجه إلى معاودة ما يعالجه ، حتى يستقيم له ما يريد . وكلا الرجلين موهوب مطبوع .

ويعود بشر بعد ذلك إلى الحديث عن المعانى ، وما ينبغى أن يؤخذ منها وما يترك ، فيقول : « ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدارَ المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .

وتفسير ذلك أن المعنى الذى يريد الأديب أن يتحدث عنه له عناصر شتى ونواح كثيرة فينبغى للأديب أن يعرف هذه العناصر والنواحى ، وأن يبذل جهده فى الكشف عنها ، ثم يعرف قيمة كل عنصر وناحية ، فمنها ما هو من صميم الموضوع يجب عليه أن يتناوله بالعرض والدراسة والتحليل ، ومنها ما هو عرضى ، ليس فى صلب الموضوع ، فيتناوله برفق ، بحيث لا يطغى على ما هو أصيل .

وعليه أن يعرف أحوال من يستمعون إليه أهم من العامة أم من الخاصة ، أمن الموافقين أم من المخالفين ، أمن يتأثرون بالدين ، أم ممن يتأثرون بالدنيا ، أمن الشديدى اللدد أم ممن يسهل قيادهم ، إلى غير ذلك من أحوال المخاطبين .

وعليه أن يعرف إلى جانب ذلك الحال التى ينشىء لها خطبته ، والمقام الذى يتكلم فيه فإنه إذا عرف أحوال المخاطبين من ناحية ، وعرف المقام الذى من أجله وقف ليخطب ثم كان ملما بعناصر الموضوع ، ممسكا بأطرافه استطاع أن يعرف أى العناصر تصلح لهؤلاء المستمعين فحدثهم بها ، وأيها ينبغى أن يعرض عنه فلا يذكر ، وأن يدرك ما يناسب المقام من أفكار تقال وأخرى تطوى ، فكثيراً ما يكون فى عناصر الموضوع ما يرتفع عن مستوى السامعين ، فيكون ذكره عبثا ، وقد يكون فيها ما يضعف من المقام ، فلا تبلغ الخطبة غايتها المرسومة .

ولما كان الخطيب مرتبطا بالجمهور ، ويقاس نجاحه وإخفاقه بمقدار تأثيره فى هذا الجمهور ، كان لا بد من أن يدخل الجمهور فى حساب الخطيب ، وأن يدخل المقام فى هذا الحساب أيضا ، وأن يوازن الخطيب بين أفكاره وأن يختار منها ما يصلح للجمهور ، وما يناسب المقام .

(ب) لقد مر بشر ومعه هـذه الصحيفة بإبراهيم بن جبلة الخطيب ، وهو يعلم الفتيان الخطابة ؛ فدفعها إليهم ، وأعجب المدرس بما فيها ، ورأى نفسه محتاجا إليها أكثر من احتياج تلاميـذه ، ولكن يظهر أن بشرا لم يكن قد أعد هـذه الصحيفة متضمنة تعاليم الخطابة فحسب ، ففيها مايتصل بفنون القول : شعره ، وكتابته ، وخطابته ، فالجزء الأخير من هذه الصحيفة ، وهو الجزء الذى يطلب فيه بشر أن يوازن المتكلم بين أقدار المعانى ، وأقدار السامعين ، وما يتطلبه المقام يرتبط ارتباطا وثيقا بالخطابة ، وإن صح أن يعنى به الكاتب والشاعر ، إذا تخيلا جمهوراً يكتبان له ولكنهما فى كثير من الأحيان يتجهان إلى المعنى يريدان أن يبلغا فيه أقصى ما يستطيعان وأن يلما بكل ما يجول فى نفسيهما من خواطر وإحساسات ، لأن الجمهور لا يواجههما ؛ فيضطران إلى إدخاله فى الحساب .

أما باقى الصحيفة فمتصل أوثق اتصال بالكتابة والشعر ؛ لأن فيه الوصية بانتهاز الفرصة للإنتاج ، وذلك إنما يكون فى غير الخطابة التى يحدد وقت إلقائها المقام والجمهور إذا كانت مرتجلة ، أما إذا كانت تعد وتكتب فلها حينئذ حكم الرسالة والقصيدة .

ومتصل بالشعر أيضا عندما حدثنا عن القافية القلقة فى مكانها ، والنافرة من موضعها .

(ج) ويمكن أن نلخص المبادىء التى تضمنتها الصحيفة فيما يلى :

أولا : وصيتها الصالحة باختيار وقت الرغبة فى الإنتاج ؛ ليخرج النص الأدبى واضحا رائعا .

ثانيا : عنى بشر أول ما عنى بالنهى عن التوعر لأنه يؤدى إلى التعقيد الذى ذمه بشر ، وأبغضه .

ثالثا : شرط للأدب الرفيع أن يتصف بصفات . وأن يخلص من أخرى .

فيجب أن يتصف اللفظ بالرشاقة والعذوبة ، والفخامة والسهولة ، وأن يكون المعنى ظاهرا مكشوفا .

وأن يخلو من أن تكون الكلمة غير مؤدية نصيبها فى المعنى ، وغير دقيقة ، وغير واقعة فى مكانها من الجملة ، ومن أن تكون القافية غير مكملة معنى البيت الذى وضعت فيـه ، أو من طبيعة غير طبيعة أخواتها ، أو مضعفة لمعنى بيتها ، أو لا قيمة لها فى هذا البيت .

رابعا : وضع أساسا عنى به النقاد من بعده عناية كبرى ، وهو مراعاة أقـدار المستمعين وأقدار الحالات ، فقـد تطور ذلك إلى تعريف البلاغـة بأنها « مطابقة الـكلام لمقتضى الحال » ، وشرحوا ذلك « بأن مقامات الـكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ... ومقام التقـديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين

مقام الحذف ... وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى [1] » .

ولكننى أرى أساس بشر أوسع من هذا الإطار الذى وضعه البلاغيون ، لأنه يتناول ذلك ويتناول ما ينبغى أن يعرض من العناصر ، وما ينبغى أن يترك .

[١] الإيضاح للقزوينى : ٢٦ للطبعة المحمودية التجارية سنة ١٩٣٥ م .

خامسا : أكدت أن الأدب هبة وطبع ، وأن النص الأدبى قد يطيع الأدب الموهوب فى سهولة ويسر ، وقد يحتاج منه إلى معاودة عند النشاط وفراغ البال .

وسوف نرى أثر هذه الأفكار فيمن جاء بعده من الناقدين .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

(بقية المنشور على صفحة ٨٢٦)

مسلمون ، فإن لهم الحق فى تعلم لغة دينهم » .

وقد فرضت اللغة العربية فعلا على جميع الطلبة فى مدارس غينيا الابتدائية والثانوية من أول هذا العام الدراسى .

٨ — وهناك صيحة من بلاد أخرى بعيدة تؤيد رأينا وتزكيه ، وهذه الصيحة نادى بها مسيحى شرقى يقيم فى أمريكا .

فنحن نعرف جميعا كيف تسيطر الصهيونية على مشاعر الناس والحكام فى أمريكا . وفى مقاومة هذه الآفة وتصحيح الوضع بالنسبة للعرب ، وللحق والعدل والسلام أيضا ، يرى السيد جيمس عنصرة ، الرئيس التنفيذى للمغتربين العرب ، أن مما يجب عمله لإحباط ذلك وتوثيق الروابط بين المهاجرين العرب وأوطانهم ، اختيار أساتذة وإرسالهم لنشر الدعوة الدينية وتفقيه المسلمين فى أمور دينهم ، والمسلمون فى أمريكا الشمالية ثلاثون ألفا من بين نصف مليون عربى مغترب ، ثم يقول السيد جيمس إن الدعوة الدينية لها فعلها وأثرها فى النفوس .

هذا ما يقوله عربى مسيحى . عن أمريكا ومن فيها من المغتربين العرب المسلمين . فكيف بإفريقيا وشعوبها المبتدئة فى سلم الثقافة والمعرفة . . ؟

وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأحسن ، حين قال فى حديث له بإذاعة القاهرة : « إن حدود انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هى حدود انتشار الإسلام ، فمن العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ، الفصل أو الحجز بين الإسلام واللغة العربية » .

٩ — هذه الأوضاع والحقائق والآمال ، هى التى ترسم لنا السبيل وتضىء الطريق ونحن نتطلع إلى مستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة .

محمود الشرقاوى

جَريمة الزّنا
هل تحرّم المصاهرة؟

للأستاذ محمد سُعاد جَلال

١ ـ المذاهب :

مذهب أبى حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وقول ابن القاسم من المالكية أن من زنا بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها ، وتصير أصولها وفروعها فى التحريم عليه كأصوله وفروعه وكذلك العكس ، شأنها فى ذلك شأن الموطوءة بنكاح صحيح .

ومذهب الشافعى وأبى ثور وقول عبدالملك ابن الماجشون من المالكية وكذلك رأى ابن حزم ـ إلا فى موضع واحد سنذكره ـ أن الزنا لا يحرم شيئا وأن من زنا بامرأة فلا تحرم عليه ولا يحرم عليها أصولا وفروعا.

قال فى المبسوط (إذا وطىء الرجل امرأة بملك يمين أو نكاح أو فجور تحرم عليه أمها وبنتها وتحرم هى على آبائه وأبنائه) (١) .

وقال الشافعى فى الأم (فأما الزنا فلا حكم للزنا يحرم حلالا . فلو زنا رجل بامرأة لم تحرم عليه ولا على ابنه ولا على أبيه ، وكذلك لو زنا بأم امرأته أو بنت امرأته لم تحرم عليه امرأته . وكذلك لو كانت تحته امرأة فزنا بأختها لم يجتنب امرأته ولم يكن جامعا بين الأختين) (١) .

وقال ابن حزم فى المحلى: (ولا يحرم وطء حرام نكاحا حلالا إلا موضع واحد وهو أن يزنى بامرأة فلا يحل نكاحها لأحد ممن تناسل منه أبدا وأما لو زنا الابن بها ثم تابت لم يحرم بذلك نكاحها على أبيه وجده. ومن زنا بامرأة لم يحرم عليه إذا تاب أن يتزوج أمها أو بنتها، والنكاح الفاسد والزنا فى هذا كله سواء) (٢) .

وبمقارنة هذا النص بنص الأم السابق نتبين مخالفة ابن حزم للشافعى فى الموضع الواحد الذى ذكره . وهو حرمة مزنية الأب على فرعه . بل يخالفه فى التسوية بين الزنا والنكاح الفاسد .

قال الشافعى فى الأم: (وإن كانت الإصابة بنكاح فاسد احتمل أن يحرم من قبل أنه يثبت فيه النسب ، ويؤخذ فيه المهر ، ويدرأ فيه الحد ، وتكون فيه العدة ، وهذا حكم

---

(١) المبسوط جـ ٤ ص ٢٤ .

(١) الأم جـ ٥ ص ٣٢ .

(٢) المحلى جـ ٩ ص ٣٢ .

الحلال . وأحب إلى أن يحرم من غير أن يكون واضحا . فلو نكح رجل امرأة نكاحا فاسدا فأصابها لم يحل له عندى أن ينكح أمها ولا ابنتها ولا ينكحها أبوه ولا ابنه . وإن لم يصب الناكح نكاحا فاسدا لم يحرم عليه النكاح الفاسد بلا إصابة فيه شيئا من قبل أن حكمه لا يكون فيه صداق ولا يلحق فيه طلاق ولا شىء مما بين الزوجين) (١) .

وقال القرطبى (ومن زنا بامرأة ثم أراد نكاح أمها أو بنتها لم تحرما عليه بذلك) وقالت طائفة تحرم عليه . روى هذا القول عن عمران بن حصين . وبه قال الشعبى وعطاء والحسن وسفيان الثورى وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأى . وروى عن مالك أن الزنا يحرم الأم والإبنة وأنه بمنزلة الحلال . وهو قول أهل العراق . والصحيح من قول مالك وأهل الحجاز . أن الزنا لا حكم له . لأن الله سبحانه وتعالى قال (وأمهات نسائكم) وليس التى زنا بها من أمهات نسائه . ولا ابنتها من ربائبه . وهو قول الشافعى وابى ثور (٢) .

وقال ابن قدامة المقدس الحنبلى فى الشرح الكبير على متن المقنع : (ويحرم على الرجل نكاح ابنته من الزنا وأخته وبنت ابنه وبنت بنته وبنت أخيه وأخته من الزنا . فى قول عامة الفقهاء) (١) .

وقال فى المغنى : (إذا زنا بامرأة حرمت على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وبنتها كما لو وطئها بشبهة أو حلالا . ولو وطء أم امرأته أو ابنتها حرمت عليه امرأته (٢)) .

هذه خلاصة المذاهب الإسلامية فى المسألة. وإليك الاستدلال على كل مذهب .

٢ — الأدلة :

(ا) استدل الشافعى ومن وافقه على مذهبهم بالأدلة الآتية : —

أولا : بما روى عن ابن عباس أنه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عمن غشى امرأة . هل تحل له بنت امرأته . فقال لا يحرم الحرام الحلال .

وبما روى عن عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عمن اتبع امرأة حراما . أينكح أمها أو ابنتها فقال . لا يحرم الحرام . وإنما يحرم ما كان نكاحا حلالا .

وطعن فى سند هذا الحديث بوجود عثمان بن عبد الرحمن الوقاص ، وصفه يحيى ابن معين بالكذب .

وقال البخارى والنسائى وأبو داود ليس

(١) الأم جـ ٥ ص ٢٢ .
(٢) القرطبى جـ ٥ ص ١١٠ .

(١) الشرح الكبير جـ ٧ ص ٤٧٣ .
(٢) المغنى جـ ٧ ص ٤٨٢ .

بشئ ، وذكره عبد الحق عن ابن عمر . ثم قال فى إسناده إسحق بن فروة . وهو متروك الحديث . وحديث عائشة ضعف بأنه من كلام بعض قضاة العراق ، قاله الإمام أحمد ، وقيل من كلام ابن عباس .

ثانيا : استدلوا بقولهم أن وطء الزنا لا يترتب عليه حرمة المصاهرة . لأنها نعمة وكرامة . فلا تنال بالسبب المحظور وهو الزنا .

أما أن حرمة المصاهرة نعمة وكرامة . فلأن أصل ثبوت مطلق التحريم كرامة للإنسان . وارتفاع بقدره عن رتبة الحيوان . وكونها نعمة . فلأنها تلحق الأجنبيات بالمحارم . فيحل له النظر إليهن . والخلوة معهن والسفر بهن . وتلك من غير شك نعمة .

أما أن هذه النعمة والكرامة لا تنال بالسبب المحظور . فلما ثبت من وجوب المناسبة بين الحكم وسببه . فكما لا يقال . أكرم الجاهل وأعز العالم . لانتفاء المناسبة . فكذلك لا يصح أن يجعل الزنا سببا لتلك النعمة والكرامة لانتفاء المناسبة بينهما . ولذا قال الشافعى : « النكاح أمر حمدت عليه . والزنا فعل رجمت عليه فلا يستويان » .

ثالثا : قوله صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . فالولد الذى تثبت له الأحكام الشرعية من ثبوت النسب والنفقة والإرث والوصية هو من كان من نكاح شرعى . أما من كان من الزنا . فلا تثبت له هذه الأحكام . وإذن فلا يكون للبنت من الزنا . حكم حرمة المصاهرة قياسا على انتفاء سائر أحكام النسب فى جانبها .

(ب) واستدل الحنفية ومن وافقهم من الحنابلة وبعض المالكية بالأدلة الآتية :

أولا : بالكتاب . قال تعالى « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » . فإن المراد بالنكاح الوطء لأنه حقيقة فيه . وتقييده بكونه حلالا قدر زائد على النص . لا يثبت بخبر الواحد ولا بالقياس .

والدليل عليه . أن موطوءة الآب بملك يمين حرام على ابنه . فهذا إثبات أن المراد بالنكاح محض الوطء .

ثانيا : بالسنة . وذلك بما رواه ابن حزم عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن أم الحكم أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة كان زنى بها فى الجاهلية . أينكح الآن ابنتها . فقال عليه السلام : (لا أرى ذلك ، ولا يصلح لك أن تنكح امرأة تضطلع من ابنتها على ما اطلعت عليه منها) وفيه ابن أم الحكم .

وبقوله صلى الله عليه وسلم . من نظر إلى فرج امرأة لم يحل له أمها ولا بنتها . وفيه الحجاج بن أرطأة .

قال ابن حزم وابن أم الحكم مجهول والحجاج بن ارطأة هالك - وكلاهما مرسل. ولا حجة فى مرسل [1] .

وقال للكمال عن الحديثين . كلاهما مرسل ومنقطع . إلا أن هذا لا يقدح عندنا إذا كان الرجال ثقاة [2] .

ثالثا : بالمنقول من مذاهب الصحابة - رضوان الله عليهم - فقدى روى مذهب التحريم عن ابن مسعود وأبى بن كعب وعمران بن حسين وابن عباس بألفاظ مختلفة - ورأى الصحابى وإن لم يعتبر حجة عند الحنفية إلا أنه يقوى الرأى المطروح للنظر ويرجحه .

رابعا: قال ابن القيم فى زاد المعاد : (أجمعت الأمة على تحريم أمه عليه ، وخلقه من مائها . وماء الزانى خلق واحد . وإثمهما فيه سواء . وكونه بعضا له مثل كونه بعضا لها) .

قلت : يعنى فحيث امتنع بالإجماع تحريم ابن الزنا على أمه يمتنع تحريم بنت الزانى عليه لأن النسبة بين الزانية وابنها كالنسبة بين الزانى وبنته سواء بسواء .

* * *

٣ — النتيجة :

هذا عرض للمذاهب الإسلامية فى هذه المسألة وملخصها : أن الحنفية والحنابلة يتخذون موقفا واحداً فى القول بتحريم الحياة الزوجية ابتداء واستمراراً بسبب المخالطة الجنسية غير المشروعة وأن المالكية على بعض الخلاف بينهم والشافعية ثم الظاهرية الذين يمثلهم ابن حزم - باستثناء مسألة واحدة يذهبون إلى عكس ذلك . ولا يرون للمخالطة غير المشروعة تأثيراً على الحياة الزوجية .

والذى يترجح عندى الأخذ بمذهب القائلين بالتحريم تورعا وذهابا مع المحقق الكمال رضى الله عنه فى أن حكم الحرمة (هو الجارى على المعهود من الاحتياط فى أمر الفروج) . ولأن الأخذ بهذا الرأى يقف حائلا فى وجه مظاهر الاختلاط الشائنة فى الأوساط العائلية وغيرها حيث يحتمل أن يلتقى النساء بالرجال فى جو واحد . ويكون العمل به ، من قبيل سد الذريعة إلى ما هو محرم وضار ومخرب لكيان الأسرة والمجتمع .

٤ — تعليل محتمل :

نلاحظ أن الخلاف فى هذه المسألة وجد قديما بين الصحابة ثم التابعين ثم ظهر فى المذاهب الفقهية بعد ذلك . وتسنح لنا من وراء هذه الملاحظة خاطره ، وهى أن هذه المسألة تصلح أن تكون مثالا على تأثر الآراء الفقهية بالبيئة الإقليمية التى نشأت فيها . فنجد أهـــل العراق على القول بالتحريم

---

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٥٣٠ .

(٢) راجع الفتح ج ٢ ص ٢٦٦ .

واعتبار البنت من الزنا كالبنت من الحلال فى ذلك ، وهو ملحظ لا يخلو من اعتبار ، وأن أهل الحجاز يرون عكس ذلك ، وأن الزنا لا يحرم شيئا وأن المخلوقة من ماء الزنا مهدرة الحكم إهدارا ، كما أنه لم يوجد نقل قاطع فى هذه المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم . فما نقل من الحديث فيها غير صحيح ، منقطع ومرسل ومكذب بعض رواته ، كما صرح بذلك النقدة ، ثم صار مدار الترجيح فيها إلى أقيسة الفقهاء وآثار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقد نلمح من هذا أن بيئة العراق لما كانت بيئة مدنية متحضرة يشيع فيها عمل النزعات الفلسفية المتحررة والآراء الاجتماعية المرنة . حيث لا ينظر فى أمثال هذه البيئات للبنت غير الشرعية نظرة شديدة النفرة والقساوة ـ بعكس الحال فى البيئات البدوية ذات الطابع الصارم ، وتناول مسائل الحياة بأسلوب يغلب عليه العنف والحزم ـ وأن بيئة الحجاز لما كانت بيئة بدوية صارمة على النحو الذى وصفنا وكانوا ينظرون لفعلة الزنا بعنف واشمئزاز ويبتون المخلوقة من ماء الزنا بتا ـ نقول لما كان الأمر ـ فى اختلاف البيئتين من حيث الاعتبارات الاجتماعية والنزعات الفلسفية ـ على ماذكرنا ، فقد صدر كل من القولين قول أهل العراق وقول أهل المدينة والحجاز مصبوغا بلون البيئة التى نشأ فيها ، ثم قننته عبارات الفقهاء وأيدته أدلتهم بعد ذلك ، وهو أمر ملحوظ دائما فى التفاعل التشريعى بين البيئة والعمل القانونى .

محمد سعاد جلال

القلق الروحى هو أخص خصائص الإنسان الراقى ، لا تجده فى البدائيين ولا فى المستعبدين ولا فى المتبطلين ولا فى الذين يعيشون يوما بيوم ولا ساعة بساعة . لا تجده فى الموظف الذى قنع بوظيفته فلا يطمح ، ولا فى المتعلم الذى اكتفى بشهادته فلا يبحث . ولا فى المستكين الذى رضى بمهانته فلا يغامر . من « وحى الرسالة » .

مهرجان الشعر فى دمشق

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

فى الساعة السادسة من مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر بدأ المهرجان على مسرح معرض دمشق بكلمة بليغة للدكتور أمجد الطرابلسى أبان فيها أن الشعر الجديد بهذا الاسم هو ما عبر به صاحبه عن تجاربه ومشاعره تعبيراً قويا صادقا مؤثراً ، ومن ثم فلا ينبغى أن يقال هذا شعر قديم ، وهذا شعر جديد إلا حين يراد التاريخ الزمنى فحسب ، لأن الشعر فى جوهره خالد أبداً ، متجدد على الدوام . وكان ذلك رداً بليغاً على أصحاب الشعر الجديد الذين يزعمون أن شعرهم يتصف وحده بالتجديد والتطور ، على حين يتسم غيره بالتقليد والجمود ! ...

وأعقبت هذه الكلمة كلمة أستاذنا العقاد التى أوضح فيها أن الشعر يتجدد من سنة إلى سنة ، ولكن كما يتجدد الربيع عاما بعد عام وأن الشعر إذا تغير ، فإنما يتغير على سنة الحياة ، لأنه هو التعبير عن الحياة ، ويتغير على سنة الربيع المتجدد ، وهو على تجدده الذى لا ينقضى ، أعرق من التاريخ . وفى هذه الكلمة تحدث العقاد عن ذلك الحنين القوى الذى ظهر فى الشعر العالمى إلى مراجعة الوزن ، وإيثار الكلم المنظوم على الكلم المرسل بغير وزن ولا قافية . ثم استشهد على ضرورة القافية بما ورد فى الطبعة الأخيرة من الموسوعة البريطانية الكبرى ...

تقول الموسوعة فى فصل كتب عن القافية « إن قوانين القافية قد تصعب أحيانا كغيرها من القيود الفنية ، ولكنه ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذى تجلبه القافية إلى الشعر يفقد أثره على الأذن الإنسانية ، أو يتعرض لخطر من الأخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات أو النغمات أو مجرد الإيقاع ...

وهكذا حسم الأمر فيما يدعيه أصحاب الشعر الجديد .

وتلت ذلك كلمة الأستاذ شفيق جبرى التى تحدث فيها عن البحترى بمناسبة ذكراه حديثا لا مجال للكلام عنه الآن ، لأننى سأفرد مقالا خاصا أتحدث فيه عن الأبحاث التى ألقيت فى المهرجان عن شاعرنا البحترى ، من كبار الكتاب ، وأساتذة الأدب .

وتتابعت القصائد فى هذا اليوم وفى سائر الأيام . وسنتحدث عنها فى هذا المقال حديثا عاما مجملا ، لأن دراستها دراسة تفصيلية تحتاج إلى عدة مقالات ، إن لم نقل إنها تحتاج إلى كتاب .

وأول ما نلحظه فى هـذه القصائد جاءت كلها منظومة على النحو المألوف فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، ولم يكن بينها قصيدة من طراز الشعر الجديد ، وقد اتسم الكثير منها برصانة التعبير ، وجدة التفكير ، وجمال التصور .

وكان أغلب شعر المهرجان يدور حول المعانى التى تتصل بواقعنا المشهود ، ومستقبلنا المرتقب ، وتنزع إلى حضارتنا التليدة ، ومجدنا القديم . ولا عجب فى ذلك . فإن الأحداث التى عاصرناها ، والمبادىء التى تبنيناها ، والمجتمع الذى نبنيه على أسس تحقق مجد العروبة ، وكرامة الإنسان ... كل أولئك كان له صدى بعيد وتأثير عميق فى نفوس الشعراء ، فتفجر شعرهم قوى التعبير ، بليغ التأثير ، واضح الغاية . وكم كنت أتمنى أن يشهد هذا المهرجان من يزعمون أن الشعر قد مات بعد شوقى وحافظ ؛ لأنهم يتلفتون فى المناسبات القومية ، فلا يجدون الشعراء الذين يقولون ولا يسمعون الشعر الذى يقال . كم كنت أتمنى أن يشهدوا هـذا المهرجان ليعلموا أن الشعر بخـير ، وأن الشعراء موجودون . ولكن أين المنابر التى من فوقها ينشدون ؟ وأين وسائل النشر التى تنشر لهم ما يريدون ؟ ...

والذين يثيرون الغبار حول المهرجان إنما يفعلون ذلك لأن القائمين على مهرجان الشعر لم يعترفوا بشعرهم فيسمحوا لهم بإنشاده فأحنقهم ذلك وأثار غيظهم ، كما أحنقهم وأثار غيظهم أيضا ما ظفر به الشعر المنظوم فى هذا المهرجان من إقبال الجماهير ، وتقدير الصحافة . ولأنى أريد أن أكون صادقا مع نفسى ومع الناس صريحا فى مقالى وموضوعيا أيضا . أذكر أن بعض القصائد التى ألقيت فى المهرجان كانت دون المستوى الفنى اللائق به ، وقد كان من الأولى استبعادها ، ولا ينبغى أن يجامل بعض الأشخاص أو بعض الأقطار على حساب الشعر ، وقد علمت أن بعض الشعر قد ألقى فى المهرجان دون أن يعرض على المختصين !! ...

والآن لنستعرض معاً أيها القارىء بعض ما أنشد من الشعر فى هذا المهرجان .

لقد أقيم المهرجان فى دمشق الفيحاء ، فكان من الملائم أن يتغنى الشعر بجمالها الرائع . ومجدها الخالد ، وحضارتها الزاهية ...

هذا رامى ذو القلب الفتى الشاب يصور

شوقه وحنينه إلى دمشق وأهلها فيقول ، وما أجمل ما يقول :

طال شوقى إلى ربا قاسيون
وهفا بى إليه فرط حنينى
غبت عنكم حولا ، وما غاب عنى
ما شجا خاطرى ، وشاق عيونى
من حديث أندى من الزهر فى الفجـ
ر إذا رف تحت ظل الغصون
وصفاء يشف عن كرم النفـ
س ، وينبى عن الإخاء المتين
ووفاء تمضى الليالى ، وتبقى
صورة منه فى إطار السنين

ثم يصف جمالها ، ويتحدث عما فيها من الفتون ، حديث المتيم المفتون فيقول :

ما أحيلاك يا دمشق ! وأبهى
كل ما فيك من ضروب الفتون
جنة تبهر العيون ، وواد
ضاحك الظل ، هادر بالعيون
زينت جيدها عقود من الغد
ران سالت باللؤلؤ المكنون
كلها عذبة الخرير على حسـ
ن اختلاف فى غنة ورنين

وهذا صالح جودت شاعر الرقة ، يناجى « بردى » مناجاة المحب الوامق ، فيقول :

فديتك يا « بردى » ما جريت
تغنيت بالحب إذ تهـدر
تحب عيونك سحر العيون
وتحسد رونقك الأخضر
على درجاتك طال الربيع
وطاب بك الصحب والمعشر

ثم يلتفت إلى دمشق ، فيخاطبها بهذه الأبيات :

أجل .. ذاك موسمنا يا دمشق
وفيه خريفك يخضوضر
وأنت إذا لم تكونى الجنان
فإنك من روحها عبقر
مشينا إليك مع المهرجان
خطى المؤمنين إذا كبروا

ويختم قصيدته بأبيات يحيى فيها ثوارنا الأحرار ، ويشيد بالمبادىء التى آمنوا بها فى مجال الحياة ، فيقول :

رعى الله من قومنا فتية
مشوا للجهاد فما قصروا
أقاموا الحياة اشتراكية
يعز بها الكادح المعسر
وسنوا شريعتهم فى الحياة
وقالوا هو الحلف والمحور
وما أمنوا للألى أيمنوا
ولا آمنوا بالألى أيسروا
ولكن تلاقوا على وحـدة
ينادى بها الثائر الأسمر

والشاعر كامل أمين الذى اشترك فى معركة

فلسطين ، ونقل جرحها إلى دمشق يتحدث عن هذه الذكريات حديثا يمتزج فيه الألم بالاعتزاز فيقول :

كبرت لله لما عدت ثانية
أقبل الأرض تحى قبلة الظامى
هذى مساحب قلبى بعد عودته
من المهاجر يندى جرحه الدامى
فلول جيش وأعلام ممزقة
كصعدة الرمح ، أو أشلاء ضرغام
وحفنة من بقايا كل صاعقة
فى الحرب ، أطلقها رام على رام

إلى أن يقول :

دمشق يا وطن الأفلاك ، يا وطنى
يا وحى شعرى وتاريخى وإلهامى
حسبى أراك ، ولو ملكت أجنحة
مستك عينى ، وما داستك أقدامى

والقومية العربية لها فى نفوس الشعراء أسمى مكانة ، وأرفع منزلة ؛ فهى عقيدتهم التى بها يؤمنون ، وعنها يناضلون ، وهى سر قوتهم ، ومبعث عزتهم ، ومنارهم الذى يضىء لهم طريق المجد ، ويهديهم سبيل الخلود ، فلا عجب أن يتغنوا بها فى المهرجان ، غناء يبقى على مر الزمان ... يقول الشاعر عبد الله يوركى فى قصيدته « الوحدة » :

يا أخى ، يا أخا العروبة هيا
قم نعانق رجاءنا البساما
قم نوحد بلادنا ، قم نحطم
وثن البغى ، قم نهز النياما
لست منى ، ولست منك إذا لم
نتعاون عقيدة وحساما
القوى القوى يحيا سعيدا
وأخو العجز يلعن الأياما
لا تخف مدفع العداة ، وأقدم
فالمنايا تخشى الفتى المقداما
كل جرح أصاب صدر أبى
شع فى صدره الجريح وساما

أما أبو سلمى ، فهو يريد أن يرى القومية العربية حقيقة مجسدة ، فى أمة موحدة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا دالت دولة الاستعمار فى كل أرض عربية ، ولذلك نراه يصرخ فينا صرخته القوية :

لا تقولوا قومية ... وبقايا
قومكم فى الكهوف دون جناح
لا تقولوا ترابنا عربى
بعد ما دنسته دنيا افتضاح
تتغنون بالبطولة والأنجم
تبكى على الحمى المستباح
لا تقولوا عروبة ، وفلسطين
ن تنادى : متى يفك سراحى ؟

فليسمع ذلك أولئك الذين جعلوا إسرائيل تقيم الأفراح ، وتعلن البشائر ، وتحول نهر الأردن !

وهذا شاعر الجامعة العربيـة محمد النهامى يخاطب أبناء العروبة فى قصيدته البليغة ، فيقول :

بنى العروبة ، نحن الكل، وحدنا
ماض عزيز ويوم حافل وغد
بغداد إن مسها وجد وأرقها
فنحن ، نحن الألى نشقى بما تجد
عمان إن عز فيها بعض ما طلبت
فمن عزيز دمانا الغوث والمدد
وتلك تونس نادت فاستجيب لها
يفديك تونس منا المال والولد

ثم يذكر فرقة العرب التى كانت سببا فى ضياع فلسطين ، ولن تظل ضائعة ، وفى قيام إسرائيل ، ولن تبقى قائمة :

لو يشعرون بما جرته فرقتهم
لو يشعرون لما قرت لهم كبد
لو يذكرون فلسطين التى ذهبت
لو يذكرون لولىَّ الصبر والجلد
الأهل فى دارهم باتوا على دعة
وأصبح الصبح لا أهل ولا بلد

وإذا تحدث الشعراء عن القومية العربيـة حديث الفخر والاعتزاز ، فإن من طبيعة الأشياء أن يتحدثوا عن رائدها فى عصرنا الحـديث ، وباعثها فى حياتنا الحاضرة جمال عبد الناصر ، فلنستمع إلى الشاعر عامر بحيرى فى قصيدته الحافلة : « مواكب الشعر » :

صدر هذا الزمان كالزمن السا
لف عهد من العلا والبطولة
عجبا للزعيم يبعث فيـه
مثلما يرسل الإله رسوله
قام فى أهله جمال ، فأغلى
شعبه المنتقى ، وشرف جيله
بعث العرب بعد سجن وقيد
لحيـاة عريضة مستطيلة
قد عرفناه صامدا وشجاعا
وفتى عزة ، وداعى رجولة
صافحته قلوبنـا خافقات
واستباحت عيوننا تقبيله

ولنتأمل ما يقوله الشاعر صلاح الدين كديمى فى قصيدته « قصة العروبة » :

يابانى المجد فى آفاق أمته
بما يحقق من نصر على النوب
أقصيت عن أرضها ظل الغزاة ولم
تجنح إلى فشل فيه ، ولم تخب
يرعاك من عرشه رب السماء بما
يزجى من العون عن بعد وعن كثب

ولعلك تسأل أيها القارىء : وأين فلسطين فى هـذا المهرجان ، وهى حافزة الهمم ، وملهمة الشعراء ؟ فاسمع صرخة عبـد الله شمس الدين :

مهلا فلسطين ... ارقبى
ركب السنا وترنمى

ليل الهوان قد انطوى
من أفقك المتجهم
قد جاء « ناصر » بالصبا
ح يزفه لك ، فابسمى
وترقبى يوم الخلا
ص على يديه ، واسلمى

ثم أنصت إلى عزمى الدباغ ، وهو يتمنى العودة إلى موطنه الحبيب :

يا صاحبى هلا أعود لموطنى
والعود مطلب أمتى ورجاها
وطنى فلسطين الجريحة سعرت
زفرات قلبى من لهيب نواها
منحته آية مجدها ، فبدا له
عز الحياة فهام فى ذكراها

ثم يهتف فى عزم وقوة :

سنعود رغم الغاصبين لأرضنا
والثأر غاية ثورتى ومناها

وكان الحديث عن اللاجئين موضوع قصيدتى الشاعرين الشابين عبد المنعم عواد ، وفتحى سعيد ، وقد فاز الأول بالجائزة الثانية وفاز الثانى بالجائزة الثالثة فى المسابقة التى عقدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بين الشعراء الشبان ممن يقل عمرهم عن ثلاثين عاما .

وهل يستطيع الشعر أن ينسى الجزائر ، وهى أرض البطولة ، وموطن الكفاح ، وقصة التضحية والفداء ؟ هذا صالح الخرفى الشاعر العربى الجزائرى ينادى رفاقه المجاهدين فى كل أرض عربية :

أيها الزاحفون زحف المنايا
فى ذرا « أطلس » الأشم المصابر
فى ربا «ميسلون» فى « الجبل الأخ
ضر » فى ضفة « الخليج » المغامر
أيها العائدون عودة زحف
عربى الخطى ، أبى المشاعر
أنتم المجد والخلود ، وأنتم
مهرجان انطلاقنا ، والمنابر
لست أخشى على العروبة شرا
ما تبقى فى جبهة العرب ثائر

وهذا صاحبه معزى زكريا يتحدث عن تضحيات الجزائر ، وعن الخطوب وأثرها فى إنهاض الشعوب فيقول :

وفى الجزائر أشلاء ممزقة
راحت عن العرب قربانا وغفرانا
الشرق فى الخطب طارت عنه سكرته
لولا المصاب لظل الشرق سكرانا
قد كان ما كان - والأيام موعظة -
يا ليت ما كان قبل اليوم ما كانا

ولم يكن شعراء الجزائر وحدهم فى هذا المجال ، فهذا أستاذنا على الجندى يسخر من ديجول سخرية مرة موحية ، ويصوره تصويرا هزليا بليغا لموقفه من الجزائر المناضلة فيقول:

قل لديجول ، وبعض القـ
ول للمرضى شفاء
أنت عرقوب فرنسا
والعراقيب سواء
أجوف كالطبل مشرو
جا على بعض الهواء
ذاهب فى الجو كالنخـ
لة من غير غناء
قامة تحبو على الأر
ض ، وأنف فى السماء

وقد احتفل المهرجان بذكرى البحترى شاعر الشام ، فأسهم الشعراء فى هذا المجال بقصيدة للأستاذ الكبير محمود غنيم يقول فيها :

حين غنت دمشق شعر الوليد
قالت الطير : يا دمشق أعيدى
رددى يا دمشق لحنا وعته
أذن الدهر منذ عهد عهيد
شاعر أعجز الفحول بشعر
سلس طيع ، عصى عنيد
شاعر ، بل مصور ، بل مغن
ما قوافيه غير أوتار عود

وبقصيدة للشاعر المجيد العوضى الوكيل ، يصف فيها شعر البحترى ، وصفا جميلا صادقا كما فعل صاحبه غنيم ، فيقول :

على شعره وسم الشآم وسحره
أفانين من سحر تحير رائيها
إذا وصفت حسن الربيع شهدته
وأزهاره قد فتحتها قوافيها
أليس بها من جنتيه مشابه !
وما أصدق الأشعار وصفا وتشبيها

وكما هاجم العقاد فى نثره الشعر الجديد هجوما عنيفا ، فقد هاجمه الشعراء فى شعرهم مثل هذا الهجوم ، وكان أولهم صالح جودت حيث يقول عن أصحاب هذا الشعر :

يقولون جاءوا بشعر جديد
يعيب القديم الذى نكبرُ
تفاعيلها يزدريها الإطار
ومبناه تنكره الأبحر
وأبياته كضمير اليهود
تطول مع الزيف أو تقصر

إلى أن يقول :

وما الشطرتان سوى المقلتين
وفاقد إحداهما أعور

ثم جاء الشاعر الجزائرى معزى زكريا ، فقال عنهم :

وعابثين أرادوا الشعر مهزلة
فأزعجوا برخيص القول آذانا
تنكروا للقوافى حين أعجزهم
صوغ القوافى ، وضلوا عن ثنايانا
قالوا: جمود على الأوضاع وزنكم
فشعرنا الحر لا يحتاج أوزانا

فأين من جرس الإيقاع خلطكم
ما الشعر إن لم يكن دسوقا وأغصانا،
وكيف ؟ هل خلد التاريخ شخصكم
مهما تفنن إخراجا وإتقانا ؟
وما عسى تنفع الإسفاف مطبعة
تضفى الدمقس على الأموات أكفانا

واختتم الهجوم محمود غنيم بهذه الأبيات البليغة :

هل درى البحترى أن أناسا
بعده شوهوا جمال القصيد ؟
قد جزينا على ارتكاب الخطايا
بأناس جاءوا بشعر جديد
زعموه حرا، ورق الجوارى
بعض أوصافه، وذل العبيد
عصبة تحسب القوافى غلا
وتعد الأوزان بعض القيود
لهم الله، كل عىّ لديهم
مظهر من مظاهر التجديد
ما أراهم يلقون شعرا، ولكن
يحصبون الأسماع بالجلمود
إن يكن طابع العروبة فى الشعر
جمودا، فمرحبا بالجمود

وقد اشترك فى مهرجان الشعر شاعران من شعراء الشعر الجديد، هما حجازى وعبد الصبور، فأما أولهما فلم يلق قصيدته لظروف لا محل لذكرها الآن، وأما الآخر فقد ألقى قصيدة من الشعر المألوف، وقد وصفتها إحدى صحف دمشق بأنها قصيدة ضبابية لا مغزى لها، وهى تدل على أن صاحبها قد عجز عن صياغة الشعر المألوف، فهرب إلى صياغة أخرى يستطيعها كل إنسان، وإن لم يكن شاعرا خبيرا بالقوافى والأوزان. ولست أدرى كيف اشترك الشاعران فى المهرجان بشعر مألوف، وهما ينكران هذا الشعر ؟ أتراهما تخليا عن مبدئهما فى الشعر نظير رحلة إلى دمشق، وإقامة فى «سميراميس»! الحق أننى كنت أفضل - حرصا على مبادئهما - ألا يشتركا فى المهرجان، ما دام المشرفون عليه لا يعترفون بشىء اسمه الشعر الجديد.

ولا أستطيع أن أقول إننى قد قدمت للقارىء صورة كاملة لهذا المهرجان إذا أنا لم أعرض نماذج من شعر الشاعرات اللائى شاركن فيه، وقبل عرض هذه النماذج يقتضينى الإنصاف أن أذكر أن شعرهن قد بلغ مبلغا من التجويد يستحق الإعجاب والتقدير، ويُحمد قائله شاعرا كان أو شاعرة. ويقتضى الإنصاف أيضا أن أقول هنا وأنا مطمئن لما أقول : إن فى عصرنا الحديث شاعرات يقفن فى مجال الشعر جنبا إلى جنب مع غيرهن من الشعراء. والعجب أن هؤلاء الشاعرات قد أبدعن شعرا قويا فى الموضوعات القومية . شعرا اختفت منه سمات الرقة الأنثوية، ليحل

مجلها مثل زئير الأسود ، وزمجرة الأعاصير !
ولكنى سأكتفى بما سجلته من شعر الرجال ، فى هذا المجال ، وسأعرض هنا من شعر النساء لونا من الشعر يدل على مقدرتهن الفنية من جانب ، ويوضح ظاهرة شعرية تجلت فى المهرجان من جانب آخر ، ذلك أن بعض ما أنشد فى المهرجان لم يكن يصور مشاعر عامة فى موضوعات قومية ، وإنما كان يصور مشاعر خاصة فى تجارب ذاتية . ومن هذا الشعر الذاتى سنأتى بألوان من شعر شاعراتنا المجليات .

هذه قصيدة « من وحى الزهور » للشاعرة شريفه فتحى . تربط فيها بين ألوان الأزهار، وما تثيره هذه الألوان فى النفس من خواطر وأحاسيس ، فتقول :

إن كانت الأزهار ذات معان
أو فسر الإحساس بالألوان
كان البنفسج آهة الأشجان
أو أنة الشكوى من الحرمان

* * *

والياسمين بطهره المأثور
فوق النحور كلؤلؤ منثور
وعلى الخمائل كالبنات الحور
ترنو إليك بأعين وثغور

وتبدو المحبة العميقة المتبادلة بين الفتاة وأمها فى شعر روحية القلينى حين تقول :

من وحى قلبى ، من تألق ذاتى
من نبع وجدانى سرت دعواتى
يا رب صن أمى وسر سعادتى
يا رب ، واحفظها بحق صلاتى
هى بسمتى، هى نظرتى، هى مؤنسى
هى مرشدى فى أحلك الظلمات

وحين تقول :

إن غبت عنها أرهفت من سمعها
وتعرفت بين الخطا خطواتى
فإذا حضرت تظل توسع جبهتى
قبلا كأنى غبت من سنوات
وإذا شكوت لها الحياة تجيبنى
لوذى بإيمان وفرط أناة
وثقى بربك يابنيتى إنه
يرعاك فى الروحات والغدوات

وهذه عزيزة هارون تشفق من فراق صديقتها ، فتهتف بها قائلة :

لا تبعدى . . . إننى
أخاف من وحدتى
وعالمى واسع
أكبر من مهجتى
ودمعتى نسمة
تنساب فى بسمتى
إن تبعدى ، إنها
تحرقنى . . . دمعتى

وأستطيع الآن أن أقول إننى قد أعطيت

صورة صادقة ، وإن تكن صغيرة ، لما ألقى فى المهرجان من شعر قومى عام ، أو ذاتى خاص . وقد رأى القارئ أن هذا الشعر فى مجموعه شعر رائع يدل على أن الشعر بخير ، وأن الشعراء موجودون .

وبقى أن أسجل إعجابى الشديد بما لمسته عند إخواننا السوريين من تقدير للشعر ، وإقبال عليه ؛ فقد كانت قاعة المهرجان تغص ، على سعتها ، فى كل يوم بالآلاف المؤلفة من الجنسين ، على الرغم من أن الدعوة كانت خاصة ! ولو أنك شهدت فضليات السيدات ، وكرائم الآنسات ، وهن يملأن قاعة المهرجان ، لخيل إليك أنهن قد أقبلن لسماع أم كلثوم فى أغنية من كلمات رامى ، ولحن من ألحان السنباطى ، أو لشهود هزلية مما يمثل فى القاهرة على مسرح الريحانى . ولقد كنت أجلس ذات يوم قريبا من سيدة معها ابنتاها ، وكان المتحدث عن البحترى يتمثل بأبيات من شعر المتنبى ، فأشهد أنى سمعت الأم وابنتيها وهن يسبقن المتحدث فى الإنشاد ! فاسألوا كم سيدة من سيداتنا تصطحب بناتها إلى مهرجان يقام للشعر ، وكم سيدة أو آنسة من غير المشتغلات بالشعر والأدب تعرف من يكون المتنبى من بين من خلق الله أو ما خلق الله ؟ .

وظاهرة أخرى تدل على حب السوريين للأدب ، وتقديرهم للأدباء ، وذلك أنهم ما كادوا يعلمون بحضور صاحب الرسالة أديبنا العربى الكبير الأستاذ الزيات ، حتى توافدوا عليه مرحبين أجمل ترحيب ، ومثنين أعظم ثناء ، فكان مجلسه ندوة من ندوات الأدب ، ومظهراً من مظاهر العروبة ، وكان الجميع يتحدثون عن الرسالة الغائبة حديث الحب والشوق والإعجاب ، ويسألون : متى تعود إلى مكانها فى طليعة المجلات . وقد ظل شاغراً منذ فارقته ، ومازال ينتظرها حتى الآن ؟ .

وكان من المقرر أن يستمر مهرجان الشعر والاحتفال بذكرى البحترى حتى مساء الخميس الثامن والعشرين من سبتمبر ، ولكن فى الساعة الاولى من صباح هذا اليوم أعلنت الخيانة عن نفسها ، وكشر الغدر عن أنيابه ، وقامت الحركة الرجعية ، بدعوتها الانفصالية فرأينا مظاهرة هزيلة مأجورة تجوب شوارع دمشق ، وهى تهتف هتافات رعناء تكشف حقيقة من يسيرون فيها وتفضح نوايا من سيروها . وما يكاد النهار يتقدم حتى تغمر دمشق مظاهرات جارفة ، تضم الألوف من الشعب رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، وهم يشقون عنان السماء بالهتاف للوحدة والإشادة بجمال . وأشفق قادة الحركة على أنفسهم من الهزيمة ، وعلى حركتهم من الإخفاق ، فأصدروا الأوامر بقمع المظاهرات وسرعان ما غمرت الدبابات والمصفحات شوارع دمشق

(البقية على صفحة ٨٥٩)

شمس تغيب
صفحة من كفاح أديب كبير

للأستاذ محمد رجب البيومي

اهتزت الدوائر العلمية والأدبية لنبأ موت الأستاذ محمود الخفيف فجأة وهو يؤدي واجبه في مدرسة الإبراهيمية الثانوية ، ولم تقم الصحافة اليومية بما كان ينبغي لرجل خدم الثقافة . وعمل في الصحافة . وكان أنموذجا حيا قويا سليما للمصلح الأديب المؤمن المتدين .

كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة في دنيا الأدب والفكر ، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع ، أو تكشف حقيقة مطموسة ، وإذا أردت سمة بارزة لأدبه ، فتلك هي البطولة ، بطولة الرأي حين يواجه بحقه الساطع فلول الباطل فيقهرها في اعتزاز ، وبطولة الفكر حين ينزع إلى القمم الشامخة في دنيا الإنسانية ، فيرفرف في أجوائها ، ويستلهم منازعها وأهواءها ، وبطولة اللفظ حين يؤثر التركيب الحر ، والتعبير الموحي المشع ، فيعرضه في موكب من البلاغة العالية ، وبطولة الإحساس حين يتجه إلى تصوير أدق منازل الضمير الحي ، وأرق خلجات الروح المتوثب ، وأخفت همسات الشعور النبيل في شعر صاف ينحدر كالماء !! لقد كان الرجل مؤرخا وكاتبا وشاعرا ، وفي كل ناحية من نواحيه يستفيض القول ، ولن نقدر على استيفائه إلا باقتضاب طائر يهدي الكتاب !! إلى آثاره ، ولعلهم يطالعون .

ترك الأستاذ الخفيف في سجل التاريخ مؤلفات حية خالدة ، لأن الكاتب لم يعمد إلى بعض الحوادث التاريخية ليؤلف منها كتبا مكررة ، مختلفة الأسماء فقط ، كالتي تملأ رفوف المكتبات ، ولكنه كان مخلصا أمينا في تحقيقه ، فقد نظر إلى مواضع الخطأ المغرض ، والاتهام الزائف ، فجعل منها مضمار تفوقه ، وميدان تبريزه ، متعرضا في سبيل ذلك إلى خصومات قاهرة عنيدة ومتحديا بها سلطات طاغية رهيبة ، تعمل على تلبيس الحق بالباطل ، وتتخذ لذلك من بعض الأقلام مطايا عليلة الضمائر ، مريضة الإيمان فتركبها ببريق المنصب ، ووهج الذهب ، لتفترى بها على البررة من زعماء الأمة ما يطمس صحفهم البيض !! ثم لا تقتصر

الخيانة النكراء على هؤلاء الزعماء بل تتعداهم إلى الأمة المسكينة فيصفونها بالغفلة والانحطاط وقد ألقت زمامها فى أيديهم ، واستجابت إلى هواتف الوطنية ، ونوازع الكرامة والإباء .

ماذا كان التاريخ يقول عن أحمد عرابى قبل أن يخط عنه الخفيف مؤلفه الجرىء ؟ ! كان أكثر الناس يظنون بوحى من هذه المطايا المسخرة فى الصحف والمؤلفات أن الزعيم الأبى مثال الحمق والنزق والرعونة ، وأنه السبب الأول فى الاحتلال والهزيمة فلولا ثورته ما أتت انجلترا إلى مصر !! ثم يزيدون فيصفونه بالجهل والدروشة وحب المجد الشخصى ، بل يصمه كثير منهم بالخيانة - خيانة وطنه لا توفيق - ! ! حتى أن أعظم قادة الأمة من الكتاب والشعراء قد انساقوا إلى هذا البهتان ، فأحمد لطفى السيد يزعم فى الجريدة أنه قام بثورة لا داعى لها ولا قيمة ! وشوقى يرسل القصائد المخزية فى سب العصاة والمرقة الثائرين ! ولك أن تتصور بعد ذلك ما يقوله الأذناب والأبواق! ومن يجرؤ على أن يثبت للزعيم حسنة شفعها بعشرات المآخذ ! وشبح القصر يلوح لعينيه فى كل كلمة تقال ، حتى جاء الخفيف فى سطوة فاروق وطغيانه فسطر كتابه الوطنى لينصف به البرىء النزيه ! فإذا عرابى البطل المعلم المفترى عليه ، وإذا الأمة تسترد كرامتها وتغسل عنها وضر الجهل والغفلة حين تابعت هذا البطل عن يقظة واختبار ، وقد شرحت فى عدد شوال سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر كيف قامت السفارة البريطانية وقعدت لمواجهة الخفيف انجلترا بما أسلفت من خيانة واعتداء ، وكيف زجر القصر وغضب الأمير على مجلة الرسالة فأوقفها بسلطة الحكم العرفى سلسلة البحث المتصل ! حتى أتيح له أن ينشر كاملا فى مجلد ضخم خاص ! وعرف الناس عرابيا على حقيقته طاهر السريرة ، مخلص العقيدة رائع الزعامة عظيم الدفاع ! .

لو لم يكن للباحث المؤرخ غير هذا العمل البطولى الضخم ، لكان فى طليعة المفكرين الأحرار ولكن له معه أعمالا مجيدة هادفة ، كانت مع دقتها العلمية ذات وحى وطنى رائع ، إذ أن القلم الذى حشد جهوده لدرء النسبة الشنيعة عن وطنه المصرى ، فى شخصية زعيمه أحمد عرابى ، قد شاء أن يفتح عيون بنى قومه على آفاق جديدة تشرق بالحرية وتهب منها نسمات الكرامة والاستقلال ، حين كتب مجلدين كبيرين - لأول مرة فى اللغة العربية - عن سيرتى ابرهام لنكولن ، وتولستوى ، وهما يختلفان نشأة ، ونبوغا فالأول عصامى باسل أنضجته نار الحرمان والفاقه ، ولكنه شق طريقه

إلى الزعامة متسلحا بمواهبه الشخصية ومكافحا شتى أعاصير الرجعية والاستغلال والعنصرية حتى استطاع أن يسعد الإنسانية بعامة، حين عمل على تحرير العبيد، وتحقيق المساواة العادلة فى معشر يتهارشون على الغنائم المغتصبة والذهب المتجمد من عرق الكادح، وجهد الزنجى وبؤس العبيد، فكان بحياته المكافحة علما من أعلام الحرية ودرساً ناجحا للكرامة يجب أن يعلمه قارئو العربية لينهض من بينهم من يعتنق مبادئه فيذود عن حوضه ويحمى حمى أجداده !! هذا لنكولن ؛ أما تولستوى فقد نشأ أرستقراطيا يحمل لقب الكونت ويتقلب فى أعطاف النعيم والدعة والجاه، ثم نأى عن طبيعة طبقته، فعشق المعرفة والثقافة، ووهب الإحساس الرحيم والشعور النبيل، فانقلب إلى زاهد مصلح وكاد بمبادئه أن يكون نبيا، إذ تنازل عن ضياعه الشاسعة لذوى الفاقة والكدح من عبيد الأرض، وخدم السادة، وعاش عيشة الفلاح المسكين، والزاهد القانع وقد اجتاحت نفسه عواصف مدمرة من الشك المقلق، والسهد الثائر، فانقطع بنفسه قرابة عشر سنوات للتفكير فى الدين والبشر، ونفض يديه من الأدب والإبداع حتى اتجه زورقه إلى ساحل الإيمان بعد أن حاول من الريب الحالكة أمواجا ذات بطش وجبروت، وصار الفيلسوف بزهده وإيمانه وأدبه من ذوى الرسالات الخالدة فى دنيا البحث والإصلاح، ومثله فى أهدافه الرائعة جدير أن يكون درساً آخر لقراء العربية كلنكولن سواء بسواء !! وفى اعتقادى أن الذين قرءوا كتب الخفيف الثلاثة عن عرابى وتولستوى ولنكولن قد وجدوا فيه مؤرخا من طراز نادر فهو مع حرصه على الحقائق وتتبعه المنهج العلمى فى البحث والاستنتاج، ذو أسلوب مشرق ينفح بشذى الإبداع، ويزرع فى صحراء الحقائق ورودا زاهية من الصياغة الفنية والإلهام العبقرى، حتى ليخيل إليك وأنت تطالع آثاره التاريخية أنك تتابع قصة مؤثرة لا أنك تقرأ بحثا قامت معالمه واستوت مناحيه، !! وبعض النقاد يظنون بين التاريخ والأدب مجافاة منكرة، فلا يرحبون بجهد على يتشح بمطارف الأدب، وقد تعرض إنتاج الخفيف لبعض المآخذ الموهومة حين اتجه إلى تقويمه ناقد شهير هو الدكتور زكى نجيب محمود، فأخذ عليه فى بعض أعداد مجلة الثقافة شيئين هامين فى رأيه، أما أولهما فهو ما سماه ؛ اتحاد المدرك بالمدرك، وأما الثانى فهو تفكير المتمنى، وكلا المأخذين موجه بالذات إلى كتاب أحمد عرابى، وكأنى بالدكتور وقد لمس حرارة الدفاع وقوة العاطفة وروعة الصياغة فى أسلوب الخفيف، فظن فى ذلك

ما يجور على الحقيقة ، والرجل صاحب فلسفة لا تاريخ ، وكان عليه أن يعرف أن طبيعة الدفاع عن زعيم أمين يرمى بالخيانة عن مكر أثيم ، تقتضى هذا الإخلاص الحار ، وتدفع ذوى الجفاف والدقة أن يفيضوا ببعض مشاعرهم فى إيضاح الحق وقد تلاحقت حوله الستور والأسداف ، فالمدرك هنا لم يتحد بالمدرك حين بدد عنه كثيراً من الاتهامات ، ولكنه استعرض الحقائق الثابتة واستنطقها عن حصافة ويقظة ، فنطقت بفضل الزعيم وسموه ، وأخشى أن يكون الدكتور الناقد ممن يحتمون على المؤرخ أن يستعلى على مترجمه ، فيذكر نصيباً من مآخذه يضارع ما أسلف من محامده ، فإذا لم تكن لديه مآخذ تذكر ، اخترعها اختراعا لتتم عملية الإنصاف ، وقد بدد الأستاذ العقاد هذا الوهم حين قال فى مقدمة كتاب (عبقرية عمر ص ٥)

« فالناس قد تعودوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين ، أن يحبذوا وأن يقرنوا بين الثناء والملام ، وأن يسترسلوا فى الحسنات بقدر لينقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها ، ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها ، فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتميز ، عرض لى ذلك فذكرت قصة العاهل الذى تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوقة فى عقار يختلفان على ملكه ، فحكم القاضى للسوقة بغير الحق ليغنم سمعة العدل فى محاسبة الملوك » اهـ .

أما تفكير النبى فلا ظل له إطلاقا بين سطور الكتاب ، وهو مأخذ لو ثبت لنفى عنه صبغة البحث التاريخى ، ويكفى هنا أن نسجل شهادة أديبين كبيرين تمحوان ما قام بذهن الناقد عن تخمين وحدس لا عن بحث ويقين ، قال الأستاذ العقاد عن كتاب أحمد عرابى ، فى افتتاحية العدد (٧٧٩) من الرسالة .

« تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة الصحيحة التى ارتسمها المؤلف ، وثبت ظلالها وألوانها بالوقائع والأسانيد ، وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم ، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ، ودخائل تاريخها فى الجيلين السابقين . . . وليس تمحيص التاريخ المصرى ولا تمحيص الزعيم المصرى كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف ، فإن أساليب السياسة الأوربية والاستعمار الأوربى فى القرن العشرين بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير » .

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات عن الكتاب أيضا فى افتتاحية العدد (٧٣٤) من الرسالة .

« ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق ميزانا يأخذ به ويعطى ، فهو يروى بالنص

الصريح ، ويدعى بالدليل الناهض ، ويقنع بالحجة العالية ، ويستقرى فيحسن الاستقراء ويستنتج فيجد الاستنتاج ، ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى بتبرئة الجندى الثائر ، فسلسل الوقائع والفصول سلسلة المقدمات الصحيحة ، ثم خرج منها بالنتيجة التى لا موضع فيها للشبهة » .

الحق أن الخفيف باحث جرىء لولا قوة إيمانه بربه ، وصدق يقينه بوطنه ، ما أقدم على هذا العمل البطولى الممتاز ، ولو كان لدينا وعى حقيق لقيل ذلك وأكثر منه فى وداع الراحل العزيز .

وسأضطر معجلا أن أترك جهده فى الحقل التاريخى فلا أتناول بحوثه عن مزينى الإيطالى وبيرون الإنجليزى وميرابو الفرنسى وشريف والشرقاوى المصريين وعقبة بن نافع العربى لأتحدث عن جهده فى الكتابة والشعر فقد كانت كتابته الأدبية ذات وجهتين ذاتية وموضوعية ، والأولى تتجه إلى المجتمع المصرى اتجاها ناقدا فقد وضع الخفيف منظاره على عينه ، وطفق يبصر ما حوله من أوضاع مريضة فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعو إلى التسجيل . وكم كان يمض نفسه أن يشهد مواقف الرياء والملق ، ومواكب الغرور والادعاء ، ومظاهر التجبر والتسلط . فيشعر شعور الإنسان النبيل وينعكس شعوره فيما يكتب فلا تكاد تطالع موضوعا من موضوعات كتابه (من وراء المنظار) حتى تدرك ما يغمر حلق الكاتب من مرارة لاذعة ، والكتاب أشبه بقصص صغيرة متلاحقة تصور كل أقصوصة مشهداً من المشاهد المفاجئة ، فهذا وكيل نيابة يريد أن يعرف الناس سلطته القانونية وذاك مدير مصلحة لا يرضى بغير التذلل والخنوع من مرءوسيه ، وهم من حوله يبالغون فى انتشائه الموهوم ، وذلك شرطى جامد الإحساس يعامل الإنسان والحيوان معاملة تتحد فى القسوة والإذلال ! ! ومن الواضح أن أمثال هذه المشاهد المألوفة تراها العين العابرة فلا تتأثر بها غير لحظات محدودة ! ولكنها حين تصور بقلم كاتب كمحمود الخفيف تترك من الأثر مالا يمكن أن يزول دون عناء وتفكير ، لأن تسلسل الخواطر ، وتصوير الانفعالات ، وحتمية النتيجة ، تجسد لخيال القارىء مالا يجسد ، المشهد الواقعى ، ومن الطريف أن أحد فصول الكتاب يتحدث بإكبار سار عن رئيس فراشى المدرسة التوفيقية الثانوية إذ رأى فيه الكاتب على ضآلة وظيفته صورة للرجولة الحازمة ، والعزة المترفعة ، والكرامة الأصيلة مما افتقده فى مديرى المصالح الكبيرة ورؤساء الأعمال الهامة فلم يجد ظلا منه . فكان رئيس

فراشي المدرسة مثلا صالحا للاحتذاء ، وقد قلت إن كل مشهد من هـــذه المشاهد أشبه بأقصوصة فقـط ، ولـكـنه ليس بأقصوصة فنية ، ولا أدرى لماذا لم يشـأ الكاتب أن ينهج فى تصويره نهج القصة الأدبية ، مع قدرته التامة على ذلك ، إذ أنه قـدم لى فى بعض إنتـاجه بمجلات الرسالة والرواية والرائد قصصا مكتملة تحمل عناصر الأسلوب الروائى ، وإن كاتبا ملهما يجعل من التاريخ أدبا . لقمين أن يجعل من القصة عجبا ، ! وأستشهد هنا بقصته الرائعة (عفراء الغجرية) وأخواتها كثيرات ، كدليل على توفيقـه الفنى وإبداعه القصصى ، فقد أحكم المشاهد إحكاما لا تنقصه قراءة الخواطر ، واستشفاف النوازع . أما حلاوة التصوير وعذوبة التعبير فمالا يستغرب من شاعر موهوب ! ! أقول من يدرى لعله لم يشأ أن ينهج منهج القصة فى كتابه (من وراء المنظار) ليكون أدخل فى باب الواقعية المباشرة ، إذ أن القصة توحى إيحاء ظاهراً أو مستتراً ، أن الخيـال قد جمع بين حقائق متباعدة وربطها برباط يجعل واقعيتها متوقعة لا واقعة : أما المشهد المجرد فينطق بصدقه الصارخ دون ستار ، وهذا كلام قد يختلف فيه النظر لإيجازه المحتوم ، وليس هنا مجال النقاش ! ! .

أما الوجهـة الموضوعية لدى الـكاتب الأديب فتبدو فى دراساته الفنية للأدباء ، ومذاقه الوجدانى للقصائد ، وأصدق شاهد عليها دراسته الطويلة الممتعة للشاعر الحزين (ملتون) فقد تابع أدوار حياته متابعة يقظة ، وحلل عناصر شعره تحليلا بصيراً ثم خلص إلى مأساته الالهية ففهم عناصرها الفاجعة من انتاج الشاعر قبل روايات مؤرخيه ، ووقف لدى فردوسه المفقود موقف الشاعر من الشاعر ، فرأى مالا يرى الناقد المتقيد بحدود واصطلاحات ، ولا يزال ما كتبه الخفيف عن (ملتن) منسابا فى أعداد الرسالة الغراء دون أن يجمع فى كتاب ، وربما كان كتابه عن تولستوى صورة متقاربة منه فى المنهج والطريقة ، إلا أنه أدخل فى كتب الدراسات الأدبية من كتاب تولستوى التاريخى لذلك اعتبره مثالا الوجهة الموضوعية فى الدراسة التحليلية دون كتاب الفيلسوف .

ويطول بى العجب إذ أنظر إلى شعر الخفيف فأجده دون ما يستحق ذيوعا واشتهارا ، مع أصالة منهجه ، وصفاء نبعه ، ورونق تجديده وربما كان تعليل ذلك نبوغه فى أكثر من ميدان فإن الذين يتفرغون للشعر وحـده ينحصر اشتهارهم فى مجاله ، فيعرفهم القراء بقصائدهم وحدها ، أما سواهم من الـكاتبين الشاعرين فلا يجدون الالتفات الـكافى من القراء ، وإن سبقوا سواهم من المنفردين

جودة قريحة وفيضان عاطفة ، وخصوبة إنتاج ، ولن أذكر العقاد وحده فى مصر بل أذكر معه المازنى وفخرى أبا السعود وعبد الرحمن صدقى ، وطاهر الطناحى ، وزكى مبارك ومحمود الخفيف وسواهم من فطاحل المجددين ! على أن شعر الخفيف قد منى بشىء آخر ضاءل من روايته لسوء حظه وكان أحرى بذيوعه ، ذلك أنه متنوع الأوزان مختلف القوافى ، فشطوره تارة مجزوءة وتارة كاملة أو منهوكة فى القصيدة الواحدة ، وقد فاجأ الناس منذ ثلاثين عاما بهذا النوع المبتكر لحسب عليه لا له ، فأنت تقرأ مثلا قصيدة (على قبر زوجها) فتجد بها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وقوة النظرة ما يرفعها إلى مستوى مشرف ؛ ولكن اختلاف أشطارها بين كاملة ومجزوءة مع اختلاف القافية أيضا قد باعد بينها وبين النغم المألوف فى وقت كان فيه للشعر الكلاسيكى دعاته المثابرون ، وإذا كنا الآن قد ألفنا هذا التنويع وزنا وقافية بل طرأ علينا غيره مما لا ندرى بماذا نسميه ، وانطلق الدعاة له يلهجون به فى كل ناد وصحيفة فإن الخفيف حين نوع الأوزان منذ أكثر من ربع قرن كان يخطو الخطوات الأولى بعد وثبة المجددين الابتداعيين هذا من ناحية الشكل . أما من ناحية الموضوع فقد فتح الأستاذ للشعر العربى أبوابا رحبه حين أكثر من الروائع التاريخية فى أعداد الرسالة الممتازة فسجل بطولات محمد والحسين وجعفر بن أبى طالب وصلاح الدين الأيوبى وأحد شهداء فلسطين فى قصائد طويلة تبلغ إحداها ثلثمائة بيت مطرد النسق متدفق الإلهام ساطع الرواء . كما أن أشعاره الوصفية فى تصوير الطبيعة قد أخصبت الحقل الشعرى . ولقحت أشجاره بلقاح إبداعى جديد ، فالليل والبحر والفجر والحقل والحصاد والربيع والخريف والشتاء ، والصبارة الحزينة ، والشجرة العارية وما إليها من روائع المشاهد قد وجدت انطباعها الصادق فى مرآة الشاعر ، وظهرت على صفحات الرسالة تتخايل فى معارض زاهية من الرونق ، وكثيرا ما كانت تقرن بصور طبيعية لأشهر فنانى الطبيعة فى الغرب فيرى قارئ الرسالة اللوحة البصرية تجاور اللوحة الشعرية فى تعارف حبيب يدفع إلى الموازنة حينا ، والإعجاب الصامت حينا آخر ، ويخيل إلى أن مطران رحمه الله قد أثر فى اتجاه الخفيف نحو القصة الشعرية ، إذ حذا حذوه فى مثل قصائد وداع ، وعند الثلاثين ، وفى الطريق إلى يثرب مع الفصل التام بين العبقريتين ، فمطران عميق قوى تتخلل أبياته رصانة محكمة تميل بها إلى الشدة والأسر ، ومحمود رقيق ناعم تموج مشاعره فى غدير هادئ شفاف ، وقد تجد سمة

مطران ، وبُعد منزعه وعمق تحليله فى النادر من شعر الخفيف ، ولا أزال أذكر قصيدته « أيتها الابتسامة » تلك التى تشخص بريق الابتسامات المختلفة ، فتعرف شعاع كل بسمة ومصدره ، فبسمة الذل غير بسمة الشمات غير بسمة الرياء غير بسمة الفرح غير بسمة التهكم. وإن كان لكل بسمة بريق يتحد مظهرا ويختلف تأثرا وانعكاسا ، وكم كان يسرنى أن أذكر هذه القصيدة فى مجال الاشتهار ، ولكن القارىء الطلوب سيعثر عليها بسهولة فى العدد (٦٠٠) من الرسالة ، ونحن نهيب بمجلس الفنون والآداب أن يلتفت إلى ديوان الشاعر فيأمر بطبعه أسوة بمن طبع دواوينهم من الشعراء ، وأكثره بمجلات الرسالة ، وأقله بمجلات الرائد . وكلتاهما تحتل المكتبات العامة فلن يتعب من يريد النشر والطبع . ولكنه سيغنم الشكر والتقدير ، ولعل كلمتنا هذه تكون عزاء متواضعا لمن قرءوا الخفيف وعشقوه ، وهى أيضا إجابة مفحمة عن سؤالنا المتقدم ؛ هل من وعى أدبى ؟ وفيها المقنع السديد .

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ٨٥١)

واستخدم رجال الجيش والشرطة كل وسائل القمع لفض المظاهرات وتفريق المتظاهرين .

وفى عصر يوم الجمعة سارت بنا السيارات فى الطريق إلى بيروت ، وكان الشعب يقف على جانبى الطريق يشيعنا بنظراته التى تعبر بصمتها البليغ عن مشاعره الحبيسة وعواطفه المكبوتة . وأبى إخوان كرام إلا أن يرافقونا إلى الحدود بين سورية ، ولبنان الكريم ... لبنان الذى استقبلنا بالحب والشوق والترحاب حين شيعنا الإخوة المرافقون بالقبلات والعناق والدموع ، وعادوا وهم يتمنون لنا سفراً سعيداً ، وعودا حميداً ... أجل أيها الإخوة ...عودوا إلى الفيحاء ذات الغوطتين التى يطوقها قاسيون بالساعدين ... وسنلتقى يا دمشق ... سنلتقى كما قلت وكما سأظل أقول.

سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون
فبنا تحيا به أرواحنا ، ولن يهون
وبجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رأيت فى الوداع كيف تدمع العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع فى جنون
سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون

أجل سنلتقى بالقلوب النقية ، والنفوس الوفية ، والمشاعر الطيبة ، سنلتقى فى ظل الوحدة القوية لنسير معاً من جديد فى طريق القومية العربية .

ابراهيم محمد نجا

أحمد محرم
شاعر العروبة والإسلام

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع ليس يحجبه
سور من الحقد أو ستر من الحسد

هـــذه صرخة شاعر وقف فنه على رفعة الشرق وإحياء مجد الإسلام ، ومع ذلك أنكره الشرق وضيعه أهله ، حتى داخله الشك أن يكون فى الشرق قطان يعرفون الناس أقدارهم ويلفتهم الأدب الخالص ، فقال :

ديار الشرق ، هل بك من قطين ؟
دعيني ، ما الديار ؟ وما القطين ؟
ظمئت ، وفى فمى الأدب المصفى
وضعت ، وفى يدى الكنز الثمين

مولده ومرباه :

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت ربة الشعر قد طوفت بإلهامها على ضفاف النيل ، وأرسلت أولى أنغامها الشجية على لسان البارودى ، ومن بعده شوقى ، فأخذت دولة الشعر تزهو ، وتشتد أركانها .

وفى يوم السبت الخامس من المحرم سنة ١٢٩٤هـ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧م ضمت ربة الشعر إلى قيثارها وتراً جديداً ، واستقبلت بمملكتها زائراً اتخذته من أعوانها ، ومنحته إلهامها .

ذلك هو أحمد محرم الذى ولد فى حى « باب الوزير » من أحياء القاهرة فى بيت متوسط الحال لأبوين تركيين ، الوالد تركى صميم من أبناء المماليك الشراكسة ، والوالدة اختلط نسبها بالدم المصرى ، وتنسب إلى عائلة « الدرمللى » الشهيرة بالقاهرة .

وقد ورث محرم خصائص الدم التركى والمصرى من جهة أبويه ، وامتص الطبع العربى بحكم ثقافته ونشأته وبيئته ، فاجتمعت فيه خصائص هذه الأجناس وتكون مزاجه من مجموعها .

وكان والده « حسن أفندى عبد الله » رجلا مستعربا متديناً يحب العرب ويتعلق بتاريخهم ، يتمسك بمبادئ الدين ، ويأخذ أفراد أسرته بما يؤمن به ، وقد أورث هذه النزعة ولده « أحمد » فتأثر بهذا التوجيه أعظم التأثر ، وكان لهذه التربية الدينية الصارمة اتجاه واضح فى شعره وأدبه ، من إشادته

بمجد الإسلام ، ودفاعه عنه ، وتسجيله لحياة النبي صلوات الله وسلامه عليه وحروبه تسجيلا لم يضطلع به شاعر سواه فى عصره .
ولم يسعفنا ما وصلت إليه أيدينا من مراجع بجد لمحرم ، ولم نهتد إلى أسرته ، فقد سكت التاريخ عن ذلك .

ونرى من اسم الوالد ، وعدم وقوفنا على أسرة للشاعر أن « محرما » لقب خص به الشاعر وحده ، ويغلب على الظن أن أباه لقبه هذا اللقب لمولده فى شهر « المحرم » العربى ، ومما يقوى هذا الظن فى نفوسنا أن محرما كان له شقيق أكبر منه توفى ورثاه فى ديوانه الأول ، وأثبت مراثى أصدقائه من الشعراء فيه ، وكان اسمه « محمود صفر » ، وأغلب الظن أن أباه أضاف إليه هذا اللقب لمولده فى شهر صفر العربى ، ولعلنا نأخذ من هذه الإضافة فى أسماء البنين دليلا على تعلق الوالد بالعرب وحبه لتاريخهم .

شب أحمد فى بيت والده يصنعه على عينه ويقوم على رعايته ، ويبدو أنه كان من ذوى النعمة وإن لم يبلغ حد الثراء .

ثم رحل الوالد إلى إقليم البحيرة ، وألقى عصى التسيار فى إحدى قراها يقوم بشئون بعض مزارع كبار الملاك هناك ، ويرعى بنفسه ضيعته الصغيرة فى تلك الناحية .

ورحل الطفل مع والده إلى مقره الجديد واستهوته حياته الجديدة ، وتملت عيناه بسحر الريف ، وانطلق وراء خياله فى سهوله المنبسطة ، ووقف على نمط جديد من الحياة ، وأسلم نظراته للأفق ترى التقاء السماء بالأرض على مدى البصر ، ومن قبل كان يصطدم بمنازل الحى ودوره ، فلا يرى الأفق ولا يبصر السهل الفسيح ، ولا يحس بخرير الماء وتفتح الزهر وتهويم الفراش .

أخذ الصبى بهذا الجمال الطبيعى الذى صنعته يد الله فأبدعت ، ونهلت حواسه من مجاليه ، وكانت حياته فى طفولته حياة الترف والنعيم ، فليس بغائب عنا الحياة الهانئة ، والنعمة الوفيرة التى كان يمرح فى ظلالها نظار التفاتيش والقائمون على أمر الضياع ، فقد كانوا ملوكا غير متوجين فى مزارعهم وقراهم ، ومازالت بقايا هذه الحياة تتراءى على صفحات أذهاننا ، كلما حاول أحدنا أن يعيش لحظات فى ظلال ماض غير بعيد .

ويبدو أن والد محرم كان رجلا محبا للقراءة شغوفا بالأدب ، مصاحبا لأهله من شعراء وكتاب ، يغشى مجالسهم ، ويشارك فيها ، فأورث ابنه هذه النزعة ، ونمى فيه حب الكتب والتطلع إلى الكتابة فى سن مبكرة .

وتربى محرم كما يتربى صبيان القرية الناعمون فى عصره ، فأحضر له أبوه المعلمين ، وقاموا على تلقينه مبادئ القراءة والكتابة حتى

عرف شيئا من المطالعة والحساب والإملاء وحفظ القرآن الكريم ، فألحقه أبوه بإحدى مدارس القاهرة ، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة .

غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولا من نفس محرم ، فأعلن تبرمه بها ، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى ظنها خيرا من الأولى إلا أن محرما الذى طبعت نفسه على حب العربية من صغره ، وتعلقت بأدبها مبكرا لم يستسغ منهجا دراسيا يرى نفسه فيه غريبا على العربية مبتوت الصلة بها فكان يرى نفسه غريب القلب واليد واللسان كما يقول المتنبى ، فهل يطمئن إلى هـــذه الحياة التى تنكره وينكرها ؟ ، وكيف يستريح ، وهو الذى يتطلع إلى منزلة المتنبى ومكانة البحترى . ؟

فبعث لأبيه بقصيدة يشكو له فيها مايعانيه ، ويصور ألم الغربة فى نفسه ، وهو يومئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، فما كان من أبيه إلا أن أعاده إلى القرية ، وأحضر له بعض أساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وأدبها .

ولما رأى أبوه فيه ذلك النضج المبكر والميل الغالب للأدب والشعر فتح له مكتبته يقرأ فيها ما يشاء ، واشترك له فى الصحف والمجلات ، وجلب له ما تفيض به المطابع من كتب ، وأقبل محرم يثقف عقله ، ويغذى وجدانه بعيون الشعر العربى وينتقل بين مكتبة أبيه يختار منها ما يرغب فيه كما تنتقل النحلة بين أزهار الروض تمتص من هـذه وتدع تلك .

وأخـذ أبوه يشجعه على قرض الشعر ، ويطلعه على أحـدث ما أنتجه أصـدقاؤه من الشعراء ليثير طموح نفسه ، ويكافئه كلما أنشد قصيدة ، ويصحبه معه فى رحلاته إلى مدينة دمنهور ، ويعقد الصلة بينه وبين شيوخها وذوى المكانة فيها من الوجهاء والأدباء والسراة .

وكان بمدينة دمنهور على عهد محرم رجل من زعماء الأدب الشعبى يسمى (الشيخ جاد علوان) ، وكانت له حلقة يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبوه ، فتعرف محرم عليه ، وشهد ندوته ، وألقى فيها بواكير قصائده حتى عرفه الناس ، وأقبلوا عليه . ودأب محرم على اطلاعه ، وتزويد ثقافته ، وقد تهيأ له من وقت الفراغ ما استطاع بفضله أن يلم بالشعر العربى فى جميع عصوره ، ويحفظ منه درره وعيونه ، لم يصرفه عن ذلك اشتغال بتحصيل العيش ، أو مطالب الحياة ، فقد كفاه أبوه مؤونة ذلك .

ولقد كان محرم يعكف على كتبه وشعره آناء الليل وأطراف النهار ، حتى ضاقت أمه به ، وعابت عليه انكبابه على شعره ، حتى أصبح عالة على أبيه يعوله كما يعول البنات ، بل إن البنات خير منه ، لأنهن سيتزوجن ، وهو لا أمل فى تحوله عن هذه الحال .

وقد صور محرم موقف أمه هذا فى إحدى قصائده ، وكانت تأخذ عليه أنه يظل يقرأ حتى ينطفىء السراج حينما يفرغ زيته وتغيب النجوم عن أفق السماء . أستمع إليه يقول على لسان أمه :

ابنىّ إن المرء يغنى شأنه
فيعيش فى الأهلين وهو محبب
وأراك فى شرخ الشباب وروقه
يغذوك والدك الكبير الأشيب
يسعى وأنت مع البنات كبعضها
ثاو ، وليتك مثلهن فتخطب
لا مال تكسبه ، ولست ببارح
تفنى وتتلف جاهدا ما يكسب
تدع السراج فلست تطفىء نوره
حتى ترى اخرى النجوم تغيب
أبياع هذا الشعر أم أنت امرؤ
تهوى من الأشياء ما يتجنب ؟

وقد كان للنشأة الصارمة التى أخذ بها محرم نفسه منذ صغره أثر بعيد فى اتجاهه نحو الأغراض الجادة فى شعره ، وكذلك تربيته الدينية التى فرضها أبوه عليه منذ نعومة أظفاره لم تترك له مجالا يتغنى فيه بعواطفه أو ينطلق مع أحلام الشباب شأن غيره من ذوى الإحساس والشاعرية ، لذلك نرى غزله الذى أنشده فى صور شبابه غزلا صناعيا ، لا تحس فيه وهج العاطفة و لا وقدة الشعور وإن كان موسيقيا عذب الرنين قوى النسج ، لأن حياته قد صرفته عن هذا السبيل الذى يسلكه لداته ، ويعبر هو عن ذلك فى بعض قصائده :

لعمرك ما ينهنهى شبابى
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد فى فى غلواء عمرى
فقد جعلت تماتبنى لداتى
وإن مظنتى أن تلتمسنى
ندىّ ذوى الحلوم الراجحات

وكانت هذه النشأة داعية له من جانب آخر أن يأخذ نفسه بأخلاق الإباء والكرامة والغيرة والحمية على الدين والوطن ، والتفانى فى الذياد عنهما ، والدفع عن حياضهما وخطا فى هذا الميدان خطوات فسيحة حتى لقد اتخذ لنفسه لقب « نصير الدين » وقد أخذ نفسه بهذه المبادىء التى آمن بها ، وجرت فى نفسه مجرى الدم من العروق لم يتخل عنها ساعة من زمان ، وجعلها منهجه فى معاملاته مع الناس واتصاله بهم وكم دعوه إلى اللهو فى صباه ، فنأى عنهم وأعرض ، وهو يهتف .

قالوا : زمان الصبا لهو لصاحبه
فقلت : مالى أراه ، وهولى كمد
إنى امرؤ ماجد الأخلاق قاضلها
ما عابنى لعب يوما ولا فند
سموت بالجد والصدق اللذين هما
خدناى إياهما أبغى وأعتمد

ما عابنى غير حساد بليت بهم
وهل يعيب شريفا فى الورى حسد؟

وكان محرم طموحا وثاب الأمانى يردد بينه وبين نفسه :

ولو يُعطى الفتى ما يبتغيه
إذاً لرأيتنى داعى رعاة

وكان عزيزاً أبيا يكرم نفسه ويحترم رأيه ، لا يخضع لأحد ، ولا يتراجع فى رأى يراه ، حتى لقد جر عليه ذلك المتاعب والحسد من كثير من الناس ، فرموه بالغرور والكبرياء ، ولم يسلم من أذاهم حتى بعد موته ، وربما كان ذلك من الأسباب التى جلبت عليه النسيان والإهمال اللذين أصيب بهما أدبه وذكراه .

وكان يؤلمه كثيراً أن يرى موازين الأمور مختلة ، وقيم الناس لا تستند إلى أساس ثابت ، فكم قدمت دعيا وقصت بموهوب .

هبنى إمام الشعر ، ما بالى أرى ؟
ومعاشر المتشاعرين أمامى
لو أن آرائى مسخن قوافيا
لانقاد لى دهرى بغير زمام
فأقمت من أود القريض وأهله
وحميت سرح الكتب والأقلام

ويبدو أن ما لاقاه محرم من عنت الناس وكيدهم جعله ينظر إلى الحياة نظرة كئيبة سوداء ، تموج بالشرور وتصطرع فيها الأحقاد والأضغان ، فغلب عليه التشاؤم ، وذهب مذهب أبى العلاء فى وجوب التخلص من الحياة التى لا تنبت إلا الشر والأذى ، فدعا إلى تحريم الزواج ، ثم رجع عن هذا الرأى كما أشار إلى ذلك فى ديوانه :

أما الغلام ، فما أقارف إثمه
إذ كان عندى أفظع الآثام
ماذا جنى ؟ فيكون بعض جزائه
دار الشقاء ، وموطن الآلام
لله شرع أبى العلاء فإنه
شرع يعظمه ذوو الأحلام
رضى التبتل ، ليس يؤثر غيره
حتى انقضت أيامه بسلام
نقم الرضى إذ غال والده الردى
حتى على صوب الحيا البسام

وحدثنى من لقيت من أصدقاء محرم ، وبقايا معاصريه فى مدينة « دمنهور » أنه كان كثير الصمت دائب التأمل تراه فيخيل إليك أنه فى عالم غير عالمك ، وتجلس إليه فلا تكاد تظفر منه بكلمة أو كلمتين فى مجلس قد يمتد ساعة أو أكثر ، وكانت رغبته شديدة فى العزلة والانفراد ، وكثيراً ما كان يختار لنفسه مكانا فى أحد ميادين « دمنهور » تحت ظل شجرة هناك أطلق عليها — من كثرة ملازمته لها — شجرة محرم ، ولا زالت تعرف باسمه هناك حتى الآن .

وكان دقيق الجسم أميل إلى القصر والنحافة ، يتحدث همسا ، ويعبر إشارة .

محمد إبراهيم الجيوشى
المشرف على الشئون الدينية بإذاعة القاهرة

مع المرابطين على الحدود

للأستاذ أحمد الشرباصي

الجهاد شريعة باقية وفريضة دائمة ، والجهاد إن لم يكن فى ساحة الميدان وصميم المعركة ، كان بالإعداد والاستعداد ، والحذر والمرابطة ، لأن مطامع الناس - سواء أكانت فردية أم جماعية - تدع باب الشر والبغى مفتوحاً يلجه الطغاة والبغاة من حين إلى حين.

والإسلام يقرر فى عقول أبنائه وقلوبهم هذه الحقيقة ويدعوهم إلى رعايتها حق الرعاية، فهو يحذرهم من الظلم والعدوان ، كما يحذرهم من الرضى بالذل والهوان ؛ ولذلك جاءت شرعة القرآن بالمسالمة للمسالمين ، والمقاومة للهاجمين ، وأخذ الحذر والأهبة لإبطال كيد الكائدين ، وقطع الطريق على الباغين ، فيقول القرآن : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . وفى موطن ثان يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وفى موطن ثالث يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . وفى موطن رابع يقول : « وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخَيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وشرعة الجهاد والإعداد تستلزم أن تتضامن الأمة كلها لصيانة حريتها وكسب النصر فى معاركها ، وكل فرد فيها يجاهد بلون من الجهاد ، فالجندى فى الميدان يجاهد بسلاحه وعتاده ، والداعية يجاهد بمنطقه وبيانه ، والألمعى بعقله وتفكيره . والغنى بماله وذات يده ، وهذا التضامن يستدعى أن يكون هناك ترابط بين جنود الميدان وبقية أفراد الأمة الذين يأخذون سبلهم فى مسالك الحياة المتشعبة.

ولقد كنا فيما مضى نأسى ونأسف لتقطع أواصر الاتصال بين الشعب والجيش ، ولكننا انتهينا بفضل الله وحده إلى عهد صار فيه الشعب جيشا ، وصار الجيش قطعة من هذا الشعب ، فبين الفريقين من أبناء الوطن روابط تجعل الجميع مجاهدين قلبا وقالبا من أجل معركة الحرية والكرامة .

فى ظلال هذه المعانى سارعت مغتبطا بالاستجابة لما قررته « إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى بالقيادة العامة للقوات المسلحة » من اختيارى للمشاركة فى مجموعة

من الندوات الدينية والاجتماعية والقومية ، حددت لها الإدارة المدة الواقعة بين الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٦١ إلى الثالث عشر من نوفمبر ، وجعلت الأحاديث فى هذه الندوات موجهة إلى الضباط والجنود فى جيشنا العربى المجاهد . وقد أقيمت فى المناطق العسكرية بغزة والعريش والاسماعيلية وفايد والقاهرة والإسكندرية وكانت بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثى الغاشم على بلادنا ، وبقصد تقوية الروح المعنوية فى صفوف الجنود المرابطين على الثغور ، والحدود ، والخطوط الأمامية .

ولعل أهم مالاحظناه هو أن هؤلاء المجاهدين من أبناء الأمة المؤمنة ، يتطلعون فى حرص وشوق إلى معرفة هدى الله وكلمة الإسلام فى شئون الحياة الفردية والجماعية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالشئون الاقتصادية : كالاشتراكية وتحديد الملكية والتأميم وغيره. وهذا يدلنا على أن النزعة الدينية مستكنة فى صدور هؤلاء الجنود ، وأنها تؤثر أثرها وتؤتى ثمرها فى التفكير والتوجيه ، ومن الواجب أن يواصل المختصون تقوية هذه النزعة وتزكيتها وتجليتها وتوجيهها إلى ما ينفع الفرد والمجموع ، وما يحسن الربط بين واجب الله وواجب الحياة ، والجمع بين تبعات الإيمان وحقوق الأوطان ، والتنسيق بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة اهتداء بقول الله جل جلاله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

ولعل الجندى عند خطوط الدفاع ، وعلى ثغور المرابطة ، هو أشد الناس حاجة إلى تعمير الصدر بالإيمان ، وتحصين القلب باليقين ، وتثبيت النفس بالعقيدة التى تعلم صاحبها أن الله هو خير الناصرين ، وأقوى المؤيدين ، وأنه يمين عباده المؤمنين : بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، « وإن جندنا لهم الغالبون » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد سمعنا نشيد « الله أكبر » يتردد أكثر من مرة ، فيذكرنا بأنه حينما أقبلت ساعة الهول ودقت طبول الخطر ، وتعرضت الأمة كلها للغزو الأثيم والعدوان الظلوم ، انطلقت صيحة الإيمان من فم أحد الشعراء ، فإذا القدر الغلاب يدفعه إلى افتتاح نشيده بشعار الإسلام وهتاف الإيمان : «الله أكبر» وإذا هو ينطقه بقوله :

الله أكبر فوق كيد المعتدى
والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدى
بلدى ونور الحق يسطع فى يدى

وتذكرنا أن هذا النشيد الوطنى الدينى الهدار قد انتشر وسار ، وتردد على اللهوات

والألسنة ، فأشعر من يعرفون ومن لايعرفون أن الإيمان بالله هو الملجأ والمعتصم وهو شاطىء النجاة والأمان ، حينما تثور الأعاصير وتتمرد الرياح ، وتتلظ الأخطار هنا وهناك ، وصدق القرآن الكريم إذ يقول « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه » .

* * *

ومما لاحظناه أيضا أن إخواننا فى قطاع غزة ، وأشقاءنا اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم فى فلسطين العربية الإسلامية بغير حق يحسون الآن بلاذع الألم وعميق الحزن لما حدث من انفصال بين مصر وسورية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوحدة بين هذين الجزءين من أجزاء الوطن العربى الكبير بداية لامتداد « كماشة » عربية تدور وتلتف حول الجزء المغتصب من أرض العرب والمسمى زورا وبهتانا بإسرائيل ، لتسترد هذه « الكماشة » من غاصبيه ، وتعيده إلى أهله ومستحقيه ، عن طريق التطويق والهجوم لتحرير المغصوب واسترداد المنهوب ، وكانوا يرون أن يوم العودة إلى فلسطين قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ...

ولكن الحركة الانفصالية فى سورية جاءت تخيبت الآمال ، وأبعدت يوم الخلاص ، لأنها قصمت « الكماشة » العربية من وسطها .

وكنا نقول لهؤلاء الأشقاء : نحن معكم فى أن حركة الانفصال قد خيبت الآمال ، وباعدت بيننا وبين يوم التحرير ، ولكننا مع هذا لانيأس ولا نقنط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ، « ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ولاحظنا كذلك أن حالة الجنود قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس ، فبالأمس كانت الجندية أمرا بغيضا مكروها عند العامة وكان إذا طلب أحد لأداء واجب الجندية هلع وفزع وودعه أهلوه بالصراخ والعويل ؛ وكان الجندى يعامل معاملة سيئة وقاسية ، فهو يسمع من الشتائم أقذرها ، ويجد من المعاملة أسوأها ، وكان الجندى يحس بأنه خادم لقائده فهو يسخره فى أهوائه وشهواته .

وأما اليوم فقد صارت الجندية للجميع ، وصار بين الجنود علماء ومدرسون ومحامون ومهندسون وأطباء وطلاب جامعات ، وصار بينهم مثقفون وشعراء وأدباء ، وصارت الجندية فى نظرهم أمرا شريفا يفخر به صاحبه حتى لقد قيل فى إحدى الندوات إن الجندية هى « واجب ضريبة الدم » فاعترض أحد الجنود على هذا التعبير متحمسا وعلق عليه بقوله : « إن الجندية حق المواطن » بمعنى أن الفرد الكريم يطالب بتمكينه منها ، لأنها

حقه الذى يجب أن يناله فمن حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه ووطنه وأبيه وأمه وإخوته وأسرته ، فأعجبتنا هذه الروح الدالة على الحماسة والوعى ...

وكذلك قال قائل منا : « لقد كتب علينا الجهاد لتحرير الوطن » ، فاعترض جندى متحمس على هذا التعبير ، وقال إن التعبير بقولنا « كتب » فيه معنى الإرغام والإكراه ، والجندى الآن لا يكره عمله فى الجندية ، ومع إعجابنا بحماسته أوضحنا له أن هذا التعبير مستمد من تعبير القرآن الكريم - وهو الإمام فى البيان العربى - ومادة « الكتابة » تدل على الانتظام والجمع فى الأصل ، وتدل على العزم وعلى الفرض ، وعلى الأمر المراد ، وعلى التقدير ، وعلى القضاء المبرم ، ومن آيات التنزيل فى هذه المادة قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ، « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ، « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

وكذلك تغيرت معاملة القادة للجنود ، فصار هناك تفاهم وتراحم ، وأحس الجندى بذاته وكرامته ، وبدت الطاعة من الصغير والعدالة من الكبير ، حتى تذكرنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » .

* * *

ولقد مررنا بالجنود وهم يرابطون داخل خنادقهم فى الخطوط الأمامية والمواقع العسكرية ، ورأينا كيف يقف الجندى فى الخندق بملابس الميدان ، ومدفعه فى يده ، وبصره يحدق أمامه ، ويظل هكذا ثمانى ساعات فى اليوم ، ثم يخلفه فى مكانه أحد زملائه ، فزكينا فيهم هذا الجهد ، ورددنا عليهم قول الحق تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه » ، وقوله : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة » ، وقوله : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

ولعل الحديث الذى كان له وقع السحر فى آذان هؤلاء الجنود هو حديثنا إليهم عن الشهادة فى سبيل الله والوطن ، أو صناعة الموت فى سبيل الحق والواجب ، فقد توائبت أفئدتهم حماسة وشجاعة حينما تبينوا كيف كانت صناعة الموت هذه عادة آبائهم وأجدادهم منذ القدم ، فمن آبائهم الشجاع الذى قال :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل !

ومن آبائهم أيضا الذى قال يخاطب نفسه مثبتاً لها فى مواطن الهول :

أقول لهـــا وقد طارت شعاعا
من الأبطال : ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً
فما نيـــل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز
فيطوى عن أخى الخنع اليراعى[1]

ولقد اهتزت نفوس الجنود بكريم المشاعر وهم يسمعون كيف علّم محمد أتباعه صناعة الموت فى سبيل الله ، وسبيل الله عريضة واسعة ، فهى سبيل الحق والعدل والإيمان والحرية وعزة الأوطان وكرامة الإنسان ، حتى قال سيد البشرية : « والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل » وقال : « يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته » وقال : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » .

واهتزت نفوسهم حين عرفوا كيف كان القرآن المجيد إماما لهذا النبى وقومه فى تعليمهم الشهادة ، فهو الذى يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هـو الفوز العظيم » . وهو الذى يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خـوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

ولقد اطمأنت نفوس الجنود إلى التزكية الدينية للمبادئ الاشتراكية السمحة العادلة التى جاء بها الإسلام حينما سمعوا هذه الآيات من كتاب ربهم عز وجل ومعها ما يناسبها من تفسير « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » ، « وجعلنا لـكم فيها معايش » ، « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم

---

(١) أخو الخنع : الذليـل ، واليراع : القصبة التى لا جوف لها ، والرجل الجبان الذى لا قلب له ، كأنه لا جوف له يكون فيه قلب .

من مال الله الذى آتاكم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ، «والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وحينما سمعوا هذه الأحاديث المشرقة من أقوال الرسول المصلح ومعها ما يلائمها من شرح وبيان :

« ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » ، « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ، « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع » ، « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم » ، « إن الأشعرين كانوا إذا أرملوا فى غزو ، أو قل طعام عيالهم ، جمعوا ما لديهم من طعام فى ثوب واحد ، فاقتسموه فيما بينهم بالسوية ، فهم منى وأنا منهم » ، « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » ، « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، « المال مال الله وأنا عبده » ، « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ، « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ، « أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

أما بعد ، فقد كان آخر ما أسمعته أولئك المجاهدين المرابطين قول الشاعر العربى المقدام :

سأحمل روحى على راحتى
وأمضى بها فى طريق الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يسوء العدا

ولو أن أفراد الأمة المناضلة حملوا أرواحهم على أيديهم ، وانطلقوا بها فى ميادين جهادهم ، مستعدين لبذلها حين يجد الجد ، لكتب لهم ربهم النصر والعزة والكرامة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

أحمد الشرباصى

اقتصاديات السكان عند ابن خلدون

للأستاذ محمد محيى الدين المسيرى

ظروف المجتمع وتأثيرها على دراسات السكان :

من أهم الموضوعات التى يهتم بها الاقتصاد الاجتماعى مسائل السكان وعلى الأخص علاقة عدد السكان بمستوى المعيشة . بيد أن الاعتبارات الاقتصادية البحتة ليست هى العوامل الوحيدة التى يصح الأخذ بها فى تقدير مسائل السكان . بل هناك اعتبارات أخرى منها الحربى والاجتماعى والأخلاقى .

وليست مسائل السكان من المسائل التى أثيرت حديثا بل كانت موضع بحث القدماء . إلا أن بحث القدماء يتغلب عليه الطابع الاجتماعى والحربى . ولا يبدو فيه جليا الطابع الاقتصادى . فى أثينا وفى سبارطة نظروا إلى السكان كأداة حربية تبسط بها الدولة سلطانها على جيرانها . وهنا تنتشر فى الشعب المتسلط فكرة تسيطر على عقليته ونفسيته من جميع الوجوه ، أساسها زيادة عدده لتحقيق هذا الهدف (١) .

فالدولة الرومانية القديمة شجعت كل ما من شأنه زيادة السكان . وقد اتخذ الاستعمار فى شكله الحالى نفس الأسلوب فهو يشجع الأفراد على التمسك بعقيدة « سيادة الجنس » المستعمر على غيره من الأجناس الأخرى . وعلى هذا فالسياسة السكانية التى رسمها « هتلر » بعد سنة ١٩٣٤ (١) كانت تهدف إلى زيادة عدد السكان فى ألمانيا لأغراضه الاستعمارية كما أن العقيدة البريطانية لا تخرج بعيدا عن هذا الاتجاه على الرغم من أن الدولة لا تفصح علنا عن اتجاهاتها السكانية .

كذلك كان يرجى من النسل تعويض ما تأتى عليه المجاعات والأمراض والحروب ، وقد يكون عرب الجاهلية من الشعوب القليلة التى ربطت الاعتبارات الاقتصادية بالاعتبارات الاجتماعية عند تناول مسألة وأد البنات . فقد كان العربى الجاهلى يخشى من ضغط المجاعات والغزوات على شرف أسرته فيفضل الوأد على العار المتوقع من احتمال القحط ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم » .

[١] السياسة التوسعية أو الاستعمار .

(١) ذلك أنه اعتقد أن الجنس الآرى هو سيد أجناس العالم ، وهو لهذا السبب يجب أن يسود ويحكم .

أما فى بحث المدرسة التقليدية لمسائل السكان فقد طغت الناحية الاقتصادية فجعلوا مقياس الرغبة فى زيادة السكان مرتبطا بتأثير تلك الزيادة فى مستوى المعيشة هل يكون صعدا بتأثير قانون الغلة المتزايدة فى الانتاج لكثرة اليد العاملة أم أن قانون الغلة المتناقصة فى الإنتاج يؤدى عاجلا أو آجلا إلى انخفاض ذلك المستوى .

والواقع أن بحث تلك المسألة كان يرتبط دائما بالظروف الموجودة فى زمن ذلك البحث ، وقد كانت الظروف الاقتصادية تشغل المقام الأول حين كتابة « مالتس » ومن تلاه مباشرة ، لذلك ظهرت فى كتاباتهم نزعة تغليب الاعتبارات الاقتصادية فى استنتاجهم . أما أن مسألة السكان ترتبط بالظروف الملازمة للزمان والمكان فالدليل على ذلك مستفاد من تبادل التشاؤم والتفاؤل حسب الزمان والمكان الذى كتب فيه كل من جودوين ومالتس وآدم سميث وسسموندى الخ .

وقد كتب ابن خلدون ما كتبه عن السكان فى زمن كان الاعتبار الغالب على مسألة السكان هو الغالب قديما ، أى الاعتبار الاجتماعى والحربى . فالنسل كان مطلوبا لإعزاز الدعوة القومية والتغلب على غزوات الأسبان للأندلس . كما أن الاسلام شجع زيادة النسل وتحسينه .

ويروى ابن خلدون من الناحية السياسية والحربية أن عظم الدولة يكون على نسبة القائمين بها فى القلة والكثرة . والسبب فى ذلك كما يقول فى مقدمته فى الفصل الثالث ص ١٥٣ ، ١٥٤ : « إن الملك إنما يكون بالعصبية ، وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها . فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصبيتها كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام . . . وأما طول أمدها فعلى تلك النسبة » . . . وهكذا نسب ابن خلدون الدولة فى أعمارها على نسبة القائمين بها .

على أن ابن خلدون لم ينظر لمسألة السكان من الناحية الاجتماعية والسياسية فقط ، بل تناول أيضا الناحية الاقتصادية فبحث زيادة السكان وأثرها فى زيادة الانتاج ثم علاقتها بمستوى المعيشة مفندا ظاهرة الغلة المتناقصة كما تناول بالبحث أثر الرخاء فى زيادة السكان وأخيراً أردف ببحثه بحثا جديداً لم يسبق اليه عن أثر الاستعباد فى قلة السكان .

أثر وفرة السكان فى زيادة العمران :

يرى ابن خلدون أن وفرة السكان تؤدى إلى زيادة تجزئة العمل وبالتالى إلى زيادة التعاون وحسن الاستغلال فيزداد الانتاج

تبعا لذلك . ومن ناحية أخرى يؤدى ازدياد العمران الناتج إلى ازدياد القوة الشرائية وبالتالى إلى زيادة الطلب وزيادة الانتاج مرة ثانية . فلا خوف إذا من زيادة السكان إذ أن وفرة السكان وإن أفادت زيادة فى العرض إلا أنها من ناحية أخرى تقابلها زيادة فى الطلب . والمجتمع يسعى دائما إلى استيعاب الزيادة فى السكان دون أن يؤثر ذلك على مستوى المعيشة فيه لأن ازدياد السكان يقابله زيادة العمران . وما دام كل من البسط والمقام فى ازدياد فلا خوف من انخفاض نسبة الحاصل .

يقول فى هذا الصدد (فى الفصل الرابع من مقدمته ص ٣٤٢) « إن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته فى معاشه وإنهم متعاونون جميعا فى عمرانهم على ذلك والحاجة التى تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة لأكثر من عددهم أضعافا . فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه ، وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض ... الخ . وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم » .

خلاصة رأيه هذا أن ازدياد التعاون الناتج عن ازدياد السكان مرجعه تجزئة العمل مما يؤدى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة (١) .. وهو لذلك يعتبر السلف العظيم لمارشال حين يقول هذا « يبدو أن زيادة السكان تصاحبها باستمرار زيادة فى وسائل إشباع الحاجات الإنسانية » (١) .

وتلك هى الفكرة الأساسية التى حارب بها أغلب الاقتصاديين مخاوف مالتس ، فالغلة المتزايدة هى الضمان الكبير الأثر فى نظام السكان . ولا ننسى أن هامش الانتاج كان لا يزال متسعا فى ذلك الزمن بمعنى أنه لم تكن الموارد الطبيعية مستغلة الاستغلال الأقصى . فكان يمكن أن يؤدى المجهود الجديد إلى غلة متزايدة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن عنصر العمل كان أهم عناصر الانتاج . فمعنى وفرة السكان وفرة اليد العاملة ووفرة الإنتاج وازدياد العمران .

على أن ابن خلدون لم يقتصر على إعطاء

(١) يقصد بهذا القانون أن كل زيادة فى عناصر الإنتاج المستخدمة فى المشروع تنشأ عنها زيادة فى الناتج بنسبة تزيد على نسبة زيادة هذه العناصر . ويتحقق قانون الغلة المتزايدة فى جميع المشاريع سواء كانت صناعية أو زراعية غير أن أثره فى الصناعة أكثر وضوحا .

(1) Morshall, Principles of economico — Eight Edition p. 321 .

فكرة مجملة عن زيادة الإنتاج بسبب زيادة تجزئة العمل من جراء وفرة السكان . بل أخذ يتقصى بدقة تأثير وفرة السكان فى زيادة الإنتاج .

قال : « فأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالأقل من تلك الأعمال وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف فى حالات الترف وعوائده وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار ، ويستجلبونه منهم بأعواضه وقيمه ، فيكون لهم بذلك حظ من الغنى . وقد تبين لك فى الفصل الخامس فى باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هى قيم الأعمال ، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأنق فى المساكن والملابس ، واستجادة الآنية والماعون ، واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعى بقيمها ويختار المهرة فى صناعتها ، والقيام عليها ، فتنفق أسواق الأعمال والصنائع ، ويكثر دخل المصر وخرجه ، ويحصل اليسار لمنتحلى ذلك من قبل أعمالهم ، ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ، ثم زاد الترف تابعا للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب فى المدينة لذلك ثانية ، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول وكذا فى الزيادة الثانية والثالثة لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى ، بخلاف الأعمال الأصلية التى تختص بالمعاش » (١) .

فالنقط الأساسية فى نظرية ابن خلدون عن تأثير وفرة السكان فى العمران هى أن زيادة اليد العاملة تؤدى إلى تجزئة العمل وبالتالى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة فى الإنتاج . ثم ان زيادة اليد العاملة معناه زيادة الأعمال وازدياد المكاسب وازدياد القوة الشرائية ، وازدياد الطلب وحاصل ما تقدم زيادة العمران بازدياد الدخل والخرج ، إن الإنتاج الجديد ينصرف إلى الترف إذ أن الضروريات تكون منتجة بقدر كاف وإليها انصرفت الأعمال الأصلية .

وقد ميز ابن خلدون بين إنتاج الضروريات وإنتاج مواد الترف ، فالأعمال الأصلية للسكان منصرفة إلى إنتاج الضروريات . أما حيث يتسع المصر او المدينة فالأعمال او المجهودات الجديدة تنصرف إلى الإنتاج الترفى فضغط زيادة السكان لا يؤثر فى مستوى القوت فهذا القوت ينتج بقدر كاف بأقل مجهود من المجتمع . ومجال البحث إنما هو عن أثرها فى مستوى الرفاهية .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص ٣٤٢

ولما ميز ابن خلدون بين انتاج الضرور وانتاج ادوات الترف . وفرق بين مستوى الرفاهيه وبين مستوى القوت وضع بذلك مسألة زيادة السكان فى وضعها الصحيح فالمسألة ليست مسألة الإعاشه فهذه يمكن ضمانها وانما المسألة تتعلق بضغط تلك الزيادة على مستوى رفاهية السكان الأصليين .

ولابن خلدون فضل يذكر على مالتس ومن رأى رأيه . فهؤلاء خلطوا بإشارتهم إلى الجوع والأمراض بين أثر زيادة السكان فى مستوى الرفاهية وبين ضغطها على مستوى القوت ، فالغذاء يحصل تدبيره بالتخزين أو الاستيراد . والمشاهد عموما أن إنتاج الضروريات من مواد غذائية ... الخ أكثر من الاستهلاك الكلى بل قيل إن العالم يشكو فى هذه الناحية من إفراط الإنتاج . ثم إن مسألة القوت مسألة نسبية للإرادة والمناخ والعادات أثر كبير فى تكييفها . وعلى حد قول ابن خلدون عن هلاك الناس بالمجاعات أن الذى قتلهم هو الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق (١) . فالناحية المهددة ليست إمكان نتاج ضروريات المعيشة وإنما الكماليات فيها فهذه موضوع التنازع والانتقال واليها تتجه الأطماع فتتحرك الفتوحات والاستعمار . وقد أجاد ابن خلدون كل الإجادة بهذا التمييز الجوهرى بين مستوى الرفاهية ومستوى القوت .

وإذا كانت بعض الجماعات قد وجدت نفسها مهددة ، من الناحية الغذائية فسبب ذلك ليس عجزا فى طاقة الإنتاج وإنما اختلال فى نظام التوزيع ...... فقد يكون هناك اختلال بين حجم الزراعة والصناعة أو امتلاك فئة قليلة أدوات الإنتاج فتتحكم فى الأجور والغذاء وتتسلط على كافة شئون الدولة .

فزيادة السكان إذاً من الناحية الاقتصادية لا يخشى معها حتى على مستوى الرفاهية . فزيادة الاستهلاك تقابلها زيادة الإنتاج ، وزيادة العرض يقابله زيادة الطلب ، وزيادة الخرج يقابله زيادة الدخل ، وبالأجل زيادة السكان يقابلها زيادة العمران .

أثر العمران فى زيادة السكان :

قدمنا أن كثرة السكان تؤدى إلى زيادة العمران . إلا أن ابن خلدون يرى كذلك أن اتساع العمران يستوعب ازدياد السكان .

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٨٦ فى اختلاف أنواع العمران فى الخصب والجوع . وينتقد من يتوهم أن الجوع مهلك « فليس الأمر كذلك إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية » .

وهو يعلق أهمية كبيرة على أثر العمران في تيسير سبل المعيشة ويشبه الناس في تزاحمهم على ثروات العالم بتزاحم الحيوانات العجم على فتات بيوت أهل النعم. وكيف تختلف أحوالها في هجرانها أو غشيانها «فإن بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصبة منها تكثر بساحتها وافنيتها الحبوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش. ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلىء شبعا وريا. وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارزاقهم لا يسرى بساحتها دبيب ولا يحلق بجوها طائر، ولا تأوى إلى زوايا بيوتهم فأرة ولا هرة، ويقول «واعتبر غاشية الأناسى بغاشية العجم من الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها لاستغنائهم عنها في الأكثر لوجود امثالها لديهم[1]».

وهذا الكلام الأخير يكاد يشير إلى فائض المستهلك الناتج عن العمران وكيف أنه يزداد لفائدة المستهلكين كلما زاد العمران. فكلما زاد العمران زاد ما يناله الفرد من خير وزادت قوة شرائه.

ويقول بوتول[2] «إن ابن خلدون يهتم اهتماما كبيراً بالظواهر المتعلقة بمسألة السكان ويظهر ما بينها وبين ثروة البلد من علاقة وثيقة.

إن بعض كتاباته تضعه في صف أصحاب النظريات التي سميت théories populationistes - وهي نظريات السكان - والتي تجعل من السكان سبب الثروة. من ذلك قوله «إن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة»[1]. وهو يرجع ذلك إلى تجزئة العمل بل يكاد يلمح قانون المنافذ.

ولكن نظرية ابن خلدون لا تقتصر على جانب واحد من المسألة إذ هو يذكر فيما بعد أحوالا تجعل الثروة سببا في زيادة السكان وليس السكان سببا لزيادة الثروة. من ذلك قوله «إن الدولة التي تشجع الصناعة يزيد سكانها وتزيد جبايتها».

ويستنتج بوتول مما تقدم إدراك ابن خلدون إدراكا صحيحا للنواحي المتعددة التي تثيرها مسائل السكان.

(البقية في العدد القادم)

محمد محيي الدين المسيري

---

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص٣٤٤ في أن تفاضل الأمصار . . . الخ .

(٢) Bouthoul P. 34—34 .

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص٣٤٣

من أعلام التصوف :

الإمام أحمد الغزالى

للأستاذ عباس طه

إنى لأعجب أن يغفل الباحثون تاريخ رجل ملأ سمع الزمان وبصرة وحلب شطرى الدهر حلوه ومره هو العلامة أحد كبار الربانيين المستنيرين فى علوم الحقيقة وفقه البصائر وهو صاحب هذه الترجمة .

يقول العلامة السبكى إن أحمد الغزالى وهو شقيق أبى حامد الغزالى المعروف بمصنفاته ومؤلفاته كان فى وعظه وتأثيره على النفوس وخطبه أخطب من دهر وأوعظ من قبر وأدق من نهر ، وكان أرق من الهواء وأسلس من سلسبيل الماء . كان واعظا تنفلق صم الصخور عند استماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره ، فلا قلب إلا تبين صدعه ، ولا جفن إلا رشح بالدم دمعه فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس فى مجالس تذكيره لتاب (١) .

وقد سما التاريخ بأبى حامد الغزالى بينما ترك أخاه فى غمار المنسيين الخاملين رغم ما كان له من أثر عميق فى العصر الذى عاش فيه معاصراً لأخيه العظيم أبى حامد الغزالى .

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص١٠٣

صلته بأخيه ، وأثره فى غيره من المفكرين . ؟

إسمه كما ورد على لسان العلامة ابن خلكان « أبو الفتوح أحمد بن محمد بن أحمد الطوسى الغزالى الفقيه الشافعى (١) » ويذكر السبكى (٢) وطاش كبرى زاده (٣) أنه كان يلقب بلقب أخيه زين الدين حجة الإسلام .

ولسنا نعرف مولده فى إحاطة شاملة ، غير أن من الثابت البين أن ميلاده كان بعد عام ٤٥١ هـ أى بعد مولد أخيه أبى حامد . فمن الراجح إذن أن يكون مولده سنة ٤٥٣ أو سنة ٤٥٢ فالفارق بينه وبين أخيه فى السن لم يكن كثيرا فقد ذهبا معاً إلى المدرسة فى حداثة سنهما .

أما عن طفولته فقد توفى والده محمد الغزالى وهما حدثان وكان والدهما أميا رقيق الحال وكان يعيش فى طوس فى القرن الخامس الهجرى لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف . وكان يطوف على الفقهاء يجالسهم

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات : ص ٤٩ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٩٢ .

ويتوفر على خدمتهم . وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبنا ويجعله فقيها . ويحضر مجالس الوعاظ ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه إبنا واعظا ، فاستجاب الله دعوتيه .

وقد أوصى الوالد بولديه إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: « إن بي أسفا بالغا على جهلي بالقراءة والكتابة واشتهى إدراك ما فاتني في ولدي هذين » . ولما مات والدهما وكانا تحت كفالة ذلك الصوفي العظيم أقبل الصوفي على تعليمهما حتى استنفدا ما خلفه لهما والدهما من المال وكان نزرا يسيرا فنهاء الرجل بحملهما وقال لهما ليس لي يدان باحتمالكما « إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من أهل الخصاصة والتجريد ، وليس لي مال أحملكما عليه، وإذن فأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة ليأتي إليكما قوتكما من هذه المدرسة فيعينكما على مضي الحياة في غضاضة من العيش » . فقال أبو حامد « فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت » (1)

ولسنا نعرف كثيرا من الاختلاف بين الأخوين في منحاهما في تلك الفترة . غير أن الفارق الفريدهو بدء تكون الوجدان الصوفي العميق عند أحمد الغزالي ، وظهوره في إقدام منقطع أثناء تلاوته أو إنشاده أو صلاته ، وفي حبه للعزلة والخلوة ونأيه عن الجلوة . أما أبو حامد فقد كان يتجه اتجاها غير صوفي، بل كان يعد لحياة أخرى فقهية وعقلية بعيدة عن تقاليد الصوفية .

ولم تكشف لنا المصادر التي أفصحت عن أحمد الغزالي شيئا عن دراسته الفقهية ولا عن أساتذته الذين تلقى عنهم هذا السلوك . فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان « أنه كان من الفقهاء المبرزين غير أنه جنح إلى الوعظ » (1)، ويذكر ابن السبكي وطاش كبرى زاده أنه تفقه ثم نزع إلى التصوف (2) » . وهذا ما يردده صاحب مرآة الجنان ، ونقله عنه في ألفاظه صاحب شذرات الذهب (3) .

من هنا نصل إلى أن أحمد الغزالي لم يلج حظيرة الصوفية إلا بعد أن درس علوم الشريعة محققا بذلك تلك النزعة الصوفية التي كثيرا ما نادى بها السنيون من المتصوفة .

اختلفت المشارب بعد ذلك بين الأخوين

---

(1) ابن السبكي حـ ٢ ص ١٠٣ - وإتحاف السادة للمتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لابن المرتضى حـ ١ ص ٧ وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة حـ ٢ ص ٢٠٢ .

(1) وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(2) طبقات ص ٥٤ ، مفتاح ص ٢٠٢ حـ ٢ .

(3) مرآة الجنان حـ ٢ ص ٢٢٥ شذرات الذهب حـ ٤ ص ٦٠

فى سلوكهما — فقد سار أبو حامد فى طريق الفقه ثم انتقل إلى علمى الكلام والفلسفة ، أما أحمد « فقد غلب عليه الوعظ ، والميل إلى الانقطاع والعزلة وكان صاحب عبارات وإشارات » (١) .

فإذا انتهى دوره من هذه المرحلة وجاوز تلك المفازة رحل إلى همذان على ما يذكره الحافظ السلفى قال شهدت مجلس وعظه بهمذان، وكنا فى رباط واحد ، بيننا ائتلاف واكتناف وشديد رغبة فى وثيق صحبة كان من أذكى خلق الله وأعرفهم بمواقع الكلام وأصوبه فى نفوس الكرام .

إن شئت فهو الماء نميرا أو الزهر عبيرا ، وإن شئت فهو الجمر سعيرا أو النار توقدا وزفيرا ، إن شئت فهو اللبن خالصاً سائغا يخرج من بين فرث ودم وإن شئت فهو المر النقيع والعلقم » (٢) وكذلك كل من يشعر بقسط وفير فى الوجود وأثره البعيد فى الخلود ينبغى أن يكون له لسان ذو حدين حد فائق وحد رائق إن سالمته سال عذبا وإن صارمته سل عضبا ، ومثل ذلك النحل إن رضيت عملت العسل وإن غضبت أعملت الأسل .

هذا هو أحمد الغزالى فى حالى رضاه فى الله وغضبه فى الله .

(١) شذ ات الذهب .

(٢) طبقات نفس الصفحة .

وقــد طوف البلاد واعظا من أندر الواعظين وسبقته شهرة ضربت إليها آباط المطى حتى أتاها المريدون من كل مكان قصى يقول طاش كبرى زاده « وكان يدخل القرى والضياع ويعظ لأهل البوادى تقربا إلى الله تعالى » ويقول صاحب شذرات الذهب وعظ مرة فى بلاط السلطان محمود فنحله ألف دينار (١) ، ثم انتهى به المطاف إلى بغداد ، يقص علينا ابن النجار أنه « دخل بغداد وأحــرز بها القبول الأخاذ فازدحم الناس وتسابقوا إلى شهود مجلسه والاغتراف من مناهل درسه ، وكان قد سبقه إليها أبو حامد الغزالى أخوه واجتمع به حتى التقيا على صعيد واحد ، وكانت العلائق بين الأخوين وثيقة ، فبينما أحدهما وهو أبو حامد يشرح الناس ويفصل فى أقضيتهم ويضرب فى علم الكلام والفلسفة وآداب المناظرة ومصطلح الحديث وعلم توهين الدخــلاء على الفقه والتفسير والرياضيات ، كان أخوه أحمد يرى الدنيا ببصره الثاقب فيراها دار غرور وخداع « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

ولقد كان ضعيفا مستضعفا فإذا جدَّ الجد فهو الليث عاديا ، وكان أكثر دهره صامتا

(١) شذرات نفس الصفحة .

فإذا قال بن القائلين ، لا قلب له إلا مع الله ، ويقص صاحب مرآة الجنان (١) أن إنسانا سأله عن أخيه أبى حامد أين هو فقال بعد أن جال ببصيرته النفاذة إنه فى الدم ، وذكر ذلك لأخيه أبى حامد فقال : صدق أحمد لقد كنت أذاكر فى مسألة من مسائل المستحاضة وتقص السير الوثيقة أن أبا حامد عهد فترة إلى أخيه أحمد بالتدريس فى النظامية فقام أحمد بذلك حتى عاد أخوه إليها ، وقد عاش فى بغداد مدة ، ثم عاد إلى طوس مع أخيه ، إذ يذكر ابن المرتضى وفاة أبى حامد عن أخيه أحمد ووفاة أبى حامد كانت فى طوس سنة ٥٠٥ ﻫ . وعاد أحمد إلى الطواف بعد وفاة أخيه حتى قضى سنة ٥٢٠ ﻫ فى قزوين ودفن بها .

ويطبق المؤرخون على أن الإمام أحمد الغزالى كان من عيون الوعظة فى الإسلام غير أن تلك الصفة لا يعنى بها فى تقدير المؤرخين بمقدار ما يعنى بأثره فى حياته الدراسية والوعظية الخطابية بين أترابه ومعاصريه.

ويقص علينا العلامة ابن المرتضى أن من أمهات الأسباب التى حملت الإمام أبا حامد على سياحته فى الأرض وقطعه مفاوز القفار ولجج البحار ، وزهده وانطوائه على ذات نفسه ، وعزوفه عن مفاتن هذه الدنيا وبروقها ، أنه ذات يوم جلس ليعظ الناس ، فدخل عليه أخوه أحمد وأنشده :

أخذت بأعضادهم إذ ونوا
وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدى ولا تهتدى
وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك حافزاً لتركه زخارف الدنيا وزبرجها (١) .

يتبين من ذلك أن الإمام أحمد هو الذى سلك أخاه الإمام أبا حامد إلى طريق التصوف وقد أثرت هذه الحال على أبى حامد أعمق تأثير مما جعله يترك التدريس فى النظامية مدة.

وكان عين القضاة الميانجى من أخص تلاميذ الإمام أحمد الغزالى وكان كلما به تواقا إلى ترسم خطاه فى الوعظ والإرشاد حتى أنه نشر عنه كتاب سواغ العشاق ، وترجمه إلى اللغة الفارسية . وكان عين القضاة من أكابر الأئمة ومن تلاميذه ، السالك فى الله ، الشاعر الوجدانى فى الحب والمواجيد ، الفريد العطار الشاعر الصوفى الفارسى ، وقد روى عنه المؤرخون أن هذا الشاعر أكمل الأسس والمبادئ العامة لنظرية الحب الإلهى

---

(١) ٣ ص ٢٢٥ .

(١) إتحاف السعادة جـ ١ ص ٨ .

حسبما أرسى قواعدها شيخه الإمام أحمد الغزالي .

مذهب صاحب الترجمة :

لم تصل إلى أيدينا مؤلفات الإمام أحمد الغزالي ولا مؤلفات تلميذه (عين القضاة) - وقد نشر أحدها بالفارسية حتى نستطيع عرض مذهبه الصوفي عرضا كاملا حيث يبدو أن لأحمد الغزالي مذهبا صوفيا خاصا أشار إليه العلامة الفرنسي ماسينيون Massignon إشارة مجملة غير مفصلة فقال: إنه مذهب الحب البحت أو الحب الصافي L'amour pur (1). ولا شك أن عين القضاة كان قد دان بهذا المذهب ثم دان به من بعده الفريد العطار ، ولكن ماسينيون لم يعرف هذا الحب تعريفا يميزه عن تعريف الخاصة الصوفية .

مؤلفات صاحب الترجمة :

يذكر المؤرخون أنه اختصر كتاب أخيه أبي حامد الموسوم بإحياء العلوم ، في مجلد واحد سماه لباب الأحياء ، وأن له كتاباً آخر سماه الذخيرة في علم البصيرة ، ولم تصل إلينا هذه الكتب ، غير أننا نستطيع أن نصل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مما كتبه مؤرخو الطبقات . فقد نشر العلامة الفرنسي ماسينيون نصا له بالفارسية عن كتاب يسمى سواغ العشاق الذي يقول : إن عين القضاة الهمذاني نشره عن أحمد الغزالي ، كما نشر له بعض النصوص من مخطوطة القصاص لابن الجوزي .

اتهامه في دينه من غلاة الخصوم :

وجد عليه فريق من غلاة خصومه الحانقين فنقل عنهم صاحب كتاب شذرات الذهب أن صاحب الترجمة « كان موصوما في دينه » وفي فقرة أخرى يقول : « وقد تألب عليه غير واحد وغمزوه في عقيدته » - ولا شك أن العلم أن أسمى تراث ينفث عليه بين علمائه وأدعيائه ، فكثيرا ما وصم أئمة المسلمين بالزيغ والجنوح إلى الهوى .

وقد قال صاحب مرآة اليقظان « لقد أثنى عليه الحافظ بن النجار وغيره من العلماء والأتقياء فلا يؤبه لما نقل وقيل عنه » .

وقصارى القول أن ما ورد عن العلامة أحمد الغزالي من النيل منه محض كذب واختلاق .

والدعاوى إن لم يقيموا عليها
بينات أصحابها أدعياء

عباس طه

(1) Recueil de Textes imédits P. 94 — 95.

ما يقال عن الإسلام

الإسلام في التاريخ الحديث

تأليف الأستاذ ولفريد كانتويل سميث

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال، وقد أقام زمنا في مدينة لاهور بالباكستان وساح في بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الإسلامية في القارتين الآسيوية والأفريقية، وتغلب عليه أحيانا نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المادية ولكنه يجامل الشعور الإسلامي مجاملة الرجل الذي ترتبط أعماله بالمسلمين من حين إلى حين، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السياسية مكتفيا من المعلومات بما يشبه «الإحصاء والشواهد الرسمية».

وقد اشتمل كتابه على فصول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وعرض لبعض الأمم الإسلامية الأخرى عرضا موجزا على قدر اتصاله بها وعلمه بأحوالها، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام على مجلة الأزهر وعن رسالتها الدينية ورسالة «العلماء» على الإجمال، ومهد للبحث كله ببعض الملاحظات العامة التي لا بد منها في رأيه للحكم الصحيح على وجهة التفكير الإسلامي ونظرة المسلمين إلى وقائع الحاضر وآمال المستقبل، ولم يخطىء في الكثير من هذه الملاحظات وإن كان قد أحاطها بشيء من الإغراب يوهم القارىء الأوربي أن هناك أمرا غير طبيعي في «النفسية» الإسلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية في نفوس غير المسلمين.

يقول إنه ما من دين استطاع أن يوحي إلى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع، وإن الفخر بالعربية قد يمازج هذا الشعور أحيانا فيعتبر المسلم العربي آداب المروءة قبل الإسلام قدوة للأخلاق والعادات، ويشترك العربي في هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين، فيعني بالتاريخ العربي قبل الإسلام وبعد الإسلام عناية النسب الأصيل كما صنع جرجي زيدان وفيليب حتي وغيرهما من

مؤرخى العرب المسيحيين ، ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكون الإنسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين .

وبين المسلم المعاصر وسائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق فى النظر إلى العالم وإلى المستقبل، فإن الأمريكى مثلا يواجه المستقبل بتجارب العصر الحاضر ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيال فى تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ، ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر إلى المستقبل ليقيمه على أساس من الماضى المجدد ، ويسعى إلى الغد ولا يفوته أبدا أن يلتفت إلى الأمس البعيد ، وإن لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على ما تقتضيه مطالب الحضارة الحديثة .

ويقرر المؤلف أن جنوح المسلم إلى مسايرة الحضارة الحديثة لا يزال مصحوباً بكثير من التحفظ والحذر فى علاقته بأصحاب هذه الحضارة ، فإنه لا ينسى أن دول الحضارة الأوربية هى التى اخضعته لسيطرتها منذ أواسط القرن الماضى واقتحمت بلاده عليه فى الوقت الذى ثار فيه على حكوماته الوطنية طلباً للإصلاح والأخذ بأسباب تلك الحضارة التى أرادها خالصة من شوائب الاستعمار ، بريئة مما يناقض الدين .

قال : وإن المسلم ليحس أن الأوربى يفرق فى المعاملة بينه وبين أصحاب الديانات الأخرى ولو لم يكونوا من المسيحيين ، وأن هذه التفرقة تظهر من الأوربى حيث ينبغى أن تختفى جميع الفوارق فى معاملة الإنسان للإنسان . فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود ، ويحدث هذا فى المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار من هذا التمييز .

ويعتقد المؤلف أن الغربى لا يفهم الإسلام حق فهمه إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطنا وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة ، فليس التفكير بنافع شيئا إن لم يكن مصحوبا بتطور المعيشة وتطور أسلوب الحياة الظاهر والباطن فى المجتمع الإسلامى الحديث .

ويستعير المؤلف اسم المعتذرين Apologetics لرواد النهضة الإسلامية الحديثة لأنهم - كما يرى - يسلكون المسلك الذى جرى عليه الآباء المسيحيون فى صدر الدعوة المسيحية للرد على الفلاسفة والمفكرين الذين اشتهروا يومئذ باسم المعرفيين وأرادوا أن يجعلوا مذهب المعرفة ديانة تقابل الديانة المسيحية وتتغلب عليها فى مجال البحث عن الحقيقة الدنيوية والحقيقة الأخروية .

وقد كان المعتذرون قديما يردون على المعرفيين

بإثبات العقائد الدينية من الوجهة العلمية أو وجهة المنطق ومباحث ما وراء الطبيعة، فلما شعر المسلمون بصدمة العلوم الحديثة كان مسلك الرواد الأوائل من طلائع نهضتهم كمسلك أولئك المعتذرين، وكان همهم الأول حقبة طويلة أن يثبتوا سبق العرب والمسلمين إلى كشف الحقائق العلمية واستعداد العقيدة الإسلامية لقبول الحقائق العلمية التي تسفر عنها مباحث العلماء العصريين.

وأضاف إلى ذلك قائلا: إنه يرى كما يرى الأستاذ (جب) المستشرق المشهور أن مستقبل الإسلام في هذه الحركة وفي غيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه من قبل بين أيدي حراسه الأوائل، وهم طائفة العلماء.

ثم يستطرد إلى الكلام على مجلة الأزهر لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الإسلامي الذي يضم إليه العدد الأكبر من علماء الإسلام.

قال إن هذه المجلة ظهرت أولا باسم نور الإسلام، وظهرت منها الأعداد الأولى بهذا الإسم ثم سميت من عددها السادس باسم مجلة الأزهر (١٣٤٩ هجرية و ١٩٣٠ ميلادية) وقام على تحريرها العالم الأزهري الشيخ محمد الخضر حسين، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى المجدد العصري Modernist الأستاذ محمد فريد وجدي. ولم يزل يشرف على تحريرها إلى سنة ١٩٥٤، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضوعا لدراسته التي قدمها إلى جامعة برنستون سنة ١٩٤٨ باسم (مجلة الأزهر - عرض ونقد) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك إلى حين إصداره لكتابه الأخير باسم الإسلام في التاريخ الحديث.

ويقول الكاتب إنه لا ينظر إلى الآراء الخاصة التي تنشرها المجلة للعلماء، ولغير العلماء إلا من زاوية واحدة؛ وهي الزاوية التي تشير إلى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة أو تتقبله جمهرة منهم على التعميم، ورأيه في الأستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الإسلام، وأن الأستاذ فريد وجدي مجدد عصري لا تزال طريقته في التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد، وإن يكن بعض آرائه منظورا إليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمنه، ولا اختلاف بين الأستاذ وجدي ولا بين السلفيين أو المجددين المتأخرين في رأي واحد يتفقون عليه: وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الإسلام وأن القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذي يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية ولكنهم لا ينصرفون عنها، بل يزدادون إيمانا بها، مع التوسع في العلم الحديث، والتوسع في العلم بالدين.

ويقول صاحب الكتاب في مقابلته بين منهج الشيخ الخضر ومنهج الأستاذ وجدي إن أولهما يعتبر الإسلام وحيا تاما قد تنزل

على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه. وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضى، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها لأنها صالحة لكل زمان، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كلما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس أو بالإلهام. وقد تساوى فى نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة إلى التصحيح والإصلاح: وهما - على تعبير المؤلف - طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه.

أما الأستاذ وجدى فخطته فى الإصلاح تتجه قبل كل شىء إلى إحياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى، لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد ولا الأخلاق، وأن مشكلة الإنسان العصرى مشكلة أخلاقية نفسانية تستدعى من المصلح أن ينهض بأمثلته العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود به إلى حظيرة المثل الروحانية، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده إلى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية.

* * *

وليس المقام بمتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الإسلام فى الباكستان والهند والبلاد التركية والإيرانية وسائر الأمم الإسلامية، ولكن تعليقاته التى أجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الإسلامية بين تلك الأمم - وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزعجت أمم الإسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الإسلام للسير مع الحضارة الأوربية فى ركابها، وإنما يتفقون - معظمهم - على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها إلى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم، ولم يظهر بعدُ كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم الغربى على اختلاف مناحيه، وكل ما هو واضح - اليوم - ولا حاجة به إلى المزيد من الإيضاح أن دعاة الحضارة الأوربية يفقدون عطف العالم الإسلامى إذا حاولوا أن يعاملوه غداً كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع، إذ لا سبيل إلى التفاهم على غير أساس المساواة.

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

زيارة سفير الباكستان :

فى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأحد ١١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨١ (الموافق ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٦١) زار سيادة سفير الباكستان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وبعد أن رحب به فضيلته قدم دعوة من جامعة كراتشى ، وأخرى من مركز البحوث الإسلامية لزيارة الباكستان وقد سر فضيلته بهاتين الدعوتين ووعد بتحقيق رغبة المسلمين فى الباكستان فى أقرب فرصة ممكنة ، وقال إنه يسره ويسعده أن يلتقى بإخوانه المسلمين فى أى بقعة من بقاع الأرض .

ثم عرض فضيلته لتوحيد الرأى الإسلامى فى المسائل الإسلامية فقال إن مجمع البحوث الإسلامية الذى سيضم علماء من جميع الأقطار الإسلامية سيكون عاملا قويا فى سبيل توحيد كلمة المسلمين التى عمل الاستعمار جاهداً على تفريقها ، والحمد لله قد زالت الحواجز الآن وأصبح كل المسلمين فى جميع الأقطار يتطلعون إلى اليوم الذى تتوحد فيه كلمتهم فى ظل العقيدة الصحيحة ، والتعاليم الإسلامية السمحة . وتحدث فضيلته عن مكانة الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى ، وقال إنه رأى بعينيه حاجة الناس الشديدة إلى جهود الأزهر ، واحترامهم وإجلالهم لرجاله ، وللزى الأزهرى فى ذاته .

ثم أهدى فضيلة الأستاذ الإمام لسيادة السفير مؤلفات فضيلته ، وودعه كما استقبل بالبشر والترحيب .

واستقبل فى يوم ٩ / ١١ / ١٩٦١ فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد مكى صاحب مجلة المسلم المختار ، وبعد أن حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قال لفضيلته « إن مركزاً ثقافيا إسلاميا كون فى جنوب إفريقيا منذ ١٩٣٤ ، وهذا المركز يعتبر مصدر إشعاع للعلم والمعرفة تنفق عليه لطبع الكتب والتوجيه العلمى ، وحبذا لو مد الأزهر يده إليه خاصة وأن الأزهر يعتبر الكعبة العلمية الأولى للمسلمين . فأجابه فضيلته بأن الأزهر على استعداد لأن يعاون بالكتاب وبالمدرس بما يقوى الصلات الإسلامية بين المسلمين جميعا

وقد أمر فضيلته بأن تبحث طلباته فى إدارة الثقافة الإسلامية للاستجابة إلى ما يمكن تنفيذه فيها . ثم استقبل فضيلته السيد الشيخ على إسماعيل وزير الدفاع الصومالى الذى قال لفضيلة الأستاذ الأكبر « إنه لشرف عظيم أن نلقاكم وأن نتحدث إليكم » قال فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الأمم دائما تحتاج إلى عنصرين : عنصر القوة المادية ، وعنصر القوة الروحية، والأزهر والحمد لله يمثل القوة العلمية المبصرة للناس الموجهة لهم الدافعة إلى كل معانى القوة التى تكفل لهم الخير والسداد والتوفيق ، وإنه ليسرنى أن نلقاكم وأن نلق معانى الشباب فيكم ، فإنه التضامن الذى دعا إليه الإسلام وحث عليه ووجهنا نحوه ، فمرحبا بكم فى جامعتكم وفى أرضكم .

ثم شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر على عنايته بالبعوث الإسلامية التى يختارها للصومال وخاصة هذه البعثة الموجودة الآن والتى تظهر إخلاصا ونشاطا فى الدعوة الإسلامية . وقد أهدى له فضيلة الأستاذ الأكبر المصحف الشريف وتفسيره للقرآن وبعض مؤلفاته .

ثم قبل الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر شاكراً له . ومما يذكر أن الوزير من المتخرجين فى كلية أصول الدين سنة ١٩٥٩ م .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الأستاذ بادر كبير علماء الطب الصناعى فى ألمانيا .

* * *

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه الشيخ أحمد بشير ، رئيس مجلس الشورى فى الفلبين، فحياه فضيلته قائلا : « أهلا بكم فى بلادكم وفى الأزهر الذى يحبكم ويقدركم، إن أملنا فى المسلمين فى الفلبين لقوى ، وإننا لنحب لهم الخير والسعادة والتقدم والازدهار ، فقد رأينا فيكم حين التقينا بكم هناك قوة فى الإسلام وصلابة فى العقيدة مما جعل قلوبنا تتعلق بكم » ، فقال السيد الزائر : « لقد رأينا فيكم حين شرفتمونا بالزيارة ما أكد لنا رجاحة عقلكم وحرية تفكيركم مما نعتبركم من أجله من كبار المجتهدين ، وإنكم خير خلف للأئمة الذين يسروا الفقه الإسلامى وقدموه للناس ، يحقق لهم أغراضهم فى الحياة ، متمشيا مع كتاب الله وسنة رسوله ، الأمر الذى نحرص عليه كل الحرص فى حياتنا » .

قال له فضيلته : « إن الفلبين لتعتبر بحرصها هذا على دين الله - جزءاً من الأزهر كما أن الأزهر يعتبر جزءا منها » . أما التطوير يا أخى فأنا أعتقد أنه جاء متأخرا لأن الأمانة الملقاة على عاتق الأزهر أمانة يجب ألا يغفل عنها لحظة ولا يتأخر عن أدائها أبدا ، نحن نحب أن يتعلم الناس اللغة العربية لغة كتاب الله الذى

أنزل بلسان عربى مبين على رسول عربى ، ولكننا مع هذا لا نريد أن نقف حتى يتعلم الناس هذه اللغة بل نحن نخطو نحوهم خطوات واسعة حتى يستطيع الأزهر أن يخاطب كل من يلقاه فيكون رسل الأزهر رسلا يؤدون الأمانة وينقلون للمسلمين فى أنحاء الأرض المفاهيم القوية والمبادىء السليمة التى احتواها ديننا وحرص على أن يسعد بها البشرية جميعا .

لقد أمرت بدراسة اللغات الأجنبية بمجرد أن وليت مشيخة الأزهر إيمانا بأنها من أقوى الوسائل للاتصال بإخواننا المسلمين الذين لم يدرسوا اللغة العربية ، فقد مثلت الأزهر فى عدة مؤتمرات كان منها مؤتمر لاهاى سنة ١٩٣٧ م ، ولم يكن ثمة عقبة فى التفاهم إلا اللغة ولولا أننى كنت محتاجا إلى من يترجم لى لكان الأثر بالغا والفائدة مزدوجة . أنا أذكر مثلا أن القائمين على أمر الأزهر كانوا يتحرجون من دراسة اللغات الأجنبية كما كانوا يتحرجون من دراسة الجغرافيا ، ولكننا نحمد الله أن استطعنا أن نجعل للأزهر كيانا يستطيع أن يؤدى الرسالة على الوجه الذى يحقق آمال المسلمين ، فهناك فرق بين المخاطبة المباشرة وبين أن نتكلم عن طريق المترجم ، فكثير ما يتصرف المترجم فى المعانى بغير الجهة التى نريدها .

ولما سأل سيادة الزائر متى تتاح الفرصة لدراسة البنات بالأزهر قال فضيلته : « نحن الآن نعد تخطيطا من هذا النوع فإننا نريد أن نخرج أما تبنى جيلا وتنهض بالتبعات التى تلقى عليها وتحقق آمال الأمة فيها ، لا فتاة تنصرف إلى التبرج والزينة وتتبع أحدث معالم الملابس وغيرها مما يفقدها شخصيتها ، نحن نريد أن تكون للمرأة شخصيتها التى كونها الإسلام لها والتى حققها فى كل نواحى الحياة من أجلها ، وذلك لا يكون إلا بأن نستمد هذه المعرفة من واقع ديننا ليلتقى بواقع مجتمعنا ، وهكذا نخدم أمتنا ونخدم الأجيال القادمة وجيلنا الذى نعيش فيه ، ولقد اتخذنا الأهبة فملا لذلك وأعددنا العدة حتى يكون الافتتاح فى أول العام القادم إن شاء الله .

إننا مستعدون لتلبية طلباتكم وتحقيق رغباتكم فيما يكفل لكم حياة تتفق مع المبادىء الإسلامية والمثل العليا فيها .

وقد ودع فضيلة الإمام الأكبر الزائر قائلا له : « أرجو أن تحمل تحياتى إلى المسلمين جميعا فى الفلبين » .

فقال الزائر : « إننا ندعو لكم بطول البقاء حتى تحققوا للمسلمين جميعا ما نصبو إليه » ، وقد كان يرافق السيد الزائر : السيد فهمى العمروسى ، السفير السابق فى الفلبين . والسيد الدكتور إبراهيم كاظم ، الأستاذ المساعد

فى كلية البنات . والملحق الثقافى فى الفلبين .

* * *

مؤتمر صحفى :

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مؤتمر صحفى حضره لفيف كبير من الصحفيين ، كما حضره كبار رجال الأزهر وعمداء الكليات الأزهرية ووكلاؤها .

وقد بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر حديثه بشكر الصحفيين على تلبية دعوة فضيلته ثم قرأ عليهم البيان الذى نشرناه فى افتتاحية هذا العدد ، وبعد أن انتهى من بيانه قال إنه ومدير جامعة الأزهر بالنيابة ، ومدير المعاهد الدينية يرحبون بالإجابة عن أى سؤال ، و بشرح كل استفسار .

فسأل أحد الصحفيين عن مدارس تحفيظ القرآن ، وعن صلتها بالأزهر ، فأجاب الدكتور محمد ماضى مدير المعاهد الدينية بأن للأزهر عناية كبيرة بهذه المدارس ، وأن القانون يعتبرها القسم الابتدائى للأزهر ، وأن من هذه المدارس سبعين مدرسة كانت تحت إشراف وزارة التربية والتعليم وضمت إلى الأزهر ومنها ٥٥٠ مدرسة كانت كتاتيب وستحول إلى مدارس يشرف عليها الأزهر .

ثم سأل هذا الصحفى عن الإمكانيات المادية التى يتطلبها التنظيم الجديد للأزهر ، وهل وضعت ميزانية لهذا الغرض .

فأجاب الدكتور محمد البهى بأن الذى رعى قانون تطوير الأزهر ، وهو الرئيس جمال عبد الناصر سيمكن الأزهر من أداء رسالته على أتم وجه .

أما الإمكانيات الفنية فلدينا نخبة من العلماء ، وسيعنى الأزهر بالبعثات العلمية ، والذى أعرفه أن هناك مشروعا للميزانية قد أرسل للجهات المختصة .

وأجاب عن سؤال ثالث بأن جامعة الأزهر ستحتفظ بطابعين .

الأول : المستوى الإسلامى والعربى .

الثانى : المجانية فى كل شىء .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر عن سؤال يتعلق بتعليم الفتاة فى الأزهر فقال إننا سنفتتح فى العام القادم كلية الدراسات الإسلامية للبنات ، وسيكون للمغتربات عن القاهرة مكان مستقل فى مدينة البعوث الإسلامية .

ونرجو أن يكون فى المستقبل معاهد إعدادية وثانوية للبنات تلحق بالأزهر أما عن طلبة البعوث فإن الدولة لم تدخر وسعا فى توفير الرعاية لهم ، وإن مدينة البعوث - كما قال الدكتور البهى - أحسن من أى مدينة تماثلها فى أى بلد من بلدان العالم .

(البقية فى الصفحة التالية)

بريد المجلة

أفلسفة جديدة للبوذية ؟

أذاعت إحـــدى المحطات الأجنبيـة فى الشهر المـاضى خبراً مؤداه :

« إن مظاهرة ضخمة تزعم قيادتها بعض الكهنة البوذيين ، احتجاجا على حكومة برما التى سمحت للمسلمين بإنشاء ثلاثة مساجد فى ضواحى (رانجوت) العاصمة ، وقد اتجهت المظاهرة بقيادة الكهنة إلى المساجد الثلاثة ، فأحرقت أحدها وخربت آخر ، واشتبك المتظاهرون مع رجال البوليس فقتل أربعة وجرح عدد غير قليل ، وقبض على حوالى ثلثمائة من المتظاهرين من بينهم سبعون كاهناً بوذيا ... » .

هذا الخبر أذاعته محطة أجنبية تمت بالصداقة الوثيقة إلى بورما وقرأت تعليقا عليه فى بعض الصحف العربية ، وليس فيـه شىء من الاختلاق أو التجنى أو المبالغة ، وإلا كان المسئولون فى حكومة بورما بادروا بالتكذيب أو التصحيح ، لا سيما أن موقف الحكومة سليم ، فالمسلمون فى بورما يبلغون سبعمائة ألف

(البقية فى الصفحة السابقة)

وأخيرا وجه أحد الصحفيين سؤالا يقول إنه أشيع أن بعض إدارات الأزهر ستنقل إلى وزارة من الوزارة . فأجاب فضيـلته إجابة حاسمة قائلا : إن المادة الثانية من قانون تنظيم الأزهر نصت بصراحة على أن الأزهر هو المشرف الوحيد على جميع الأجهزة الدينية ، وليس لأحد غيره شىء من هذا الإشراف .

وفى الساعة الواحدة بعـد الظهر أعاد الأستاذ الأكبر شكره للصحفيين كما شكر الصحفيون لفضيلته هذه الدعوة ، ورجوا أن تتكرر مثل هذه الاجتماعات حتى يكون العالم كله على علم بما يجد فى شئون أكبر جامعة إسلامية .

مسلم ، ومن حقهم كمواطنين أن يقيموا أماكن العبادة ، لتأدية شعائرهم الدينية ، ولم تقف الحكومة حائلا دون ذلك .

ولسنا ندرى أهذه فلسفة جديدة للبوذية فى برما تحترم التعصب الدينى الأحمق الذى يصل إلى درجة السفه والشغب وسفك الدماء ؟

أم أنها ظاهرة جديدة من ظواهر التنكر لروح البوذية الأصيلة التى قامت على الحب والرحمة والتسامح ، هذه المبادىء التى ظل بوذا نفسه متنقلا خلال أربعين عاما من مكان إلى مكان داعيا إليها ، ومشاركا الناس آلامهم ومتاعبهم ؟

مثل هذا الحادث ليس بالأمر الهين وليس الضرر فيه واقعاً على مواطنين مسلمين يبلغون ثلاثة أرباع السكان فى بورما ، إذا قيس بالنسبة للإساءة المعنوية التى تلحق البوذية نفسها ومن خلفها خمسمائة مليون بوذى يقطنون بورما وسيلان واليابان وغيرها .

نحن نعتقد أن تلك الشرذمة من الكهنة البوذيين ليست فى حاجة إلى أن نذكرها بروح البوذية التى تفيض سماحة وحبا ووداعة ، وكانت فى أساسها - كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر فى كتابه (بوذا الأكبر) - ديانة عملية تدعو إلى ضبط النفس وقمع الشهوات ، والتسامح والتمسك بالآراء الصحيحة » . وكما يقول بوذا نفسه فى إنجيله :

« إن الزاهد الحق هو الذى يشعر بالغبطة والفرح فلا يتكبر ولا يتجبر ، بل يزداد لطفا ووداعة فلا يخدع ولا يراوغ ولا يشتم ولا يسبب ضررا لأحد » .

« على الإنسان أن يغلب غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولد المقت لأن المهزوم فى شقاء ، وإن الكراهية ليستحيل عليها فى هذه الدنيا أن تزول بكراهية إنما تزول الكراهية بالحب » .

« لا يطهر نهر رجلا متعهدا للسيئات مضمرا المقت مرتكبا للجناية ... »

* * *

يجب أن لا يمر بنا - نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها - مثل هذا الحادث دون أن يثير انتباهنا فليس لنا أقليات فى بورما وحدها بل لنا ، فى كثير من البلاد أقليات تلقى من التعنت والاضطهاد العقيدى شيئا كثيرا ،

ولعل هذه الأقليات فى الشرق مهبط الديانات لم تجد بعد الكعبة التى تتجه إليها ، لحماية عقائدها والانتصار لها فى شد أزرها ، ولعلها لم توفق بعد إلى « معتصم » جديد تستغيث به فيلبى استغاثتها ، فالدول الإسلامية على كثرتها كل مشغول بنفسه وقضاياه الداخلية والخارجية - أما المسلمون الذين يمثلون أقليات فى بلادهم ، فلهم الله وحده .

إن هذه الأقليات المسلمة أمانة لا فى عنق الأزهر وحده، ولا فى عنق المؤتمر الإسلامى فى القاهرة، والباكستان وحدها، ولا فى عنق حكومات الدول الإسلامية وحدها، وإنما هى أمانة فى عنق كل مسلم سيسأل عنها أمام الله والتاريخ .

وبعد - فإذا طاب لرجال الكهنوت فى بورما البوذية أن يتنكروا لمبادئ دينهم، ومبادئ قديسهم الأكبر، فهلا فكروا قليلا، فى أن أحد زعمائهم «يوثانت» عين أخيرا سكرتيراً لهيئة الأمم المتحدة لينقذ العالم من هوة قد يتردى فيها، والمعتقد أن المبادئ التى يدين بها أسهمت كثيراً فى اختياره .

نحن نملك أن نذكر رجال الكهنة البوذيين مرة أخرى بقول «بوذا» :

«كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها - أو ابنها الوحيد - ولو أدى ذلك إلى تضحيتها بحياتها - فكذلك يجب على الإنسان أن ينمى فى نفسه حبا لا حد له لجميع الكائنات. وأن يشعر قلبه المحبة الخالصة من جميع الشوائب لكل ما فى العالم».

ولكنا لا نملك إلا أن نقول للأقليات المسلمة فى بورما : اصبروا وصابروا ورابطوا ولكم الله !.

محمد عبد الله السمان

يجادلونك فى الحق . . .

يرى القراء فى غير هذا المكان من هذا العدد مقالا لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى، وقد لاحظنا عليه - كما يرون - أن الآية التى جعلت عنوان الموضوع قد اقتطعت وانتزعت من سياقها ولحاقها حتى عمى معنى الحق الذى دار الجدل حوله بين المخاطب وهو النبى صلى الله عليه وسلم وفريق من المؤمنين، كما يرشد إلى ذلك قول الله قبل ذلك «وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون».

ولو ذكر فضيلته مطالع السورة واستحضر الصورة التى كان عليها الموقف ما عرض الآية مقتطعة مبتورة وما خطر بباله احتمال أن يكون هذا الجدال من الكفار، وما ذكر الحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض تحت عنوان «يجادلونك فى الحق بعد ما تبين» فإن كلمة الحق تفسر فى كل مقام بما يناسبه، على ألا يخرج التفسير عن معنى الأمر الثابت المقرر، فالحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض هو الحكمة أو القوانين الثابتة التى قام عليها وجودهما وتكوينهما والحق الذى يفهم من قوله تعالى «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» يتسع لمعانى الصدق والبر والخير والبقاء والهدى، والحق الذى يفهم من قوله سبحانه «فتعالى الله الملك الحق» غير الحق الذى يفهم من قوله «يجادلونك

فى الحق بعد ما تبين ، ومن ثم رأينا أن المقال ليس فى مجال الآية وأن الآية ليست فى مجال المقال .

عبد الرحيم فوده

حديث الاشتراكية :

يسأل بعض قراء المجلة عن حديث « المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » . فقد رآه مرة بهذه الرواية ، ورآه مرة أخرى بلفظ « الناس شركاء .. الخ » ورآه مرة ثالثة ، وفى آخره : فلا يجوز لأحد تحجيرها ولا للإمام بيعها ، ثم يقول : إنه لا يهتم بإسناد الحديث ، وإنما يهتم بصيغه المختلفة .

ونجيب السائل الفاضل ، بعد رجوعنا إلى أصول كتب الحديث وفروعه ، منفردة ومجتمعة — بالخلاصة التالية :

رُوى هذا الحديث بلفظ : « المسلمون ... » عن ابن عباس ، وعن ابن عمر ، وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأما حديث ابن عباس ، فأخرجه ابن ماجه فى سننه فى الأحكام ، ولفظه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار ، وثمنه حرام .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه الطبرانى فى معجمه ، ولفظه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار .

وأما حديث الرجل ، فأخرجه أبو داود فى سننه فى البيوع ، ولفظه عن أبى خداش (بوزن فراش) حبان بن زيد عن رجل من الصحابة قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أسمعه يقول : المسلمون شركاء فى ثلاث : فى الكلأ ، والماء ، والنار ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد فى مسنده بهذا اللفظ . فكل الروايات السابقة متفقة على لفظ « المسلمون » وكلها متحدة فى اللفظ أو متقاربة جدا كما ترى ما عدا رواية ابن عباس ففيها زيادة : « وثمنه حرام » أى ثمن المذكور من كل واحد من هذه الثلاثة وقد جعله عنوانا ولم يخرجه فى رواياته بلفظ « الناس » واعترافا بالجميل لأهله نشهد بأن هذا الكتاب كان هو عمدة المصادر التى أنافت على العشرين .

أما روايته بلفظ : « الناس شركاء .. » الخ فلم نجده إلا فى مصدرين :

(١) نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى وهو الحديث الخامس من كتاب إحياء الموات حـ ٤ .

(٢) بلوغ المراد ... للحافظ بن حجر : عن رجل من الصحابة الخ ، قال : رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ولابد أنه حفظه كذلك فى لفظ آخر لأبى داود ، أو لأحمد ،

وكفى بالحافظين ثقة وحجة ، وكفى بهما توثيقا واحتجاجا.

قال فى سبل السلام شرح بلوغ المرام : وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة مرفوعا : ثلاثة لا يمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار . وإسناده صحيح .

وأما قول السائل الفاضل إنه رأى فى آخر بعض الروايات : فلا يجوز لأحد تحجيرها... فذاك من كلام الشراح . وخلاصة ما قال شراح هذا الحديث فيه .

إن المراد بالكلأ هو الحشيش النابت فى الأرض الموات ، وبالماء ماء السحاب والعيون والأنهار التى لا مالك لها وبالنار الشجر الذى يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه أو الحجارة التى يقدح بها . فكل الناس فى هذه الأمور سواء إلا إذا ادخر إنسان شيئا من ذلك فلا يجوز التعرض له إلا برضاه وإن وجب عليه بذله للمضطر .

ذلك ، ومن المعروف أن اختلاف الروايات فى الحديث بالإجمال والتفصيل أو التقديم والتأخير لا يضر ما لم يتعارض أو يضطرب ، ولا تعارض فى هذا الحديث ولا اضطراب .

هذه خلاصة بضعة وعشرين مصدراً من أمهات كتب الحديث وغيرها ، ولولا خشية الإطالة لذكرناها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

طه محمد الساكت

حكم الشريعة :
فى التلقيح الصناعى .

السيد الأستاذ مدير المجلة :

اطلعت على مقال تحت عنوان (فكرة) الأستاذ على أمين فى مجلة حواء العدد ٢٦٦ بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٦١ والمقال انتصار لفكرة التلقيح الصناعى ، وتحريض عليه ، وترغيب للمجتمع فيه .

وهذا الموضوع ليس بالموضوع الهين ، بل يحتاج إلى بحث شامل من النواحى الدينية والاجتماعية وأرجو أن تتفضلوا بإحالة هذا الموضوع على فضيلة الأستاذ الأكبر ليبدى رأيه فيه .

وهيبه مأمون الشناوى
الأمينة العامة لجماعة السيدات المسلمات
بالحلمية الجديدة

وقد عرض هذا السؤال على الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأجاب هذا الجواب :

نستطيع أن نقرر بالنسبة لحكم الشريعة فى التلقيح الصناعى الإنسانى أنه إذا كان بماء الرجل لزوجه ، كان تصرفا واقعا فى

دائرة القانون والشرائع التى تخضع لحكمها المجتمعات الإنسانيه الفاضلة ، وكان عملا مشروعا لا إثم فيه ولا حرج ، وهو بعد هذا قد يكون فى تلك الحالة سبيلا للحصول على ولد شرعى يذكر به والده وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ، ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المودة بينهما ، أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبى عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج ولعل هذه الحالة هى أكثر ما يراد من التلقيح الصناعى عندما يتحدث الناس عنه ، فإنه يزج بالانسان دون شك فى دائرتى الحيوان والنبات ويخرجه عن المستوى الانسانى مستوى المجتمعات الفاضلة التى تنسج حياتها بالتعاقد الزوجى وإعلانه .

وهو فى هذه الحالة بعد هذا وذاك - يكون فى نظر الشريعة الاسلامية ذات التنظيم الانسانى الكريم ، جريمة منكرة ، وإثما عظيما ، يلتقى مع « الزنا » فى إطار واحد جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة ، وهو وهو وضع ماء رجل أجنبى قصدا فى حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد إرتباط بزوجية شرعية يظلها القانون الطبيعى ، والشريعة السماوية ، ولولا قصور فى صورة الجريمة لكان حكم التلقيح فى تلك الحالة هو حكم الزنا الذى حددته الشرائع الإلهية ونزلت به كتب السماء .

وإذا كان التلقيح البشرى بغير ماء الزوج على هذا الوضع ، وبتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرما وأشد نكرا من « التبنى » وهو أن ينسب الإنسان ولدا يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه ، وإنما كان التلقيح أفظع جرما من التبنى ، لأن الولد المتبنى المعروف أنه للغير ليس ناشئا عن ماء أجنبى عن عقد الزوجية ، إنما هو ولد ، ناشىء عن ماء أبيه ألحقه رجل آخر بأسرته ، وهو يعرف أنه ليس حلقة من سلسلتها غير أنه أخفى ذلك عن الولد ولم يشأ أن يشعره بأنه أجنبى ، فجعله فى عداد أسرته وجعله أحد أبنائه ، زورا من القول وأثبت له ما للأبناء من أحكام .

أما ولد التلقيح فهو يجمع بين نتيجة التبنى المذكور ، وهو إدخال عنصر غريب فى النسب وبين خسة أخرى وهى التقاؤه مع الزنا فى إطار واحد ، تنبو عنه الشرائع والقوانين ، وينبو عنه المستوى الإنسانى الفاضل ، وينزلق به إلى المستوى الحيوانى الذى لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة ، وحسب من يدعون إلى هذا التلقيح ، ويشيرون به على أرباب العقم ، تلك النتيجة المزدوجة التى تجمع بين الخستين ، دخل فى النسب وعار مستمر إلى الأبد ، حفظ الله على المسلمين أنسابهم ومستواهم الإنسانى الفاضل .

حول فلسفة الفكر الإسلامى :

عنوان مشوق لكتاب جديد من سلسلة الثقافة الإسلامية يغرى القارئ بالاطلاع عليه ولقد نظرت إلى عنوانه فاشتريته وتصفحته تحت تأثير عنوانه البراق وزادنى ثقة وإغراء إنه فى سلسلة الثقافة الإسلامية التى عودتنا أن تقدم لنا فوق مائدتها خير زاد من الثقافة الإسلامية وعهدنا بالمشرف المسئول الأستاذ محمد عبد الله السمان أنه النقادة القوى الملاحظة .

قدم الناشر للكتاب فقال : المؤلف هو الكاتب الفرنسى هنرى سيرويا وكتابه عن فلسفة الفكر الإسلامى يعرض بصورة حية مركزة هذه الفلسفة الإسلامية ومذاهبها فى العالم العربى حيث كان مركز الإشعاع الدينى . كما يحلل الأفكار الفلسفية لكبار المفكرين الإسلاميين كابن رشد وابن سينا والفارابى والغزالى ـ وهذا الكتاب قد أهداه إلينا الأستاذ الكاتب المعروف مالك بن نبى ، الذى يتابع دراساته على ضوء الإسلام فى مشكلات الحضارة ولهذا الإهداء قيمته فقد قرأه أستاذنا واطمأن إليه ونصح بترجمته . اهـ

وإنى أعجب وأعتب على من أهدى الكتاب وأوصى بترجمته وعلى من ترجمه وعلى من قبل الاهداء واطمأن له .

وليس المجال مجال تحليل للأخطاء والأوهام المنبثة فى الكتاب ويكفى أن نعرض نصوصا صريحة فى معاندة الاسلام وهدمه من غير دليل لا فلسفى أو غير فلسفى ـ فى صفحة ٢١ : « وحياة محمد المحوطة بالقصص التى تسر أهل الشيعة ما هى إلا من الخيال الفارسى والمرة الوحيدة التى نحا فيها محمد نحوهم » يقصد الخيال الفارسى ، وسلك هذا المسلك كان فى رحلته الليلية التى أسرى فيها إلى بيت المقدس على ظهر دابة خيالية فقوبل محمد بعاصفة من السخرية مما دعاه إلى أن يؤكد لهم أن رحلته لم تخرج عن كونها حلما ، وكل ما يعلق به الناشر على هذه الادعاءات الكاذبة قوله : الرسول لم يؤكد أن الاسراء كان رؤيا وإنما اختلف علماء المسلمين ، واكتفى بهذا التعليق الأبتر وترك إحاطة النبى عليه السلام بقصص الخيال الفارسى وركوبه على ظهر الدابة الخيالية وتراجع النبى أمام سخرية القوم عن رأيه .

ثم يستمر المؤلف فى افترائه فيقول « وتأثير العبقرية الفارسية المعارضة للعبقرية العربية نرى أن أسطورة محمد قد زادت تعقيبا » .

وفى صفحة ٢٤ « ومحمد الذى تطبع بالكثير من الخلق العربى نرى له بعض النزعات والأفعال من العسير غفرانها وهى

على أية حال أقل شأناً مما ارتكبه تلميذه عمر. فهو قد سمع ولم يتردد فى إباحة السلب والنهب والقتل واستخدام الكذب فى خدع الحرب وحيلها - وهل يكفى أيها القارئ أمام هذا التيار الجارف أن يعلق الناشر بقوله فى الهامش هذه مفتريات . فالرسول بشر يخطئ ويصيب ولكن لا يخفى على ذى الفطنة أنه لا محل لهذه الجملة فى التعقيب على هذه الافتراءات .

إن الاعتزاز بذلك موهم بالتسليم وفى نفس الصفحة : « والمسلمون كما يقول رينان لديهم الإيمان واليقين ونبل الخلق قد امتزجا إلى حد ما بالخداع والحيلة والتمويه .

فأى تفكير وبأى وجه يحسب هذا تفكيراً فلسفيا إسلاميا - هو ليس بتفكير إطلاقا ولكنه سباب ولا صلة له بالإسلام ولا علاقة ، اللهم إلا علاقة التضاد فأولى بالسلسلة الإسلامية وأكمل لها أن تبتعد عن هذه البضاعة ومن الخير ألا تلتفت إلى هذا اللغو من الحديث وأن تظل بطابعها الأسمى كما عودتنا وكما عهدنا فى مشرفها الكريم والله الموفق .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

تصويب خطأ :

وردت فى عدد جمادى الآخرة من المجلة الآية الكريمة « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

محرفة سهوا إلى ... ورزق ربك خير مما يجمعون وذلك بالصحيفة رقم ٧١٧ فى مقال للأستاذ على العمارى .

نرجو التكرم بالتنبيه على ذلك فى العدد القادم من المجلة .

والله يوفقنا للقيام بواجب حفظ كتابه الكريم ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

عبد اللطيف محمد عبد السلام
مدرس بوزارة التربية والتعليم

الكتب

نقـــد وتعريف

بقلم ـــ محمد عبد الله السمان

---

١ ـــ هل نحن مسلمون ؟

للأستاذ محمد قطب

نشرت مكتبة وهبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ محمد قطب الذى قدم لنا من قبل دراسات إسلامية واعية : شبهات حول الإسلام ، معركة التقاليد ، قبسات من الرسول ، الإنسان بين المادية والإسلام ، منهج التربية الإسلامية ، فى النفس والمجتمع . .

وكتابه الجديد الذى نحن بصدده يقع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام ، تناولت مفهوم الإسلام ـ لا كما تفهمه الكثرة الساحقة من المسلمين اليوم : « مجموعة من العبادات يؤديها الإنسان بمعزل عن السلوك العملى ، ويستطيع أن يتجه إلى الله مخلصا فى أثناء العبادة ، ثم يتجه لغير الله فى أى أمر من أمور الحياة » ـ وإنما كما فهمه الرسول صلوات الله عليه ، وكما فهمه عنه أصحابه وأتباعه : هو إسلام النفس كلها لله .. هو أن يكون كيان الإنسان كله متوجها إلى الله .. هو أن تكون أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملى كلها محكومة بالدستور الذى أقره الله .. »

ثم قدم المؤلف نماذج من المجتمع المسلم تجاوبت مع المفاهيم العامة للإسلام ، حيث كانت صورة واقعية من حياتها ، وعرض خط الانحراف عن الإسلام حيث بدأ منذ عهد حكم الأمويين ، وقد حدث أول تصدع فى المبادئ الإسلامية فى سياسة الحكم وسياسة المال ، ثم واصل امتداده إلى العصر العباسى وقد دخل الفرس فى توجيه سياسة الدولة وتشكيل صورتها ، وإلى العصر التركى . وقد توقف المد العلمى الإسلامى ، وعانت المفاهيم الإسلامية انحسارا كبيرا حتى جمدت وتحجرت وتوقفت عن النماء .

واعتبر المؤلف أن عوامل محلية تمثلت فى الرواسب التى خلقتها الحروب الاستعمارية الصليبية التى شنت على العالم الإسلامى ، وأن تيارات عالمية تمثلت فى التطور الدخيل الذى أملاه الاستعمار على العالم الإسلامى أيضا ، هذه التيارات وتلك العوامل اشتركت فى وضع خط الانحراف عن الإسلام ، وأصبح لهذا

الانحراف مدرسة فكرية لازال نشاطها قائماً في بلاد المسلمين لاسيما المنطقة العربية . .

الواقع أن الأستاذ محمد قطب كتب كتابة لها تقديرها ، غير أن تحمسه ضد التطور الأوربي كان مبالغا فيه ، والتطور أيا كان لونه واتجاهه قد يكون فيه الغث والسمين والردئ والطيب ، والإسلام لا يمكن أن يعادى التطور جملة واحدة ، فهو يقبل ويتجاوب مع الطيب ويلفظ الغث والردئ ، وكيف يستقيم تحامل المؤلف العنيف على التطور الغربي مع اعتباره أن الجمود في العصر التركي قد احتل جزءا من خط الانحراف عن الإسلام ؟

ثم إن المؤلف عمد أحيانا إلى إحالة القارئ على أفكار مدونة في مؤلفاته السابقة دون ما تلخيص لها ، وفي هذا تكليف لا يطيقه القارئ الذي يحاول أن يستوعب الخطوط الرئيسية لأفكار الكتاب الذي بين يديه . .

وكنت أود أن لا يتضمن عنوان الكتاب إثارة عاطفية : هل نحن مسلمون ؟ بيد أن الكتاب دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام وليس مجرد إثارة لعواطف المسلمين . . !

* * *

٢ — الأم :

للإمام الشافعي

أخرجت مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر بالقاهرة طبعة جديدة من كتاب الأم ، للإمام الشافعي رضوان الله عليه . والكتاب في هذه الطبعة من ثمانية أجزاء ، وقد تم طبع الجزأين الأول والثاني وبقية الأجزاء في طريق الانتهاء من طبعها .

وقد أشرف على هذه الطبعة وتصحيحها الشيخ محمد زهرى النجار أحد علماء الأزهر ، وقد نقل الشيخ محمد زهرى مقدمة موجزة للإمام الشافعي عن تاريخ حياته بقلمه ، ورواية أبي بكر محمد بن المنذر ، كما اعتمد في الترجمة له على مناقب الشافعي للرازى ، وشذرات الذهب ، لابن العماد ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ورحلة الإمام الشافعي لمنير أدهم .

استنفد الجزء الأول أبواب الطهارة والصلاة والجنائز ، والجزء الثاني الزكاة .

واستطاع مصحح الكتاب أن يضيف تعليقات متواضعة للغاية ، هي شرح للفظ مبهم أو إزالة لبس عن عبارة غامضة .

إن المحاولة للحفاظ على تراثنا الإسلامي ـ لاسيما المصادر الفقهية ـ هذه المحاولة جديرة بالتسجيل والتقدير ، وكتاب الأم من المصادر الأصيلة ، بل هو مصدر أساسي لفقه الشافعي ، وكنا نود أن تكون هناك عناية بالتعليق ـ ولو في تواضع أيضا ـ على بعض المسائل الخلافية الكبرى لاسيما وأن معظم الراغبين في الدراسات الإسلامية قد تحرر من التقليد المطلق . .

كما كنا نود أن تكون المقدمة قد عنيت بلون من الدراسة عن الكتاب نفسه ، والمراحل التي مر بها ، كتعريف به .

٣ — غزوة أحد :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله .

المؤلف مدرس فى كلية الشريعة بالأزهر ، ومتخرج فى كلية الآداب ، وهو يواصل كتابة دراسات عن السيرة المحمدية تنشرها المكتبة الإسلامية التجارية فى طنطا .

سبق أن كتب المؤلف عن العصر المكى وغزوة بدر ، وها هو ذا كتابه عن غزوة أحد ، والمؤلف يعتمد فى دراساته على مصادر إسلامية فى تاريخنا لها تقديرها ، كما يعتمد على دراسات كتبها المستشرقون يقف منها موقف الناقد الحذر ، وهو لا يعمد إلى مجرد السرد التاريخى الذى وفته كتب التاريخ حقه وإنما يحاول أن يلقى أضواء على الأحداث يظهر فيها التفسير والتحليل والتعليق .

تناول الكتاب الموقف قبل أحد ، استعداد قريش للغزو ، القوة الإسلامية ، تعبئة المعسكرين ، القتال ، الانتصار ، شهداء أحد ، نظام الجيش الإسلامى ، تقرير الإسلام للبادىء الإنسانية فى الحرب ، ما تضمنته الغزوة من قواعد ، ثم جولة مع المهاجرين .

أعجبنى فى المؤلف قدرته على التحليل للأحداث ، وإلقاء أضواء على ما علق ببعضها من شبهات ، ولكنه حين ترجم لشهداء أحد أوجز إيجازا بالغا . حتى وصلت الترجمة لبعضهم إلى أقل من سطر ...

٤ — فلسفة الفكر الإسلامى :

الكاتب الفرنسى هنرى سيرويا

هذا البحث قدمته سلسلة الثقافة الإسلامية بالقاهرة فى عددها الأخير ، وقام بترجمة البحث إلى العربية أستاذ اللغة الفرنسية الأستاذ محمد إبراهيم على .

عرض المؤلف الإسلام من الجانب الفكرى عرضا دقيقا : تناول الطابع العام للقرآن والطابع الفلسفى للإسلام ، والمذاهب الإسلامية الفلسفية ، والنبوة والعقل ، كما عرض فى إيجاز لأفكار بعض فلاسفة المسلمين ، كالفارابى والكندى وابن رشد وابن سينا والغزالى وابن الطفيل .

والمؤلف لا شك فى أنه درس كثيراً وقرأ لأبرز المستشرقين ، ولذلك نراه يتناول بالنقد اللاذع مفتريات أولئك المستشرقين الذين حاولوا جاهدين الحط من قدر الإسلام كفكرة حية عامة ، وليس مجرد نزعة عربية ودعوة إلى عصبية قبلية .

ولكن الكاتب الفرنسى لم يكن موفقا إلى السداد فى كل ما كتب ، ولم تسلم آراؤه ، فيما لم يوفق فيه ، من الاضطراب والتناقض ، فهو يتحمس مثلا لاعتبار الفلسفات القديمة كالإغريقية والهندية والرومانية والبوذية مصدرا مهما للفكر الإسلامى ، مع اعترافه

فى موضع آخر بأن للإسلام طابعا فلسفيا ينفرد به .

إن كتاب الغرب دائبون على الكتابة عن الإسلام دون أن يملوا ، وهم حين يكتبوا يتناولون الإسلام غالبا من جانبه الفكرى ، ولا يمكن للمسلمين أن يغلقوا أعينهم عما يكتب مفكرو الغرب لأن فى بعض ما يكتبون شططا ، إلا إذا رغبوا فى أن لا يجهدوا أذهانهم فى الرد على أى شطط فكرى يمس الإسلام .

* * *

٥ — **الإسلام ونزعة الفطرة :**

للأستاذ محمد عبد الرءوف بهنسى .

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب ، والمؤلف مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم ، وقد اتخذ شعارا لمنهج بحثه من قول الرسول : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .

استوعب البحث مع النقد آراء فلاسفة الغرب كسقراط وأفلوطين وكانت وجالينوس ، وكذلك آراء فلاسفة الشرق : الراغب الأصفهانى والغزالى وابن خلدون ومحمد عبده والإمام على كرم الله وجهه ، ثم عرض الوجهة الإسلاميه فى نزعة الفطرة ، وناقش معنى : كل مولود يولد على الفطرة مسترشدا بآراء ابن الهيثم وأبى منصور الأزهرى وابن الأثير والنووى وبعض الصوفية وغيرهم .

فى هذا البحث دراسة مقارنة ، وإلقاء أضواء على بعض المسائل التى كثر فيها الجدل ، واختلفت آراء فلاسفة المسلمين فيها ، لا سيما مشكلة القضاء والقدر ، ومشكلة الخير والشر .

* * *

٦ — **فى ظلال الهجرة :**

للأستاذ أنور السيد عبد الهادى .

مؤلف الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة من علماء الأزهر الشريف وممن نالوا دراسات عليا فى القضاء الشرعى .

مهد المؤلف لبحثه بلمحة تاريخية تناولت الجزيرة العربية بيئتها وأوضاعها قبل البعثة ، وتناول حاجة البشرية يومئذ إلى رسول ، ثم تناول البعثة والمرحلة المكية بإيجاز ثم استوعب قصة المؤامرة أو قصة الهجرة إلى المدينة ، وما اكتنفها من كفاح مستمر ، وفدائية وتضحية ، واستخلاص من الهجرة عظاتها وعبرها ، ثم تناول حكم الهجرة بعد الفتح وموقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين .

المؤلف لم يذكر مراجعه فى هذا البحث التاريخى ، كما أنه مر مرورا عابرا على عظات الهجرة والعبرة منها وهى من الكثرة بمكان ، وكانت فى حاجة إلى شىء من التحليل والتعليق .

محمد عبد الله السمان

بين الصحف والكتب

دعوة محمد والطريقة العلمية :

وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة لك فى هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته ، فكيف اقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ... ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة . وبدأوا يفكرون فيما أمامهم ، لقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم فأى صنم هو الحق وأى صنم هو الباطل ؟ وكان فى العرب وفى البلاد التى تجاورها صابئة ومجوس يعبدون النار . والذين يعبدون الشمس ، فأى هؤلاء على الحق وأيهم على الباطل ... ؟ لنذر هذا كله جانباً . ولنمح أثره من نفوسنا . ولنتجرد من كل رأى ومن كل عقيدة سابقة ، ولننظر .. والنظر والملاحظة . بطبيعة الحال سيان ... مما لا شبهة فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالا . فالإنسان تتصل قبائله بعضها ببعض وأممه بعضها ببعض والإنسان يتصل بالحيوان والجماد ، وأرضنا تتصل بالشمس والقمر وبسائر الأفلاك ، وذلك كله يتصل فى سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل ، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت لتبدل ما فى الكون ، فلو أن الشمس لم تسعد الأرض بالنور والحرارة على السنة التى تجرى عليها منذ ملايين السنين لتبدلت الأرض غير الأرض والسماء ، وما دام ذلك لم يحدث فلا بد لهذا الكون من روح (... !!) منه نشأ وعنه تطور وإليه يعود . هذا الروح (... !!) وحده هو الذى يجب أن يخضع له

الإنسان ، أما سائر ما فى الكون فهو خاضع لهذا الروح (... ! !) كالانسان سواء والانسان والكون والزمان والمكان وحدة هذا الروح جوهرها ومصدرها ، إذا فليكن لهذا الروح (... !!) وحده العبادة ، ولهذا الروح (... ! !) يجب أن تتجه القلوب والأفئدة . وفى الكون كله يجب أن يلتمس من طريق النظر والتأمل سننه الخالدة ، وإذا فما يعبد الناس من دون الله أصناما وملوكا وفراعين ونارا وشمساً إنما هو وهم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية ، ولا هو مما يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر فى خلقه .

هذا جوهر الدعوة المحمدية على ما عرفها المسلمون الأولون . وقد أبلغهم الوحى إياها على لسان محمد فى آى من البلاغة كانت وما تزال معجزة ، لجمع لهم بذلك بين الحق وتصويره فى كال جماله . هنالك ارتقت نفوسهم وارتفعت قلوبهم تريد الاتصال بهذا الروح (... !!) الكريم فهداهم محمد إلى أن الخير هو طريق الوصول ، وأنهم مجزيون عن هذا الخير يوم يتمون واجبهم فى الحياة بالتقوى ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

أى سمو بالعقل أعظم من هذا السمو ؟ . وأى تحطيم لقيود أشد من هذا التحطيم . . ؟ حسب الإنسان أن يفهم هذا وأن يؤمن به وأن يعمل عليه ليبلغ الذروة من مراتب الإنسان ، وفى سبيل هذه المكانة تهون كل تضحية على من يؤمن بها ...

من كتاب محمد « الدكتور هيكل »

« لفت نظر »

أرجو أن يذكر القراء بعد قراءة هذه الكلمة قول الله سبحانه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » فليس لأحد أن يسمى الله بغير اسم من أسمائه الواردة عن الشرع ولا داعى للاحتجاج بالخلاف فى أن أسماء الله توقيفية أو توفيقية ، ما دام النص صريحا فى التزام أسمائه الحسنى .

حسن التبعل

(هو حسن معاملة الزوج)

وقد أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبى وأمى أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات . قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم

معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم فى هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟. فقالوا يا رسول الله: ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا!. فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إليها فقال: افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء، إن حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ...

فانصرفت وهى تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن ... «من صحيح مسلم»

قصة مهداة:

(إلى كل سيدة وفتاة)

امرأة عربية:

كانت فى شبابها الغض تملأ العيون بالإعجاب والقلوب بالحب، والنفوس بالاحترام والتقدير.

رآها فارس من فتيان العرب، فتملكه جمالها، ووقع قلبه فى حبها، ثم تقدم إلى أبيها يخطبها، ومعه الشباب والمال والسيادة فى قومه فلم تقبل!.

إنها حرة لا ترضى أن تعيش فى ظل أجنبى وكان لها أخوان يفاخر بهما أبوهما. كان يأخذ بيديهما، ثم يقف على الملأ من قومه ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد.

ثم فجعت فى أبيها وأخويها، وتحول عنها ظل الثلاثة الأعزة، فهزت الفجيعة كيانها، وفاض وجدانها بشعر باك حزين، يندب مفاخرهم ومآثرهم، ويخلد ذكرهم بقصائد يتناقلها الناس جيلا عن جيل.

وتقدم الزمن بهذه السيدة الأبية الحزينة، وكبر أولادها الصغار، فأحست فيهم برد العزاء عن فجيعتها فى أبيها وأخويها واندملت جراح قلبها ولكن. لتنكأ بعد حين.

إن معركة رهيبة كانت تنتظرها وتنتظر أولادها.

إنها المعركة الحاسمة فى القادسية بين الفرس والعرب. بين المجوسية والإسلام. بين عبدة النار وعباد الله ... بين وثنية

كسروية تستذل رقاب الشعب . . وحرية إسلامية لا تخضع لغير الله .

أتجفل هذه الحرة عن مواجهة الموقف الرهيب . وتقبع مع أولادها فى بيت وادع أمين ، وهى ترى قومها وقوميتها فى كفة الأقدار . ؟

لا . وايم الله . .

ويشهد الناس امرأة تقف بين بنيها الأربعة لتملأ عينيها منهم ، وتأخذهم الدهشة من موقفها بينهم . !

إنها لا تنثر على وجوههم قبلات مرتجفة ولا ترطب جباههم بدموع منهلة . ولا يختنق صوتها بينهم بنحيب متقطع . وإنما ينطلق صافيا قويا . متسق النبرات بهذه الكلمات .

يا بنى . إنكم اسلمتم طائعين . وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو . إنكم لنو رجل واحد . كما أنكم بنو أم واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولاغيرت نسبكم . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الفانية ، أصبروا وصابروا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها . وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والغنم والسلامة فى دار الخلود والإقامة . .

ويسمع الأبناء فى اهتزاز وفخر هذه الكلمات القوية ، فتلهب فيهم روح البذل والتضحية ، ويندفعون إلى قلب المعركة ، وهم فى نشوة الزهو بأنهم أبناء رجل واحد كما أنهم بنو أم واحدة ، وأن طريقهم إلى الكرامه والخلود فى دار الإقامة ، ثم يغيبون فى اللجة لتظهر أسماؤهم فى سجل الشهداء .

وانجلت المعركة عن اندحار ماحق للفرس وانتصار ساحق للعرب ، وكانت الأم على أحر من الجمر فى انتظار نبأ النصر ، وتناهى إليها نعى الأبطال الأربعة فلم تفزع ولم تجزع ولم ترسل عويلها المذعور يندب أربعة رجال فقدتهم فى ساعة واحدة ، بل اعتصمت بالصبر وفرحت بالنصر ، ولم تزد على أن قالت فى لهجة المستسلم لقضاء الله : الحمد لله الذى شرفنى بموتهم ، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وطوت هذه السيدة الكريمة قلبها على جراح سبعة . . ثم عاشت تتطلع فى صبر وإيمان إلى ما عند الله .

أيتها السيدات .

إن وصية هذه السيدة لبنيها ، وهى تودعهم وتشجعهم تستحق أن تكتب فى إطار ، وأن تعلق فى كل بيت ، وأن تقرأها كل سيدة وفتاه .

أما اسم هذه العربيه الحرة الأبيه فهو : « تماضر » .

وأما لقبها الذى اشتهرت به فهو « الخنساء »

من جريدة الشعب « ع . ف »

مجد الفتاة

مجـــد الفتاة مقامها
في البيت لا في المعمل
لكن إذا دعت الضرو
رة للخروج فجمل
سيرى كسير السحب لا
لا تأني ولا تتعجلي
لا تخضعي بالقـــول أو
تتبرجي أو ترفلي

لا ابتغي غـير الفضيـ
ـلة للنساء فأجملي
إن لم ترى رأيي فيا
«ويل الشجي من الخلي»

ملك حفني ناصف

من كتاب النسائيات

المجتمع :

حيثما يكن اجتماع ومكان جامع، وروابط جامعة تطلق كلمة المجتمع فهي تصـدق على الأسرة لأنها تتـكون من عدة أفراد تجمعهم روابط النسب والقرابة والمـكان والمصلحة المشتركة، وتطلق على القرية لأنها تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة والمصاهرة والبيئة والمرافق العامة، وتطلق على المركز لأنه كـذلك يتكون من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة واحـــدة ويلتقي أبناؤها في مدارس ومؤسسات صحية واجتماعية مشتركة ويتسع مفهومها فتطلق على المحافظـة التي تتكون من عدة مراكز، وعلى الدولة التي تتـكون من عـدة محافظات، وعلى الأمة التي تتـكون من عدة شعوب وعلى العـالم الإنساني بمـا يشتمل عليه وينتمي إليه من مختلف الأمم والشعوب ذلك لأن الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كـبرى يتـكون من أسر صغيرة تعرف باسم الفصيلة أو القبيلة، وأسر كبيرة تعرف باسم الشعب أو الأمـة. ولو أنهم استجابوا للروابط الطبيعية التي تجمعهم على البر والخير لـكانوا عند قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقـكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقـوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليـكم رقيبا».

عبد الرحيم فوده

This is translated and elaborated by Abd El-Moneim Khattab and Othman Abd El-ssalam both of Islamic culture Administration.

expiaiton, feed ten indigent persons on a scale of the average for the food of your families; or clothe them; or give a slave his freedom. "

(S. the Table, V. 92.)

At last, to prevent money from over coming the individual freedom, Islam obliged the rich people to give Alms to the poor and also put a certain system for the distribution of the heritage. This Islamic system leeds man to spend his money for the liberation of the slaves and they make him nearer to God. In this respect, holy Qur'an says : " Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their Lord : On them shall be no fear, nor shall they grieve. "

(S. The Cow, V. 262.)

Islam, after all, is not a message for the time of the prophet Mohamed "peace may be upon him", but it is the message which aimed at realizing the human values in the common and social life of the individuals. Hence, it is the everlasting message.

Surely, humanity is in need of Islam expecially at the time when wise people seek the guidance which show them the right way for the reformation of their society. Hence, the activity of wealth, thinking, heart and conscience, will be partible fields among all people. The superior man is he who has an excellent personal quality and not by his old honour, his past pride or his inherited wealth.

Indeed, the eternity of Islam is essential for the humanity, because Islam is a remedy and also a protection in the same time.

are under their rule. This means that Islam considers the people as equal as each other aud consequently, one who will surpass others, his surpass will be only due to his own efforts and human abilities which are only used for the benefits of mankind. But the pride of honour itself, has no right to prefer one person or society on the others, Prophet Mohammad said : " There is no distinction between an Arab person and a foreign one except only by his piety ". And beside the Qur'anic quotation with regard to the equality among the individuals, Prophet Mohamad " peace may be upon him " said concerning one's servants " Your Servants are your brothers ".

Indeed, this saying ensures the human brotherhood between the master — who has the pride of honour — and his servant, and askes both of them to treat the other according to this islamic fundamental and this treatment is not only limited to the financial affairs, but also includes the psycological feelings which induce the master to respect his servant and to treat him brotherly.

In the respect of the pride of wealth and properties, Islam calls people to liberate themselves from the slavery of the individual ownership. So Islam prohibited usury which is a mean for the humiliation of the needy people. Moreover, Islam urged people, especially the rich, to liberate the slaves and to restore the human dignity to them. A certain part of Alms also was allocated to their liberation, holy Qur'an says : " Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently) reconciled (to truth); for those in bondage and in debt ; in the cause of God, and for the wayfarer (thus is it) ordained by God, and God is full of knowledge and wisdom ".

(S. The Repentance, V. 60).

Islam also considers that the liberation of any slave is a salvation for his liberator from a certain fault, holy Qur'an says : " But those who divorce their wives by Zihar, then wish to go back on the words they uttered, (it is ordained that such a one) should free a slave before they touch each other. "

(S. The waman who pleads, V. 3.)

" God will not call you to account for what is futile in your oaths, but He will call you to account for your deliberate oath : For

proclaim (to them) this (truth) : That every soul delivers itself to ruin by its own acts : It will find for itself no protector or intercessor except God." [S. The Cattle. V. 70].

"When my servants ask thee concerning Me, I am Indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : Let them also, with a will, listen to my call and believe in Me : That they may walk in the right way". [S. The cow, V. 186].

Then God ensures the individual responsibility in the following verse " Every soul draws the meed of its acts on none, but itself no bearer of burdens can bear the burden of anotner. " (S. The Cattle, V. 164.)

As a result of all that, the Prophet Mohamad " peace may be upon him " — Though he was in a super rank and though he was very near to God, exalted be he — was away from being a future teller talks about the unseen or the future events, he also was not a mediator between people and their Lord making this person near, and that one away, of his creator, or the one who forgives people's Sins according to his will, but he was only preacher to the straight path.

As a matter of fact, every one is responsible about his faith and deeds, wheather they are good or bad. So, Islam destroyed all the religious classes and restored the human values to the society. Hence equality in seeking donation and satisfaction of God prevailed, and consequently the nearness to God has become according to man's strive towards that goal, and also due to the extent of his activity towards the realization of his duty which is, in fact, the attributes of God. So, the evaluation of the individual has become due to the existence of these qualities in the human conduct, God says " The most honoured of you before God is the most pious. "

With regard to the pride of honour, Islam ordains for the removal of this classes partition which has been claimed by such a kind of pride. In this respect holy Qur'an states that all people are from one father, He says : " It is He who hath produced you from a single person : Here is a place of sojourn and a place of departure, we detail our Signs for people who understand. " (S. The Cattle, V. 98.)

From this werse, it is obvious that Islam banished what was settled in the minds of the people — for a long time as a result of the pride of wealth and honour — that human features differ in their origin ; Some of them are masters and the others

spread both social justice and equality among all the individuals of the human society.

Firstly :

In respect of the belief, the prophet Mohamad "peace may be upon him" called the people to worship the intangible, holy Qur'an says: "No vision can grasp Him, but his grasp is over all vision : He is above all comperhension, yet is acquainted with all things." [Surah the cattle, V. 103].

As a result of this, the worship has been raised up from connection with the materialism, to be connected with the values which are the attributes of the Almighty God such as justice, mercy, power, richness, creating. . , etc.

By means of this call, it will be imposible for the man to be connected with God, unless he imitates his attributes and makes his utmost to carry them out in his life affairs. So, he would, utilize justice and put it into practice, understand the real meaning of mercy and persistently follows it, strive for the self-sufficiency, activity, superiority and he also should do his utmost to live an honourable life without any touch of humiliation. This is because the acceptation of the humiliation - in any way of life - is the same as the acceptation of the evanescence, but in another from of it. Doing all these things, the believer will have the acceptance and the satisfactory of his ford. Hence, he will take the attributes of God as symbols and tries to be nearer to them - during his common and social life - as much as he can.

Because man is required to direct his worship to God without any intercessor, in Islam there is neither priests nor priesthood and also there is not an intercession or intermidiaries between man and his Lord. In this respect, holy Qur'an says: "Say" I have no power over any good or harm to my self except as God willeth. IF I had knowledge of the unseen, I should have multiplied all good, and not evil should have touched me: I am but a warner, and a bringer of glad tidings to those who have faith. [S. The Heights. V. 188.]

From this verse, we come to the fact that the message of the prophet Mohamad is a pure one and that the work of the priests and the clergymen is not a part of it. In the following verses, God denies the act of the intercession in the relation between man and his Lord. Holy Quran says : "Leave alone those who take their Religion to be mere play and amusement, and are deceived by the life of this world. But

gave the chance to some groups of the individuals to enjoy a luxurious life, while deprived others from enjoying their rights in the human freedom.

In addition to these two sides of the human society — during the time of the prophet Mohamad's call — there was a third one which was (as I think) deeper in its influence on the social life than the others. It is the side of the belief and those who induce people to faith, there were the idolatry and the priests. The idolatry tied the people to the tangible things and prevented them from understanding the human values or carrying them out in their life — And at the same time, the priests made a classe from amongst themselves and gave it the right of recommendation, intercession, forgiveness (removal of sins) and foretelling the future. They also claimed for themselves a special knowledge about the unseen, hence, they prevented people from seeking knowledge by themselves or by what they were prepared with it, such as mind, experiences and also the different means of observances. Indeed, the priests monpolized the knowledge for themselves, and mostly, their knowledge was nothing but a kind of superstition leading to the pessimism which did not leave any room for the Optimism except in the rare conditions. Because they monopolized foretelling of the future, they were called (Al-Arrafon) which means (Future Tellers).

As to the power of the obstacles and the hindrances in the human society — during the time of the prophet Mohamad peace may be upon him —, it was very important for the success of his call to be of a strong faith, endurance, patience, and surely prophet Mohamad " peace may be upon him " was the best example for the good believer who has a complete confidence in his call and the good preacher who meets the difficulties with a patient heart. But the message of the Prophet Mohamad " peace may be upon him " should be a guidance for the removal of these obstacles and a breakage for the different hindrances in the human society. It is absolutely sure that these hindrances and obstacles have been made by means of the prevailing faith at that time and also by the pride of honour, in addition to the authority of wealth which had been exceeded till it enslaved the man himself.

Indeed, this was the object of Mohamad's message, it was the message of liberty, or rather, the message which aimed at reformation of mankind on basis of human values, it was the message that guided to

love, social justice and human brotherhood. While we find that people are influenced by the attractive material features of life, we find that rarely they understand the purpose of the human life and its value for mankind, and for this reason the scope of the material power is wider and deeper in man's life than the scope of the immaterial one. Hence, the conflict between these two powers is not at all an equal, and also the mastery of the immaterial power is lesser in time than the material one which dictates its ideas and directions that affect the life of the society.

Verily, the immaterial mastery which is the mastery of the human values in the society's lfie — especially equality and the social justice — does not appear except after the removal of the obstacles wich were put by the material power. And as long as these obstacles are of a strong influence, and as long as they are common in the society's life; the improvement of the bad condition of the people, the restoration of the social justice and the realization of equality among them are very difficult, and consequently, the one who preaches for these improvements should be a man of patience and true faith.

The Call of the prophet Mohamad "peace may be upon him" was aiming at the improving of the bad condition of the human society, as it was intending to assure the human values and to evaluate them on basis of the true aims of the man in both his individual and social life. Surely, the hindrances and the obstacles, which made differences among the individuals of the society at that time, were strong in their firmness, deep in their penetration and very old in their age. Consequently, man himself considered as a kind of goods; salable and purchasable by his master (another man used him as a slave). Moreover, the price of the man was subjected to the burgain, it would be up or dowen according to his ability to work or his skill, and sometimes due to his appearance or colour. Hence, the slave market become a profitable merchandise and the society began to taste this commerce as he master of the slave himself. As a result of that, man lost both his human characteristics and his human nature.

On the other hand, there were pride of honour, wealth, and dignity of both Roman and Persian empires outside the arabian Penensula, and also there was honour of the arabian tribes inside it. This dignity lead to a kind of the dictatorial leadership and the social injustice that lead, by turn, to the distinction of classes among the human society which also

THE EQUALITY IN THE MESSAGE OF ISLAM

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The Vice chancellor of Al-Azhar University

The meaning of equality, is that the means of life are equally available to all the individuals of the society. The realization of this equality is possible when the obstacles which distinguish some of the individuals of one society from the others, and which give the chance to some of them without the others, are removed. These obstacles, and hindrances are beyond the abilities of the individúals, their capacity their activity and their qualification as human beings. Indeed, they are the effect of the power however it is, they also spring from the influence of the authority that used to distinguish some individuals of one society and gives them the chanc to take their part in both the indvidual and the social activities of the life, and at the same time, prohilbits the others from enjoying their right in this life.

Verily, equality is not more than the social justice, and its realization is a realization for the justice itself. Indeed, justice prevailed among the human beings,—since their history was known - therfore, equality was realized sometimes as it was hidden at the others. That was because of the permanent conflict between the material power and the immaterial one which is surely unequal conflict The material power is represented by money, property, the material means of conquering and also by both the pride of honour and the greatness of the ancestors. But the signs of the immaterial power are seen in the person's understanding of the human life and also in his convincing that life is a reciprocal among all the human beings, that peace must prevail the society and that logic should control the affairs of people's life.

As a matter of fact, the pure logic is that which is not inflnenced by the personal ambitions or inclination, but surely it is the logic of

the idea of denying or mocking Islamic values, to safeguard Moslems against such mokery, contempt or denial of islamic values and to avoid dissension among them.

" Aldjehad " may also take the form of actual fighting with various weapons to repel aggression of any sort. And, if we look at what is said in the Koran about fighting, we find that God — Glorious be He — never asked the Islamic society at any time to begin fighting or start aggression; all that God demanded is to stand against aggression and repel it.

" And fight them until persecution is no more, and religion is all for Allah ". (S. 8, V. 39).

Islam is also generous and human as it advocates only equal treatment.

As Islam demands repelling aggression with equal measures, it teaches at the same time that following this attitude is religious and that God is on the side of the people who stick to the principles of their religion.

We may safely conclude that the Islamic society is a free, co-operative and well-balanced one, (or using a recent term ' a socialist society '). It is a society that protects its independence and preserves its existence.

Belief in God alone, religious morality and the jihad for the sake of God, the doctrines professed by Islam, should be motivations or factors that help the growth of our Islamic society.

The Islamic society, since its formation in Medina, has adopted itself to the existence of control and the existence of the executive power.

The gift of Omar, that is, the general control which he imposed, stood as symbol of this executive power.

All that we say about religious morality, and the stress we put upon its existence and necessity is meant to show that it is the duty of the Islamic society as will as any other society to see to it that this power is latent in its existence and at the same time maintain its survival because it is much better for the society to be led by self motivation rather than to be led by law and its executive power.

4.—Maintaining the Character of Society and Protecting it:

The belief in God and the religious morality are two factors in the formation of the Islamic society, its survival and its consolidation.

Another factor in maintaining the character of the Islamic society and defending it against outside aggression is the "Djihad" for the sake of Allah. I presume that the word "Djihadia" is derived from the word "Djihad". I also believe that colonial forces made the word hateful to us through the wrong and the fooleries done to or played on the recruited and military people during the era of their rule.

Through the application of the principle of "Aldjehad", Islam aimed at two things: The first is to retain Islam in the Islamic society and maintain its ideology and its order.

The second is to preserve the islamic order and defend its ideologies against aggression of enemies who constantly disbelieve in, and mock these ideologies.

"O you who believe ! Choose not for friends such of those who received the Scripture before you, and of the disbelievers, as make a jest and sport of your religion. (S. 5, V. 57).

In denying the ideology and order in the islamic society, this enemy in fact rejects the very existence of the islamic society and desires its splitting and dissolution.

" Aldjehad " is the defence of these values against aggression. It may take the form of giving answers to what is said against Islamic values. What is meant here is not actual fighting: the aim is to stand against

him verily We shall quicken with good life, and We shall pay them a recompense in proportion to the best of what they used to do." (S. 16, V. 97).

" Allah has promised those who believe and do good works : Theirs will be forgiveness and immense reward. " (S. 5, V. 9).

Should this religious morality and its effects be realized in the light of the belief in the Message of Islam, then the Islamic society would not be faced with problems calling for solutions. For, if this morality in itself is powerful enough to motivate the righteous deed, it is also a preventive against problems. The problems of any society arise because of aversion, lack of uprightness in action, and lack of co-operation and balance; again, they arise when the feeling of sympathy is weakened and when selfishness has the upper hand and thereby spoils human relations. Then society suffers problems : the individual has his problems with himself and with others; the family faces the Problems pertaining to the relationship between its members; husbands and wives have the problems of their matrimonial life, and so on.

For these reasons, the teachings of Islam, in which one should believe, are not mere solutions to problems. They are, first of all, a preventive against problems. Thus it is the motto of Islam : Prevention before cure.

If we are to discuss religious morality or religious conscience in the Islamic society and compare them to the Law or the Executive Power in regard to guiding society and motivating it to uprightness in action and good treatment, it is not in our mind to depreciate the executive force of the law or the general control on society.

It is not our intention to do so, because society has members who tend to evil, corruption and unavailing play, however upright are its other members. Furthermore, it has among its members some, though in a minority, who defy virtuous moral values, ideals, uprightness, and the welfare of society. It may be that one day this moral force is weakened and consequently corruption and play will prevail, should there be no executive power or general control on society. Islam, therefore, does not deny the existence of such a force or such control. On the contrary, Islam calls for it and seeks it, so long as human nature remains unchanged : this human nature comprises both the righteous and the libertine, the upright and the crooked.

of a Moslem girl or woman to a non — Moslem and in so doing protects the Moslem society from being absorbed in another society through marriage. This is not a racial matter, nor is it based on racial discrimination. The only objeetive of Islam in this matter is the protection of the Moslem society and its values from degeneration through the submission of a Moslem woman to a non — Moslem in the marriage contract.

Here it may be suitable to say that the Islamic society is an entirely human society, yet at the same time it keeps its peculiarity and individuality. The universal Zionism, propagated by many thinkers, is an idea which Islam does not readily accept, for the most characteristic goal of this universal Zionism is the abolition of characteristics of each society so that Capitalism and Zionism may have full sway over the whole world, not granting anybody freedom of expression to show that those capitalists and Zionists are indeed strangers to the individual countries.

Thus it becomes apparent that belief in the Prophet's Message means — as we have mentioned — to follow the Islamic instructions in man's attitude towards himself and towards his fellow men. Since society consists of many individuals the value of this belief in the Messenger, peace be upon him, and his Message in forming and conducting the religious morality is apparent.

Belief in requital on the Last Day is — as mentioned above — the source of vitality in this morality and the element of its continuance and momentum. For if he who believes in God and the Message of the Prophet, believes also in the Last Day, he will have a vivid memory of thnt Day which he is sure will come and sure to come and therefore with this thought in mind he will always act according to the preaching of the Message. This is why Islam is strict with those who deny that Day and its requital:

Whose disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and His Messengers and the Last Day he verily has wandered far astray". (S. 4. V. 135).

It is true that Islam did not explicity mention this religious morality nor did it demand it in such explicit words, but surely it demanded it in the form of good deed, for good deed is its natural result. God says in Koran :

" Whosoever does right, whether male or female, and is a believer,

realized through religious morality and moral conscience and not by man made law and its executive authority.

After all the divine message, sent to Muhammed and the belief in which is considered the principal element of religious morality, has certain elasticity and adaptability represented in the prineiple of free judgement (Al-Ijtihad). The Quran refers to this principls when saying: " O you who believe ! obey Allah, and obey the messenger and those of you who are in authority; and if you have a dispute concerning any matter refer it to Allah and the Messenger if you are (in truth) believers in Allah and the Last Day. That is better and more seemly in the end ". (S. S. 4, V. 59). By the verse " those of you who are in authority " is meant men of free thinking and judgement. And by " referring the dispute to God and His Messenger ", is meant referring to the Book of God and the Traditions of His Prophet.

This principle (apart from the origins of belief) provides for the Islamic law a sort of dynamism and adaptability for the followers of this message according to the circumstances of their environments. Thus the Muslim is free to lead a progressive as well as religious life. It is a credit whereby the Islamic society can lead a life that never contradicts the general principles of Islam.

Besides, there is another principle sponsored and cherished by the Islamic religion whch is enlvetably needed for the consolidation of any given society, that is the extinction of social discrimination. In Islam neither tribalism nor colour can stand in the way of co-operation and brotherly relations among the believers. The Glorious Quran strongly emphasizes that all Muslims are one nation irrespective of their breed, colour, or nationality ; and that their differences in such traits are not reasons for dissension and separation but are on the contrary, due means of friendship and amity.

Along with these principles there is a third one in the Islamic Message which is deeply connected with the cohesion of the Moslem society, its independence and its peculiarity which protects it from being absorbed in any other society. This principle is the " Islamic Nationality " contained in the Koranic verse: " Faint not nor grieve, for you will overcome them if you are (indeed) believers ".

The application of this principle is clearly shown in the marriage contract. Islam forbids the marriage

repulse them, but speak unto them a gracious word". (S. 17, V. 23). In the aforementioned Quranic verses we find that God, Glorious be He, has demanded kindness in so far as the treatment of parents and relatives is concerned. Such kindness represents the most sublime and sophisticated human standard. Undoubtedly the responsibilities which parents undertake in bringing up their children necessitates that the attitude of the children should be as such stated in the Glorious Quran.

As for the parent - child relationship Islam has not dealt with this subject in the same manner as it has with childhood problems because Islam depends, in the first place, on the natural relationship between the two sides which is very powerful and distinct on the part of the parents. Islam only recommends that parents should not devote their time and effort to their children to such a degree that it is at the expense of their own fidility and religious devotion. The Quran says in this connection: "Your wealth and your children are only a temptaion whereas Allah with Him is an immense reward. So keep your duties to Allah as best as you can, and listen, and obey, and spend; that is better for your souls." (S. 64, Vs. 15-16).

Furthermore, Islam ordains that relationships among mankind as a whole should be based on cooperation and mutual sympathy. In this connection God the Almighty says: "It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believes in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and gives his wealth, though being loved, to kinsfolk and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set sloves free; and observes proper worship and pays the poor due." (S. 2, V. 177). And His Messenger also says: "Your fellow believers are your friends; so give them out of the food you eat and the cloth you wear, and do not do harm to God's bondmen".

Again Islam demands equilibrium and harmony should, from the Islamic point of view, not be motinated by an extrinsic urge but must emanate from the intrinsic motives of both individual and society. Henceforth Islam has given immense care to "equity". By equity is meant to behave according to the virtuous standard of humanity. Equity, as proclaimed by Islam, contradicts misuse and violation and means modest conduct in the spheres of behaviour, charitable deeds, labour, preservation of relationships, the way of arguing, and respect of honour and consecrations, Such equity can only be

" Men are in charge of women" (S. 4, V. 34).

Such responsibility does not mean authority or mastery but rather indicates a sort of leadership and guidance. Islam has charged man with this responsibility only because he, by virtue of his physical construction, is shouldering certain responsibilities in the outer life which woman cannot usually and principally carry out because she is by nature a subject to pregnancy and reproduction and is shouldering, therefore, other responsibilities suitable for her, such as bringing up and taking care of her children. She is (accordingly) unable to work in the outer life in the same manner as man. Therefore man is responsible for the maintenance and sustenance of his family. It is logical then that man's situation entitles him to the credits of leadership and guidance.

There are other limits set by Islam which prevent man from any misuse of such privileges and from any ill-treatment of woman. The Quran illustrates such limits when it states: " Divorce must be pronounced twice and then (a woman) must be retained in honour or released in kindness ". (S. 2, 229). Islam thus demands that matrimonial life should be based on equitable terms on one hand, and that separation if it happens should on the other hand be made, in likewise equitable manner.

The believer who develops a sense of religions morality canmot but be air and just. He neither imposes nor misuses the responsibilities with which he is entrusted such as guidance and leadership. It is manifest after all that man's privileges over woman only mean his sincere endeavours to achieve the good for both of them.

Because Islam respects and asserts the individual characteristics, it does not allow man to interfere in the financial affairs of his wife or to impose his opinions and beliefs on her. Woman, in turn, is only demanded not to hurt the feelings of her husband by means of possessions and beliefs. She must carry out her duties and call for her rights without the slightest delay.

Islam, in the circle of kinship, demands the same harmony and equilibrium among relatives, God the Almighty says: " And serve Allah. Ascribe nothing as partner unto Him. (Show) Kindess unto parents and unto near kindred ". (S. 4, V. 36). The Lord has decreed that you worship none save Him, and (that you show) kindness to parents. If one or both of them reach old age with you, say not " Fie " unto them nor

This verse reveals to us that Islam acknowledges the human nature as being at one and the same time materialistic and spiritual, practical and idealistic. While it does not deny man the right of enjoying the fruits of this world, which belong to the materialistic side of his nature, it enjoins that while enjoying them and while working hard for the achievement of worldly aims he should always direct himself towards God, i. e. to avoid corruption and vice; to avoid using whatever achievements he can gain, thus inviting corruption of the society. This is what is meant by the verse :

" And seek not corruption in the earth; Lo ! Allah loves not corruptors".

Islam, in the domain of society, has laid down the foundations upon which the system of family, which represents the smallest cell of society, is built. It provides for the rules of marriage and matrimonial life in which two individuals are associated with each other leading the same course of life and working for the same purpose. The Islamic institution in this respect does not work for the annihilation of the individuality of each of the two mates and does not demand that either of them should be absorbed by or melted in the other's personality. This is because Islam is fully aware of the fact that the individual characteristics can by no means be annihilated or absorbed by any other individual.

Islam only seeks harmony and equilibrium between the two parties in the sense that neither of them violates the rights of the other or disregards his existence and dignity. Instead Islam proclaims that both of them are to proceed along the course of matrimonial life side by side in a harmonious and symmetrilcal manner. Therefore it has bestowed the two spouses with certain rights and obligations to help keep them undertake their respective responsibilities in their matrimonial career. The Quran says : "And women shall have rights similar to the rights against them. according to what is equitable; but men have degree (of advantage) over them ". (S. 2, V. 228).

By so saying the Quran has laid down the principle of equality between wife and husband. It is only meant by man's privilege mentioned in the said verse the responsibility of man to stand firm in woman's business, to protect her interests and look after her affairs. This notion has been emphatically stated in the following Quranic verse :

perceptions whatever they may be are apt to be influenced by the factors that have influence on man; and then it is easy for human perception to change.

This religious morality - based upon the three elements of belief: the belief in the oneness of God, in the Message of the Prophet, peace be upon him, and in the judgement Day - is therefore, a fruitful motive in achieving good conduct and nice treatment of others. When these are achieved, co-operation between individuals is not only possible but is indeed an ipsofacto result. Moreover, it will lead to real fraternity founded upon genuine love whereon powerful cohesion takes place.

3) The Contents of the Heavenly Message.

Since the belief in the oneness of God - which is an element in the religious morality - is in reality a belief in freedom from superstition false creeds, humility and submission, while it is a belief in the sublime in the human nature, the belief in the Prophet however is not at all belief in his person as a human being, but in him as a Messenger and a ring in the chain of delivering the Revelation of God unto the people. If the contents of this Message are a planning of the individual conduct and the limits of inter-relations between one individual and another in society, the belief in the Messenger and his Message therefore means the following of him in order to perform the contents of his message, i.e. to perform the right way of conduct and right dealing with others.

When we view the contents of this message, and the limits and designs it draws, we shall find that it draws, we shall find that in all this it aimed at the achievement of equilibrium between the dual nature of the individual and between one individual and another in society. For the individual - although a unity to all appearance - is in fact composed of two counterparts: of wisdom inspiring to moderateness and desire inciting to extravagance; of mind and body each having its own inclination. Here we find that Islam in this very circle - that of the individual - does not deny any of the two counterparts.

"But seek the abode of the Hereafter in that which Allah has given you and neglect not the portion of the world, and be you kind even as Allah has been kind to you, and seek not corruption in the earth; Lo! Allah loves not corruptors". (S. 28, V. 77).

and the law made by society and imposed upon individuals by force and watch is that the domination of the law with its executive power lies outside the human being and is imposed upon him from without. In the modern civil society - the society that impoes the law and executes it - man acts under the pressure of this force which lies outside him. When society neglects the peformance of law one day or its grip loosens a little, the individual in turn will neglect his duty . . . the duty imposed upon him by law and its executive power.

Therefore, in the society that does not function upon a spontaneous impulse within its individuals, communal work depends upon the power of the executive authority and its vigilence in watching the execution of the law. The Modern State bears a heavy task in achieving such an executive power and such a vigilance.

The individual in the modern society always feels the push of law behind his back and feels also that his freedom is limited and his will confined; for he is nearly obliged to act as he does, while as in a society of religious morality - such as the Islamic society - the individual is free from this depression for he feels that it is he who pushes himself and that therefore he is free in obeying his inner impules. Thus in a society of religious morality personal freedom is an important element both in construction and improvement of work, for freedom of work and spontaneity are always accompanied by a pleasant desire for work and perfection. This is why in the 18th century some idealistic moralists in the European society tried to build up individual morality based upon the idea of "Duty for duty's sake", This idealistic ethics prevailed in the German people in particular and was known as Kant's principle or the Moral Duty. Although it is a morality invoking spontaneous action without the control of the imposed law with its executive power, it is different from the religious morality that Islam wishes for the Moslem society - the morality which is the basis for the cohesion Moslem society and the co-operation of its individuals. For whatever the case may be we should not forget that the basis of the religio-moral power is the belief in God, while the basis of the idealistic moraity is the perception of the duty of man towards mankind. A great difference is there between a power that depends upon the belief in God and another that depends upon man's perception of mankind. The belief in God is more likely to continue or at least to continue for a longer time while man's

peace be upon him. While it is belief in God it likewise based on the belief in the Prophet's Message and its contents. Another of its elements is the belief in requital on the Last Day, which incites continuous vitality and vigility viewing that this religious morality should perform its function according to what one believes. The three elements of belief : the belief in God, the belief in the Messenger and the Revelation which is the contents of his Message, and the belief in the Last Day and its requital are all contained in the first verses of the Chapter of the Cow " Aleph, Lam, Meem".

" This is the scripture whereof there is no dout, a guidance unto those who ward off (evil). Who believe in the unseen, and establish worship and spend of that — We have bestowed upon them. And who believe in that which is revealed unto you (Muhammed) and that which was revealed before you and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord These are the successful". (S. 2, Vs. 1 — 5).

He describes the believers by these three qualities : They are the pious; they are those guided by their God; they are the successful and prosperous. The belief in the unknown involves primarily the belief in God for He is the Being unperceived by anybody's sight while He perceives every body's sight.

Belief in what was revealed is the belief in God's Message and the sure knowledge of the Judgement Day is the deep belief in it. In the Sura of Women the Koran gives these three elements of belief another expression. It demands belief in them, then describes those who deny them by having gone far astray : " O you who belisve ! Believe in Allah and His Messenger, and the Scripture which has revealed unto His Messenger, and the Scripture which He revealed aforetime. Who so disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and Messengers and the Last Day, he verily has wandered far astray ". (S. 4, V. 136).

This religious morality, based on these three factors of belief, is the morality that invokes man to good conduct, rightousness, co-operation and fraternity between individuals, the impulse here being a spontaneous one which needs neither external motive nor external watch for its domination is derived from the belief which the believer holds in his heart. The difference between the case of the believer who holds within himself the impulse for right doing and co-operation with others

seeking because all men's action and thoughts will be orientated by such authority and influenced by its wish. Such authority whatever its attributes may be, is carried out by a group of people who may have whims or purposes or partialities. As such whims, purposes and partialities and not the common will become an arbitrary law which could not be discussed and a holy order which could not be criticised. Polytheism is one of the aspects of such authority. The idea of having a partner to God is clearly and decisively dealt with from the point of view of Islam in the following verse :

"Allah pardons not that partners should be ascribed unto him. He pardons all save that to whom He will.

Whoso ascribes partners unto Allah has wandered far astray ".
(S. 4, V. 116).

Evidently the belief in one God, to which Islam calls and insists upon, does oppose the existence of such a religious authority as referred to in the preceding chapter. Hence those who speak about a religion of their own or a state of their own in Islam or in the Moslem society are in fact expressing ideas alien to the nature of Islam. They are only trying to imitate the conversion of the Roman Catholic Church in the Middle Ages when it was governing the Christian Society in Europe in the name of God, and when it endowed on its priests the infallibility in word and deed and imposed upon all the other people the holy submission to the orders of the clergy men who were the representatives of God on earth and who shared with him the holiness and infallibility.

Islam does not know such society. It knows only a human society which believes in one God and believes in the Message revealed by God to the messenger of the Islamic call, Mohammed son of Abd Allah may peace be upon him.

2) *Religious Morality or Religious Conscience.*

If unity in believing in God is at the same time the goal of the Islamic society and the principle element of its constitution, the religious morality or conscience is an important factor both in the continuation and cohesion of this society.

Religious morality is a psychic capability which takes place in the constitution of person who beleives in God and which becomes the source of a certain behaviour that coordinates with the teachings of the Nessage of the Prophet Mohammed,

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

The society which believes in one God is the only free human society. It is the society which is able to differentiate in full consciousness between man as a distinguished creature and all other creatures which were created only to serve man and his ends. And the Islamic society is the society that believes in one God.

The objectives of the Islamic society, being the one that believes in one God only, are the liberation from all that degrades human dignity, the freedom from all that hinders man's motion forward and his endeavour to proceed progressively in life and to rid himself of all that stands in his way as the master of this universe.

The Islamic society by believing in one God, is and will always be a human society since it does not regard itself a religious society in the sense conceived by the Roman Church in Eurrpe in the Middle Ages when it was believed that a certain class had the right to manage the life of the other classess, considering itself class above the common people, on being given that right from God and therefore it had the right to deal with matters by his will and thus its judgement was holy and arbitrary.

The belief in one God does not by any means, give the Moslem society such authority. On the contrary, it gives every individaul an incentive to liberate himself from anything that may hinder his freedom, thinking and action. It urges the individual to work, to seek and to evaluate in full liberality. The existence of an authority whose thought and judgments are infallible and holy and whose actions and directions are godly is no doubt a deterrent to free thinking, acting and

have prepared for them a penalty grievous (indeed).

(Surah the children of Israel, verses 9 — 10).

" O ye who believe ! give your response to God and his Apostle when He calleth you to that which will give you life. "

(Surah the Spoils of war, verse 22).

" If only they had stood fast by the law, the Gospel, and all the the revelation that was sent to them from their Lord, they would have enjoyed happiness from every side. There is from among them. A party on the right cource : But many of them follow a course that is evil."

(Surah the Table, verse 69.)

"Whoever works righteousness, man or woman, and has faith, verily, to him will We give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions."

(Surah the Bees, verse 97.)

"We sent aforetime our apostles with clear Signs and sent down with them the Book and Balance (of Right and wrong), that men may stand forth in justice."

(Surah the Iron, verse 25.)

The achievement of the Islamic principles towards the improvement of humanity :

The islamic principles towards the improvement of humanity are based on the following facts: The human being has both a body and a soul. And each one has its enjoyments and desires, Every man also has an independent personality which is attached to him as an individual and another personality attached to him as a member of his natioral and human society. Indeed, these two personalities cause man to enjoy happiness, especially, in case of his moderation whithout intensity or extravagane. Surely, man will not be a complete happy, unless he performs his duties, enjoys his rights and consolidates his relations to both his God and his citizens people. IF we observe the instructions of Islam, its beliefs, its worships, its teachings and its legislations, we shall find that they are always considering the different needs of the human being to realize happiness for him, body and soul, as a person or as a member of the society.

of the world - that his orders to his bondmen are a guidance and a mercy for them all. And of course, the oppsition or the antagonism of the people never gives God's mercy, but verily God's mercy is caused by the following of the right way and summoning others to embrace it. No doubt that the right never opposes right, but verily it alwavs opposes the wrong. In this connection holy Qur'an says next to the story of Adam and his repentance for his Sin " He said, get ye down both of you, all to gether from the garden with enmity one to another; but if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from my message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the day of Judgement." (S. Taha, V. 123—124)

The eternity of Islam is only realized by the eternity of its origin :

Because Islam is the religion which was revealed from God, and because it is the guidance of Lord of the world to the selected messenger who was ordered to convey it to the mankind, and because God — the eternal and the most merciful — is he who granted Islam and his mercy, is actually an immortal one, and because of Islam is a feature of this God's mercy, it should be an eternal religion as its source.

Islam leads to the happiness of people :

Because we believe that Islam is the eternal religion and that its eternity is the result of the eternity of its source (God most gracious, most merciful), we should observe its teachings to affirm and then decide if its instructions are have to guide mankind to stability and happiness or not. Indeed, if we examined the Islamic teachings thoroughly, we should come to the conclusion that Islam is the ideal system that leads both the individual and the society to their happiness, wheather it is in this world or in the Hereafter. Islam calls people to be in a good conduct during their life, it orders them to treat each other kindly, also it prevents the wrong deeds and also prohibited all kinds of aggression.

In this respect, the glorious Qur'an says: " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward; and to those who believe not in the Hereafter, (it announceth) that we

religion is " Islam " " O ye who believe ! Fear God as He should be feared, and die not except in a state of Islam " (Surah the Family of Imran, werse 102). " Say : " O people of the Book ! come to common terms as between us and you : That we worship none but God ; that we associate no partner with Him ; that we erect not, from among ourselves Lords and patrons other than God. " IF then they turn back, say : Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing) to God's will).

(Surah the Family of Imran, werse 64).

With regard to the lies of both the christians and the Jews, and because they propagated that there is no link among the religions, The Qur'an said "Abraham was not a Jew, nor yet a christian, but he was true in faith and bowed his will to God's (which is Islam). And he joined not gods with God.

(Surah the family of Imran, verse 67).

"They say : become jews or christians if you would be guided (to salvation) " Say thou : " Nay ! (I would rather) the religion of Abraham the true, and he joined not gods with God. " Say ye : " We believe in God, and the revelation given to us, and to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob and the Tribes ; and that given to Moses and Jesus and that given to (all) prophets from their Lord : We make no difference between one and another of them : And we bow to God (in Islam). So if they believe as ye believe, they are indeed on the right path; but if they turn back, it is they who are in schism; but God will suffice thee as against them, and He is the All-Hearing. The All-Knowing. (our religion is) The Baptism of God : And who can baptize better than God ? And it is He whom we worship".

These Quranic verses are the real proof that the religion before God is one as they state also that the sole religion which God considers is Islam that was preached by the first prophet and by the last one as well. The frist prophet started the Islamic call and the last one completed it. In this respect holy Qur'an says "This day have I perfected your Religion for you and completed my favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion" [Sourah. The Table Spread, V. 4.]

Surely, it is impossible that these several religions which opposes one another, are revealed from God Who is the most knower and the sole owner of the souls of the people. As a matter of fact, God told the people by means of his messengers - since the creation

In the holy Quran, we find many verses which are clearly declaring the unity of all the religions. God ordered every one of his messengers to call people to believe in both the prophets before him and those who will come after him. This order will lead every one to perform his duty completely towards God's message. The glorious Qur'an says :

"Behold ! God took the covenant of the Prophets, saying : "I give you a Book and wisdom; then comes to you an Apostle, confirming what is with you; do Ye believe in him and render him help." God said : "Do ye agree; and take this my covenant as binding on you ?" They said : "We agree." He said : "then bear witness, and I am with you among the witnesses." IF any turn back after this, they are perverted transgressors. Do they seek for other than the Religion of God ? - while all creatures in the heavens and on earth have willing or unvilling, bowed to His will (accepted Islam), and to Him shall they all be brought back. Say : "We believe in God, and in what has been revealed to us and what was revealed to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob, and the Tribes and in (the books) given to Moses, Jesus, and the prophets from their Lord : We make no distinction between one and another among them, and to God do we bow our will (in Islam)." IF any one desires a religion other than Islam (Submission to God), never will it be accepted of him; and in the Hereafter he will be in the ranks of those who have lost (All spiritual good). [Surah the family of Imran verses 81 : 85.]

In the following verses it is very obvious that Islam is the sole religion accepted by God " The. Religion before God is Islam (submission to His will) : Nor did the people of the Book dissent therefrom except through envy of each other, after knowledge had come to them". [Surah the Family of Imran, V. 19] .

"And who turns away from the religion of Abraham but such as debase their souls with folly ? Him we chose and rendered pure in this world : And He will be in the Hereafter in the ranks of the Righteous. Behold; his Lord said to him "Bow (fhey will to me) :" He said : "I bow (my will) to the lord and cherisher of the universe. And this was the legacy that Abrham left to his sons, and so did Jacob; "Oh my sons ! God hath chosen the Faith for you: then die not except in the faith of Islam." [Surah the cow, verses, 130-132].

It is our duty to put the next verses beside the former one. This will assure us that the call of all the prophets is one and that the

Because the people's different opinions, especially with regard to the dislimited affairs of life, cause the personality of the nation to be lost, so it will not be astonishing that the difference among mankind — especially in religion, its aims and principles — will lead them to be separated and also lead them to fight against each other. Hence, the guidance of God devided into several religions. They kept God's teachings aside, while they encourged their habits and traditions, their nationalities and the policy which they are following. Consequently, several religions appear in the people's minds : Judaism, the religion which was revealed to Moses from God and which its followers hold it fast and continuously. Christianity, which was revealed to Jesus with certain instructions. Its people are embracing and defending firmly its principles. Islam, which is the religion revealed to Mohamad " peace from God may be upon him " and which contains teachings followed by many faithful followers who are preaching and defending them with all their might.

As a result of what we mentioned, people embraced several religions, they devided in the guidance of God to many faiths and beliefs, though in its origin it is one only and the all revealed from Almighty God. No Judaism, no christianity, but one religion, one guidance of one system and one source that is the Lord of both earth and heavens, cherisher and sustainer of the world.

Islam is the sole Religion before God :

Islam is not a new religion as many people understand, but it is — according to the holy Qur'an — the same which God revealed to the first messenger to his bondmen, then it was revealed successively to all of his messengers to convey God's message to the mankind and to enable people to reach a better thought and a full understanding. Hence, God sent the holy prophet Mohamad "peace may be upon him" to complete the message of the prophets who came before him. Indeed, all God's prophets are — as the prophet Mohamad stated — the builders of one house, the preachers of one call and the advisers to one happy goal. The holy prophet said : " It is similar to me and the prophets before mine, the man who built a house, then completed and decorated it except a place of one brick. People admired the house but they were surprising and critisizing also the empty place of this brick. The Prophet added " my possition among the prophets is exactly as this brick and I am the last prophet ".

THE ETERNITY ELEMENT OF ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Personality of the nation :

For any nation to be existed, it should gother both the two personalities : The immaterial and the material one as well. The material personality of the nation, is due to its standing on such environment, nature of land and horizon, while the immaterial personality of it is due to its feeling of the situation which it takes among the other nations of the world, its part from the life, and the unity of its thinking in this part which it has been granted in the life.

No doubt that the nation's immaterial personality is an important factor for its strength. And if it lost this factor, t would go through life in a bad condition : Complete poverty, weakness and humiliation. Moreover, the other nations which have the immaterial personalities, will take it an opportunity and occupy its land, take its wealth, harm its people and treat them unkindly.

Keeping of the nation's Personality :

It happens sometimes that a danger occurs to some nations This danger may cause different opinions among its people and causes also their hearts to be separated, their nation's personality to be confsed and it may lead this nation to be annihilated. But to save the nation from this dangrous end, it is indeed the duty of the wise people of this nation to do their utmost for the preservation and keeping it away from that danger which is closely surrounded it and this would be realized if the hearts of the people gothered around one aim, believed in certain principles and had also a united sensation. To keep the personality of the nation, people should defend their aims which combine the dignity and the honour of their nation, and this of course will lead it to take its privilege and position among the other nations of the world.

the worst human being on the earth. But because the imperialists are supporting him and supplying him with money, he is speaking with a loud voice, thinking that he has the power to face the united Arab Republic and the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). As a matter of fact, the voice of the King is not very strong as the roaring, but it is very faint as the voice of the flies. Now, we ask the following questions: From where the King of the Transe Jurdan got the money to finance his abominable nights ? From where he got the money which he sent to the European Banks to be saved ? From where he got money to pay his dishonest nomadical guards ? OF course, he got this money as a price of his nation which he sold it to the imperialists. Actually, it is the money which was given to him by the Zionists in return for the occupying of the dearest part from the Arab land of Palistine, it is the price of his efforts to weaken the Unity of the Arabs and his barking against the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). But his red nights will not enable him to save himself from his coming black days and his bare feeted guardians will have no ability to defend him against the revolution of the people and the money which he sent to foreign Banks will be of no value for him.

Those are the three dishonest rulers who have been used by the imperialists for the humiliation of the free people. The first one of the three was kicked out by the Egyptian revolutionists and the other two are waiting for their similar end which undoubtedly will come. And at that time, they will be evacuated of the countries followed by their supporters (the imperialists).

hear through the iranian broadcasting station or read on the pages of the different world newspapers that Shah Iran has laid the foundation of a school, constructed a hospital, erected up a new bridge, macadamized a new road or improved some of his countrey's disruption, but only you hear or read every day and night about the marriage of the Shah, then his divorce, his love, his blessed journey to Hollywood, his trip to the Rivera coast, his travelling to London and his doubtful visit to the Transe jurdan. With regard to both the iranian and the Arab nations, Shah Iran does not consider any of them. This is because the backwardness of his nation is an abominable shame attached to him while the progress and the rapid advancement of the Arab nationalism causes him much troubles. Moreover he wants Tehran to live in a complete dar kness, as he fears the lights of freedom which come from Cairo to lighten Iran, and this is, by turn, will awaken the iranian sleepy people from their deep sleep. But as it is impossible for him to viel the rays of the sun by his hand to be spread here and there, it is impossible to prevent the waves of liberation to oblitirate the darkness, to kill the slavery and to repair the bad condition of the people everywhere. No doubt that the revolution against the Shah will happen one day. This is because he is always challenging both the religioius instructions and the will of his people. He is also supporting the imperialists, fighting against the liberty and antagonizing the Arabism, while he is assisting the Zionism, refusing to carry out the decisions of Bandung conference and opposing the opinions of all Muslims. Consequently, he attested the Zionist usurpation of the arabic Palistine, acknowledged the driving of one million Arabs away from their own land to live in the reluges and in the deserts in a humility and a bad living while the Jews are living in the Arab's houses, occupying their lands and stealing their properties and possissions. Indeed, Arab refugees have no hope except in the support of God and the assistance of both Arab and the muslim nations.

This is the manner of Shah Iran and that is his character. He is living away from the teachings of Islam doing his utmost to keep the imperialists on the land of Iran to guard him in case of the national revolution by means of the oppressed people and also to enable him to enjoy all his different passions.

The third one of the three, is the King of the Transe Jurdan who is an ignorant man. Indeed, he is the the King of the smallest nation with the smallest crown, he is the most cunning King ruling the best people, he is

Not only his manner was that, but also he used to, kill husbands and usurps their wives, to steal the money of the State, to accept bribes and to treat the people unkindly, when he thought that the people was subjected to him quitely, and that they accepted the humiliation and the darkness which they were living in, the care of God surrounded the poople and God inspired some of the faithful military youngmen under the good leadership of the president Gamal Abd El-Nasser to get rid of the tyrants and to save their people from their bad condition. And because the members of the army were men of sacrifice, organization, work, honour, and glory and because they sold their souls for the sake of their country's freedom, seeing the bad condition which the people of Egypt were suffering, knowing the disruption and the confusion which were prevailing the soldiers of the army, president Nasser and his friends revolted against the enemies of the country. Their revolution was as a faint fire which kills the microbes but does not burn the ill body, it was as a breeze which pushs the sailing boat but does not drow it. They kicked the bad king out of the pure land, then treated the people according to the instructions of the glorious Prophet " peace may be upon him". Following his footsteps, they destroyed the human idols as he destroyed the rocky ones before, honoured the human beings exactly as he did, oblitirated the distinction among the individuals as he planned, gave every poor person his right in the rich people's wealth as he previously ordered and they also supported the right with the power as he actually did, then they planted among the people of Egypt — for the frist time in their history — both equality and freedom.

The second and the most cunning one of the three, is the successor of Mouzdok or who — so called — Shah Iran (persia). Since his childhood up to now, the persian emperor is enjoying a similar life to the king Farouk's one, also his father did not bring him up according to the religious teachings, did not prepare him to be the king of the State. Hence, forcely he ruled the persian people following his bad father's footsteps, he knows nothing about the State's affairs except its money case which he was attempting to transmitte a lot amount of it to fill his pockets. As a matter of fact, Shah Iran is a careless of improving his State condition or at least how to investigate its natural. wealth for the benefits of his people So, you can not at all.

all people as well as he will lose his honour and dignity which he was previously enjoying. Such kind of kings always appear when the Almighty God wills to change the system of the State and to replace one government with another. This is because these kings humiliated the people, oppressed them, prevented them to declare their opinions freely and consequently, People's hearts filled with hatefulness and this will lead them to revolt against their kings and to get rid of them and their assitants as well.

Offering an actual example for such kind of kings, we have firstly to speak about the three astray youngmen who had been appointed rulers and kings by the authority of the british imperialists, though it is against the will of their nation's people. Moreover, the imperialists backed them by force, supplied them with money, induced them to interrupt the characters and the conducts of the youngmen and taught them how to spend the nation's wealth haphazardly and in the bad ways. But it was the will of God to inspire a group of faithful youngmen under the wise leadership of the president Gamal Abd El-Nasser, who revolted against the tyrants and the aggressors till they evacuated the imperialists out of ost of the middle East nations, though they are still occupying some of these nations, creeping on its land by the support of some dishonest citizens and those unfaithful rulers who are exactly as the germs and the microbes which creep to the human body by means of the fly's legs or the dog's mouth. Verily, it was the will of God to save the people from those tyrant kings and to make them who are the last branches — from the tree of their corrupted and bad families — to fall.

The first and the worst one of the three kings, was Farouk the king of Egypt before 23rd of July 1952, who was the most detested man living on the earth. His heart was full of evil, his conduct was against both the instructions of his religion and the people of his country as well. One of the royal palace supporters told me one day that king Farouk would go to the mosque for the congregational prayer but without ablution and to perform his prayer but without reading Qur'an, this is in case of he was obliged to perform the prayer at only some special circumstances. Moreover, the same supporter added, king Farouk Siad " I fear that I may lough loudly while I am following the movements of the leader of the prayer (The Imam) ".

THE RELIGION IS THE BEST CONTROLLER

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The piety which is the feeling of fear from God, is a natural quantity takes its place inside the hearts of the working hard people. This piety is deep rooted also in their hearts, because they are in need of God's support as well as they are always depending upon Him. But kings and the rich people have never become in need of piety because mony and authority blindfold them their Lord. If it is supposed that there are some kings and rich people of pious hearts, this will be because of a religious education, a spiritual culture or good examples. For instance, if a rich man had an unsuitable environment during his childhood period or lived in unconfortable house where he could not see the father who performs his prayer, the mother who asks God's forgiveness or the guider who guides him to the straight way, he would grow up like the unconscious animal, he may also satisfy all his lusts and would be the man who rules the people without any controller or a considerate mind. If such a man is given the chance to be a ruler of a nation, he will neglect the benefits of the people aside, sink deep into the ill-deeds and take the ignorance of the people as an opportuniy for his own benefits. Consequently, he will use his throne as a bed where the prohibitions can be committed, the kingdom palace as a place where adultry crimes are happend, the government as a connection to his bad aims, moreover he will use the country as if it was a farm given to him by one of his ancestors. Hence, he will satisfy his foolishness, fearlessness of God because Satan is leading him astray and fearlessness of people because the army is guarding him against them - But when the cover that covers the sights of the people will be removed away and as a result of that, the sleepy man will get up of his deep sleep, the king or the ruler will come to the fact that the people are stronger than he immagined and that their will is over his one. At that time, the oppressed society will revolt against the tyranny and refuse to be humiliated, then the tyrant will be looked small in the eyes of

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن ــ شعبان سنة ١٣٨١ هـ ــ يناير ١٩٦٢ م ــ المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الإمام الأكبر
في مهرجان ابن خلدون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعد :

فإنه لتقليد حميد أن يجتمع هذا الحشد من العلماء والباحثين وأهل الثقافة والفكر ليحتفلوا بالعالم المحقق والباحث الفذ العلامة ابن خلدون ، وليحيوا ذكرى كفاحه المجيد ، وخدمته لفروع المعرفة الإنسانية ، حتى كان علما من أعلام الفكر العربي الأصيل ، ترنو إليه الأبصار ويشيد بفضله العارفون .

وإن الاحتفال بعظماء الرجال ليس تمجيدا لذواتهم ، أو إشادة بأشخاصهم وإنما هو في الحقيقة تمجيد للأفكار التي نادوا بها ، والمبادىء التي وقفوا حياتهم عليها ، وإشادة بالمجهود البشرى الذي قدموه لخدمة الإنسانية وإنارة طريقها في الحياة .

ولا شك أنه من حق هؤلاء الأفذاذ علينا أن نحتفل بهم ، وأن نعرف بمآثرهم ، ونشيد بجهودهم . كما أنه من الخير لنا أن نذكر القيم التي دعوا إليها في حياتهم ، وأن نعرف بالمثل

العليا التي وقفوا حياتهم على خدمتها وأفنوا أعمارهم في إرساء قواعدها وتجلية حقائقها ، فإن لنا فيهم قدوة طيبة وأسوة حميدة تصل حاضرنا الناهض ومستقبلنا المأمول بماضينا المجيد .

ونحن إذ نحتفل اليوم بعالم من علماء العرب النابهين إنما نحتفل بأصالة تفكيره ، وسبقه في فروع المعرفة ، يظهر ذلك فيما دونه من علوم التاريخ والاجتماع ، وما تزخر به مقدمته من فصول تنبيء عن عمق في الفهم ، وبسطة في العلم ، وقوة في التفكير . فقد كان ابن خلدون رائدا من رواد المعرفة ، ذا فكر أصيل ينبثق من واقع حياته ، ويتأثر بحوادثها وينفعل بها ، ويتجاوب معها ثم يكون له بعد ذلك تعليل لأحداثها وحكم على واقعها وتخطيط لمستقبلها وله في كل ذلك رأى لم يسبق إليه ، وابتكار لم يعرف من قبله .

وابن خلدون واحد من أولئكم الأعلام الذين تربوا في أحضان الإسلام وتعاليمه ، والذين كان لدعوتهم القوية أثرها الواضح في حياتهم العلمية والفكرية . فملامح التفكير الإسلامي والعربي واضحة جلية فيما كتب ودون ونظرته الإنسانية الإسلامية الشاملة تتجلى في الطريقة التي تناول بها دراسة المجتمعات المختلفة : مجتمع العرب ومجتمع البربر ومجتمع الترك وغيرهم ، إذ هو في ذلك يصدر عن تفكير علمي تجريدي أصيل ، وفقه إسلامي إنساني صحيح . وهو في الوقت نفسه قد عرف للعرب قدرهم ، وأشاد بهم كأصحاب رسالة ودعوة ، وكلامه عن الأعراب البدو ذو مدلول علمي اجتماعي سليم ، ولكن يساء فهمه في بعض الأحايين ، ولولا مبادىء هذا الدين ماسعدت البشرية بأمثال ابن خلدون وإخوانه ممن ساروا معه على الدرب فكانوا أئمة عصرهم وهداة قومهم وذخيرة الأجيال من بعدهم .

إن العناية بابن خلدون وأمثاله من علماء الموسوعات ستعرف جيلنا المعاصر والأجيال القادمة أمجاد أسلافهم ، وتظهر لهم عظمة ما قدموه للإنسانية ، وما سبقوا به غيرهم من علم وفن ، وستعيد الثقة إلى نفوس أولئكم الذين بهرتهم الحضارة الأجنبية ببريقها الأخاذ ، فراحوا يمجدون كل مستورد ، ويندفعون في تقبله دون روية أو تفكير ، حتى أصبحوا أسرى التقليد الأجنبي والإحساس بالتبعية له والسير في موكبه ، وقد لا يعرفون أن أوربا تتلمذت على أسلافهم وأخذت عنهم أيام كانوا هم الشعلة المضيئة على الطريق ، والرواد الذين يأخذون بيد البشرية إلى الرشد الإنساني .

كما أن العناية بابن خلدون وأمثاله من العلماء ستهيىء الفرصة للعقول والنفوس لأن تكون على بينة من أمرها ، فتعرف أن هناك أواصر للقربى قوية راسخة تتداعى عندها حدود الزمان والمكان ، وتتحطم أمام صلابتها

الفوارق والفواصل التى أقامها المستعمر فيما مضى ، وأرساها يوم أن كان له بيننا أمر ونهى ، رسطوة واستبداد ، ثم هو يحاول حتى الآن أن يجعل لها أثرا فى حياتنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا ، وأنى له ذلك وقد استنار طريقنا ، وعرفنا أمجادنا ، ونفضنا غبار النسيان عن تراثنا ، واستبانت لنا قوة الروابط التى تجمع بيننا .

إن المجتمع الإسلامى كانت نواته الأمة العربية التى حملت الرسالة وانطلقت بها شرقا وغربا تبشر بمبادئها وترسى قواعدها ، وتجعل لهذه المبادئ واقعا حيا يتمثل فى المعاملة والسلوك والعلاقات بين الأفراد والجماعات التى تقوم على أساس من المحبة والبر ورعاية الحقوق . وبذلك كانت الرسالة والعمل فى حقلها هو الرباط الأول الذى وحد كلمة المؤمنين ، وحملهم مسئولية التعريف بهذا الدين ، ثم كانت اللغة العربية هى الرباط الثانى لأنها لغة الذين حملوا الرسالة ولأنها لغة القرآن والإسلام .

أيها السادة :

إن احتفالنا بابن خلدون وأمثاله من العلماء الأعلام الذين قدموا للإنسانية خير ما تعتز به من نتائج أفكارهم وثمار جهودهم ليس احتفالا بأناس طويت صفحاتهم ومضت أزمانهم وإنما هو احتفال بالمبادئ والأفكار التى ما زالت تنبض بالحياة وتصل أعمال هؤلاء الأمجاد ، فهم أحياء بمبادئهم وقيمهم يفوقون كثيراً من الأحياء بأشخاصهم وذواتهم .

ومن هنا كان الاحتفال بالأنبياء والعلماء والعظماء وسائر المصلحين احتفالا بالمعانى الإنسانية وتمجيداً للمثل السامية والمبادئ التى نادوا بها وعاشوا يجاهدون فى سبيل تثبيتها فأرواحهم باقية ببقاء مبادئهم ، خالدة خلود آثارهم .

وإن الأزهر إذ يشكر القائمين على أمر هذا المهرجان ، والذين أسهموا بجهودهم فى الدعوة إليه والترتيب له ، إنما يعترف لهم بأنهم لفتوا الأنظار إلى هذا اللون من المعرفة ، وأتاحوا الفرصة للتعريف بهذا العالم الفذ وبما قدمه من تراث خالد وعمل مجيد ، وليست هذه العناية قاصرة على خدمة المعرفة وحدها وإنما هى كذلك عناية بالشعوب وتقوية الروابط التى تجمعها ، وفيها تقريب للأفهام فى سبيل خدمة الحق والعدل والسلام .

والأزهر إذ يحى هذا المؤتمر إنما يحى هذه الروابط وهذه الأواصر ويدعو إلى استمرار العناية بتاريخ علمائنا وعظمائنا حتى تقوى العلاقات التى جمعت كلمة المسلمين ووحدت بينهم فيما مضى ، والتى هى كفيلة بأن تجمع كلمتهم وتوحد بينهم اليوم ، ليكونوا كما وصفهم الله خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

الإسلام والتكافل الاجتماعى

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

١ — تعريف :

التكافل الاجتماعى هو إيمان الأفراد بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، فإذا أساء كانت إساءته على نفسه وعلى أخيه ، وإذا ما أحسن كان إحسانه لنفسه ولأخيه .

وهو أول عناصر الحياة الطيبة للمجتمعات ، عليه تتوقف حياتها ، وبه تكون عزيزة كريمة ، متمنعة بهيبتها ، قائمة بواجبها .

٢ — الإسلام والمجتمع :

والإسلام ليس دينا روحيا بحتا ، كما يخطىء فى تصويره وفهمه بعض الناس ، فيكون خاصا بالعلاقة بين العبد وربه ، ولا شأن له بتنظيم شئون الجماعة وبناء حياتها ، ولكنه دين شامل ، يقرر :

أولا : صلة الإنسان بربه .

ثانيا : أصول التنظيم للعلاقة البشرية وللشئون العامة التى تتوقف عليها سعادة المجتمع .

وفى سبيل استجابة الناس لهذا التنظيم حرص الإسلام على أن يكون توجههم إليه منبعثا عن خشيتهم لواضعه ، واستشعارهم لعظمته ، ويقينهم أنه يعلم سر الإنسان وعلانيته ، وذلك لكى تستقر فى النفوس مبادىء الرحمة والمحبة والتعاون وتبادل المنافع وتوحيد الشعور والإحساس ، ويرى الفرد فى نفسه لبنة من لبنات المجتمع ، فيبذل من نفسه ومن حيازته ما يحقق جزئيته للمجتمع .

٣ — التكافل الاجتماعى بين المسلمين ومداه :

وأفراد المجتمع الإنسانى ليسوا وحدات يمكن أن تستقل بعضها عن بعض ، وإنما هم ، بطبيعة وجودهم فى هذه الحياة وظروف معيشتهم فيها ، وحدات تتبادل المنافع ، وتتعاون على قضاء المصالح .

غير أن الإسلام لم يكتف — بالنسبة للعلاقات بين أفراد المجتمع الإنسانى — بما تمليه طبيعة الحياة وظروف المعيشة ، ولكنه شد أزر الطبيعة الاجتماعية بما يقومها من

الانحراف ، ويحميها من الانحلال ، نتيجة للعوامل النفسية ، والنزوات الشخصية التى كثيرا ما تخرج بالناس عن حد الاعتدال اللازم لهدوئهم وسعادتهم وأمنهم واستقرارهم .

ومن هنا حرص الإسلام على أن يربط بين أفراد الناس برباط قلبى يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ، ولحمتها الصالح العام ، وهدفها السعادة فى الدنيا والآخرة ... وهذا الرباط هو رباط الإيمان والعقيدة المتصلة بمبدأ الخير ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وقد اتخذ الإسلام عنوانا لهذا الرباط « الأخوة الدينية » بين المسلمين .

« والأخوة » هى أصدق تعبير عن الحقوق والواجبات الاجتماعية . وهى أقوى ما يبعث فى النفوس معانى التراحم والتعاطف والتعاون وتبادل الشعور والإحساس بما يحقق للمجتمع المثالية التى تخلص به للخير ، وتبعد به عن الشر .

قرر الإسلام هذه « الأخوة » بين المسلمين فقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم » .

وقد سما الإسلام بالأخوة الدينية عن مركز الأخوة النسبية ؛

(ا) فبها اصطلح المتخاصمون ، وائتلف المتفرقون ، ونسيت العداوات ، وتبودل العفو والصفح ، وأصبح المرء بعد تفيئه ظلها يجلس ـ آمنا مطمئنا فى ملأ أو خلوة ـ مع قاتل أبيه أو أخيه ، لايخشى انتقاما ولا يتوقع أذى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ، « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » .

(ب) وبها نسى المسلم ـ بأخيه المسلم ـ قبيلته ، وخرج على عشيرته وخاصم أباه ، وقاتل أخاه .

(ج) وبها فقدت الأخوة النسبية آثارها ، من ولاية وتوارث ، إذا تجردت عن الأخوة الدينية .

(د) وبها صار المجتمع الإسلامى ، بالعقيدة والإيمان ، ذا جهاز واحد ، يتقاسم الفرح والحزن ، واللذة والألم ، والسعادة والشقاء ، والرحمة والعطف والإرشاد والمعونة ، مهما تناءت الديار وتباينت الألسن واللغات .

وذلك كله هو ماصار حقيقة واقعة فى المجتمع الإسلامى الأول بالمدينة المنورة ، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها ... لقد أصبح المهاجرون والأنصار بعد أخوتهم الدينية ، بما تكافلوا اجتماعيا ، المثل الأوحد ـ الباقى على الزمن دون تكرار فى أى مجتمع

إنسانى آخر — للتعاون والتآزر والتكافل الاجتماعى الشامل الكامل .

شعار واحد : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وشعور واحد : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » .

ودعاء واحد : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، رَبَّنَا إنك رءوفٌ رحيم » .

لقد بلغ المسلمون، فى هذا المجتمع الإسلامى - بالنسبة لتكافلهم الاجتماعى - حدا فريداً خلده الله لهم فى كتابه العزيز بقوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

٤ — شمول التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

وإذا كان العالم فى عصره الحديث ينادى بالتكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ، فإنه قصره على تحقيق المطالب المعيشية فقط للفئات المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما إليه . بيد أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقيقة وحدها ، منذ أربعة عشر قرنا ، وإنما قرر قبلها لكل مواطن حقوقا خمسة لا تتم كرامة الإنسان وسعادته بفقدان واحد منها ، ثم عاد فنظر إلى الذين تحول ظروفهم فى الحياة بينهم وبين تمتعهم بها ، فاعتبر المجتمع هو المسئول عن تحقيقها لهم .

ومن هنا انبثقت فكرة التكافل الاجتماعى فى الإسلام بمعناه الشامل الكامل ، فالإسلام حين ينادى بفكرة التكافل الاجتماعى لا يجعله قاصرا على المطالب الغذائية أو السكنية أو الكسائية وما أشبه ، بل يجعله شاملا لتلك الحقوق الخمسة ، وهى حق الإنسان فى :

١ - حفظ دينه .

٢ - وحفظ نفسه .

٣ - وحفظ نسله .

٤ - وحفظ ماله .

٥ - وحفظ عقله .

وبذلك جاءت فكرته عن التكافل الاجتماعى شاملة لكل نواحى الحياة المادية والمعنوية .

٥ — أنواع التكافل الاجتماعى فى الإسلام ووسائل تحقيقها :

والتكافل الاجتماعى فى الإسلام أنواع كثيرة ، حتم الإسلام ضرورة تحقيقها فى مجالاتها جميعا ، وهى :

(ا) التكافل الأدبى : « أحب للناس ما تحب لنفسك » .

(ب) التكافل العلمى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا » ، « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

(ج) التكافل السياسى : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

(د) التكافل الدفاعى : « انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » .

(هـ) التكافل الجنائى : « لا يطل دم فى الإسلام » أى لا يذهب هدرا ، وإنما يجازى عليه إما بالقصاص : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، وإما بأخذ الدية ، عقلا أو قسامة أو من بيت المال : « فدية مسلمة إلى أهله » .

(و) التكافل الكفائى : ومجاله التشريعات التى تبين فروض الكفاية . ويقابله التكافل العينى : ومجاله التشريعات المتعلقة بالفروض العينية كالصلاة والصوم .

(ز) التكافل الاقتصادى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

(ح) التكافل الأخلاقى : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

(ط) التكافل الحضارى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

(ى) التكافل المعيشى : وهو ما يطلق عليه فى المجتمع الحديث ، خطأ ، التكافل الاجتماعى .

٦ — تشريعات التكافل المعيشى فى الإسلام :

وقد جاء الإسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة وتلك التشريعات تنقسم إلى قسمين :

(ا) منها ما ينص على الفئات التى تستحق هذا التكافل وعلى أحكامها .

(ب) ومنها تشريعات تعين الموارد المالية التى توفر تحقيق التكافل المعيشى لكل هذه الفئات .

والفئات التى تستحق التكافل الاجتماعى نوعان :

(ا) فئات يتميز أكثرها بالعجز والفاقة، وقد وضعت لها التشريعات التى تبين أحكامها وهى : تشريعات الفقراء ، والمساكين ، والمرضى ، والمكفوفين ، والمقعدين ، والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى ، والأسرى .

(ب) وفئات قد لا تتصف بالفقر ولا بالعجز ، ولكنها تحتاج إلى المساعدات المالية وغيرها ، ونذكر من تشريعاتها :

(١) تشريع المساعدة : وهو يشمل المدين، والغارم ، واليتامى، والقاتل خطأ ، والمنقطع فى بلد غير بلده ويسمى : « ابن السبيل » .

(٢) تشريع الجوار : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ... »، « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، « ما آمن بى من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو » .

(٣) تشريع الماعون : « ويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون » .

(٤) تشريع المشاركة : وذلك عند ما يحين قوت المواسم الزراعية : « كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده » ، وكذلك عند تقسيم التركة بين الوارثين « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا » .

(٥) تشريع الضيافة : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما بعد ذلك صدقة ، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه) .

(٦) تشريع الإعفاف : « وانكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم ، وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ، « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » ، « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن أردن تحصنا ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وهناك تشريعات أخرى للتكافل المعيشى فى الحالات الطارئة والنادرة ، ومنها :

(١) تشريعات الإسعاف : فى حالات الجوع والعطش المهلكة « أى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » ، وكذلك فى حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

(٢) تشريعات الطوارئ : كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » ، وكحالات الفتن الداخلية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

(٣) تشريعات الإعانات العائلية : كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه فىء قسمه من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظا واحدا » وكان عمر رضى الله عنه يفرض لكل مولود عطاء يزاد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) كلما نما الولد زاد العطاء .

ولما كانت هذه التشريعات التى وضعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى بين المواطنين تستلزم موارد مالية ، لضمان تنفيذها — وإلا ظلت نظرية بحتة — فقد سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ ، باعتبارها جزءا من تشريعات التكافل الاجتماعى ، وهى :

(١) تشريع الزكاة : وهى تؤخذ ، بنسبة محدودة ، من النقدين (الذهب والفضة) ، وعروض التجارة ، والزروع والثمار وكل ما يستنبت من الأرض . وتصرف لفئات معينة لا على أنها إحسان ومنة بل على أنها فريضة من الله ، تؤخذ منهم بالقوة ويحاربون عليها إذا امتنعوا عنها ، حقا لتلك الفئات التى عينها الله بقوله : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل — فريضة من الله ... » ، « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

(٢) تشريع الوقف : ذريا كان أو خيريا .

(٣) تشريع النفقات : « لينفق ذو سعة من سعته » .

(٤) تشريع الوصية : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن ترك خيرا ، الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ؛ حقا على المحسنين » .

(٥) تشريع الغنائم : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » .

(٦) تشريع الركاز : « فى الركاز الخمس » والركاز كل ما عثر عليه فى باطن الأرض جامداً كان أم مائعا ، كالبترول . . . الخ .

(٧) تشريع النذور : « وليوفوا نذورهم » .

(٨) تشريع الكفارات عن الذنوب ، والأيمان والظهار ، ومخالفات الحج والصوم .

(٩) تشريع الأضاحى : « يا أيها الناس : على أهل كل بيت ، فى كل عام ، أضحية » .

(١٠) تشريع صدقة الفطر : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، من المسلمين » .

(١١) تشريعات الخزانة العامة : بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس غنائم ، وركاز ، وخراج أرض ، وجزية رءوس ، وتركة من لا وارث له .

(١٢) تشريع الكفاية : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء ، إذا جاعوا أو عروا ، إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وأن الله يحاسبهم حسابا شديداً ويعذبهم عذاباً أليما » .

٧ — التضامن الاجتماعى بين المسلمين ودعامتاه :

والتضامن الاجتماعى بين المسلمين يقوم على دعامتين ، إحداهما التضامن الأدبى والأخرى التضامن المادى ، أما التضامن الأدبى فتحققه قوتان ، قوة تعرف الخير والفضيلة وتدعو إليهما بصدق وإخلاص : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وقوة تستمع وتتقبل بقلوب مطمئنة وصدور منشرحة وألسنة شاكرة وجوارح عاملة : « فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

وبتفاعل القوتين تقوى روح التعاون الجماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

أما التضامن المادى فأساسه سد حاجة المجتمع ، وتفريج كرب المكروبين ، والمعونة فى تحقيق المصالح العامة التى تنهض بحياة الجماعة ويعم خيرها الأفراد على حد سواء .

وليس من ريب فى أن كل ما تتوقف عليه الحياة ، فى أصلها وكمالها وسعادتها وعزها ، من علم وصحة وعزة وكرامة واتساع عمران وسلطان وقوة ـ لا سبيل إليه بدون المال .

٨ — موقف الإسلام من الأموال :

وقد نظر الإسلام إلى المال نظرة واقعية أساسها هذه الناحية الحيوية فى تحقيق حاجات الناس وضرورياتهم وكمالياتهم ، وقد رفع الإسلام من شأنه فوصفه بأنه « زينة الحياة الدنيا » ، ووصفه أيضا بأنه قوام الناس . ومن المعلوم أن قوام الشىء ما به يحفظ ويستقيم .

٩ — المال وسيلة للخير فلا يحصل إلا من طريق الخير :

والمال ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج ، فمن استعمله فى هذا السبيل كان المال خيرا له وللمجتمع ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبها المهالك وتفتح على الناس أبواب الفساد . « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

ولهذا ، والله أعلم ، عبر القرآن عن المال بالخير .

وهذا ولا شك تنبيه إلى وجوب الحصول على المال من طريق الخير حتى يصلح لإنفاقه فى سبيل الخير ، وكذلك على وجوب تحصيل الخير من طريق المال حتى يظل للمال وصف الوسيلة لا مكانة الغاية .

وتحصيل المال يكون من طريق الزراعة والصناعة والتجارة ، نظرا لأن حاجة المجتمع المادية تتوقف على ثلاثتها كلها ، فكما يحتاج إلى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية ، التى تنبتها الأرض ، يحتاج أيضا إلى الصناعات المختلفة فى شئون الإنسان المتعددة ، من ملابس ، ومساكن ، وآلات زراعية ، وتنظيم طرق ، وحفر أنهار ، ومد سكك حديدية ، وأخيرا فى حفظ كيان الدولة والدفاع عنها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالصناعات . . . وفى الوقت نفسه يحتاج إلى تبادل الأعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الأقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة .

وإذن فلا بد من الاحتفاظ بالزراعة والصناعة والتجارة ، على مستوى يحقق الغاية من كل منها .

ومن هنا قرر علماء الإسلام أن كل مالا يستغنى عنه فى قـوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده فرض كفاية ، ومعنى ذلك أنه إذا لم يتحقق فى الأمة أثمت الأمة كلها ، بحيث لا يرتفع عنها هذا الإثم إلا إذا قامت بكل نوع منها طائفة من الأمة .

وليس من ريب فى أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الإسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله ، وهو مبدأ

استقلال الجماعة الإسلامية فى تحقيق ما تحتاج إليه من الضروريات والحاجيات فيما بينها وبين أبنائها .

وبذلك لا تجد الأمم الأخر ذات الصناعات والتجارات سبيلا إلى التدخل فى شئونها ، وتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها وخيرات بلادها : إذ كثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدولة الأجنبية فى إدارة البلاد وتنظيمها ، وأخيرا احتلالها واستغلالها خامات البلاد فى الصناعات والتجارات .

١٠ — واجب ولى الأمر بالنسبة لتنظيم طرق تحصيل الأموال وتنسيقها :

ولا شك أن الزراعة والتجارة والصناعة ، هى عمد الاقتصاد القومى لكل أمة تريد أن تحيا حياة استقلالية رشيدة عزيزة ، ومن الضرورى العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للأمة هدفها الذى يوجبه الإسلام عليها ، والذى يجب أن تحصل عليه ، وتحتفظ به ، وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها فى سلطانها وإدارتها . وقد أرشدنا تاريخ الاستعمار إلى أن أهم أسبابه ، وأول نافذة يتسلل منها ، إلى الأمة ، تياره الكريه وريحه الثقيل هو نقص الأجهزة التى تحقق للأمة كفايتها من هذه العمد الثلاثة .

وإذا كان من قضايا العقل والدين أن « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ، وكانت عزة الجماعة الإسلامية أول ما يوجبه الإسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه العمد الثلاثة — كانت هذه العمد الثلاثة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا .

ومن هنا كان على ولى الأمر فى الجماعة الإسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها ، أن يعمل جهده بما يحقق للأمة الانتفاع بها كلها ، وأن يعمل على تنسيقها ، بحيث لا يترك الأموال تتجه إلى تركيز عنصر واحد منها دون سواه ، ولا عليه ، فى سبيل ذلك ، أن يحول بعضا من الأراضى الزراعية ، مثلا ، إلى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على تحديد مصالحها ، ويُتم بذلك تنسيقها على الوجه الذى يجعلها غنية بنفسها عن غيرها ، فلا يجد الأجنبى بابا للتدخل فى شئونها إلا بمقدار ما يحتاجه هو إليها من طريق التبادل العام الذى يقع بين الدول ، بعضها مع بعض .

وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ، ويقيها شر تدخل الأجنبى .

وليس هذا التنسيق من باب تقييد الحرية فى الملكية ، وإنما هو توجيه تستدعيه حاجة

البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقة الكاملة ، وهو بهذا الاعتبار واجب على ولى الأمر ، بحيث إذا قصر فيه وأهمله كان آثما وكانت أمته معه آثمة ، وإذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها ، وعاونته الأمة ، كان سائرا بها فى طريق الخير والسعادة ، وكانت معه فى مكانة الأمن والطمأنينة .

وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمى أرضا بالمدينة يقال لها : (النقيع) ترعى عليها خيل المسلمين » — (وحمى عمر أيضا أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاءه أهلها يقولون : يا أمير المؤمنين ، إنها بلادنا ، قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها فى الإسلام ، علام تحميها ؟ فأطرق عمر ثم قال : المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر) .

« والحمى » هو تخصيص جزء من الأرض ليكون مرعى عاما لا يملكه أحد ، بل ينتفع به عموم الشعب .

ومن هنا أجمع الفقهاء على أن لولى الأمر أن ينتزع أية ملكية لتوسيع المسجد مع أن الأرض كلها مسجد ، كما أن له ذلك لتوسيع شارع أو غيره من المصالح العامة التى يدخل فيها ، بدون شك ، إتاحة فرصة الحياة الكريمة للأفراد والجماعة على حد سواء .

١١ — المال وظيفة اجتماعية والفقر مرض اجتماعي :

ولما كان المال مال الله ، يسّره لعباده ، ليعمروا به الكون ، فقد أضافه إلى نفسه تارة ، فقال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وأضافه إلى المجتمع تارة أخرى ، فقال جل شأنه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، وفى الوقت نفسه أوضح أن الحائزين له مستخلَفين عنه فى حفظه وتنميته وإنفاقه على النحو الذى بينه لهم ، فقال سبحانه : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وقد سخر الله المال للناس جميعا على قدم المساواة : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » .

فإذا كان المال مال الله ، وكان الناس جميعا عباد الله ، وكانت الحياة التى يعملون فيها ، ويعمرونها بمال الله ، هى أيضا لله ، كان من الضرورى أن يكون المال ، وإن ربط باسم شخص معين ، لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » .

وتحقيقا لانتفاع الجميع بالمال ، وتطهيرا للنفوس من بواعث الأثرة فيها — حارب الإسلام فى الحائزين للمال والقائمين عليه ، خلق الشح الذى يمنع من البذل الواجب « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم

بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا . وامرهم بالفجور ففجروا » ، « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » ، « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

كما حارب السفه الذى يودى بالمال فى غير وجوه النفع « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » .

وحارب الترف الذى يخلق الحقد بين الطبقات ، بما يتهدد حياة الأمن والاستقرار ، فضلا عما يشيعه فى المجتمع من معانى الفساد والانحلال : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » ، « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا ، وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ... الآية » ـ « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم ، وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين » .

وأمر بالاعتدال فى الإنفاق فقال : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » .

على أنه إذا كانت خيرات الأرض للناس جميعا ، وكان المال وسيلة إلى خير الناس ، وتيسير المنافع لهم ـ كان واجب الإنسان أن يسعى ، ليكسب ويحصل على المال ، ولا عذر لأحد فى ترك العمل بحجة أن الله قد كتب عليه الفقر ، أو أنه غير محظوظ ، وما إلى ذلك من تعلات ضعاف النفوس والهمم ، فالفقر ، فى الأصل ، مرض اجتماعى ، يرجع إلى أحد أمرين :

(أ) إما الكسل والخمول ، وهو ما لا يقره الإسلام .

(ب) وإما العجز أو فقدان وسائل العمل ، ومثل هذا الفقر لا حيلة للإنسان فى دفعه ، وهو الذى وضع له الإسلام من تشريعات التكافل المعيشى ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقير كرامته .

١٢ – كراهية الإسلام تكديس الأموال فى أيد قليلة :

والإسلام يكره تكديس الأموال فى أيد قليلة فى المجتمع ، فنهى عن كنزه وتوعد على ذلك بأشد أنواع العقاب : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وأمر بإعطاء الفقراء نصيبا من مال الغنائم :

« كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ومن هنا أبقى عمر رضى الله عنه أرض العراق والشام فى أيدى المغلوبين ولم يقسمها بين الفاتحين حتى لا « يصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة » فى مستقبل الأيام لأى سبب من الأسباب .

١٣ — الإغراء بالإنفاق فى سبيل الله :

وقد رسم الإسلام طريق الحياة القويمة للمجتمع المثالى الفاضل وأقامه على مبدأ من التضامن الاجتماعى الذى تحيا به الأمة ويقوى به المجتمع .

وفى سبيل ذلك استلّ من نفوس المالكين ، وأرباب الأموال ، خلال الشح والإسراف والترف ، ثم استعمل كل الأساليب للترغيب فى البذل ، والترهيب من البخل وإهمال حق الفقير والمجتمع ، حتى لقد رفع الإنفاق إلى مرتبة الإيمان « الٓمٓ ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » ، « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله » .

وجعل الاعتدال فى إنفاقه من صفات عباد « الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ... والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » ، كما جعل عدم الانفاق من أسباب سلوك الكافرين فى النار « ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين » .

وشدد فى ذلك حتى جعل عدم الحض على الانفاق - بالنسبة لغير القادرين عليه - من التكذيب بالدين « أرأيت الذى يكذب بالدين ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » .

خاتمة :

أما بعد ، فتلك لمحة موجزة قدمتها عن تنظيم الإسلام للعلاقات البشرية من ناحية التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ، وهى ، فى تفاصيلها ، تحوى أسسا ثابتة ، وقواعد متينة ، لبناء أمتنا ، صرحا شامخا ، يَسعد كل من يلوذ به أو ينتمى إليه ... كما أنها ، فى مجموعها ، بيان واضح لاشتراكية الإسلام لمن أرادها . فهل يجد الناس فيما وراء ذلك اشتراكية أعم وأشمل وأنفع وأعمق من هذه الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وهى تقوم على أساس من الإيمان والعقيدة - وما كان كذلك فهو دائم بدوام الإيمان والعقيدة ؟

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير أمتنا وديننا .

محمود شلتوت

التّعريفُ والعَدَد في اللّغة العربيّة واللّغات الأوربيّة

للأستاذ عبّاس محمود العقّاد

الدلالة هي قوام اللغة ووظيفتها ومقياس كفايتها وارتقائها ، عند المقارنة بين اللغات .

ولهذا كانت عوامل التعريف والتنكير وأدواتها في مقدمة المقاييس التي تعرف بها درجة اللغة من الكفاية والارتقاء ، لأن التعريف والدلالة عمل واحد .

وبهذا المقياس تعتبر اللغة العربية في المنزلة الأولى بين لغات الحضارة ، إذ لا توجد بين جميع هذه اللغات لغة واحدة تبلغ مبلغها ، فضلا عن التفوق عليها ، في دقة التمييز بين مواضع التعريف ومواضع التنكير على حسب معانيها .

فالمعرفات في لغات الحضارة تنقسم إلى قسمين : قسم يتحقق له التعريف بحكم وضعه وبغير حاجة إلى أداة تزاد عليه أو نسبة تربطه بكلمة أخرى .

والقسم الآخر من المعرفات يتحقق له التعريف بأداة أو علامة أو نسبة بينه وبين كلمة أخرى .

وقد توجد هذه المعرفات بقسميها في جميع اللغات الرفيعة ، ولكنها في اللغة العربية تطرد على قاعدة تلازمها ملازمة معناها وعلى قدر درجتها من التعريف والتنكير ، وليس الأمر كذلك في المعارف والنكرات التي ترد في اللغات الأخرى ، لأن الجزاف فيها أغلب من القاعدة المطردة وعلامة التعريف أحيانا تبقى مع الكلمة بعد زوال الحاجة إليها .

فالضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول والأعلام موجودة في جميع لغات الحضارة . ولكنها ـ في اللغة العربية ـ توجد مميزة حيث يحتاج الأمر إلى التمييز وبمقدار الحاجة إليه ، وكثيراً ما تأتي جزافا في غيرها من اللغات .

إن ضمير المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث ، لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بجنسه ، ولكن ضمير المخاطب يحتاج إلى التمييز كما ميزته اللغة العربية فتقول للرجل أنت كتبت بفتح التاء ، وتقول للمرأة أنت كتبت بكسرها ، ويلحق بهذا تمييز الفعل مع الجمع المخاطب حيث تقول للرجال أنتم تكتبون ، وتقول للنساء أنتن تكتبن ، فإن الضمائر هنا معارف حقيقية لا يلحقها الإبهام والتنكير ، ولكنها في اللغات الأخرى لا تطرد هذا الاضطراد ولا يزول

عنها اللبس والإبهام فى كثير من الحالات إذ يتساوى المخاطب فى الجمع والإفراد وفى التذكير والتأنيث، ويحدث هذا فى الضمائر التى تلحق بالفعل فيقال عندهم أنتم تكتب، كما يقال أنت تكتب، مع التباس التذكير والتأنيث فى كثير من المواضع على غير قياس.

وما يقال عن الضمائر، يقال على الإجمال عن أسماء الإشارة وأسماء الموصول.

أما الأعلام فهى فى اللغة العربية غنية عن أداة التعريف، لأن تمييز الإسم بالعلمية تعريف كاف، ولكنها ليست كذلك فى بعض لغات الحضارة. إذ يقال عندهم الفرنسا والألمانيا والانجلترا والإيطاليا والأسبانيا والمصر إلى آخر هذه المسميات، وإذ يلحق هذا بأسماء البلاد كما يلحق بأسماء الشعوب على خلاف المعهود فى اللغة العربية.

وأدل الدلائل على التزام التعريف بقدر الحاجة إليه فى اللغة العربية أن الأعلام الجغرافية التى تدخلها الألف واللام فى اللغة العربية هى التى نفهم منها أنها أسماء أجيال من الناس وليست أسماء أماكن غير قابلة للالتباس، فإن الهند والصين والروس مرادفة فى مفهومنا للهنديين والصينيين والروسيين.

ومثل هذا فى الدلالة على دقة التعريف على حسب لزومه أن أسماء الأعلام تستغنى عندنا عن أداة التعريف ولكنها كذلك لا تخلو من أداة التنكير الذى يلازمها بين العدد الكثير من أمثالها. فإن اسم (على) معرفة حين يدل على شخص يسمى «عليا»، ولكنه لا يسمى «حسنا»، ولا «محمداً»، ولا «محمودا»، من سائر الأسماء المتفرقة، ولكن التنكير لا يفارقه إذا كان هناك ألف إنسان بهذا الاسم وكان هناك ألف عليين يميزين من ألف حسنين ومحمدين ومحمودين.

ويجب أن نفهم أن هذا من عمل القاعدة وليس من عمل المصادفة، لأنه مطرد فيما يقابل هذه الحالة أو يناقضها، فإن كلمة «رجل» نكرة تحتاج إلى تنوين التنكير، ولكن هذا التنوين يفاقها إذا قلنا «يارجل» وعنينا به إنسانا مقصودا لا محل عند النداء، عليه للإبهام.

وقد نتوسع هنا بعض التوسع فنقول إن اسم التفضيل يستغنى عن علامة التنكير، أو يمنع من الصرف، لأنه لا محل للبس والإبهام مع اختيار شىء مقصود يفضل على سائر الأشياء، ويقاس عليه ما يأتى على وزن «أفعل» من الأعلام ... لأن له من صيغة التفضيل تعريفا فوق تعريف.

ويدل على الجزاف فى التعريفات الأجنبية أن التعريف بالألف واللام عندهم يبقى مع التعريف بالإضافة، فيقال عندهم كتاب محمد كما يقال (الكتاب محمد) على الإضافة، وهو ما يقابل عندنا «كتاب يملكه محمد»، «والكتاب يملكه محمد» وإنهما فى الدلالة العربية لشيئان مختلفان.

وقد وجدت فى أكثر اللغات الأجنبية

علامات للتعريف ولم توجد عندهم علامات مطردة للتنكير ، فكلمة كتاب A Book باللغة الإنجليزية معناها «كتاب واحد» أى أن التنكير هنا يستفاد من أنه (واحد من كتب كثيرة) .

فإذا تكلموا عن كتابين نكرتين أو ثلاثة كتب نكرات فالعدد هنا هو كل ما عندهم من علامات التنكير، وذلك على خلاف الدلالة على التنكير فى اللغة العربية، لأن التنكير علامة غير علامة العدد فى المثنى والجمع حين نذكر كلمة «كتابين» أو نذكر كلمة «كتب» مع التنوين أو ما ينوب عن التنوين .

* * *

وعلى ذكر العدد ينبغى أن نلاحظ أن التمييز يلازمه فى اللغة العربية على نحو لا يعهد فى لغة من اللغات ، وأن الذى يستغربه بعض الاوربيين من أحكام العدد عندنا هو مزية فى لغتنا وقاعدة تتمشى مع التمييز الفكرى على اطراد وليست بالشذوذ الذى يجرى على السماع غير مفهوم ولا معقول .

إن أسماء العدد فى لغتنا بعد المفرد والمثنى: ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ، ثم تأتى الأسماء المركبة فالأسماء المضافة التى فيها الألف والنون، والأسماء المضافة بغير الألف والنون .

والأصول فى الأسماء أنها توضع للمذكر ثم تلحق بها علامة التأنيث ، وكذلك تجرى القواعد العامة فى جميع اللغات . فإذا قيل فى اللغة الإنجليزية (شاعر) فهو شاعر مذكر Poet تلحق به علامة التأنيث ليدل على الشاعرة Poetess ... وهكذا فى سائر الأسماء مع اختلاف العلامات .

ولننظر وفاقاً لهذه السنة المطردة فى جميع اللغات إلى تميز العدد فى اللغة العربية .

فإذا قيل (ثلاثة) بغير معدود فالمفهوم أنهم ثلاثة من أسماء المذكر .

واللغة العربية قائمة على التمييز بين التذكير والتأنيث فلا بد هنا من التمييز بالمغايرة على سنة اللغات جمعاء حيث يقضى الأمر «بالمغايرة» قصداً عند اختلاف الدلالة .

وقياساً على سنة المغايرة يجب أن يقال ثلاث نساء إذا قيل ثلاثة رجال ، أو يجب أن يكون عدد : (ثلاث أو أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو عشر) دالا على معدود مؤنث عند حذف المعدود .

ويستقيم العدد بالإضافة من ثلاثة إلى عشرة فيقال ثلاث رجال وعشر رجال .

ويستقيم المضاف إليه بصيغة الجمع لأنه يدل على أفراد معدودين .

فإذا انتقلنا إلى المركب مع العشرة فالتمييز هنا هو الإعراب الصحيح لاسم المعدود ، وخمسة عشر رجلا أوفق للعدد المركب من خمسة عشر رجال .

ثم تنتقل إلى عشرين وثلاثين إلى التسعين فنقابل بين قولنا (عشر ورجل) على الإضافة وقولنا (عشرون رجلا) على التمييز فلا يتردد

صاحب الذوق اللغوى فى اختيار التمييز وتفضيله على الإضافه ، وبخاصة حين تقترن العشرون بما يزاد عليها من الآحاد ، فيقال (خمسة وعشر ورجل) أو يقال : (خمسة وعشرون رجلا) كما انتهى الذوق العربى ... ولا سبيل إلى التردد فى إيثار التمييز وتفضيله على الاضافه فى هذه الأعداد .

فإذا انتقلنا إلى المائة فالإضافة أيسر من التمييز بلا خلاف ، وقول القائل (مائة رجل) أيسر من قوله (مائة رجلا) بتنوين المائة ، وقس على ذلك مائتين رجلا وثلاث مائة رجلا وأربع مائة رجلا ، مع التنوين فى كل هذه الأعداد .

ويأتى هنا اعتراض يلوح للوهلة الأولى أنه اعتراض وجيه ولا وجاهة فيه مع التأمل فيما ينتهى إليه .

فقد سمعنا بعض النقاد الأوربيين يقولون : كيف يقال خمسة رجال على صيغة الجمع ثم يقال خمسمائة رجل على صيغة المفرد ؟ أليس هذا من التناقض فى القياس ؟

ولكن المنطق فى روح اللغة أعمق من هذا المنطق (السطحى) فى عقول نقادها من الغرباء عنها أو المتعجلين من أبنائها .

فإن الكلام مع الكثرة إنما يكون عن الجنس الذى يطلق عادة على العدد الكثير كلما جاوز هذا العدد بضعة أفراد قليلين إلى المئات والألوف .

ونحن نتكلم عن رجال أفراد عندما نتكلم عن خمسة أو ستة أو عشرة ، أو عن جمع مميز من الإثنين .

ولكننا نتكلم عن عدد يمثل الجنس حيث نجاوز الأفراد المعدودين ، ويصح على هذا أن نقول خمسمائة من رجل أى من جنس الرجل ، كما يصح أن نقول خمسمائة رجل ، ولا شك أن خمسمائة من رجل كافية للدلالة التامة على المقصود فى هذا الموضع ، كما أن فيها الغنى عن قولنا خمسمائة من رجال أو خمسمائة من الرجال .

وتتبين دقة المنطق ، ودقة الذوق معا ، عند محاولة التغيير والتعديل مجاراة للانتقاد أو الاعتراض الذى أشرنا إليه .

فإذا عمدنا إلى التغيير مجاراة لذلك الاعتراض قلنا خمسة رجل أو خمسة من رجل ثم قلنا خمسمائة رجال على الإضافة أو خمسمائة من رجال بدلا من الإضافة ، أو قلنا خمسمائة رجال على الصفة والموصوف .

ولمن شاء بعد هذا التغيير أن يقارن بين ما ارتضاه منطق اللغة العربية وذوقها وبين ما يرتضيه لها المعترضون عليها من الغرباء عنها أو المتعجلين من أبنائها ، فإن الناقد المنصف لا يصر على اعتراضه بعد هذه المقارنة فيما نعتقد ، فإن أصر عليها فحق اللغة العربية فى المضى مع منطقها وذوقها ، وفى الثبات على قواعدها وأحكامها أصح وأصلح وأهدى .

عباس محمود العقاد

القوى الشعبية
وكيف تعبأ نحو الاشتراكية العربية

للأستاذ الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

— ٢ —

القوى الشعبية النوعية :

الآن ، بعد هذا ، يمكن أن يكون جميع أفراد الشعب ـ عدا أولئكم الذين استغلوا واستمرأوا استغلال الشعب فى مصادر ثروته، أو توجيهه السياسى، أو فى توجيهه الفكرى، وحولوا قوته الأصلية فيه إلى ضعف، أو عاونوا السيطرة الأجنبية عليه فى صراعه معها ، فهؤلاء باستغلالهم أخذوا أكثر مما أعطوا ، أو أخذوا ولم يعطوا — عدا أولئكم يكون جميع أفراد الشعب أهلا ، ولديهم صلاحية للاشتراكية العربية بهذا المعنى .

ولكن السؤال الذى يواجهنا فى هذه اللحظة هو : كيف يكون أفراد الشعب ـ وهم الذين يكونون القوى العددية ـ اشتراكيين عربا ، فى الواقع ، وفى السلوك ؟

كيف يتحول مفهوم الاشتراكية العربية إلى إيمان بها ، حتى يصبح هذا الإيمان مصدرا لتطبيقها فى الحياة العملية ؟ وحتى يكون هذا الإيمان نفسه مصدرا للدفاع عنها لو قدر وحاول أجنبى أن يصيبها أو يتآمر عليها .

لا يكفى إذن أن تكون هناك صلاحية لقبول الاشتراكية العربية فى أفراد الشعب ، ولا يكفى أيضا أن تكون هناك قوة عددية لأفراد الشعب . وإنما يجب أن تكون هناك بجوار ذلك قوة إيمان : تدفع وتصد . تدفع فى التصرف فى الحياة بحيث يكون التصرف اشتراكيا عربيا ، وتصد عند الهجوم على هذه الاشتراكية بحيث يرد كيد المهاجم إلى نحره .

وإذن لابد من أن تكون هناك قوى أخرى لا نراها محسوسة ، وراء القوى الشعبية العددية ، هذه القوى التى تدفع أو يجب أن تدفع الاشتراكية كمفهوم إلى إيمان بها وتصرف طبق هذا الإيمان ... هذه القوى ربما نسميها : القوى الشعبية النوعية ، فى مقابل القوى الشعبية العددية .

ولو فتشنا عن هذه القوى الشعبية النوعية التى تحول مفهوم الاشتراكية العربية

إلى إيمان بها لوجدنا أنها تتمثل فى مصادر القوى الآتية :

(ا) فى التاريخ

(ب) فى الدين

(ج) فى الفكر .

(د) فى التعبير .

هذه المصادر التى من شأنها أن توجه توجيها سليما إن حسن وعيها وتطبيقها . والدور الإيجابى لقادة التوجيه للاشتراكية العربية هو استعراض قيم هذه المصادر ، والدفع بها فى حياة مجتمعنا الجديد .

ا — فى التاريخ :

ونقصد بالتاريخ تاريخ أمتنا العربية . والأمة العربية فى تاريخها هى الدعوة الإسلامية فى قيامها وانتشارها ، فقد كان تاريخ العرب قبل الرسالة المحمدية هو تاريخ القبائل العربية وتاريخ الصراع والمنافسة الشديدة بينها ، على السيادة فى شبه الجزيرة .

أما تاريخ العرب بعد الإسلام فهو تاريخ المثل والقيم التى جاء بها الإسلام ، والكفاح من أجل تثبيت هذه القيم فى حياة العرب أنفسهم وفى حياة الإنسانية كلها .

ونحن فى مجتمعنا العربى الجديد ، وهو المجتمع الاشتراكى العربى ، إذا كانت لنا حاجة — وهى موجودة فعلا — إلى استعادة تاريخ أمتنا ، فتلك الحاجة مركزة أولا وبالذات على تلك القيم التى تكون رسالة العرب ورسالة المسلمين ، وعلى مراحل الكفاح الطويلة والشاقة والمريرة أحيانا فى سبيل إخلاء مكان لتلك القيم فى الحياة البشرية .

والقرآن نفسه لا يصور قيم الرسالة الإسلامية فحسب ، بل بالإضافة إلى ذلك يعطى صورا عن الكفاح من أجلها . وصور الكفاح هذه التى نراها فى القرآن ، لم تكن من أجل كفاح قام وانتهى ، وإنما من أجل كفاح سيتكرر فى أجيال البشرية ، لأن القيم التى تمثلها رسالة الإسلام هى قيم أريد للناس جميعا أن يسعوا لتحقيقها فى حياتهم ، أو يقتربوا من نماذجها على الأقل فى هذه الحياة . ومرة قد تصل البشرية إلى تحقيقها وترتفع إلى مستواها ، وأخرى قد تنحدر الإنسانية عن هذا المستوى . وفى هذه الحالة الثانية يجب على المجتمع الإنسانى أن يكافح من أجل تلك القيم من جديد ، وتثبيتها فى حياة الإنسان .

إذن هذه القيم هى قيم ثابتة ، وقيم مطلوب أن تبقى ، ومطلوب للبشرية أن ترتفع إلى مستواها . والذى يتغير هو موقف المجتمع من هذه القيم ، فى محاكاتها وتطبيقها ، أو فى البعد والتخلف عنها .

والقرآن عند ما يقول فى آية من آياته : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » - يشير إلى ما يجب على البشرية إذا ما ابتعد المجتمع عن الأخذ بهذه القيم ، أو إذا ما وقع انحراف أو فساد فى أوضاع المجتمع نفسه ، وما يجب على المجتمع عندئذ - تطبيقا لمطلوب هذه الآية - هو أن توجد مجموعة تنفعل نفوسها بالإيمان بهذه القيم ، ثم تعيد - بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - تصحيح الوضع أو الأوضاع التى انحرفت أو فسدت فى المجتمع ذاته .

والإسلام بهذا يفرض على المسلمين — إذا ما انحط مجتمعهم عن مستوى قيم الرسالة الإسلامية — فرض كفاية ، أن يقوم بالفعل نفر منهم لمحاولة إعادة تصحيح الوضع . ولا يكون تصحيح وضع المجتمع إلا عن طريق امتلاك السلطة وأمر التوجيه فيه ، وليس فحسب عن طريق البيان والتوضيح لمبادئ الرسالة الإسلامية . بل إن السلطة والتمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن تنفيذهما أمر ضرورى فى مفهوم إعادة تصحيح وضع المجتمع على نحو ما تدعو إليه هذه الآية .

ولم يشر القرآن الكريم فى هذه الآية ولا فى آية أخرى إلى طريقة تكوين هذه المجموعة التى يناط بها إعادة تصحيح الوضع فى المجتمع . وأغلب الظن أنه لا يقصد أن تتكون هذه المجموعة عن طريق انتخاب من أفراد المجتمع عندما ينحدر عن المستوى الرفيع لقيم الرسالة الإسلامية . لأن جمهرة الأفراد فى هذا الوضع لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الأحداث ويروا الخطوط العامة لإعادة تصحيح الوضع ولا أولئكم الذين تتبلور فى عقولهم هذه الخطوط ، ويتمكن من قلوبهم الإيمان بالدعوة اليها ، وتحمل المشاق فى سبيل تنفيذها . بل الأمر المقبول هو أن اختيارها من قبل الله سبحانه وتعالى - لا على معنى أنه اصطفاها وأرسلها وربطها بوحى جديد ، وأمرها بتبليغه إلى الناس جميعا ، كما هو الشأن مع الرسل ، وإنما على معنى أن الله وهب هؤلاء الصفاء فى طبيعتهم ، وقذف بنور الإيمان فى قلوبهم ، وبذلك جعلهم يرتفعون فوق أحداث المجتمع وأوضاعه ، ويتابعون هذه الأحداث وهذه الأوضاع إلى أن تتاح لهم الفرصة ليأخذوا أمر الدعوة إلى الخير ويتمكنوا بالفعل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما تطلب هذه الآية . وهم لا محالة بما لهم من إيمان القلب وصفاء الطبيعة سيصلون حتما إلى الغاية ، وهى إعادة تصحيح وضع المجتمع ،

وجعله متساويا مع قيم الرسالة الإسلامية ، وفى ذلك كان إخبار هـذه الآية فى عجزها عن فلاحهم ونجاحهم بصورة مؤكدة فى قول المولى جـــل شأنه : « وأولئك هم المفلحون » .

والدور الذى سيقوم به أصحاب هـذه الدعوة لا يختلف كثيراً عن الدور الذى قام به أصحاب الرسالات من الرسل ـ سواء : فى الدعوة ، أوفى الظروف والأحوال والمراحل التى تمر بها هـذه الدعوة ، وهى ظروف الكفاح وأوضاعه ومراحله وما يصاحبه مرة من أزمات وأخرى من نجاح ، ولا يتخلف ما هو مؤكد ـ رغم اختلاف هذه الظروف والأوضاع والمراحل ـ من أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر لهم وحدهم ، مهما طال أمد هذه الظروف والأوضاع والمراحل ، ومهما شق الأمر وصعب .

ولهذا لاينتظر أن يكون الطريق دائما معبدا ، ولا أن يكون نور التفاؤل دائما ساطعا . بل الأمر جد محتمل أن تكون هناك أزمات ، وأن تكون هذه الأزمات أزمات خوف وإرهاب ، أزمات جوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين» وقد تكون هذه الأزمات تدبير انقلاب أو تآمر من الذين كانوا يملكون زمام السلطة فى المجتمع من قبل ، أو من أولئكم الذين لا يؤمنون بالمثل التى يدعو إليها فى الوضع الجديد ، وقد يصيب أصحاب الدعوة من تآمر هؤلاء أو أولئكم أذى ـ أى أذى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

ومع طروء هذه الأزمات فى طريق الدعوة ، فإن النهاية الحتمية فى هذا الطريق هو نصر أصحاب هذه الدعوة واستقرار الأمر لهم فى المجتمع ، واستقرار الوضع الجديد الذى قاموا من أجل تحقيقه . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

ومن استعراض التاريخ كمصدر توجيهى لأمتنا العربية فى كفاحها من أجل المثل العليا ، ومن أجل استقرار التوازن فى المجتمع البشرى ـ يمكن أن تعبأ القوى الشعبية العددية نحو الإيمان بالاشتراكية العربية ، بما وقع فيه من أحداث من أجل الدعوة إلى المثل ، وما صاحبها من عقبات ، وما كان لها أخيراً من نصر ونجاح ، إذا فهمت هذه الأحداث فهما منسقا مع شأن الأوضاع البشرية التى تصاحب كل دعوة إلى الإيمان بمثل رفيعة .

ب — في الدين :

والإسلام - برسالته وفى رسالته - لم يقصد إطلاقا إلا إعادة الوضع الإنسانى الكريم للمجتمع البشرى ، بعد أن انحرفت فيه هذه الأوضاع باستغلال ، الثراء ، أو استغلال الشرف والجاه ، وبعد وضوح الفجوات بين أفراده ، ليس فى الغنى والفقر فقط ، ولا فى الجهل والمعرفة فحسب ، وإنما فى القدر الإنسانى الذى يتمتع به الأفراد ، ويختلفون فيه اختلافا بينا إذ ذاك .

ثم بعد أن تعود الأوضاع فى المجتمع إلى مستواها الإنسانى الصحيح يدعو الإسلام فوق ذلك إلى الإيمان بحراستها والمحافظة عليها من التدهور مرة أخرى .

فإذا غُلب المجتمع على أمر نفسه فى حين ما ، ودفع عن طريق القهر والاستغلال والاحتكار مرة أخرى إلى الانحدار ، طالب الإسلام بالدعوة من جديد إلى تصحيح الوضع ، ثم إلى حراسته والمحافظة عليه .

وشأن الإسلام - إذن - شأن دائر دائما بين إعادة تصحيح وضع المجتمع وتقليل الفجوات بين الأفراد فى الاستمتاع بالحياة الإنسانية ، وبين المحافظة على هذه الأوضاع بعد تصحيحها عن طريق دفع الإيمان إلى التمسك بها .

وقد ذكرنا أن رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - وهى رسالة الإسلام - قد جاءت لتصحيح الوضع الاجتماعى بإبعاد الاستغلال عن طريق المال أو الشرف والجاه . وهذا يبدو جليا من نظرة الإسلام إلى المال ، ومن نظرته إلى الشرف والجاه .

فالمال الذى بأيدى الناس لا ينظر إليه الإسلام على أنه مال خاص يستمتع به مالكه وحده دون أن يكون لصاحب حاجة إليه نصيب فيه ، وإنما ينظر إليه على أنه معار فى يده ، وأن وضع يده عليه وضع مؤقت ، وأنه وصى عليه يجب أن يحسن أمر الوصية فى توجيهه . والمال أصلا - فى نظر الإسلام - ملك لله ، وحق شائع للجميع ، لأن ما لله هو لخلقه فى الأرض جميعا .

ونظرة الإسلام هذه إلى المال توضحها آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » .

وإذا كان المال أصلا لله ، فلا يحق لمن هو فى يده أن يحبسه عن الآخرين ، فضلا عن أن يستغل به بشريتهم ، ويستعبد به نفوسهم ويربط عن طريقه مصائرهم بأمر نفسه . وفى ذلك يقول الله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى

الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون » . ويقول فى آية أخرى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » . واليتامى ليسوا هم القصر وحدهم ، بل يستوى معهم ويأخذ حكمهم الضعفاء الذين لا يستطيعون مقاومة الاستغلال ، والذين لهم حق فى الحياة لا يستطيعون استرداده أو المحافظة عليه لقوة الغلبة عليهم .

وربما كانت الوظيفة الأولى - فى نظر الإسلام - للمال هى تحرير البشرية : تحرير الرقاب ، أفرادا ومجتمعات . تحرير الرقاب من الأسر المادى ، ومن استرقاق الإنسان للإنسان ، ومن استعباد الإنسان للإنسان استعباداً مباشراً أو غير مباشر . ويدخل فى صور الاستعباد : استعباد الجوع والخوف والجهل والمرض . ربما كانت الوظيفة الأولى للمال هى تمكين أفراد المجتمع من أن يكونوا متساوين فى التمتع بمزايا الطبيعة البشرية . وأخص هذه المزايا : الحرية والكرامة . « لقد خلقنا الإنسان فى كبد ، أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا ، أيحسب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » .

وإذا رأينا أن وظيفة المال الأولى فى الإسلام هى تحرير البشرية من الرق والاستعباد فى أية صورة من صوره ، فربما هدف الإسلام من وراء ذلك أن يبقى الإنسان ذا سيادة بخصائصه ، بحريته وكرامته . لأن جعل الإنسان مسودا للمال عكس لسنة الله فى خلقه . فقد خلقه ذا شأن على ما عداه من مخلوقات أخرى ؛ من بينها ثروة الأرض وما تأتى به من حصيلة المال عند التبادل . فعندما يقول القرآن الكريم مخاطبا الناس : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » — يوقظ فى العقل الإنسانى أن البشرية سيادة فى نفسها ، وأن ما عداها مسود لها .

وكذلك ليس الشرف ، أو الجاه بأمر ذاتى فى نظر الإسلام يضيف إلى الطبيعة الإنسانية فى أى إنسان قيمة يفضل بها طبيعة أخرى فى أى إنسان آخر ، بل كل منهما أمر خارج عن ذاتية الإنسان لا دخل له فى التقويم والاعتبار ، ولا دخل له فى تقدم إنسان على آخر فى الحياة ، ولا فى الحصول دونه على ميزة من الميزات فى المجتمع الذى يعيش فيه مع غيره . والإسلام — عندئذ

يرفع الشرف والجاه من مجال التقويم والتفضيل — أفسح الطريق أمام الناس جميعا من العقبات التي كان يضعها أصحاب الشرف وأصحاب الجاه لمنع غيرهم - ممن لم يواتهم حظ الشرف والجاه من أن يتقدموا الصفوف بكفاياتهم الذاتية ، وهو بذلك أيضا يحقق مايسميه علماء الاجتماع في الوقت الحاضر : « تكافؤ الفرص » .

فليس تكافؤ الفرص إلا منع العوامل غير الذاتية في الأفراد - من شرف أو جاه ، أومال - من أن تكون وسيلة تقديم للبعض ، ووسيلة تعويق وتأخير للبعض الآخر .

فإذا أعاد الإسلام للمال وضعه الطبيعي ، ومنع أن يكون وسيلة للاستغلال والاحتكار ، ورفع الجاه والشرف من أن يكون لكل منهما أثر في التفضيل بين إنسان وإنسان ، وخلص بذلك الطبائع البشرية من صنوف التعويق ، وجعلها جميعا متساوية في إمكان السعي ، وفي التقدم في النشاط الإنساني - فقد أمـّن ، إذن ، كل فرد على مستقبله ، ووجه كل فرد ، كذلك ، نحو الهدف الحقيقي في الحياة ، وذلك الهدف ليس المال ، وليس الجاه ، وليس الشرف ، وإنما هو الإنتاج البشري في صوره العديدة ؛ إنتاج البدن والذهن معا .

والإنسان المسلم — في نظر الإسلام — ليس هو صاحب المال ، وليس هو صاحب الجاه ، وليس هو صاحب الشرف ، وإنما هو المنتج ببشريته وبطاقاته الإنسانية. والمجتمع الإنساني هو مجتمع الإنتاج ، ومجتمع العمل .

والإنتاج والعمل هما القدر المشترك الذي يجمع إذن بين أفراد المجتمع الإسلامي . والإنتاج البشري لا يكون ، حتما ، إلا خدمات بشرية ، والخدمات البشرية يعود نفعها على من قام بها وأداها ، ويعود نفعها ، كذلك ، على من لم يقم بها ولم يؤدها . وإذا كان كل فرد في المجتمع الإسلامي هو منتج إنتاجا بشريا ، فالفرد المسلم لمجموع الأفراد في المجتمع الإسلامي ، ومجموع أفراد المجتمع الإسلامي للفرد المسلم . وهنا كان المجتمع الإسلامي مجتمعا اشتراكيا ، على معنى أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد ، وكانت اشتراكية الإسلام اشتراكية إنسانية ، لأن أساسها الإنتاج البشري ، وليس المال ولا عرض من العوارض التي لا تدخل في تقويم ذاتية الإنسان .

والمجتمع الإسلامي - عندئذ - ليس مجتمع توازن وعدل فحسب ؛ على معنى تساوي الطبائع البشرية في الأفراد أمام الإنتاج البشري في الخدمات ، وإنما هو مجتمع إنساني ؛ على معنى أنه مجتمع يقدر الإنسانية وحدها ويعطي أكثر مما يأخذ لنفسه . وهو بذلك مجتمع توازن وإحسان معاً .

ولم تقف الدعوة الإسلامية عند حد

إعادة تصحيح الأوضاع الاجتماعية فى المجتمع البشرى ، ولا عند حد وضع الأفراد أمام الفطرة الإنسانية دون غيرها فى المجتمع ، بل أمرت بعد ذلك بالحفاظ على هذا الوضع بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذا ما أصيب المجتمع بانحراف أو تطرق إليه الخلل فى توازنه أو فى النظرة التى قوم بها الإسلام الأفراد ـ وهى الانسانية وحدها دون غيرها من مال أو جاه أو شرف : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . » .

ورسالة الاسلام لا تتضمن ، فقط ، مثل هذه المبادىء التى تدعو إلى التوازن الاجتماعى وتحافظ عليه ، وتدعو إلى الايمان بالله كى يكون إنتاج أفراد المجتمع خدمات بشرية ، وأهدافهم تحقيق تلك الخدمات بدلا من تحصيل المال وجعله هدفاً أخيراً ، وإنما تضمنت هذه الرسالة أيضاً ، بجانب ذلك ، بعض المبادىء الرئيسية التى تحول دون أن يصل الفساد إلى المجتمع من الخارج على يد دخيل فيه ، فمنعت أن يكون ولاء أفراد المجتمع لغير المشارك لهم إيمانهم وفى أهداف مجتمعهم . منعت أن يكون ولاء المجتمع لغير وليه الطبيعى ، وهو ذلك الانسان الذى يقوده ليحقق أهدافه التى قام المجتمع على أساس منها . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » . « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » . بمثل ذلك يدعو الاسلام إلى التحذير من أن يتسرب ولاء أفراد المجتمع لأناس آخرين يعيشون وراءه ولغير أهدافه . بمثل هذه الآيات منع الاسلام أن يتلق أفراد المجتمع توجيهات من خارجه تدعو إلى الولاء وإلى الطاعة لغير ولى الأمر ، ولغير ذلك القائد المشارك فى أهداف المجتمع الذى يقوده ليحقق تلك الأهداف فيه .

إذا روجعت رسالة الاسلام ، وفهمت أصولها وأهدافها على هذا النحو ، وأوقظ بها الوعى بين أفراد القوى الشعبية ـ فإن ذلك بلا شك سيؤثر تأثيرا عميقاً فى تقريب مفهوم الإشتراكية العربية من الاشتراكية الاسلامية ، أو يجعلها هى هى ، وسيحول مفهومها إلى إيمان وتطبيق فى حياة الأفراد . وعندئذ يكون هذا الايمان كفيلا بصيانة الوضع الجديد فى مجتمعنا العربى ، وسنداً قوياً دون حاجة إلى القانون التشريعى وحراسته من السلطة التنفيذية وعندئذ أيضاً تكون القوى الشعبية الممثلة فى الأفراد هى التى تدافع عن

التوازن الجديد ، ومن بقاء المجتمع العربى مجتمعاً ذا اشتراكية إنتاجية ، إنتاجها خدمات بشرية تُقوَّم من الناحية الإنسانية قبل أن تُقوَّم بالمال .

ولكن لا تفهم رسالة الاسلام على هذا النحو من الفهم ، ولا يكون لها أثرها فى الإيقاظ وفى تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها ، قبل أن يكون هناك توجيه لأولئك الذين عُرفوا فى أمتنا الحديثة بحَمَلة الرسالة الإسلامية : أعنى بهم طلاب الأزهر وعلماءه . وعلى العكس ، لو لم يتكون لديهم هذا الفهم الصحيح ، وتلك القدرة على إثارة الوعى فى تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها لكان خطر حَملة هذه الرسالة عندئذ على وضعنا الجديد يقرب من خطر المستغلين والرجعيين ، لأن الرجعيين والمستغلين إذ يتخذون من ثروة الشعب وطاقاته فى الانتاج المادى موضوعاً للاستغلال ، فأولئكم يؤثرون على القلوب والنفوس ، وإن لم يكن هذا التأثير السلبى - فى كثير من الأحايين - عن قصد وسوء نية .

والأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة فى تنظيمها الحديث ، ذلك التنظيم الذى يعتبر من الأعمال الثورية المجيدة التى سيكون لها الأثر العميق فى مجتمعنا هنا ، وكذلك فى المجتمعات الإسلامية والعربية فيما وراء جمهوريتنا العربية المتحدة ، والأمل معقود أيضا على الدفع الثورى لجعل هذا التنظيم حقيقة واقعة ، حتى تؤدى هذه الجامعة الناشئة - وصاحبة التاريخ الطويل فى الوقت نفسه - رسالتها فى توجيه الأمة العربية والأمة الإسلامية .

إن هذا التنظيم لجامعة الأزهر الجديدة سيحول دون أن يكون التوجيه الإسلامى حرفة يحترف به صاحبه ، لأنه سيخلق مجالات أخرى للمعرفة ثم للعمل فى الحياة من غير أن يكون التوجيه الإسلامى ذاته وسيلة لكسب العيش . فالكليات الجديدة التى أضيفت إلى الكليات التقليدية - وهى الكليات النظرية للدراسات العربية والإسلامية - فرص أتاحتها الثورة لطلاب الأزهر كى لا تحجبهم الحاجة إلى العيش فى الحياة عن فهم الإسلام أو عن الإخلاص فى أداء رسالته . وبذلك لا تصبح هناك فرقة بين فرد وآخر فى المجتمع ، بين إنسان يقال له رجل دين ، وبين إنسان آخر يقال له رجل دنيا ، بل سيصبح المجتمع كله أفرادا متساوين فى تكافؤ الفرص وفى السير فى الحياة .

وقد كان المجتمع الإسلامى فى أول أمره - أيام قوته - لا يعرف رجل دين ورجل دنيا ، وإنما يعرف أفرادا هم مسلمون فحسب ، وقد كان كذلك لا يعرف صاحب رسالة إسلامية يحترف بالتوجيه الإسلامى ، وإنما الذى كان

يعرفه أن صاحب الحرفة - أية حرفة - فى المجتمع قد يكون صاحب فقه وتبصير للناس، وقد يكون كذلك ذا إمامة فى فقهه وفى أصالة تفكيره الإسلامى .

والتاريخ يذكر لنا أمثال : أبى بكر الذى كان يشتغل بالتجارة حتى ولى الخلافة وأشار عليه كبار الصحابة بالتفرغ لشئون المسلمين ، وأمثال عثمان بن عفان الذى كان تاجرا . وأبو بكر كان له فقه ، وعثمان كان له فقه أيضا .

كما يذكر أمثال : أبى حنيفة النعمان الذى كان يبيع الخز ويجلس فى الأسواق مع اشتغاله بالفقه وشهرته فيه ، وكذلك أبو الحسن أحمد بن محمد القدورى كان يشتغل بصناعة القدور وهو من كبار علماء الفقه . وأيضا أحمد بن عمر الخصاف الذى ألف كتاب الخراج للمهتدى الخليفة العباسى ، وصنف كتبا أخرى عظيمة فى الفقه ، على حين أنه كان يعيش من خصف النعال .

والثورة بهذا التنظيم الجديد - إن أزالت الفرقة فى المجتمع وحققت تكافؤ الفرص بين الأفراد ، وأعادت الصورة القوية التى كانت لعلماء المسلمين لتتمثل فى علماء مجتمعنا المعاصر - فإن لها الحق أن تفخر بما أسدته للإسلام والأمة العربية على مجتمعات أخرى عربية قام بعضها على أساس مذهب إسلامى معين ، وتولى أمراؤها السلطان جيلا بعد جيل لخدمة رسالته . وقد كان ذلك المذهب المعين هو مذهب محمد بن تيمية ، وقد كانت رسالة هذا المذهب هى العودة بالمسلمين إلى مجتمع المسلمين الأول ، وإلى وضع المسلمين وجها لوجه أمام القرآن حتى يكون لهم الفهم الواضح لرسالة الإسلام ، وحتى تكون لهم قوة الوحدة ، وحدة الفكر ، ووحدة التوجيه .

وبذلك تزول الطائفية البغيضة وتزول الفرقة المضعفة والمفسدة معا من الأمة المسلمة . ومع هذه المبادىء فقد كان مسلك هذه المجتمعات التى قامت على أساس منها مخالفا لها : كان العمل على التفريق وإضعاف الوحدة . مع الاحتفاظ بالفجوة الواسعة بين أفراد المجتمع فيها ، ومع العمل على ازدواج التعليم بين دينى ومدنى ، وخلقه إلى طوائف يقابل بعضها بعضا ، بدلا من السعى نحو توحيد الصفوف ، وتأييد دعاة الوحدة ، وبدلا من وحدة التوجيه ، وبدلا من السعى نحو إزالة الفجوات ، وتقريب أفراد المجتمع بما يعيد إليهم وضع المجتمع الإسلامى الأول ، وقد رأيناه اشتراكية إنسانيـــة ، ولم نره مجتمع شرف وجاه ، أو مجتمع مال وثروة .

ح - فى الفكر :

وأقصد بالفكر طريقه ومنهجه . فلكى

يكون الفكر مصدرا توجيهيا فى تعبئة القوى الشعبية العددية ، وتحويل مفهوم الاشتراكية لديها إلى إيمان بها — يجب أن يكون منهجه هو منهج تثبيت القيم الأخرى ؛ تثبيت القيم الإسلامية والقيم التاريخية ، لا التشكيك فيها ، ولا محاولة هدمها وردها .

للمفكرين أن يقرأوا مايشاءون من الغرب ومن الشرق ، ولكن عليهم فى أسلوب تفكيرهم أن يراعوا الانسجام مع القوى الشعبية النوعية الأخرى . وإن ترديد المفكرين لبعض اتجاهات هنا وبعض اتجاهات هناك فى مجتمعنا الثورى الجديد الذى لم يزل بعد فى مرحلته الأولى من ثورته الاجتماعية ، لما يثير الاضطراب ويثير التفكك والفرقة بين أفراد المجتمع ، فضلا عن أن يثير التشكيك فى إخلاص الثورة لتاريخها ولقيم المجتمع التى هى أصيلة فيه والتى قام المجتمع لصونها والدفاع عنها ، والتى كافح فى سبيلها وانهزم وانتصر .

د — فى التعبير :

وهنا يأتى دور التعبير . وأقصد بالتعبير ؛ التعبير بالقول ، أو التعبير بالتطبيق فى الحياة ، فكما يجب أن يكون منهج الفكر منهجا متوازيا مع قيم المجتمع الأصلية التى تمثل بعض القوى الشعبية النوعية فيه ، كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير بالقول ، أو السلوك العملى فى الحياة منسجما كذلك مع تلك القيم — لا ينبغى بحال أن تكون وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة والتلفزيون ، ولا وسائل الفن كالسينما والمسرح ، ولا وسائل نشر الكتاب ، ولا وسائل الدعوة كمنابر المساجد — متناقضة ومتنافرة بين بعضها بعضا ، ولا مختلفة مع اتجاهات القوى الشعبية النوعية الأخرى فى المجتمع . فكم يثير خبر أو رأى لا ينسجم مع قيمة من القيم الأصلية فى المجتمع فى صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية — الشك فى نفوس العامة ، وخصوصا فى نفوس أولئكم الذين لا يعرفون فى حياتهم من ألوان المعرفة إلا ما يتصل بالدين ، ولا يعرفون من أهداف فى حياتهم إلا رضاء الله .

كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير متفقا مع الخطوات التى يسير بها المجتمع فى عهده الجديد حذوا بحذو . يجب أن لا ينقص من أدائها كما يجب أن لا يبالغ فى تصويرها ؛ فالأزمات هى الأزمات ، والرخاء هو الرخاء . والقرآن الكريم عندما قال للمؤمنين : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » ، وعند ماقال : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ،

وعندما قال : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ... عندما قال ذلك وأمثاله ، أراد فى واقع الأمر أن يعبىء قواهم النفسية حتى يكونوا على استعداد لاجتياز الأزمات فى غير يأس إذا ماواجهوها وجها لوجه . ولم يرد بحال إطلاقا أن يرهبهم أو يخيفهم أو يفت فى عضدهم عندما أكد هنا أن الأزمة ستقع حتما بهم ، ليس فى أموالهم وفى ثمراتهم فحسب ، وإنما فى نفوسهم بالاعتداء عليها مرة ، أو بإرهابها مرة أخرى ، أو بالنيل من قيمتها بالتعريض مرة ثالثة .

وقد كان للصدق فى التعبير ، ومطابقته لواقع الأحداث دخل كبير فى تثبيتهم على الإيمان ، ثم فى نصرهم أخيرا . ولكن النصر دائما كان مرهونا بأمرين عندما تقع هذه الأزمات : بالصبر والتحمل ، ثم بالتقوى . وليست التقوى إلا الاستمساك بالخط الذى رسمه الإسلام لمجتمعه ، « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون » .

— ٣ —

تعبئة القوى الشعبية :

والسؤال الأخير الذى يتردد الآن هو : كيف نعبىء القوى الشعبية نحو الاشتراكية، وكيف ننظم هذه التعبئة ؟ .

أنجعل هناك فى المجتمع وحدات قيادية فى جميع قطاعاته وجوانب العمل فيه ، بحيث تكون هذه الوحدات ممثلة تمثيلا واضحا للقوى النوعية التى من شأنها أن تحيل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها ؟ أم نترك لأفراد القوى العددية فى القطاعات المختلفة أن تنتخب من بينها ممثلين هم القادة لها فى التوجيه ؛ ومن هؤلاء الممثلين يكون إطار القيادة فى المؤتمر الشعبى أولا ، ثم فى الاتحاد القومى ثانيا ؟ .

لكن كيف ينتخب أفراد القوى الشعبية العددية ممثلين لهم فى القيادة على هذا النحو ؟ أيكون مصدر هذا الانتخاب ما فى نفوسهم من إحساسات نحو أشخاص الأفراد الذين سينتخبون أو الذين يرشحون أنفسهم ؟ فى رأيى . تختار كل محافظة عدداً من أبنائها ممن يُتوسَّم فيهم أن يكونوا قادة فى كل قطاع من القطاعات المختلفة ، ممن هم مؤمنون أو قريبون من الإيمان الحقيقى بالاشتراكية، على نحو ما يبدو فى تصرفاتهم وسلوكهم .

ومن هؤلاء الأفراد تتكون القيادة الشعبية للقوى الشعبية ، ودورها بعدئذ ليس التفرغ للتوجيه ، وإنما التوجيه بالعمل نفسه وبجانب العمل ؛ عملها فى المصنع ، أو فى المزرعة ، أو فى مكتب الوظيفة ، أو فى العيادة ، يكون معبرا عن الاشتراكية ، وبجانب هذا العمل المعبِّر ، يكون لها دور آخر فى التنوير والإقناع بالاشتراكية .

عندئذ تأخذ الدعوة مجراها الطبيعى ، ليس فيها تصنع ولا افتعال . وعندئذ يتشكل نظام القيادة فى الدعوة دون مشكل أو منظم خارج عن نطاقها .

إن دعوة جمال عبد الناصر للثورة ... من الذى شكلها وأقامها ؟ من الذى اختارها ووجّهها ؟ .

إنها عملية سارت فى مجراها الطبيعى ... وجد الإيمان بها ، ثم وجد الانفعال بهذا الإيمان ، ثم انطلقت إلى الحركة بعد هذا الانفعال . خطوات ثلاث يلازم بعضها بعضا ويتعاقب بعضها على أثر بعض . وكل ما فى الأمر أن جمال عبد الناصر هو وصحبه تأثروا بأحداث المجتمع الماضى الفاسد ، واستطاعوا أن يرتفعوا بإيمانهم بالإصلاح فوق مستوى الأحداث — دون أن يبقوا سائرين فى اتجاهها ، ومندفعين بآثارها — ليرقبوا سير الأحداث نفسها ، ثم ليخططوا الطريق إلى الوقوف فى وجهها ، وتحويل الأمر فى المجتمع إلى وجهة أخرى هى وجهة الإصلاح ، أو إعادة التوازن الاجتماعى ، أو تحقيق الاشتراكية العربية .

القادة دائما هم المنتخبون انتخابا طبيعيا فى جو يدفع إلى التكوين ، يتأثر به البعض ولا يتأثر به البعض الآخر ، وعملية التنظيم لا انتخاب القادة انتخابا طبيعيا هى تهيئة الجو النفسى والفكرى . وفى فترة التهيئة والإعداد لهذا الجو يبرز القادة واحداً أثر واحد ، أو مجموعة بعد مجموعة ، وعندئذ يتم تشكيل القوى القيادية للقوى الشعبية العددية .

والعمل الذى يجب أن يعمل الآن هو إعداد هذا الجو النفسى والفكرى بالأخذ فى توجيه القوى الشعبية النوعية نحو الاشتراكية العربية .

إننى لا أومن بما يسميه الغرب ديمقراطية ولا بمنهج الغرب فى تمثيل الشعوب لنفسها فى إطارات تدير معركة التوجيه وبالأخص معركة السياسة فى الشعب والأمة ، لأن طريقة الانتخاب والاختيار لا تتجرد إطلاقا من العوامل الأجنبية المؤثرة فيها . وأقصد بالعوامل الأجنبية ، العوامل الغريبة عن الهدف الحقيقى الذى يجب أن يسعى إليه أفراد المجتمع وهو التوازن وتكافؤ الفرص . فرأس المال ، وجاه السلطة ، وجاه

الأرستقراطية ، والاقطاع ، هى عوامل أجنبية ، وتلعب جميعها الدور الأول فى التمثيل البرلمانى الذى يصوره الغرب بأنه النظام الديمقراطى الحر الصحيح . مع أن حفنة قليلة - بالقياس إلى مجموع الشعب - هى التى توجه الاختيار ، وهى التى تتحكم فى مصيره ، وهى التى تجعله مرة يميل إلى اليسار ومرة أخرى يميل إلى اليمين .

والشعوب الأوربية فى اعتقادى لا تعيش حرة ، ولا تتمتع بحرية سياسية مجردة عن عوامل التأثير الخارجى ، ومن ثم فهى تدور فى إطار التبعية دائما . والمتبوع هم أصحاب النفوذ وليسوا أصحاب القيم الإنسانية . ولذا كان إنتاج هذه الشعوب إنتاجا ماديا يخلو من الخدمة الإنسانية . ولذا كانت مجتمعات هذه الشعوب بعيدة عن أن تتصف بأنها مجتمعات إنسانية . وآية ذلك : الاحتكاك والاصطدام ، والحروب الباردة والساخنة . وهذه مظاهر تدل على أن المعانى الانسانية فى العلاقات فى المجتمعات ليس لها إلا نصيب قليل بجانب سيادة المال فى أية صورة من صوره .

لا أستطيع أن أنعت هذه المجتمعات بأنها مجتمعات يسود فيها الإنسان لذات الإنسانية ، وإنما هى مجتمعات يتفوق فيها الإنسان لأنه صاحب آلة ، أو صاحب مال ، أو صاحب جاه ، أو صاحب نفوذ .

وإن كان هناك حرية فى هذه الشعوب فهى الحرية الفردية التى تتمثل فى الأنانية وفى « الوجودية » . والحرية الفردية التى تتمثل فى محاولة التحرر من قيود المجتمع التى تربط بين أفراده ، والتى ترتبط بمعنى الانطلاق ارتباطا وثيقا .

إن الحضارة الإنسانية هى نتاج القيود فى المجتمع . هى نتاج العلاقات الإنسانية . هى نتاج الاخوة والتعاون والسلام والطمأنينة ... إن الحضارة الانسانية لم تكن فى حقيقتها وجوهرها حضارة مادية وإنما هى قيم إنسانية ومثل عليا فى الحياة ، وقلما توصل الفردية والأنانية إلى الإسهام فى حضارة الانسانية .

الدكتور محمد البهى

في إطار الاشتراكية الإسلامية

للأستاذ محمد محمد المدني

١ — الرأى مشترك :

لما حج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور التقى بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه ، فقال له : يا مالك ، لقد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي ألفتها فتنسخ ، ثم أبعث في كل عاصمة من عواصم المسلمين بنسخة منها ، وآمر الناس أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره .

فقال مالك : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، فدع الناس وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم » .

هذا ما رواه التاريخ في ذلك الشأن الإسلامى الخطير .

والذى يهمنا الآن هو أن ننظر في موقف الإمام مالك رضى الله عنه من هذا العرض الذى عرضه عليه أمير المؤمنين .

إن مالكا لم تستهوه هذه الفكرة وإن كان فيها كل التأييد لمذهبه ، ولم ينتهز الفرصة لقبول هذا الاقتراح ممن يملك تنفيذه وحمل الناس عليه بما له من قوة السلطان والحكم ، فلقد كان أجل من أن يؤخذ ببريق هذا العرض ، وهو يعلم أن العلم لا يمكن أن يكون إقطاعا يقطعه الحاكم من يشاء ، ولا يمكن أن يكون منطقة نفوذ يتمتع بها واحد من الناس يتقبلون قوله إذا قال ، ويرون رأيه إذا رأى .

إن الاسلام لا يعرف هذا اللون من ألوان الاحتكار العلمى أو التوجيهى الذى رفضه مالك ورفض معه نفوذا عظيما في عواصم المسلمين وأقطارهم ، ورفض معه تأييدا من صاحب السلطان وقوة يقوى بها مذهبه ورأيه ، وينتشر بها علمه .

وقد علل الإمام مالك رضى الله عنه رفضه لهذا العرض بما يدل على عمق إدراكه لاشتراكية العلم ، وشدة إخلاصه لمبدأ الحرية في أساليب البحث والمعرفة ، ولوجوب بقاء الغذاء الفكرى مأدبة عامة للناس جميعا ، يأخذ كل عقل منها بنصيب :

فإن الناس في كل زمان ومكان لهم آراؤهم وأسانيدهم ووجهات نظرهم وأساليب حياتهم،

وقد خلق الله العقول وجعل لها مجالا بالنظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع، فإذا جاء أحد من الناس ليفرض عليهم أفهاما بذاتها لا تقبل الجدال ولا المناقشة، فقد حجر على العقول وحكم عليها بالشلل والجمود.

وينبغى أن يعلم الناس أن هذه النظرة العميقة لاشتراكية العلم والمعرفة لم ينفرد بها الإمام مالك، وإنما ذكرنا واقعته مع أمير المؤمنين المنصور على سبيل التمثيل.

فهذا أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: لاينبغى لمن لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى.

وكان إذا أفتى يقول: هذا رأى النعمان ابن ثابت - يريد نفسه لأنه هذا هو اسمه - ويقول: هذا هو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب.

هذا كلام أبى حنيفة، وهو يمثل فهما صحيحا للاشتراكية فى العلم، فهو لا يعتبر نفسه ذا حق فى التفكير ينفرد به ويمتاز عن غيره، وبلغتنا الحاضرة لا يزعم لونا من ألوان الارستقراطية العلمية، التى تجعله يفرض رأيه العلمى فرضا، ويمليه إملاء.

ومثل هذا يروى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه، فقد قال يوما لصاحبه ابراهيم المزنى: يا إبراهيم لا تقلدنى فى كل ما أقول، وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين.

وقال أحمد بن حنبل ذات يوم لرجل من أصحابه: لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الأوزعى ولا فلانا ولا فلانا وخذ الأحكام من حيث أخذوا، من الكتاب والسنة!

هكذا كانت ديمقراطيتهم العلمية إذا جاز لنا أن نعبر بهذا التعبير، فلم يكن لدى أحد منهم روح الاستئثار والأنانية.

ولذلك كثر أصحاب الرأى والمجتهدون كثرة عظيمة فى عهدهم، حتى عد الأئمة المجتهدون فكانوا أكثر يومئذ من ثلاثمائة إمام، كل له رأيه، وله تلاميذه، بل كان التلاميذ فى كثير من الأحيان يستقلون بآراء لا يشاركون فيها أئمتهم وبذلك اتسع نطاق التفكير والنظر حتى أصبح للمسلمين ثروة فقهية قانونية فى مختلف شئون الحياة تعد من أعظم ثرواتهم ومفاخرهم.

ولكن خلف من بعدهم خلف، لم يدركوا ما أدركه سلفهم، وحاولوا أن يضعوا على الاجتهاد والنظر والتفكير الحر حراساً وحجابا، ووصل الأمر إلى أن ألزموا الناس بالتقليد وحرموا عليهم الاجتهاد، بل حرموا على من قلد مذهبا أن ينتقل منه إلى غيره، وبذلك صرنا إلى لون من ألوان الإقطاع والاحتكار، وجمدت العقول وركدت الأفهام، وابتعد الفقه الإسلامى عن مجالات النظر والتفكير الحديث خوفا من الزلل، وخوفا عليه من اقتحام حماه بدون

علم ، وما دروا أن قانون الحياة منذ عرف الناس الحياة هو أن نصيب ونخطىء ، فلا يوجد مذهب من المذاهب يحتكر الصواب فلا يخطىء أبدا ، ولا يوجد مذهب من المذاهب يتردى دائما فى هوة الخطأ فلا يصيب أبداً، ولذلك يقول الإمام مالك : كل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقوله حق كله.

والقرآن الكريم يقول . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، فكم من آراء قيلت ، وكم من أحكام قررت ، ولكن لا يبقى ولا يثبت إلا الحق الذى ترضاه العقول وتأنس إليه النفوس .

إن هذا الروح هو سياج الحرية الفكرية ، والاشتراكية العلمية ، وقد صدر عن هؤلاء الأئمة الأعلام أخذاً له من كتاب الله تعالى الذى يأمر بالنظر والتدبر وينهى عن التقليد واتباع الآباء بغير علم ، ولا يرضى بأن يقول الناس « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ويقول لهم « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم » فيدعو إلى الاشتراكية العلمية ، والحرية الفكرية كل فرد فى الجيل ، وكل جيل فى العالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

٢ — الاشتراكية والإحسان :

من المبادىء الأساسية فى شريعة الإسلام ، مبدأ التضامن الاجتماعى العام ، فالفرد ليس مسئولا عن نفسه فقط ، وإنما هو مسئول أيضا من أفراد المجتمع .

وقد حرص القرآن الكريم على أن يثبت هذا المبدأ فوضعه فى إطار واحد مع عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، حيث يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم » .

فالله جل جلاله ، يأمر عباده أن يقيموا مجتمعهم على أساسين :

الأول : عبادته وحده لا شريك له فى التوجه والدعاء .

والثانى : أن يكونوا متضامنين متكافلين ، وقد أجملت هذه الآية الكريمة ما أمرت به فى شأن هذا التضامن والتراحم فى كلمة جامعة شاملة هى كلمة « الإحسان » .

والإحسان مرتبة فوق العدل ، فإذا تعاملت مع الناس فأخذت منهم حقك ، وأعطيتهم حقوقهم ، فقد جريت على سنة العدل ، والمبادلة بالحق .

ولكن إذا تجاوزت هذه المنزلة إلى ما هو فوقها من الرفق والإيثار ، فقدمت لله ولاخوانك فى المجتمع بعض حقك راضيا

لتنفع به من هو فى حاجة إليه ، أو تقبلت منهم أقل من حقك لهذا الغرض الشريف ، فأنت تجرى على سنة « الإحسان » .

وليس الإحسان هو تلك الصورة التى تطور إليها معنى اللفظ فى المجتمعات التى سيطر عليها الإقطاع فى جانب ، والفقر والذلة فى جانب آخر ، وهى أن تعطى الفقير المحتاج شيئا فحسب ، وإنما هو أوسع دائرة من ذلك ، فهو يشمل كل نوع من أنواع المعاملة فيه سمو ، وفيه بر ، وفيه تطبيق لمبادىء الفضيلة ولروح الاشتراكية القائمة على التضامن والتعاون ...

إن الإحسان هو أمر الله فى كل شىء ، هو مظهر جماله الأقدس ، وكماله الأعلى ، وقد رسم به للناس سبل المثل العليا فى كل جانب من جوانب الحياة ، ليقربهم من رحمته وفضله ، ويربيهم على مثل خلقه .

تسمى الله جل علاه باسم « المحسن » ، ووصف نفسه بأنه « أحسن كل شىء خلقه » وكان من مظاهر إحسانه بعد الخلق والتفضل بالنعم التى لا تحصى : أنه كتب على نفسه الرحمة ، وتحبب إلى عباده ، وتسمى باسم « الودود » ، وبدالهم بمظهر جماله الذى يملك القلوب ويأخذ بالألباب : إذ يعاملهم معاملة كلها كرم وإحسان ، فهو قريب من عبده ، لا واسطة بينه وبينه : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ، (ولو جئته بقراب الأرض معصية لجاءك بقرابها مغفرة ولا يبالى) ، والسيئة عنده بواحدة ، وقد يتجاوز عنها بفضله وإحسانه ، والحسنة عنده بعشر أمثالها ، وقد يزيد فى مضاعفتها .

هذا الرب المحسن يريد من عباده أن يتخلقوا بخلقه وأن يحسنوا كما أحسن إليهم ، فهو حين يأمر عباده بالخير لايكتفى منهم أن يؤدوه على أية صورة ولو كانت صورة جافية منافية للذوق والجمال ، ولكنه يطلب منهم أن تكون أفعالهم قريبة بقدر الاستطاعة من الصورة المثلى التى تجعلها محببة إلى القلوب مرضية عند ذوى الأذواق .

فالصدقة خير ، لأنها سد لحاجة الفقير وتخفيف لآلام الإنسانية ولكن الله لا يكتفى منك أن تفعلها ، وإنما يطلب صورتها المثلى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، « ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خير ، لأنه مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعى والمسئولية المشتركة ، والتعاون على البر والتقوى ، ولكن الله يطلب صورته المثلى التى يتحقق بها جماله ، وتظهر فيها روعته ، وتنال بها ثمرته ، وذلك

أن يكون فى رفق وتلطف وحسن أداء « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ودفع الشر والسوء خير ، وله أيضا صورته المثلى « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

وهكذا يرسم الله لعباده الصور التى يؤدى بها الخير كما يبين لهم أصل الخير .

ومن هنا كان الإحسان عاما فى كل شىء : فى العلم إحسان ، وفى الفن إحسان ، وفى الصناعة إحسان ، وفى القول إحسان ، وفى معاملة الناس إحسان ، وفى مراعاة حق الفقير والمسكين إحسان ، وفى القيام بالمناصب وأداء حقوقها إحسان ، ومصداق هـذا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » ، وفى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب سائله عن الإحسان بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » وليس الكلام خاصا بالعبادة الروحية من الصلاة والصوم فحسب ، وإنما هو شامل لكل فعل يفعله الإنسان مريدا به وجه الله ، وإصلاح شأن من شئون نفسه أو شئون الناس ، فإن ذلك كله عبادة ، وإذا استشعر الإنسان فى كل ما يعمله أنه تحت مراقبة ربه ، وأنه إن لم يكن يراه بعينه ، فإن الله مطلع عليه - إذا استشعر الإنسان ذلك ، أتقن عمله ، وأحسن فيه وجوده ، كما يحسن العامل أمام صاحب العمل الخبير به ، العارف بدخائله ودقائقه « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .

ولقد أجملت الآية الكريمة انواع التعامل المثالى بين أفراد المجتمع فى هذا اللفظ الجامع الشامل لفظ « الإحسان » .

أما الذين أوصت بهم ، وبأن يوصل إليهم هذا الإحسان ، فهم أفراد المجتمع جميعا ، ولقد استقصتهم الآية استقصاء وعنيت بأن تعدهم عدا :

الوالدان ، أولو القربى ، اليتامى ، المساكين الجار ذو القربى ، وهو الذى بينك وبينه صلة الجوار وصلة القرابة ، الجار الجنب ، وهو الذى ليس بينك وبينه إلا صلة الجوار ، والصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر أو الجليس فى الحضر ، أو الزوجة ، وابن السبيل ، وهو المسافر أو الضعيف ، وما ملكت أيمانكم ، وهو شامل لكل من ملكت زمامه من خادم أو تابع أو مرءوس .

وبهذا يتبين أن « الإحسان » شامل من حيث معناه لجميع صور التعامل المثالى ومن حيث الذين يوجه إليهم : جميع أفراد المجتمع .

فهذه هى اشتراكية الإحسان .

محمد محمد المدنى

من معانى القرآن :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون » .

تقول استجاب لى فلان إذ دعوته بمعنى أنه أطاعك وساعدك .

واستجاب الله لى بمعنى قبل دعائى وحقق رجائى

والاستجابة لله معناها طاعته وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستجابة للرسول استجابة لله لأنه مبلغ عنه .

وتقول حال النهر بيننا بمعنى حجز بعضنا عن بعض ومنع اتصال بعضنا ببعض .

والمراد من قوله تعالى والله يحول بين المرء وقلبه ، أنه — وهو أعلم بمراده — أقرب إلى الانسان من قلبه الذى يعيش به وتقوم عليه حياته ، فهو مطلع عليه عليم به لا يغيب عنه منه ما يغيب عن صاحبه ، ومعناه كذلك أنه سبحانه يحول بين الإنسان وبين ما يتمناه قلبه من طول العمر ، والاستمتاع بما يهفو إليه من مختلف أنواع الاستمتاع ، وذلك بأن يقضى عليه بالموت فجأة قبل أن يصل إلى ما يريد ، فتضيع منه فرصة الحياة ، دون أن يستغلها فى عمل ينفعه فى الدنيا والآخرة .

والحشر جمع الناس وسوقهم إلى حيث يحاسبون فيثابون أو يعاقبون ، وسيكون ذلك يوم القيامة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) .

فالله جل شأنه يأمر المؤمنين من عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله فيما يدعوهم إليه ، فإنه يدعوهم إلى ما ينفعهم ويرفعهم ويمتعهم بالحياة الطيبة ، ودعوته دعوة إلى الحياة بكل ما تسعه كلمة الحياة من عزة وكرامة وخير وبر ، مصداق قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

والله من وراء كل إنسان محيط ، يعلم إخلاصه فى العمل ورياءه فيه ، بل إنه — سبحانه — أقرب إليه من قلبه الذى يخفق فى جنبه ، وهو يستطيع أن يحول بينه وبين ما يتمناه ، وينزع منه الحياة ، فيموت فجأة ، وبذلك ينطفىء سراج الأمل . وتفوت فرصة العمل . فليعلم المؤمنون ذلك على أنه حق لا سبيل إلى الشك فيه ، وليعلموا مع ذلك أنهم إليه لا إلى غيره سيجمعون ويساقون للحساب وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فإنهم إذا علموا ذلك بادروا إلى قلوبهم فأصلحوها وإلى أعمالهم فصححوها وإلى دعوة الله ورسوله فاستجابوا لها ، فإنها دعوة إلى أسباب الحياة ، (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) .

عبد الرحيم فودة

تعالوا نجاهدهما معاً

للأستاذ محمود الشرقاوي

١

قرأت مقالا نشرته جريدة « يونيفرس » الكاثوليكية الإنجليزية ، وهى صحيفة تنطق باسم الكرسى البابوى فى روما .

وفى هذا المقال تعترف الصحيفة بقوة العقيدة الإسلامية وبقائها فتقول : « ليس ثمة أى أثر يوحى بانحلال الإسلام وتفككه، كما تنبأ البعض فى أوائل القرن الحالى ، بل لقد توافرت البوادر على نشأة حياة جديدة فيه ووعى بالغ ، وتزايد الجنوح إلى النظر بعين الاعتبار إلى آراء الآخرين » .

ثم قالت الصحيفة إن هذا الوضع قد « استرعى أنظار الكاثوليك فى أوربا إلى قوة الإسلام ووجوب إنشاء كتلة مشتركة فى سبيل الله لمواجهة العدو الإلحادى المشترك ألدّ الخصوم للإسلام والمسيحية على السواء » .

ثم تقول الصحيفة فى مقالها الذى تعبر فيه عن رأى الفاتيكان : « إن الوقت الذى تتمكن فيه المسيحية والإسلام من التلاقى قد حان » .

* * *

ونحن نريد أن نصدق هذه الدعوة لالتقاء المسيحية والإسلام ، أو على وجه الدقة التقاء الأهداف والمصالح الدينية والخلقية كلها فى العالم للوقوف صفا واحدا أمام عدوهم المشترك المدمر .

هذه الدعوة نقبلها ، نحن المسلمين ، ونلتقى معها - بل نرحب بها - على شرط أن نقف صفا واحدا أمام الأعداء المشتركين جميعا ، لا أمام عدو مشترك واحد . ومن الأعداء المشتركين المخاصمين ، بل الهادمين المعاندين ، للإسلام والمسيحية على السواء : « الصهيونية » . فيجب أن نضعها حيث وضعت نفسها من خصومتنا - كلينا - وأن نتخذ منها عدواً مشتركا نقف صفا واحداً لقتاله وحربه .

ويزور الجمهورية العربية المتحدة الآن - وأنا أكتب هذا المقال - مؤرخ مسيحى عالمى ، هو الأستاذ « توينبى » . ولا بد أن أصحاب دعوة التقارب هذه يعرفون رأيه فى الصهيونية ، وأنه يراها - بحق - قد أوقعت بعرب فلسطين شراً عظيما لا يعرف التاريخ كله مثيلا له ، وأنها خارجة على كل خلق وكل شريعة وكل ضمير . محاربة لتلك المثل الخيرة الكريمة التى تدعو لها وتحرص عليها ديانته المسيحية .

ليذكر أصحاب دعوة التقارب هذه رأى المؤرخ المظيم - وهو مسيحى انجليزى ، وليس مسلما ولا عربيا - ليذكر القوم رأيه هذا وليضعوا هذه الصهيونية الشريرة المدمرة الخصيمة للأديان جميعا ، والخصيمة للخالق والحق والخير جميعا ، ضمن هؤلاء الأعداء المشتركين الذين نقف صفاً واحداً أمامهم .

وهذه الصهيونية الشريرة عند ما أوقعت ما أنكره ضمير العالم كله من الظلم على عرب فلسطين ، لم تفرق بين المسلمين منهم والمسيحيين بل شمل ظلمها هؤلاء وهؤلاء جميعا .

٢

وهذه شهادة أخرى من عربى مسيحى يقيم فى أمريكا - هو الأستاذ . ج . س . حداد يضج بالشكوى من تسخير المعابد المسيحية فى تلك البلاد لخدمة العدوان الصهيونى .

فقد سمع هذا العربى المسيحى متحدثا فى الراديو يخاطب الملايين من مواطنيه الأمريكيين بدعوى إسرائيل أنها تعيش فى رقعة ضيقة من الأرض، وأن الله وهبها أرضا فسيحة غنية تمتد من الفرات إلى النيل . وأن الله اختار هذه الأرض لإسرائيل لأنها تقع فى وسط العالم . وبذلك يكون شعبها مميزا على جميع الشعوب ، وتكون دولتهم نقطة انطلاق لجميع المدنيات . . . !

ثم يقول المتحدث المذيع على الراديو والتلفزيون إن البلاد المجاورة لإسرائيل - يعنى البلاد العربية - تحتوى ثروات ضخمة من البترول . وهذا البترول هو : « وفقا لكلمة الله » ملك لإسرائيل ، وقد شاء الله أن تبقى هذه الثروة فى بطن الأرض حتى اليوم تحت إشراف شعوب عربية لم تفد منها لتكون هذه الثروة وديعة فى يدهم يسلمونها لإسرائيل . . !

وكان الذى يقول هذا الهراء ويلقيه فى سمع الأمريكيين جميعا قسا مسيحيا أمريكيا !

ويقول هذا المسيحى العربى إن الدعاية الصهيونية فى أمريكا : « تشوه دينهم ، وتجعل منهم مطية يستغلها الصهيونيون لغايتهم الخاصة . ومن المؤسف حقا أن استغلال الدين المسيحى هو الآن أقوى الوسائل التى يستخدمها الصهيونيون للتأثير على الشعب الأمريكى » .

ونحن هنا أمام حقيقتين يقررهما هذا المسيحى العربى المخلص : أولاهما أن بعض رجال الدين المسيحى فى أمريكا ، يجعلون من أنفسهم ودينهم مطايا لأغراض الصهيونية.

ونحن نعرف ، ورجال الدين المسيحيون هؤلاء أيضا يعرفون ماهى أغراض الصهيونية بالنسبة للعالم العربى . وأنها ليست سوى محو هذا العالم أو السيطرة عليه .

والحقيقة الثانية أن هذه الدعاية الصهيونية التى يشترك فيها قسس أمريكيون ، بل

يسخرون أنفسهم لها . هذه الدعاية ـ كما يقول المسيحى العربى ـ : « تشوه دينهم » : دين المسيح . فكيف يرضى العالم المسيحى أن يضع بعض رجال دينه أنفسهم هذا الوضع الذى يظلمون به الإسلام والعرب أفحش الظلم ، ويشوهون به دينهم أقبح التشويه ؟ . : دين الرحمة والمحبة والسلام .

٣

ونحن نعلم أن الكثرة الكاثرة من الأمريكيين تتبع الكنائس الإنجيلية (١) ولكننا نعلم أيضا أن هناك أقلية كبيرة تتبع الكنيسة الكاثوليكية ، تبلغ خمسة وثلاثين مليونا . وهذه الكنائس تسيطر عليها وتوجهها كنيسة الفاتيكان . وتدين تلك بالولاء والقداسة للبابا الذى يرأسها . وهى الكنيسة التى ذكرنا أول هذا المقال أنها تريد أن يقوم تقارب بين العالمين الإسلامى والمسيحى لمواجهة الخطر المشترك الذى يتهددهما . أليس مما يسهل قيام هذا التقارب ، أو هو إحدى وسائله ، أن تعمل كنيسة روما ، وأن يعمل قداسة البابا الذى يرأسها على أن يرفع عن أتباع الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا هذا التيار الجارف الظالم الشرير من الدعاية الصهيونية التى لا يسلطها عليهم الصهيونيون وحدهم ، بل يشاركهم فيها من يشارك من رجال الكنيسة التى تنتسب للسيد المسيح ؟

لا ننكر أن الكرسى البابوى فى الفاتيكان وقف موقف العداء من الصهيونية . ولكننا نريد مجاهرة بهذا العداء ، وإصراراً عليه ، وإلحاحاً فيه ، بحيث تكون هذه المجاهرة وهذا الإصرار والإلحاح كفواً لذلك الشر الصهيونى الآثم الذى يلقى فى مسامع المسيحيين الأمريكيين من بعض رجال الكنيسة ، أو من كثير منهم . ولا شك فى أن موقفا كهذا تقفه كنيسة الفاتيكان وحبرها الأعظم كفيل بأن يرد عن الكاثوليك الأمريكيين سطوة هذه الدعاية الصهيونية التى توجه لهم من قسس مسيحيين ، وكفيلة بأن تضعف أثرها فى نفوس أتباع الكنائس الإنجيلية أيضا . وهى ، فى نفس الوقت ، تجعل الدعوة لهذا التقارب الإسلامى المسيحى دعوة ذات موضوع ، أو يمكن أن ينظر لها الناس نظرة الجد .

٤

وليس الأمر فى هذه الدعاية التى يقوم بها رجال من أهل الكنيسة فى أمريكا أمر أفراد قلائل غرر بهم الصهيونيون وخدعوهم . بل الأمر أكبر من ذلك وأخطر ،

(١) أتباع هذه الكنائس فى أمريكا نحو مائة وثلاثين مليونا .

بشهادة المسيحى العربى نفسه ، الذى يقول : « ... وفى الوقت نفسه نجد الكنائس المسيحية قد زادت نشاطها زيادة محسوسة فى السنوات الأخيرة للقيام بأعمالها «التبشيرية» خارج الولايات المتحدة ، خصوصا فى البلاد العربية وإفريقيا ، بينما واجبها الأول هو تركيز أعمالها التبشيرية بين الأمريكيين لمجابهة الصهيونية المغرضة » .

وكذلك يقول المسيحى العربى : « ويلجأ الصهيونيون إلى وسائل مختلفة لترويج دعايتهم بين مسيحى أمريكا . فهم يشجعون عدداً من القسس الذين يقدمون برامج من محطات الإذاعة والتلفزيون بسد نفقاتهم . ثم هم يؤلفون الجمعيات والمنظمات التى تضم رجال الدين المسيحيين واليهود ، والتى تهدف بصورة غير مباشرة إلى نشر الدعاية الصهيونية . ونجحوا أيضا فى تنظيم مؤسسات مسيحية مهمتها توطيد الصداقة بين أمريكا وإسرائيل » (١) .

نحن ندرك المدى الذى تعلقه أمريكا الرسمية وشعبها ، وتعلقه جميع الكنائس المسيحية على محاربة « العدو المشترك » الإسلام والمسيحية . وبالأخص كنيسة الفاتيكان التى تدعو صحيفتها للوقوف صفاً واحداً أمام هذا العدو .

فليتأمل هؤلاء وهؤلاء موقفهم منا ، وليتدبر القوم أعمالهم قبل أن ينتظروا منا أن نأخذ أمر هذه الدعوة وهذا الالتقاء مأخذ الجد .

أما نحن فلا نستطيع أن نترك أمر هذا الحاضر الذى نراه ونحسه نحن المسلمين والعرب ، وكثير من المخلصين المسيحيين أيضاً ، فى فلسطين بخاصة .

٥

دعوة « التقارب بين الإسلام والمسيحية » للوقوف أمام « العدو المشترك » ، تحتاج إلى فهم جديد وروح جديدة ووضع جديد وشمول لجميع الأعداء والخصوم . وعلى هذا الشرط ، كما قلنا ، نستمع إليها ونقبلها ونرحب بها لمحاربة هؤلاء الخصوم المشتركين جميعا .

محمود الشرقاوى

---

(١) مجلة العربى (الكويت) عدد شهر نوفبر ١٩٦١

تركستان
ومكانتها فى تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روحى أويغور

بلاد التركستان هى التى يطلق عليها اليوم أيضاً اسم آسيا الوسطى وهى بلاد قديمة عريقة الأصل واسعة الأرجاء لها ماضيها العتيد، وتاريخها المجيد، وتقع من البلاد الإسلامية موقعا هاماً، وتتكون جغرافياً اليوم من التركستان الغربية والشرقية والتركستان الأفغانية، وقد اشتهرت قديماً على صفحات التاريخ الإسلامى ولعبت دوراً هاما فى غضون عصوره تحت أسماء بلاد ماوراء النهر (سغديانا) وبلاد خوارزم وبخارى وبلاد كاشغر، وبلاد البلخ وغيرها.

وهى بلاد سطرت صفحات تاريخها بالحوادث والوقائع الجمة التى كانت عاملة فى رقيها وعروجها فى عهد، وانحطاطها فى عهد آخر.

وقد لعبت هذه البلاد دوراً هاما فى ميادين الحضارة والثقافة أيضا حيث كانت ملتقى الطريق بين الشرق والغرب فطرقها وممراتها التجارية ظلت تخدم البشرية جيلا بعد جيل، يحمل عبرها الحرير والمسك ومختلف أنواع البضائع والأقمشة والتوابل والصناعات النادرة من الشرق والغرب وتلتقى عبر هذه الطرق والممرات الحضارات القديمة: كحضارة الصين والهند والفرس والروم. وقد عاشت فيها أقدم أمم العالم وشعوبها كالآريين والقفقاسيين والباكتريين والبارثيين واليونانيين وغيرهم من الأمم الغابرة والحاضرة. وقد عاش فيها الأتراك وما زالوا يعيشون، وقد صنعوا فى التاريخ أخطر الوقائع وبرز منهم أكبر الفاتحين وأقاموا الامبراطوريات الواسعة فظهر منهم محمود الكاشغرى شمس الدولة الذى رفع منزلة الأتراك، وظهر منهم محمود الغزنوى وبابر وتيمور لنك وآل عثمان الذين أقاموا الدولة العثمانية فى الشرق الأوسط من القرن الرابع عشر الميلادى حتى بداية القرن العشرين.

وظهر فيها أعلام الفكر والعلم والفلسفة كالفارابى المتوفى سنة ٨٥٠ هـ وأبى على بن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م والإمام إسماعيل البخارى، وأبى الريحانى البرونى، وبهاء الدين النقشبندى وخواجه عبيد الله أحرار وأبى حفص البخارى وأمير على شيرنوابى وغيرهم

من العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين الذين أدوا خدمات جليلة للإسلام، فى ميادين العلم والفلسفة والفن والتاريخ والحديث والفقه والطب والهندسة واللغة وغير ذلك من العلوم.

وقد قال شعراء عصرهم فى حقهم :

علماء الإسلام كانوا بدورا
وسماء البدور تركستان
إن أردت الدنيا ترى المجد فيها
قد أقيمت لصرحها الأركان
أو أردت الدين الحنيف تجده
وهو للبر والهدى عنوان
وطن المصلحين دينا ودنيا
تتغنى بفضلها الأزمان

وكان لسكان هذه البلاد الأتراك - أثر بالغ من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية فى تاريخ الإسلام والمجتمع الإسلامى. فمنذ أن تم فتح بلاد التركستان على يد مسلم بن قتيبة سنة ٨٥ هـ فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، زالت الحواجز الثغورية بين تلك البلاد وبلاد خراسان وبينها وبين الخلافة الإسلامية فى دمشق وبغداد، فقامت العلاقات السياسية والدينية والثقافية بين الترك والفرس والعرب واندمج الأتراك فى المجتمع الإسلامى فانسلكوا فى الجيوش الإسلامية واشتركوا فى حمل لواء الدعوة الإسلامية وانتشروا فى بغداد ودمشق، ومصر وغيرها — واحتلوا المراكز السياسية فى بلاط الخلفاء.

كما نبغ منهم قواد عظام أمثال ايتاخ ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير وباغر واشناس وأحمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية فى مصر وكذلك محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية فيها. وقد أخذ الأتراك منذ عهد الخليفة العباسى المتوكل بالله سنة ٢٣٢ هـ يقبضون على زمام الأمور فى الدولة الإسلامية وقد كان لذلك أثره الكبير فى دخول الأتراك الإسلام، وانتشار الإسلام فى ربوع التركستان.

ومن أهم هذه الدول الإسلامية التى ازدهرت فى بلاد تركستان وخراسان الدولة السامانية التى حكمت من سنة ٢٦١ هـ إلى سنة ٣٨٩ هـ. ومع أن السامانيين كانوا من غير النسل التركى إلا أن دولتهم التى كانت فى بلاد التركستان اشتهرت بالعدل والإصلاح وتشجيع العلم. وفى عهدهم ازدهرت بخارى وسمرقند مركزا للنشاط العلمى والفنى والثقافى والحضارى مما كان له أثر كبير فى العالم الإسلامى.

وفى عهد الصاحب إسماعيل بن أحمد السامانى سنة ٢٧٩هـ — ٢٩٥هـ صارت بخارى عاصمة كل بلاد آسيا الوسطى ووصلت حدود مملكته من الشمال إلى الصحراء الكبرى ومن الشرق إلى جبال تيانشان فى الجنوب وإلى خليج فارس والهند الشمالية وإلى الغرب كما اتصلت بخارى بحدود دار الخلافة فى العراق وفى عهده

عادت لبخارى شهرتها السابقة كمركز للنشاط العلمى والأدبى وظهرت فيها العلوم من جديد وبخاصة الثقافة الإيرانية القديمة فى شكل إسلامى خالص. وقد قال الثعالبى: إن بخارى كانت فى الدولة السامانية بمثابة الحجة وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أرباب الأرض وموسم فضلاء الدهر.

وقد أنجبت هذه البلاد ما لا يحصى من رجال الحديث والفقه الذين خدموا العلم خدمات كبرى بجدهم وصبرهم على البحث ورحلاتهم إلى أقاصى البلدان، وعلى رأس المحدثين الإمام البخارى الذى ولد سنة ١٦٤ هـ — ٨٥٩ م، ووضع كتابه جامع الصحاح الذى يعتبر مصدراً معتمداً فى الحديث وقد قال عنه ابن خلكان: إن هذا الكتاب يحتوى على ٧٢٧٥ حديثا جمعها فى ست عشرة سنة وقرأ عليه سبعون ألف تلميذ. وقد توفى سنة ٢٥٤ هـ — ٩٤٩ م ومنهم أبو حفص البخارى الذى كان عالما متبحراً ولد سنة ١٥٠ هـ وكان قائدا للتيار الفكرى سنة ٢٢٧ هـ وهو تلميذ محمد الشيبانى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ بعد أن ترك آثاره الأدبية الزاهرة لتلميذه عبيد الله الفقيه.

ومنهم أيضا الشيخ بدر الدين الذى يقال بشأنه إنه اعتكف أربعين سنة يتعبد ليلا بلا نوم.

ومنهم محمد البدمولى الذى كان قاضيا للقضاة فى عهد إسماعيل، توفى سنة ٣٠٤ هـ - ٩١٦م وأيضا محمد بن الفضل وكان مفسرا قديراً فى فى بلاد الإسلام، ويقال أن إسماعيل السامانى قد رجح فضل بلدة بخارى على سمرقند لميزتها العلمية ولصيتها وشهرتها الواسعة. وكان إسماعيل أميراً متدينا عرف بالتقوى، منصفاً يحب العلم والعلماء وكان جواداً عليهم وكان جوده هذا سبباً فى جلب الطلاب من الأقطار البعيدة لطلب العلم فى مدارس بخارى ودور الحفاظ فيها التى ازدهرت فى عهده بشكل لا مثيل له فى سائر بلاد الإسلام؟

وخرج فى عهد السامانيين كثير ممن بلغوا مبلغ الاجتهاد ومنهم أبى حاتم محمد بن حيان التميمى السمرقندى وهو إمام كبير له تصانيف كثيرة فى الحديث والجرح والتعديل وقد ولى قضاء سمرقند، وتوفى سنة ٣٥٤ هـ.

وقد كان فى ذلك العهد الزاهر كثير من عظماء الشافعية والحنفية، فمن أكبر رجال الشافعية محمد بن على القفال الشاشى الذى كان يعد إمام عصره، فيما وراء النهر، والذى نشر مذهب الشافعية وله كتب فى الفقه والأصول وقد خرج غازياً فى الحروب التى وقعت بين المسلمين والروم، وأخذ أسيراً إلى القسطنطينية ثم عاد إلى بلاده ومات فى الشاش سنة ٣٦٥ هـ كما اشتهر من الحنفية الإمام أبو منصور

الماتريدى وهو عند الحنفية إمام فى علم الكلام كالأشعرى عند الشافعية ، وله كتاب التوحيد وآراء المعتزلة ومأخذ الشرائع فى الفقه والجدل فى أصول الفقه وغير ذلك، وقد توفى سنة ٣٣٣ هـ ونسبه إلى ما تريد وهو مكان الآن فى سمرقند ثم أبو الليث نصر ابن محمد السمرقندى الملقب بإمام الهدى توفى سنة ٣٧٣ هـ .

وكان من أشهر المتصوفين الذين ظهروا فى بلاد ما وراء النهر وخراسان البلخى ، قيل إنه أول من تكلم على أحوال خراسان وقد توفى سنة ١٥٣ هـ ثم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق وأصله من ترمذ وقد أقام ببلخ وتوفى سنة ١٧٧ هـ ، وأيضا أبو العباس ابن القاسم بن الهدى وأصله من مرو ، وهو أول من تكلم عندهم فى حقائق الأحوال وتوفى سنة ٣٤٢ هـ وقد ظهرت فى هذه البلاد حركة فلسفية قوية يرجع الفضل فيها أولا إلى شخصيتين من أقوى الشخصيات :

الأولى : شخصية أبو زيد البلخى

وأبو زيد هذا هو أحمد بن سهل البلخى الذى جمعت مؤلفاته بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب ومن أهم مؤلفاته كتاب أقسام العلوم وكتاب أخلاق الأمم وكتاب نظم القرآن وكتاب اختيارات السيرة وكتاب السياسة الصغير والكبير وغيرها وبلغ ما ألفه ستين كتاباً فى مختلف العلوم، وكان أيضا من أكبر جغرافى العرب ، وقد ألف فى الجغرافية صور الأقاليم . وتوفى فى بلخ سنة ٣٢٢ هـ ، والثانى أبو حنيفة الدينورى وكان من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب .

وهناك علم ثالث أيضا هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد العينى وكان من بلخ وكان معاصراً لأبى زيد واشتهر بتبحره فى علم الكلام وهو رأس من رؤوس المعتزلة له مذهب وأتباع يقال لهم الكعبية وقد توفى سنة ٣١٧ هـ .

وقد توج عهد السامانيين بظهور الفيلسوف الكبير أبى على بن سينا ، درة الدولة وهو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على ابن سينا أصله من بلخ ، ولد فى بخارى وعاش فى عهد نوح بن منصور الساسانى من سنة ٣٧٠ هـ إلى ٤٢٨ هـ وهو أكبر فلاسفة الإسلام ، احتل اسمه شهرة ومكانة لم ينلها أحد غيره من فلاسفة الشرق ، وظل كتابه (القانون فى الطب) يدرس فى الشرق والغرب إلى عهد قريب، وكتابه (الشفاء والإشارات والنجاة) يعد مرجعا لدارسى الفلسفة الإسلامية ، وأن شهرته العلمية لا تحتاج إلى تعريف .

وقد شجع السامانيون الحركة الأدبية والعلمية ، فكان من الأدباء الذين ظهروا فى هذا العهد وأشهرهم أبو الفضل محمد بن

عبيد الله البلعمى وأصل أجداده عرب من تميم استوطن فرعهم فى بخارى ، وكان وزيراً لنصر بن أحمد بن السامانى ، وقد قام بترجمة تاريخ الطبرى إلى اللغـــة الفارسية ، وتوفى فى سنة ٣٦٣ هـ . والثانى أبو عبيد الله محمد أحمد الجيهانى وله كتب عديدة وقد استوزر أيضاً لنصر بن أحمد ، ومن الشعراء والأدباء الذين يستحقون الذكر محمد بن موسى الحدادى البلخى ، وأبو بكر الخـــوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ، وبديع الزمان الهمذانى ، وقد توفى بهرات سنة ٣٩٨ هـ وله مقاماته المشهورة التى حذا حذوها الحريرى فيما بعد .

ومن أئمة اللغـــة : العلامة الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى وأصله من هرات ، ولد بها ومات بها ، وقد صنف فى اللغة كتاب التهذيب فى عشر مجلدات وهو من الكتب التى ذكرها ابن منظور فى كتابه لسان العرب وقد توفى الأزهرى سنة ٣٧٠ هـ

وهناك طائفة كبيرة أيضا من الأمراء والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا إلى هذا الإقليم . وكذلك الجوهرى صاحب كتاب الصحاح وهو إسماعيل بن حماد وأصله من فاراب وكتابه الصحاح يعد من أمهات كتب اللغة ، وقد لخص وترجم هذا الكتاب إلى الفارسية جمال القرشى من نسخة وجدها فى خزانة كتب المدرسة الصاحبية البرهانية فى كاشغر فوضع كتابه المعروف بالصحاح .

وأيضا من علماء اللغة والأدب أبو عمر أحمد بن محمد بن إبراهيم الزوزنى نسبة إلى زوزن ، وهى بلدة بين نيسابور وهرات ، وقد خلف لنا شرحا على المعلقات السبع ، وتوفى بزوزن سنة ٣٧٤ هـ .

وهناك أيضا طائفة كبيرة من الأمراء والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا إلى هذا الإقليم من العراق ، فشجعوا الحركة العلمية تشجيعا عظيما بسبب ما بذلوه من مال وجهروا به من رأى . وكان من أشهر هؤلاء أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأمونى وهو من نسل المأمون ... ومن الأمراء والأدباء غير العباسيين الذين اشتهروا أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى وأبو محمد ابن عبد الله بن إسماعيل الميكالى وغيرهما ، وآل ميكال كانت أسرة كبيرة من سادة خراسان .

م . روحى إيفور

نفحات القرآن

التبشير بالخير

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم
وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم »

١ — كثيراً ما نجد الخير محفوفا بالمكاره، والنجاح يتعثر فى أوهام الخوف ، والإنسان بطبعه يطمع فى الخير غير مشوب بكدر ، ولا يحب أن يتحمل فى سبيله شيئاً من عناء .

ولكن سنة الله فينا ، أن يبتلينا غالبا فيما يجرى علينا من أقضية ، ليكون للمرء فى حياته تفكير ، واختيار ، وله محاولات وجهاد . . ثم تلاقيه النتائج المحتومة ، فيفرح بما سعى إليه من خير ، ويرضى عما بذل من جهد .

أو يراجع نفسه فيما ضيع ، ويلومها على ما فرط . وتكون العبرة من شأن هذا وذاك لمن أراد أن يتخذ إلى الخير سبيلا ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه .

وقد سبقت لنا غزوة بدر الكبرى ... يتناولها الكاتبون من نواح عدة ، وفيها — بحق — مجال للفكر ، وفسحة للعبرة . وفيها مناط للحمد على ما أراد الله بالمسلمين فيها وما قدر لهم بها من الغلبة على عدو الله وعدوهم جميعا .

حتى كانت هذه الغزوة — كما نظل نقول — أول حلقة محكمة من سلسلة الجهاد المظفر للمسلمين .

٢ — كان النبى — صلوات الله عليه — على سابق الوعد من الله أن يمكنه من عدوه فى العير أو النفير . فلما أفلتت العير بتجارتها وتبين النبى وصحبه أن الوعد السماوى أصبح عالقا بالحرب لا محالة ، ومع أن النبى كان على ثقة من وعد ربه ، فقد خشى على المسلمين أن تأخذهم رهبة العدو الكثير ، أو ينال منهم الأذى فى غير احتمال .

فكان من دعائه لله نحو القبلة : اللهم أنجزلى ما وعدتنى ... اللهم إن تهلك هـذه العصابة من أهل الإسلام فإنك لن تعبد فى الأرض، اللهم هـــذه قريش أتت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك : اللهم فنصرك الذى وعدتنى .

وما كان هذا الدعاء عن ضجر ولا يأس ، وإنما هو صدى الإيمان ، وظاهرة الثقة فى الله أن يستجيب ، وهو مظهر الأمل الصادق فى رعاية الله لجنده ، وأمارة على توقع الظفر بالمطلوب .

وكان الله ــ سبحانه ــ عند ثقة محمد وصحبه فى أنه لن يخزيهم لعدوهم أبدا . . . طمأن الله رسوله بالبشرى الواضحة ، والفأل الأكيد ، إذ أوحى إليه « . إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » وهل هناك بشرى تكون خيرا من معونة الله بالملائكة تقاتل فى هذه الشدة مع النبى وصحبه ، كان جائزا أن يؤيدهم الله بالملائكة من عنده دون خبر سابق .

ولكن الله أراد أن يبادر رسوله وصحبه بالبشرى لما وراءها من مقاصد يحتاجها المجاهدون فى موقفهم هذا ... وناهيك بألف من الملائكة،متبوعين بغيرهم يجاهدون مع المؤمنين .

٣ ــ فما مقاصد البشرى التى يمن الله بها على عباده ؟ .

ا ــ اطمأنت بها القلوب ، وذهب عنها الخوف الذى أثارهم وقتا ما ، فجادل بعضهم بعضا فى التعرض للحرب ، والخوف نقمة بغيضة تكدر صفو الحياة ، والطمأنينة راحة وهناءة ، ولا تطيب من دونها حياة .

ب ــ تجمعت قلوبهم المتفرقة فى سورة الخوف ... والخوف طبيعى لا يعاب عليهم ، ولكن البشرى أطمعتهم فى الكثرة الباغية ، وأيقنوا أن قلتهم ــ وإن تضاءلت ــ هى جند الله ، وأن النصر لا يقاس بالكثرة والقلة ، وإنما يقاس بالإيمان ، وبالثقة فى الله أنه حق ، وأنه لا يحق إلا الحق (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله !!) .

ج ــ غشيهم النعاس : راحة وأمنا ، والنعاس لا يدنو من المهموم ، وإنما يظل مسهد الأجفان يساوره الأسى .

ويكون النعاس عند فراغ الذهن ، والتهيؤ للاستجمام .

د ــ واتاهم مع البشرى ماء المطر ، فتنظفوا ، وتطهروا ، وتجدد نشاطهم إلى ما يلاقونه ، وزايلتهم الوساوس، وتلبدت تحتهم الأرض، فثبتت عليها أقدامهم ، ولم تعد تسيخ فيها كما هو شأن الرمال .

هـ ــ جمعوا من الماء ما يفيدهم وتوافرت لهم أسباب لم تكن لعدوهم،حتى كانت الأمطار

وبالا على المشركين فى موقفهم وتجمعهم .

كانت هذه البشرى كلها يمناً وبركة على محمد وصحبه ، وكانت كما وصفها الله وأشاد بها ، (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) وكفى بالأمر حسنا أن يسميه الله بشرى .

و ـــ خلقت هذه البشرى فى أصحاب محمد عزائم مشبوبة ، وآمالا فتية مرجوة ، ورغبة فى الحرب لا تخالجها ريبة فى الانتصار وإن اقتضى جلادا وتضحية .

وأصبح شاخصا أمام الفرد ، وأمام الجماعة منهم أن العاقبة إحدى الحسنيين : ظفر بالعدو ، ومجد للإسلام ... أو استشهاد وخلود فى دار السلام .

وكلتاهما غاية يفتديها المسلم العربى بروحه ، وأهله ، وماله ، وبما هو أعز عليه من ذلك لو كان !

لأنها حياة فى عزة ، وهم أعشق الناس للعزة وأعرف بها !

أو : هى ممات فى شهادة لله ، وهناك خلود فى نعيم بجوار الله ؟

كانت البشرى سابقة على خوض الحرب ... وكانت نتيجتها كما قدروا نوزا فى تلك الحرب .

ز ـــ صدق الله وعده بالبشرى ، ونزلت الملائكة ـ ولا جرم ـ .

ولكن : هل حاربوا بأنفسهم مع جنود المؤمنين ، كما هو مشهور ، ووردت به آثار راجحة ؟ ؟

أو نزلوا ليكثر بهم سواد المسلمين فى نظر العدو ، وتحدث بهم الرهبة فى نفسه ، ويكون الجلاد والجهاد من عمل الناس ؟ ذلك الرأى الأخير مايقول به علماء : مستشهدين له بظاهر قوله تعالى « وما جعله الله إلا بشرى . . . » .

يفهمون : أن الله لم يجعل الإمداد بالملائكة للحرب ، بل للبشرى والتأييد فحسب ، ويقولون : لو كان للملائكة حرب لم يكن لأهل بدر فضل ، ولا استحقوا تلك المثوبة التى ثبتت لهم فى القرآن ، وعلى لسان الرسول ، وهذا توهين مرجوح . . وعلى أى حال : فالملائكة مدد مبارك ، وتأييد مشهود .

وهذا شأن ربك مع كل مجاهدين فى سبيله متى كانوا على نية صادقة وعزيمة خالصة ، ولائذين بمعونة الله ، فإنه هو وحده الناصر دون غيره ، مهما تكاثرت الأجناد ، وتضاعفت الأمداد « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » .

تجلى ذلك فى توجيه الله لملائكته أن يثبتوا المؤمنين بالإلهام ، والمؤازرة فى إرهاب العدو ، والتسلط عليه بالوهن ، وإطاحة الرقاب ، حتى كان الواحد من الكفار تطير عنقه قبل أن تتمكن منه ضربة السيف من يد المسلم « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

فإن تكن البشرى فى غزوة بدر ذات أثر أكيد، وإلى حد بعيد فى انتصار المسلمين، فإن الله قد أخذ على نفسه العهد أن ينصر من ينصر دينه، وأسلم إلى الله وجهه، «إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم».

ونحن فى الحياة على ما بها من شواغل لا نجد غير الله عونا، ولا من دونه نصيرا فهو ولينا، يهدينا سبلنا، ويعلم متقلبنا ومثوانا.

تلك: هى البشرى وما كان لها من فضل فى توجيه المسلمين إلى ما يخشونه من عدو كان يستهين بهم، ويترقب الغلبة عليهم، ليستأصل جماعتهم الناشئة التى بدأت تناهضهم وتنتقص من جبروتهم وسلطانهم، ولم يكن ذلك عندهم فى الحسبان.

ح — وأنت ترى لفظ البشرى يساق فى كل مقام يعنى به القرآن، ويلوح فيه للمؤمنين بأنهم أصحاب الحظ فيما يطمحون إليه.

وانظر — مثلا — إلى قوله تعالى «فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه — يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار ...».

وفى شئون الدنيا كذلك: «ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى.. فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب - يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه — يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى».

ونظراً لما تحمله البشرى من ترويح عن النفس، ولما تبعثه من بهجة كان حامل البشرى إلى الناس مُحبَّبا عندهم، ومستطاب الحديث فيهم، ومرموقا منهم بعين الرضا.

ومن حقه عليهم أن يحبوه، ويوفوه حقه من التقدير، بنسبة ما جاءهم به من خير يرتقبونه. فليس كثيراً على رسول الله أن يكون حبه محتوما علينا، وأن نتخذ من حبه تعلقاً بمتابعته فى دعوته لصالح أنفسنا، ووفاء بواجب العهد مع من جاءنا بتشريع الله، وبشرنا برحمته، وكافح فى إنقاذنا من ظلمات الجهالة، والضلال.

ليس كثيراً على محمد أن يكون حبه عبادة وقربة تظفر بها عند الله: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»، وهذا شىء مما نستمده من أثر بشراه ولأن البشرى ذريعة إلى كسب المحبة، ومفتاح للخير كان النبى داعيا إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم: بشروا، ولا تنفروا.

وأنت لا تجد لفظ البشرى إلا فى معرض التفاؤل، وسياق التطمين على ما يتعلق به المؤمن، أو الإنسان عامة من رجاء..

(البقية على صفحة ٩٦٩)

الولىّ ضرورة فى عقد الزّواج

للأستاذ ابراهيم عبد الباقى

منذ أن استقر حكم الدولة العثمانية فى مصر ، وعين أول قاض حنفى والقانون ملتزم مذهب أبى حنيفة الذى يرى أن المرأة الرشيدة يصح أن تزوج نفسها من غير الولى ، وقد توالت السنون ، وتعاقبت الدهور على هذا الرأى ، والمشترعون واقفون جامدون أمام الزمن المتجدد الذى لا يقف ، ولم يفتحوا أعينهم على المآسى الاجتماعية والنكبات الخلقية التى نجمت من انفراد المرأة بعقد زواجها من غير أن يشرف عليها الولى الذى هو أبعد نظرا وأكثر تبصرا بعواقب الأمور .

ولماذا نقلد مذهبا واحدا ، وندع رأى الجمهور وقد نطقت الحوادث ودلت التجارب على أن وجود الولى أحكم ، وعدمه فى عقد النكاح كثيراً ما أوقع المرأة فى مآسى اجتماعية ونكبات خلقية .

وقد استفاضت كتب الحديث فى أن عقد الزواج لا يصح إلا بولى للصغيرة والكبيرة ـ استفاضة لا مطمع فيها لمنكر إلا لمتأول تأويلا نائيا عن الصواب .

ومن رعاية الله تعالى للإنسان أن جعل شريعة الإسلام صالحة لكل زمن وجيل لما فيها من عنصر المرونة .

وكان عمر رضى الله عنه إذا ما سن قانونا ينتظر ماذا يكون أثره ؟ فإذا لم يحقق الغرض المنشود أو تحايل الناس عليه سرعان ما بدله بغيره واستغفر ربه .

هذا عمر لما وجد النساء يتحايلن على القانون فيسرعن إلى فطام أطفالهن ليأخذن نصيب الأطفال قبل إتمام الرضاع بادر إلى تغييره ، لكى يكفل للأطفال حقهم فى الرضاع .

فلماذا لم يتبعوا عمر فى سياسته وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا (١) باللذين بعدى أبى بكر وعمر » ، ويغيروا الوضع الذى جرت عليه المحاكم الشرعية فى إباحة زواج المرأة نفسها من غير أن ترجع إلى الولى ، ومن العجب العجاب أن المحاكم الزمت كتاب العقود (المأذونين) صيغا

(١) لابن عدى فى الكامل عن أنس رضى الله عنه .

محدودة فى كتابة العقود كأنها تنزيل من حكيم حميد ، ولو حادوا عنها ولو بلفظ واحد عوقبوا عقابا صارما لا رحمة فيه ولا هوادة .

فماذا على رجال القانون لو عدلوا عن هذه النظم البالية ، وأخذوا أحكامهم من المصدر الأول وهو كتاب الله وسنة رسوله ، المأمونى الخطأ اللذين أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يجاور ربه بأن من اعتصم بهما لن يضل أبداً .

ولماذا تكون كتابة العقود على مذهب أبى حنيفة فحسب ، وشريعة الله الخالدة واسعة لا تضيق ذرعا بكل جديد ما دام فى دائرة الطيبات وفيه الخير لبنى الإنسان .

إن الفقه قانون الحياة ، والحياة فى تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حرا فى حياته العملية . فلا يلتزم مذهبا معينا بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه .

وإذا كانت النبوات سايرت الإنسانية البشرية جمعاء فى أدوار تاريخها ، حتى إذا هضمت غذاء أمدتها بغذاء آخر ، وكلما أجدبت عليها الدنيا وأقفرت أمطرتها بوابل من غيثها ، وهكذا حتى بلغ العقل رشده ، جاء دور البعثة المحمدية التى كانت نهضة للإنسانية وثورة عامة على الوحشية ، وغذاء سرى فى جميع أقطار الدنيا ـ أسعف الله بها البشرية الخالدة التى تساير الزمان الذى يتجدد ولا يقف ، ففيها لكل حادثة حكم ، ولكل ضلالة هداية ، ولكل ظرف تقدير ، ولكل مشكلة حل ، كما أنها لا تدركها الشيخوخة ولا الانحلال لأنها جاءت بأحكام كلية ، يستنبط منها العلماء المجتهدون الأحكام التى تنطبق على كل زمن وجيل ، فمن أبطل الاجتهاد فيها فقد رماها بالركود ، وأصبحنا فى حاجة إلى تشريع جديد ، وأنى لنا ذلك وقد انقطع الوحى وانتهى دور النبوات ، إنها لإحدى الكبر أن نبطل الاجتهاد فى الشريعة الغراء فنحكم على العقل بالإعدام ، الذى هو هبة الله للإنسانية .

وكم رفعت الصوت عاليا على منابر المسلمين وكان يدوى فى آذان المستمعين ، ومنهم من له مكانته الرسمية ، فلم أجد من يصيخ إلى شكاتى ويسمع أنات أحزانى ، فكم من فتاة استبدت برأيها ولم تشرك وليها فى زواجها ، فوقعت فى محنة ليس لها من دون الله كاشفة ، فهى بين أمرين : إما أن تعيش عيشة ضنكا ، أو تضطر لفراق زوجها بعد أن كسدت بضاعتها فى سوق الزواج ، ولا ننسى ما يساور الآباء من هموم وأحزان ، وتنهدات موجعات تنتاب الأمهات على ما أصاب بناتهن فى أكبر أمنية لهن فى الحياة .

ولقد أكثرت الصحف اليومية من ذكر

هـذه المآسى ، وأقـرب حادثة منها تتلخص فى أن فتاة من أسرة عـريقة المجـد تدرس فى السنة الأخيرة فى كلية من الكليات هـام بحبها شاب من بيت وضيع كان يشغل مهنة حقيرة ، وقد ورث عن أبيه شيئا لا يكاد يذكر فاشترى به ملابس ، وفى كل يوم يلبس جديدا ويقابل هذه الفتاة ، ويغرر بها ، حتى أوهمها أن أباه فلان الثرى فانخدعت بزخرف قـوله ، ومعسول لفظه ، ورضيت أن تـكون له زوجـة ، وكتمت الأمر عن أبيها حتى لا يقف فى طريق زواجها ولبثت معه بضعة أشهر حتى نفد ما معه من المال . وفى اليوم الذى انعقد فيه النكاح من للعام الآخر كان طريح السجن لعجزه عن نفقتها . وهذا كله نتيجة استبدادها بزواج نفسها من غير ولى .

ولنا فى القائمين الآن على الأمر أمل فى أن يستمعوا لقولى : ويرحموا بنات جنسى من هذه المآسى الاجتماعية ، فيضيفون إلى رضائهن رضاء الولى ، وما أيسر هذه الخطوة على المصلحين ، وما أجل نفعها على الملايين ، والأدلة على ضرورة الولى كثيرة منها ما يأتى:

١ ـــ حـديث (١) عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أيما أمرة تزوج بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له .

(١) رواه أحمد وغيره .

٢ ـــ حـديث (١) أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها» .

٣ ـــ حديث (٢) أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : «لا نـكاح إلا بولى» .

هذه الأحاديث وكثير غـيرها أقوى ما استدل به الجمهور من السنة لأنها صريحة لا تقبـل التأويل إلا إذا عارضها نص آخر يساويها فى الصحة على الأقل ، ولم نجـــد للمخالفين أدلة سوى قول الرسـول صلى الله عليه وسلم (٣) «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن» ، وهـذا الحديث ونحوه لا يعارضان الأحاديث السالفة الذكر ، لأنهما قيلا لشىء آخر ، وهو أن الثيب لهـا الخيرة فيمن تريد زواجه فلابد من رضاها إن كانت ثيبا ، والبكر يمنعها الحياء من التصريح فلا بد من استئذانها ، وليس المراد أن الثيب تزوج

(١) ابن ماجه وغيره .
(٢) ابن حبان وغيره .
(٣) مسلم عن ابن عباس .

نفسها وتوكل من يزوجها مع وجود الولى، أما عقد النكاح فأمر آخر.

وقد أخرج النسائى عن عائشة: أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وأنا كارهة، قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل إلى أبيها، فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يارسول الله، قد أجزت ماصنع أبى، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شىء، ولفظ النساء عام للثيب والبكر — أما الأدلة من الكتاب فقول الله تعالى (١) «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف».

وجه الدلالة فى الآية الشريفة أن الله سبحانه خاطب الأولياء فنهاهم عن منع النساء من الزواج بمن يرضونه لأنفسهم، فلو لم يكن لهؤلاء الأولياء حق المنع لما كان لخطابهم بمثل هذا وجه، ويكون الخطاب للنساء هكذا «إذا منعتن من الزواج فزوجن أنفسكن، ولا تبالين بمن يمنعكن. ومثل هذه الآية قوله تعالى (٢) «فأنكحوهن بإذن أهلهن»، وقوله (٣) أيضا «وأنكحوا الأيامى منكم»، فقد خاطب الله تعالى الأولياء. ولم يخاطب النساء. وقال الشافعى رضى الله عنه: لا ينعقد نكاح امرأة إلا بعبارة الولى القريب، فإن لم يكن فبعبارة الولى البعيد، فإن لم يكن فبعبارة السلطان، فإن زوجت نفسها أو غيرها بإذن الولى أو بغيره بطل هذا.

وقد أجاب من يرى صحة عقد النكاح من غير الولى بجوابين أحدهما: أن الأحاديث التى تفيد اشتراط الولى فى صحة العقد مقيدة بالكبيرة، ولا يشترط الولى إلا إذا كان بها جنون مطلق.

ثانيهما: — أن المرأة أثبت لها الشرع الحرية المطلقة عند بيعها وشرائها وجميع معاملاتها متى كانت رشيدة، فلا وجه لمنعها من عقد الزواج، ولماذا لا يقاس عقد النكاح على عقد البيع. ولا يخفى أن هذه حجة واهية بدهية البطلان لأن الفرق شاسع بين عقد النكاح وعقد البيع لأن الأول يتعلق بالأعراض وتكوين الأسرة التى عليها عمارة الدنيا — فيجب أن يحتاط فيه بأكثر من غيره.

ثانياً: إن القياس يعمل به إذا أعوزنا الدليل على الحكم الذى نريده، وقد قام الدليل من الكتاب والسنة على خلافه.

ثالثاً: إن هناك دواعى قوية يكفى أحدها فى خداع المرأة فيمن تريد زواجه أهمها الغريزة الجنسية التى أودعها الله الذكر والأنثى.

---

(١) سورة البقرة ٢٣٢.
(٢) سورة النساء ٢٥.
(٣) سورة النور آية ٣٢

بهذا كانت المرأة عرضة للإندفاع فى وقوعها فيمن لم يكن كفءا لها ، وربما كان خادما لها. وقد طالعتنا الصحف اليومية بكثير من هذه المآسى الاجتماعية والنكبات الخلقية ، كما أشرنا من قبل ، وليت هذا الضرر يقصر على الزوجة فحسب ، بل يتعداه إلى الأسرة بتمامها حيث يعيرون بإدخال عنصر آخر بينهم لا يدانيهم حسبا ولا نسبا وربما أدى ذلك إلى ما هو أكبر خطرا وأعظم جرما .

شروط الولى :

يشترط فيه أن يكون ذكرا كما هو الراجح ، وأن يكون بالغا عاقلا مسلما إذا كان المعقود عليها مسلمة ، وأن يكون من الأقربين إليها الأقرب فالأقرب ، فإذا انتفى شرط من الشروط انتقلت الولاية إلى الأقرب الذى يليه ، فإذا لم يكن لها أولياء فوليها الحاكم ، وقد اتفق الفقهاء أنه لا يكون إلا من الأقربين . والجمهور أنه الأقرب من العصبة . وروى عن أبى حنيفة أن ذوى الأرحام من الأولياء ، والذى رجحه صاحب الروضة الندية أبو الطيب صديق بن حسن أن الأولياء هم قرابة المرأة الأولى فالأولى الذين تلحقهم الغضاضة إذا تزوجت من غير كفء وكان المزوج لها غيرهم ، وهذا المعنى لايختص بالعصبات بل قد يوجد فى ذوى السهام كالأخ لأم وذوى الأرحام كابن البنت ، وربما كانت الغضاضة بينهما أشد منها مع بنى الأعمام ونحوهم فلا وجه لتخصص ولاية النكاح بالعصبات ، كما أنه لا وجه لتخصيصها بمن يرث .

مضى ثم صاحب الروضة الندية بعد أن ذكر أن الأولياء لا يختصون بالعصبات قال : ولا شك أن بعض القرابة أدخل فى هذا الأمر من بعض ، فالآباء والأبناء أولى من غيرهم ، ثم الإخوة لأبوين ، ثم الإخوة لأب أو لأم ، ثم أولاد البنين وأولاد البنات ، ثم أولاد الإخوة وأولاد الأخوات ، ثم الأعمام والأخوال ، ثم هكذا من بعد هؤلاء . ومن زعم الاختصاص بالبعض دون البعض فليأت بالحجة ، وإن لم يكن بيده إلا مجرد أقوال من تقدمه فلسنا ممن يعول على ذلك ، وبالله التوفيق . هـ .

واجب الولى : على ولى الأمر أن يتقى الله تعالى فى رحمه فلا يعضلها ، عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم[1] « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . كذلك يختار لها الزوج الصالح حتى إذا أحبها نالت حظها وإذا أبغضها لا يهضمها حقها ، فيمسكها بمعروف أو يسرحها بمعروف .

إبراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر الشريف

(١) الترمذى وغيره عن أبى هريرة .

مجمع البحوث الإسلامية
مجال أمين لدراسة تاريخ المسلمين

للأستاذ فتحي عثمان

كاتب هذه السطور ، درس التاريخ فى كلية الآداب ، وتخصص فى دراسة التاريخ الإسلامى وأعد رسالة جامعية فيه ...

وكاتب هذه السطور لم يدرس فى كلية الآداب – خلال دراسته الطويلة بها – منهج المؤرخين المسلمين فى (الرواية والإسناد) ، وأحوال (الرجال) ما بين التعديل والتجريح . وإنما عرف هذا فى غير كلية الآداب ، وأفاد من دراسة علوم السنة – وهى الأساس المنهجى للرواية العلمية عند العرب فى التاريخ وفى الأدب أيضا ، وكانت هذه الإفادة خارج دروس كلية الآداب كذلك . وعرف الكاتب أن للطبرى سلاسل إسناده ، وأن أصول هذه السلاسل ليست فى درجة واحدة من القوة ، فسيف بن عمر غير هشام بن محمد ، ولكل سلسلة حلقاتها ، تتفاوت قوة وضعفا ، وعلى هذا ينبغى أن يفحص الخبر فى سنده كما يفحص فى متنه ، فالعهدة على الراوى كما يقولون ، ودراسات علماء الحديث نماذج مثالية لهذا المنهج العربى الأصيل الفريد .

وعرف هذا الناشئ الذى ينشد البحث أن الخبر لا يكون حجة لمجرد أنه مودع بين دفتى كتاب تاريخى مشهور كالطبرى أو البلاذرى ، أو المسعودى أو ابن الأثير . فإن تدوين التاريخ كما تأثر بقواعد منهجية ، تأثر بأهواء فكرية وشخصية ! ومن المعروف أن المروى عن ابن اسحق أو الواقدى ، أو ابن هشام أو ابن سعد فى السيرة النبوية – وهى القطعة من التاريخ التى تقدسها ضمائر المسلمين – ليس له من الضبط العلمى مثل ما للحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد والموطأ . فقد كان (الأخبارى) أقل ضبطا وتدقيقا من (المحدّث) ، وقد تعرضت كتابة التاريخ فى عصر بنى العباس لأهواء شعوبية وحزبية ، وتعرضت لمزالق النوادر واللطائف التى تروى فى مجالس الأدب كأنها من وقائع التاريخ ! !

عرفت هذا كله خارج كلية الآداب ...

وكنت أتوق إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامى تقوم على دراسة منهج علماء

المسلمين ، ودراسة أحوال (الرجال) ما بين رواة ومصنفين .

وكنت أتوق إلى أن أرى قبل ذلك كله دراسة للتاريخ الإسلامى فى ضوء العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامى ، كما يدرس تاريخ اليونان فى ضوء الميثولوجيا والفلسفة اليونانية ، وكما يدرس التاريخ المصرى القديم فى ضوء العقائد المصرية القديمة ، وكما يدرس التاريخ الرومانى فى ضوء النظم القانونية والاجتماعية الرومانية .

وكنت أتوق كذلك إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامى تستهدف دراسة تاريخ المجتمع الإسلامى لا الحكام المسلمين !!

ومراجع التاريخ الإسلامى لم تكن مراجع (أرستقراطية) مقصورة على رواية أخبار الخلفاء والوزراء ! لقد كان تاريخنا تاريخ شعوب لا تاريخ ملوك ، ولقد علمنا ديننا ألا نسبح بكرة وعشيا إلا للكبير المتعال ، وألا نحمد إلا الله على كل حال ، والمسلمون بعد ذلك سواسية ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد !

ومن هنا كان بجوار المراجع العامة فى تاريخنا ، كتب (التراجم) التى تقدم شخصيات المجتمع الإسلامى من علماء وأدباء على اختلافهم ، بجانب تقديمها الحكام والقواد ، وهى تقدم مشاهير النساء كما تقدم مشاهير الرجال على السواء ! وكتب (الطبقات) عندنا تتناول المحدثين والفقهاء والأدباء والحكماء والأطباء ، وهى تفصل القول أحيانا فتعرض لطبقات الشافعية أو الحنابلة أو الصوفية . ولدينا كتب (البلدان) وتاريخها ، وهى تقدم لنا صورة مجتمع البلد وشخصياته المختلفة ، ومنها الكتاب الممتع للبغدادى المعروف بتاريخ بغداد الكبير .

ولو درسنا تاريخ المجتمع الإسلامى لتكشفت لنا حقيقة التيارات العميقة التى قذفت بالحركات الشاذة إلى أعلا السطح ، وهى حركات لا ينبغى المرور عليها مرا سريعا !! إن فتنة الزنج حدث اجتماعى كبير ، وفتنة القرامطة حدث اجتماعى كبير ، وحدوث انحرافات عقائدية وتحولها إلى كيان اجتماعى انعزالى حدث نفسى فكرى خطير ، فوجود النصيرية والدرزية واستمرارهما يحتاج إلى مناقشة !! وأصل الأصول ورأس الأمور أن يدرس تحول المجتمع الإسلامى من مجتمع قبلى إلى مجتمع عالمى ، من مجتمع بسيط إلى مجتمع مركب ، من حكم أبوى مشيخى إلى دولة أمبراطورية ملكية . . . ولو درس هذا التاريخ على هذا النحو لانكشفت أسرار توجيه الظروف ودس الأعداء فى حدوث وقائع تاريخنا أولا ، وفى فهم هذه الوقائع بعد ذلك !

إن تاريخنا يحتاج إلى القوى الأمين ...

يحتاج إلى القوى الدءوب على البحث، الذى لا يضجر من ركام الأخبار وأكداس الروايات، ولا يجهد من متابعة الفحص والتمحيص!

لقد وجدت اللغة الهيروغليفية من يفك طلاسمها، ووجدت اللغة اليونانية من يتعمق فى أساطيرها وفلسفتها، ووجدت الحضارة الرومانية من يتفهم نظمها ونزعتها ... وخرجت المدرسة التاريخية المصرية، فى (تاريخنا القديم): سليم حسن وسامى جبرة وأحمد فخرى وأحمد بدوى وعبد المنعم أبو بكر وابراهيم نصحى ... فأين أعلامنا فى التاريخ الإسلامى ؟؟

إن تاريخ الحروب الصليبية لم يكتب بعد كتابة عصرية من وجهة النظر الإسلامية ... وقد شكلت لجنة من أعلام التاريخ فى الغرب لتشكيل الصورة النهائية لتاريخ هذه الحروب - من وجهة النظر الأوربية طبعا، وكان بين الأعلام العشرة المرشحين لهذا العمل الخالد عالم مصرى!!

وإن المقتطفات المتنافرة فى مراجع «الحوليات» الإسلامية عن الحروب الصليبية قد جمع شتاتها المستشرقون، وظهرت بمجموعة مطبوعة بجهود إيطالية!!

وتاريخ الأندلس الإسلامى ما زال مجالا فسيحا للبحث والدراسة ... وبارك الله فى جهود الدكتور حسين مؤنس حتى يتم ما بدأه فى سفره النفيس الفريد «فجر الأندلس»، وفى جهود الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامى الذى شغف بهذا الموضوع من قديم.

وتاريخ الإسلام فى جزر البحر المتوسط فى قبرص وكريت وصقلية وغيرها ... يحتاج إلى بحث ودراسة، والبحوث التى ظهرت فيها حديثا لمؤلفين من العرب تعد على الأصابع.

وتاريخنا الإسلامى الحديث ... تاريخ «الخلافة العثمانية» وتقويمها الصحيح فى ميزان الإسلام، تاريخ الاستعمار الصليبى الحديث من عسكرى واقتصادى وفكرى، تاريخ حركات التحرر فى صورها المختلفة، هل نترك هذا كله «للوثائقيين» يعالجون جذور كياننا معالجتهم الجزئية الضيقة ؟؟

يرحم الله أستاذ المدرسة المصرية فى التاريخ شفيق غربال: كان أول من قال فى عصرنا فيما أعلم - أن التاريخ الإسلامى مفتوح حتى أيامنا هذه، وأن الغربيين إذا كانوا قد أنهوا تاريخهم «المسيحى» عند العصور الوسطى لأنهم فصلوا بين الدين والدولة فى تاريخهم الحديث، فإن المسلمين لا ينبغى أن يقلدوا ما ذاع وشاع عند غيرهم، فهو يفقد عندهم حجة التبرير!!!

ويحتاج التاريخ الإسلامى إلى الأمين ...

الأمين الذى لا يتـأثر بأهواء الشعوبية القديمة ، وأهواء الاستشراق الحديثـة ... ويبدأ العمل مراقبا لله ، مخلصا للعـلم : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ـ كل أولئك كان عنـه مسئولا » .

الأمين الذى لا تستهويه شهوة الاستنتاج ، وبوارق التحليل والتركيب ، فيطير وراء كل لمعة يتخيلها وراء حادثة ، ويلتوى ليعتسف الوقائع حتى تطابق الظنون والآراء : « فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على مافعلتم نادمين » !! ؟

الأمين الذى يأخذ عن المستشرقين جلدهم ودأبهم على البحث ، ومناهجهم فى الدراسة ، ثم يعرف أن لهم أهواء شعورية وغـير شعورية ـ لو أسرفنا فى رغبة الإنصاف ، وأن لهم أخطاء نتيجة قصورهم فى فهم الإسلام أو العربية ! !

وليس معنى هذا التنكر للحكمة أنى وجدها المؤمن ... فنحن نجد جب وفلهوزن وغيرهما قد فطنا للأهواء وراء الروايات التاريخية ، وشرعا فى تمحيصها فى بعض الأحيان وعلى قدر الإمكان ... ولم يفطن لذلك من باحثى العرب فى التاريخ إلا قليلون : من أمثال محب الدين الخطيب والدكتور جواد على .

وخير شاهد على المستشرقين ، أستاذ جليل درس أعمـــالهم ، ولم يعرف بالتعصب أو التحامل ...

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس فى مقاله الممتع بجريدة الأهرام عن كتاب جلستون فييت : (مجد الإسلام) ـ وهو مقال أرجو أن يقرأ فى حصص التاريخ بالمدارس الثانوية وبالصفوف الأولى من كليات جامعاتنا كلها ـ وشعب التاريخ على الأخص :

« ... وفى عرضه ـ فييت ـ المجهد لتاريخنا ، فاته أهم الحقائق التى سيرت هذا التاريخ ...

استحوذت على اهتمامه حوادث السياسـة والوقائع والحروب ، فمضى يتابع قيام الدول وسقوطها ، والحروب ووقائعها ...

وفاته أن للعرب والمسلمين تاريخا آخر غير هذه السلسلة الطويلة من وقائع السياسة والميادين ...

فليس بين فصول كتابه فصل واحد عن انتشار الإسلام ... ولاذكر فى كتابه لنواحى حضارتنا ...

إن صاحبنا يجرى فى تيار الخيال الفرنسى الذى يعود إلى حضارة الإغريق بكل شىء ، والمؤرخون فى الدنيا كلها قد نزعوا عن ذلك الوهم الذى ساد الفكر الأوربى إلى الحرب العالمية الأولى ... !!

ولكني أعود فأقول : إن المؤلف فرنسي، والفرنسي لا يفهم العربي أبدا ! !

هناك ستار من الحقد يحول بين أبناء فرنسا وبين أن يفهمونا ... حقد قديم ، يرجع إلى الحروب الصليبية ، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام ! وحقد جديد ، بدأ سنة ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر !! ...

حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا ... فإن محمداً الذي يصوره أولئك المستشرقون ، ليس محمداً رسول الله الذي نحن على دينه ، إنه رجل من صنع خيالهم وتصورهم ! !

... ونحن معجبون ببني أمية ... يعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته ، وتعجبنا عروبة عبد الملك ، ويعجبنا إيمان الوليد وسليمان ، وتعجبنا من بني أمية جميعا الفحولة والأصالة والشهامة والعروبة ...

ولكن ماذا يعجب الفرنسيين في بني أمية ؟ يعجبهم أبو سفيان ، لأنه حارب الرسول ! ويعجبهم معاوية لأنه انتزع الخلافة من عليّ ! ويعجبهم يزيد لأنه قتل الحسين وأمر جنده بمهاجمة مكة ! .. وهذه هي معظم الصفحات المختارة عن بني أمية !!!

... وماذا يقول عن المأمون ؟؟ إن دولته دولة فارسية لا أثر للعرب فيها ، وما دام قد انتهى إلى أن المأمون غير عربي فهو لا يجد غضاضة في أن يتحدث عن نهضة العلوم أيام المأمون - فهي نهضة غير عربية !! » . ا . هـ .

وأخيراً ينهي الأستاذ الجليل مقاله بهذا النداء المدوّي في الميدان ... ميدان البحث التاريخي :

« ليس أمامنا إلا أن نعمل . . . ونعمل حتى الموت !

لنتصوّر الجهد الذي بذله هذا الرجل الفرنسي وهو في سن السبعين - جهد في الجمع والترتيب والاختيار ! !

إن بعضنا يلعب ، ويتصور أنه يعمل . . ينظر في الصفحات التي كتبها الطبري أو ابن سعد مثلا عن عمر بن الخطاب ، ثم يكتب سلسلة كتب عن عمر بن الخطاب !!! » .

هذا النداء العذب ، واللحن الحلو - نسمعه الآن من أستاذ جامعي كبير . . .

وهذه بشرى وإرهاص ! !

وقد كانت الحاجة ماسة إلى تنظيم جماعي ، يعين الأفراد على مشقات البحث العلمي . . .

إن لدى الغربيين أكاديميات ومجالس للاستشراق . وكنت أتلفّت عندنا : فأجد المجمع اللغوي منصرفا لمهمته في البحوث اللغوية ، وأجد جماعة كبار العلماء تستقبل الأعضاء ببحوثهم ثم تغلق عليهم الأبواب وتحكم الرتاج ! !

وكنا نحتاج إلى مجمع علمى إسلامى يستقبل العلماء ، لتكون عضويتهم « بداية » لنشاط جديد فى البحث العلمى . . . نشاط أوسع ، وأعمق ، فقد أتيح فى ظل المجمع مزيداً من الإمكانيات ! !

وكنت أتوق إلى يوم تتحقق فيه هذه الرغبة ليكون للتاريخ الإسلامى « مجال أمين » للبحث والدراسة . . .

وكتبت عن ذلك فى كتابى : « أضواء على التاريخ الإسلامى » ـ فى ختام فصول الكتاب وعنوانه : « ماذا نريد » ؟

وجاء مجمع البحوث الإسلامية فى قانون الأزهر الجديد ... فكان المجال الأمين لشعبة تضطلع بأعباء البحث التاريخى : من جمع المخطوطات والوثائق وتحقيقها وطبعها ، إلى ترجمة أمهات كتب المستشرقين .. إلى التأليف الجديد على علم ، وهدى ، وكتاب منير . .

وهكذا شهدت بداية تحقق الأمل . . .

كما شهدت بداية تحقق أمل آخر كنت قد كتبت عنه فى سنة ١٩٥٤ ، وفى كتابى « الفكر الإسلامى والتطور » ـ هو أن تكون جامعة الأزهر جامعة حية شاملة ، لها حيوية الإسلام وشموله ، تمـــد المؤمنين للعمل فى الدنيا ، وتزود العاملين فى الدنيا بالإيمان .

وأتم الله على نعمته بأن أشهد هذا التطور الكبير عن قرب ، وأكون فى خدمته بالعمل .. بعد أن تطاولت إليه طويلا ـ بالأمل !

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . . . ومرحبا بالوليد العملاق .

فتحى عثمان

(بقية المنشور على صفحة ٩٥٨)

ومن أجل هذا تجد اللفظ البشرى حلاوة فى الأفواه وهزة فى الأعطاف وطربا فى الجوانح .

وربما كان الأمر على ما به من كراهة ، ويكون فى مساق الانذار ، والتخويف ، ثم يذكر فى أسلوب التبشير : لا فرحة به ، ولا تهوينا لشره : بل مبالغة فى استهجانه وتحقير أهله ، لأنهم يتهافتون عليه مع ما فيه من قبح كما يتهافت سواهم على الأمر الكريم ، وكما تتهافت الإبل العطاش على موارد الماء .

ومن ذلك قول الله ـ سبحانه ـ فى شأن الجاحدين لدينه ، المنكرين لرسالته « فبشرهم بعذاب أليم ! ! » .

وهل العذاب يكون فى مقام البشرى ؟ ؟ ولكنها سخرية الله بمن أعرضوا ، ووعيد لمن عاندوا ، والنجاة من الله وبتوفيق الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الأزهر والحملة الفرنسية

للأستاذ فوزى عرفه

عند ما ألقى الأسطول الفرنسى مراسيه على مقربة من أبى قير أصدر نابليون بونابرت مكتوبا يصور فيه المعركة القائمة على أنها نزاع بينه وبين المماليك ، وأراد بذلك أن يوغر صدور المصريين عليهم فكان مما جاء فى هذا المكتوب « ماذا يميزهم - أى المماليك - عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شىء أحسن فيها : من الجوارى الحسان والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة ، فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ! » .

وأراد نابليون أن يتودد إلى المصريين ، وخصوصا القوة الشعبية الروحية التى كانت تتزعمها فى ذلك الوقت أروقة الأزهر ومشايخه فقال : « أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد : قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وضربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين » .

وكان هذا المنشور بصورته السابقة يحوى مراوغة سياسية غريبة ، إذ شعر نابليون أن قيمة الشعب المصرى ومقدار صبره على البلاء والجهاد إنما يتوقف على اتحاد هذا الشعب خلف زعامته الروحية التى تتركز فى ممثلى الإسلام من علماء الأزهر المناضلين .

وقد اغتر قليل من الناس بمعسول قول نابليون وظنوا أن إعلانه إسلام الفرنساوية معناه موادتهم وصداقتهم ، ولم يعلموا أن نابليون صرح مرة بأنه ليس له دين ، فهو فى مصر مسلم وفى روما كاثوليكى وفى ألمانيا بروتستانتى ، ولو ذهب إلى الهند أو أواسط إفريقيا لكان بوذيا أو من عبدة الأصنام .

الطور الأول للجهاد :

١ - وثق العلماء ثقة كبيرة بمراد بك وإبراهيم بك ، وعبئوا من خلفهم الشعب تعبئة روحية كاملة ، فقد كانوا يجتمعون كل يوم بالأزهر ، وكذا مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية ، والبراهمة ، والقادرية والسعدية ،

وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون هم مجالس بالأزهر ، وقد أشاروا على إبراهيم بك أن يعمل متاريس من بولاق إلى شبرا وانتقل العلماء إلى زاوية على بك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر ، ويشجعون العامة على مواصلة الحرب ضد المعتدين .

٢ — انهزم المماليك أمام الفرنسيين هزيمة منكرة ، وقد أخطئوا لأنهم لم يثقوا بالشعب فلم يجهزوه بالعدة والسلاح بل تركوه فى هرج ومرج فلما رأوا دلائل الهزيمة واضحة فروا تاركين القاهرة وليس فيها إلا بعض المشايخ فى الأزهر فاجتمع هؤلاء العلماء واتفقوا على أن يطلبوا الأمان من بونابرت ، فكتب لهم منشورا جديدا كان مما جاء فيه « وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونوا مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين » وفى اليوم الثانى ركب المشايخ وكان منهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والصاوى والفيومى ولم يحضر عمر مكرم هذا الاجتماع وتشاور نابليون معهم طالبا رأيهم فى كثير من الأمور وفى يوم الخميس ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٨ عين عشرة مشايخ للديوان وفصل الحكومات . أراد نابليون من وراء ذلك أن يسيطروا على العامة ويساعدوه فى حكم البلاد ، وقد أصبح الأزهر مركزا لتقديم المعونات العاجلة لذوى الحاجات ممن نكبتهم الحرب كما أصبح صلة بين الشعب والفرنسيين ، يرفع مظالم الشعب ويخفف عنه عبء الضرائب الباهظة التى كان يطالب بها الغزاة .

٣ — ظن نابليون أن هذه المظاهر سوف تعينه على السيطرة على المشايخ حتى حدثت حادثة طريفة دلت على تمسك المشايخ بوطنيتهم ودينهم ، إذ طلب نابليون المشايخ يوم السبت أول سبتمبر سنة ١٧٩٨ فلما استقروا عنده نهض من المجلس ووضع بيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض: أبيض وأحمر وكحلى ، وضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به إلى الأرض واستعفى وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه ، فلما لمس نابليون ثورة المشايخ صمم على أن يضعوا الجوكار فى صدورهم فطلبوا منه أن يمهلهم اثنى عشر يوما وخرجوا من عنده مغضبين . وقد طالب الفرنسيون الأهالى بأن يعلقوا الجوكار عنوانا على الامتثال والطاعة فأبى أغلبهم إلا قليلا ممن خافوا الضرر وقد هادن المشايخ الفرنسيين انتظارا للتثبت من الوعود التى كانت تأتيهم من السلطان العثمانى بإنفاذ جيشه لتخليص البلاد من الغزاة .

الطور الثانى:

أهمل نابليون الديوان وشرع فى تأليف ديوان آخر وأراد نابليون بذلك أن يبعد العلماء عن تيار السياسة وقد خاف شوكتهم ومن خلفهم الشعب، فنصب المدافع على القلعة استعدادا للطوارئ وأجبر المشايخ على توقيع منشور برضائهم عن الفرنسيين، وفى يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٧٩٨ اضطر نابليون إلى استدعاء جميع المشايخ الذين أجمعوا على انتخاب الشيخ الشرقاوى وكان معنى هذا تمسك المشايخ بقيادة الشرقاوى لهم على الرغم من مناورة نابليون التى أراد من ورائها التخلص من هذا الشيخ الوطنى الصلب.

وأراد نابليون أن ينظم ضرائب على الأملاك والعقارات فاجتمع خلق كثير بالأزهر وقاد العلماء الثورة ضد الفرنسيين إلا أن الفرنسيين وبعض الخــونة الذين أصبحوا جواسيس لهم أعملوا فى المصريين القتل والنهب ونالوا منهم نيلا عظيما، وبعد أن استتب الأمر للفرنسيين فى مصر قبضوا على الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان فى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٨ وكذلك الشيخ أحمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ إسماعيل البراوى وحبسوهم فى بيت البكرى وأما السيد بدر المقدسى أحد قواد الثورة فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام، وقد ارتكب الفرنسيون فى أمر هؤلاء المعتقلين أمرا إدا، إذ بينما كان المشايخ يشفعون فى أمرهم لفك إسارهم إذ بالفرنسيين ينقلونهم سرا إلى المعسكر حيث قتلوهم عن آخرهم فى يوم الأحد ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ ولم يطلعوا أحدا من المشايخ على هذا الأمر الخطير، وفى النهاية أجبروا المشايخ على توقيع منشور عام فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ جاء فيه «ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد» والواقع أن هذه المذبحة الفاجرة التى ارتكبتها سلطات الاستعمار ضد المشايخ كانت آخر خيط يربط بين الشعب وبين المستعمرين إذ انكشفوا على حقيقتهم وظهروا بكل مافيهم من خسة ودناءة وشراسة وضراوة.

وقد عرف الفرنسيون هذه الحقيقة فتوجسوا حقيقة من علماء الأزهر وأخذوا يطبعون المنشورات ويوقعون عليها بأسمائهم وإن لم يوافقوا عليها، ولما أعادوا تنظيم الديوان لم يدخلوا فيه إلا خمسة مشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى، وأدخلوا فيه طوائف متعددة من التجار ومن النصارى القبطة ومن الشوام

ومن الفرنسيين وهكذا حتى يتضاءل صوت الأزهر فى الديوان .

وقد كان نابليون من أول يوم حضر فيه إلى مصر يتظاهر بأنه صديق العثمانيين وعدو المماليك فحدثت حادثة كشفت هذا الأفاق إذ كان فى مصر قاض تركى هرب فعين نابليون مللازاده ابنه مكانه إلا أنه برم بابنه فقبض عليه وطلب فى يوم الأربعاء ٢٦ يونية سنة ١٧٩٩ من الديوان أن يختار شيخا من العلماء ليحل محل ابن القاضى إلا أن الشيخ السادات زاد فى الكلام فقال : « إنكم تقولون دائما إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة ، وكان من نتيجة هذا أن أطلق سراح ابن القاضى وانتخب الشيخ أحمد العريشى الحنفى قاضيا لمصر وتطورت الأمور تطورا سريعا إذ أجبر نابليون على السفر إلى فرنسا سرا وأطبقت الجيوش العثمانية والانجليزية وفلول المماليك على الفرنسيين الذين لم يجدوا لهم ناصرا فى مصر فوقعوا فى ١٩ يناير سنة ١٨٠٠ على المعاهدة بينهم وبين تركيا على أن يخلوا مصر وكانت فرحة الشعب كبيرة بهذه الأنباء فلم يتمالك نفسه وأخذ يستخف بالفرنسيين حتى تجمعت جماعات من الأمراء والمماليك فأعملوا فى الفرنسيين قتلا وتشريدا ودارت رحى الحرب بين قوة الشعب وبين الفرنسيين فلجأ الفرنسيون إلى محاصرة المدينة ودكها بالقنابل من الخارج إلا أن المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب كانوا يمرون كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد . فلما يئس الفرنسيون من نتيجة هذه الموقعة أرسلوا يستدعون المشايخ وعرضوا عليهم الصلح والأمان مع خروج المماليك ولكن المشايخ لم يكادوا يعرضون هذا الأمر على العامة حتى ثاروا ، وقد اقترح المشايخ الصلح لأن النجدة التى كان الشعب يتوقعها من الأتراك باتت بعيدة المنال فأشفق المشايخ على الشعب من مغبة هذا العبء الذى تلقاه واحتمله صابرا غير يائس وهو لا يهتم بما يلاقى ويعانى من ضريبة الدم فى سبيل الحرية فلم يرجع المشايخ إلى المعسكر ليبلغوه نتيجة المفاوضات إلا أن البرديسى ومصطفى كاشف والأشقر سارعوا فى يوم ١٨ أبريل سنة ١٨٠٠ بتوقيع الصلح مع الفرنسيين وتركوا العامة والمشايخ والوطنيين جميعا يتميزون غيظا لهذه الخيانة المرذولة فى إبان الحرب واشتعالها فنجوا بأنفسهم وتركوا الشعب الذى آزرهم يواجه مصيره بنفسه .

ولما دخل الفرنسيون القاهرة مرة أخرى

دار بين المشايخ وبين كليبر هذا الحديث الهام : قال لهم « أوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأوامركم ونهيكم يرجعون ، فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم » فقالوا له « نحن ما قمنا مع العثملى إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى وأن البلاد والأموال صارت له » وهكذا انكشف فى هذا الحديث القصير نفاق الفرنسيين وأنهم إنما تذرعوا بهذه الحجج الواهية ليضحكوا بها على عقول السذج والمغترين ، ولكن الفرنسيين تمادوا فى بغيهم فطلبوا من المشايخ أن يدفعوا متضامنين غرامة فادحة ، ولما تلكأ الشيخ السادات فى دفع ما عليه أنزلوا به أبلغ عقوبة ونكلوا به نكالا شديدا حتى استخلصوا حصته من الغرامة بعد طول مشقة ، وكانت هذه الأحداث جميعها من أسباب مقتل كليبر فى يوم ١٤ يونية سنة ١٨٠٠ بواسطة سليمان الحلبى . وقد أخبرهم سليمان بعد القبض عليه أنه كان يأوى إلى الجامع الأزهر للبيت وقد أراد الفرنسيون توجيه الشبهة إلى المشايخ الذين حرضوا على الثورة الأخيرة إلا أنهم لم يجدوا ما يدينهم أو يبعث على الاشتباه فيهم .

مع الأزهر وجها لوجه :

ابتدأت فرنسا تتخذ اتجاها جديدا نحو الأزهر بعد قمع الثورة ففى يوم ٢٠ يونية سنة ١٨٠٠ حضر عبد الله جاك مينو وكان قد أعلن إسلامه وأخذ يطوف بأنحاء الأزهر وأظهر عزمه على حفر أماكن للتفتيش على السلاح فشرع المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء الأروقة وقد توجه الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى إلى مينو واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره ليمنعوا الريبة بالكلية فأذن مينو بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات وخشى بعض المشايخ من انتقام الفرنسيين فبدأ بعضهم يهجر القاهرة الحبيبة إلى الأقاليم لطول ما عانوه من عنت الفرنسيين ورهقهم لهم ، وأما الشيخ السادات فأفرج عنه فى ١٩ يوليو سنة ١٨٠٠ بعد أن استولوا على حصصه وإقطاعه وقطعوا مرتباته والحصص الموقوفة على زوايا أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وألا يركب بدون إذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ويقلل أتباعه . وأما باقى المشايخ فقد حاولوا أن يسترضوهم مرة أخرى فكونوا منهم الديوان فقط وكان من تسعة مشايخ رئيسهم الشيخ الشرقاوى .

وفى هذه الأثناء وردت الأنباء عن قدوم جيش الانجليز إلى الإسكندرية فطلب مينو من المشايخ ضبط العامة حتى لا يثوروا كما فعلوا

(البقية على صفحة ٩٨١)

قراءة القرآن من أواسط سُوَرِه

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، أنى سمعت أبناء الصومال ـ إبان بعثتى إليه ـ حين يقرؤون القرآن الكريم من غير أوائل سوره ـ يستعيذون ولا يبسملون ، وإذا قرؤوه من أوائل السور تعوذوا وبسملوا . بينما أندادهم فى مصر يتعوذون ويبسملون فى كل تلاواتهم .. سواء بدؤوها من أوائل السور ، أو من أواسطها .. فأخذت الفكرة تراودنى بين الحين والحين : أيهما أدنى إلى الصواب ، وأوفق لروح الدليل .

إن القرآن الكريم يرشد التالى حين يريد التلاوة إلى الاستعاذة وحدها .. وذلك فى قوله تعالى فى سورة النحل : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وهذا فى معرض البيان لأسلوب البداءة حين القراءة ـ يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها .. إذ لا ذكر للبسملة فى الآية الكريمة . ولو شاء الله لجعل لها فى هذا المقام ذكرا .. ولكنه لم يفعل . وهذا له مفهومه ومدلوله . إذ من المقرر فى علم أصول الفقه : « أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر » فالمطلوب إذن فى بداية التلاوة : لون واحد من الذكر هو الاستعاذة ، وزيادة البسملة على التعوذ ، زيادة على نص قرآنى ، والزيادة على النص القرآنى نسخ له ، ونسخ القرآن لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور من كتاب أو سنة على الراجح . . وهذا بدوره يجرنا إلى ذكر الحديث الذى يعتمد عليه المبسملون فى أوائل السور أو أواسطها ، وقد روى هذا الحديث مرة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومرة عن ابن كعب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بباسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » فهذا الحديث يدل بعمومه على طلب البسملة حين إرادة التلاوة فى أوائل السور وفى أواسطها . . فإذا أضيف هذا إلى الآية السالفة الذكر . . كان المطلوب أمرين : التعوذ ، والبسملة . . هذا ما استدل به المجيزون للبسملة فى أواسط السور ... وعلينا أولا أن نبحث عن درجة هذا الحديث من الصحة والضعف ، ومن الشهرة وعدمها . . حتى يتأتى ـ فى نظر الأصوليين ـ أن نزيد به على التعوذ الذى اقتصر فى طلبه القرآن ـ تلك البسملة التى ندب إليها الحديث .

وهاك ما قيل فيه نقلا عن ابن السبكى فى طبقات الشافعية باختصار : وقع الاضطراب

فى هذا الحديث سندا ومتنا : أما سندا ، فالزهرى تارة يرويه عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، وتارة أخرى عن ابن كعب عن أبيه ، والراوون عن الزهرى : طوراً يروونه عن محمد بن الوليد الزبيدى ، وطورا عن محمد بن سعيد ، ويقال له الوصيف ، والأوزاعى ينقله عن قرة عن الزهرى ، وينقله مرة ثانية عن الزهرى نفسه ، ومرة ثالثة عن يحى ، وقرة هذا قال فيه ابن معين : إنه ضعيف ، وقال أحمد : منكر الحديث جداً ، وقال أبو زرعة : الأحاديث التى يرويها مناكير ، وقال أبو حاتم والنسائى : ليس بقوى ، وقال أبو داود : فى أحاديثه نكاره ، وأما المتن : فنى لفظ «كل كلام» وفى آخر «كل أمر» ، والأمر أعم من الكلام ، وفى ثالث «بحمد الله» ، وفى رابع «بالحمد» ، وفى خامس : «الحمد والصلاة على النبى» ، ولفظه «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علىّ فهو أقطع أبتر ممحوق البركة» ، وفى سادس : «بباسم الله الرحمن الرحيم» ، وفى سابع : «بذكر الله» . وفى بعض طرقه وصف الكلام أو الأمر بأنه ذو بال ، وذلك فى أكثر الروايات ، وفى البعض الآخر لم يذكر «ذى بال» ، وأحيانا يروى بدخول الفاء على المبتدأ الثانى : «فهو» ، وأحيانا أخرى بدون الفاء ، وفى حديث لفظ أقطع ، وفى آخر : أبتر ، وفى ثالث أجذم ، وفى رابع الجمع بين أقطع وأبتر وزيادة ممحوق من كل بركة ، وقد قال بعض العلماء : إن رواية الذكر أعم من رواية الحمد ، ورواية البسملة ، فيقضى بها على تينك الروايتين ، لأن المطلق إذا قيد بقيدين متنافيين لم يحمل على واحد منهما ، ويرجع إلى أصل الإطلاق ، ورواية الحمد أثبت من رواية الذكر ، فالحمد هنا إما أن يراد منه ما هو أعم من لفظه وهو الذكر ، أو خصوص الحمد : وأياما كان فالمأمور به لفظ الذكر . . أما على الأول فظاهر . . وأما على الثانى فلما تقدم من أن رواية الحمد حينئذ معارضة بالبسملة ، فيسقط القيدان ، ويرجع إلى أصل الاطلاق ، كما تقدم ، ومهما يكن من أمر . . فإن إرادة الذكر من هذا الحديث تتفق مع مدلول الآية الكريمة فى سورة النحل إذ أن الاستعاذة لون من الذكر .

والزهرى الذى روى هذا الحديث مرسلا أيضا قد ردّ الشافعى والمطلبى كل مرسلاته لاحتمال أن يكون طوى ذكر من لو أفصح عنه لرد من أجله . . كما حدث فى حديثه فى الصلاة مرسلا . . ثم وجد أنه رواه عن سليمان ابن أرقم وهو ضعيف .

وكما أرسله الزهرى ، فى بعض رواياته ، أرسله أيضا يونس بن يزيد ، وشعيب بن أبى حمزة ، وسعيد بن عبد العزيز .

فبعد كل هذا القيل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلا لأن يزاد به على نص قرآني ، وبالتالي لا يصلح لنسخ المتواتر إذ لم يصل بعد إلى درجة التواتر أو الشهرة .

ومما ينبغي أن يعلم أنه لاخلاف بين القراء في الإتيان بالبسملة لمن يتلو من بداية السور اللهم إلا إذا كانت السورة المبدوءة سورة « براءة » فإنه لا خلاف في حذف البسملة بين سورة الأنفال وبينها في حالة الوصل عند كل من بسمل بين السورتين ، وأما الابتداء بسورة براءة ، فالصحيح انعقاد الاجماع على حذفها أيضا عند أهل الأداء ، والاكتفاء بالتعوذ عملا بعموم آية النحل ، فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة ـ عدا براءة ـ لاخلاف فيه .

إنما محل الخلاف قراءة القرآن من أوساطه أيتعوذ له ويتبسمل كما هو صنيع القراء في مصر وغيرها ؟ . . أم يتعوذ فقط كما هي طريقة أهل الصومال وغيرهم . . وهنا نجد القراء فرقتين : لجمهور العراقيين على اختيار البسملة ، وجمهور المغاربة وأهل الأندلس على عدمها .

ومع اختلافهم هذا فإنهم يتفقون على أن البسملة لم تصح من جهة الرواية والاتباع . . بل إن المسلمين يستندون في استدلالهم إلى ما ليس بدليل لدى علماء أصول الفقه الذين فصّلوا تلك الأدلة في كتبهم تفصيلا . . إنهم يستندون إلى تحصيل اليمن والبركة أو إلى استبعاد البشاعة . . أو إلى القياس والرأى المحض ، والمتصفح لأدلة الشريعة التي تتناول بالحكم أفعال المكلف وأقواله لا يجد في ثناياها شيئا من ذلك : جاء في كتاب : « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري قول ابن شيطا . . « اعلم أنى قرأت على جميع شيوخنا في كل القراءات عن جميع الأئمة الفاصلين بالتسمية والتاركين لها ـ عند ابتداء القراءة عليهم باستعاذة موصولة بالبسملة مجهورا بهما سواء كان المبدوء به أول سورة أو بعض سورة ، ولا علمت أحدا منهم قرأ على شيوخه إلا كذلك » وهكذا نجد ابن شيطا يستند إلى قراءة شيوخه دون أن يبين لنا الأساس الذى ارتكز عليه شيوخه ، وقال ابن فارس في الجامع : « وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخي الذين قرأت عليهم في مذاهب الكل وهو الذى أختار ، ولا أمنع التسمية » فقول ابن فارس وهو الذى أختار دليل على أن القراءة بدون البسملة في أواسط القرآن أرجح منها بها عنده ... وقال مكيّ في تبصرته : « فإذا ابتدأ القارئ بغير أول سورة عوّذ فقط . هذه عادة القراء . وبترك التسمية في غير أوائل السور قرأت » .

والعجيب أن بعض القراء كان يبسمل

فى أواسط السور - تبركا - ويتحرج كل التحرج أن ينقل عنه ذلك رواية . . حتى لكأن البركة مصدر من مصادر التشريع فى هذا الباب ، وهذا اعتراف ضمنى بأن البسملة فى أواسط السور ليست نقلا واتباعا ، بقدر ما كانت رأيا وابتداعا : قال ابن الفحام : - قرأت على أبى العباس يعنى ابن نفيس - أول حزبى من وسط سورة فبسملت ، فلم ينكر علىّ . . ثم سألته : هل آخذ ذلك على طريق الرواية ؟ فقال : إنما أردت التبرك . وهكذا نجد السائل حين سأل ، والمسئول حين أجاب . قد نفيا أن البسملة أواسط السور تعتمد أساسا على شىء إلا أن يكون البركة . . وقد خشى الشيخ عاقبة هذه البركة فى النقل عنه فمنع تلميذه من البسملة وسط السورة بعد ذلك وقال : أخاف أن تقول: رواية ، ثم قال ابن الفحام : وقرأت بذلك على غيره فقال بعد أن سأله نفس السؤال : ما أمنع . . . أما أنى قرأت بهذا . . فلا . . ، وهو صريح فى أن البسملة فى غضون السور ليست رواية ، والمعروف لدى علماء القراءة : أن القراءة رواية تتبع ، ولا تبتدع : كما قال الإمام أبو عبد الله الكارزينى .

قال الدانى فى جامعه : (وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخى الذين قرأت عليهم فى مذهب الكل وهو الذى أختار . . ولا أمنع التسمية) .

وهنا يبدو الفرق واضحا بين الرأى المختار للدانى ، وإن كان مقابله غير ممنوع . . فإنه يعنى أن غير الممنوع - وهو التسمية فى أواسط السور - ليس مختارا ولا راجحا .

وهناك رأى للشاطبى مبنى على استكراه البشاعة حين توصل كلمة الرجيم باسم الله تعالى صريحا أو كناية ، فيأمر بالبسملة بعد الاستعاذة فى قوله تعالى « الله لا إله إلا هو » ، وقوله « إليه يرد علم الساعة » ونحو ذلك ، وكذلك كان يفعل أبو الجود غياث بن فارس وغيره وهو اختيار مكى فى غير التبصرة ، قال ابن الجزرى : وقياسا على هذا ينبغى أن ينهى عن البسملة فى قوله تعالى « الشيطان يعدكم الفقر » وقوله : « لعنه الله » ونحو ذلك للبشاعة أيضا . . والملاحظ أن البسملة وعدمها على هذا الرأى الأخير إنما تعتمد أساسا على الرأى والاجتهاد المجرد ، من بشاعة ونحوها . وهذا فى رأينا يكون سائغا لو لم يخطط القرآن طريقة محددة لبدء التلاوة ، أما وقد نص القرآن على أسلوب البدء وصوره بالاستعاذة ، واقتصر عليها فى مقام البيان . . فلا قياس بعد ذلك ولا اجتهاد مع النص .

وليس من همنا - ونحن نعالج هذا الموضوع - أن نستبيح كلمة التحريم بالنسبة إلى من نرى أنهم مرجوحون فى تقرير البسملة فى أوساط السور . . إذ لا يليق

توجيه مثل هذا الحكم فى محل للنظر فيه مجال، ولا مع جمهرة من مشاهير القراء، وإنما نستهدف من وراء ذلك أن نتعرف أى الاتجاهين أرجح فى كفة الميزان تحت ضوء البحث، وأيهما أمس بجوهر الدليل حتى نكون على بينة من الأمر.

ولابد أن يكون لهؤلاء القراء الذين بدؤوا قراءاتهم من أواسط السور بدون تسمية ـ مستندفيما ذهبوا إليه. فكلهم أجمع على أنه لم يجدرواية واحدة تستندإليها قراءة البسملة.

والمخالفون أيضا لم يدعوا ثبوت هذه الرواية.. وإنما ذكروا أن التيمن والتبرك هو الذى حدا بهم إلى تقرير البسملة.

والقرآن الكريم يجب أن يؤخذ بعين الحذر والدقة المتناهية فى تقرير كل ما يتصل به بداية ونهاية وكتابة وتلاوة.. حتى يتنزه كل التنزه عن كل ما ليس منه ليبقى ما بقى الدهر على صورته التى نزل بها أول مرة.. فمهما قيل فى حديث «كل أمر ذى بال» على نحو ما حاول ابن السبكى من أنه فى فضائل الأعمال، وأنه يتسامح فيها ما لا يتسامح فى غيرها.. فلن يرشحه هذا للتدخل فى نص قرآنى بتزيد أو تنقيص.. فلتجعل الاستعاذة خصوصية ابتداء التلاوة كما جعل التكبير ـ وليست البسملة ـ خصوصية افتتاح الصلاة والأذان والإقامة، وكما جعلت الحمدلة ـ وليس البسملة الخطبة ـ وكما جعل التهليل ـ وليس البسملة ـ خصوصية افتتاح الحج.

وهكذا نجد أن لبعض العبادات خصوصيات فى افتتاحها.. فلتكن قراءة القرآن من أواسط السور واحدة من تلك العبادات مميزة بخصوصية من تلك الخصوصيات ولا معنى لتحكيم الرأى هنا بزيادة البسملة ـ يمنا وبركة ـ إذ لو فتحنا باب البركة والتيمن هذا لوسعنا أن نقول بالحمد لله بعد التعوذ أو بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التعوذ.. أو بهما معا بعد التعوذ والبسملة تحصيلا لأكبر قدر ممكن من البركة. ولا سيما أنه قد ورد الحديث بكل منها وليست رواية البسملة أرجح من الحمد لله.. فالاقتصار على البسملة وحدها فى تحصيل البركة ترجيح بلا مرجح، ولا قياس لأواسط السور على بدايتها بعد أن تقرر أنه لا قياس مع النص وأننا فى أوائل السور نتبع رسم المصحف ونوافق الإجماع.

فسكوت القرآن الكريم عن البسملة واقتصاره على التعوذ فى محل البيان مع إمكان توجيه الخطاب بالبسملة أيضاً لا يخلو من حكم وحكمة، فأما الحكم: فهو إفادة الحصر الناشئة عن هذا الاقتصار، وأما الحكمة: فهو قطع الوسوسة الشيطانية والهواجس النفسية التى تتزاحم على رأس القارىء إبان التلاوة، فكان لابد من الاستعانة بالله فى دفع

وسوسة الشيطان لأنه وحده القادر على ذلك حتى تخلص النية ، ويصفو جوهر الروح لتلقى الإلهام والحكمة .

وبقى أن نقول : إن أشهر ماقيل فى صيغة التعوذ المطلوب فى ابتداء التلاوة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقد جاء فى الكشاف أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » فقال لى : « يابن أم عبد . . قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ » .

فهذا الحديث يدل من جهة على أن هذه الصيغة هى المختارة فى كل السور بلا استثناء . ويدل من جهة أخرى على أن البسملة ليست من خواص بداية القراءة . . بل إن التعوذ وحده هو الذى دل عليه الحديث بمنطوقه ومفهومه ، وقد حكى الإجماع على صيغة التعوذ تلك — أبو طاهر بن سوار ، وأبو العز القلانسى وأبو الحسن السخاوى فى كتابه جمال القراء ، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء كالشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم ، واختار صاحب الهداية من الحنفية لفظ : « أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم » لمطابقة لفظ القرآن « فاستعذ بالله . . » قال ابن النقاش فى ترجيح الصيغة الأولى : إن السين والتاء شأنهما الدلالة على الطلب فوردتا فى الأمر إيذانا بطلب التعوذ بمعنى استعذ بالله : اطلب منه ان يعيذك . . فامتثال الأمر ان يقول : « اعوذ بالله . . فإذا قالها المأمور بها فقد اجاب وامتثل » هذا فضلا عن موافقتها إرشاد القرآن فى هذا الصدد : « قل أعوذ برب الفلق » « قل أعوذ برب الناس » « رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم » .

والأظهر أن الأمر بالاستعاذة فى بداية التلاوة للندب كما هو مذهب الجمهور خلافا لداود بن على وأصحابه فقد ذهبوا إلى وجوب الاستعاذة حتى أبطلوا صلاة من لم يستعذ . حملا للأمر على الوجوب وهو رأى فخر الدين الرازى وعطاء بن أبى رباح . ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك ، ولأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولأن الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، واحتج الجمهور بحديث المسىء صلاته : حيث علمه الرسول فيه الصلاة ، ولم يذكر له الاستعاذة ، ... والظاهر أن بيان الرسول شامل لأحكام الصلاة وأحكام التلاوة معا .

وبعد :

فما أوردنا ظهر أن الاقتصار على الاستعاذة وحدها حين يتلى القرآن من أوساط سوره ـ أشبه بالحق ، وأقرب إلى الصواب .

وأنه لم توجد رواية واحدة تدل على تقرير البسملة فى افتتاح القراءة من أواسط السور .

وأن الناظر فى أدلة المبسملين فى أواسط السور لا يجد إلا التيمن والبركة دليلا ... أما أنه يعتمد حجة من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس (وهى أصول التشريع الأساسية) فهو مالا سبيل إليه .

وأن الاستعاذة مندوبة وليست بواجبة .

وأن صيغتها المختارة فى كل حال : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ولذا نرى أن ما درج عليه أبناء الصومال من التعوذ فقط حين قراءة القرآن من أجزائه هو أولى بالإتباع .

وأنأى عن الابتداع ؟

محمد محمد الشرقاوى

المدرس بمعهد الاسكندرية

بقية المنشور فى صفحة ٩٧٤

سابقا إلا أنهم قالوا : إن كل نفس بما كسبت رهينة ، وإنهم غير ملزمين إلا بأنفسهم فأصدر إليهم مكتوبا جاء فيه « واجب إلى أمنيتكم لراحتكم ضبط الخلائق لأنه إن كان يصير أصغر الحركات فلا بد أن أثقالها يقع على رءوسكم » وأعيد القبض على الشيخ السادات خوفا من إثارة الفتن فى البلد وإهاجة العامة لبغضه الفرنسيين .

وانجلت الأمور بقدوم الانجليز والأتراك من الشمال الغربى والشمال الشرقى ولم يبق أمام الفرنسيين إلا الحرب فأخذوا أربعة مشايخ فى الديوان رهينة لديهم وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ونقلوهم إلى القلعة ومعهم الشيخ السادات وأراد الفرنسيون أن يخفوا حقيقة موقفهم الحرج عن الديوان وظل مينو يرسل من آن لآخر صرخات متتالية للديوان طالبا منه الثبات والاتحاد والتكتل من خلفه ولكن لم يجدهم ذلك إذ سرعان ما اندلعت ثورة المنوفية بقيادة موسى خالد ثم تقدمت الجيوش التركية حتى كادت تقترب من القاهرة وكان الفرنسيون فى غاية من الهلع والخوف فكانوا يجمعون المشايخ كل يوم ليأخذوا عليهم المواثيق والعهود ويوحون إليهم بأنهم قد استقروا فى مصر ولن يخرجوا منها قائلين لهم « واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى » كما كانوا يدعون بوصول المدد إليهم وسرعة القضاء على الانجليز والأتراك وأشاعوا ـ بعد ذلك أن الصلح قد وقع وأفرجوا عن المشايخ المعتقلين وأعيد فتح باب الجامع الأزهر فى ٧ يولية سنة ١٨٠١ وشرعوا فى كنسه وتنظيفه ليعود قلعة من قلاع الحرية وحصنا من حصون الإسلام وداعية إلى القوة والعدل والخير والسلام .

فوزى عرفة

جُرم السّرقة في التّشريع الإسلامي والقانون الوضعي

للأستاذ محمد عطية راغب

١ — تمهيد :

السرقة فى التشريع الإسلامى تعد من الكبائر المنهى عن إتيانها ، بالكتاب ، وبالسنة ، والإجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى ، والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (١) .

وأما السنة فما رواه مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده (٢) .

وما روى عنه صلى الله عليه وسلم (٣) ، أنه قال : لا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس .

وأما الإجماع ، فقد اتفق المجتهدون على تحريم هذا الفعل (١) .

٢ — وعلة التحريم فى هذا التشريع قائمة على رغبة المشرع فى المحافظة على الأموال وصيانتها من كل اعتداء غير مشروع قد يقع عليها ، لأنه لو لم يتم الحد لأدى ذلك إلى كثرة وقوع هذه الجريمة والإخلال بالأمن العام والنظام فى الدولة .

٣ — وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول ، أولها فى تعريف السرقة وبيان الأركان المكونة لها ، وثانيها فى الأدلة التى يثبت بها هذا الجرم ، وثالثها فى تبيان العقوبة المقررة له .

تعريف السرقة وبيان أركانها :

٤ — ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين ، أولهما فى تعريف السرقة فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى ، وثانيهما فى الأركان الواجب توافرها فى هذا الجرم .

---

(١) آية رقم ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) نيل الأوطار . ج ٧ . ١٣٦ ، سبل السلام . ج ٤ ص (٢٠) ، نصب الراية لأحاديث الهداية ج ٢ ط ا ص ٣٥٥ .

(٣) فى حجة الوداع .

(١) المغنى : ج (١٠) . ص ٢٣٩ ، إبراهيم دسوقى الشهاوى . السرقة وما يتعلق بها من أحكام ص ٤ ، منصور يونس إدريس البهوتى . شرح منتهى الارادات . ج ٣ . ط ١٩٤٧ . ص٣٦٢ .

تعريف السرقة (١) :

٥ — فى المذهب الحنفى عرفها أحدهم (٢) بأنها ، أخذ مال الغير على سبيل الخفية والاستسرار .

وعرفها ثان (٣) بأنها ، أخذ العاقل البالغ عشرة دراهم أو ما يبلغ قيمته عشرة دراهم مضروبة من حرز لاشبهة فيه .

وعرفها ثالث (٤) بأنها ، الأخذ على سبيل الاستخفاء .

وعرفها رابع (٥) بأنها ، أخذ البالغ العاقل عشرة دراهم أو مقدارها ممن هو متصد للحفظ مما لا يتسارع إليه الفساد من المال المتمول للغير من حرز بلا شبهة .

وعرفها خامس (٦) بأنها ، أخذ العاقل البالغ نصابا محرزاً أو ما قيمته نصاب ملكا للغير لا شبهة له فيه ، على وجه الخفية .

٦ — وفى المذهب الحنبلى عرفها

[١] السرقة لغة هى أخذ الشىء من الغير خفية لسان العرب جـ ١٢ ط ٣ . ١٢ هـ ص ٢١ ، المحيط ص ١٩٥١ ، المصباح المنير جـ ١ ط ١٩١٢ ص ٤١٩

[٢] الفتاوى الأنقروية جـ ١ ص ١٥٩ .

[٣] على أبو بكر للرغينانى ، متن بداية المبتدى ط ٣ . ص ٩٥ .

[٤] الكاسانى . بدائع الصنائع جـ ٧ ط ١ ص ٦٥

[٥] شرح فتح القدير جـ ٤ ص ٢١٩ .

[٦] الفتاوى الهندية . جـ ٢ . ص [١٧٠] .

أحدهم (١) بأنها ، أخذ الملتزم نصابا من حرز مثله من مال معصوم لا شبهة له فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها ثان (٢) بأنها ، أخذ المال على وجه الخفية والاستتار .

وعرفها ثالث (٣) بأنها ، أخذ مال محترم لغيره وإخراجه من حرز مثله لا شبهة فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها رابع (٤) بأنها ، أخذ مال الغير على وجه الاختفاء .

وعرفها خامس (٥) بأنها ، أخذ المال على وجه الاختفاء من الحرز بشرط ألا تكون له شبهة فيه .

٧ — وفى المذهب المالكى عرفها أحدهم (٦) بأنها ، أخذ مكلف نصابا فأكثر من مال محترم لغيره بلا شبهة قوية خفية بإخراجه من حرز غير مأذون فى دخوله .

٨ — وفى المذهب الشافعى عرفها

[١] موسى أحمد المقدس زاد المستقنع ص ١٦٦ .

[٢] المغنى . جـ (١٠) . ص ٢٣٩ .

[٣] موسى الحجاوى المقدس . الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل جـ ٤ . ص ٢٧٤ .

[٤] عبد القادر عمر الشيبانى . نيل المآرب بشرح دليل الطالب . جـ ٢ ص . ٣٤٣ .

[٥] عبد الله قدامة . المغنم فى فقه أحمد بن حنبل جـ ٢ ط ١ ص ٤٩٣ وما بعدها .

[٦] يوسف عبد الرحمن المنياوى الفقه الواضح جـ ٤ . ط ١٩٥٥ ص ٧٤ .

أحدهم[١] بأنها، أخذ المال خفية من حرز مثله.

وعرفها آخر[٢] بأنها، أخذ البالغ المختار نصابا من المال من حرز مثله لا شبهة له فيه.

وعرفها ثالث[٣] بأنها، الأخذ لمال الغير خفية من حرز مثله.

وذهب البعض[٤] إلى أنها، أخذ الشيء أو المال خفية من حرز مثله بلا شبهة.

٩ — وفى المذهب الشيعى[٥] عرفت بأنها، أخذ مال الغير المحرم خفية من غير أن يؤتمن.

١٠ — ونحن نعرفها بأنها، أخذ البالغ العاقل الملتزم بحكم الإسلام نصاب القطع خفية من مال للغير متمول معصوم وإخراجه من حرز غير ماذون فى دخوله بلا شبهة[٦].

أما فى القانون الوضعى فهى إختلاس شيء منقول مملوك للغير بدون رضاه بنية امتلاكه.

أركان الجريمة:

١١ — أركان جريمة السرقة ثلاثة، ومن أجل هذا سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، أولها فى الأخذ خفية، وثانيها فى المسروق، وثالثها فى القصد الجنائى الواجب توافره لدى الجانى.

فى الأخذ خفية:

١٢ — لكى يتوافر الركن المادى المكون لجرم السرقة فى التشريع الإسلامى يجب أن يكون الأخذ من المجنى عليه خفية واستتارا فإذا لم يتم أخذ المال على هذه الصورة فلا يتوفر الركن المادى لهذا الجرم.

ولهذا لا قطع مطلقا على المختلس، لأنه يأخذ المال عيانا لا خفية وإن وجب التعزير.

كما لا قطع أيضا على المنتهب، لأنه يأخذ المال عيانا بالقوة وعلى وجه الغنيمة لا خفية وإن استحق التعزير.

ومثلهما الخائن الذى يأخذ المال المؤتمن عليه لقصور فى الحرز وإن استحق التعزير.

وكذلك يكون الحال بالنسبة لجاحد الوديعة أو العارية، وإن كان أحمد وإسحاق يقطعان فيها.

١٣ — ويجب أن يتم الفعل على صورة تامة، فخرج المسروق من حوزه، وتدخله فى الوقت نفسه فى حيازته، لأنه إذا لم يتم الأخذ بهذه الكيفية فلا حد عليه وإن إستحق

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج٧ ط ١٩٣٨ ص ٤١٨ و ٤٣٦.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن الشيرازى للمهذب. ج ٢. ص ٢٩٤.

(٣) أبو يحيى زكريا الأنصارى أسنى المطالب شرح روض الطالب ج ٤ ص ١٣٧ و ١٤٦

(٤) حاشيتا القليوبى وعميرة ج٤ ص ١٨٦

(٥) التاج المذهب ج ٤ ص ٢٢٥

(٦) محمد عطية راغب. جرائم الحدود فى التشريع الاسلامى والقانون الوضعى ا. ن ١٤٣.

التعزير ، خلافا للظاهرية فإنهم يوجبون القطع فى هذه الحالة .

١٤ ـ أما فى التشريع الوضعى فالاختلاس هو الفعل المادى المكون لجرم السرقة . وهو الفعل الذى يخرج به مقترف الجرم المسروق من حيازة المجنى عليه بغير علمه ، أو بدون رضاه ، ويدخله فى الوقت نفسه فى حيازة أخرى تختلف الاختلاف الكلى عن الأولى ، سواء أكانت حيازته هو أم حيازة غيره .

١٥ ـ وفى هذا التشريع تستوى الوسائل التى يستعملها الجانى فى إخرواج المسروق من حيازة المجنى عليه .

١٦ ـ ولقد ذهب الفقه والقضاء فى مصر ، إلى أن التسليم الذى ينتفى به ركن الاختلاس فى جرم السرقة هو ذلك الذى يكون حاصلا من شخص له صفة قانونية على الشىء المسلم ، والذى يكون صادرا عن إدراك واختيار ، ويكون مقصودا به التخلى عن الحيازة حقيقة . أما مجرد التسليم المادى الذى لا ينقل حيازة ما وتكون به يد المستلم على الشىء يدا عارضته فلا ينفى الاختلاس .

فى المسروق :

١٧ ــ ينقسم هذا المطلب إلى أربعة فروع ، أولها فى وجوب أن يكون المسروق مالا ، وثانيها فى وجوب بلوغ النصاب . وثالثها فى وجوب الأخذ من الحرز ، ورابعها فى وجوب عدم توافر الشبهة لدى الجانى فى المسروق .

فى وجوب أن يكون المسروق مالا :

١٨ ــ يجب أن يكون المسروق مالا . ولذا فلا قطع بسرقة الصبى الحر غير المميز ، وإن كان عليه حلية ، لأن الحر الصغير ليس بمال ، كما أن الحلية التى عليه تابعة له فتأخذ حكمه . وذهب أبو يوسف ، وابن المنذر ، إلى القطع بسرقة الصبى الحر إذا كانت عليه حلية تبلغ قيمتها نصابا وإلا ضاعت أموال كثيرة تحت هذا الستار .

١٩ ــ كما يجب أن يكون المال محترما شرعا . فلا حد فى سرقة مال الحربى فى دار الحرب . ولا قطع فى سرقة خمر ، وخنزير ولو لكافر أو لذمى ، وقد حكى عن عطاء أن سارق خمر الذمى يقام عليه الحد لأنه مال له شبهة كما لو سرق دراهمه ونحن لا نأخذ بهذا الرأى ، لأن الخمر مال محرم شرعا والقاعدة أن سرقة المال المحرم لا قطع فيه ولأن مالا قطع بسرقته من مال المسلم لا يقطع بسرقته من الذمى .

كما أنه لا قطع فى سرقة آلات اللهو ، وإن كانت عليها حلية تبلغ نصابا ، كالدف والطبل والزمار ، والطنبور ، والشبابة وإن بلغت قيمتها نصابا ، لأن هذه معازف قد ندب إلى كسرها .

كما أنه لا قطع بسرقة النرد ، والشطرنج ، وإن كانت من ذهب أو فضة .

ولا قطع أيضا فى سرقة كتب بدع ، أو سرقة كتب محرمة . أما كتب العلم المباحة فيجب القطع بسرقتها عند الحنابلة والشافعية لأنها مال حقيقة وشرعا ، أما الحنفية فيرون عدم إقامة الحد على الجانى فى هذه الحالة لأن المقصود من سرقتها هو معرفة ما اشتملت عليه من أحكام شرعية وهو ليس بمال ، وكفى بذلك شبهة توجب درءه الحد ونحن نأخذ بالرأى الأول .

٢٠ — وأوجب جمهور الفقهاء أن يكون المال المسروق مما ليس جنسه مباحا تافها ، فى دار الإسلام .

ولذا لاحد فى سرقة كلب ، ولو كان معلما أو كان للحراسة ، وحتى لو كان فى عنقه طوق من ذهب أو فضة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ثمنه .

كما أنه لاحد فى سرقة فهد ، أودب ، أو خشب ، أو حطب ، أو صيد وحشيا ، أو طير ، أو زرنيخ ، أو سمك أو تبن ، أو حشيش ، أو تراب ، لأن هذه الأشياء مما يباح جنسها ، ولأن الناس لا يتمولون هذه الأشياء .

وذهب الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل إلى عدم الاشتراط . ونحن نأخذ بهذا الرأى ذلك لأن الأموال التى توجد مباحة فى دار الإسلام متى أحرزت تعلقت بها نفوس من اختصوا بها .

٢١ — أما إذا سرق الجانى الساج ، أو القنا ، أو الأبنوس ، أو الصندل ، أو الفصوص الخضر ، والزبرجد ، أو اللؤلؤ أو الياقوت ، يجب إقامة الحد على الجانى ، لأنها أموال متمولة ومحرزة فى نفسه .

٢٢ — وإذا سرق الجانى عبداً صغيرا لا يميز فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية ومالك ، ذهبوا إلى وجوب إقامة الحد عليه ، لأن السارق مالا مملوكا متقوما . وذهب أبو يوسف إلى عدم وجوب إقامة الحد ، لأن عنده لا يقطع بسرقته كبيرا فلا يقطع بسرقته صغيرا .

أما إذا سرق عبداً كبيرا فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، ذهبوا إلى أنه لاحد عليه إلا أن يكون العبد نائما ، أو مجنونا ، أو أعجميا ، لا يميز بين سيده وغيره فى الطاعة ، لأن هذا العمل يعد خداعا لا سرقة .

(للبحث تتمة) محمد عطية راغب

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والاقتصاد

للأستاذ محمد محيى الدين محمد المسيرى

وفرة السكان ومستوى المعيشة :

إذا عظم عمران البلاد الوافرة السكان وازداد الدخل والخرج ارتفع مستوى المعيشة ، وهناك دائما اتجاه للتوازن بين الدخل والخرج فإذا زاد الدخل لحقه الخرج وبالعكس . وهذا التوازن الجديد يحصل فى مستوى أعلى فى البلاد الوافرة السكان وفى هذا الشأن يقول ابن خلدون : « وأما حال الدخل والخرج فمتكافىء فى جميع الأمصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ، ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر كل شىء » (١) .

وما علينا إلا أن نقارن احتمالات الكسب فى البلاد التى زاد عمرانها بازدياد سكانها « فإن تفاضل العمران فى الأمصار يكون بزيادة الكسب ... فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله فى الترف أبلغ من حال المصر الذى دونه على وتيرة واحدة فى الأصناف . القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر . والصانع مع الصانع ، والسوقى مع السوقى ، والأمير مع الأمير ، والشرطى مع الشرطى . واعتبر ذلك فى المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة ، تجد بينهما بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات ، وتجد أهل الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين فى الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفى بضروراتهم ولا يفضل ما يتأثلونه كسبا فلا تنمو مكاسبهم وهم لذلك مساكين محاويج إلا فى الأقل النادر . (١) ...

ومضمون هذا أن كثرة السكان تؤدى إلى رفع مستوى المعيشة فى حين أن قلة السكان تؤدى إلى قلة العمران وضعف قوة الشراء مع تقاربها بين السكان ، وأبلغ من كل ذلك أن السائل فى الأمصار الكبيرة له قوة سؤال ليست للسائل فى الأمصار الصغيرة ويقول : ابن خلدون فى هذا الصدد « فإن السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران . ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحى أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف واقتراح المآكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص ٣٤٣

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص ٣٤٣ و ٣٤٤ .

والملابس والماعون كالغربال والآنية : ولو سأل سائل مثل هذا بوهران أو تلمسان لاستنكر وعنّف وزجر ». ثم يسترسل فيقول : « ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى فى عوائدهم مايقضى منه العجب حتى أن كثيراً من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك، (١)

وإنما هى نتيجة الفوضى السياسية والارهاق المالى الذى يعم الدولة فى أواخرها مما يؤدى إلى نقص الإنتاج والامتناع عن التخزين : « فيقل اختزان الزرع وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة ، فطبيعة العالم فى كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والضرع والثمار على نسبته إلا أن الناس واثقون فى أقواتهم بالادخار ، فإذا فقد الادخار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا ... (٢) » .

ويشير ابن خلدون بذلك إلى أهمية التخزين فى التوفيق بين الإنتاج والاستهلاك ويرى أنه يخضع للعامل النفسانى ، فإذا لم يتوفر امتنع التخزين وكان ذلك سبب المجاعات ... وخاصة إذا كان المحصول غير ثابت ...

[١] مقدمه ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص ٣٤٣
[٢] مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الثالث ص ٢٨٦
فى وفور العمران آخر الدولة الخ .

فالمجاعات تضع حداً للنسل عند استحكام الحضارة . كذلك يؤثر الاستعباد فى قلة السكان . ويقول فى صدده « اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ أن غايتها ومصيرها انتهابها . وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاما فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال واختل حال المصر . كذلك حال الدولة لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة ... (١) » .

ويقول ابن خلدون رأيه فى تسخير الرعايا « ومن أشد الظلامات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا

[١] مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الثالث ص ٢٧٢
فى أن الظلم مؤذن بخراب العمران :

بغير حق وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات ... لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران ، فإذا مساعيهم وأعمالهم كلهــا متمولات ومكاسب لهم ، بل لا مكاسب لهم سواها فإن الرعية المعتملين فى العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك فإذا كلفوا العمل فى غير شأنهم واتخذوا سخريا فى معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم ، فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم فى العمارة وقعدوا عن السعى فيها جملة فأدى ذلك إلى انتقاض العمران [1] .

هذا وقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من هذا وتناول الموضوع من ناحيته الأعم فبحث فى أثر فقدان الحرية الإنسانية فى النسل ... وفى هذا يقول : إذا غلبت الأمة وصارت فى ملك غيرها أسرع إليها الفناء بما يحصل فى النفوس من التكاسل ، إذ تصير بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمــل ويضعف التناسل، والاعتمار إنما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية ، فإذا ذهب الأمل بالتكاسل تناقص عمران الأمة وتلاشت مكاسبها ومساعيها وعجزت عن المدافعة عن نفسها بما خضد القلب من شوكتها فأصبحت طعمة لكل آكل ، والإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى خلق له . والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل عن شبع بطنه ورى كبده ، وقد يقال مثل ذلك فى الحيوانات المفترسة فإنها لا تسافر إذا كانت فى ملكة الآدميين ... وما تزال الأمة المملوكة على أمرها فى تناقص واضمحلال إلى أن يأخذها الفناء ... واعتبر فى ذلك أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة فلما دخلت فى ملكة العرب لم يكن بقاؤها إلا قليلا ودثرت كأن لم تكن ، ولا تحسبنى أن ذلك لظلم نزل بها أو عدوان شملها فملكة الإسلام فى العدل ما علمت وإنما هى طبيعة فى الإنسان إذا غلب على أمره وصار آلة لغيره [1] .

ويقول العميد الأستاذ محمد صالح ، ولسنا نعلم كاتبا قبل أو بعد ابن خلدون وفق إلى هذا التحليل الدقيق لأثر الحرية فى الإنسان ، وأبرز فى الطليعة مكان الإنسان فى الوجود ووضع العزة الإنسانية فى نصابها الصحيح[2] وليس مثل هذا التفكير مستغربا من عالم عمد فى جميع كتابته إلى مناصرة الإنسان فى ظل السلطان العادل .

[1] مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الثالث ص ٢٧٤ ومن أشد الظلامات تكليف الأعمال وتسخير الرعايا

(١) مقدمة ابن خلدون ــ الفصل الثانى ص ١٤٠ و ١٤١ فى أن الأمة إذا غلبت آل إليها الفناء .

(٢) مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣ ص ٧٦٠

وفى ختام هذا البحث يتعين علينا أن نعقد مقارنة بين آراء ابن خلدون وآراء الاقتصاديين فى مسألة السكان .

ونحن هنا لا نود أن نكرر ما قاله الاقتصاديون تفصيلا فى مسألة السكان وإنما نكتفى بالتلميح للاتجاهات الكبرى فى التفكير الاقتصادى مقارنين إياها بما وصل إليه ابن خلدون فى بحثه .

ونود قبل أن ندخل فى المقارنة ، أن نشير إلى أن البحث عن السكان قد تطبع بظروف الزمان والإقليم .
أما ابن خلدون فإن كتابته علمية بحته مجردة إلى حد كبير عن تأثير الزمان والمكان . فهو لا يدرس إقليماً أو زمانا معنياً وإنما يدرس الاتجاهات الكبرى المجردة عن طابع الإقليم المعين أو الزمن المحدد .

وقد كان التجاريون [١] يعتقدون مثل ابن خلدون ، أن قوة الدولة إنما هى بعدد رعاياها ولذلك كانوا يشجعون زيادة السكان ؛ وكذلك قال الطبيعيون [٢] (الفيزيوكرات) وإن كانت آراؤهم تنقصها الوحدة والتماسك .

أما مالثس ، فخلاصة اعتراضه أن المواد الغذائية لا تستطيع أن تجارى زيادة النسل فلا بد إذاً من إيجاد التوافق بين إنتاجها وزيادة النسل ، وقد وضع ابن خلدون المسألة فى وضعها الصحيح بأن بين أن زيادة السكان إنما مجال أثرها فى مستوى الرفاهية لا فى مستوى القوت . وقد دلت الأبحاث الحديثة على صحة نظرية ابن خلدون عن القوت وإنتاجه . وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الرفاعى : « لا خطر من وجهة عدم كفاية المواد الغذائية ، فقد زادت المنتجات الغذائية لدرجة أن ما يعانيه العالم الآن ليس قلة انتاج ، بل إفراط انتاج ... » [١].

وإذا قارنا آراء ابن خلدون بآراء بيرسون رأينا وجه الشبه بينهما . فمدار البحث فى نظر كل منهما كثافة السكان وعلاقتها بالعمران وليس الفكرة المجردة عن الزيادة والنقص فى السكان . فليست الزيادة فى السكان فى كندا مثل زيادة السكان فى بلجيكا .

ويقول بيرسون إننا نجد عدد السكان فى البلاد الراقية أكبر منه فى البلاد المتأخرة وهذا يؤيد ما قاله ابن خلدون عن علاقة السكان بالعمران .

وإذا قورنت آراء ابن خلدون مثلا بآراء كارى فى السكان كان الحكم فى صالح ابن خلدون ولا شك أن مقارنة آراء ابن خلدون فى السكان بآراء غيره من الاقتصاديين تدل على عبقريته الفذة وذهنه الممتاز ، فهو وإن سبق هؤلاء الاقتصاديين بقرون ، إلا أنه كان فى بحثه موفقا كل التوفيق بل امتاز عنهم

(١) المذهب التجارى "Le Mercantilisme"
(٢) المذهب الطبيعى "La physiocratie"

(١) كتاب الاقتصاد السياسى باب مسائل السكان

بتجرد نظرته عن القيد الإقليمي أو الزماني، ومما يدل على صدق رأيه أننا نجد مثلا الدكتور عبد الحكيم الرفاعي يقول: «المسألة التي يعني الكتاب ببيانها في العصر الحاضر تنحصر في أنه لا محل للمخاوف التي أثارها مالتس في الممالك المتمدينة، لأن الخطر الذي تستهدف له الدول في العصر الحديث، ليس إفراط السكان، بل على النقيض من ذلك نقص عدد المواليد ...». كتاب الاقتصاد السياسي - باب مسائل السكان.

وفي هذا المقام قال رجل من رجال الاقتصاد العرب في تفنيده لنظرية مالتس: «لو كان عدد السكان يتضاعف كل ٢٥ عاما، لكانت الأرض امتلأت بهم منذ زمن طويل. لكن هذا لم يحدث إذ ما زالت هناك حتى الآن بقاع تكاد تكون خالية منهم، على أن مالتس كان متأثراً في قوله بواقعة خاصة لم يتكرر حدوثها مرة أخرى، وهي تضاعف عدد سكان الولايات المتحدة خلال القرن الثامن عشر في مدة تقرب من خمسة وعشرين عاما، فإذا كانت الزيادة لم تحدث طبقاً لما تنبأ به مالتس فلأن هناك أسبابا عديدة تمنع من ازدياد عدد السكان بهذه النسبة التي توقعها، إذ لا يمكن القول أن الزيادة في السكان هي بنسبة واحدة في مختلف الأقطار والأزمنة والطبقات.

كما يقول: «لا يوجد ما يبرر الشطر الثاني من النظرية، الخاص بمواد المعيشة، لأن مواد المعيشة قابلة للزيادة بنسبة أعظم من النسبة الحسابية، علاوة على ذلك فإن التاريخ يناقض قول مالتس، إذ زادت مواد المعيشة بنسبة أعظم من الزيادة في السكان، حيث يستهلك الفرد في الوقت الحاضر من الغذاء والملبس أكثر مما كان يستهلكه سابقه في القرون الماضية ...».

«وعلاوة على ذلك فكلما زاد عدد السكان تفننوا في إيجاد الوسائل اللازمة للمعيشة فتظهر آراء ومخترعات لم تخطر ببال أسلافهم فيجيء تقدم الزراعة والصناعة زيادة وسائل المعيشة كما يساعد عليها رقي طرق المواصلات والنقل بحيث يتخصص كل قطر في نوع معين من الإنتاج تساعده عليه ظروفه الطبيعية والاجتماعية معتمداً في باقي ما يلزمه على الأقطار الأخرى.

وقد قارن الدكتور محمد صالح نظرية ابن خلدون بنظرية مالتس فقال: «ونحب أن نذكر هنا أن مالتس عند تقريره لنظريته الشهيرة الخاصة بالسكان ... لم يعقب على نظريته مؤكدا قيود هذه النظرية وأهمها ما يترتب على زيادة السكان من زيادة تجزئة العمل المفضي إلى زيادة الطعام وهو ما لمحه ابن خلدون بألمعيته ... [1]».

محمد محيي الدين المسيري

(١) مجلة القانون والاقتصاد ص ٧٥٨ و ٧٥٩ سنة ١٩٣٣.

ماذا يُراد بالإسلام فى إفريقيا !

للأستاذ محمد عبد الله السمان

منذ أسابيع حمل إلى البريد رسالة مطولة تقع فى بضع عشرة صفحة من «الفولسكاب» أرسلها الأخ الشيخ عثمان على محمد ناظر المعهد العلمى الأهلى بجزيرة أبا بالسودان ، وسيادته قام بحمل الرسالة من أخ مسلم غيور على دينه فى مديرية « أبشة » بجمهورية « تشاد » الإفريقية شاء أن لا يذكر اسمه حتى لا يلحقه أذى الاستعمار الفرنسى وهو موظف فى إحدى الشركات الفرنسية هناك ، وأما فحوى الرسالة فهو المؤامرة الكبرى على الإسلام دينا وشعبا فى جمهورية إسلامية يمثل المسلمون فيها ٩٠ ٪ .

ونحن قبل أن نتعرض للرسالة التى طلب صاحبها منى أن أقوم بطبعها ونشرها ورفع نسخ منها إلى الأزهر والمؤتمر الإسلامى وأمانة الجامعة العربية ، والمجلس الإسلامى الأعلى بوزارة الأوقاف ، ثم إلى من يهمهم أمر الإسلام والمسلمين فى سائر البلاد الإسلامية — قبل أن نتعرض لهذه الرسالة يجب أن نمر مرورا عابرا على جمهورية « تشاد » التى نكاد نجهلها نحن المسلمين وهى قطعة عزيزة من الوطن الإسلامى .

جمهورية « تشاد » من الدول الإفريقية التى استقلت استقلالا زائفا تحت ستار مجموعة الشعوب الفرنسية المستقلة ، تقع غربى السودان وجنوب ليبيا ، يبلغ سكانها حوالى ثلاثة ملايين ونصف يمثل المسلمون ٩٠ ٪ . والباقون مسيحيون ووثنيون من عبدة الأشجار والأحجار ، استعمرتها فرنسا عام ١٩٠٥ أى بعد توغلها فى أفريقيا بثلاثين عاما .

والمؤامرة على الإسلام دينا وشعبا ينسج خيوطها الاستعمار الفرنسى بالطبع ، يستعين بأساليب جديدة يحقق بها مؤامرته ، وتساعدها جماعات التبشير الكاثوليكى ، التى يعول عليها كثيرا فى تنفيذ خططه .

ولما كانت اللغة العربية يتكلم بها ٩٥ ٪ من سكان تشاد المسلمين . لأنها وسيلتهم الكبرى إلى تفهم الإسلام وتدبر معانى القرآن والسنة الشريفة ، فقد عمد الاستعمار إلى اضطهاد هذه اللغة بشتى الوسائل ، وتحديد إقامتها فى مكاتب تحفيظ القرآن المعدودة على الأصابع ، والتى لا يسمح بإنشائها إلا بعد جهد جهيد ، وقد كانت توجد ١٥٠ جريدة عربية لم تمض خمس سنوات حتى أغلقت جميعا . والمدارس هناك فرنسية ، والمعهد الدينى المتواضع الوحيد سمحت فرنسا بإنشائه عام ١٩٤٦ ثم أغلقته عام ١٩٥٢ . ثم سمحت له

بنشاطه بعد أن ظل مغلقا زهاء أربع سنوات، ولكن تحت مراقبة بالغة فى الدقة. أما العقيدة الإسلامية فالاستعمار يعبىء لها كل ما يملك من وسائل، فإزاء فشل التبشير فى تنصير مسلم واحد، لجأ إلى حيل أخرى يهدف منها إلى تحلل العقيدة ذاتها فى نفوس المسلمين. عن طريق التشكيك، يلقنه النشء فى المدارس الفرنسية الابتدائية، كما يلقنه الشباب فى المعاهد الثانوية، كما يلقنه الكبار عن طريق الرسائل والكتب والصحافة الفرنسية والمحاضرات الرتيبة فى الحقول والمصانع على السواء.

ويقول الأخ صاحب الرسالة :

إن التبشير حين عجز عن تنصير المسلمين، ـ وهذه مهمته الأصيلة ـ أصبح يرضيه أن يتحلل المسلم من دينه ويتجرد من عقيدته. ويستخف بإسلامه، وهو يتخذ من أبناء تشاد الذين شاء لهم حظهم العاثر أن يتعلموا فى فرنسا هدفا يسلط عليه أضواءه ويستعديه على مقومات الإسلام.

والعجب الذى بلغ حـــد الخيال، أن الاستعمار الفرنسى فى سبيل أن يقلص عقيدة المسلمين خلال الأربعين عاما التى تلت استعماره لجمهورية تشاد لم يسمح إلا بإقامة ثلاثة مساجد فقط، واحد فى « أبشه » عاصمة مملكة وادى العباسية القديمة، وواحد فى قرية « شسكين » وثالث فى « فورت لامى » العاصمة الحالية. وبعد عام ١٩٤٥ وإزاء إصرار المسلمين على إنشاء المساجد، سمح بإقامة بعض المساجد الأخرى فى المدن الكبيرة التى يغمرها الفساد والانحلال الخلقى.

ويواصل الأخ المسلم حديثه عن جانب آخر له خطورته قائلا :

إن الاستعمار لم يتخل عن مهمته فى إبعاد المسلمين عن الإسلام، ولم يلق السلاح بعد، فهو حريص كل الحرص على إيجاد شعب لا يرتبط بعقيدته من قريب أو بعيد، فالعقيدة فى رأيه أقوى عقبة فى سبيل تحقيق أهدافه ومواصلة حياته، وهو لذلك لا يفكر فى الاستسلام مطلقا، ولا فى التقهقر خطوات إلى الوراء، بل يبتكر الأساليب الحديثة ما يجعله متشبثا برسالته، فنحن نراه اليوم يسلك شعبين يلتقيان عند هدفه فى تحطيم معنوية الإسلام.

فهو يشجع الجهل والخرافة والدجل والشعوذة بتشجيعه لبعض الطرق الصوفية الجاهلة وهى كفيلة بالاستيلاء على العقليات المتمدينة، وإبعادها عن مفهوم الإسلام الصحيح...

ثم من جانب آخر يولى زمام الحكم زعماء فقدوا ضمائرهم قبل أن يفقدوا عقائدهم، ووكل إليهم نشر الفساد من أوسع أبوابه ومسالكه، وأبرز مظاهره « البغاء » العلنى والسرى على السواء، حتى وصلنا إلى درجة من البهيمية لا مثيل لها فى سائر بلاد الله.

أما القائمون على عقائدهم الإسلامية،

الذين لم تجتذبهم أحدى الشعبتين ، فالمتوارون منهم فى سلام مؤقت ، والمجاهدون منهم ، حقت عليهم لعنة الاستعمار : سجن وتشريد واضطهاد وتنكيل وحرمان من لقمة العيش .

إن أخى المسلم الغيور من « تشاد » يتحدث عن الحكومة الوطنية هناك ، ولا تدهش إذا علمت أن رئيس هذه الحكومة فى الجمهورية الإسلامية « مسيحى » وليس هذا بعجيب ما دام للاستعمار الفرنسى اليد الطولى ، وإنما العجيب فى أن هذه الحكومة تجمع أموالا طائلة من الشعب للشئون الدينية الإسلامية والمسيحية معا ، أما الشئون الدينية المسيحية فيغدق عليها إغداقا شاملا ، وأما الشئون الإسلامية فيقتر عليها تقتيرا مثيرا ، وقد يتلاشى العجب والدهشة إذا علمنا أن مدير الشئون الإسلامية إما أن يكون مسيحيا وإما أن يكون يهوديا .

وفى مجال التبشير ظاهرة لا ندرى كيف نكيفها - كما يقول الأخ المسلم - فالمبشرون بالمسيحية يضمون إليهم عدداً وفيراً من اليهود ، جاء هذا العدد الوفير ليسهم فى تحويل المسلمين عن عقائدهم ، وكل مبشر من هؤلاء افتتح فى مسكنه مكتبا للاستقبال فيه علاج للمرضى ، وفيه تباع الكتب المدرسية المقررة ، ويمنح كل طالب لعلاج أو كل مشتر للكتب المدرسية رسائل دينية مسيحية تبشيرية بالمجان ، على غلافها : القدس - بيت لحم - ص . ب ٦٨ - الأردن ، وهذه الرسائل مطبوعة طبعاً أنيقا باللغة العربية ، والمقصود من العنوان تشجيع أى قارئ على طلبها بالمجان أيضا . وعنصر النساء فى التبشير يؤدى دوراً خطيراً ، بمجاله إغراء الشباب المراهق بمفاتن الجسد ، وما إلى ذلك .

إن كثيراً من أبناء جمهورية « تشاد » الإسلامية نزح إلى البلاد الشرقية ليتلقى العلوم الدينية فى معاهدها ، لاسيما الأزهر الشريف ، ولكن هؤلاء إذا ما عادوا إلى وطنهم الأم يكون مصيرهم الشارع ، فهم لا يمكنون من نشر الإسلام حتى فى مساقط رؤوسهم ، ولا يلحقون بوظائف الدولة لأنهم لم يتلقوا الثقافة الأوربية وهى شرط فيمن يريد أن يلتحق بوظيفة ، وهم إزاء ذلك إما أن يعودوا من حيث أتوا ليقطعوا مراحل حياتهم مهاجرين غرباء ، وإما أن يكدحوا فى الأرض إن كان فى أعناقهم أسرا يتحتم عليهم أن يعولوها .

ويتحدث الأخ المسلم عن ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل ، فهو يقول : إن المتدينين يقبلون على حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ويدفعون أبناءهم أيضا إلى حفظه ، أما العلوم الأخرى : مدنية أو دينية فلا مجال لها ، وهم يقاطعون المدارس الفرنسية تعبدا ، ويعتبرون أنفسهم فى نجاة وسلام وكفى ،

أما المسائل التى تهم الوطن الإسلامى : سياسية واجتماعية فلا يهتمون بها ، ولا يعنيهم من أمرها شىء ، والاستعمار يرحب بهم أيما ترحاب ، يرحب بانعزاليتهم وسلبيتهم ، ويتمنى أن لو كان شعب « تشاد » بأسره على طريقتهم .

* * *

وبعد ...

ففى المذكرة المسهبة الكثير من المآسى التى تحيق بوطن إسلامى يعيش فى قلب أفريقيا السوداء ، لا يكاد المسلمون فى سائر بقاع العالم يعلمون عنه قليلا أو كثيرا . فى هذا الجزء من الوطن الإسلامى الكبير يقوم صراع عنيف بين الاستعمار الفرنسى المسلح بكل وسائل التسليح الحديثة ، وبين العقيدة الإسلامية التى لا تملك إلا نفوسا متسلحة بالفقر والجهل والمرض ، وبينما الاستعمار يستورد المبشرين الكاثوليك ، والأفاقين الصهاينة ، ويغرى من يملك إغراءه من الوطنيين المارقين بالأموال والمناصب ومفاتن الجسد الرخيص ، ويعمد إلى التنكيل والتشريد والاضطهاد إذا ما فشلت وسائل التبشير والإغراء معا ، بينما يقوى الاستعمار الفرنسى على كل هذا ، يقف الشعب المسلم مكتوف اليدين ، يستغيث ولا مغيث ، ويستصرخ ولا مصرخ ، ويجند قسرا ليقاتل أخاه المسلم فى الجزائر ، ويصوب إلى صدره الرصاص إن أريد منه ذلك ، وهو يستمع إليه ينطق بالشهادتين ، ومع ذلك لا يستطيع أن يتبرم أو يتوقف ، لأنه يعلم مصيره إن حاول التبرم أو التوقف .

والذى نريد أن نقوله أخيراً :

إن فى الوطن الإسلامى كثيراً من الأقليات الإسلامية عددا وضعفا ، لم تزل تعيش فى بلادها ذليلة ، وفى ديارها غريبة ، وهى بين الفينة والأخرى تصرخ وتستغيث لأنها لا تملك إلا الصراخ والاستغاثة ، وحين تيمم وجهها فى صراخها واستغاثتها فإنما تيممه إلى الأزهر باعتباره القاعدة الكبرى للمسلمين فى سائر بلاد الله ، دون أن تيممه إلى رؤساء المسلمين وأمرائهم ، والأزهر يستطيع أن يفعل الكثير والكثير ، وأخشى ما أخشاه أن تتوالى صرخات المسلمين المعذبين فى الأرض ، ثم لا تجد صدى ، فتفقد الثقة والأمل فى الأزهر ، الذى لا تزال الشعوب الإسلامية بأسرها ترى فيه الجامعة التى ترنو إليها الأبصار ، وتشرئب إليها الأعناق ، ولاضير عليها بعد ذلك إذا هى ملت الكفاح المرير واستسلمت أو على الأقل تستكين ، وهى تردد من أعماق نفوسها ، والحسرات تمزق نياط قلوبها :

اللهم قد بلغنا . . اللهم فاشهد . . !

محمد عبد الله السمان

الإخلاص في تقدير الشريعة وعلماء النفس

للأستاذ عباس طه

عن أبى أسامة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شىء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ، رواه أبو داود والنسائى بسند جيد من كتاب الترغيب والترهيب .

هذا الحديث صريح فى أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة ويتعلق بذلك أمور : (١) فضل الإخلاص وقيمته فى نظر الدين الإسلامى . (٢) حقيقة الإخلاص ماهى. (٣) بيان حكمة مشروعية الإخلاص . (٤) هل عدم الإخلاص يحبط أجر العمل فقط أو يستلزم مع ذلك الإثم .

١ ـ فأما فضل الإخلاص فى نظر الدين الإسلامى فيدل عليه كتاب الله وسنة رسوله أوضح دلالة وقد ورد فيهما ما يفيد أن الإخلاص هو الأساس الذى تنبنى عليه الأعمال الصحيحة المقبولة ، فمن لم يخلص فى اعتقاده وقوله وعمله لا يحق له أن يطمع فى قبول شىء منها لا قليل ولا كثير بل قد تكون عند الله شرا ووبالا عليه كما ستعرفه بعد . فعلى أساس الإخلاص أمر الله الناس بعبادته ، قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، وذلك صريح فى أن الذى يعبد الله غير مخلص لا يكون محصلا للعبادة التى أمره الله بها قطعا . وعلى أساس الإخلاص وعد الله التائبين من المنافقين بالقبول والأجر العظيم مع المؤمنين العاملين، قال تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » ، وهذا المعنى قد جاء فى كثير من الأحاديث الصحاح ومنها حديث أسامة الذى نتكلم فيه هنا . ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحسب فى عداد المؤمنين العاملين إلا إذا كان مخلصا فى عقيدته ، مخلصا فى معاملة الخالق والمخلوق حسبما أمره الله تعالى وكفى بذلك دلالة على

فضل الإخلاص وقيمته فى نظر الدين . ولذا قال بعض علماء الأخلاق : إن أمر الدين كله يرجع إلى أصلين : عمل من الله لعبده ؛ وعمل من العبد لربه ، فمن أراد أن يظفر بالسعادة الخالدة فعليه أن يرضى بعمل خالقه ويخلص هو فى عمله له ، فمدار الدين كله على الرضا والإخلاص .

أما حقيقة الإخلاص فقد بينها علماء الأخـــلاق بيـانا حسنا وإليك توضيح ما قالو : إن الإخلاص هو عبارة عن تخليص العمل عن كل ما يمكن أن يخالطه من شوائب الشرك بجعله مقصوراً على السبب الذى حصل الفعل من أجله وهذا السبب يجب أن يكون صحيحا ممدوحا فى نظر الدين فإذا عمل الإنسان عملا مقصوراً على سبب فاسد كما إذا قصد بعبادته الحصول على لذة من اللذات كشهرة أو مال أو جاه فإنه لا يكون مخلصا فى عبادته لربه وإنمـا يكون لذلك الغرض الذى بعثه على العبادة وهذا لا يسمى إخلاصا شرعيا .

ويتضح من هذا البيان أن الإخلاص أمر يتعلق بالقلب وإن شئت قلت يتعلق بالنية وذلك لأن النية وهى الإرادة صفة نفسية يترجح بهـا تحصيل الفعل المرغوب فيه فإذا مالت إرادة الإنسان إلى أمر يرغبه وتعلقت به . سُخرت القدرة لتحصيل ذلك الأمر فإذا تعلقت الإرادة بالفعل لسبب باعث صحيح بدون أن يزاحمه سبب آخر كانت تلك النية خالصة والفعل المترتب عليها خالصا . وقد يسمى الفعل فى هذه الحالة إخلاصا ؛ مثلا : إذا تعلقت إرادة الإنسان بالجهاد فى سبيل الله أو بالحج إلى بيت الله الحـرام فتحركت أعضاؤه لتحصيل ذلك الفعل فإن انبعاث الإرادة وتعلقها بالجهاد أو الحج لابد أن يكون لغرض من الأغراض ، فإن كان ذلك الغرض مقصورا على ابتغاء مرضاة الله كما ورد فى الحديث كانت النية خالصة وكان الفعل المترتب عليها خالصا وكان الفاعل مخلصا ومثل ذلك ما إذا تعلقت نيته بالجهاد لغرض تحصيل الثواب الأخروى الذى وعد الله به المجاهدين فإن ذلك السبب يرجع إلى مرضاة الله أما إذا تعلقت إرادته بالجهاد لتحصيل الثواب وليكون له ذكرى حسنة ، فإن عمله هذا لا يكون فيـه إخلاص وذلك لأنه بناه على سببين : قصد الثواب وقصد الشهرة وعلو المكانة فى أعين الناس ، والسبب الثانى غير صحيح فى نظر الدين . فكانت نتيجة بنـاء العمل عليه حبوط أجر ذلك العمل وضياعه حتى كأنه لم يكن .

وهذا المعنى هو كقول علمـاء الأخلاق : إن الإخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا . بل يعمل لمجرد الغرض الدينى الذى بعثه على العمل، وعلى أى حال فالإخلاص

أمر يمكن تحصيله بسهولة متى كانت النفس مهذبة نشأت على حب الفضيلة ومجافاة الرذيلة بل ربما كان العمل بدون الإخلاص أشق على تلك النفوس الطاهرة من غيره فلا يجدون اللذة الحقيقية إلا فى العمل الخالص لخالقهم ولا ريب فى أن الذى يعمل لمرضاة الإله القادر الذى بيده مكافأة العاملين سينال من الجزاء أحسنه ومن المكافأة ما تقربه عينه من غير أن يتكلف قصدا لمكافأة والجزاء (على أن الأغراض الدنيوية إذا كانت مما يترتب على عمله فإنها تتحقق بدون أن يقصدها وقد يتحقق منها أضعاف ما يمكن أن يتصور).

أما حكمة مشروعية الإخلاص فإنها ترجع إلى أمرين عظيمين: أحدهما البعد عن الوثنية وما يشاكلها ولو ظاهرا، ثانيهما: استمرار أعمال البر ودوامها، فأما الأول فإن الدين الإسلامى قد جاء بتوحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وأنه هو وحده المستحق للعبادة لكونه موجدا للعالم وموجدا للوسائل التى بها يبقى العالم إلى الأجل الذى يريده فهو الخالق الرازق. أما الأصنام والآلهة التى يشركونها فى العبادة فإنها مخلوقة لا خالقة ولا تملك لهم رزقا فهى عاجزة عن إيجادهم وعن إيجاد ما به يعيشون. فمن السفه عبادتها ولذا قال تعالى: «إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه»، من أجل ذلك فرض الله الإخلاص فنهت الشريعة الإسلامية عن بناء الأعمال الدينية على أسباب غير مشروعة نهيا جازما لما فيها من التشبه بالوثنيين.

وأما الثانى: وهو استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه فذلك لأن الدين قد جاء بكل فضيلة ونهى عن كل رذيلة فحث الناس جميعا على تحصيل كل ما فيه سعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة فكل أعمال البر التى يترتب عليها عز الأمم ومجدها وهناؤها فى حياتها أمر بها الإسلام فقد فرض الإتحاد والتعاون على أعمال البر ونهى عن الفرقة والتخاذل وأمر بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات وفرض للمحتاجين قدرا معينا فى أموال الأغنياء، قال تعالى: «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»، وأمر بإغاثة الملهوف وإنقاذ المكروب وإعانة الضعيف والأخذ بناصر المظلوم وأمر بصلة الأرحام ومراعاة حقوق الجوار، والصدق والعفاف والعدل إلى غير ذلك من الأعمال التى يسعد بها المجتمع سعادة حقيقية.

وبديهى أن هذه الأعمال التى يتوقف عليها صلاح المجتمع وتنبنى عليها سعادته فى الدنيا والآخرة يجب أن تستمر وتبقى وهى لا تبقى

إلا إذا كانت مرتكزة على سبب دائم مستمر وإلا انقطعت بانقطاع أسبابها الزائلة . وهذا السبب الدائم الذى لا يتغير أبدا هو مرضاة الله فإذا عمل الإنسان هذه الأعمال امتثالا لأمر الله وابتغاء مرضاته كانت لازمة دائمة لا تنقطع أما إذا عملها لغرض شهوى فإنها تنقطع بانقطاعه طبعا . مثلا : إذا تصدق على الفقراء ليمدحه الناس بالسخاء فإنه لا يتأخر عن قطع هذه الصدقة إذا استغنى عن سماع مديحهم بعارض آخر أو يئس من ذلك المديح وكذا إذا أنفق بعض ماله فى أعمال البر للحصول على منصب أو جاه فإنه يقطع ذلك الإنفاق بمجرد الحصول على المنصب أو اليأس منه وفى ذلك غبن ظاهر للمجتمع ، ومثل ذلك ما إذا جاهد فى سبيل الله ليظهر بمظهر الشجاع فى عين امرأة يرغب فى زواجها فإنه يستغنى عن الجهاد ويقطعه حتما متى ظفر بها أو يئس منها .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وبالجملة فكل أعمال البر إذا لم تكن مبنية على سبب دائم فإنها تنقطع عند انقطاع سببها ومن مصلحة الأفراد والجماعات أن تستمر أعمال البر فيما بينهم فلا تنقطع ما دامت الحياة الدنيا . فمن أجل ذلك فرض الله الإخلاص كى يقصر الناس أعمالهم على مرضاة الله تعالى ويروضوا أنفسهم على أن يتسابقوا فى أعمال البر طمعاً فى مرضاته تعالى بصرف النظر عن الغايات والأغراض الأخرى لتدوم الأعمال الصالحة ويحظى العاملون بأعلى الدرجات .

ولا يغيب عن تقدير الحصيف من العلماء أن الإخلاص قدر فرضته السنة بآثاره وعواقبه الرضية المرضية على الذين يقدرون آثاره وعقباه ويفهمون دلالته وفحواه . على أن كثيراً من علماء السنة والجماعة ذهبوا إلى أن الإخلاص مفهوم عام يتفاوت بتفاوت أهليه وذويه وهو مع ذلك مفهوم لا يستقصى وحد لا يقصى .

إذاً : فالعاصم هو الله والموجه هو الله والملهم هو الله ، وكما قال العلامة الكبير ابن حزم فى كتابه الملل والنحل : إن الإخلاص مفهوم من المفاهيم العامة صعب المنال كثير الأثقال فهو لا يدرك إلا بتوفيق من العلى المتعال ، ولذلك يروى النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الناس هلكى إلا العالمون والعالمون هلكى إلا العاملون والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ؟

عباس طه

إفريقيا الجديدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب باسم (أفريقية الجديدة) صحفي أمريكي يكتب عن الرحلات بأسلوب الصحافة فيما تتعرض له من موضوعات الاستطلاع العلمي أو السياسي: وهي موضوعات - عند الصحافة العصرية - موفورة المادة من الإحصاءات والمراجع التاريخية والسياسية، يستعان عليها أحيانا بتوفير أدوات الرحلة السريعة بمزاياها ونقائصها التي تجتمع في شيء واحد: وهو السرعة أو العجلة.

فالرحالة الصحفي قد تزود لتأليف هذا الكتاب بزاد ضخم من الاحصاءات المجهزة والمراجع الموجزة وتذاكر السفر الحاضرة على كل مطية من المطايا الميسورة في القارة الأفريقيه، وهي تنتظم أنواع المطايا من قبل الطوفان إلى السنة الأخيرة بعد منتصف القرن العشرين ... ثم دون محصوله سريعا في إعداد العدة، وسريعا في استخلاص النتائج منها. فوضع بين يدي القارىء كتاباً يغنيه في مثل هذا الغرض للإحاطة السريعة بأحوال القارة الأفريقية في لمحات معدودات، ولكنها تستند وراءها إلى مستودع غير قليل من مراجع الوقائع والأرقام.

ولقد كان شأن الإسلام في مقدمة الشئون الأفريقية التي عنى بها المؤلف حيث ترتبط بالعلاقات الوطنية (المحلية) أو حيث ترتبط بالعالم الواسع كلما اتصلت بجهة من جهاته، وكلامه عن الاسلام في القارة الأفريقية هو الذي يعنينا من هذا المقال.

إن المؤلف يردد الحقيقة المقررة عن عراقة تاريخ الإسلام في القارة الإفريقية وعمق أثره بين قبائلها وشعوبها، ويزيد على المؤلفين السابقين أحيانا أنه يبحث عن عراقة الأسماء في المواقع التي يخيل إلى الكثير أنها «محض وثنية»، أو «محض جاهلية أفريقية» ... ومن ذاك أنه يتعقب الروايات المنقولة عن أصل كلمة (بورنو) أو (بورنيو) فيقول أنها على غير الظاهر من نطقها الإفريقي قد ترجع إلى كلمتين عربيتين وهما (بحر نوح) سقط منهما لفظ الحائين لأن الحاء لا تنطق في كثير من اللهجات الحامية فأصبحت (برنو) وأطلقت على موقعها لاعتقاد شاع بين العرب الأولين هناك عن علاقة بحيرة (شاد) بطوفان نوح.

ويرى المؤلف أن الإسلام أعرق وأثبت

فى القارة من أن تعوقه عن الانطلاق فى أرجائها عوائق التبشير أو المقاومة السياسية : « فإن المسيحية لم تفلح قط فى مقاومة الإسلام بالقارة ، وإنما كان العائق الوحيد الذى حال بين دين النبى وبين الانتشار فيها هو عائق ـ التسى تسى ـ أو ذبابة مرض النوم . إذ كان الإسلام ينتشر دائما على أيدى فرسان الصحراء وكانت الخيل عرضة للإصابة بأذى تلك الذبابة وليس لها عمل غالب فى أقاليم الغابات » .

ومن جملة « التسجيلات » الاحصائية أو العيانية التى راقبها المؤلف يخرج القارىء ببيان موجز عن مشكلات المسلمين فى بلاد القارة التى بلغت استقلالها أخيرا أو لا تزال فى طريق الجهاد لبلوغ ذلك الاستقلال .

ومن هذه المشكلات أن الحماسة للعقيدة الإسلامية يشوبها أحيانا جهل المسلمين البدائيين بفرائض تلك العقيدة واحتفاظهم بالكثير من أساطير الوثنية الأولى التى توارثوها عند جاهليتهم القريبة ، ولكنه يسوى بين القبائل الإسلامية والقبائل المسيحية ، التى تحولت عن جاهليتها بدعوة البعوث المسيحية فإن هؤلاء وهؤلاء معا يأخذون من الدين الجديد بالقشور ولا يتعمقون فيه إلى جوهره وروحه وقد يشاهد الأفريقى المسيحى فى الأقاليم التى تجاور القبائل الإسلامية وهو يلبس التعاويذ القرآنية و « الأحجبة » الموصوفة فى طب المشايخ والفقهاء ، كما يشاهد الأفريقى المسلم وهو يشرب الخمر ليعطى المرح حقه فى المواسم الدينية .

ومن المشكلات الإفريقية التى تعم المسلمين وغير المسلمين أن لهجات الخطاب بين القبائل تختلف فى القطر الواحد حتى تعد بالمئات ، وأن التفاهم بينها إنما يتأتى بلغة « تعليمية » يتلقونها من طريق الدعوة الدينية ؛ وهى بين دعوة تسرى من جانب المبشرين أو تسرى الآن كما سرت من قبل على أيدى السكان المسلمين .

ويذكر المؤلف أن المسلمين ربما تخلفوا عن جيرانهم الوطنيين فى بعض الأقاليم لأنهم قاطعوا المدارس العصرية يوم كانت تابعة كلها لبعوث التبشير ، فلم يتخرج منهم فى تلك المدارس غير قليل من الموظفين الصالحين لأعمال الدواوين .

وقد أغلقت مئات من هذه المدارس فى أعالى النيل وأواسط القارة ، ولم يخلفها عدد يضارع هذا العدد من المدارس الإسلامية أو الوطنية المنفصلة عن إدارة التبشير .

ولا يكتم المؤلف أنه لقى فى بعض تلك البلاد أناسا (محليين) يجهرون بالسخط على حكوماتهم ويتساءلون عن الدول الأمريكية والأوربية : هل لهم أن يتطلعوا إلى معونتها السياسية فى مقاومتهم لجيرانهم المسلمين ؟ !

قال : وإنهم ليعربون عن أسفهم علانية

كلما قيل لهم أن الدول لا تنوى أن تتعرض لهذه الشئون . . ثم يقولون : إنه لا أمل إذن فى غير معونة السماء !

وكلام المؤلف عن الأقاليم الإسلامية التى يراقبها جيرانها بين شواطىء الأحمر ووادى النيل جدير بالتأمل وطول النظر ، لأنه (غير مفهوم) على حقيقته وغير معلوم بتفصيلاته فيما ينقل إلينا عن أخبار تلك البلاد .

ويروى المؤلف أحاديث الزعماء المسلمين حيث يشيع الإسلام بين الملايين من السكان ، فينقل عنهم أنهم صريحون فى المجاهرة بنفورهم من الخضوع لغير أبناء دينهم . ولكنه يعقب على ذلك فى بعض المواضع فيقول : إن هؤلاء الزعماء على تدينهم ومشاركة الملايين لهم فى الدين ليس لهم أتباع سياسيون بمقدار عدد المشاركين لهم فى الدين .

ومن ملاحظات المؤلف على مسلمى الصحراء أنهم (محافظون متشددون) ينظرون بشىء من الريبة إلى مسلمى الحواضر ولا ينتظرون أن يتلقوا منهم الهداية الروحية ، لاعتقادهم أنهم مسلمون متفرنجون ، أو مسلمون غير أرثوذكسيين .

وقد أشار المؤلف إلى احتيال الفرنسيين على تعليم هؤلاء (الصحراويين) فى غير المدارس النظامية التى يعرضون عنها ويستريبون بها ، فإنهم أبدعوا فى الصحراء نظاما بدويا يناسبها ويستهوى إليه أبناءها ، وهو نظام المدارس المتنقلة كأنها ضرب من قوافل التعليم .

وقد أومأ المؤلف إلى خطة التفرقة بين العرب والبربر فى المغرب الأقصى ، واستطرد منها إلى الإلمام بآثارها السياسية والاجتماعية فى السنوات الأخيرة .

ويرى المؤلف أن من أسباب قوة الإسلام بين قبائل (الهوسا) إلى الجنوب من بلاد المغرب الأقصى أن الشعائر الإسلامية قد أصبحت عندهم « طريقة حياة » مع الإيمان بعقائدها الروحية ، وقلما ينجح المبشرون فى المزج بين التدين وأساليب المعيشة اليومية .

وقد أومأ المؤلف كذلك إلى نشاط الطائفة الإسماعيلية فى إفريقية الشرقية ، وإفريقية الغربية ، وقال إن واحداً من دعاتها فى (سيراليون) يقدر عدد الوثنيين الذين تحولوا إلى الإسلام على يديه بخمسة آلاف .

وقد تحدث المؤلف عن إقبال المسلمين الإفريقيين على تعلم دروس الدين فى الجامع الأزهر فقال إن أكثر من مائة وسبعين شابا صوماليا كانوا يتعلمون فى مصر سنه ١٩٥٧ ، وإن الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى تجتذب إليها المزيد من أولئك الطلاب عاما بعد عام .

السّباق الأربعة

صهيب بن سنان

رضي الله عنه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السباق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق الفرس » .

صهيب أحد السبعة الأول الذين أظهروا الإسلام استجابة لدعوة الرسول عليه السلام ، وناله من المشركين ما نال غيره من المستضعفين ، فقد أوذى وعذب فى سبيل الله ، ولم يزده هذا الإيذاء وهذا التعذيب إلا تمسكا بالإسلام وإخلاصاً له . قال خالد بن الوليد : « كنت شابا أحب أن أمتع ناظرى برؤية هؤلاء النفر يعذبون فكنت أرى منهم العجب العجاب ... من ذلك أننى رأيت صهيباً والقوم يعذبونه بالنار وينوشونه بالرماح ويلهبون جسمه بالسياط ومع ذلك فهو يتحدث إليهم حديث من لا يحفل بما كانوا يفعلون به من الأذى . وربما اشتد عليه العذاب ، فعقد لسانه عن القول برهة ، وتفصد جبينه عرقا ، ثم لا يلبث أن تثوب إليه نفسه فيعود إلى التحدث إلى معذبيه فى بعض أمرهم ، كأنهم لم ينالوه بمكروه ، فيستمرون فى تعذيبهم له بالحديد والنار والسياط ، ويستمر هو يعذبهم بهدوئه وثباته وتحدثه إليهم فى أيسر أمورهم ، حتى إذا ضجروا وملوا ضاعفوا له العذاب وخرجوا عن أطوارهم ، فينال صهيباً شئ الذهول ، ثم يأخذه شئ يشبه السكر ، فيمضى فى حديثه ولكنه حديث يجانبه الصواب ، عند ذلك يعلم معذبوه أنهم قد بلغوا منه بعض ما كانوا يريدون ، فيكفون عنه عذابهم .

يقول خالد : وأشهد أنى قد أتيت لأمتع نظرى فانصرفت وأنا كاره لبعض أمر هؤلاء القوم » .

* * *

ولد صهيب على الضفة الغربية لنهر دجلة بالموصل بالعراق لأبوين عربيين فأبوه سنان بن مالك من أحرار العرب إذ

ينتهى نسبه إلى زيد مناه بن النمر بن قاسط ، وأما أمه فمن بنى مالك بن عمرو بن تميم .

وقد ولى سنان أبو صهيب هو وأخوه بعض الولايات من قبل كسرى ملك الفرس . ولما كانت الحرب سجالا بين فارس والروم فقد أسر صهيب وهو صغير فى غارة من غارات الروم ، وهناك نشأ بينهم وتعلم لغتهم حتى غلبت عليه وأصبح لسانه يرتضخ لهجة رومية(١) وصار ألكن ليس فى مقدوره أن يفصح عن آرائه فى عبارة عربية صحيحة . ولذلك سمى (الرومى) ولحكمة أرادها الله بيع صهيب لرجل من قبيلة بنى كلب ، ثم باعه الكلبى بمكة فاشتراه مكرها عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب التيمى الذى عقدت قريش فى داره حلف الفضول .

وقد اشتهر صهيب بين القرشيين بالحذق والمهارة ونفاذ البصيرة وحسن النظر فى التجارة وتثمير المال ، فعهد إليه سيده أن يتاجر له فى ماله .

حدث حرب بن أمية عبد الله بن جدعان عن صهيب بعد أوبة من إحدى الرحلات التجارية إلى بلاد الحبشة قال :

لقد رأيته فى رحلتنا تلك إلى اليمن وعندما اجتزنا البحر إلى الحبشة ، يتحسس مصادر الربح وموارد الكسب، ثم يخبرنا عن الوجهة التى فيها لنا كسب ، فإذا ذهبنا إلى حيث ذكر بعنا كأحسن ما يكون البيع وشرينا كأحسن ما يكون الشراء ، لقد عرف كيف يرد موارد الربح فى بلاد النجاشى ، فاشترى من البضاعة ما لم نكن نطمع فى شرائه ، كما احتال حتى أعادنا إلى مكة فى سفن اتفق مع أصحابها أن يرسلوا معنا رسلا منهم يشترون منا إذا بلغنا أرضنا ما يملئون به سفنهم حتى لا تعود إلى الحبشة فارغة ، فهو بذلك قد أفادنا كسبا لم نكن لنحصل عليه فى رحلتين .

وأثنى عبد الله بن جدعان على غلامه ثناء جميلا ، ثم أحب أن يعتقه ، فقال له : لقد عزمت أن أرد عليك حريتك وأن أجعلك سيد نفسك ، ولكن بعد أن أختبرك اختبارا قاسيا .

فقال له صهيب : أمسك عليك هذه الحرية التى تريد أن تمنحنى إياها ، فالحرية لا تباع ولا تشترى .

قال عبد الله بن جدعان : ويحك يا صهيب ألم أشترك بمالى من الكلبى ؟

فقال صهيب : إن أحدا لم يشترنى من نفسى وإنما عدا على العادون فباعونى على كره منى ولم أكن عن ذلك راضيا .

ولذلك فإنكم تروننى عبدا منا تتسلطون على جسمى بسلطانكم وقوة مالكم ، وأنا

---

(١) فلان يرتضخ لكنة أعجمية إذا كان فيه شىء منها .

أرانى فى نفسى رجلا حرا لأنكم لا تجدون لأنفسكم على نفسى سبيلا .

فنظر إليه عبد الله فى دهش واستغراب وقال: لماذا لا تعمل كما يعمل غيرك من الرقيق الذين يكاتبون على أنفسهم ويشترون حريتهم بما يقومون به من أعمال وما يدفعونه من أموال.

فيرد عليه صهيب قائلا : لهم ما يعملون وأما أنا فلن أفعل فعلهم لأنى لست فى حاجة إلى شراء حريتى ، فأنا ما زلت أرانى حرا فى نفسى .

أما إن أردت أن تبلونى فإن مالك على من سلطان يبيح لك كل ما تريد ، فمرنى تجدنى عند ما تحب ، ولكن لا تعدنى شيئا ، فإن أبغض شىء إلى نفسى الأمانى والوعود ، ثم قال لسيده متعجلا : هون عليك فإنى سأخبرك بما تريد ولا تستطيع الإفصاح عنه ، فأنت تريد أن ترسلنى فى تجارتك إلى الشام ، ولكنك تخشى أن أفر بما استودعتنى من تجارة ومال ، عندما أرى الأرض التى تمتعت فيها بحريتى .

فقال عبد الله بن جدعان : أما هذا فلا ، إنك عندى أمين على المال والتجارة .

قال صهيب : إذاً فهىء تجارتك فسأذهب إلى حيث تريد وأعود إليك بمال لم تر مثله ، وليس لى فى غير قريتكم هذه مأرب . فقد أنبئت أن لى فيها شأنا أى شأن ، وهذا هو الذى يمسكنى على الإقامة فيها .

فيقول عبد الله بن جدعان متعجبا : وما ذاك يا صهيب ؟

قال صهيب : لو أنى عرفته لأخبرتك ، ولكن قساً فى بلاد الروم أخبرنى أنى سأباع بثمن بخس ، وأنى سأعيش فى بلدكم هذا شطرا من عمرى ثم أنتقل إلى بلد آخر أعيش فيه الشطر الذى يبقى ، ثم أموت وأدفن فى أرض الحجاز ، وقد صدقت نبوءة القس فى شطرها الأول ، وما أرى إلا أنها ستصدق فيما بقى فاردد على حريتى الآن إن شئت فإنى لا أفارق أرضكم ، ولو أنى أخرجت منها فى الصباح لرجعت إليها فى المساء ، وأعلم أنى لك ناصح أمين .

قال عبد الله بن جدعان : إذاً اصحبنى إلى المسجد فإنى أريد أن أشهد قريشا على أنك حر . ولكن صهيبا يقول له : ليس لى فى شهادة أحد على حريتى رغبة ، وحسبى أن تشهد نفسك وتشهدنى على أنى حر .

وأعتق عبد الله بن جدعان غلامه واستأمنه على ماله وتجارته ، وعلمت قريش بما فعل عبد الله فلم تنكر عليه شيئا مما فعل .

* * *

عاش صهيب زهرة شبابه فى مكة ينشر لعبد الله بن جدعان تجارته ويثمر له ماله فى بلاد قيصر وكسرى والنجاشى ، حتى أصبح

عبد الله بن جدعان من أكبر رجال قريش مالا وأعظمهم ثراء وأسخاهم عطاء .

فلما مات عبد الله استمر صهيب فى عمله حتى كثر ماله ، ولكنه كان لا يبعد فى التجارة عن مكة كثيراً ، وجعل يصل من كان يصلهم عبد الله بن جدعان ، فاطمأنت قريش إليه ووثقت به .

فلما بعث رسول الله عليه السلام وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام الذى يسوى بين معتنقيه على اختلاف أجناسهم ومراتبهم .

سمع صهيب أن محمداً يجتمع بأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يتلو عليهم ما ينزل عليه من كتاب الله ، فأحس أن ما كان يمسكه فى بلاد الحجاز منذ قدم إليها ، قد أصبح منه على قيد خطوات ، فيندفع إلى دار الأرقم ابن أبى الأرقم حيث يجتمع المسلمون يسمعون من رسول الله ، وأمام الباب يرى عمار ابن ياسر يقبل عليه يسأله :

ماذا تصنع هنا يا صهيب ؟

فيقول له صهيب : وماذا تصنع أنت ؟

فيجيبه عمار : أريد أن أدخل فأسمع من محمد وأعلم علمه .

فيقول صهيب : وأنا أيضا أريد ذلك .

ثم يدخل الرجلان فيسمعان حديث محمد وإنه لحديث ذو شأن يبهرهما ويشرح صدرهما للإسلام .

ويسمع أبو جهل بإسلام صهيب فينادى فى قومه أنه سيعذب صهيباً وآل ياسر جزاء اتباعهم محمدا ...

ونال صهيبا من السخرية والإيذاء والعذاب ما نال غيره من المستضعفين ما بقى فى مكه .

ولما اشتد إيذاء المشركين على محمد وأصحابه وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، لم يشأ صهيب أن يترك رسول الله ، وهو العليم بالكثير عن بلاد الحبشه ، والقادر على أن يجد هناك حياة حرة كريمة يمارس فيها تجارته ويعبد ربه ، ولكن نفسه قد تعلقت بمحمد فبقى بالقرب منه .

ولكن المشركين يلجون فى غيهم ويعملون على استئصال المسلمين ، فيأمرهم النبى بالهجرة إلى المدينة .

غير أن صهيبا لا تطاوعه نفسه أن يفارق مكة مدة بقاء الرسول فيها ، وكان يطمع أن يصحبه الرسول أو أبو بكر فى هجرته .

ويصبح ذات يوم فيعرف أن صاحبيه قد هاجرا إلى يثرب ، ثم يلحق بهما على ابن أبى طالب . عند ذلك يعزم صهيب على الهجرة ، فقد وضح له أن البلد الذى سيقضى فيه شطره الآخر من عمره هو يثرب ، وتعرف قريش أن صهيبا يريد الهجرة فتحبسه عن الهجرة مع من حبستهم

من أصحاب محمد ، تريد أن تفتنهم عن دينهم وأن تصدهم عن سبيل الله ، ويقبل أبو جهل وقد امتلأ قلبه غيظا وكمدا ، ويقول لصهيب على ملأ من قريش :

أتيتنا صعلوكا حقيرا لا تملك من الدنيا شيئا ، فكثر مالك وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك إلى محمد ، والله لا يكون ذلك .

قال صهيب : يا معشر قريش فإن خليت بينكم وبين مالى أتخلون بينى وبين ما أريد من الهجرة . . ؟

فيقول أبو جهل : هيهات ، فلسنا فى حاجة إلى مالك ولكننا فى حاجة إلى نفسك فسنعذبك حتى نأخذ مالك ثم نقضى عليك أو تعود إلى ديننا .

فينظر صهيب إلى أبى جهل فى ألم ويقول له فى صوت حزين :

لو عاش عبد الله بن جُدعان لما بلغت منى ما ترى .

وتمسك قريش صهيبا عن غرضه ولكنه لا يلبث أن ينسل من محبسه ويترك مكة ، فترسل قريش فى إثره الخيل ، تريد إرجاعه ، ولكن ما يكاد صهيب يرى المطاردين حتى ينثر كنانته ويقول لهم فى صوته الحازم : معشر قريش لقد علمتم أنى أرماكم سهما ، ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى ثم أضربكم بسيفى ما بقى منه شىء فى يدى ، أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟

ويجد القوم أنهم فى موقف لا يحسدون عليه فيؤثرون العافية والسلامة والمال ، ويقولون له نعم ، فدلنا على مالك .

فيخبرهم بمكانه ، فيعودون من حيث أتوا .

ويواصل صهيب رحلته إلى المدينة فيلقى من الجهد والوصب الشىء الكثير .

ولم يصل المدينة إلا وقد بلغ منه الإعياء والجوع مبلغا عظيما ، كما أصابه فى الطريق رمد جعله لا يرى إلا فى مشقة وصعوبة .

* * *

بينما النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه جلوس فى المدينة يتناولون بعض التمر شاهدوا شخصا مقبلا عليهم فى جهد وإعياء . فقام بعض الأنصار إليه يستقبلونه ويعينونه . وينظر النبى إلى القادم فإذا هو صهيب ، فيلقى السلام على الجالسين ثم يجلس ليرد بعض جوعه ببعض التمر . وينظر إليه عمر ابن الخطاب وهو يأكل التمر ، ثم يقول للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا ترى يا رسول الله إلى صهيب يأكل التمر وهو رَمِدٌ . !

فيقول صهيب إنما آكله بشقِّ عينى التى لم ترمد ، فيبتسم النبى ويضحك الجالسون . ثم يسأله النبى كيف استطاع الهرب من قريش ، فيقص عليه قصته وأنه لم يصل

إلى المدينة إلا بعد أن اشترى نفسه من قريش بماله جميعا . فيقول له النبي مبشرا ومواسيا : ربح البيع أبا يحيي ، ثم لا يلبس جبريل الأمين أن ينزل على حبيبه محمد بقول الله تعالى :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد . »

ولازم صهيب رسول الله وأصبح من أكثر المسلمين صحبة له وأقربهم مكانة عنده ، وشهد مع الرسول كل غزواته وبيعاته ، وقد اشتهر بين المسلمين بالحذق فى رمى السهام .

روى عن نفسه فقال :

« لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم قط إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين العدو قط »

وسار صهيب بعد هجرته سيرته الأولى يعمل فى التجارة بحذق ومهارة حتى كثر ماله وخاصة بعد الفتوح الإسلامية ، فكثر عطاؤه وسخاؤه وتحدث الناس عن كرمه وبره بالمسلمين ، فقد كان يجمع كل ليلة جمعا كبيرا من الناس حول الطعام .

ولما ولى عمر بن الخطاب أمرَ المسلمين ، وسمع الناس يتحدثون عن كرم أبى يحيى وسخائه ، سأل عن أبى يحيى هذا فأخبروه بأنه صهيب ، فعجب عمر لهذه الكنية إذ لم يكن لصهيب ولد اسمه يحيى . ولما التقى عمر بصهيب فى المسجد سأله عن كنيته وعن سرفه فى المال وعن نسبه ، فقال له صهيب أما كنيتى فقد كنانيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأما تبذيرى فى المال ، فما أنفقه إلا فى حق ، وقد سمعت رسول الله يقول :

(إن خياركم من أطعم الطعام ورد السلام)

أما نسبى فإننى عربى من أهل الموصل سبتنى الروم بعد أن عرفت أهلى وقومى .

وقد عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه لصهيب مكانته من رسول الله وسابقته إلى الإسلام فكان يقدره حق قدره ولا أدل على ذلك من وصايته له بأن يصلى بالمسلمين ، فعندما طعن عمر رضى الله عنه أوصى صهيبا أن يصلى بالمسلمين ثلاثا حتى يجتمع المسلمون على إمام .

* * *

وهذا أكبر دليل على المكانة التى وصل إليها صهيب . وهل هناك مكانة أعلى من أن يعهد إلى إنسان أن يؤم المسلمين فى الصلوات المكتوبة وأن يقوم حارسا على تنفيذ السياسة التى رسمها عمر لاختيار خليفته وأن

يفوض إليه أن يحسم الخلاف الذى يقوم بين المتشاورين بقتل الخارج على رأى الجماعة .

وفى خلافة عثمان بن عفان آثر صهيب الهدوء والدعة بعد أن تقدمت به السن فلم يشارك فى الحركات السياسية .

وتوفى صهيب فى السنة الثامنة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين للهجرة وذلك فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، بعد أن ظل مسلما أكثر من خمسين سنة عاصر فيها كل أحداث الإسلام من يوم مولده حتى أدرك اتساع رقعة الدولة الإسلامية .

وبالرغم من ملازمة صهيب للنبى صلى الله عليه وسلم مدة حياته فقد كان يتحفظ فى رواية الحديث عن النبى مخافة أن يخطىء ، وكان يقول للناس : (هلموا أحدثكم عن مغازينا فإما أن أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا)

فانظر كيف رفع الإسلام شأن المستضعفين من العرب وأحلهم المكانة اللائقة بأعمالهم مصداقا لقول الله عز وجل :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية المنشور على صفحة ١٠٠٢)

ولا نختم تلخيص هذا الكتاب دون أن نشير إلى موضعين فيه يستحقان من القارىء المسلم كل عناية بالتوسع فيهما والاعتماد على النفس فى استقصاء أخبارهما ، بنجوة من المصادر الأجنبية التى لا تخلو من قلة الاهتمام إن خلت من سوء النية .. وهذان الموضعان هما موضع « تسجيلاته وتبليغاته » عن تاريخ الإسلام الحديث فى جوار الحبشة ، وموضع « تسجيلاته وتبليغاته » عن مساعى الصهيونية فى القارة الإفريقية ، فإن المؤلف يطوى الأحاديث عن هذا الموضوع طيا لا يتسع للصراحة والبيان الوافى ، وإن تكن أيسر الصراحة هنا كافية للعلم بما وراء النيات ، أو للعلم بمحاولات الصهيونية المتشعبة للانتفاع بإشارة التعصب بين الأفريقيين المسلمين وغير المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

الكتب

الشوقيات المجهولة

للأستاذ علي محمد حسن العماري

هذا اسم كتاب أخرج الجزء الأول منه الدكتور محمد صبري ، وقد عني فيه بآثار شوقي التي لم يسبق كشفها أو نشرها ، كما كتب بحثا ضافيا ألقى فيه أضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه .

وقد كان في النية عند البدء في قراءة الكتاب أن أكتب عنه كلمة موجزة لا تتعدى التعريف به ، والإشارة العابرة إلى ما احتواه ولكني عندما تقدمت في قراءته رأيت أن من الظلم للكتاب أن يكتفى فيه بكلمة عابرة ، وأن ما تضمنه من دراسات جديرة بأن يقف القارئ عندها .

يبدو من عنوان الكتاب أن الغرض الأهم منه هو نشر آثار شوقي التي لم تكشف أو لم تنشر ، ولعل مؤلفه جعل هذا الموضوع كل وكده ـ بادىء ذي بدء ـ ولكن الدراسات التي قدم بها المؤلف ، والتي أشاعها في أثناء الكتاب لا تقل أهمية عن الغرض الأول الذي قصده ، والذي يدل عليه عنوان الكتاب .

ذلك أن المؤلف لم يقتصر — كغيره من ناشري الكتب — على آثار الشاعر الذي وجه همته إلى نشر تراثه ، ولكنه عرف بالشاعر ، وبأدبه ، وبعصره تعريفا كان محبو الأدب والتاريخ في مسيس الحاجة إليه .

رجع المؤلف إلى جميع الصحف والمجلات التي صدرت من (١٨٩٢ — ١٩٣٢ م) أي منذ أن سافر شوقي إلى فرنسا لدراسة الحقوق في جامعاتها إلى أن توفي ، والمؤلف يعتبر فترة الدراسة في أوربا من أهم الفترات في حياة الشاعر ، وكان ـ كما يقول ـ لها نتائج بالغة في جميع أطوارها ، وكذلك استعان المؤلف بكل ما نشر عن شوقي سواء في الصحف أو في المجلات أو الكتب التي صدرت بعد وفاة الشاعر ، ومثل هذه الدراسة ، مع معاصرة كثير من أحداث العصر ، ومع الصبر ونفاذ

البصر ، تؤتى أطيب الثمار ، وتوصل إلى أحسن النتائج ، وهذا ما لمسته بوضوح فى هذا الجزء من الكتاب .

عرف المؤلف فى أول صفحة من الكتاب بعمله الذى ضمنه هذا الكتاب فقال : لست بحاجة إلى القول إن الكتاب الذى أتقدم به بحث أدبى تاريخى ، يستند ككل بحث إلى قدرة الكاتب فى حسن العرض ، والاختيار وبناء الموضوع ، ومعلوم أن الطريقة التاريخية الحديثة تمتاز بتمحيص الوقائع ، ونشر الوثائق والتعليق عليها ، هذا هو لب لباب التاريخ ، يستوى فى ذلك تاريخ الحوادث ، وتاريخ الأدب .

وقد وجدنا لشوقى أكثر من مائة وثلاثين قصيدة أو حوالى ٤٠٠٠ بيت من الشعر وذلك بخلاف حوالى ١٠٠٠ بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة ، وبخلاف حوالى ستين مقالة أو قطعة نثرية ، وكل هذا لم يسبق نشره فى دواوين شوقى ومؤلفاته التى طبعت فى أثناء حياته ، وبعد مماته وبعبارة أخرى لقد وجدنا كل ذلك التراث بعد ما أفرغت أسرته كل ما فى جرابها ونشرته ،

ولست أشك أن المؤلف قد لقى صعوبات كثيرة ، وعانى متاعب جمة ، فى جمع هذا التراث وهو صادق حين يقول : « والواقع أن التوفيق ساعدنا كثيرا ، وليس فى مقدور القارىء مهما بلغ علمه أن يدرك المشقة التى يلقاها الباحث فى بحثه ، لأن القارىء لا يرى من البحث إلا النتيجة ، ولكن الطرق والمصاعب التى كابدها الباحث وعاناها ، وشقى فيها تظل متوارية وراء الغيب لا تدرك إلا بالظن » .

وهنا أمر يزيد من صعوبة البحث - كما قال المؤلف - وهو أن شوقى كان كثيرا ما يستعمل إمضاءات مستعارة ، بسبب أو بغير ما سبب ، وبهذه المناسبة قد ذهب الناس مذاهب فى تعليل اختفاء شوقى وراء إمضاءات مستعارة ، ولكن المؤلف يعلله بأنه نوع من الدلال ، دلال شاعر الأمير ونابغة العصر وشاعر الدارين .

وقد استعان المؤلف بحاسته الأدبية ، وبأنفاس شوقى النمّامة عليه فاستدل على شعر شوقى الذى نشره بامضاء مستعار ، ولا شك أن معاصرة المؤلف للنهضة الكبرى على يد البارودى وشوقى وصبرى أعانته على أن يميز هذا الشعر وإن كانت الأنفاس النمّامه لا تصدق دائما .

وقد أعجبنى بعد ذلك فى عمل المؤلف أمران :

الأول : تأريخه للقصائد التى نشرها وهذا التأريخ له أهمية كبيرة فى معرفة عصر الشاعر والعوامل المختلفة التى تأثر بها فى أدبه ، كما أنه يلقى أضواء ساطعة على الحياة السياسية والاجتماعية التى ولد فيها الأدب ، ولو أننا

عرفنا تواريخ قصائد كل شاعر من شعرائنا لتغيرت عندنا دراسة الأدب العربى إلى حد كبير ، ولعل من الأمور ذوات البال فى هذا التأريخ أن نعرف السابق واللاحق من الشعراء أو الشاعرين اللذين اشتركا فى معنى واحد ، وقد استعان المؤلف بهذا التاريخ ، فى حادثة جزئية ، ولها مثيلاتها فى تاريخ الأدب كله .

وكان أحمد نسيم الشاعر يقول إن شوقى فى بيته المشهور :

صونى جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحانى

أغار على اسماعيل صبرى فى قوله :

أنت روحانيـة لا تدعى
أن هـذا الجسم من طين وماء

وقد أخطأ نسيم لجهله بتاريخ القصائد . صبرى هو الذى أغار على شوقى . فقد نظم هذا الأخير قصيدته (الله فى الخلق من صب ومن عانى) والتى يقول فيها :

صونى جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحانى
أوفا بتغى فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا فى العالم الفانى

فى سنة ١٨٩٤ (وقائع ٧ مارس) ونشرت (المجلة المصرية) فى عدد يونية سنة ١٩٠١ قصيدة صبرى التى مطلعها :

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة فى ظل اللواء

والتى يقول فيها :

أنت روحانيـة لا تدعى
أن هذا الشكل من طين وماء
وانزعى عن جسمك الثوب يبن
للملا تكوين سكان السماء
وأرى الدنيا جناحى ملك
خلف تمثال مصوغ من ضياء

والمؤلف يقول قبل ذلك إن القارىء سيتبين المنهج الذى أتبعه فى تاريخ القصائد وذكر ظروفها ومناسباتها وشرحها ، وأنه لم يهمل وسيله من وسائل التحقيق .

الثانى : النقد الممحص الذى يشيع فى الكتاب كله من أوله إلى آخره ، وقليل من المؤلفين من يسلكون هـذا المسلك ، ولكنه فى الحقيقة أكثر جدوى ، على القارىء من أى عمل آخر ، وهو أدل على يقظة المؤلف ، ودقة إحساسه ، وسمو ذوقه وربما كان الجمع عملا شاقا ، ولكن العمل الأشق هو النظر بعين فاحصة ، وذوق نافذ فى هـذا الأثر الذى جمع .

ولم يقتصر نقد المؤلف على آثار شوقى بل تعداها إلى نقد كثير من الشعراء والكتاب فعرض فى الكتاب مثلا لابن زيدون وابن خفاجة والبارودى وحافظ وإسماعيل صبرى

والمويلحى والمنفلوطى ، وفى كل ذلك يعطى أحكاما نوافقه على أكثرها ونخالفه فى أقلها فهو يقول عن شوقى مثلا فى هامش ص ٢٠ بعد أن أشار إلى ضآلة محصول شوقى فى فترة الخمس السنوات التى قضاها فى ربوع الأندلس (١٩١٥ — ١٩١٩ م) : « ولا شك أن مواقع الأندلس ومشاهدها كان لا بد أن توحى إلى شاعرنا ديوانا ضخما من شعر الطبيعة وفلسفة الحياة ، فأين هذا الشعر ؟

ولكن شوقى عاش بذهنه وخياله فى البيئة العربية القديمة ، قريبا من تلك المواقع والمشاهد التى لا تشحذ إلا ذهن من يعرفها ويهيم بها ، ويستلهمها ، ويقف منها موقف العابد ، ويعيش فى أجوائها .

ومن هنا كانت ضآلة محصوله الحقيقى أو (الصافى) من ناحية الكم والكيف معا ويظهر أن شوقى نظم كثيرا ، وكتب كثيرا فى الأندلس ، ولكن بغير نظام كما أنه لم يحسن اختيار ما يلائمه من المواضيع [1] وطريقة معالجتها »

وعند المؤلف أن البارودى فيما عدا القصائد التى تعمد فيها مجاراة الأقدمين كان فى شعره طابع التجديد والشخصية لأنه كان شاعرا بالسليقة لا ينطق إلا عن عاطفة ووجدان صادق ، وليس له كما لشوقى عشرات القصائد التى تبتدىء بالغزل أو النسيب (الصناعى) وتنتهى بالمديح وذكر البدر والشمس والنوال والآساد والآرام جريا على عادة الشعراء العباسيين .

وشوقى — كما يقول المؤلف — ظل طول حياته يرمى بالدر ويرمى بالصدف فهو لم يتطور كما تطور مطران ، وقد كان لشوقى فى جميع عصوره شعر قديم ، وشعر جديد ، شعر رائع ، وشعر خسيس ، وهو يرجع بطء التطور عند شوقى أنه ظل طوال حياته لا يهتم فى أحاديثه وفى مطالعاته إلا بالأدب العربى ، أما مطران فقد تمكن من دراسة الأدب الغربى ، والتشرب بمذاهبه ، ومناحيه ، فساعده ذلك على التحرر من القديم فى نواح كثيرة فى سنوات » .

ويخلص من ذلك ، ومن إسراف شوقى فى استعمال بعض أدوات التشبيه بكثرة فى بعض القصائد : « فقد استعمل عشرين مرة كأن فى ستة وعشرين بيتا متتابعة » . إلى أنه لو لا هذه المآخذ والمناحى لاحتل شوقى مكانه فى الشعر العالمى . كما احتله فى الشعر العربى » .

---

(١) المؤلف يستعمل أحيانا كلمات أو تراكيب لا ترضى عنها العربية من ذلك قوله فى هذه الفقرات (فى فترة الخمس سنوات) ولا بد — على أصح الآراء — من تعريف المعدود إذا عرف العدد — كما فعلنا — ومن ذاك استعمال كلمة مواضيع ، ومفعول لا تجمع على مفاعيل ، وإنما تجمع جمع تصحيح ، وما جاء منه على مفاعيل نادر لا يقاس عليه .

فشوقى درس الأدب الغربى دراسة عابرة لا دراسة استيعاب ، وهذا مايقوله الدكتور طه حسين . وشوقى والمويلحى - فى نظر المؤلف - لم يتشربا الأدب الغربى ، ولم يكن فى مقدور أحدهما الموازنة بين الأدبين .

ويقف المؤلف وقفة قصيرة مع الدكتور أحمد زكى أبى شادى ، حول أبيات لشوقى ، فقد كتب أبو شادى فى مجلة أبولو (ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص ٥٠٠) عن شوقى يقول :

« حتى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ليس من الشعر فى شئ ، وإن كان آية من الحكمة الساذجة ، ولكن الشعر والحكمة تجتمعان فى مثل قولى شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

وقوله :

فما العبد إلا كالدخان وإن علا
إلى النجم منحط إلى الأرض سافل

وقوله :

ومن تبسم الدنيا إليه فيغترر
يمت كقتيل الغيد بالبسمات

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة فى « شوقياته » ، كما يوجد بجانبها غير قليل من النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعده من الفلسفة الشعرية فى شىء » .

ويعلق المؤلف على هذا النقد بقوله : لا نوافق الدكتور أبو شادى فيما ذهب إليه ، ونرى أن البيتين اللذين ذكرهما شوقى (دقات قلب المرء - فما العبد إلا كالدخان) بيتان جيدان من الناحية الشعرية فحسب ، لأن مادة كليهما صورة خيالية جوفاء ، وإن كانت جميلة . أما قوله : (وإنما الأمم الأخلاق) فهو حكمة عميقة .

والذى يبدو لنا أن كلا من المؤلف وأبى شادى على صواب ، فى اعتداده بالحكم الثلاث الأخيرة ، ففيها كما قال - شعر وحكمة ، وليست (دقات قلب المرء) من الخيال الأجوف - كما ذهب إليه المؤلف - وإنما هى حقيقة ثابتة ، يشعر بها كل حى ، كما أن التشبيه فى (فما العبد إلا كالدخان) مع جماله من الناحية الشعرية يعبر عن طبيعة ثابتة ، وحال معروفة فى صغار النفوس ، فهو يبرز لنا صورة نعرفها جميعا ، ونؤمن بها فى معرض شعرى جميل .

وقد أخطأ أبو شادى فى عده (وإنما الأمم الأخلاق) من الحكمة الساذجة ، والحق فى هذا الشأن مع المؤلف ، فإن كثيراً من الحكم يجرى على الألسنة ، ويشيع بين الناس ، ولكن ذلك لا يفقده روعته وقوته ، بل العكس ، قد يكسبه - فى بعض الأحايين - قوة وروعة ، وما سار وانتشر واهتزت له

النفوس إلا لأنه يعبر عن حقيقة رائعة فى حياة الجماعات .

وللمؤلف موقف آخر مع أديب آخر ، حول شوقى أيضا :

انتقد داود عمون - فى المقطم - قصيدة لشوقى ، فقال إنها من الشعر العادى ، وقد عاب على شوقى أبياتا منها قوله فى مخاطبة الليل :

يا ليل قد جرت ولم تعدل
ما أنت يا أسود إلا خلى

فقال إنه مما يذكر فى موضع الركاكة ، ثم قال : ومن المعانى السقيمة المضطربة :

تالله لو حكمت فى الصبح أن
تفعـــل خفت الله لم تفعل
أو طلت سيفا فى جيوش الضحى
ما كنت للأعداء ما أنت لى

فالبيت الثانى تكرار للبيت الأول ، وذنب الليل إلى الشاعر طوله ، وزواله إنما يكون بالنسبة إلى الشاعر وإلى الصبح فى وقت واحد ، فهو لا يفعل بالصبح عدوه أكثر مما يفعل بالشاعر .

واستمر الكاتب ينقد شوقى ، وجاء المؤلف فوافقه على كل ما قال ، ولم يأخذ عليه إلا أنه أغفل بيتا جيلا فى القصيدة .

ورأى أن المؤلف بذوقه الناقد الصافى كان يمكن أن يناقش داود عمون ، فمثلا قد جار عمون فى اعتداده هذا القول (ما أنت يا أسود إلا خلى) من الشعر الركيك ، لأن هذا الشطر يعبر عن معان نفسية رائعة ، فالسخرية من الليل واضحة فى قوله (يا أسود) والمفارقة واضحة فى خلو الليل من العشق والهم ، وامتلاء قلب الشاعر بهما ، والذواقة يحس عند قراءة هذا الشطر بالروح الشعرية قوية منفعلة ، ولا يلاحظ ركة ولا ضعفا فى النسج .

وقد تعرض المؤلف فى أثناء الكتاب للمقارنة بين شوقى وغيره من كبار شعراء عصره ، « ولا شك أن كمية الموسيقى والأنغام العميقة فى شعر شوقى أضعاف أضعاف موسيقى حافظ اللفظية الطافية التى هى أقرب إلى الضجيج الخطابى منها إلى الموسيقى ، ولا يستطيع التطريب وحسن الإلقاء مهما بلغا من الإتقان إلا خلق موسيقى صناعية وقتية تنطفئ بمجرد الإلقاء » ص ٤١ .

وشوقى ولا شك - على حد قوله - أرق خيالا من البارودى وحافظ ، قال ذلك بمناسبة وصف الشعراء الثلاثة للقطار ، فوصف حافظ معنوى ركيك لا تصوير فيه ولا إبداع ، والبارودى لم يسعفه خياله فلم يصور القطار ولا مناظر الريف المصرى ، ولكنه فعل ما فعله حافظ فيما بعد وأشرنا إليه فحشا قصيدته باستعارات وتشبيهات مبتذلة لا تمثل القوى التى تزخر بها الطبيعة والحياة ، أما شوقى فكان قوى الملاحظة ، فقد فتح عينيه على منظر

من أدق وأروع مناظر الطبيعة والحياة ، منظر سواد القطار وهو ينساب فى ضمير الليل والبلاد .. الخ .

ونحب - بعد هذا كله - أن نقف مع المؤلف وقفة قصيرة .

المؤلف لم ينشر كل شعر شوقى المجهول ، وإنما انتخب منه واختار ، وقد بنى اختياره على أن تكون القصيدة من غرر القصائد ، وأبيات المديح فيها قليلة ، كما أنه أسقط المديح الذى ليس له مغزى خاص (ص ١٠٣) وقد امتدح شوقى لأنه أسقط المديح من بعض القصائد ، خصوصا وأنه من الناحية الأدبية لا قيمة له ، وإن كان له قيمة من الناحية السياسية ولذلك رأى المؤلف فى هـذه القصيدة بالذات كان يجب أن تنشر (ص ٩٩) . وعنده أن أكبر إساءة إلى صبرى كانت فى نشر ديوانه بقضه وقضيضه من شعر الصبا إلى شعر الكهولة .

ونحن لا نوافق المؤلف على هذا الصنيع ، فكان يجب - من وجهة نظرنا - أن ينشر قصائد شوقى كاملة دون أن يحذف منها شيئا ، أو يعدل فى أبياتها لفظا ، لأن التاريخ يريد أن يعرف كل شاعر على حقيقته ، ولسنا نحن الذين نصنع الشاعر ، وإنما علينا أن نأخذه كما وجد ، والمديح الذى ليس له مغزى عند المؤلف قد يكون له مغزى عند آخرين من النقاد والباحثين ، ومعرفة الأطوار الفنية للشاعر ، والخلجات النفسية حتى والعواطف المتكلفة ، ضرورية وذات مغاز للتاريخ الأدبى ، والمؤلف نفسه هم بحذف قصة من القصص ، ولكن تبين له أن لها مغزى سياسيا وأدبيا ، فنشرها ، قال (ص ٢١٧) : كانت هذه القصة (أمة الأرانب والفيل) من قصص شوقى الأولى التى جارى بها لافونتين الفرنسى شاعر الحكايات على ألسنة البهائم والطير ، وهى خالية من روح الشعر التى ظهرت فيما بعد فى سنة ١٩٢٨ م فى (الوطن) ، «عصفورتان فى الحجاز» لذلك كنت أرى حذفها من شعر شوقى لضعفها حتى تبين لى من هذا المقال (يشير إلى مقال نشر فى المؤيد فى ٣١ يولية سنة ١٩٠٠) المغزى الأدبى والسياسى الرفيع الذى كان يرمى إليه شوقى فى نظم قصص وأناشيد الأطفال ، وأقول إن الخلو من روح الشعر هو - فى حد ذاته - مغزى يحتم على كل ناشر أن ينشر ما وجده من شعر شوقى أو غيره من الشعراء ، ومن المعروف من قديم أن الشاعر الحق هو الذى يجمع بين الدرة والحصاة فالناقد أو الباحث يهمه أن يعرف درر شوقى ، ويهمه كذلك أن يعرف حصاه .

وأنا معه فى العيب على شوقى الذى ضن

على نسيب إحدى قصائده بإعادة نشره في الطبعة الحديثة من ديوانه ، وإن لم يكن في ذلك الشعر من الحكمة وحسن الصياغة ما هو أعلى وأغلى من الكثير من مختاراته في باب النسيب من الجزء الثاني .

ولئن عذرنا الشاعر في حذف أجزاء من شعره لأنه يرى أنها تحط من مكانته الفنية فإننا لا نعذر الناشر لأنه لا ينبغي أن يذهب مذهب الشاعر في محاولته إظهار فنه في أعلى درجاته ، والمؤلف يعبر عن ذلك بقوله في ص ٢٢٦ : لذلك رأينا انتقاء الشعر الجيد الذي هو خير ما في الرواية (يريد رواية عذراء الهند) ولب لبابها ، ولا يشفع له قوله بعد ذلك : خصوصا وأن شوقي قد عاد إلى معالجة الموضوع شعراً وبأسلوب جديد في رواية قمبيز . .

والنقد الذي أشاعه المؤلف في جميع فصول الكتاب ، أعجبني ، واهتززت له كثيرا ، ولكني - مع ذلك - أحب أن أراجعه القول قليلا في بعض لمساته التي لم ترقني .

فضل قول شوقي في بعض قصائده : (والنفس إن صغرت لاشيء يؤذيها) على قول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

وقال إن شوقي أخذ المعنى من المتنبي ، ولكنه ربما كان أحق بالمعنى منه ، وهو حكم جائر على أبي الطيب ، فقوة الأداء في بيته ، والدقة ، والتمثيل الذي أكد المعنى وقرره ، والجرس الصوتي الذي يملأ السمع رنينا ، كل ذلك يجعل كلمة شوقي تتضاءل بهدوئها وبساطتها .

وآية ما ذهبت إليه هو تعليق المؤلف نفسه على بيت لشوقي :

لم نفق منك يا زمان فنشكو
مدمن الخمر ليس يشكو الخمارا

هذا البيت الرائع طالما أطنب في امتداحه الأديب الذواقة المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي وقد هبط به شوقي إلى الحضيض بصياغته الجديدة :

لم نفق منك يا زمان فنشكو
مدمن الخمر لا (يحس) الخمارا

فكل ما فعله شوقي أنه غير كلمة (يشكو) بكلمة (يحس) والفرق بينهما هو الفرق بين (يؤذيها) في كلام شوقي و (يسهل الهوان عليه) في كلام المتنبي .

وقد رُوى بيت شوقي في قصيدته (يا ليلة سميتها ليلتي) وهي القصيدة التي قيلت بمناسبة ولادة بنته أمينة ، ووفاة والده في ساعة واحدة ، روى هذا البيت :

والقلب ما بينهما حائر

من بلدة أسرى إلى بلدة

بكلمة (يسرى) بدل (أسرى) قال المؤلف : وبين الكلمتين بون شاسع ، أسرى تخفض البيت وتذهب بروائه ، ويسرى ترفعه .

ولست مع المؤلف فى هذا ، فزوج شوقى فى حلوان ، ووالده فى القاهرة ، زوجه جاءها المخاض ووالده جاءه الموت .

وقد انتقل الشاعر فى الليل — من بلد إلى آخر ـ ولا أظنه يريد أن يقول إنه طول الليل يتنقل ، ولا كانت المواصلات فى سنة ١٨٩٧ م تسمح بهذا التنقل المتكرر فى ليلة واحدة ، والذى يستفاد من الفعل المضارع (يسرى) . ولو كان فى أيامنا هذه لقلنا لعل الشاعر ذهب إلى حلوان ثم رجع إلى القاهرة ، ثم عاد إلى حلوان وهكذا ، لكن تاريخ القصيدة يجعلنا نعتقد أن شوقى جاء ليلا من أحد البلدين إلى الآخر ، وفى هذا من المتاعب ما فيه فى ذلك الزمان ، ويساعدنا على هذا الفهم أن القصيدة نشرت وأعيد نشرها فى حياة شوقى ، برواية الفعل الماضى ، أما الفعل المضارع فهو من رواية الأستاذ الجديلى ، ولا شك أن الشاعر أعرف بما يريد .

والمؤلف قد أدخل فى النقد ما ليس منه ، وذلك حيث يقول عن بعض القصائد : وهى جيدة النسج ، ولكن يعيبها أنها مدح فى توفيق وذم فى العرابيين . فمن الناحية الفنية لا يعيب القصيدة موضوعها ، وإنما يعيبها ذلك من نواح أخرى ، وهذا لا مدخل له فى النقد ، وإلا لألغينا كثيرا من الشعر العربى ، بل وكثيرا من الشعر فى جميع اللغات إذا كان الموضوع لا يرضينا .

ولست أوافق المؤلف على أن ابن خفاجة ليس له شعر يشف عن وجد بالطبيعة وتعلق بها ، وليس فى شعره إلا تشبيه متكلف ، ففوق أن النقاد يكادون يجمعون على أن ابن خفاجة شاعر الطبيعة نجد حياة ابن خفاجة كلها وجد بالطبيعة وتعلق بها ، وكذلك شعره ، أما التشبيهات فهى نتيجة هذا الوجد فيما أعتقد ، وإن كان يبدو فى بعضها التكلف ، فأى شاعر لم يتكلف ؟ ! .

(وبعد) فهذه الوقفات القصيرة لا تغض من قيمة الكتاب ولا تغير رأينا فيه ؟

على العمارى

بريد المجلة

فتاة من جنوب أفريقيا تشيد بجامعة الأزهر وترغب الدراسة فيها :

السيد وكيل جامعة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله .

سيدى :

اشتملت صحيفة محلية صادرة هذا الصباح على مقال يعلن السماح للفتيات بدخول الأزهر ، فإذا كان هذا النبأ صحيحا ، فإن الله قد استجاب لدعاء قلب معذب .

إننى إذ أكملت دراستى إلى مستوى الجامعة اضطررت إلى ترك منزلى طلبا للمعرفة الإسلامية ، نظراً لأن النساء فى بلدى - جنوب إفريقية - جاهلات بأبسط مبادىء الإسلام إلى درجة فاحشة ، وإن كان الرجال لا يفضلونهن فى هذا السبيل . والحق أن الإسلام كان ينتشر وما يزال ينتشر بدرجة هائلة ، ولكن لا توجد امرأة واحدة تستطيع أن تطفىء الظمأ فى قلوب آلاف من رفيقاتى إلى المعرفة الدينية . وقد كتبت واستفسرت من مختلف المعاهد فى أنحاء العالم عما إذا كان هناك « دارا للعلوم » مخصصة للفتيات ، يمكننى أن أقصدها لدراسة الإسلام قبل أن أشرع فى معاونة أخواتى الكثيرات اللاتى افتقدن العلم الواضح البسيط بالإسلام حتى كدن يصرن مسلمات بالاسم فحسب .

وما دام نساؤنا على حالهن فى الجهل بإمكانيات التطبيق العملى للإسلام فى حياتهن اليومية ، فإن التقدم العالمى للمسلمين الذى سيضطلع به جيل المستقبل ، سيفتقد الصلة الصحيحة بالدين . أفليست الأمهات من اللاتى يؤدين أعظم دور فى تنشئة الأطفال ؟

إن المعهد الوحيد الذى أجابنى كان فى باكستان ، وعند وصولى وجدت مستواه بسيطا جداً ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتنقل طوال ستة شهور ما بين الأروقة والأعمدة ، أرجو علماء الهند تلقينى القرآن والحديث على الأقل ، ولكن الجميع أعارونى آذانا صما ، لأنهم لا يرغبون فى تعليم فتاة .

إننى على استعداد لأمنح حياتى كلها للعمل على إنهاض الإسلام ، ولكننى أريد أولا فرصة لتهيئة نفسى . أعطونى فرصة لأعرف كلمة الله والنبى . إن علمى بالعربية محدود ، ولكنى أرغب فى الوصول إلى أى مدى من

العلم ، لأن مقصدى هو تعلم القرآن الذى نزل بهذه اللغة الشريفة .

فإذا كان صحيحا أن الأزهر سيفتح أبوابه للفتيات ، أرجو أن تصلنى بالبريد كل المعلومات . وهل هناك أى منح دراسية يمكن الحصول عليها ؟ إننى أسأل نظراً لأننى ابنة رجل محدود الدخل نسبيا . أما مؤهلاتى الدراسية فقد ذكرت أنى دخلت جامعة عادية . وقد عالجت دراسة لغتين أوربيتين ، التاريخ ، والجغرافيا ، العلوم (علم الحياة ، علم وظائف الأعضاء ، علم الصحة ، الطبيعيات) حتى مستوى الجامعة . كما أننى أعرف الأردية واللغة الإفريقية ، وبعض الفارسية ، وشيئا من العربية .

وأدعو الله أن يجعل الأزهر مركز المعرفة الدينية لا للرجال فحسب ، بل للنساء أيضا ، وليبارك الله من فكروا فى هذه الخطوة الحكيمة .

أرجو أن ترسلوا كل المعلومات فى أقرب فرصة نظرا لأنى فى هذه اللحظة لا أنتظم فى معهد مناسب ، وإنما أتعلم دروسا خاصة فى العربية بقصد التقدم للكلية الشرقية فى لندن التى عرضت منحا دراسية لسة طلاب .

المخلصة لكم فى الإسلام

الآنسة ز . آدم

دراسة عن العرب فى أندونيسيا :

وردت إلى المجلة تعقيبات على هذه الدراسة التى كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى .

وسنكتفى بنشر كلمتين من هذه الكلمات نرى فيهما غناء ، ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلمه عن العصبية البغيضة التى فرقت كلمة المسلمين فى الماضى ، فإن ديننا الحنيف يدعو إلى الوحدة والتواد والمحبة : وليس منا من دعا إلى عصبية .

العرب فى أندونيسيا :

لم أكن أود أن أرد على ماكتبه الأخ عبد القادر عبد الله الجفرى فى مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ . تحت عنوان « دراسة عن العرب فى إندونيسيا » ولكن أرانى مضطراً للرد على الجفرى ، تقريرا للحق وللواقع وللتاريخ وتصحيحاً للأخطاء التى ارتكبها الجفرى . فالأمل عملا بحرية النشر وخدمة للتاريخ ، أن تتكرموا بنشر ما يلى ، ولفضيلتكم منا جزيل الشكر والثناء العاطر .

قال الجفرى : التجار الحضرميون الأوائل الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وصولو وجاوة وغيرها من أحفاد المهاجر أحمد بن عيسى .

ونقول : إن المؤرخين الإندونيسيين

متفقون على أن أول من جاء بادئ ذي بدء لنشر الإسلام فى إندونيسيا هم جماعة من التجار من مسلمى « قوجارات » فى الهند ، لا من العرب وأن أول بقعة من بقاع إندونيسيا بدأ يرفرف عليها العلم الإسلامى وينتشر الدين الإسلامى فيها ، هى « ڤاسائى » « وڤيرلاك » فى سومطرة الشمالية ، وهـذا التاريخ هو المعروف والمعتمد عند الشعب الإندونيسى ، ويدرس فى المدارس والجامعات الإندونيسية الحالية فى الوقت الراهن .

ثم قال الجفرى : والعلويون هؤلاء كان منهم أولياء تجاب دعوتهم وتظهر على أيديهم الخوارق المشهورة وكان الناس يقدسونهم ويتبركون بآثار أقدامهم فيأخذون التراب الذى مسته أقدامهم وينثرونه فى منازلهم .

ونقول للجفرى . هكذا كان آل باعلوى ينشرون الخرافات والخزعبلات والشرك بالله فى المجتمع الإندونيسى . ولا يخافون الله ولا يخشون لومة لائم ، وهكذا بدلا من أن ينشروا مبادئ الدين الإسلامى الصحيح والعقيدة الإسلامية الصحيحة . فتجد الناس يعتقدون فى أهل القبور من الأموات والأحياء ، ونعوذ بالله ، ويتوسلون بهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال الجفرى : ولم يكن غير (العلويين) أحد من الحضارم يعانى الأسفار ويغامر فى البحار ، الخ .

ونقول : إن السادة الحضارم عرفوا الأسفار منذ القدم إلى الأقطار القريبة والبعيدة قبل وجود آل باعلوى فى حضرموت وبعد وجودهم فيها .

وقال الجفرى : ولم يكن أمام هؤلاء بادئ ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ما شاء الله من المال ، هنا يتدربون على البيع والشراء ببعض الحاجيات الصغيرة فيدورون فى الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ، ويدفع الثمن مقسطا بأرباح كبيرة ثم تغرهم سذاجة الأهلين وطيبتهم فيبدأون فى السير فى طريق المراباة والحيل ، ولقد نبغ منهم الكثير فى هذه العمليات فاحتلوا مكاناً من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا فى اختراع أساليب الابتزاز .

ونقول للجفرى : أما الاستجداء فقد اشتهر بممارسته بعض آل باعلوى سواء فى حضرموت أو فى غيرها من المهاجر ، وهذا شىء مشهور ومعروف عند السادة الحضارم وعند آل باعلوى أنفسهم ، ولا يختلف فيه اثنان .

وأما السير فى طريق المراباة والحيل ، فهذا شىء شاذ ، والشاذ لا حكم له . فإذا كان

ثمت شواذ من السادة الحضارم أخذوا يرابون فيما مضى، وجعلهم الجفرى حجة، فنى إمكاننا أن نقول إن بعض آل باعلوى أنفسهم كانوا يرابون ويحتالون على الأندونيسيين فيما مضى، ولكن مثلما قلنا إن الشاذ لا حكم له، ولا يمكن أن يؤخذ بالأعمال الشاذة وجعلها حجة وبرهانا.

وقال الجفرى: لا شيء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيراً من الحضارم كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار. الخ.

ونقول للجفرى: أنسيت أم تناسيت ما حدث فى أمشية من أعمال سومطرة الشمالية وفونتيانك — أندونيسيا — وغيرها من خيانات ومؤامرات نحو الوطن الأندونيسى؟ ومهما يكن الأمر، فإننا نرى ذلك من الحوادث الشاذة التى لا حكم لها كما أسلفنا القول. أو ليس الذى مثل هذه الحلقات الخيانية نحو الوطن الأندونيسى هم بعض أفراد من آل باعلوى؟.

شوكت البحرى

(أستاذ فى جامعة شكر وأمينوتو)

الجفرى والعرب فى أندونيسيا:

اطلعت بطريق المصادفة على مقال نشرته جريدة الطليعة الحضرمية الغراء نقلا عن مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٨١هـ. وذلك: عند ما زار مدينة الصولو بأندونيسيا فضيلة شيخ الأزهر طلب من الأخ عبد القادر الجفرى مقالا عن العرب فى أندونيسيا وحالتهم الاجتماعية وما ينقصهم وما يعترض سبيلهم فى أداء رسالة الإسلام وتعاليمه، والمفهوم بالبداهة أن فضيلة الشيخ كان يؤمل أن يقدم الكاتب دراسة علمية عميقة تعتمد على أصح المصادر التاريخيه الثابتة، إذ يجب أن لا تشوه الحقائق التاريخية، وتمزج بالميول والعواطف.

إنه لا يهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن يعلم أن فى الحضارم علويين وسلفيين وأن فيهم غوغاء ورعاعا وأميين، إذ فى كل أمة يوجد مثلهم، ولا يهمه أن يعلم أن المسلمين فى أندونيسيا كانوا يقبلون تراب أقدام العلويين، ولا يهمه أيضاً أن يعلم أن العلويين كانوا فى الماضى البعيد دعاة وهداة ومرشدين فى أندونيسيا، وأن غيرهم من المواطنين العرب الذين دخلوا أندونيسيا حديثا كانوا أشراراً وفسقة. وإنما الذى يهمه أن يعلم المجهود الذى يبذله العرب الآن فى أندونيسيا نحو رسالة الإسلام ولغته وكم عدد مدارسهم وما أدته من خدمة للإسلام وما ينقصها أو يعترضها من مشاكل فى أداء رسالتها الإسلامية، ولعل فضيلة الشيخ يشير

بطرف خفى إلى استعداده لأن يكمل النقص أو يزيل ما يعترضها من عراقيل ، ولكن الأخ الجفرى استغل هذه الفرصة السعيدة لصالحه وصالح قبيله فقط باستعراضه أساطير وقصصا ملفقة فى صورة تاريخ نزيه ليخلق لذويه نخارا من الأوهام ، فإن كان لنا ماض مجيد فهو فى تاريخ الإسلام فقط ومنه نستمد الفخار والعزة والكرامة ، وهذا للجميع لا لفئة دون أخرى .

نحن أمة واحدة يجمعنا تاريخ واحد وإن فضائل عرب الجنوب وعرب الشمال وعرب المغرب وعرب المشرق هى مفخرة للجميع ، كما أن رذائل طائفة منا يخجل لها كل العرب وبهذا نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له كل الجسد بالحمى والسهر .

قال الأستاذ الجفرى : إن التجار الحضرميين الأوائل ، الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وجاوا هم من أحفاد أحمد بن عيسى المهاجر إلى حضرموت ، وهو الجد الأعلى للعلويين الحضارم . ثم عطف وقال عن غير العلويين إنهم أوباش جهال ورعاع نفضتهم الصحراء إلى الخضراء فعاثوا فسادا واشتغلوا بربا النسيئة ، ونبغوا وامتازوا فى أساليب الابتزاز ، فكانوا كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار إلى أندونيسيا .

إننا نعتقد أن فضيلة شيخ الأزهر لا يريد من الأستاذ الجفرى فى دراساته التاريخية إشاعة مثالب طائفة من العرب المواطنين وإنما يريد أن يعلم الحد الأدنى للجهود العربية نحو رسالة الإسلام فى هذا المهجر بدون قدح ولا تجريح .

إنه من سوء حظ العرب أن الظروف لا زالت تتيح لبعض العناصر مساومات لحمل مسؤليات كبيرة وأمانات لا قدرة لهم بها تلك الأمانات التى أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال ، ومن مصائبنا أيضا أن الأميين وأنصاف المتعلمين الذين تتغلب عواطفهم على عقولهم يتقدمون بجرأة لحمل المسئوليات الثقيلة .

تاريخ الإسلام فى أندونيسيا أمر مختلف فيه جدا لقلة المصادر الوثيقة ، فبعض الكتاب يقولون إن الهنود هم الذين نشروا الإسلام ويستشهدون بآثار وتقاليد موجودة إلى الآن فى بعض مناطق أندونيسيا ، وأخيرا جاء السفير الإيرانى الحالى وزعم أن الفرس هم الذين نشروا الإسلام واستشهد بآثار لغوية وتقاليد فارسية لا زالت موجودة فى بعض المناطق الأندونيسية . والحق الذى لا جدال فيه أن الذين نشروا الإسلام هم لفيف من تجار المسلمين الذين جاءوا من الهند والبلاد العربية وفيهم من عرب المغرب

وعرب الجنوب ثم الهنود والفرس وكل ترك له أثرا فى مجتمع الإسلام بأندونيسيا وملايا وفلبين . أما قول الأخ الجفرى إن الحضارم المقتربين ينقسمون إلى قسمين قسم منهم يمثل صورة المسلم الداعى وللعربى المجاهد والتاجر النزيه والناشر لتعاليم الإسلام ولغة القرآن والباعث لروح الوطنية ومقاومة الاستعمار فى نفوس الأندونيسيين وهم أحفاد المهاجر إلى حضرموت أحمد ابن عيسى فذلك طمس لمعالم التاريخ وقلب للحقائق .

ونحن نمسك القلم عن الاسترسال مع رجائنا من الكتاب العرب أن يتجنبوا المفاخرات أو تخصيص طائفة من المواطنين بمحاسن والحط من قدر طائفة أخرى إذ لكل حسنات وسيئات فإن كان هناك مفخرة فهى مفخرة القومية العربية الشاملة لأن رفعتنا وسقوطنا واحد . وهاهى ذى البطولة الخالدة التى أظهرها عرب الجزائر فى نضالهم الوطنى المجيد يفتخر به كل عربى لأنه قسيم فى هذا المجد ومثل ذلك بطولة عرب عمان الأشاوس فى نضالهم ضد الاستعمار هو أيضا فخر لنا جميعاً كما أن مثالب طائفة منا هى عيب للجميع لأننا كالجسد الواحد . ولعل الأخ الجفرى ظلم التاريخ عندما قال إن عشيرته كانت مصدر روح المقاومة لحكم الأجنبى الغير المسلم وأنهم حالوا دون التعاون مع أهداف الاستعمار الهولندى بأندونيسيا.

كل هذه مزاعم تتعارض مع ما نشره السيد اسماعيل العطاس العلوى فى كتاب المذهب الذى طبعته ونشرته حكومة الهند الهولندية سابقا ثم أهدته لملكة هولندا بمناسبة ذكرى العيد الفضى عام ١٩٢٥ م وقد شرح الكاتب فى مقاله فضل العلويين على الاستعمار الهولندى وتعاونهم معه اهـ

لقد أساء الأستاذ الجفرى إلى الأمانة التى أسندها اليه فضيلة شيخ الأزهر ثم أساء إلى عامة الشعب العربى .

ومن أراد أن يفصل نفسه عن المجد العربى والعلم ليحاول أن يبنى له نوعا جديدا من المجد الخاص لطائفة خاصة فقد باء بالهوان . يجب على كل عربى أن يسعى جهده فى بناء مجد العرب كلهم بل المسلمين عامة على طريقة السلف الصالح . المجد المبنى على العمل والكفاح واقتحام المشقات لا الخلود إلى الكسل والراحة والاتكال على الأوهام والخرافات . فكل عربى يسعى لمجد العرب كلهم ويدعوهم إلى الوحدة والإخاء بدون احتكار الفضل له أو لذويه يحمله العرب على الأكتاف وفوق الرءوس ويضعونه فى سويداء قلوبهم على حد قول الرسول « خادم القوم سيدهم » . وها هو ذا جمال عبد الناصر

خادم القومية العربية والساعى لإعلاء كلمتها وتوحيدها وإحلالها مركزا مرموقا فى العلم والصناعة ولذلك نرى أفئدة العرب فى كل أقطارهم تهوى اليه وتلتف حوله لأنه خادم العرب كلهم لا طائفة خاصة .

عمر سليمان ناجى
جاكارتا . أندونيسيا

رد على نقد :

« يجادلونك فى الحق بعد ما تبين »

كتبت فى عدد رجب من مجلة الأزهر ـ عن الآية المذكورة ، وأوضحت فيها وجهين عن العلماء ، أحدهما أن الآية فى شأن الكافرين الذين كان دأبهم أن ينكروا الحق الذى جاء به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بصفة عامة ، دون تخصيص لإنكارهم بشىء معين ، بل التخصيص يكون خطأ فى الفهم . والآية على هذا الوجه مستأنفة عن السياق ، ولا علاقة لها بما قبلها فى شأن المؤمنين ، وهو وجه منصوص ، وقد حكيته عن المفسرين السابقين .

ثانى الوجهين ـ وهو المشهور الذى بنيت عليه حديثى ـ أن الآية فى شأن المؤمنين ، تمشيا مع ظاهر السياق ، وأن الحق الذى كان فيه الجدل هو الحرب مع قريش فى غزوة بدر الكبرى ، بعد أن أفلتت العير مع حراسها ، وأصبح واضحا للمؤمنين ، أن وعد الله بنصرهم صار الآن متعلقا بالحرب لامحالة : غير أن فريقا من المؤمنين يكرهون التعجل بها قبل أن يتم استعدادهم لها فى مواجهة عدو مستعد يكثرهم عددا ويتربص بهم الدائرة .

ونظرة عابرة فى صفحة ـ ٨٠٠ ، ٨٠١ ـ من عدد رجب تهدى إلى ذلك كله فى غير تكلف ، ولا عناء . .

ولكن بعض الإخوان فاتهم العلم بالوجه الأول ، وفاتهم أن يتمهلوا فى قراءة ما كتبت ، فاضطرب عليهم القصد ، وتجاوزوا ما أوضحت ، وزعمونى بترت الآية عن السياق ، ونسوا أن السياق ليس مانعا فى اصطلاح العلماء من قول آخر ـ كما أسلفت عنهم ـ وإنما هو مرجح فقط .

ولو أن الإخوان الذين زعموا مقالى بعيدا عن الآية تريثوا حتى يسألوا لأراحوا واستراحوا ... والله يهدينا إلى الحق ، ويزيدنا من أدب العلم .

عبد اللطيف السبكى
عضو هيئة كبار العلماء

رد على الرد :

أرجو أن يتذكر فضيلة الأستاذ الجليل الفرق بين الاستئناف البيانى والقطع أو الاستئناف النحوى ، ولو استحضر فى ذهنه الفرق بينهما ما خطر بباله احتمال أن يكون الجدال من الكفار ، بعد قول الله

« وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، ولو تفضل فضيلته فذكر أسماء المفسرين الذين اعتمد عليهم فى الوجه الأول لكان لنا معه كلام آخر ، ونكتفى بهذا القدر الذى لا يضيق به صدر ؟

عبد الرحيم فوده

متى تحرر إقامة هذه الكتب ؟

منذ سنوات طلبت منى سيدة مسلمة متدينة، تقدمت بها السن ، وعلى جانب من الثراء أن أعاونها فى عمل رأته خيراً - بل كل الخير - للمسلمين ، كانت تود أن تطبع بضعة آلاف من كتيب صغير ، أطلق عليه « المجموعة المباركة » وحاولت أن أقنعها - وعبثاً حاولت - بأن فى مثل نشر هذه الكتب الضالة المضلة تشويهاً للإسلام نفسه وإساءة إلى معانيه ، وتركتها تبحث عمن يشترك معها فى جهلها .

وقبيل شهر رجب الماضى طلبت منى من تمت إلى بأوثق الصلات أن أحضر لها كتيبا دينيا مشهوراً فيه قصة عبد الله بن السلطان واستغفاره الذى يقرأ فى شهر رجب ، وذكرت لى أنها سألت السيدة ناظرة المدرسة التى تعمل فيها - وقد حجت قريبا إلى بيت الله - لِمَ لَمْ يظهر أثر للتدين على حياتها ، والمعروف أن المسلمة بعد أن تحج تبدأ مرحلة جديدة فى مظهرها ومبطنها ؟ .

وأجابت السيدة الناظرة ، بأن الأعمال بالنيات ، وأنها لو قرأت قصة عبد الله ابن السلطان لأيقنت ذلك . .

وسعيت بنفسى إلى إحدى مكتبات ميدان الأزهر لأشترى « المجموعة المباركة » وكدت أفجع حين علمت أن هذه المجموعة يطبع منها مئات الألوف لترسل إلى السودان والمغرب العربى ودول أفريقيا الإسلامية .

أما المجموعة المباركة فتحتوى على أدعية مأثورة وغير مأثورة ، ثم على قصة المدعو « عبد الله بن السلطان » وقصته كما روتها المجموعة : أنه كان معاصراً لرسول الله - صلوات الله عليه - وكان يرتكب شتى الموبقات ويتمرد على الفرائض الدينية بأسرها ، وعند ما مات ولم يقبل على تشييع جنازته أحد ، أوحى الله إلى رسوله بالصلاة عليه وتشييع جنازته والنزول فى لحده ، وحينما سئل الرسول لم كان يمشى على أطراف أصابعه ولم ابتسم وهو خارج من لحد الرجل ؟ أجاب : بأنه تزاحم الملائكة فى التشييع وتنافس الحور فى استقبال هذا الميت . .

وقصد الرسول إلى منزل الرجل ، وعلم من زوجه أن زوجها كان عربيداً فاسقا حتى بلغ به الفجور إلى شرب

الخمر فى نهار رمضان وما إلى ذلك ، إلا أنه كان إذا أقبل شهر رجب قرأ استغفاراً ، ومن كثرة قراءته حفظته منه ، فأمر رسول الله عليا بتسجيل هـذا الاستغفار ، ثم عقب بقوله :

« من قرأ هـذا الاستغفار وجعله فى بيتـه أو فى متاعه جعل الله له ثواب ألف صديق ، وثواب ثمانين ألف ملك ، وثمانين ألف شهيد ، وثمانين ألف حجة ، وثمانين ألف مسجد ، وثمانين ألف من أعتق رقبة من النار ، وثواب سبع سموات وسبع أراضين ، وثمانية أبواب الجنـة والعرش والكرسى واللوح المحفوظ والقـلم ، وثواب نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... » .

ومن قرأ هـذا الاستغفار فى جميع عمره مرة واحدة ، غفر الله له ولوالديه ولو كانوا من أهل النار ، ومن قرأه بنى الله له ثمانين ألف قصر فى كل قصر ثمانون ألف حجرة ، فى كل حجـرة ثمانون ألف سرير ، على كل سرير ثمانون ألف حورية من الحور العين . إلى أن قال المؤلف المدعو « عبده محمد بابا » ومن شك فيه فقد كـفر والعياذ بالله .

وبعد — فقد يكون من الممكن أن نلتمس عذرا لسيدة تركية متدينة وعلى جانب من الجهل ، هى تلك التى رأت من الخير للمسلمين أن توزع عليهم « المجموعة المباركة » ، وهى تؤمن بكل ماجاء فيها إيمانا راسخا . ولـكن كيف نلتمس العذر لسيدة على جانب من الثقافة ، ويوكل إليها الإشراف على توجيه المئات من النشء وهى تثق فى مثل هذه الخرافات الضالة المضلة التى لا شك فى أن صانعها ليس إلا واحـدا من اثنين : يهودى يود هدم الإسلام فى نفوس المسلمين ، أو زنديق متحلل يود أن يشاركه المسلمون فى انحلاله وتحلله .

ويحتمل أن يـكون هنـاك ثالث ، ولـكن هذا الثالث لابد أن يكون من مدمنى المخدرات ، سولت له المخدرات أن يبتكر هذه الحالات أو هذه الرزايا .

ليست المجموعة المباركة وحدها ، ولـكن عشرات بل مئات من أمثالها ، تطبع على بضع خطوات من « الأزهر المعمور » لتنافس الثقافات الإسلامية التى يوردها إلى العـالم الإسلامى لتغذى عقول شعوبه .

نحن لا نستطيع أن نلقى المسئولية إلا على الأزهر الشريف ، وأعتقد أن المهمة يسيرة إن حاول أن يؤدى رسالة نحو الثقافة الإسلامية ، هى بمثابة أمانة فى عنقه ، يسأل عنها أمام الله والتاريخ .

لو أن الأزهر الشريف كلف لجنة تفحص هذه الـكتب التى تبلغ الآطنان فى مكتبات حى الأزهر ، وقرر استبعاد المخل منها بقيم الإسلام والمقوض لأسسه ، لم يجد من السلطة التنفيذية إلا كل ترحاب .

إن المثقفين فى أفريقيا تصل إلى أيديهم مثل هذه الكتب، ثم يلفظونها وهم يودعونها بسخريتهم، أو يحرقونها ليكفى المسلمون شرها، وقد كتب إلى أحدهم، أنه كان يوفر من قوت بيته ليشترى منها ويحرق ما يستطيع شراءه، وهو يعتبر هذا بمثابة قربى إلى الله، ولكنه توقف عندما وجد أن أضعاف دخله لا تصمد أمام هذا السيل الجارف من هذه المخزيات.

هؤلاء المثقفون لا يعلقون على مثل هذه الكتب حين تصل إلى بلادهم لتسهم بقسط وافر فى نشر الجهل، وهدم كيان الإسلام، إلا بعبارة واحدة هى:

أين الأزهر:

ونحن لا نملك إلا أن نردد معهم أيضا:

أين الأزهر من هذه الكتب التى تتنافس فى هدم مابناه وما يبنيه وما سيبنيه فى المستقبل

محمد عبد الله السمان

وزارة الداخلية تشكر الأزهر على محاربته المخدرات:

السيد مدير مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر.

بعد التحية: تهدى الشئون العامة بوزارة الداخلية لسيادتكم أطيب تمنياتها، ويسرنا أن نتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير لما قدمتموه من جهود طيبة ومعاونة صادقة فى الحملة الإعلامية التى قامت بها وزارة الداخلية لتبصير المواطنين بالأضرار التى تنتج عن تعاطى المخدرات والاتجار فيها، الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى إنجاح هذه الخطة ونشر الوعى ضد هذه السموم.

وإنا لنتضرع إلى الله أن يوفقنا جميعا إلى العمل لما فيه خير البلاد وحماية مجتمعنا الاشتراكى من شرور أعداء الشعب، والنهوض بجمهوريتنا العزيزة فى ظل رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الشئون العامة

ووزارة الحربية تشكر أيضاً:

السيد الأستاذ صاحب الفضيلة مدير قسم الوعظ والارشاد بالجامع الأزهر الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد تسلمنا بمزيد الشكر كتابكم المؤرخ فى ٩/ ١٢/ ١٩٦١ ومعه مجموعة من المواعظ الخاصة بمحاربة المخدرات من عمل قسم الوعظ والإرشاد بالجامع الأزهر الشريف – ونظرا لأهمية هذه المجموعة من حيث التدليل على خطر المخدرات وتحريمها شرعا وواجب القضاء عليها، فقد رؤى طبعها ونشرها للإفادة منها على أوسع نطاق.

وبما أن مشكلة المخدرات قد أضحت خطرا عاما ، يهدد الناس فى صحتهم ومالهم وعيالهم ويهدم كيان الأسر ويقضى على الأخلاق ، ويهدر الكرامات ، ويصيب اقتصاديات البلاد بأكبر الخسائر ، وقد تفشت هذه السموم تفشيا ذريعا فلم تجد فيها إجراءات المكافحة الإيجابية الجارية بوسائل الضبط والقمع والعقاب ، لذلك اجتمع الرأى على وجوب مكافحتها بوسائل الدعاية بالنشر والإعلان والسينما والاذاعة بالراديو والتليفزيون والخطب المنبرية بالمساجد ودور العبادة والمحاضرات فى دور العلم ، وذلك لإيقاظ الوعى وتنوير الأذهان وتبصير الناس بمضارها وتحذيرهم من عواقبها ، ويجرى الآن تنظيم حملة دعائية واسعة لهذه الغاية تشترك فيها الجهات الرسمية وجميع الهيئات والعناصر كل بطريقتها الخاصة .

وليس أقدر على اقتحام حلبة الكفاح من رجال الوعظ والإرشاد ، بل ليس أقرب إلى قلوب الناس وأعذب لأسماعهم وأنفذ إلى أذهانهم من كلمات رجال الدين الصادرة من أعلى المنابر فى بيوت الله .

مهرجان ابن خلدون

دعت الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين عالما من جامعات العالم ليشاركوا علماء الجامع الأزهر والجامعات المصرية فى أحياء التراث الخالد للعلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى قال فيه المؤرخ البريطانى الفيلسوف (توينبى) : (إن عبد الرحمن بن خلدون قد خلف أعظم عمل فكرى أبدعه إنسان فى أى زمان وأى مكان فى تاريخ البشرية) .

وقد اجتمع هؤلاء العلماء فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ديسمبر ، بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية ، ورأس حفلة الافتتاح السيد حسين الشافعى نيابة عن الرئيس « جمال عبد الناصر » فألقى كلمة جاء فيها : إن الشعوب وهى تعيش مراحل عمرها تجتاز أطوار الشباب واليقظة وتحتاج فى الفترات الحاسمة إلى كل قواها المادية والمعنوية والروحية ، وليس إجدى علينا فى هذا الوقت ونحن نقف على أبواب هذه المرحلة من أن نتطلع فى عزم وثقة الى أمجادنا وعلمائنا العرب لنترجم أحلامهم ونحقق آمالهم ونتخذ منهم علامات الطريق الى مستقبل مشرق .

فى الطليعة من هؤلاء الأفذاذ عالمنا الأمجد عبد الرحمن بن خلدون . ثم أزاح الستار عن تمثال لهذا العالم .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر كلمة تجدها فى افتتاحية هذا العدد .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

فطرة الله لا تتبدل

كما خلق الله تعالى العين قابلة للرؤية والأذن قابلة للسمع، كذلك خلق العقل قابلا للمعرفة مدركا لحقائق الأشياء، وكما يقع العلم بالمبصرات والمسموعات عند فتح الأجفان وعند الاستماع والإصغاء، كذلك يقع العلم بالمعقولات عند استعمال العقل وتوجيهه.

وكما لا يمكن إزالة العين عن الرؤية أو الأذن عن السمع إلا لعارض يعرض لها وآفة تطرأ عليها. كذلك لا يمكن إزالة العقل عن معرفة الحقائق والتمييز بين الأشياء واضدادها إلا إذا اعترضته العوارض كإضلال الأبوين وإغواء الشياطين، فحينئذ يختل نظره ويفسد مزاجه، وينقلب علمه جهلا، ورشده غيا.

هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأشار لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء. هل تحسون بها من جدعاء..

يعني أنه كما تلد البهيمة ولدها كاملا سليم الأطراف: فلو ترك على ذلك لكان بريئا من العيب... لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلا فخرج على الأصل. فكذلك العقل يخلق سليما. مستعدا للمعرفة وإدراك الحقائق على ما هي عليه ما لم يطرأ عليه عارض يفسده وهذا الحديث الشريف الذي نعده من المعجزات النبوية، لأنه كشف عن الحقيقة الإنسانية وأخبر عن واقعها، وقال كلمة الفصل فيها. هو بيان وتأويل لقوله عز وجل «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» وقوله تبارك وتعالى «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان» أي أن الإنسان هو الذي صلح بفطرته الخاصة لحمل أمانة الله تعالى، وهي المعرفة والتوحيد: فكل إنسان مستعد لحمل هذه الأمانة ومطيق لها في الأصل، وإنما تثبطه عن معرفتها والنهوض بأعبائها الآفات التي تطرأ عليه.

واختلف العلماء في قوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» فقيل معناه لا ينبغي ولا يستقيم أن يبدل الناس هذه الفطرة فيخلوا بموجبها

ولا يرتبوا عليها مقتضاها ، باتباعهم الهوى وقبولهم وسوسة الشياطين ، وقيل المعنى لا يقدر أحد على أن يغير خلق الله وفطرته التى فطر الناس عليها وهى استعدادهم لقبول الحق وتمكنهم من معرفته ، ويجعل لهم فطرة أخرى مكانها غير مستعدة لذلك ولا قابلة له . وهذا هو الذى ذهب إليه الراغب . واختاره ابن القيم ، وبه نقول : فإن تعذر إدراك الحقائق العقلية أو العلوم النبوية على بعض الناس لوجود موانع خاصة بهم لا ينافى وجود الاستعداد الذاتى لغيرهم ، ولهم أيضا إذا زالت عنهم الموانع المذكورة ، كما أن عدم رؤية بعض العيون للشمس وهى طالعة ليس دونها سحاب لآفة تصيبها أو حاجز يحجبها لا ينافى أنها بحسب الأصل قادرة على الرؤية متمكنة منها ، وأن أصحاب العيون السليمة يرونها ولا يعتريهم فى ذلك لبس ولا يداخلهم شك .

من كتاب (الإنسان والإسلام)
لفضيلة الشيخ محمد الطاهر الحامدى

تذييل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
ويُنكر الفم طعم الماء من سقم
(البوصيرى)

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا
(المتنبى)

وما ضر الورود وما عليها
إذا المزكوم لم يطعم شذاها
(شوقى)

. . . لو أنى أبو عذرتها

فى أيام صباى قرأت قصيدة للشيخ يوسف النبهانى امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادى فى أيام السلطان عبد الحميد جاء فيها هذه الأبيات :

ويممت دار الملك أحسب أنها
إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت من كرامها
ولم يبق فيها الفضل إلا توهما
وألفيت مثلى أمة عربية
يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نقموا منا بنى العرب خلة
سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

فاستحسنت هذه الأبيات ، وطفقت أنشدها فى مجالس بيروت معزوة بالصراحة إلى ناظمها الشيخ يوسف النبهانى الذى هو من أشعر شعراء العصر ، وكانت القصيدة مطبوعة منشورة ، وكانت معلقة فى دار أبى الهدى بالاستانة ، فاتفق بعد ذلك بقليل أن وقعت مناقشة تعرض فيها (سليم سركيس) لى وحمل علىّ ، وأخذ بالتشنيع فى حق ، ومن جملة ما لجأ إليه لإلحاق الضرر بى أنه أخذ ينشر هذه الأبيات فى جريدة كان يصدرها بمصر ،

ويضعها تحت اسم الجريدة ، ويضع تحتها اسم « الأمير شكيب أرسلان » ليوهم أنها من نظمى . مع أنه كان يعرف جيدا أن هذه الأبيات ليست لى ، ولكنه كان يقصد إيقاعى فى غضب الدولة .

وبقى « سليم سركيس » نحو سنة يصدر جريدته بهذه الأبيات مذيلة باسمى ، ولم يصبنى بسببها أدنى ضرر ، ولا أصاب الناظم الحقيق ، بل كان يشغل منصبا عاليا فى العدلية ببيروت ، ولم تكن الدولة تلتفت إلى أمور كهذه ، على أنى إظهارا للحقيقة كنت نشرت واقعة الحال ، وأوضحت أن هذه الأبيات هى للشيخ النبهانى من قصيدة مشهورة ، مطبوعة منشورة معلقة فى منزل الممدوح أبى الهدى فى دار السعادة .

ولكن تكرار نشر « سركيس » لهذه الأبيات بإمضائى . وعدم اطلاع الكثيرين على ذلك البيان الذى نشرته خيلا لهم أن هذه الأبيات هى فعلا من نظمى ، وطالما صادفت أناسا كانوا ينشدوننى عليها ويترنمون بها ، وكنت أقول لهم . وددت لو أنى أبو عذرتها ، ولكن الحق أحق بأن يقال . وهو أن أباها هو الشيخ يوسف النبهانى .

الأمير شكيب أرسلان

من مقدمة كتاب النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى »

إيضاح :

(العذرة بوزن العسرة البكارة ، يقال هو أبو عذرتها أى أول من افتضها والمراد هنا أول من قال هذه الأبيات .

الوحدة العربية
والخـــلافة العثمانية

حينما كانت الدولة العثمانية إلى أوائل هذا القرن وإلى قيام الحرب العالمية الأولى تسيطر على البلاد العربية كانت هذه البلاد تعيش فى تقارب تام ، وكانت الدولة العثمانية فى الأستانة تعد حامية قوية مرهوبة الجانب ، وعلى الرغم من أن حكمها كان فاسدا مختلا ، وخاصة فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، وعلى الرغم من أنها أخذت تتدهور وتضعف بسبب الرشوة وسوء الإدارة والقتال على السلطان ، إلا أن العرب لم يفكروا فى الانفصال عنها ، ولكن فكروا فى الشكوى من التصرفات السيئة ، فقد لاحظوا أن العرب لا ينالون حظهم فى الوظائف والتعلم والحياة الحرة .. كان الحكام الأتراك يعاملونهم كأنهم جنس أدنى . ولا يعنون بشئونهم ، بل يقدمون عليهم الأتراك فى كل مجال ، بحيث أحسوا فعلا أنهم يخضعون لحكم استعمارى وليس للخلافة بمفهومها التقليدى (الدينى) ولابد من تقرير حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها . وهى أن الدولة العثمانية لم تعش الفترة الطويلة التى عاشتها

مسيطرة على البلاد العربية بقوة السلاح ، ولكنها عاشت بالسحر الروحى للخلافة . ونظر الشعوب العربية إلى هذه الخلافة على أنها مسئولة عن مصالح الشعب ، وأن الخضوع إليها والدفاع عنها واجب دينى ، ومن هنا أعفيت الدولة العثمانية وحكامها فى الآستانة عما كان لابد منه للاحتفاظ بسلطانهم وهو القوة العسكرية .

كانت الوحدة العربية إذن تحت ظل الخلافة العثمانية قائمة « ليست قائمة » قائمة بمفهوم دينى صان الدولة العثمانية من التفكك ، وغير قائمة بسبب الإدارة السيئة التى بذت الضغينة والحقد فى قلوب العرب والأتراك وأوسعت الهوة بينهما ، وسرعان ما أخذ العرب يتجمعون دفاعا عن كيانهم فى داخل دولة الخلافة ، وتألفت جمعيات ، وأقيمت ندوات ، وأخذ العرب فى كل مكان تظله خلافة الاستانة يتساءلون عما يعملون . . ؟ كان الظلم الواقع بينهم وسيلة لجمع صفوفهم ، ولم يكن الظلم فقط بل كان التاريخ القديم الذى جمعهم أبدا فى موقع جغرافى واحـــد متكامل وفى أطوار من الصراع والهزيمة والنصر متقاربة بل متحدة .

من جريدة الأخبار

للأستاذ محمد زكى عبد القادر

الاعتصام بالدين :

كانت الحرب بين الأوس ، والخزرج فى المدينة مستعرة مستمرة ، لا تنطفىء نارها حتى تعود إلى استعارها ، فتأكل من أبناء هؤلاء وهؤلاء . ما يؤرث الأحقاد ، ويضرم نار العداوة والبغضاء بين هاتين القبيلتين ، وهما من أخوين تجمعهما لحمة النسب ! وكان اليهود على مقربة منهما . يجدون الدفء والضوء والأمن والمنفعة فى النار التى تأكلهما ، فينفخون فيها ، ويمدونها بالدسائس التى تزيدها اشتعالا ، ثم شرح الله نفوس الأخوة بالإسلام ، فاستحالت النار الضارية نورا فى الصدور ، يتألق بمعانى البر والخير والاخاء .

ومر يهودى كبير على نفر منهم فغاظه أن يجدهم على ما رأى من ألفة تامة وشمل جميع ، وساوره الخوف على مصير قومه فقال هذه الكلمة التى يردد معناها باللغـــة العبرية بن غوريون : ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار : ثم أمر شابا من اليهود أن يجلس معهم ويذكرهم بما كان بينهم من فتن وعن يوم « بعاث » وهو يوم انتصرت فيه الأوس على الخزرج ، فاندس الشاب فيهم ، وذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذا اليوم . حتى هاج النائرة ، وأثار الثائرة ، وأيقظ الفتنة . فعادوا إلى حمية الجاهلية يتذاكرون الثأر ويتقاذفون الفخر

حتى عصفت النخوة بعقولهم فتداعوا إلى السلاح وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين والأنصار . وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف بينكم . . ؟ وما كاد صلى الله عليه وسلم ينتهي من هذا الحديث الآسف العاتب الغاضب . حتى عرفوا أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح وبكوا . وعانق بعضهم بعضا . ثم نزل في ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

من مجلة لواء الإسلام

عبد الرحيم فودة

لا آمرك ولا أنهاك

وكان عمر بن الخطاب يحظر على الولاة مظاهر الخيلاء والأبهة التي تبعد بينهم وبين الشعب ، ولكنه ينظر في أعذارهم فيقبلها أو يغضي عنها حيثما يتوقف صلاح الولاية على ذلك .

قدم إلى الشام راكبا على حمار فتلقاه معاوية بن أبي سفيان في موكب عظيم ، فلما رآه معاوية نزل وسلم عليه بالخلافة فمضى في سبيله ولم يرد سلامه . فقال عبد الرحمن ابن عوف : أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فلو كلمته . . ؟

فالتفت إذ ذاك إلى معاوية وسأله : إنك لصاحب الموكب الذي أرى . . ؟

قال : نعم . قال : مع شدة احتجابك ووقوف ذوي الحاجات ببابك . . ؟

قال : نعم . قال : ويحك . . ؟

قال : لأننا ببلاد كثر فيها جواسيس العدو . فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم علينا ، وأما الحجاب فإننا نخاف من البذلة جرأة الرعية . وأنا بعد عاملك ، فإن استنقصتني نقصت ، وإن استزدتني زدت ، وإن استوقفتني وقفت .

فقال عمر : ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه ، إن كنت صادقا فإنه رأي لبيب وإن كنت كاذبا فإنها خدعة أريب ، لا آمرك ولا أنهاك .

محمود على الشرقاوي

من كتاب الديمقراطية عند العرب

has been decided to establish an Academy for the islamic Researches. This Academy will gather members from all the Muslim countries to discuss-internationally-the islamic reserches and to revive the fourth source of the islamic law which is " Igmaa " " The openion of the wise people " and this also will help Muslims to protect their faith and to spread the pure Islam among all people.

Surely, the new law of Al-Azhar university had put the plan to graduate the learned man who will have an experience and effeciency to preach Islam and to make his best to extend the islamic area and increase its followers. But the law only had no ability to create good preacher, it is verily in need of jealous Azharites who love their religion, their language and their university. Also, the law is not able to undertake the responsibility of preaching the Message of Islam, but it is in need of faithful preachers and hard working people.

Many years ago, the reformers called for the reorganisation of Al-Azhar university, the Azharites themselves revolted for the same purpose. Now, Al-Azhar is taking its way towards the reformation which is a deposit in every Muslim's heart Verily, God will choose for His special Mercy whom He wills — For God is Lord of grace abounding.

Qur'an memorizing schools into consideration, and this of course will enable those schools to supply the Islamic institutes with the students who will be the memorizers of the Qur'an. Also, it would be impossible to satisfy the needs of the society, if the new law let the old system of education to be carried out. But, in fact, it put the new plan of education in the religious institutes with the aim to give the students of Al-Azhar equal opportunities with their mates of the other schools. Hence, the student of Al-Azhar will get the general preparatory certificate or the technical one beyond his religious studies and the other subjects and languages. He also will get the general certificate — literary or scientific — or the technical general certificate, whether it is an agricultural, industrial or commercial one, beside his studies of the religious subjects and the arabic language.

Getting the general certificate, the student of Al-Azhar has the right to continue his high studies at Al-Azhar faculties, the military college or the faculties of the other universities according to his will, and also he has the righ) to try the practical life fields to earn his living. The new law also does not neglect the faculties of Al-Azhar to continue their old program which led the students to be far away from their societies, but it makes it a point to graduate the religious people who are physicians, phylosophers, professors of history, mathematics and professional men who are ready to devote their life for their religion and at the same time take part in the work to gain their living.

According to this new law, Al-Azhar includes : Faculty of the arabic studies which maintains the language of the Qur'an and the Traditions of thh Prophet, Faculty of the Islamic law which aims at spreading the Islamic culture everywhere and teaches the students how to understand the meaning of the glorious Qur'an and Hadith, Faculty of Theology which teaches the students Monotheism and the Islamic phylosophy, Faculty of Islamic studies for girls which will be inaugurated next year, Faculty of dealing and Administration which was inaugurated the recent year. Beside the faculties of medicine, Agriculture, and Engimecring and Industry.

Indeed, the new law of Al-Azhar university is the foundation and the plan which will lead Al-Azhar in its new era to have the active graduates who can react easily with their environment and with the other Muslim countries. Moreover, the new law considered Al-Azhar as an international university which leads Muslims to their happiness. Hence, it

end of his studies no job because the state did not give him his right and the society in which he lived never admitted him.

As a matter of fact, people nearly do not know the religion except through the personality of its representative who is mostly a religious man. But if this only is his profession and position in the society in which he lives, people may be of doubtful hearts or unsure belief. Also, if Al-Azhar lasted in carrying out its old system, surely Muslims will change their minds towards it. Indeed, the position of our nation—as a leader of all Muslim countries—is not eminated from our progress or because what the life was imposed upon us, but it was a result of the wide fame of Al-Azhar which had a place in every Muslim's heart all over the world. Therefore, we must do our utmost to maintain our position among the Muslim nations. This of course, will lead us to fulfill the needs of the Muslim society in our present time, whether they are political or, social needs and try to satisfy them. Because many Muslim nations got rid of the imperialists and led their way to a better life, we should put a new plan for the education—especially in Al-Azhar—to satisfy all the needs of the Muslim world.

As a result of what we have mentioned, and as a response for the needs of all Muslims everywhere. The new law includes a solution for every problem, it prepares an experienc for every field, it brings up preachers and guides to show humanity the staraight way of its life, leads it to the goodness and instill in the people's hearts the spirit of Islam and the instructions of the Qur'an So, the authority of the united Arab Repnblic issued the new law re-organising Al-Azhar university to promote it and to last - as it was before - the greatest islamic university and the oldest one in both East and west. By promulgating the new law, the U. A. R. govermment is aiming at making Al-Azhar—as it was one thousand year ago—the strongholder of the religion and Arabism.

It wants Islam to be revived, ulamas (learned men) to be of a strong faith, living for the sake of their religion and not by means of it, remove the hindrances which stand in the way of the graduates of Al-Azhar to be equal to their fellows of the other universities.

As a matter of fact, the new law cannot realize our aim or satisfies our desire without a radical change. So, it started the way of the reformation of Al-Azhar from its outset. For example : The law put the controlling and the finance of the

of education, its sylepus and its program. All were qaoted from their similars in the Europen countries. As a matter of fact, the following of this system led us to be far away from the life which we should live. It cut the links which joined the education to its locality, its heritage, its history and its religion. But naturally, it was very obvious that Al-Azhar neglected this renaissance, as it lived away of the progressive society. This was because the new thoughts were against its nature and its characteristics.

After the first world war, there was an educational revival. The educational men tried their utmost to modify the learning system, but their modification was useless and they only confused and disconcerted the educational system instead of amending and improving it, for example : The teaching of the arabic language and the religious sciences — though our schools took care of them — did not satisfy those who wish good and progress for the Islamic religion and the arabic language. This was because the policy of education was built upon the foreign fundamintals which are far away from our environment, our heritage, our faith and also our history. As a result of that, we committed two mistakes. The first one was while we translated the foreign educational system — optionally or obligatory — which led us to be far away from the life that should be led by us.

The second was while we adjusted partly the educational system be that it was carelessly or imitatingly. But at that time, Al-Azhar was far away from these new thoughts which were translated to the arabic language.

Also the inactive attitude of Al-Azhar towards this new educational system, and the progress and the evolution of the other educational organisation, caused its graduates much troubles. Consequently, the graduates of Al-Azhar considered as only men of religion. As a result of that, they used the religion as a professoin with which they can earn their living. Moreover, they lived in a complete loneliness, far away from their society, because their culture could not meet the requirements of the renaissance era especially in both fields of work and production.

Also, the unemployment problem increased their feeling of loneliness and annoyance because the graduates of Al-Azhar mostly suffer from it. On the other hand, they conceived that the former state of Al-Azhar was nearly to undermine the common belief about its graduates qualifications, as it would be known that the man of religion will have at the

THE MESSAGE OF AL-AZHAR AFTER ITS REORGANISATION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Since one thousand years of the Islamic history up to now, Al-Azhar is confidently performing its duty towards the message of Islam. Indeed, Al-Azhar is the the spirit of both the Arab and the Muslim life, it is also a positive factor in their progress and development. As a matter of fact, the university of Al-Azhar is the best institute which teaches the religious education. Hence, it is the minaret of Theology since a long time, as it is the protector and the guardian of both Islam and Arabism. Students from all over the different nations of the world, left their countries and came to Al-Azhar to receive the arabic and the Islamic sudies and this of course, will lead to enlarge the arabic speakers areas and also enables people to nnderstand the holy Qur'an beside the other Islamic teachings.

During this long period, Al-Azhar gained many characteristics distinguished it from the other educational organistions, especially in the fields of Faith, language, guidance and the leadership. Hence, the name of Al-Azhar brightened all over the world and consequently, thousands of students from all the nations left their homelands and came to Al-Azhar to increase their knowledges about Islam, and then they will be able to guide their people when they return back to them. So, since more than fifty years up to now, Al-Azhar is the educational organisation which occupies the highest place of the human heritage. As a matter of fact, the graduates of Al-Azhar are the leaders of the society as they are the guiders who show people the proper way of life.

But when the age of the revival began at the commencement of the recent century, the people were very eager to imitate the foreigner's acts, because they were deceived bv their writings. Hence, they started to translate every thing and carry it out. Moreover, they translated the foreigner's way of life, their system

their troubles as if were the procession of daylight which removes the darkness.

Ramadan is the month of koran. It is diserable for this reason to read the koran and to consider its glorious meanings. Ibn Abbas told us "The messenger of God was so generous, but during Ramadan he reaches the climax, as soon as he meets Gabriel· He was accustomed to see him at every night in Ramdan to study the koran. Verily the prophet was more generous than the free wind ".

The night of the 27 th. of Ramadan is called the night of power " O we revealed it on the night of power Ah ! what will convey unto thee when the night of power is ! The night of power is better than a thousand monthes. The angels and the spirit descend theirin by the permission of their Lord, with all decrees. That night is peace until the rising of the dawn".

(Surah the power V. 1—5)

The prophet shows the majesty of the glorious koran in these words "One who makes the koran his leader is led to paradise and one who leaves the koran behind him is led to fire".

It is our duty to make the koran our motto and walk the chalk line of its rules. " Now that come unto you light from Allah, and a plain scripture, where by Allah guideth him who seeketh his good pleasure unto paths of peace. He bringeth them out of darkness unto a straight path. " (Surah the Table spread Vs. 15 — 16.)

This glorious koran had been revealed on a blessed night. This night was in Ramadan. Lo ! we revealed it on a blessed night — Lo ! we are ever warning " (Surah the smoke V. 3.)

It is said unto those who ward off evil what has your lord revealed? They say Good. For those who do good in this world there is a good reward and the home of the hereafter will be better. Pleasant indeed will be the home of those who ward off evil, . Gardens of Eden which they enter, underneath which rivers flow, wherein they have that they will. Thus Allah repays those who ward off evil. Those whom the angels cause to die when they are good. They says : Peace be unto you Enter the garden because of what you used to do. "

many doctors summon the sick people to abstain themselves from food. God says: " Eat and drink, but be not prodigal, Lo! he loveth not the prodigals " [Surah the heights V. 31].

Moreover fast strengthens the will and teaches people patience and endurance, and habituates them to be stout towards calamities and brave in troubles. It prevents them from giving full swing to their lusts.

Not only God orders the moslems to banish food but also God order them to abandon mischiefs, and bad actions. Better to be silent than to speak ills. One should restrain ones anger and one should not mourn in trouble from start to finish. One should not make a vent to one's warth during Ramadan. The ups of life should not make one vain, and the downs of life should not make one miserable.

No wonder Mohamed our prophet says: " If the people knew the bounteous advantages of Ramadan they would long and look eager to be a complete year. "

Fast is prescribed on those who are wise, adult, strong, sound, dwelling, and capable.

O believers! a fast is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that ye may fear God. For certain days. But he among you who shall be sick or on a journey shall fast that same number of other days, and as for those who are able to keep it and yet break it, the expiation of this shall be the maintenance of a poor man, and he who of his own accord performs a good work shall derive good from it, and shall it be for you to fast if ye knew it !

At first and foremost it is the duty of the Moslems to stick to rules of the koran and to obey the orders of God. To keep fasting is not the sole duty or the sole aim. Mohamed says to assure this cause "What a number of fastings gain noting from their fast except thirst, and hunger".

Ramadan is the month of charity. For this reason it is our duty to reveal the pains of the wretched, and give Alms to the poor. Its quintessence is to have the same feelings of those who are hungry and handle a loaf with the skin of the teeth, and seem weak as water. Charity makes them merry, dries their hot tears, and wipes out revengé from their broken hearts, instead of pouring out the vials of their wrath on the head of the society. They become secured from being criminals and law offenders. Mercy reveals

In this cave Mohamed was ordered to read " Read in the name of thy Lord who created, created man from a clot, Read and thy lord is the most bountiful who He taught (the use of) the pen, who taught man that which he knew not" (Surah the clot. V. 1 — 5).

When the rays of Islam appeared on horzion, Ramadan became more respectable and honourable. Its name was mentioned in the glorious koran. It was the only month which bears this honour.

God says: " The month of Ramadan in which was revealed the Qur'an a guidance for mankind, and clear proofs of the guidance, and the Criterion (of right and wrong). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosoever of you is sick or on a journey (let him fast the same) number of other days. Allah desireth for you ease. He desireth not hardship for you, and (He desireth) that ye should complete the period, and that ye should magnify Allah for having guided you, and that peradventure ye may be thankful " [S. the Cow. V. 185.]

Fast became a eligious duty, for those who are capable to endure it, since the second year for Higra till today.

It was told by Obada Ibn Alsamet that Mohamed said once at the advent of Ramadan " Ramadan has arrived the month of blessing through which God sends mercy, abolish sins, and replies appeals. God observes your rivalry and speaks hautily about you to his angels. Lo! show benefits from yourselves, for the miserable, and wretched who lacks the mercy of God".

Once more he says: " Fast is a secure from fire, one who keeps fast with faith and profound believe, God forgives his previous guilts.

It was related by Abu Hurayra that the messenger of God once said " All the rewards on good actions of the son of Adam are doubled. The dole is rewarded with ten equals, till it reaches seven hundred matches except fast. " God says: " it is for me and I reward on it. One leaves his desires, and food for my sake. There are tow joys for the fasting. The former is when One breaks his fast. The latter is when he meets God. Verily the smell of the mouth of the fasting is better to God than the breeze purfumed with musk.

No doubt that fast gives much energy, and health to the body. It makes the nerves calm, arranges the turn of digestion, and puts the stomach in proper order. For this reason

RAMADAN
IN THE PRE-ISLAMIC AND ISLAMIC PERIOD

by

Dr. Gamal Addin Arramadi

The word "Ramadan" is derived from the verb " Ramad " which means to remove, and clarify from sins and guilts. The infinitive "ramad" means the violence of the sun beams on the sand or other things.

The month Ramadan was known during the pre-Islamic period among many Arab tribes of koriesh, especially those who were devoted to God, and who were convinced of God's existence.

Modar, one of the famous Arab tribes held "Ragab" the lunar month in a high respect, and it was prohibited to make war or launch an assault in the course of this month. Moreover, the tribe was habituated to fast and offer sacrifice. For this reason Mohamed called it the "month of Modar ".

It is evident that Mohamed arranged his life to spend a month every year to worship God, the lord of all the world, alone in Heraa cave. Solititude removed all the obstacles between him and heaven. He grasped this opportunity to ask the mercy of God which swallows every thing.

The auther of the book of " Sirah Halabia " says that Heraa cave was a place of worship for those who seek virtue and consider it the only true nobility in which lies their own reward.

The first man who worshipped God in Heraa cave was Abd El motaleb the son of Hashem. It was an ordinary course of conduct to make for Hera cave in order to worship God, to feed the poor, and to give alms.

Waraka Ibn Nowfal and Abi Omaya Ibn Elmo followed his footsteps and did the same thing.

It was also Mohamed's habit to follow those Hanifs and to assend to Heraa cave with the object to worship the compassionate, and the merciful Allah, and for alms giving.

(B) As a matter of fact, the new system organises the relation between Al-Azhar and the Muslims from every level and in all localities. It helps them to understand Islam, its principles, teachings and systems of life. Hence the new law of Al-Azhar includes the establishment of the Islamic researches Acadimy and defines the executive organ to what it called "The Missions and culture Administration". The islamic researches Acadimy through this system will surely reflect the former picture of the (Rowaks) as it gathers the researches for only the aim of research and also to serve the maxims and the principles of Islam which organise both individuals and communities.

Undoubtedly, it is the duty of its executive organ to produce different levels of researches to feed all minds and thoughts. This will be by means of preparing a coming students, sending an Azharite Missions, publishing an Islamic book or a periodical magazine which explains the islamic ideas and to solve the human problems.

4 — Through its new system, Al-Azhar will be able to have more enfluence on all fields, especially in the sycles of education and research. as will as it will be able to spread Islam among all Arab and Muslim societies throughly. Meanwhile, the graduate of Al-Azhar will be a brother and a pioneer of the society and never be at all a competitor who mostly disputes and contends with the others. Moreover, through this new system, the graduate of Al-Azhar will be qualified to live without using the Islamic Message as a profession. This was the condition of the former Muslims who understood Islam fully. They did not use the call as a profession but they were of a message and they work only for its sake. They also were not apart from the society or its individuals, but they were its pioneers and leaders.

This is the goal of the new system of Al-Azhar which our hope is to realize the welfare and the good from it. Also, we pray for those who are striving for it and those who are carrying it out, to have a successful task and the reward of Almighty God.

student to be in relation with his citizens and his neighbours. Consequently, the student will be able not only to understand Islam, but also to know how to guide people to the straight path, which is its task as a graduate of Al-Azhar.

Because the new law of Al-Azhar includes the establishment of practical and scientific faculties beside the arabic and the Islamic ones, it does not mean — in the confirmity with what was in the past — that it is maltreating the arabic cultural standard, or at least causing a harm to its values. But, on the contrary, the establishment of these faculties is indeed a help to the educational and the cultural standard. This is because it will widen the scope of both Islamic and arabic standard, as it will also widen the scope of thinking and qualify the gradute of Al-Azhar to be a good guider.

Surely, the student of the faculty of medicine, engineering, agriculture and the faculty of dealings and administration will be provide with both Islamic studies and arabic language, beside the other subjects which these faculties are supposed to teach such as mathematics, Physics, medicine and commercial and economical knowledges.

The Azharite student who expects to have a year more in the preperatory stage and other two years more in the secondery one, such a student will surely be of a unique sort among all the students in both the united Arab Republic and the other Islamic countries. In other words, he will be the required one wheather in our dear country or in the other Muslim nations. He may be also distinguished, because of this system of education which is excepected to be a methodical educational system.

Indeed it is a mistaken idea of the Azharite student to think that he will have a temporal burden in his schoolastic life more than the other student who has a dissimilar educational system. This is because the different systems of education all over the world are not equal or similar and also the preperatory and the secondery stages are not alike or the same as they are in the educational systems of the different nations.

On the other hand, though the the previous educational system of Al-Azhar was known by the augmentation of its stages three years more, no student of Al-Azhar was complaint — at that time — of these additional three years.

what had happened in the past and what is happening in the present. They also advise them not to imitate what had happened in the past and what is happening in the present times, but to be of an itellegence and a far sight. OF an intellegence to understand Islam and of a far sight to notice the rules and the deductions in the name of science and also to solve the problems which will arise because of the civilization and the new life.

3—In case of the Message of Al-Azhar is defind by the Islamic understanding and its adaptation to the life events and problems, while these understanding and adaptation are tied to both the foregoing heritage and the following discoveries and happenings.

IF it is so, the new system of Al-Azhar which is besed on the law No. 103 of the year 1961, surely will help it to achieve its message. Because all the powers are supporting and cooperating to carry out this new system, it will be a good and a correct one.

As a matter of fact, the new system considers the different educational stages from the primary up to the high studies. In this system also there may be a sort of duality betweén the past and the present with regard to all the educational stages. It will qualify the student to understand and its principles and also to have a full understanding of the Quranic provisions, prophetical sayings, Arabic language and the writings of the former Islamic writers. Hence, the graduate of Al-Azhar will be prepared to be the pioneer of the understanding of Islam and the way of such understanding too.

Meanwhile. the new system of Al-Azhar made it a point to give the student a chance to be of an opened eye to have a complete knowledge about the recent happenings, to face the different problems of the life and the other directions which may be delivered to him by means of the broadcasting stations, the different publications or by what he may be aquainted with, such as the scientific researches and the laboratories expriments.

Reciting of the holy Qur'an is cared of and will confirmed in the new system of Al-Azhar. It also takes a care of the Islamic studies to be understood easily. This system also does not neglect the importance of the language's science and literature, Muslim history and the social arabic and Islamic life.

In addition to all that, physics, Mathematics, Geography, human economy, history, Ideological phylosophy and the way of research have been added to the sylepus, to help the

According to the previous Muslim cultural and intellectual heritage, copious studies for it should be there and also its way of searching should be estimated. Also, the Muslims way of thinking and their themes, should be investigated under the Islamic view and in sycle of the events which took place in the Muslims life through their past times. The rules and the deduction of the recent science and the human civilization problems also should be considered.

So, it is too important for any one who likes to have a full understanding of Islam, and to carry out its principles confidently to live with consideration of both the present and the past. In other words, not to stop at the past or leav t to stay at the present alone.

2—The Muslims previous cultural and intellectual heritage was different in its sides and level; such as the schools of Jurisprudence in the way of treatment and duties of the worship, the schools of Monotheism (Tawhid) concerning the source of Islam religion, the knowledges of the mathematicians about the mathematics, the openions of the Muslim thinkers about the analysis of the nature and its elements, the trials and experiments of discovering the material and the immaterial human nature, the ways of research and thinking and the other language and literary knowledges which serve the interpretation of the glorious Qur'an and the explanation of its teachings as a holy book revealed into a manifest arabic language.

As a matter of fact, the Muslim present is the time when the science can be proved by means of the results of the researches and experiments. As well as it is the time of machine which is nearly enslaving man by its development. The development of the machine surely has its effect not only on the human logic, but also on his conduct and manner.

Meanwhile, it is the Present which is full of numerous conflicting orientations and different means of announcement which try to distenguish one orientation from the other or at least attempt to make a conviction of a certain sect or a special belief, and beside all what we mentioned, in the present time of the Muslims there is the imperialist power which, though different in their style, is united in their final goal and purpose.

Indeed, both the past and the presnt of the Muslims urge those who are from among the contemporary Muslims and who like to have an Islamic studies, to have dual education and force them also to be in the situation of the judge for

AL-AZHAR THROUCH THE NEW SYSTEM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
Vice chancellor of Al-Azhar University

1 — In order to have a difinite judgement for the new system of Al-Azhar university which has been completely organised by both the law No. 103 of the year 1961, and its executive regulation which had been utilized since November the 4th 1691. you should be firstly aquainted with the main aims of Al-Azhar Message.

Actually, the Message of Al-Azhar university - from its history and from the stages of that history which they had passed over — is an act for getting a full understanding of Islam, its principles and instructions, then a conveyance of this pure understanding to the other different Muslim standards. This understanding and that conveyance are merely the suitability between the Islamic instructions and the life which Muslims used to live in the different generations. This actually assures that there is no separation or at least an aversion between Islam and Muslim life. As a result of that, Islam will also keep the Muslim's belief away from hisitation, shaking or trembling.

The understanding of Islam and its teachings in addition to its suitability to the Muslim life, the more the time which Muslims live in, is far away from that time of the Qur'an and the sayings of the prophet Mohammad (sunnah), the more the sycle of the cultural and the intellectual heritage revision to become wider. This is the heritage which Muslims — wheather they are Arabs or non-Arabs — formed it since they began to have an Islamic culture.

Also, the more the sides of the life of the temporary man is numerous by means of the development of science which led to the increasing of the problems of the new modern life, the more the need of understanding Islam, its instructions and its suitability to both the life of science and the modern civilization.

The readiness for war is a mean of peace :

Islam orders Muslims to be ready-at any time-to face their enemies and to fight against them if they aggress Muslims. In this connection holy Qur'an says : " Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war to strike terror into (the hearts of) the enemies of God and your enemies, and others besides, whom you may not know, but whom God doth know."

[S. the spoils of war, V. 60.]

This verse states that the readiness for war is a way to prevent aggression and also to spread peace among all preople. Moreover, Qur'an teaches Muslims how to solve the human problems and how to deal with those who quarrel with each other, wheather they are individuals or societies. He says : " If two parts among the believers fall into a quarrel, make you peace between them : But if one of them transgresses beyond bounds against the one that transgresses until it complies with the command of God : But if it complies, then make peace between them with justice, and be fair : For God loves those who are fair (and just). The believers are but a single brotherhood : So make peace and reconciliation between your two (contending) brothers; and fear God that Ye may recive mercy."

[S. the inner Apart ment, V. 9-10.]

This is the way of God and that is his guidance. He revealed Qur'an to show people the correct way of life and to teach them how to treat each other, how to deal with themselves and their Lord and how to solve their problems without any aggressions. Indeed, Qur'an guides people to maintain peace and also to spread equality and security among all mankind to spend their life smoothly.

If what we mentioned are the instructions of the Qur'an, the teachings of Islam and the orders of our Lord, is not it the duty of the human beings to follow these teachings ? and to carry out these orders and instructions ? Is not it their duty to make their utmost to replace fear and confusion with security and peac ? to replace enmity among themselves with the mutual understanding and co-operation ?

Our Lord ! We confidently pray you in the name of peace which is one of your names (attributes), to guide your bondmen to the right path and to fill their hearts with love of peace.

The Qur'an also calls the followers of all God's Messengers to love each other, to cooperate and live in peace and brotherhood, He says. " The jews say " The christians have naught (to stand) upon "; And the christians say " The jews have naught (to stand) upon ". Yet they (profess to) study the (same) Book like unto their word is what those say who know not, but God will judge between them in their quarrel on the day of judgement ".

(S. the cow, V. 113).

Peace and the non — Muslims :

Islam calls to peace, it does not consider the followers of the religions as enemies, but — on the contrary — it orders Muslims to treat then kindly unless they transgress or maltreat them. In this respect Holy Qur'an says : " God forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) faith, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justily with them : For God loveth those who are just ".

(S. The woman to be examined, V. 8).

Indeed, peace can be considered as a rule in the islamic teachings concerning the behaviour of Muslims towards those who refuse to believe in the message of the prophet Mohamad " peace may be upon him ', This is because Islam orders Muslims to give the unbelievers the freedom to follow their chosen religions and not to oppose them in their religious duties or to usurp their properties. It orders them also to part with them the general rights and duties equally. Moreover, Islam obliges Muslims to offer help to the non-Muslims at the disasters, to co-operate with them and it also does not prevent them to marry the non-Muslim girls. Islam allows Muslims to fight against the unbelievrs, if they aggressed them or tried to usurp their money. This is because fighting at that case will not be more than a defence for one's self or properties, and this of course is for the realization of peace, as it is for the realization of just, In this connection holy Qur'an says : " How can their be a league, befor God and his Apostle with the pagans except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque ? As long as these stand true to you, stand you true to them : For God doth love the righteous ".

(S. The Repentance, V. 7).

" But if the enemy incline towards peace, do thou (also) incline towards peace and trust in God : For He is the one that Heareth and knoweth (all things.).

[S. The spoils of war, V. 61].

salutation to Abraham ! ". " Peace and salutation to Moses and Haaron !" " Glory to thy Lord, the Lord of honour and power ! (He is free) from what they ascribe (To Him). And peace on the Apostles !. And praise to God, the Lord and cherisher of the worlds "

Moreover, God called himself " Al-sslam " "peace" and also called the Paradise by the same name holy Quran says : " God is He, than whom, there is no other God; the sovereign, the holy one, the source of peace (and perfection), the guardian of faith, the preserver of safety, the exalted in might, the irresistible, the suprem : Glory to God ! (High is He) above the parteners they attribute to Him. " (S. the Gathering, V. 23.)

" For them will be a Home of peace in the presence of their Lord, He will be their friend, because they practised (Righteousness.) " [S. the Cattle, V. 127.]

"But God doth call to the Home of peace : He doth guide whom He pleaseth to a way that is straight. "

[S. Younus, V. 25.]

As a matter of fact, the Almighty God mentioned " peace " in the holy Qur'an through many verses to be cultivated in the Muslim's hearts. He also calls his Paradise " Daru Assalam" which means : " The home of peace ". And calls Himself : " Assalam " " peace " to show his bondmen the way which He likes them to follow during their life time. So, it is the duty of all humanity in general and the Muslims in private, to do their utmost for the sake of realizing peace and to spread it among all mankind.

The enemies of peace :

The enemies of peace are those who let God's guidance aside, and also those who refuse to carry out the Islamic teachings. They claim that they are believers, but indeed, they only are trying to deceive the others by such lies and they are also far away from the guidance of God. Verily God calls people to spread peace among all mankind, in this respect holy Qur'an says :

" Say : O people of the book ! come to common terms as between us and you : That we worship none but God ; That we associate no parteners with Him, that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God ". IF then they turn back, Say " Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to God's will)".

(S. The family of Imran, V. 64).

other (not that ye may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things). "

(S. The Rooms, V. 13.).

Following the Islamic general principle, holy Qur'an called people also to be of a good conduct and to treat each other kindly, it says : "Nor can goodness and evil be equal. Repel (evil) with what is better : Then will he between whom and thee was hatred become as it weer thy friend and intimate. ".

(S. Fussilat, V. 34.).

" Hold to forgiveness : command what is right; but turn away from the ignorant. If a suggestion from Satan Assail thy (mind), seek refuge with God; for He heareth and knoweth (all things). " (S. the Heights, V. 199 — 200.) " And the servants of (God) Most gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant adress them, they say, " peace. " (S. Criterion, V. 63.).

The position of peace in Islam:

Indeed, peace is the greeting of Islam, when any Muslim meets another, he greets him by "Al-salam" which means " peace ", holy Quran says : " Those who believe, and work righteousness, their Lord will guide them because of their faith, beneath them will flow rivers in gardens of bliss. (This will be) their cry therein : Glory to Thee, O God and peace will be their greeting theirin and the close of their cry will be " praise be to God, the cherisher and the sustainer of the worlds. "

(S. Younus, V. 9, 10.)

" But if ye enter houses, salute each other a greeting of blessing and purity as from God ".

(S. The Light, V. 61).

" O ye who believe ! enter not houses other than your own, until ye have asked permission and saluted those in them : That is best for you, in order that ye may heed (what is seemly) ". (S. The Light, V. 27).

Peace is the greeting of Muslims to their holy Prophet Mohamad " peace may be upon him " and also it is the greeting (all Messengers holy Quran says :

"God and His Angels send blessings on the Prophet : O ye that believe ! send ye blessings on him and salute him with all respect. " (S. The Angels, V. 56.).

" Peace and salutation to Noah among the nations ". " Peace and

said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood ? whilst we do celebrate thy praises and glorify thy holy (name) ? " He said " I know what ye know not ". (S. The cow, V. 30).

The principles of peace in the Qur'an.

It is very easy for the faithful observers to know that Islam acknowledges that all human beings are the sons of one man and one woman, as they are also the bondmen of one Lord, This, of course, leads them to treat each other kindly, to spend their life in co-operation, unity and brotherhood.

Devine calls for Unity :

In the following Qur'anic verses, God calls people as the sons of Adam, He says : " O ye children of Adam ! We have bestowed raiment upon you to cover your shame, as well as to be an adornment to you, but the raiment of righteousness, that is the best. "

(S. The Heights, V. 26.)

" O ye children of Adam ! let not Satan seduce you, in the same manner as he got your parents out of the garden, stripping them of their rainment to expose their shame. "

(S. The Heights, V. 27.)

" O children of Adam ! Wear your beautiful apparel at every time and place of prayer : Eat and drink : But wast not by excess, for God loveth not the wasters. "

(S. The Heights, V. 31.)

" O ye children of Adam ! whenever there come to you apostles from amongest you, rehearsing My Signs unto you, those who are righteous and mend (their lives), on them shall be no fear nor shall they grieve. But those who reject our Signs and treat them with arrogance, they are companions of the Fire, to dwell therein (for ever). "

(S. The Heights, V. 35 – 36.)

In the holy Qur'an God honours people and calls them as human beings, He says : " O mankind ! reverence your guardian-Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate, and from them twain scattered (like seeds) countless men and women; reverence God, through whom ye demand your mutual (rights), and (reverence) the wombs (that bore you) for God ever waches over you."

(S. The women, V. 1.)

" O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each

ISLAM CALLS TO PEACE

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

In our present time, people all over the world are living in a complete fear, they are suffering from the cold war which is taking its place among the big nations, and having its effect on the small ones. Hence, people lost their stability, and also their hearts filled with terror because of the sudden movements which always cause loss in souls and distruction.

As a result of that, the wise people mostly speak about the world peace problem, and make their utmost to find a solution for it. This is to give people a chance to passe their fe safely and also to direct their activities towards the productive works which surely will realize a complete hapiness for all mankind.

Verily, if the powerful aggessors make their minds and think a little of what will be the end of the world because of their aggression, if they subject themselves to both judgement of the good mind and the religious instructions, and also to God's guidance which they believe in it — as they presume —, if they know that the result of their aggression is indeed, a harm not only for the other people, but also for their nations and families ; They will let the aggression aside and direct their activities towards the benefits of the human society, its stability and peace. Hence, the fear and the terror which filled the people's, hearts, will be replaced with both security and satisfaction. The following of this way really means that they are getting on with God's wisdom of the world creation and using its materials for the human beings for the welfare and the benefits of themselves and the others too.

With such conduct, they are worthy of being the vicegerents of God on the earth and who govern the people and take care of their affairs. At that time, God's wisdom of creation of Adam to be his agent on earth, will be wery obvious in front of the angels of heavens as holy Qur'an states in the verse " Behold, thy Lord said to the angels " I will create a vicegerent on the earth "They

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨١ هـ — فبراير ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

صوم رمضان اشتراكية روحية

بقلم : احمد حسن الزيات

إن الاشتراكية المادية التي ندعو إليها ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا أن تدوم إلا على ركن شديد من الاشتراكية الروحية. ذلك أن الروح هو سر الله في كل حي وفي كل نظام وفي كل مجتمع. به يحيا الهامد ويتسق النافر ويجتمع المتفرق. هو الذي نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة. وهو الذي يجمع قلوب المواطنين على عبادة إله واحد، وحب وطن مشترك، وتقديس شعار متحد، وطاعة زعيم قائد. فإذا ضعف في النفوس هذا الروح، واحتجب عن الأذهان هذا السر، تناكرت المعارف وتدابرت الإخوة، فلا يتشاركون في خير، ولا يتعاونون على بر، ولا يتناصرون في شدة، وإذن تصبح القوانين الاشتراكية والأنظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا لا رجع منه.

إن المجتمع الإنساني إذا خلا من هذا الروح الإلهي أصبح مجتمعا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه إلا على واليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع. فإذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم وتباعدت القرابة وانقلب الولد ندا لأبويه

يدافعهما عن نفسه ، ويصارعهما على قوته ، وصار الاشتراك أو الإيثار الذى انبثق من الأمومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة على أن هذه الغريزة تتهذب فى بعض أمم الحيوان كالنحل والنمل فتنمو وتسمو وتدوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنتظم فضائل المجتمع الإنسانى المرجو ، من فناء المفرد فى الجمع ، وجهاد الكل للكل ، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون وإخلاص وإيثار وتضحية حتى بلغ من سمو الاشتراكية فى هاتين الأمتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله ، لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة .

وهذا السمو الاجتماعى فيهما لا تجد له نظيرا فى مجامع الذئاب والقرود والناس . فلكل فرد من أفراد الإنسان وهو أرقاها شأنه الذى يغنيه ، ورزقه الذى يكفيه . فإن فضل شىء منه عن حاجته فلزوجه وبنيه . .

أما علاقته بغيره وغير أهله فهى علاقة الصائد الخاتل أو اللص القاتل ، يختال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالى أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة .

هذا السمو فى الاشتراكية المادية لم يجعله الله أصلا فى جبلة الإنسان (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وإنما جعله فى الشرع الذى أوحاه وفى الكتاب الذى أنزله . فمن يرد إصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبث فى أعضائه هذا الروح ، وينشر فى جوانبه هذا النور ، أخطأ الطباب الناجع لهذه العلة ، وضل السبيل الجامع لهذه الغاية .

إن دين الله اشتراكى بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدنيا وسلاما للناس على أساس من علمه وتقدير من فضله ومنهاج من هداه . فالملك ملكه ، والمال ماله ، والفقراء عياله ، والأغنياء عباده ، والمصير كله إليه . على هذا الاتصال الروحى بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل فى الأسرة الإسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية ، والحكم شورى ، والإيمان أخوة ، والرزق شركة ، والجماعة وحدة وإذا تدبرت الأركان التى بنى عليها الدين والأحكام التى جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاويها ومراميها تلك الاشتراكية التى تؤلف القلوب بألفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفرض على الواجد معونة الفاقد ، وتوجب على الجميع نصرة الواحد ، وتجعل من المسلمين جميعاً جسما واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم .

خذ مثالا واحداً من ألف : صوم رمضان . أليس هـــذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحى بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض ؟

يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، ويكادون يتسقون على طعام واحد ، ثم ينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو، ويغلوا أيديهم عن الأذى، ويصدوا أهواءهم عن السوء ، ثم يسمتون جميعا صائموهم ومفطروهم سمت الصالحين ، فيمسكون السبحة، ويتقون الشبهة، ويصنعون المعروف ، ويتقلدون تقاليد رمضان ، فيهجر السكير الكأس، ويترك المقامر الورق، ويؤجل الشرير الشر ، وينسى المجرم الجريمة ثم يشركون المساكين فى طعامهم تكافلا ورحمة، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة ، ويولون الولائم لإخوانهم تواصلا ومودة ، ويشعرون أن أجسادهم المتفرقة المختلفة يسرى فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك .

هذا الروح الإلهى إنما أبقاه وقواه فى نفوس الصائمين عقيدة ووراثة وسنة . ولو أنه وجد فى الوطنية ما وجد فى العقيدة من الإيمان ، وفى النشأة ما وجد فى الوراثة من العمق ، وفى القدوة ما وجد فى السنة من الصلاح ، لشاع فى نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمل كل امرىء منهم لوطنه كما يعمل لبيته ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفسه ، ويكون لدولته كما يكون الانجليزى لامبراطوريته ، يخلص لها إخلاصه لعقيدته ، ويبر بها بره بأمه، ويفنى فيها فناءه فى أسرته . ويومئذ ترى المصرى أو العربى كما ترى الانجليزى ، يقذف بنفسه فى المطرح البعيد والمنزل النائى ، ليعمل لقومه ، أو ليكدح لنفسه . فلا يضع أمام عينه ولا على صدره إلا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها أخلص خدمة ، ويدعو إليها أصدق دعوة . يدعو إليها بفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه، وبخلقه قبل علمه . ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع أن المصرى أو العربى يعيش فى الغربة مقطوع الأسباب عن بلده وقومه ، لا يعرض من وطنه على الناس إلا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب إلا كلمة السوء . ذلك لأن الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناءه وسناه من روح الله إذا سرى فى نفس ابن آدم جعل فرديته قومية ، وأنانيته غيرية ، وعصبيته إنسانية، وخاصته من الخير لله وفى الله مشركة .

أحمد حسن الزيات

رمضان

من شعائر الوحدة الإسلامية

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

أبنائى ، وإخوانى ، المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فقد أهل علينا « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هـدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » ، أهل علينا هـذا الشهر العظيم ، الذى فرض الله علينا صيامه ، شعيرة إسلامية عامة للوحـدة بين المسلمين فى شتى النواحى ... وحدة لا تتقيد بالزمان أو المكان ، ولا تتقيد بالمسافات أو الأبعاد أو الحـدود الجغرافية ، سياسية كانت أو طبيعية ، ولا تتقيد بالجنس أو اللون أو اللسان ، فالإسلام لا يعترف ، فى بنائه لأمته ، وتكوينه لمجتمعه ، وتوثيق الروابط بين أبنائه ، بشىء من ذلك كله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، « ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وإنما هى وحدة تقوم على دعامة من العقيدة الواحدة ، التى يدين بها ، ولها ، كل من شهد الشهر فوجب عليه الصيام ... وحدة تبدو ظاهرة ، خلال شهر رمضان ، فى مواعيد الأكل والشرب للجميع ، من مغيب شمس النهار حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ... ووحدة فى العبادات كلها ، صلاة ، وصياما ، وإنفاقا فى سبيل الله وتهجداً ، وقياما ، وتسبيحاً ، وتقديسا ، وتلاوة قرآن ، وحدة فى كل شىء حتى فى اليقظة والمنام .

نعم ، أهل علينا شهر الوحدة التى هى هدف الإسلام من كل تشريعاته ... هى هدفه فى الصيام كما ذكرنا ، وهى هدفه فى الصلاة التى هى شعيرة يومية متكررة لوحدة الوجهة والقيادة والعبادة ، فكل المسلمين يتجهون فى الصلاة إلى قبلة واحدة ، وراء إمام واحد ويأتون فى الصلاة حركات واحدة . ويتلون جميعاً قرآنا واحداً ، ويرددون تسبيحات واحدة ، فى ركوعهم « سبحان ربى العظيم » ، وفى سجودهم « سبحان ربى الأعلى » .

وهى هدفه فى الزكاة التى هى رباط يوحد بين أفراد الأمة جميعا برباط المودة والمحبة والنجدة والتعاون والوفاء والولاء، بين الأغنياء والفقراء ... بين ذوى اليسار وذوى الحاجات . فأداؤها فى مصارفها من شأنه أن يزيل الحواجز بين الطبقات ، فلا تكون هناك إحن ولا أحقاد . ومن ثم يسرى بين الجميع تيار المحبة والألفة والتعاون ، ويكون الكل على قلب رجل واحد « بعضهم أولياء بعض » يشعر الغنى بحاجة الفقير ، ويحس ذو اليسار بضرورة المحتاج ، فترى الغنى وقد مد يد المعونة لإخوانه الفقراء ، وترى الفقير ، فى نجدة إخوانه الأغنياء ونصرتهم إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم ملمة . الجميع « كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ...

وهى هدفه فى الحج الذى يشمل — فوق ما ذكرنا من شعائر الوحدة فى الصيام والصلاة والزكاة — على مظهر رائع من مظاهر الوحدة لا تراه البشرية كلها إلا فى موسم الحج ، وذلك عند ما يخلع الجميع ، وقت الإحرام ، ملابس التمايز فيما بينهم ، إلى ملابس موحدة الخامات واللون والتفصيل والأجزاء ، لا تعرف بينهم الأمير من الخفير ، ولا الرفيع من الوضيع .

ولا شك أن كل ذلك من شأنه أن يغرس فى المسلمين معانى الوحدة والنظام ، والألفة والالتئام ، والمحبة والتضام ، ولا يبقى مجال للفرقة والانقسام « ومن ثم يكون المؤمنون إخوة « يسعى بذمتهم أدناهم » ، ويكونون يدا « على من سواهم » .

غير أن المسلمين ، للأسف المؤلم ، أتى عليهم حين من الدهر ، غفلوا فيه عن كل هذه المعانى فى دينهم ، وشغلوا عنها بعرض زائل من الدنيا ومتاعها الفانى ، وركن بعضهم ، فى ذلك ، إلى أعداء الله وأعدائهم ، واتخذوهم « أولياء من دون المؤمنين » ناسين ما نهاهم الله عنه فى هذا المجال بأقواله تعالى ، : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالكم من دون الله من أولياء » ، « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ، « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء » ، « لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » ، « ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

نعم ، نسوا كل ذلك « فحقت عليهم كلمة العذاب » وكان ما نرى جميعا من شيوع العداوة والبغضاء والفرقة والانقسام بين أفراد الأمة وشعوبها وحكوماتها ، ومن تمزق وحدة بلاد المسلمين شر ممزق ، وتحكم المستعمر فى مقدراتها وخيراتها وتقرير مصيرها ، واستغلاله بعض الأخوة فى الكيد والتآمر ضد البعض الآخر ، مما يدمى له القلب وتنصدع له النفس .

فهل « لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد . فقست قلوبهم ؟ » .

وهل ن لهم أن يتحرروا من الانخداع بالمستعمر وأعوانه . فلا يقعوا فيما يغريهم به من أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، استطالة لأمد تحكمه فى بلادهم ، وانتهابه خيراتها .

وهل آن لهم أن يتخذوا من شهرنا هذا وشعائره ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن الكريم ، نقطة الانطلاق نحو الوحدة والقوة والعزة فينفضوا عن أنفسهم غبار الشحناء ، ويزيحوا من طريقهم عوامل الفرقة والبغضاء ، ويسدوا منافذ الاختلاف والمراء ، ويجتمعوا حول كتاب ربهم ، الذى يهدى للتى هى أقوم ، فيسيروا على هديه ، ويعملوا بإرشاده ، ويحكموه فى كل ما شجر بينهم

وهل آن لهم أن يستعيدوا ، بوعى ، قراءة الآيات الكريمة من قول الله تعالى : « أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، وقوله جل شأنه : « أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، وقوله سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » .

وهل آن لهم أن يقرأوا باتنباه شديد ، قول الله الحكيم « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » ، وقول الله العظيم « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » ؟

إنهم إن فعلوا ذلك فاستوعبوا هذه الآيات ، ونظروا فيما تأمر ، وتغرى به ، وفيما تنهى وتحذر عنه ، عرفوا أنهم أتباع دين يأمر بالتعاون والاتفاق ، وينهى عن التنازع والشقاق ، دين يغرى بالوحدة ولا ينى يدعو إليها ، ويحذر من الفرقة ولا يفرط فى التنفير منها .

ولا شك أن من كانوا كذلك ، لا ينبغى منهم أو يرتضوا بديلا عن وحدتهم ، أو أن يعملوا ما يتنافى مع إخوتهم ولا يليق بهم أن يتنابذوا بالألقاب ، أو يتراشقوا بالسباب ، فإن ذلك ليس من صفات المؤمنين الذين قال الله فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » فاتحاد الولاية من شأنه أن تكون بين المتوالين وحدة تجمع قلوبهم ، وتضم شتات صفوفهم ، وتنهج بهم طريق التعاون ، وتسلك بهم سبيل التناصر .

وهذا هو ما يدعو الله إليه المسلمين .

لجدير بنا ، وبخاصة فى هذا الوقت الذى انحلت فيه عرى الوحدة الإسلامية ، عروة عروة ، وتمكنت فيه عوامل الإفساد ، داخلية وخارجية ، من قلوب المسلمين ، فقطعت أواصرهم ، وولايتهم ، وحالت دون تساندهم ، فصاروا طعمة لأعدائهم ، ووقفوا عن بلوغ الغاية السامية التى رشحتهم لها العناية الإلهية - بما أمدتهم من دين صالح ، وهداية قوية ، وأخلاق كريمة ، جعلتهم « خير أمة أخرجت للناس » - وهى قيادة العالم إلى سواء السبيل ، والوصول به إلى الحياة الطيبة السعيدة ... أقول جدير بنا ، والحالة هذه ، أن نرجع إلى دستورنا وكتاب ربنا ، نعمل بهديه ، ونسير على إرشاده ، ومن ثم ستزول من بيننا ، حتما ، أسباب الخلاف والخصام ، ويحل محلها الاتفاق والوئام ، وتتمكن فينا صفات المودة والمحبة بدلا مما نعانيه من حالات الكراهية والبغضاء فيتأتى للصف أن ينتظم ، وللخناصر أن تتعاقد على الصبر فى نصرة الحق ، واستعادة العزة لأمتنا ، وتمكينها من أداء رسالتها فى الحياة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

أما بعد : فهذا حديثى إلى المسلمين ، فى كل مكان ، بمناسبة شهر رمضان الكريم ، أوجه إليهم فى ختامه قول الله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » ، وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

هدانا الله وإياكم لما فيه خير الأمة والدين وأعاد هذا الشهر على أمتنا وقد سارت أشواطا طويلة نحو وحدة الكلمة ، وتوحيد الوسيلة ، وتحديد الهدف والغاية ، وما ذلك على الله بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولتسمعوا ولتقرأوا معى قول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

محمود شلتوت

أقدم اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

أى اللغات أقدم :

كان الباحثون فى تاريخ اللغات يقصدون بالبحث عن أقدمها أن يصلوا إلى اللغة الأولى التى تفرعت عليها جميع اللغات بعد تفرق الأمم فى جوانب العالم المعمور ، وكانوا يفترضون أن اللغة الأولى كانت لغة الجنس البشرى كله يوم كان له مقام واحد فى قارة واحدة ، ثم تفرعت هذه اللغة بعد انفصال الناس وانقطاع الصلة بينهم حتى امتنع التفاهم بين المتكلمين بكل شعبة من شعب اللهجات المتفرعة فى مواطنها المختلفة .

إلا أن هذا البحث الطويل لم ينته إلى وحدة بين لغات الأمم غير وحدة « العائلات » اللغوية الكبرى التى يتعذر التقريب بينها اليوم بغير الاتفاق فى كلمات معدودات ، توجد فى الكثير منها ولا توجد فيها بأجمعها .. فقنع الباحثون ، إلى حين ، بالرجوع إلى أمهات العائلات اللغوية كل عائلة منها على حدة ، وكادوا أن يتعثروا فى هذا الطريق بعقبات كالعقبات التى صادفتهم فى بحثهم عن لغة واحدة للجنس البشرى بموطنه الأول ، وإن تكن عقبات التحقيق فى مواضع الاتفاق بين فروع العائلات اللغوية أيسر تذليلا وأقرب أمداً فى مراحل التاريخ القديم .

والرأى الغالب بين علماء المقارنات اللغوية أن أصول العربية حديثة بالقياس إلى أصول العائلة الهندية الأوربية ولا سيما السنسكريتية والجرمانية .

ولكن هذا الرأى يقابله فى العهد الأخير اعتراض شديد من أبناء الهند أنفسهم ، من المسلمين خاصة ، فى معرض المقابلة بين السنسكريتية والجرمانية والعربية ، فإنهم يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم بالعربية وبعض اللغات الأوربية لتصحيح أخطاء اللغويين الأوربيين عند المقابلة بين الكلمات ويصيبون كثيراً فى التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعانى والألفاظ التى لا شك فيها ، ولكنهم يتساقون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية ، ويكاد بعضهم أن يرجع بمعظم هذه الجذور إلى أصل عربى يقاربه بحرفين أو ثلاثة حروف من الكلمة القديمة ، اعتماداً على القول الشائع عن نشأة الكلمات العربية جميعا من حرفين اثنين تلحق بها الحروف المزيدة تارة فى أوائل الكلمات وتارة فى أواخرها .

ومن أمثلة هذه المقارنات بحث مستفيض للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأديان التى

تصدر بالإنجليزية فى الباكستان ، ينشره تباعا تحت عنوان (العربية أم جميع اللغات) ويسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية أو المعنوية ، وقد وفق كل التوفيق فى بعض هذه الكلمات ، ولكنه أوغل جداً فى التخريجات المتشابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربى فيما يراه .

فهو يقول مثلا إن كلمة الذرة A-tom (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع ، فهى على هذا مأخوذة من كلمة (طم) العربية بمعنى قطع ، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى النفى فى اليونانية ، و (توم) هى (طم) بعينها إذا لاحظنا أن الأوربيين يضعون التاء موضع الطاء .

ويقول إن كلمة Bit (بت) فى الإنجليزية بمعنى (قطع) وهى من مادة (بت) العربية .

ويقول إن كلمة Arrive (أرايف) فى الإنجليزية بمعنى وصل إلى المرفأ فهى مأخوذة من (ارفأ) العربية بهذا المعنى .

ويقول إن كلمة Aspire (اسبير) فى الإنجليزية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية .

ويقول إن كلمة Captive (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكبت العربية .

وعلى هذا النحو تجرى المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحرف ، ولكن هذا التشابه لا يكفى لتحقيق اقتباسها من العربية إلا إذا كانت مادة الكلمة فى جذورها غريبة عن لغاتها الأجنبية ، وكان استخدامها عندنا سابقا لاستخدامها عندهم بمعناها أو ما يقرب من معناها . وهو ما يصعب تحقيقه او يظهر من التحقيق أحيانا أن للمادة أصالة واستخداما بتلك اللغات سابقا لاستخدامها بلغتنا .

ونحن نعتقد أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة ، وأن شواهد سبقها فى القدم تزيد على الشواهد التى يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى ، ولكننا نحسب أن المقابلة بين الكلمات لا تؤدى إلى نتيجة يحسن السكوت عليها فى هذا الباب ، وإنما نفضل على وسيلة المقابلة بين الكلمات وسيلة سهلة نرجع فيها إلى كل لغة على حدة ، فلا يصعب علينا بعدها أن نحكم على حظها من القدم بالقياس إلى غيرها :

تلك الوسيلة هى اشتقاق أسماء الحيوان فيها ، فإن اللغة التى ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها ، تسبق اللغات التى تتلقى هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها فى أحاديث المتخاطبين بها .

فأسماء الأسد والكلب والذمر والصقر

والغراب والفرس والحمار والبغل والجمل والخروف وعشرات غيرها من أسماء الحيوان هي كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها ويطلقونه أحيانا إطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات وبين غيرها فى إحدى صفاتها .

يقال أسد الكلب للصيد أغراه به ، وأسد عليه اجترأ ، وآسد بين القوم أفسد بينهم ، ومعنى هذا على كل احتمال فى سبق الكلمة اللغوية أو سبق الاسم أن العرب عرفوا هذا الحيوان وهم يتكلمون بلغتهم هذه ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز.

وكذلك معنى الكلب من العض أو القبض وسائر معانى التكالب وألفاظه.

والنسر من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل فى اللغة على الحقيقة أو على المجاز .

والصقر من الحدة فى الحرارة أو فى الطعم أو فى اللدس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة.

والغراب من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ويتشاءم الناس بنعيقه فى فى الأماكن التى هجرها سكانها وتخلفت بها البقايا التى يحوم عليها .

والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الافتراس .

والحمار من لونه الأحمر الذى يشبه رمال الصحراء حيث عرفه العرب قبل انتشاره فى سائر الأقطار .

والبغل من مادة فى اللغة العربية أصيلة فى معنى الخلط والنسب المدخول وكل ما هو مدخول غير خالص أو صريح ، ويشبهه الدغل والزغل والنغل والوغل ، والغين واللام بمعنى الغل الذى يخامر الصدور .

والجمل من مادة الجمل بمعنى الضخامة ، والخروف منسوب إلى موعده فى الخريف ، وهكذا عشرات الأسماء التى تدل على وجود هذه اللغة فى أقدم عهد عرفت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات ، وهو عهد بعيد فى القدم لم يعرف قبله عهد لهذه اللغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللفظ وغير هذا الاشتقاق .

ويقابل هذا فى اللغة الإنجليزية أسماء كلها منقولة من غيرها أو مقصورة على مسمياتها التى لا يعرض لها التصريف فى لهجات الخطاب .

فالأسد Lion من (ليو) Les اللاتينية ، والحصان Horse من (ردس) Ross الجرمانية، والحمار (آس) Ass من (اسينس) اللاتينية التى يرجح أنها محرفة عن كلمة (أتان) السامية وأكثرها جامدة فى أصولها التى نقلت عنها .

ومثلها بقية الكلمات التى ذكرناها وأشرنا إلى جذور اشتقاقها بالعربية ، فإنها منقولة من أسماء جامدة ليس لها اشتقاق متداول

فى لغة الخطاب ، فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات التى تخلفت عن زمان التسمية الأولى لثلث الحيوانات بأسمائها المشتقة ، على العلم بما تعنيه من وصف وتشبيه .

والعلم بالحيوان المستأنس أو الحيوان المتوحش أقدم شيء فى لغات بنى الإنسان ، فلا نستطيع أن نتخيل أمة بادية أو حاضرة عاشت زمنا طويلا قبل التاريخ بغير حيوانات مستأنسة أو حيوانات وحشية تسميها وتتحدث عنها ، فليس فى تواريخ اللغات عهد أقدم من هذا التاريخ ، وفيه الكفاية للدلالة على انتشار اللغة وشيوع قواعد الاشتقاق والتسمية بين أبنائها فى ذلك العهد السحيق ، وربما تساوت اللغة العربية فى القدم وبعض اللغات التى نقل الأوربيون عنها أسماء حيواناتهم ، إذا تبين أن الاسم المنقول كان له لفظه المشتق فى الأصل القديم .... ولكنه إذا رجع إلى أصل جامد غير مفهوم باشتقاقه فى لغة الخطاب فهو لاحق الزمن بنشأة اللفظ المشتق والوصف المفهوم .

ولا خلاف فى دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوربية من أقدم عهودها التاريخية ، ويبقى بعد ذلك محل للنظر بين العائلات اللغوية التى سجلت فيها ألفاظ مشتقة لأسماء حيواناتها ، ولم تزل لها فى معجماتها المحفوظة معانى المشتقات والصفات ؟

عباس محمود العقاد

العطية قبل السؤال

نظر المنذر بن أبى سبرة إلى أبى الأسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع ، فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رب مملوك لا يستطاع فراقه ، فبعث إليه بتخت من ثياب فقال أبو الأسود :

كسانى ولم أستكسه فحمدته   أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكرا   بشكرك من أعطاك والعرض وافر

إمامة ابن خلدون في المعرفة

للأستاذ الدكتور محمد البهي

إمامة العرب في جوانب المعرفة :

رمى العقل العربى بأنه عقل تقليدى ينقل ويروى دون أن يبتكر ويخلق ودون أن تكون له إمامة وريادة فى المعرفة ، واصطنع الذين يتبنون هذه الدعوى الدليل من وقوف فلاسفة المسلمين فى الجانب الإلهى عند حد الفكرة الأغريقية أو الفكرة الشرقية التى نقلها العرب عن الأغريق مرة وعن الفرس والهنود مرة أخرى .

وربطوا بين وقوف العقل العربى لمناقشة قضايا الفكر الإغريقى والفكر الشرقى فى ملاءمته أو معارضته لمبادىء الإسلام - وبين الحكم بصفة عامة على أن العقلية العربية لاتزيد فى البناء وإنما تجمد فى الحركة عند حد الترديد والرواية . ولم يأخذوا بعين الاعتبار فى هذا المجال أن العقلية العربية التى ناقشت الفكر الأغريقى والفكر الشرقى هى عقلية إسلامية تؤمن بالإسلام أولا كمصدر للتوجيه وكمصدر لنظام حياة المسلم فى المجتمع الإسلامى وهذه العقلية من أجل ذلك عندما وقفت عند قضايا الفكر الأغريقى والشرقى متبنية إياها فى حدود الإسلام ومبادئه - كانت محاولاتها العقلية هى لتبرير هذا التبنى ودفع ما يوجه إلى هذا الفكر الدخيل من عيوب مصدرها الوثنية الأغريقية التى نفذت إلى الفكر الفلسفى عند الأغريق . وإن وقفت عند هذه القضايا من الفكر الدخيل معارضة إياها فقد كان وقوفها لإظهار وثنية الأصول التى انتزعت منه ، والكشف عن المبادىء التى أضفى عليها المنطق الإنسانى طابع الفلسفة وطابع العقل وهى فى صميم أمرها من العقائد التى كونها الوهم وحاكت روابطها الخرافة .

وقفة العقلية العربية وعدم استمرارها فى البناء لأنها كانت تحاول أن تحدد موقفها من هذا الدخيل إما بالدفاع عنه وإما ببيان نقط الضعف فيه . ويستحيل عندئذ أن يكون التفكير الإنسانى فى مثل هذا الموقف المردد بين التبنى وبين المعارضة امتدادا أو استمرارا لبناء فكرى قام . لأن الامتداد والاستمرار فى بناء فكرى قام سابقا إنما يتحقق عندما تكون هناك موافقة عليه وعندما لا تدعو حاجة إلى توضيحه وإزالة اللبس فيه .

فالعقلية العربية فى مجال الفكر الأجنبى الإلهى الذى دخل الجماعة الإسلامية هى فى ذاتها بناءة وخالقة وإنما لم تقم بالبناء لأنه لم يكن

هناك أساس صالح يبنى عليه ولم تكن هناك أرض ممهدة لإقامة بناء سليم يصلح للبقاء .

ويتجلى بناء هذه العقلية فى مجالات أخرى من التفكير . عدا الجانب الإلهى كمجالات العلوم الطبيعية والرياضية ، مما لا يصطدم العقل فيها برأى معين جاء به الدين وقامت على أساس منه عقيدته الصريحة . ومن أشهر الذين كانت لهم خالدية فى البناء فى هذه المجالات أبو عبد الله الخوارزمى فى علم الجبر والمقابلة من الرياضيات ، وابن الهيثم فى المناظر والبصريات من الطبيعيات . وفخر الدين الخطيب الذى لم يقف بالمنطق عند جعله آلة لاختبار الفكر وإنما جعله علما ذا موضوع وذا غاية تخرج به عن أن يكون آلة ووسيلة ، والرازى وابن سينا فى الطب ، وابن العوام فى الفلاحة والزراعة فقد كان من آثار جهوده العلمية الفصل بين السحر وبين أحوال النبات وتطوره وما يتصل بنموه مما جاء فى كتاب (الفلاحة النبطية) ، وبذلك جعل الزراعة فنا مستقلا غير متصل بالسحر وصوره .

وهذه النماذج تدل دلالة واضحة على أن العقلية العربية هى عقلية إنسانية لها خصائص الإنسان المبدع عند ما تتوفر له ظروف الإبداع ، وخصائص الإنسان البناء عند ما تتوفر له أسباب البناء ، وخصائص الإنسان المدافع أو المعارض عند ما تدعو الحاجة إلى الدفاع أو المعارضة . ومن الغبن إذن ذلك الحكم العام الذى تصدره الدراسة الاستشراقية بعقم العقلية العربية ، وعدم استطاعتها البناء ، لأنها لم تبن على وثنية الإغريق التى جاءت مغلفة إلى العرب فى صورة فلسفية وفى طابع منطقى له حججه وأدلته .

(ب) ابن خلدون فى كتابة التاريخ والاجتماع :

وإذا كان كتاب المسلمين من العرب وغيرهم قد جمدوا فى تفكيرهم وفى كتاباتهم فترات من الزمن ، وسلكوا فى الفكر والتأليف مسلك التقليد ، وابتعدوا فى هذه الفترات عن الإصالة والإمامة ـ فقد كان ذلك إلى وقت ابتدأ بعده عهد البعث وعهد النهضة من جديد فى الفكر وفى التأليف والكتابة . فكان من الذين يمثلون هذا البعث وهذه النهضة ابن تيمية فى مجال الفقه وفى الفكر الإلهى وفى السياسة الشرعية ، وكان ابن خلدون فى مجال التاريخ والاجتماع .

فابن خلدون يحكى عن عمله فى مقدمة كتابه : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، أنه لم يكن تقليداً لمن سبقه من كتاب التاريخ من الذين حكوا ما كان دون أن يراعوا ظروف الواقع وتطور الأحوال ، ومن الذين اختصروا فيما نقلوا ورددوا ما صنعه السابقون ، فكان الاختصار مجحفا بالواقع وتصويره . فلم يكن ابن خلدون من بين هؤلاء ولا أولئكم ، وإنما اختط طريق

الأوائل ، وهو طريق الأصالة والإمامة فى كتابة التاريخ وفيما يعرض للطبيعة البشرية فى اجتماعها من عوارض :

« ... ثم لم يأت من بعدهؤلاء - أى من بعد أئمة التاريخ مثل ابن اسحق والطبرى ومحمد بن عمر الواقدى والمسعودى - إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ، ويحتذى منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال ، فيجلبون الأخبار عن الدول ، وحكايات الوقائع فى العصور الأول ، صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها . إنما هى حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ، ولا تحققت فصولها ، يكررون فى موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها ، اتباعا لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة فى ديوانها بما أعوز عليهم من ترجمانها . فتستعجم صحفهم عن بيانها .

ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايتها ، وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها ، باحثا عن المقنع فى تباينها أو تناسبها ...

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار ، موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار - كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد .

« ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم . . أنشأت فى التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا ، وفصلته فى الأخبار والاعتبار بابا بابا ، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا ،... وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الإنسانى من العوارض الذاتية ، ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك .. »

وبهذا الذى يذكره ابن خلدون فى وصف عمله يعيد أسلوب الإمامة والأصالة فى كتابة التاريخ ، وفى أن كتابته ليست أحداثا تروى وإنما هى علل وأسباب ، ومبادئ وقوانين تحكم الطبيعة البشرية ، وتحكم المجتمع الإنسانى ،

لايختلف عنها فى بداوته وحضارته أو فى قوته وضعفه ، أو فى تماسكه وانحلاله .

وقد ربط ابن خلدون - تبعا لذلك - بين أحداث المجتمع وبين المظاهر والخصائص التى يكون عليها فيما عالجه من أحوال المجتمع العربى والمجتمع الإنسانى بصفة عامة . ولم يخضع فى نتائج بحثه إلا لمنطق الأحداث نفسها . وبذلك ارتفع فوق مستوى الأحوال والأوضاع والتقليد والعرف ، وحكم على المجتمع من أحداثه ، وتنبأ من الأحداث بأحوال المجتمع القادمة . وبذلك كانت بداية التاريخ توقفك على نهايته وكان تاريخ مرحلة سابقة يوحى بمرحلة لاحقة ، وكان كتاب التاريخ من أجل ذلك مبتدأ ينتظر الخبر .

والذى نضيفه هنا لابن خلدون ليس تعقبه للأحداث والظواهر واستنتاجه لخصائص المجتمع ، وترقبه لمستقبل الأمم والجماعات فقط . وإنما الذى يجب أن يكون فى الاعتبار الأول لحسابه عندما يقوم عمله هو أنه خرج عن التقليد فى وقت كان التقليد فيه مستحكما .

واستعاد لنفسه أسلوب الأصالة والإمامة فى وقت كان يعدّ الخروج فيه عن التبعية نشازا . ولا نؤاخذ ابن خلدون بعد ذلك إذا لم تكن إصالته هذة فيما فكر وفيما كتب قد بلغت قمتها ونهايتها ، لا نؤاخذه إذا ما وجدنا بعض العثرات أو الهنات فى خط السير وفى المنهج الذى التزمه ، أو فى التصنيف والتبويب لكتابه الذى وضعه . لأن الذى يخرج عن التبعية والتقليد إلى الإصالة والإمامة كافيه أن يكون قد سلك طريق الإصالة والإمامة ، وكافيه أن يكون قد خرج من غور التبعية ، وارتفع بنفسه فوق العمل الإنسانى ليحكم عليه وفوق الأحداث ليراقبها ويشهد آثارها . وقد فعل ابن خلدون ذلك وأجاد فيما فعل وفيما سلك .

(ج) ظواهر المجتمع الإنسانى بين ابن خلدون وفوند :

وإذا أردنا أن نقف على خصائص المنهج ، وعلى الإصالة فى الفكر والكتابة فى مجال التاريخ والاجتماع التى تعرف لابن خلدون - فيجب علينا أن نوازن بينه وبين فوند المفكر الذى أرخ للظواهر الاجتماعية للشعوب فى القرن التاسع عشر فى أوربا ، موازنة عامة ندرك منها حتما أن ابن خلدون - كان باعث نهضة فى كتابة التاريخ وفى كتابة الاجتماع فى المحيط الإنسانى العام لأنه كان أصيلا فيما كتب .

ابن خلدون تناول الاجتماع الإنسانى وتناول فيه :

(ا) الدولة ، فى نظامها ودواوينها .

(ب) المجتمع ، فى حضارته وبداوته .

(ج) الحضارة ، فى عمرانها وعلومها ، والعلوم فى أنواعها وفى تاريخها .

(د) الاقتصاد فى صناعته وتجارته .

(ه) الفن ، فى غنائه وفى موسيقاه ، والأدب فى نثره ونظمه .

(و) التوجيه ، فى طرقه وفى مناهجه .

وابن خلدون فى تناوله للاجتماع الإنسانى أو للمجتمع وأحواله ، تناوله بالطريقة الرأسية مبتدئا بالبداوة ومظاهرها ، ثم بالحضارة ومظاهرها ، وعندما تناول المجتمع بمنهجه الرأسى لم يكن عارضا ولا واصفا ولا حاكيا فقط ، وإنما كان منتزعا للعبرة ، وداعيا للوجهة السليمة فى توجيه الإنسان ، متأثرا بنزعة البحث التاريخى .

ونحن بعد ذلك إذا عدنا إلى كتاب فوند — الذى يعتبر أصلا من أصول فلسفة الاجتماع الحديث ، وكتابة التاريخ البشرى — كتابه « فلسفة الشعوب » — نجد أن فوند تناول فى هذا الكتاب :

(ا) الفن (ب) اللغة (ج) العقيدة (د) الفكر . (ه) الحكم .

وتناول مظاهر البداوة والحضارة فى كل قطاع من هذه القطاعات ، يبتدئ بمظاهر البداوة ثم يثنى بالتطورات التى تحدث فى ذلك القطاع وتصل به إلى أن يكون المظهر الحضارى للمجتمع . فهو فى منهجه يسلك الطريق الأفقى فى تحديد بداوة المجتمع وحضارته .

قد يكون لطريقة فوند هذه أثر تنظيمى فى الوقوف على مظاهر البداوة والحضارة فى جوانب المجتمع البشرى ، أكثر مما لطريقة ابن خلدون فى الوقوف على نفس المظاهر . ولكن ذلك لا يضعف إطلاقا من قيمة ابن خلدون ولا من قيمة طريقته التى اتبعها .

ابن خلدون كان يذكر الحوادث التاريخية ليستخلص منها مظاهر المجتمع ، بينما فوند يذكر مظاهر المجتمع ثم يدلل عليها بالحوادث وابن خلدون فعل ذلك لأنه قصد أولا إلى تدوين التاريخ والكتابة فيه ، بينما عمد فوند إلى الكتابة فى أحوال المجتمع وظواهره بعد أن استنار بمن كتب قبله عن المجتمع البشرى وخصائصه . وفى مقدمة هؤلاء الذين سبقوه بالكتابة ابن خلدون .

نحن لا ننتظر إطلاقا من ابن خلدون فى الوقت الذى قام فيه ليدون التاريخ أن يكون صاحب منهج علمى موضوعى كامل فى الاجتماع على نحو ما فعل ويفعل المحدثون ، وإنما كافيه — كما ذكرنا — أن كان الموقظ الأول والممهد لعلم الاجتماع الحديث بل كان أول الذين خططوا لبنائه ، وقد خرج عن التقليد فى كتابة التاريخ ، واستعاد لنفسه إمامة الأولين وسبق فى كتابة علم الاجتماع . وكافيه مجدا أن كان كذلك من المفكرين الذين حولوا مجرى التفكير الإنسانى فى كتابة التاريخ لدى المسلمين ثم لدى الأوربيين إذ جعله علما إنسانيا وعلما عقليا بجانب كونه أحداثا واقعية .

دكتور محمد البهى

الصوم عبادة توجيهية

للأستاذ محمد محمد المدنى

---

١ – العبادة لون من ألوان الشكر والاعتراف بالجميل ، ومظهر من مظاهر الحب القائم على تذوق الجمال ، والخضوع القائم على إدراك العظمة والجلال ، وقد يجرى فى عبارات الناس أن يقولوا لمن يبالغ فى شكر إنسان ، أو فى حبه ، أو فى الخضوع له : هو يعبده ، أو كأنه يعبده ، وهو مجاز مستحدث ، وربما كان من الأدب مع الله تعالى ألا يعبر به فى شأن المخلوقين .

والمستحق لأعلى درجات الشكر ، وأعلى درجات الحب ، وأعلى درجات الخضوع ، هو الله جل جلاله ، لأنه هو الذى خلق ، وهو الذى أنعم ، وهو الذى يوالى المخلوقين بالنعماء فى كل لحظة ، فلو أنه تركهم بدون نعمته لحظة واحدة لهلكوا ، فهم مستندون إليه فى أصل الخلق ، لولاه ما وجدوا ، وفى استمرار الحياة والتمكين من السعى والتحرك والعمل والتمتع : لولاه ما بقوا ولا تمكنوا ولا تمتعوا .

والله تعالى مع إنعامه متصف بصفات الجمال والجلال ، ومن شأن النفوس أن تحب من كانت هذه صفاته على سبيل الارتياح إليها ، أو الاعجاب بها ، والتقدير لها . وصفات الله فى ذلك هى أعلى الصفات ، « ولله الأسماء الحسنى » وما أسماؤه الحسنى إلا ينابيع كل حسن وكل جلال ، فهو أجدر من يحب ومن ترتبط به القلوب ، وتحيا على حبه النفوس .

والله – جل جلاله – مع ذلك – قادر غلاب قوى قهار ، وتلك الصفات فيه أعلى فى بابها من كل صفة أضيفت فى ذلك إلى سواه ، فليس لأحد قدرة مع قدرته ، فضلا عن أن يكون له قدرة كقدرته ، وليس لأحد قوة ولا قهر ولا جبروت تقابل ما لله تعالى من ذلك . ومن كان هذا شأنه فإنه بمقتضى العقل مستحق لأن يخضع له مهابة وإجلالا ، وخوفا وإشفاقا .

ومن هذا يتبين أن العبادة واجب على المخلوقين بمقتضى ما عليهم من واجب الشكر وواجب الحب ، وواجب الخضوع .

لو أن إنسانا وغل فى صحراء مترامية الأطراف ، منقطعة عن العمران ، ليس فيها إلا الوحوش والهوام ، والظلمات والمخاوف ثم أدركه الجوع والعطش فلم يجد طعاما ولا شرابا ، فأحس بالموت يدنو منه رويدا رويدا ، وهو يسير ضالا على غير وجه ، ثم رأى نفسه فجأة أمام قصر شامخ البنيان تحيط به حديقة غناء ، فيها من الثمار ما لذ وطاب ، وفيها صنابير المياه ، فأكل ماشاء ، ثم دخل القصر فرأى من هندسته وفرشه وبسطه وخدمه ومتاعه ما بهره وأخذ بلبه وجعله يأنس للحياة بعد أن كان قد اعتراه اليأس منها ، ثم رأى صاحب هذا القصر ، فعلم أنه هو الذى وضع نظامه ، ورسم هندسته وقام بكل ما فيه إنشاء وترتيبا وصونا ، ثم قال له : قد أبحتك هذا القصر وما فيه فانزل منه حيث شئت ، وتمتع فيه بما شئت - ماذا يكون حينئذ شعوره بنعمة هذا المنعم ، وبفضله ؟ وماذا يكون شعوره أمام هذه العقلية المرتبة المنظمة التى قامت على إبداعه وتنسيقه ؟ وماذا يكون شعوره إذا خطر بباله أنه ربما حرم هذا المتاع وأقصى عنه ، إذا تصرف تصرفا غير ملائم لمن أنعم به ؟

لا شك أن نفسه تمتلىء بعوامل يمتزج فيها الشكر بالتقدير والعرفان والحب والإجلال ولا شك أنه يحس بحاجته إلى التعبير عن ذلك كله والإفصاح عنه أمام صاحبه .

هذا هو حكم الفطرة ، وما تقرره العقول السليمة .

فهذه الأرض وما عليها وما يحيط بها ، وما سخر فيها وفيما حولها ، كلها هدية من الرحمن للإنسان .

فلو أنه تعالى كلفنا أن نقوم بأية عبادة لا تستهدف أى هدف لنا فى حياتنا ، ولا تحقق أية فائدة لنا ، لكان ذلك بحكم الفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ، بحق أنه خالق منعم ، متفضل ، محبوب ، مهيب !

٢ - ولكن الله تعالى عامل عباده بموجب حكمته ورحمته وسابغ نعمته ، فشرع لهم من العبادات - التى هى شكر له ، ومظهر لحبه والخضوع له - ما يلائم مصالحهم ، ويتمشى مع منافعهم ، ويعينهم على أداء رسالتهم فى الحياة ولا يتعارض معها .

فإذا نظرنا إلى أية عبادة شرعها الله تعالى فإننا نجدها تهدف إلى ناحية إصلاحية تصلح عليها حياة الناس ، وتعينهم من قريب أو من بعيد على استقامتهم لها واستقامتها لهم .

ومعنى كونه عبادة توجيهية ، أنه يدفع بالمرء إلى آفاق عملية فى واقع الحياة ، فهو ليس فقط صلة خاصة بين المرء وربه ، ذات طابع فردى محدود ، ولكنه مع ذلك قائد

وموجه إلى أنواع من السلوك ، أو من الفوائد التى من شأنها أن تعود على الآخرين ، ولذلك نستطيع أن نقول : إنه عبادة أراد الله بها أن تكون اتجاها فى طريق الإحسان إلى الناس ؟ شرعها المحسن الأعظم ، والمنعم الأكبر ، فكان محسنا بتوجيهه وبرسم الأسلوب الذى يشكر به ، كما هو محسن بخلقه وإنعامه .

٣ — قلت لنفسى وأنا أكتب هذا المقال : هل هناك عبادات توجيهية ، وعبادات غير توجيهية ؟ واردت أن يكون الجواب على طريقة الاستعراض ، أى أن أستعرض العبادات . واحدة بعد واحدة ، لأرى الفرق بين عبادة وعبادة ، فلم أجد إلا لونا واحدا ، هو العبادات التوجيهية ، حتى العبادات التى يصفونها بأنها أحكام تعبدية أى غير واضحة الحكمة ، ولا معروفة من حيث أسرار التشريع ، فإن لها على الأقل موجها إلى الطاعة التامة الكاملة ، فإن المرء لا تكمل طاعته بمجرد الامتثال والتقبل فيما يدرك سره ، ويعرف حكمة مشروعيته وإنما تكمل وتصل إلى غايتها ، من حيث هى خضوع لله المنعم المتفضل إذا تقبل وامتثل ، فيما يعرف وفيما لا يعرف ، وفيما ينشط له وفيما يكره ، ومن آداب الجندية أن يطيع الجنود قائدهم فيما عرفوا سره وفيما لم يعرفوا سره على السواء ، « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .

وإذن فالعبادات كلها توجيهية ، بل العقائد أيضا توجيهية ، فشهادة أن لا إله إلا الله تجعل المؤمن بها قويا عزيزاً لا يطاطىء هامته إلا لله ، ولا يخشى أحداً إلا الله ، ولا يؤثر على رضا الله شيئا من الأشياء ، وهكذا .

ثم قلت لنفسى : إذن لماذا أعطيت هذا العنوان : « الصوم عبادة توجيهية » ، وربما فهم منه أن هناك نوعا من العبادات صامتا لا توجيه له ؟

والواقع أنه لا مفهوم لهذا ، وأن كل العبادات كذلك لها وظيفة توجيهية إلى الخير والصلاح والتهذيب والبر والاستقامة ، وليس الصوم وحده هو المنفرد بالتوجيه .

٤ — والصوم له صورتان : الصورة الظاهرة ، والصورة الباطنة .

فالصورة الأولى صورة الكف عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

والصورة الثانية كف الجوارح عن الآثام .

وإذا نظرنا إلى المفطرات فى الصورة الأولى ، وجدناها تتناول أى طعام وشراب أو ما إلى ذلك من المفطرات الحسية ، ووجدنا التشريع الفقهى يعنى بتفصيل ذلك وما يفطر وما

لا يفطر ، وما تكون فيه الكفارة مع القضاء ، أو القضاء فقط ، أو ما لا قضاء فيه أصلا .

أما الإفطار والمفطرات فى الصورة الثانية فقد جاءت فى كثير من الأحاديث ، ولها نفس الدلالة على الإفطار مثل المفطرات الحسية .

وبذلك نعلم أنه ليس الإفطار فقط بالمفطرات الحسية ، وليس كل من كف عن المفطرات الحسية بصائم ، وليس كل من أفطر بالمفطرات الحسية مفطرا بالمفطرات المعنوية .

ولذلك يقول الإمام الغزالى : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ، ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ، وفى الحديث الشريف « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » وجاء فى الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذناه فى الإفطار ، فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم « قل لهما : قيئا فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفا دما عبيطا ، ولحما غريضا ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : هاتان صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما : قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس ، فهذا ما أكلتاه من لحومهم .

وقد أفاض الغزالى فى بيان شروط الصوم الباطنة ، من غض البصر ، وكف السمع ، وحفظ اللسان من الهذيان ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والجفاء ، والخصومة ، والمراء ، كما تحدث عن صوم القلوب عن الأفكار الدنيئة ، والأشياء الخسيسة ، وأن المؤمن صائم بهذا المعنى دائما ، مترفع عن التفكير فى الأمور السيئة ، وهو فصل ممتع يدل على ما للصيام من وظيفة توجيهية تهذيبية ، وأنه ليس مجرد تحمل للحرمان مدة من الزمان .

محمد محمد المدنى

استفت قلبك

روى أن زيد الخير سأل النبى عليه السلام فقال :

دلنى يا رسول الله على علامة أعرف بها رضى الله عنى ، فسأله كيف أنت يا زيد الخير..؟ قال : أحب الخير ، وأحب من يفعله ، وأكره الشر وأكره من يفعله ، فقال رسول الله : هو ذاك .

نفحات القرآن

طاعة الله ورسوله شيء واحد ...
والمخالفون للرسول محاربون لله تعالى

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

(١) ١ - « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ٢ - ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ٣ - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون » .

١ - هنا دعوة من الله وتكليف للمؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله على وجه الإطلاق : أى فى كل ما جاءهم به من عند الله فى شأن الدين والدنيا .

٢ - ويقترن بهذه الدعوة - أولا - نهى للمؤمنين عن التولى والإعراض عن دعوة الرسول وهم يسمعونه يوم كان فيهم ، ويسمعون القرآن دائما من بعده ، وفى القرآن ما فيه من توجيههم إلى الإيمان بمحمد ورسالته . والأخذ بما بلغهم عن ربه مهما طال الزمن .

٣ - ويقترن بهذه الدعوة - ثانيا - وبالنهى معها - نهى ثان أن يتشبهوا بغيرهم ممن لم يخلصوا فى الإيمان ، وكانوا يتصنعونه ، ويتظاهرون بالإقبال على دعوة محمد والاستماع إلى نصحه وإرشاده ، ويزعمون للناس أنهم سامعون ، وحريصون ، وواقع الأمر فيهم أنهم غير متفقهين لكلامه ولا مصغين إليه ، ولا مفسحين له قلوبهم التى خيم عليها ظلام النفاق والكفر .

فاختار الله تعالى للمؤمنين أن يجنبهم الإعراض كمن أعرضوا ، وأن يجنبهم اصطناع الدين ، وتكلف قبوله ، والإقرار بالسماع ، وهم لا يسمعون كما كان شأن أولئك المرائين .

وليست الدعوة ، ولا النهى فى هذا المقام بالأمر النادر فى كتاب الله ، بل ذلك ديدن مألوف فى كثير من المواطن القرآنية .

لأن كتاب الله فى صدد العلاج للقلوب ، وتربية الأنفس ، وخلق الضمير الإنسانى المهذب ، وتركيز الدين والخلق الفاضل ، لتحقيق الهدف من هذا كله بتوثيق الصلة

بين العبد وربه ، وبين الإنسان ، وأخيه الإنسان .

فكان من حكمة الله فى مصلحة البشرية أن تتكرر الدعوة ، والنهى للإيقاظ من الغفلة ، ومقاومة النسيان فى الإنسان .

٤ — ونحن نعلم أن الدعوة الإسلامية عامة للناس جميعا ، دون تفرقة بين أحد وأحد « وما أرسلناك إلا كافة للناس ... قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم ـ قل أطيعوا الله والرسول ... » فالناس جميعا أمة دعوة إلى الإسلام .

ولكن الدعوة فى الآيات المذكورة فى مطلع الحديث موجهة إلى المؤمنين خاصة أن يطيعوا ، مع أن المفروض أنهم أطاعوا وآمنوا ؟ ؟ ! !

وجواب هذا فى توجيهين :

أحدهما ـ أن غير المؤمنين قد انحازوا عن الدعوة إلى ضلالهم ، وإفكهم على الله ، وتعاظموا على طاعة رسوله ، ومقابلته ، فقوبل هذا الإعراض منهم بالإعراض عنهم من جانب الله تحقيرا لهم ، وهوانا بهم ، إذ الإنسانية الواعية لا تتخبط فى باطل ، وتعرض عن الصراط المستقيم .

ثانى التوجيهين ـ أن المؤمنين هم المقبلون على دعوة الله ورسوله فى ثقة بها ، وارتياح إليها ، فاتجه الخطاب إليهم تكريما لهم ، وعناية بشأنهم ، وتكميلا لدينهم الذى ارتضوه حقا عن طمأنينية إليه .

ولعل فى تخصيصهم بالخطاب تلميحا قويا بالفرق بين الجانبين لكل ذى لب .

٥ — وليس يغيب عنا أن مثار هذه الدعوة وما معها من النهى مرتين هو ذلك الموقف الذى وقفه المؤمنون فى غزوة بدر : حين اختلفوا ـ أولا ـ فى دخول الحرب ضد قريش ، وإمعان بعضهم فى الجدل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى رأيه وحاربوا ، وانتصروا ، وحين اختلفوا .

ثانيا ـ فى تقسيم الغنيمة أخيرا ، ورغب فريق منهم فى المفاضلة بين المجاهدين حسب اختلافهم فى بلاء الجهاد ـ على ما حدثناك من قبل فى مقالين سابقين .

ومع أن الله تعالى تكفل بحسم خلافهم فى الموقفين ، وعاتبهم على ما وقع منهم : كان من تمام فضله أن يزيدهم هداية ، وأن يشد أركان الإيمان فيهم بتعليمه إياهم ما لم يكونوا يعلمون ـ هم لا شك ـ مؤمنون . . ولم يكن جدلهم عن ريبة فيهم ، أو مشاقة منهم . . بل هو الرأى كان يبدو لبعضهم مستحبا ، ولا يحسبونه مأخوذا عليهم ، وهم قوم حديثوا عهد بالإسلام ، ولم تزايلهم تقاليد العصبية جملة لما يرونه ويجنحون إليه .

لذلك لم يعتبروا منسلخين من وصفهم بالإيمان ، وإنما هم بحاجة إلى التهذيب ، والصقل . . فبعد أن كان المقام مقام عتب عليهم الجدل والخلاف ، أصبح مقام توجيه إلى الطاعة التامة ، وإلى متابعة الرسول فيما يبلغهم ، والتنزه عما يشبه غمار المعاندين من غيرهم .

هم مؤمنون ، تخلوا عن الكفريات كلها ، والله ينهاهم عن التعثر فيها لتتم فيهم معالم الإيمان وكماله ، فيكون الإيمان والتربية على آدابه من قبيل التخلية عن القبيح ، ثم التحلية بالكمالات على نحو ما يقول العلماء : التخلية ثم التحلية ، وذلك أليق بالمؤمنين ، وهم أمة الإجابة .

فالله تعالى يعلم المؤمنين أن الطاعة لله ولرسوله شيء واحد لا ينفك بعضه عن بعض ...

فلا يقال : مؤمن ولا مسلم على وجه الكمال إلا لمن آمن بالله ورسوله ، بل برسله جميعا . ولئن جاز إطلاق المسلم على من يتظاهر بطاعة الرسول ، دون تصديق بقلبه كما كان شأن المنافقين فإن هذا من باب المجاراة لطاعتهم المصطنعة فى الظاهر .

ولكن دين الله لا يتجزأ ، وطاعة العبد لا تتحقق إلا بتمام التصديق بما جاء على لسان محمد . . . « من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ـ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم . . » وهكذا .

وقد عودنا القرآن أن يقرن بين طاعة الله ورسوله فى الذكر للدلالة على التلازم بينها فى الواقع : لا للمغايرة بينهما بالعطف كما قد يتوهم من السياق اللفظى ، فهى مغايرة فى المفهوم لا فى الماصدق .

بل جعل الله كلمة التوحيد وهى عنوان الإسلام والإيمان مؤلفة من الشهادة لله تعالى بالوحدانية فى ألوهيته ، ولمحمد بالرسالة ، وبدون ذلك لا يتم العقد الدينى بين العبد وربه . . فمن ظن أن أحد الجانبين من الشهادة ، أو من الطاعة يكفى ، لدعواه الإيمان والتدين فقد انتقض على ربه فيما شرع ، وأعظم الفرية عليه فيما زعم .

وقد عاب القرآن هذا التشقيق فى كثير من الآيات ، وجاءت به السنة ، وأجمع الأمر فيه من البديهيات المعلومة من الدين علما ضروريا ، حتى ليكفر منكره ، أو المتشكك فيه عن شائبة من الريبة .

ومع هذا : فقد أطاش الغرور بعض العقول الواهنة ممن ينتمون إلى الإسلام فخاضوا فى بحوثهم بالباطل . . وكتبت مجلة فى مصر عن لسان مسلم إيرانى « إن ما يخبرنا

به الرسول من أمور الغيب لا يجب علينا التصديق به، وعلى هـذا الضلال لا يتحتم التصديق بكثير من أمور الآخرة - وسحقا للرأى وصاحبه .

كذلك شـذ فى مصر رجل فألف ونشر كثيراً إنـكاره للسنة النبوية بتمامها ، وقصر عقله الـكليل على القرآن فقط ، ثم تجاهل ما فى القرآن من توجيهات حتمية إلى الأخذ بالسنة عن الرسول وطاعته ، وليته عرف أن يفهم شيئاً من القرآن ، أو تواضع ، وتفاهم مع غـيره ، ولـكنه كان بوقا لمن يزجون به ، وينفقون اموالهم ، ويتسترون خلفه ، وما تريث الرجل إلا بانتهـاء حياته .

وهـذه نزعات يثرر غبارها فى البيئة الإسلامية .

وما هى إلا اقتراب من مذهب الوجوديين، ومحاولات فى التحلل من تعاليم الدين .

والحلال بـيّن ، والحرام بـيّن وستظل تلك النزعات والحمد لله هزيلة وخاسرة .

وقد كان الإعراض عن الرســـول ، وإغفال دعوته من قوم يرون الحق ويتغاضون عنه إهمالا للعقول ، واختيارا للضلال ، فصاروا بهـذا فاقدين للمواهب الإنسانية ، فـكأنهم لا سمع عنـدهم ، ولا منطق لهم ، ولا جـدوى فى عقولهم ، فصح أن يوصفوا مرة بالبهيمية ، أو هم أسوأ حالا من البهائم التى خلقت بلا تمييز فلها عذرها « إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل » .

وصح كذلك أن يعتبروا شر الدواب التى تعيش على وجه الأرض ، لأنهم تخلوا عن السمع والطاعة وأفسدوا ، واستهزؤا ، فوضح قول الله فيهم « إن شر الدواب عند الله الصم البـكم ، الذين لا يعقلون » نعم ! ! كرمهم ربهم بالآدمية ، ومنحهم مواهب الإنسانية ، ولـكنهم طرحوها ، وحرفوها عن رسالتها ، دعا شرا بها فى سلبية ، والإنسان لم يخلق للسلبية فى دنياه . وهم بسوء اختيارهم لأنفسهم ليسوا أهلا للإرشاد ، بل لن يزيدهم الإرشاد إلا تماديا فى الضلالة كما علم الله من شأنهم « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » .

فليعش هؤلاء فى معزل عن التبصر ، والهداية . وليظلوا فى طغيانهم يعمهون ، وذلك بمـا كسبت أيديهم ، وبمـا كانوا يفرحون فى الأرض بغير الحق ، وبمـا كانوا يمرحون ...

(ب) المرء فى طاعته لله ورسوله بحاجة إلى الثبات وتثبيت الله تعالى .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لمـا يحييكم » .

٦ — وهذه دعوة تعزز دعوتنا إلى طاعة الله ورسوله . والقصد منها أن تـكون الطاعة عن يقين راسخ . فإن الاستجابة لفظ يوحى

بالإقبال عن رغبة ، وطواعية ، واطمئنان ، وهذه منزلة فوق منزلة الطاعة ابتداء ، فربما كانت الطاعة عن هوادة وملاينة لا عن تعمق فى الاقتناع والاستسلام ، ودعوة الدين تتعلق دائما باليقين ، وتنشد الإذعان ، والبراءة من الوهن والذبذبة ، فالاستجابة المنشودة هى الطاعة فى أصدق مفهومها ، وأقوم كيانها . وخاصة إذا تيقن المرء أن دعوة الرسول متعلقة بما يكفل الحياة لنا .

فالتخلف عنها موت ، والأخذ بها حياة والنفس لا تعتز بشىء ، ولا تحرص عليه مثل حرصها على الحياة ، ولا تزهد فى شىء ، وتتحاشاه مثل الموت .

فموقف المرء من دعوة الرسول موقف بين حياة يختارها إذا أجاب ، أو موت يتردى فيه إذا أعرض .

وسواء : أكانت الحياة المرادة فى الآية حياة دنيا لما فى الدين من علم ومن أدب ، واستقامة ، وكرامة ، وقيام على العدل ، وسيادة بالجد ، أم كانت الحياة حياة النعيم فى الآخرة ، والهناءة فيها برضوان الله وجواره : فإنها حياة يقصدها الدين لأهله ، ويدعوهم إلى سبيلها من طريق العلم والعمل . وعندى أنها الحياة الطيبة بأوسع معانيها فى عاجلنا ، وآجلنا ، فتلك دعوة الله والله ذو فضل عظيم ومن لم يفطن إلى نفسه ، ولم يتخذ لها مراشدها ، ويتعهدها بالتزكية فهو ظالم لها بالغفلة عنها ، ويكون هذا فى غير رعاية الله وألعوبة الشيطان .

كما تكون الشاة القاصية عن عين حارسها خطيفة الذئاب .

وبقدر ما يكون للإنسان من رعاية لنفسه واستئناس بدينه يكون فى القلب هداية ، وسكينة ، وإيمان ، وإلا حال الله بينه وبين قلبه فلم يجعل للهداية سبيلا إلى وجدانه ، ووكله إلى نفسه ، وهيهات أن تكون له حياة أو نصيب من الحياة التى يبتغيها الراشدون .

وقد كان النبى صلوات الله عليه يكثر فى دعائه من قوله – يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك – حتى سألته أم سلمة رضى الله عنها عن إكثاره من هذا الدعاء ، فقال لها : يا أم سلمة ، إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى ، فمن شاء أقام . ومن شاء أزاغ ، يريد أن المرء فى قبضة الله ، وتحت سلطانه . وهو عرضة للتحول من حال إلى حال . حسب ميوله واختياره ، وقد ربط الله بين الأسباب والمسببات ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . والله يتولانا برعايته .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو هيئة كبار العلماء

من وحي رمضان :

ربكم أعلم بما في نفوسكم

للأستاذ محمود الشرقاوي

١ — جاء رمضان، وبدأ المسلمون يتهيؤون لما يجب عليهم فيه من الصوم والعبادة والصدقة والتوجه إلى الله : امتثالا وطاعة وإيمانا وحبا ، وبعضهم رهبة وخوفا . وآخرون رغبة فى الجزاء والمثوبة .

والإيمان التزام حدده الغزالى فى قوله: « إن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، لأن المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى » .

هذا الالتزام الذى يصل بالمؤمن إلى المحبة ، وهذه المحبة التى لا تقبل الشركة . هما أساس العبادة الصادقة المقبولة ، والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات: أكملها وأقربها إلى قبول الله ما كان أساسه هذا الالتزام والإحساس بالقرب من الله ورقابته .

ولحكمة بالغة يقول الله تعالى — بعد ذكره شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان — لحكمة بالغة يقول الله تعالى بعد ذلك وبعد أمره بصوم رمضان : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » [١] والله القريب العالم بقلوب عباده المطلع على الضمائر المحيط بالسرائر ، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له . وأن يكون المتعبد العامل صادقا فيه كل الصدق : « وهو الذى أمر الله تعالى به حين يقول « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » [٢] .

« فمن شرح ذلك : أن يكون العبد يريد الله ، عز وجل ، بجميع أعماله وأفعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، قائما بفعله وعلمه على نفسه وقلبه ، راعيا لهمه ، قاصدا إلى الله تعالى بجميع أمره ، لا يحب مدحه ولا ثناءه ، ولا يفرح بعمله إذا اطلع عليه المخلوقون ، فإن عارضه من ذلك شيء اتقاه بالسرعة والكراهية ولم يسكن إليه . لكن إذا أثنى عليه أحد .

(١) البقرة : ١٨٤ — ١٨٦ .
(٢) الكهف : ١١٠ .

حمد الله على ستره عليه حين وفقه لخير رآه العباد عليه.

نعم. ثم يخاف عند ذلك من عمله الردئ وسريرته القبيحة التى خفيت على الناس ولم تخف على الله فأشفق من ذلك وخاف أن تكون سريرته أقبح من علانيته. فهكذا يروى فى الحديث: «السريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور، وإذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل، وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل» ثم يقول أبو سعيد الخراز: «فالواجب على العبد أن يخفى عمله جهده حتى لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فذلك أبلغ فى رضا الله عز وجل وأعظم فى تضعيف الثواب وأقرب إلى السلامة وأوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات. وروى عن سفيان الثورى، رحمه الله أنه قال: «ما أعبؤ بما يظهر من عملى». ويروى فى الحديث: «إن عمل السر يفضل عمل العلانية سبعين ضعفا»[1].

حتى الجهاد فى سبيل الله، لا بد له من الإخلاص والتجرد من الرياء ومن كل شئ يقصد ويراد، سوى «سبيل الله» هذه: عن أبى موسى قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأىّ ذلك فى سبيل الله ...؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[1] حتى من كان، فى جهاده وعبادته، يقصد الثواب وحسن السمعة، لا شئ له: عن أبى إمامة قال: «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ...؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا شئ له، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا شئ له. ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»[2].

والصوم والعبادة أثر من آثار الإيمان. والإيمان الحق ــ كالعبادة الحقة ــ لا بد لها من الإخلاص عن النفاق والغرض وسوء الخلق: الكذب والخلف والفجر فى الخصومة وغيرها.

يقول الغزالى: «وأما ارتباطه ـ أى الإيمان ـ بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم

(١) أبو سعيد الخراز «التصوف»: «الطريق إلى الله» ص: ١٨ — ١٩.

(١) رواه الجماعة.

(٢) رواه النسائى وأحمد.

أنه مؤمن : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر ، وفي بعض الروايات ، وإذا عاهد غدر » .
وفي حديث أبي سعيد الخدري : « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأي المادتين غلب عليه حكم له بها » .

وقال بعض العلماء : « أقرب الناس إلى النفاق من يرى أنه برىء من النفاق » .

والمؤمنون الصالحون يخافون النفاق ويخشون أن يدخل نفوسهم ويندس إلى قلوبهم فيحبط ما قدموا من عبادة .

سمع الحسن أن قوما يقولون إنهم لا يخافون النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أني برىء من النفاق أحب إلى من قلاع الأرض ذهبا . ثم قال : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية .

٢ — ورمضان موسم من مواسم البر والصدقة . والصائمون يعرفون ويتلون الحديث الشريف الذي يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان » .

إذا جاء رمضان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود بالخير من الريح المرسلة .

والله تعالى يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وقد يجد بعض المؤمنين أنه ليس عندهم فضل مال أو شيء يتصدقون به ويحسنوا ، وهؤلاء أيضا يستطيعون أن يحسنوا ويتصدقوا ولهم عند الله ثواب المحسن المتصدق : دلهم النبي الكريم على هذه الصدقة المحمودة المقبولة حيث قال : إفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وتبسمك في وجه أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس لك صدقة ، وهدايتك الرجل في أرض الضالة صدقة (١) .

وهذه كلها صدقات سهلة يسيرة هينة البذل ، يستطيعها من عنده من المال فضل فتزيد من حسناته وأجره على ما يبذل من ماله . ويستطيعها من ليس عنده فينال عنها أجر المتصدق . ويزيد بها حياته وحياة الناس سعادة ورواءا وبهجة .

ولهذا البر وهذه الصدقة آداب بل شروط أوجبها الله وأمر بها : « قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى » (٢) « يا أيها الذين

(١) أخرجه الترمذي ورواه البخاري في باب الأدب المفرد .
(٢) ٢٦٣ — البقرة .

آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا » (١).

فهذه آيات بينات حدد الله فيها آداب الصدقة المقبولة، فيها من القوة والبيان والإيجاز ما يغنى عن كل تفسير، بل إن كل تفسير لها هو أضعف منها وأقل أثراً وقوة وبيانا.

وإخفاء الصدقة من آداب البر التى أمر بها الله: « إن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم » (٢).

وفى الحديث الشريف: « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر » (٣) وفيه أيضا: « ثلاث من كنوز البر، منها إخفاء الصدقة » (٤)

ومن آيات الإنجيل: طوبى لمن لا تعرف يمناه ما تقدم يسراه من الخير.

« إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا محضا » كما يقول الإمام الشوكانى. والأمر جليل واضح جعل الإمام البخارى مفتتح أحاديثه فى: « الجامع الصحيح » هذا الحديث الشريف: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى »، وقد أدرك هذه الغاية

(١) ٢٦٤ – البقرة –

(٢) ٢٧١: البقرة.

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٤) رواه ابن عباس.

وصرح بها شارح الجامع الصغير حيث يقول إن البخارى « بدأ بهذا الحديث إتنبيها على تصحيح النية والإخلاص من كل أحد، من العالم والمتعلم ».

٣ – والعجب والغرور والخيلة مما يحبط صالح العمل: « وهكذا روى عن أبى الدرداء، رضى الله عنه، أنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم..! كيف غنموا سهر الحمق وصيامهم. ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين) (١).

إن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره (٢) أى يرخى ثوبه إلى أسفل كعبيه اختيالا، وعجبا.

فالعبرة فى العبادة إذن ليست بالقدر والكمية. ولكنها بالكيفية والصفاء والإخلاص.

فى ذلك جاء الحديث الشريف: « عن أبى هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله: فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: هى فى النار. قال: يا رسول الله: فإن فلانة، يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها،

(١) أبو سعيد الخراز: « الطريق إلى الله » ص: ٥٣.

(٢) شرح العزيزى على الجامع الصغير.

وأنها تصدق بالأثوار (١) ؟ ، الأقط (٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : هى فى الجنة ، (٣) .

فعبرة هـــذه العبادة وأثرها فى النفس وهيمنتها على الضمير والسلوك هى القياس الصحيح لهذه العبادة: صلاة أو صياما أو صدقة.

العبادة الكاملة هى التى تجعل صاحبها كاملا والتى يشعر مؤديها بأنه قد « أسلم » روحه ووجهه وحواسه لله حقا : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » (٤) .
« وأمرت أن أسلم لرب العالمين (٥) » .
« ومن يُسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى (٦) » .

العبادة الكاملة المقبولة المبرورة ، صوما أو غيره ، هى التى يحس مؤديها ، بكل كيانه وفكره ، أنه قد وجّه وجهه لله حقا ، لا يشرك معه سواه ، ولا يخشى أو يرجو إلا إياه . هو الذى يقول ـ بقلبه ولسانه ـ :

(١) فى النهاية من غريب الحديث والأثر : التور إناء من صفر أو حجارة قد يتوضىء منه وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشىء القليل .

(٢) الأقط ، أو الإقط شىء يتخذ من اللبن المخيض : الإبل خاصة أو للعز .

(٣) مسند أحمد : ص ٤٤٠ الجزء ـ ٢ .

(٤) : ٢٠ آل عمران .

(٥) : ٦٦ غافر .

(٦) : ٢ لقمان .

« إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا المشركين (١) » .

والذى يحس أثر هذا « التوجه » وهذا « الإسلام » فى كل ساعة ولحظة من نهاره وليله . ثم يجد من ذلك كله حاكما ومهيمنا على سلوكه وضميره وعمـــله وخطرات نفسه وأحاسيس قلبه : عبادة وصفها الرسول الكريم إذ يقول : « إنما الصلاة تمكّـن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم ، وتضع يديك فتقول: اللهم اللهم ، فمن يفعل فهو خداج (٢) » .

وهى التى يصفها الرسول الكريم فى قوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » ويصفها القرآن الكريم فى قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

هى صلاة رسول الله التى وصفتها عائشة فقالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » إنصرافا بوجهه وقلبه وإحساسه كله لمن وجه له وجهه .

و « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما يقول الحديث الشريف .

و « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » .

(١) : ٧٩ الأنعام .

(٢) نقصان من خدجت الناقة أى ألقت ولدها قبل تمام أيامه .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه ، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود ، فقالوا : يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال : اللهم نعم (١) .

وكان النبى عليه السلام : صفوة الخلق وأطهرهم ، يثوب إلى الله مستغفرا فيقول : « اللهم إنى أستغفرك لما علمت ، وما لم أعلم » فقيل له : أتخاف يا رسول الله ؟ فقال : وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

٤ ـ أما أهل التصوف ، وهم الصفوة ، فهم يخشون الفتنة من العبادة والمكانة ويخافون غرور النفس بذلك حتى يقول واحد من كبارهم هو سرى السقطى : « لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها فقال : السلام عليك يا ولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك ، كان أسيراً فى يديها » .

والعبادة التى يقبلها الله هى التى يتحرك بها القلب ، وتخشع لها النفس ، ويصفو منها الضمير ، وينسى فيها المتعبد كل ما فى الدنيا من مال ومتاع وشىء . يقول الرسول الكريم : « من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وهى عبادة الخشوع والخضوع والاستسلام والتبتل التى يعرفها ويتعبدها ويتأدب بأدبها : « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

٥ ــ والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات ، كما قلنا من قبل : « صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص » . أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان ، واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية » (١) .

هذه درجات ثلاث للعبادة والصوم . فاختر لنفسك ما ترضى . وضع صومك وعبادتك حيث تريد أن تضعهما من قبول الله .

محمود الشرقاوى

---

(١) رواه أحمد والبزاز والدارقطنى من حديث أنس

(١) الغزالى فى الإحياء : ص ٣٨ الجزء ٣ .

تركستان ومكانتها فى تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روحى أويغور

— ٢ —

أحرز الغزنويون مقاما مرموقا حيث أسسوا الدولة الغزنوية التى قامت فى سنة ٤٥١ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ ومن أشهر رجال هذه الدولة بل من أشهر أعلام الإسلام فيها محمود سبكتكين الذى وطد ملكه ووسع فتوحاته فى الهند إلى ما وراء كشمير والبنجاب ومنها إلى نهر الكنج حتى وصل إلى إقليم كجرات، ومن الجانب الآخر استولى على بخارا وما وراء النهر ومنها تقدم إلى جورجيا غربا – وهو الذى حطم الصنم الشهير سومنات فى كجرات وقد عاش خلفاؤه فى لاهور فحكموا فيها زهاء ١٥٠ سنة ويكفى أن نقتبس ما قاله بارتولد فى شأنهم – كان لعهد محمود الغزنوى أهمية كبرى فى تاريخ الشرق كله حيث وصل نظام الحكومة الإسلامية فى عهده إلى أرقى درجاته – وبالإضافة إلى ما اشتهر به محمود الغزنوى من فتوحاته فقد اشتهر بالعدل والنصفة وحب العلماء والمشائخ وتقريبهم إليه وحثهم على نشر العلوم والمعارف وقد أسس فى غزنى – التى كبرت واتسعت وازدهرت فى عهده – أكبر جامعة للعلوم والفنون جمع فيها صفوة من نوابغ العلماء والفضلاء ومن بينهم الشاعر الفارسى الشهير صاحب الشاهنامة الفردوسى – وأبو القاسم أحمد بن حسن الميمندى، وأبو الفتح البستى الذى كان كاتب سره ومستشاره، وأبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى مؤرخ الدولة الغزنوية الكبير، والفيلسوف الإسلامى الكبير أبو على بن سينا، وأبو الريحان البيرونى صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، وأبو سهل المسيحى وابن الخمار، وأبو نصر العراق وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء.

(عهد السلجوقيين) – وقد كان لظهور السلجوقيين أثر بارز فى تاريخ التركستان فقد أسسوا فيها دولة مرموقة استمر سلطانها

من سنة ٦٢٩ إلى سنة ٧٠٠ ﻫ وقد اتصف عهدهم بالازدهار العلمى والثقافى وبرز من بينهم علماء ومفكرون منهم نظام الملك وزير ألب وابنه ملكشاه ، والمفكر الإسلامى الكبير الإمام الغزالى وعمر الخيام والحريرى صاحب المقامات . كما ظهر السعدى وحافظ الشيرازى فى عهد أتابكية فارس التى كانت من بقايا السلجوقيين الحكام فيها منذ سنة ١١٦٧ م وكذلك جلال الدين الرومى الذى عاش فى قونيه والذى كان يحظى برعاية علاء الدين كيقباد الأمير السلجوقى فى آسيا الصغرى .

(عهد الخوارزميين) وقد استطاع الخوارزميون أن يؤسسوا أمبراطوريتهم على أنقاض الأمبراطورية السلوقية ـ ولولا ما أشغلهم من غزو المغول ـ ولو أن الحوادث أمهلتهم لاستطاعوا أن يسيطروا على عاصمة الخلافة وأن يتخذوا لأنفسهم ذلك المركز الذى اتخذه البويهيون والسلاجقة من قبل ـ غير أن الحوادث عاجلتهم وأفزعهم المغول فى حرب لم يعرفها المسلمون قبلهم .

ومع ذلك وفى غمار هذه الحرب الدامية التى سادت الشطر الأكبر من حكمهم رأينا كثيرين من الأدباء والشعراء والكتاب يبرزون فى عهود سلاطينهم المختلفة وبفضل تشجيعهم للعلم والأدب نبغ كثيرون ممن كتبوا باللغة الفارسية فى شتى النواحى من بينهم زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن الجرجانى الذى قصد خوارزم سنة ٥٠٦ ﻫ والذى عاش هناك فى كنف الخوارزميين ردحا طويلا من الزمن إلى أن توفى سنة ٥٣١ ﻫ وله كتاب باسم ذخيرة خوارزمشاه وهو من كتب الطب الشهيرة . ومن الكتاب البارزين أيضا رشيد الدين محمد عبد الجليل البيلخى الذى كان يلقب بالوطواط بسبب قصر قامته وقبح منظره وكان شاعر البلاط الخوارزمى وقد ألف كتابا اسمه حدائق السحر فى دقائق الشعر وهو من أقدم المؤلفات الفارسية المعروفة التى تعالج صناعة الشعر وله كتب فى اللغة العربية أيضا ، وقد استمر الوطواط فى خدمة الخوارزميين فى عهد كل من السلطانين إيل أرسلان وابنه علاء الدين تكش ـ وكان علاء الدين خوارزمشاه وابنه جلال الدين منكبرتى يهتمان بالعلم والأدب ويقلدان من يبرز من العلماء والأدباء والشعراء بعض مناصب الدولة العامة ـ ومن هؤلاء حمزة بن محمد الذى تقلد بعض المناصب المختلفة فى الدولة وقد ولى حاكما

على مدينة مساء وكان يجيد نظم الشعر العربى والفارسى ومنهم أفراد أسرة الجوينى للذين عظم نفوذهم ووصل بعضهم إلى أرقى مناصب الدولة فى عهد علاء الدين خوارزمشاه وجلال الدين منكبرتى وقد حفل برعايته محمد النسوى الذى ألف كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى من الدولة الخوارزمية .

ولم يقتصر تشجيع الخوارزم على رجال العلم والأدب فحسب بل أسسوا المدارس فى مختلف المدن وعلى الخصوص الكبرى منها ، وعينوا فيها كبار العلماء والفقهاء والأدباء فى الدولة للتدريس فيها ، ومنهم شهاب أبو سعد ابن عمران ، وكان من المتضلعين فى أصول المذهب الشافعى وفى الطب واللغة أيضا وكان لعلو منزلته فى الدولة أن عهد إليه بالتدريس فى خمس مدارس بمدينة خوارزم وإليه يرجع الفضل فى تأسيس دار الكتب فيها .

(عهد المغول وأثره فى التاريخ الإسلامى)

ولقد كانت فترة غزو المغول على يد جنكيز خان فى بلاد غربى آسيا فترة عانى فيها المسلمون الشىء الكثير من الخراب والتدمير وسفك الدماء ـ ثم جاءت بعد ذلك فترة أخذ المسلمون فيها يصلحون ما أفسده جنكيز خان وأعوانه كما بدأ المغول يكفرون عما ارتكبوه فحاولوا إصلاح ما أفسدوه ، واستغل المسلمون هذه الروح الطيبة منهم ـ على أن المسلمين لم يعدموا وسط موجات الاضطهاد أناسا يعطفون عليهم ويؤمنون بالإسلام . فاعتنق كورجوز حاكم فارس من قبل أوجتاى خان الإسلام فى أواخر أيامه . وقد تم النصر الحقيقى للمسلمين باعتناق بوركه خان رئيس القبيلة الذهبية للإسلام سنة ٦٥٤ ، ٦٦٦ هـ . وخاصة بعد أن تبعه السواد الأعظم من أتباعه بل يمكن القول بأن كل رجاله وجيشه كانوا من المسلمين ، وكان من أثر ذلك أن توطدت العلاقات بين بوركه خان والظاهر بيبرس فى مصر بل تحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذى يتمثل فى أسرة هلاكو .

وبمرور الزمن قوى نفوذ المسلمين حتى أن تكودار أحمد سنة ٦٨٠ - ٦٨٣ هـ اعتنق الإسلام وكان مسيحيا من قبل واسمه نقولا وكان يقوم بالدعوة إلى الإسلام الدين الجديد ويجزل العطايا والمنح وألقاب الشرف على رجال دولته لمن يعتنقه منهم وقد لجأ فى دعوته للإسلام إلى طريق الترغيب دون إكراه أحد على الدخول فيه .

وعندما تولى غاذان محمود سابع إيلخانات المغول فى فارس الحكم ٦٠٤ هـ — ٧٠٣ هـ

اعتنق الاسلام وجعله دين الدولة الرسمى — ومنذ ذلك الحين أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة فى دولة إيلخانات المغول فى فارس واختلاط المغول بالمسلمين فى الشرق قد أدى بطبيعة الحال إلى خلق جيل جديدمن المغول والعرب نتج عنه تجديد فى الحياة العقلية والفكرية والثقافية وبرز علماء تسنموا الذروة ومن أشهرهم فى عهد هولاكو نصير الدين الطوسى الذى امتاز بأبحاثه فى علم الفلك وقد شجعه المغول فأسسوا له مرصداً كبيرا فى مدينة فراغة وسمى ذلك المرصد باسم مرصد الإيلخانية ، ومنهم أسرة الجوينى الذين أسبغوا عليهم عطفهم وعطاياهم الجزيلة وكان لهذه الأسرة قصب السبق فى نشر العلوم والمعارف ، وممن نبغ منهم علاء الدين عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهان كشاى كوينى الذى تعمق فيه بالبحث عن تاريخ المغول منذ نشأتهم حتى سنة ٦٦٦ هـ أى إلى عهد منجو خان . ومن المؤلفين الذين ظهروا فى عهد مغول فارس أيضا رشيد الدين فضل الله الهمذانى وكان من المقربين إلى كل من أباقا خان وغازان وأولجايتوا ويرجع نشر اللغة الفارسية فى بلاد الهند وآسيا وجعلها لغة البلاط المغولى فى الهند إلى العلماء والأدباء والشعراء الذين هاجروا إلى هذه البلاد ـ وقد كان منهم متصوفون طبعوا الشعر الذى خلفوه وراءهم بروح التصوف العالية .

وما دمنا قد تطرقنا فى الحديث عن المغول بايجاز لا بد لنا من الاشارة إلى الأعمال العظيمة التى قام بها تيمور وأولو بك وشاهبرج ومحمد حسين بابقرا وغيرهم خصوصا الاشارة إلى ذلك الرجل العظيم ظهير الدين بابر مؤسس الامبراطورية المغولية التى ازدهرت فى الهند .

وقد تحدث مؤرخون كثيرون عن تيمور فوصفوه بأنه يشبه نابليون إلى حد كبير وقال عنه هارولد لامب إننا نجد قليلا فى التاريخ مثل تيمور ما عدا اسكندر المقدونى الذى استطاع أن يتوج غزواته بالفتح والنصر كما يرجو — بل كان تيمور نابليون آسيا وكان رجلا صلبا حديدى العزم قوى الإرادة لا نظير له وكان سر نجاحه فى قوة إرادته وصلابته فهو لم يتزعزع ولم يتراجع وكانت له جاذبية خاصة فى السيطرة على رجاله وكانت له قدرة فائقة فى حل معضلات المسائل مهما تشعبت وكانت له قوة ذاكرة خارقة للحفظ حتى كانت أقل المسائل لا تغيب عن ذهنه وكان ينتهز كل فرصة لاستغلالها وقد استطاع أن يحشد جيوشا جرارة وأن يدربها ويمرنها أحسن تدريب وتمرين — ويختلف وجه

الشبه بينه وبين نابليون فى شىء واحـــد هو أن نابليون انتهت به عظمته فى سانت هيلانه منهوك القوى محطم الأعصاب بينما مات تيمور وهو زاحف بجيشه الجرار على الصين ولم يعرف الهزيمة قط ، وتحدث عنه سير برسى سايكس - فقال إننا لا نجد فى أدوار التاريخ فاتحا أنجز أعمالا عظيمة بالسيف ونال مقاما ممتازا كتيمور .

وقد ازدهرت سمرقند فى عهد تيمور كما ازدهرت هرات فى عهد شاهبرج وحسـين بايقرا وغيرهما من آل تيمور — وكانت بخارى مركزا من مراكز النشاط العلمى والثقافى والأدبى والفنى واتصل هذا النشاط عن طريق العلماء والأدباء والشعراء والفنانين ببلاط بابر وأكبر وشاهجهان فى دهلى وبلاط الأرغونيين والقرغانيين والترغانيين والتاليوريين فى تاتته بالسند وغـــيرها من مراكز النشاط العلمى والثقافى ، وكان ممن برز فى ذلك العهد كان بهزاد الرسام المعروف وخاتم الشعراء مولانا جامى والشاعر التركى المعروف أمير على شـيرنوائى وزير حسين بايقرا وغيرهم . فقد كانوا أشهر من رجال العلم والأدب فى ذلك العصر الذهبى وكان حسين بايقرا نفسه شاعرا يحب العلم والعلماء ويشجعهم وديوانه يقرأ ويعـتز به فى بلاط الملك حسين أرغون فى السند وغيرها من بلاد شبه القارة الهندية الباكستانية .

أما بابر الامبراطور العظيم فإن أعمـاله لا تحتاج إلى الإشادة والتبجيل — ونكتفى بالقول بأنه بدأ حيـاته مهاجرا من وطنه تركستان فقيرا لا يلوى على شىء ولا يحمل معه سوى همته العالية وإرادته الصلبة القوية فجاء إلى الهند فاتحا ظافرا فأسس إمبراطورية المغول الإسـلامية العظيمة ووضع أسسها وأحكم دعائم بنيانها قبيل سنة ٧٦٨ هـ والتى ظلت قائمة إلى القرن الثامن عشر الميلادى والتى انتهت بمأساة نفى آخر أباطرة المغول بهادر شاه ظفر . غير أن الإسـلام الذى وطدت أركانه فى هذه البلاد العريقة أبى إلا أن يستعيد مجده بظهور دولة باكستان العظيمة التى ترنم بهـا شاعر الإسلام إقبال والتى تم تأسيسها على يد القائد الأعظم محمد على جناح والتى يقود زمامهـا ويدير دفة سفينتها بحكمة ومهارة الآن إلى شاطىء الأمن والسـلامة الرئيس الملهم محمد أيوب خان .

منقول عن مجلة « العرب الهندية »

من معانى القرآن

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

الأودية جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة .

والزبد بفتح الباء هو الرغوة التى تطفو فوق سطح الماء .

وضرب الأمثال صنعها لتشبيه حال بحال .

البقاء للأصلح :

الله الذى خلق كل شيء ، الواحد الذى لا شريك له فى الملك والخلق والحكم . القهار الذى يخضع له كل شيء طوعا أو كرها ، أنزل من السحاب ماء ، وخلق فى الأرض معادن ، وجعل من الماء حياة الإنسان والحيوان والنبات ، ومن المعادن أدوات انتفاع ودفاع ومتاع ، وقد تكفل سبحانه بنصرة الحق وأهله وجعل مثله الماء الذى ينزله من السماء بمقدار ما ينفع الناس وتسعه الأودية فتجرى به الأنهار وتتفجر به العيون والآبار ، والمعادن التى تصهر بالنار لتخلص من خبثها ومن المواد الغريبة عنها ، وجعل مثل الباطل الزبد الذى يطفو فوق سطح الماء وعلى وجه السوائل المنصهرة من المعادن ، فكما أن الماء يبقى فى الأنهار والآبار ويبقى أثره أو يمتد وجوده فيما نرى من أشجار وثمار وسائر مظاهر الحياة فى الإنسان والحيوان ، وكما أن المعادن تبقى وينتفع بها الناس أدوات للزينة أو أدوات أخرى كالأوانى للمتاع ، أو أدوات الدفاع كالسيوف والدرع والمدافع ، كذلك الحق وأهله ، يبقى ويبقى أهله مصدرا للخير والنفع العام ، أما الباطل فإنه كالزبد يجفوه السيل ويرمى به فلا يبقى ولا ينفع . بل يذهب كالهباء فى الهواء ، وهذا المثل الذى ضربه الله للحق والباطل تفسير لحقيقة الحق والباطل ، فإن معنى الحق كما ذكرنا أو أشرنا لا يكاد يخرج عن معنى الثبوت والخير والاستمرار ، أما الباطل فمعناه مالا فائدة منه ولا خير فيه . ولا دوام له ، وصدق الله إذ يقول ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، نسأل الله أن يرينا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه .

عبد الرحيم فودة

الباحثون عن الحق فى رأى الغزالى :

الغزالى والمتكلمون

للدكتور عبد الحليم محمود

يحتل البحث فى نظرية المعرفة مكانا كبيراً فى العصر الحاضر ، حتى لقد رأى بعض المفكرين أن نظرية المعرفة إنما هى نصف الفلسفة

وإنه لمن الطبيعى أن يبحث الإنسان فى فى الوسائل التى تؤدى به إلى الهدف الذى يريده ، ومن هنا كانت أهمية نظرية المعرفة فى الفلسفة الحديثة .

بيد أن البحث فى هذا الجانب أصبح فى العصر الحاضر كأنه هدف لا وسيلة ، فأصبحت نظرية المعرفة تدرس لنفسها ، كأنها جزء من الفلسفة .

ومن الواضح أنه من الانحراف عن الطريق الفلسفى المستقيم أن يوجد إنسان يستمر طيلة حياته يبحث فى نظرية المعرفة من جميع أطرافها وتقتصر على ذلك فلا يتخطاه إلى المعرفة نفسها ، ومع ذلك يطلق عليه الباحثون لقب « فيلسوف » .

ومن أجل ذلك أخذ بعض المفكرين يتهكمون على بعض دارسى الفلسفة فى العصر الحديث ؛ لأنهم يشغلون أنفسهم بالوسيلة عن الغاية . أى يشغلون أنفسهم بنظرية المعرفة ولا يلقون بأنفسهم فى خضم المعرفة نفسها يرتشفون منه وينهلون ...

— ٢ —

وشغلت نظرية المعرفة الإمام الغزالى ، لقد فكر فى وسائل المعرفة ودرسها ، وانتقدها ، وسواء كانت الوسيلة : هى الحس ؟ أو هى العقل ، فإنه قدر كلا حق تقديره ووضعه فى مكانه المناسب له . وسنتحدث عن ذلك حينما نتحدث عن موقفه من الفلسفة .

وشغل نفسه بنظرية المعرفة من حيث الاتجاهات والطرق والسبل التى سارت فيها طوائف مختلفة من الباحثين فوصلوا إلى نتائج مختلفة تتفق أحياناً وتختلف وتتعارض فى كثير من الأحايين .

وبدأ بحثه فى هذا الجانب بحصر الطالبين للحق السالكين سبيله سواء كانوا سائرين على الطريق الصحيح أو متنكبين سواء الصراط .

فوجدهم لا يعدون أربع فرق :

١ - المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر .

٢ - الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

٣ - الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

٤ - الصوفية : ويدعون هم أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة (١)

وهذا الحصر « للسالكين سبل طلب الحق » أوسع مما تبحث فيه الفلسفة الحديثة . إذ الفلسفة الحديثة تهمل إهمالا يكاد يكون تاما طريقة المتكلمين ، وتهمل أيضا إهمالا يكاد يكون تاماً هؤلاء الذين يزعمون أنهم « أصحاب التعليم ومن المخصوصين بالاقتباس من الإمام المعصوم » .

ويبدأ الإمام الغزالى ، بعد هذا الحصر ، بالبحث فى عمق فى هذه الطرق واستقصاء ما عندها مبتدأ بعلم الكلام .

وعلم الكلام ، الذى كان على عهد الإمام الغزالى ، هو علم الكلام الذى ندرسه الآن ، فإذا تحدث الإمام الغزالى عنه فليس ذلك الحديث مختصا بالفترة التى عاش فيها الإمام الغزالى ، وإنما هو عام يصل إلى العصر الحاضر ، وإلى هذا النهج من الدراسة الموجودة فى كتب علم الكلام المتداولة الآن .

وإذا تحدث عنه الإمام الغزالى فإنما يتحدث حديث الواثق الخبير ؛ فقد حصّل وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ما أراد الله أن يصنف ، ثم كان له فى النهاية رأيه الشخصى .

وهذا الرأى الشخصى رأى جرىء حاسم يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامى الصحيح ، ولكن الظروف أوجدت الإمام الغزالى فى بيئة كان لعلم الكلام فيها - على ما هو عليه - قداسته واحترامه ؛ فحاول الإمام الغزالى أن يعلن رأيه على أساليب مختلفة وعلى أنماط متعددة منها المجامل الرفيق الذى لا يرضى كل الرضا ولكنه يتسامح فى أسلوبه ويجامل فى تعبيراته ويعطف ويشفق ومع ذلك يتبين فى وضوح أن الوضع خطأ ، وفى أحيان أخرى تضيق نفسه بالوضع الخاطئ فيغضب ويثور ويحسم الأمر فى أسلوب قوى ، وفى حدة ، ما كان الإنسان يتوقعها من صاحب « الاقتصاد فى الاعتقاد » .

---

(١) المنقذ من الضلال .

ومن أجل أن يكون رأى الغزالى مقنعا ، ومن أجل أن يأخذ رأيه المكانة التى يريدها والذيوع والانتشار الذى يطمح إليه أخذ يستشهد بآداء أئمة السلف فى علم الكلام كالإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد ابن حنبل وغيرهم من السلف الصالح الذين نؤمن بسعة علمهم وبإخلاصهم وباتباعهم النهج الدينى الصحيح .

والآن نذكر رأيه فى صورته الحاسمة : إنه يتحدث عن الكلام فى كتابه النفيس « إحياء علوم الدين » فيقول : « وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات ، فليس فى الكلام وفاء لهذا المطلب الشريف . ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، هذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا ، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود [1] » .

ويرى الإمام أن المتكلم لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما .

أما إذا تساءلت عن إيمان المتكلمين فإن إيمانهم « ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام [1] » .

ويروى الإمام الغزالى أن « جميع أهل الحديث من السلف ذهبوا إلى تحريم الكلام ، وإلى التحريم أيضا » ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان » .

وسنكتفى هنا بذكر رأى الإمام الشافعى ورأى الإمام أحمد بن حنبل بحسب رواية حجة الإسلام :

« قال ابن عبد الأعلى رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضاً : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام .

وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله .

ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد ، فقال له من أنا فقال :

---

(١) الأحياء ج ١

(١) الأحياء ج ١

حفص الفرد : لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه .

وقال أيضاً : لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد .

وقال أيضا : إذا سمعت الرجل يقول : الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له .

قال الزعفرانى قال الشافعى : حكى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك !! ألست تحكى بدعتهم أولا ثم تردعليهم ! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث(١)

وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة(٢)

هذا الاتجاه الذى سار فيه الإمام الغزالى إنما هو اتجاه الصوفية على وجه العموم وهو فيما نرى الرأى الصحيح الذى انتهى إليه الإمام الغزالى بعد تجربة ممحصة وخبرة واعية .

وسنتحدث عن رأيه فى الفلسفة فى مقال تال إن شاء الله وبالله التوفيق .

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

(١) كان كتاب الحارث المحاسى الذى يتحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل : فى الرد على المعتزلة .
(٢) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول .

اللغة العربية

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى ... عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتابى الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

من قصيدة لحافظ إبراهيم

الاشتراكية فضيلة إنسانية

للأستاذ محمد سعاد جلال

فى كل عصور التاريخ تقريبا كانت الفكرة الاشتراكية هداية التجربة الإنسانية إلى أصلح النظم وأكثرها سدادا ، وأقربها إلى طبائع الأشياء فى علاقات الناس بعضهم مع بعض ، كما كانت هذه الفكرة الأصيلة ذاتها . رسالة جميع الأنبياء الذين يتنزل عليهم الوحى من لدن رب العالمين ، وأيضا رسالة أصحاب المذاهب الدينية والروحية الذين يعتبرون فى عداد الربانيين والملهمين فى
أثناء دراسة تاريخ المجتمع الإنسانى على صورة واسعة وأسلوب فاحص ، خلو عصر من العصور ، عن إنسان عظيم كان يدعو الناس لتحقيق الفكرة الاشتراكية فى أسلوب حياتهم ، وأمور معاشهم سواء أسميت هذه الفكرة باسمها الذى نتداول استعماله اليوم أو باسم آخر أو كانت سلوكا واقعيا لم يتخذ له اسما معينا ، ماذا كان سلوك بوذا وكنفشيوس ... ثم ماذا كان سلوك ودعوة جميع الانبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم — ألم تكن كل هذه الأنماط من السلوك ، وكل تلك الدعوات تنطوى فى مضمونها على معنى الاشتراكية وفكرتها ، والأغراض التى تهدف اليها ثم ماهى الأغراض التى تهدف اليها الفكرة الاشتراكية ... أليست هى خدمة البشرية وتخليص البشر من ويلاتهم وآلامهم ، والترويح على نفوسهم الظمأى المتلظية بوهج الحرمان والتعاسة والسخط ... نعم . فلم تكن الاشتراكية إذن فى جوهرها وصميمها إلا خدمة إنسانية وما كانت تلك الأفواج من المرسلين والأنبياء والربانيين من سائر الأمم لا لتخدم غرضا إنسانيا أصيلا .

نستطيع ان نقول أن الفكرة الاشتراكية منطق إنسانى ، أى وضع من أوضاع التعايش ، تقتضيه فى مرتبة من مراتب الكمال طبيعة الوجود الإنسانى وأن هذا الوجود الإنسانى لا يبدو فى صورة ارتقائه وكماله ، وقدرته على تحقيق ذاته العليا - إلا فى وضع اشتراكى - لماذا ؟ لأن هذا الوضع الاشتراكى سيعطى الفرصة لجميع عناصر القوة والعمل فى هذا المجتمع أن تجود بكل طاقاتها ، وأن تستثير كل ملكاتها للخدمة الكلية والتساند المطلق على إنهاض للمجموع فى كل أركانه وفى كل تفاعلاته وفى كل صوره . لماذا ؟ مرة ثانية .

لأن انعدام الاشتراكية فى صورتها التطبيقية المنفذة ، يفضى دائما - إلى طغيان

رأس المال ، وإلى احتكار الفرص الاقتصادية والعلمية ، بل الصحية ، ومجالات النفوذ والحركة للأقلية القليلة من أبناء كل أمة ، فيترتب على ذلك طوفان يمتد من قتل المواهب الإنسانية وتعطيل ملكات الإثمار والإنتاج فى مجالات العمل التقدمى ، والسعى الناقد لحركات الدفع الإنسانى - لدى الأكثريات الكاثرة من أبناء الشعوب ، وجماهير الأمم .

هناك فضائل تنسب إلى الأفراد مثل فضيلة الشجاعة ، والسخاء ، ويقولون إن الفضيلة حينئذ ما كانت وسطا بين رذيلتين . فالشجاعة وسط بين الجبن ، والتهور ، والسخاء وسط بين البخل والإسراف ، فإذا صحت هذه الفلسفة فإنى أرى أن هنالك فضائل لا تنسب للأفراد ، بل تنسب للإنسانية عامة . للكيان الإنسانى نفسه ، وأظهر هذه الفضائل فيما أعتقد « الاشتراكية » فالاشتراكية هى فضيلة الإنسانية ، وهى حد وسط بين الغنى المفرط والفقر المدقع .

ذلك أن الغنى المفرط يجر أصحابه إلى الطغيان ويغريهم بفعل القبائح وارتكاب المظالم ، قال تعالى « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ثم وصف الفقراء بمثل قوله : « مسكينا ذا متربة » ، أى إنسانا معدما قد لصق من شدة فقره بالتراب عجزاً وهوانا ، فإنه قيمة إنسانية من حيث الوجود والعمل ، أو أداء الرسالة لمثل هذا العاجز الملتصق بتراب الأرض مذلة وهوانا .

كلا ، ليس الإنسان هو ذلك الطاغى بماله ولا هو ذلك الملتصق بتراب الأرض عجزا وذلا . ولكنه الانسان المتوسط بينهما - هو الانسان الاشتراكى . قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » . والمراد بالوسط هنا الوسط فى الاعتقاد والاقتصاد .

وقد ينظر بعض الناس إلى موضوع الاشتراكيات فيتوهم أن الأمر فى تقريرها يرجع إلى أهمية المال فى حد ذاته — وهو نظر قاصر فإن حقيقة الأمر فى موضوع الاشتراكية — إنما هو القصد إلى تحقيق الكرامة الإنسانية .

لأن المال — وهو من أكبر عوامل الحركة والتأثير فى شئون الحياة — ترتبط به قيم كثيرة فى نظر الناس : قد يكون سببا لسلب الفقراء الحقوق الإنسانية المتعلقة بالكرامة والشرف وحرية الاعتقاد ، والعمل .

وفى المجال الاشتراكى والنظام الاشتراكى الذى لا ينحاز فيه المال لجانب واحد تتساوى قوى الأفراد ، أو تتقارب ، فلا يعلو أحد على أحد ، أو يعدو على كرامته ، أو يظلمه فى حق من حقوقه ، أو يمنعه حرية الحق والتصرف . وهكذا تبدو الاشتراكية كرامة إنسانية أكثر منها حظا ماليا ، وخلقا ماديا .

محمد سعاد جلال

عناصر التأثير في خطابة الرسول

للأستاذ محمد رجب البيومي

تقرأ قول الله عز وجل عن محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » .

ثم تقرأ قوله تعالى في سورة أخرى « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فتعرف من الآية الثانية تعليل الآية الأولى ، إذ أن الرسول لا يقول الشعر لأن أكثر قائليه لا يلتزمون الصدق الخالص بل يهيمون في أودية الكلام كما تبيحه لهم طباعهم الناشزة . وأحرى بهم أن تكون أشعارهم صادقة الرأي ، صافية المنبع ، عادلة الميزان .

والخطابة ملكة كالشعر ، وصاحبها إنسان موهوب يجتمع له القوم ، فيفيض على عقولهم وقلوبهم بما ينقع الظمأ ، ويبرد الصدر ، ولن يبلغ مبلغ الخطيب المؤثر غير إنسان بعيد النظر ، رصين العبارة ، كثير التجربة ، صادق الإحساس ، وقد كان رسول الله خطيبا موهوبا دون نزاع ، ولو أردنا أن نرجع بتوفيقه الخطابي إلى علة واضحة ، فإننا نجدها فيما صرفه الله عنه من قول الشعر ، فهو في بيانه الفكري صادق مخلص ، يقدس الحقائق اليقينية ، ويحترم هاتف العقل فلا يميل إلى خلابة زائفة ، أو قعقعة مدوية ، بل يصل إلى الحق من طريق المنطق السديد ، ثم يقتصر عليه ، فلا يهيم في كل واد مع الخيال المضلل ، والتشاصح المغرور ، وإذ ذاك يصيب الهدف من نفس سامعه ، ويصرفه إلى التفكير الجدي فيما قال ، وأنت ترى في بعض الآثار المتواترة ، أن الرسول كان يرحب بالشعر الجيد ، ويعجب به ، فيهتف بحسان « قل وروح القدس معك » ويتحدث عن القريض فيقول « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة » وقد يظن بعض الناس شيئا من التعارض الموهوم بين الترحيب المدافع ، وما تقرر من أنه لم يتعلم الشعر وما ينبغي له ، والحق أن جميع ما استحسنه الرسول من أقوال الشعراء كحسان ولبيد وعنترة مما يتفق مع طريقته في إيثار الصدق المخلص والتركيب السهل ، والإيجاز المحدد ، وهذه الثلاثة أوضح عناصر خطابته ، وأدنى لنفع السامع وتسديده وأدعى لتأمله الباحث من كل قصيد مطيل .

وإذا كانت الخطابة ملكة فطرية في نفس

الخطيب ، فإن دواعيها الحتمية قد اكتملت لرسول الله مع إحساسه النافذ واستشفافه البعيد ، وإلهامه الصائب قد نشأ بين قوم لا يتباهون بغير الكلام ، وقد جعل الله أبوته فى بنى هاشم وخؤولته فى بنى زهرة ، ونشأنه فى قريش مما يضئ بيانه ، ويشحذ عبقريته ، ففطر على الفصاحة المؤثرة . والمنطق الجميل ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الخطابة تعمدا ، ولم يسع إليها سعيا لتسلس إليه قيادها . بعد اعتمال ، وإنما جرت فى عروقه النابضة كما يجرى الماء فى فروع الدوحة المزهرة ، فإذا نطق فمن طبع أصيل ، وإذا خطب فمن رغبة واقتدار .

تقرأ فى تاريخ بعض الخطباء كديموستين مثلا ، أنه لم يكن فى مطلع حياته ذا بيان وإفصاح ، وإن رزق الرغبة الحارة فى التفوق الخطابى والإبداع البيانى ، فكان يسعى فى صباه وصدر من شبابه إلى البحار الواسعة الممتدة ثم يرسل لسانه بما يسعفه من القول منفردا بنفسه ، مختلطا صدى حديثه بدمدمة الريح وهدير الموج ، ثم يواظب على هذا المران الجاهد حتى تستجيب له الخطابة بعد تلكؤ ، وينطلق لسانه بعد حبسة ، ويصبح خطيبا مصقعا ، !! لئن صح ما رواه الناس عن ديموستين فإن بلاغته المكتسبة لا يمكن أن تقاس ببلاغة نبى موهوب ، فطر على الجودة والفصاحة ، فهو يرسل القول البليغ طبيعيا سمحا ، كما ترسل الزهرة العطر ، والقمر الضوء ، وهو بعد ذو أصالة تميزه فلا يختلط قوله بقول ، أو يشتبه اتجاهه باتجاه .

وسنلم هنا ببعض الإلمام بعناصر التأثير فى بيانه الخطابى الشريف ، وقد تحدث عنها مؤلفو الأدب والنقد حديث العارف البصير ، ولن يكون حديث اليوم تكرارا لما سبق من القول ولكننا نأمل أن نضيف بعض الجديد فى تفسير رأى ، أو تأييد حجة أو مناقشة افتراض .

قال الجاحظ عن بيان رسول الله (١) لم تسقط له حجة ، ولا زلت له قدم ، ولم يقم له خصم ، بل يبز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ، وهذه الصفات الموهوبة لا تتيسر لكل خطيب يحدث الناس ، ولكنها ممكنة معقولة ممن يتحدث عن القضايا العادلة ، ومن يلزم جانب الحق فيما يقول ، فالشرط الجوهرى لنجاحها الكاسح ، أن يكون صاحبها صادقا بينه وبين نفسه ، قد فكر فى موضوعه تفكير المتعقل المتأمل ، ثم اعتقده عن يقين لا يقبل الشك ، حتى إذا سرى منه

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦ .

مسرى الدم فى الجسم ، هتف به على الناس فأتى الخصم بما يعرف الخصم ونال بالإيجاز ما لا ينال المسهب المكثار ، واحتج بالصدق فطلب الفلج بالحق . فاذا رزق وراء ذلك فصاحة اللسان ، وثبات القلب . فقد أصبح مثاليا تتطلبه المنابر العالية فلا تكاد تعثر عليه فى غير النادر من القرون المتلاحقة ، ثم هى إذا رأته حرصت على تخليده وتمجيده وفرضت شخصيته على الأجيال . لقد تحدث المتحدثون عن شيشرون الخطيب الرومانى فذكروا أن سر نجاحه العبقرى تمسكه بالصدق فى مجالدة خصومه ، واعتقاده الصائب فيما يقول ، مع جراءة فى القلب ، وثقة بالنجاح ، فإذا كان شيشرون يبلغ الذروة الخطابية لأنه يعتقد الحق فى نصرة فريق على فريق بمجلس الشيوخ الرومانى : فما ظنك — وللرسول المثل الأعلى — بخطيب أرسله الله بالحق الصريح ليخرج الناس إلى النور من الظلمات ، وكان من الثبات والرسوخ بحيث قال لعمه : لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ؛ إن اعتقادا صادقا كهذا الاعتقاد يلزم صاحبه إلزاما أن يحتج بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق كما قال الجاحظ عن قريب .

ولنا وقفة عند إيجاز الرسول حين يبز الخطب الطوال بالكلام القصير ، إذ أن الإيجاز العربى فى بلاغته المعجز وليد ذهن ثاقب يستعرض حشوداً من المعانى ، ليخلصهما فى عبارة محدودة ، تكون من جوامع الكلم ، وشوارد المثل ، فهى عصارة مُركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفاذ ، وهنا كان الأديب الموجز أعرق فى البلاغة من غيره ، لأن الثانى يدون خواطره كما تجىء ، أما الأول فيقف وراء هذه المعانى المنثالة يُطالع وجوهها ، ويتأمل منازعها ، ثم يأتى بفحواها الشامل فى جملة تصيب المحز ، وتطبق المفصل ، . . وأذكر أن بعض البلغاء من أساطين الأدب أرسل خطابا مسهبا فى بعض أموره ، ولم يفته أن يعتذر فى نهايته عن الإطناب كأثر ملحوظ إذ لا وقت لديه يتسع للإيجاز ، ولن يقدّر هذا الاعتذار الصادق غير من تمرس بأساليب البيان فعرف مضايق الإيجاز ومزالق الإعجاز ، وقد فطن أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات إلى روعة الإيجاز فى البلاغة العربية فقال متحدثا عن بيان محمد « والإيجاز وهو تأدية المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ، لأن الإيجاز قوة فى التعبير ، وامتلاء فى اللفظ وشدة فى التماسك ، وهذه صفات تُلازم قوة العقل وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل

ما تكون فى الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم فى خطبه (١) » .

ونحن نعلم أن أصحاب الدعوات الجديدة فى حاجة ماسة إلى تكرار القول وترديده ، والخروج به من نطاق الدقة والإيجاز إلى مجال الإسهاب والتطويل ، لترسخ مبادئهم فى الأذهان ، وتصل تعاليمهم إلى القلوب ، فالإيجاز لديهم فى ظاهر الأمر لا يصل بهم إلى هدف منشود ! ! نعلم ذلك ولا نستغربه من قادة الرأى ، ورواد الإصلاح فى عصورنا الحديثة ، ولكنه بالنسبة إلى عصر النبوة ، فى قوم بلاغتهم الايجاز أمر غير مستغرب ، أضف إلى ذلك أن الأطناب مدعاة قريبة لاختلاف الفهم ، وافتراق الرأى ، فكلما تشقق الحديث وتشعب كثرت حوله الآراء ، وانفرجت زوايا النقاش ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حريص على أن تجتمع أمته على أمر واحد ، فهو يطالعها بالحكم الموجز ، ثم يعلن على الملأ أنه يكره الثرثرة والتفيهق ويقول فى بعض أحاديثه ، إن أبغضكم إلىّ ، وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » .

وقد يقتضى الأمر لمناسبة عارضة أن يفيض فى القول فلا يتأخر ، ولذلك روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله قد خطب ذات يوم بعد العصر فما زال يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حُمرة فوق أطراف السعف :

ولسنا نجد من يخبرنا عن موضوع خطبته تلك ، لنعرف الدافع الذى حدا بمحمد إلى تجنب الإيجاز ؛ ومن يدرى لعل الله قد شاء له أن يُطيل ـ لا شعوريا ـ فى موقف كهذا ليعلم الحسدة من أعدائه أنه يملك أزمة البيان ، وأن إيثاره الإيجاز ترجيح شديد للجادة المثلى من طرق الحديث ، وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقال الإيجاز يستدعى من الخبرة النفسية ، والثقافية الملهمة ذخيرة وافية ، فقد تحين المناسبة المرتقبة ، وتتفتح نوافذ القول من كل ناحية ، ويظن المستمعون أن مجال القول ذو سعة ، ثم يقف الخطيب فيوجز إيجازاً لا مجال بعده لإطناب وتهويل ، ويترك النفوس ذاهلة لا تدرى كيف استطاعت الكلمة الواحدة أن تفعل ما لا يفعله حديث لليوم الطويل ، فتخلق جواً من التأمل والعبرة والحيرة ، يمتد أياما طويلة دون أن ينقطع فيضه أو يغيب صداه . ! هذا رسول الله يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم ، فيقتحم عرينا يجمع أعداءه ، وذوى الحفيظة من مناوئيه ، وتخفق راية النصر على جيشه الظافر السباق وتتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ، ترتقب أن يداهمها الجزاء الرادع دون إبطاء ،

[١] وحى الرسالة ج ٣ ص ٢٩ .

ويقف الخطيب القائد فلا يشك أحد فى أنه سيتعرض إلى تاريخه مع أعدائه متشفيا ثائراً وسيعدد ما منّ الله عليه به من فوز سباق ، ثم يحيل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجوه من وطنه ، وآذوه فى دعوته ، وناصبوه الحرب فى مغتربه ! يالله : كم ينتظر السامع من محمد فى مثل هذا اليوم الأغر ! إنه ليقف والأبصار خاشعة والرقاب منحنية فيسأل فى هدوء الحليم : يا معشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيجيبون بألسنة المشفقين : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فيفوه بخطبته الموجزة التى لا تخرج عن جملة قصيرة : إذهبوا فأنتم الطلقاء !! ما هذا السحر الرائع تنبعث به حروف معدودة فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة ! كم يستشعر الطليق فى ذات نفسه ندم الخجل ، وفى وجهه عرق الخزى ، وفى حلقه مرارة الأسف ، وكم من الساعات والأيام سيظل مردداً صدى هذه الكلمة فى أعماقه ، واصفا عمق تأثيرها فى كيانه ، مستحييا أن تعود به الذكرى إلى عهد سلف ، وباطل أدبر . !! أرأيت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس ، فيكون مثلا شروداً قصير الكلمات مجلجل الأصداء ، ولولا هذه الخبرة البصيرة بالأهواء ، وهذه المكاشفة النافذة لخلجات الحس ، وهمسات الضمير ما استطاع الإيجاز أن يفعل فعله على لسان الرسول ، ولم تأت هذه الخبرة النافذة ارتجالا فى موقف عابر ، ولكنها وليدة نفس فسيحة الجوانب متسعة الآماد ، قطعت أشواطا متناهية فى التحليل والتعليل ، والترجيح والتفسير حتى استقرت فى حياتها الهادية على فلسفة صادقة تؤمن بمكارم الأخلاق وترى الحلم سيد الفضائل فهى تأمر بالعفو ، وتعرض عن الجاهلين ، وفى اعتقادى أن فترات العزلة الساكنة التى تخللت حياة محمد كانت ذات أثر فى دراسته الصامتة ، وإحاطته الشاملة بالمطاوى الخافية والمهاوى السحيقة فى أعمق أغوار الوجود ، فجاءت خطابته تطبيقا واعيا لما اهتدى إليه من كشف نفسى دقيق ! هذا الكشف الباهر الذى تجلى ساطعا فى خطابه الأول حين أراد أن يجهر بدعوة الله ! إنه لم يعد خطبة منمقة الأسجاع كأرباب الكهانات ، ولكنه يحمل الإيجاز الدقيق مطية الإقناع العاقل ، فيقف على الصفا . ويجمع الملأ من قريش ، ثم يفاجئهم بهذا السؤال فى هدوء : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ فتتصايح الشفاه : نعم ما جربنا عليك كذبا !؟ فيطمئن السائل إلى هذا الاعتراف الصريح والشهادة المنصفة ، ويلجأ إلى المنطق المستقيم بعيداً عن الثرثرة والتشدق فيقول : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس

جميعا ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا ، دعوة جديدة تزلزل عقيدة ثابتة ، يفاجأ بها القوم فيلبدون فى أماكنهم ذاهلين ، لقد اعترفوا مجمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذبا ، وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله ، ثم لا يملكون فى سطوة هذا البيان الحاسم أن يدفعوه ، فيكون قصارى قائلهم أن يقول : ألهذا جمعتنا !! ويتفرقون تائهين ليجتمع رأى إلى رأى ، وليقوى خصم بخصم ، وقد حفظوا كل ما قاله محمد ، وجعلوه محور نقاش وحوار ؛ ليت شعرى ماذا صنع الإيجاز الدقيق فى مثل هذا الموقف الخطير ؟ إنه الإعجاز ، وكفى .

وقد تعود الكتاب أن يستشهدوا لتربية الرسول الأدبية ، بقوله : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وهذا حق لا مرية فيه ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولكننا لا ننكر مع ذلك أثر المعاصرة الراهنة ، فى خلق الخطيب وتكوين شخصيته الفكرية ، وقد كان الرسول فى صباه الأول وشبابه الباكر يتردد على سوق عكاظ ، ويستمع إلى مصاقع القول ، ومقاول الجدل ، فيرى فنونا من الخطابة الأدبية تجلى فى معارض زاهية من الأسلوب وترن فى مرتفع سامق من المكان ، غير أنه ذكر من هؤلاء قس بن ساعدة فروى خطبته ووصف موقفه فوق ناقته ، وأثنى عليه حين قال . أنه يبعث أمة وحده ! ولا أريد بذلك أن أشير إلى تلمذة أو أستاذية فكثيرا مايفوق التلميذ جميع أساتيذه ؛ ولا يمنع هذا أن يقول قائل إنه تأثر بهم فى مطلع حياته البيانية ، وإنما أشير إشارة طائرة إلى أن الخطبة التى رواها محمد صلى الله عليه وسلم عن قس تحمل بعض الخصائص الفنية لخطابة الرسول ، وإن قول قس فيها « ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يذكرنا بقول محمد « كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيعه من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم ، كأننا مخلدون بعدهم ! ومع التسليم الصريح بأن الحديث عن الموت من المعانى المشتركة لدى جميع الناس فى الشرق والغرب ، إلا أن المنهج الخطابى فى الإيجاز والصدق والإخلاص للفكرة ومشافهة العواطف يتضح فى كلا الموقفين ، ولن نذهب مذهب من ينكر خطبة قس مع تواترها المتتابع ،

وذيوعها 'طائر ، وإلا لاستطعنا أن نتذكر في سهولة مضحكة جميع الجاهليين ! ! إن قسا بشهادة محمد قد استرعى انتباهه ولو حفظت لنا بعض خطبه الكثيرة لاستطعنا أن نحدد مكانه الخطابي على وجه مريح ، وكأن القدر قد كافأه بوسام لامع حين سجل الرسول كلامه وبالك من مجد ! ! .

وهناك عنصر هام من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعه ، لأنه ينبيء عن معدن قائله ، وأعني به عنصر الشجاعة الأدبية لدى المتكلم ، فالخطيب إذا كان شجاع الرأي يزأر في وجه العاصفة ، بعزيمة لا تعرف النكوص فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون من بينهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستشعرون الغيظ لجرأته فإنهم في قرارات نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة ، هـؤلاء هم المعارضون ، فما ظنك بالمؤيدين الذين يجدون في حـديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرا عن أحاسيس مكبوتة ، ومهما كانت عبارة الخطيب الشجاع سهلة قريبة فإن هدفها الأسمى يغني عن كل صورة خالبة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولا حمل أمانة اللسان كما حملها محمـد بن عبد الله ، لأن بيئته العربية قـد جمعت قوماً لدًّا يرمون بالخطب الطوال ويتقذفون بالحجج السوائر ، فإذا صيح في وجوههم بما يسفه أحلامهم ، فتلك هي الشجاعة دون مراء ، ولدينا ضرب من الشجاعة الأدبية يفوق مجابهة الباطل ومدافعة الطغيان ، ذلك هـو الاعتراف الصريح بحقـوق المعارضين ومواجهة مطالبهم ، بما يحفـظ الحيدة والإنصاف والخطيب في مثل هذا الموقف يحتاج إلى رصيد ضخم من كرم النحيزة وعراقة الضمير ، ومتانة الخلق ، إني لأعرف لمحمد مواقف رائعة أنصف فيها معارضيه من نفسه في شجاعة مخلصة ، فزاده الإقرار بالحق رفعة وإجلالا ، لقـد غضب بعض الأنصار عقب غزوة حنين إذ نال المهاجرون من سبي المعركة أكثر مما نالوه ، وهم ذادة الدعوة وحماة الإسلام ، ومضى حديثهم إلى محمد فبادر بالنهوض إليهم ، وواجه الموقف في نزاهة العادل وإنصاف الأمين ، فعرف لهم حقهم كما عرف لنفسه حقها ، وكان في مكنته ـ لو تخلى عن شجاعته المنصفه ـ أن يتحدث عن نفسه وحدها ، فيفيض فيما نشره الإسلام على المدينة من أمن وسيادة ، ولكنه نظر إلى نفوسهم فعرف خوالجها المقنّعة ولمس نبضات الأفئـدة وهمسات النوازع فعرف صدقها الصريح ، وصور ذلك حين قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة قد بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها

(البقية على صفحة ١٠٩٢)

مع البحترى فى ذكراه

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

كان جميلا من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أن يدعو الأدباء والشعراء إلى الاحتفال بذكرى البحترى ، وقد مر على مولده أكثر من ألف عام ، على سنته الكريمة وسنته القويم فى الاحتفال بالعباقرة الخالدين من الأدباء والفنانين . وشاعرنا البحترى بين هؤلاء العباقرة من أجدرهم بالاحتفال ، ومن أحقهم بالتكريم ، فقد كان خلد الله ذكراه . وطيب ثراه — وترا من أرق الأوتار فى قيثارة الشعر ، أخرج لنا أعذب الأنغام ، وأسمعنا أروع الإنشاد .

وكان أول المتحدثين فى هذا الاحتفال أمير البيان أستاذنا الزيات ، فكان ذلك حسن ابتداء ، وبراعة مطلع . وكنت أود أن يتحدث الزيات ، وهو الناثر الذى رنم بالكلمة أجمل ترنيم ، عن شعر البحترى ، وهو الشاعر الذى غنى بها أعذب غناء ، وأنا أجزم بأن الزيات لو لم يكن ناثراً من طراز ... الزيات ، لكان شاعراً على مثال البحترى ، لولا أن كاتبنا لا يضحى أبداً بالمعنى فى سبيل اللفظ ، ولا يغير الصورة من أجل العبارة ، ولكنه بحسن تأنيه ، ولطف تأتيه ، يعرف كيف يهيئ للمعنى الجميل أجمل الأزياء ، فيبدو فيه كما تبدو الحسناء فى ثوب الزفاف الذى يجمل الشكل ولا يغير الذات .

ولكن المجلس الأعلى أراد أن يكون حديث الزيات عن شخصية البحترى فكان له ما أراد . وفى هـــذا المجال استطاع أديبنا أن يرينا شخصية البحترى من الداخل ، بعد أن سلط عليها الأضواء ، فبدت أمامنا صورة مجسمة واضحة الألوان . موحية الظلال ...

وقد استعان على هذا الغرض بكشافين كبيرين أحدهما حب المال ، والآخر حب الجمال ، وبالكشاف الأول أوضح لنا سر ما استفاض عن البحترى من أخبار التدنى والشح ، ووسائل التقلب والاحتيال .

كما أبان لنا بالكشاف الآخر سر هيامه بالطبيعة الضاحكة ، والقصور الرائعة ، وسر اهتمامه بالكلمة المفردة ، والعبارة الراقصة ، والموسيقا الجميلة . والذين يعرفون النفوس بالملاحظة والتجربة ، يدركون أن النفس البشرية قد يمتزج فيها الماء بالنار ، وتختلط

فيها الظلمة بالنور ، ولهذا فقد كان الزيات موفقا كل التوفيق ، دقيقا غاية الدقة حين لاحظ أن العناصر المادية كحب المال والعناصر المعنوية كحب الجمال تتقارب وتتضارب وتتفاعل فى نفوس البشر ، فلا يكون هناك حس محض ، ولا معنى خالص . وهذا يفسر الأناقة التى طبع عليها البحترى فى اختيار ألفاظه وتنسيق كلماته ، والفوضى التى عرفت عنه فيما يمس الهندام والأثاث ، ونزوع البحترى إلى إهمال ملبسه وأثاث بيته ، دليل قوى على أن حب المال كان أقوى فى نفسه من حب الجمال ، وفى رأينا أن ذلك الحب هو الذى دعاه - إلى جانب غيره من الدواعى - إلى ما اشتهر عنه من العناية الفائقة بشعره ليستزيد من الضياع ، ويستكثر من الأموال ، دون مبالاة بكرم الوسيلة وشرف الأداة حتى أجاز لنفسه أن يمدح بالقصيدة الواحدة أكثر من واحد ، وأن يتوسل بشعره إلى إعفاء ضياعه من الخراج ! وقد قال الصولى إنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه ، عمن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير الأسماء وبدل المعالم . ولو كان فى رأى البحترى أن حسن الهندام يجلب المال ، لرأيناه رائد المتأنقين فى هذا المجال .

وقد كان هيام البحترى بالطبيعة أثراً من آثار حبه للجمال ، ونحن نرى أن شعر الطبيعة عند البحترى لا ينقصه جمال الوصف ، ولا تعوزه روعة الأداء ، ولكن الذى ينقصه هو الامتزاج بها ، والفناء فيها ... ولنقرأ ابياته المشهورة فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما

يفتقها برد الندى ، فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما

فمن شجر رد الربيع رداءه
عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما

فنجد فى هذه الأبيات أن البحترى « يحس » الربيع ، ولكنه لا « يشعر » به ، لماذا ؟ لأنه رآه من الخارج ، دون أن يتغلغل فى أعماقه ، ولأنه حين رآه لم يره بأعين نفسه ، وإنما رآه بعيني رأسه ... فالرؤية النفسية هى ما كان ينقص البحترى حين يقف أمام الطبيعة ، وهذه الرؤية لم تتحقق لشاعر من شعراء العرب على مثالها الذى يقرب من الكمال إلا المتنبى وابن الرومى ، على اختلاف موضوع الرؤية عند الشاعرين العظيمين .

ونحن نجد فى البيت الأخير أن حرص البحترى على المقابلة بين الألفاظ قد أفسد

عليه معناه ، لأن الشجر حين يتجرد مما يزينه من الأوراق والأزهار والثمار قد يؤذى بمنظره ، ولكن المحرم الذى تجرد من بهرج الحياة ، وتحلى بطاعة الله ، لن يؤذى بمنظره إلا الذين لا يهتمون برؤية النفوس واستجلاء الأرواح ، ولو أن البحترى استعان هنا بالرؤية النفسية لرأى الفارق الواضح بين تجرد الشجر من طبيعته ومعناه ، وتجرد المحرم من بهرج المال ، وحلية الجاه .

وكما كان هيام البحترى بالطبيعة أثرا من آثار حبه للجمال ، فقد كان كلفه بالمرأة أثرا من آثار هذا الحب أيضا ، وقد أوضح أستاذنا أن البحترى قد أحب المرأة بحسه لا بنفسه ، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه ، كما سجلت ذلك أيضا الأديبة الباحثة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى بحثها القيم عن المرأة والغزل فى شعر البحترى .

وهكذا بهذا الكشافين : حب المال ، وحب الجمال استطعنا أن نرى شخصية البحترى فى وضوح وجلاء ، وأن نرد كل ما صدر عن هذه الشخصية إلى مصدره الأصيل ، ومبعثه الحق .

ثم يأبى تواضع أستاذنا إلا أن يجعله يقول فى ختام بحثه البليغ القيم إن الصورة التى رسمها البحترى ليست صورة تقريبية لشخصية هذا الشاعر العظيم !

ولكنى لا أحب أن أترك هذا البحث دون أن أذكر أن الأستاذ الزيات قد ترفق بالشاعر أكثر مما ينبغى حين التمس له العذر فى انحراف شخصيته عن سواء السبيل ، وشرف الغاية ، فوجده كامنا فى أحوال المجتمع ، وأخلاق العصر . والذى أراه أن سوء المجتمع قد يبرر أعمال العامة ، أما العباقرة والأفذاذ فرسالتهم أن يغيروا المجتمع وواجبهم أن يحولوا التاريخ ؛ لأنهم يدركون رسالة الكلمة ، ويعرفون واجب القلم .

ثم ننتقل إلى بحث آخر من الأبحاث التى كتبت عن البحترى فى ذكراه ، فنتحدث عن البحث الذى كتبه الدكتور جودت الركابى ، وجعل عنوانه : « ديباجة البحترى » .

فى هذا البحث يذكر الدكتور أن أهم ما يميز أسلوب البحترى العناية بإشراق اللفظ ووضوح المعنى ، وتجنب الأسلوب المنطقى . والابتعاد عن الغريب والتعقيد ، وإطلاق العنان للخيال ، والاعتماد على روعة النغم ، وسحر الموسيقى ، ثم يذكر أن هذا الأسلوب هو السمة الغالبة على شعراء الشام ؛ لأن بادية الشام كانت ترفدهم بالفصاحة من جانب ولأن الطبيعة كانت تغذى عواطفهم ، وتثير خيالهم من جانب آخر ، ثم يتحدث عن أستاذية أبى تمام للبحترى ، ويبين أنه على الرغم من هذه الأستاذية ، فقد اختلف أسلوب البحترى

عن أسلوب أستاذه أبى تمام اختلافا ليس باليسير على أى حال .

ولكن ما الذى جعل ديباجة البحترى تخالف ديباجة أستاذه أبى تمام ؟

ذلك ما لم يتحدث عنه الدكتور جودت الركابى ... وفى رأينا أن هذا الاختلاف بين الشاعرين العظيمين ، يعود إلى جملة أسباب من بينها الفطرة والوراثة ، فقد ذكر معاصرو البحترى أن وجهه كان مسنونا ذنوبا . وهذا هو السمت الغالب على رجال الفن ممن يعكسون على فنهم جمال الطبيعة ، ورقة العاطفة ورهافة الحس . وروعة الخيال ، وفى يقيننا أن البحترى لو لم يكن شاعرا لكان رساما يصور مشاهد الطبيعة بالألوان والظلال ، أو موسيقيا يعبر عن مشاعره الطليقة بالأنغام والألحان .

والذى يقرأ البحترى يرى أن الموسيقا هى الميزة الأساسية فى شعره ، وهى مصدر ما نراه فى هذا الشعر من التأنق المفرط فى اختيار الألفاظ ، وتنسيق الكلمات ، بحيث يجلب جمال الجرس ، وروعة النغم ، ومن الكلف الشديد بألوان من البديع يتحقق بها ذلك الجمال وتلك الروعة . كالتقسيم والمقابلة وذلك يبدو جليا فى هذه الأبيات :

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا ... وأعاد الصدود منه وأبدا

يتأبى منعا ، وينعم إسعا ... فا ، ويدنو وصلا ، ويبعد صدا

اغتدى راضيا ، وقد بت غضبا ... ن ، وأمسى مولى ، وأصبح عبدا

وبنفسى أفدى على كل حال ... شادنا لو يمس بالحسن أعدى

مر بى خاليا فأطمع فى الوص ... ل ، وعرضت بالسلام فردا

وثنى خده إلى على خو ... ف ، فقبلت جلنارا ووردا

سيدى أنت ، ما تعرضت ظلما ... فأجازى به ، ولا خنت عهدا

رق لى من مدامع ليس ترقا ... وارث لى من جوانح ليس تهدا

وليس من شك فى أن هذا الغزل يخلو من صدق الشعور ، وحرارة العاطفة ، وليس من شك أيضا فى أن هذا الشعر قد بلغ الغاية فى جمال الصياغة ، وروعة النغم .

والبيئة من الأسباب التى جعلت البحترى يخالف أستاذه فى أسلوب الشعر ، فقد عاش حياته الأولى فى منبج وهى بلدة وصفت بأنها عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الأدواء والذى ينشأ فى هذه البيئة حرى بأن يكون رقيق الحس ، معتدل المزاج ، وخاصة إذا كان من ناحية الفطرة والوراثة صاحب مزاج فنى كصاحبنا البحترى .

وسبب آخر يضاف إلى ما قدمناه من أسباب ، وهو أن البحترى بفطرته ووراثته وطبيعة مزاجه صدف عن تعمق ما شاع فى عصره من المعارف والثقافات ، وخاصة العلوم والفلسفات ، فانسع المجال أمامه للعناية بصقل اللفظ ، وتنسيق العبارة ، على حين شغل أبو تمام ومن جرى مجراه من ذوى الثقافة المنوعة بما يبين سعة اطلاعهم وعمق ثقافتهم وإذا كان أبو تمام قد عنى فى شعره بالبديع كما عنى البحترى ، فلم تكن هذه العناية صادرة عن إحساس فنى بجدواه ، وإنما كانت وسيلة من وسائل الافتنان فى التعبير ، ومنافسة منه لغيره من الشعراء فى عصر كان للبديع فيه شأن ملحوظ ، ومقام معلوم . أما البحترى فالبديع فى شعره قد صدر صدورا تلقائياً عن نفسه التى كانت تحب النغم ، وتعشق الكلمة .

وفى رأى الكاتب الباحث أن البحترى يفوق المتنبى فى عصر الصياغة حين يقارن به وهذا رأى يحتاج إلى مناقشة طويلة وسوف نناقشه فى مقال خاص نتحدث فيه عن الصياغة فى شعر البحترى والمتنبى .

و « الوصف عند البحترى » كان موضوع بحث الأستاذ أحمد الجندى .

وقد بدأ الأستاذ بحثه بتحديد معنى الوصف فقال إنه نظرة واعية فاهمة تنقل الرائى صورة ما يراه ، أو توحى إليه بفكرة عما رأى ، ثم بين ان النظرة واحدة عند الناس من الناحية المادية ، ولكن نظرة الفنان فيها شئ يضاف إلى النظرة العادية ، وهذا الشئ هو الذى يميز الفنان من غيره ، فتصبح نظرته ذات معنى خاص لا يشاركه فيه الرجل العادى ولو أردنا نحن أن نفرق بين نظرة الفنان ونظرة غيره من سائر الناس لقلنا إن الإنسان العادى لا يلمس بنظرته جوهر ما يراه فى كثير من الأحيان ، على حين ينفذ الفنان ببصيرته إلى طبيعة ما يراه على اختلاف فى درجة النفاذ بين فنان وفنان .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نقول إن الإنسان العادى لا يحس ما يراه أو يشعر به كما يفعل الفنان ، ومن ثم لا يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا يوقظ النفس ، ويثير الحس ، ويلهم البصيرة ، بينما الفنان لا يجد بدا من هذا التعبير حين تمتلىء نفسه بما يراه كالكأس لا تستطيع إلا أن تفيض حين تمتلىء بالسائل الذى تحتويه .

ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن موقف الشعراء مما يرون من الأشياء ، فيذكر أنهم فريقان : فريق ينظر إلى ما يراه فتحفظ عينه صورته حفظا لا سهو فيه ولا خطأ ، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى النفس الشاعرة جرى قلم الشاعر برسمها لتخرج كالأصل وقد تحركت

فيها الروح ، ودبت فيها الحياة ، وهؤلاء هم الشعراء المصورون ، وعلى رأسهم ابن الرومى وفريق آخر لا يهتم بنقل المرئيات كما هى فى الخارج ، وإنما يعنى بنقل انطباعها فى حسه وتأثيرها فى نفسه ، ومن هؤلاء الشعراء ، بل من أعظمهم شاعرنا البحترى !

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ؛ فإن البحترى ينطبق عليه فى مجال الوصف ما ينطبق على أكثر شعراء الوصف فى الأدب العربى وهو أن هؤلاء الشعراء لم يعنوا بوصف تأثير الأشياء فى انفسهم كما عنوا بوصف ظواهر هذه الأشياء ، وأنهم حين نظروا إلى مايرونه لم تكن نظرتهم نظرة كلية تستوعب المنظور وتحيط به ، وإنما كانت نظرة جزئية تتبع أجزاء الشىء فى غير ترتيب حينا ، ودون استقصاء حينا آخر ولهذا جاء المنظور فى شعرهم « أجزاء » مرتبة أو غير مرتبة ، ولم يكن « كلا » متصلا ، ووحدة متناسقة . ومن البدهى أنه فى مجال الوصف والتصوير لا يكفى أن تلم بكل الأجزاء والتفاصيل ، بل لا بد أن نصور العلاقة الكامنة بين الأجزاء بحيث يدرك القارىء أن جزءاً منها لا ينفصل عما عداه ، دون أن ينقص تأثيره ، وتقل جدواه . وأبيات البحترى فى وصف الربيع وفى وصف بركة المتوكل تعد مثالا يمكن أن يوضح ما قلناه .

وقد أراد الكاتب أن يؤيد ما قاله عن منهج البحترى فى وصف الأشياء ، فجاء بأبيات من شعر الغزل ، وزعم أنها من الشعر الوصفى الذى يدل على أن البحترى لا يصف الأشياء وإنما يصف ما تثيره فى حسه ، وما توحيه إلى نفسه ! . . يقول البحترى :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا
مقصرا من صبابة أو مطيلا
قف مشوقا ، أومسعدا ، أوحزينا
أو معينا ، أوعاذرا ، أو عذولا
وخلاف الجميل قولك للذا
كر عهد الأحباب : صبرا جميلا

فيقول الكاتب تعقيبا على هذه الأبيات : إنه لا يقف عند وادى الأراك ليصف لك ما فيه من معالم وخطوط ، بل يقف ليذكر نفسه وما فيها من لواعج وآثار تركها هذا المنظر الأخاذ ! !

وأظن أنه من اليسير جداً أن نلحظ أن البحترى لا يصف هنا ، وإنما يبدأ قصيدته بالغزل على طريقة شعراء العرب ، وكما فعل هو فى قصائد كثيرة من شعره . وهل يحسب الكاتب أن البحترى قد وقف حقا عند وادى الأراك ؟ وماذا فى وادى الأراك مما يثير حاسة الوصف عند البحترى لو وقف عنده ؟ أتراه يصف بعر الآرام فى عرصاته وقيعانه ، ذاك الذى « كأنه حب

فلفل ، كما فعل صاحبه امرؤ القيس حين وقف على « سقط اللوى بين الدخول فحومل » ؟

وبينما نرى الكاتب يذكر أن البحترى لا يصور المنظور ، وإنما يعبر عن أثره فى نفسه ، إذ بنا نراه يقول إنه لا يعجبه من صينيته غير هذين البيتين :

يغتلى فيهم ارتيابى حتى
تتقـراهم يداى بلمس
والمنايا مواثل ، وأنو شر
وان يزجى الجيوش تحت الدرفس

فهل كان البحترى فى هذه القصيدة من شعراء الوصف المصورين ، أم كان من شعرائه التأثيريين ؟ وهل يعد من باب « النقل الحرفى » لما فى الصورة قول البحترى فى قصيدته هذه .

وكأن الإيوان من عجب الصنـ
عة جوب فى جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة أن يبـ
دو لعينى مصبح أو ممس
مزعجا بالفراق عن أنس إلف
عز ، أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى ، فبات المشـ
ترى فيه وهو كوكب نحس

الحق أن هـذا هو التصوير الفنى الذى نفتقده فى كثير من شعر الوصف عند البحترى وعند غيره من الشعراء الأقدمين ، وهـذه هى الرؤية النفسية التى تضيف إلى المنظور من شعور النفس ، وتأثر القلب ، ما يملؤه حركة وحياة .

ثم يورد الكاتب بعض أبيات البحترى فى وصف بركة المتوكل ، ويذكر أن الوصف فى هذه الأبيات كان وصفا لشعور الشاعر ، وخلجات نفسه ، وإحساس قلبه ... وهـذه هى الأبيات :

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها

فهل فى هذه الأبيات من وصف الشعور ، بقدر ما فيها من تسجيل ظواهر المنظور ؟ إن الذى ينقصها إنما هو النظرة الكلية إلى الموصوف ، والشعور الذى يشمل جوانبه ، وينفذ إلى أعماقه .

ولو أردنا أن نتوسع فى نقد هذه الأبيات لقلنا إن تشبيه الماء بالفضة تشبيه لم يصدر عن رؤية نفسية ، وإنما صدر عن رؤية

مادية ، ولهذا لم ير الشاعر برؤيته المادية غير ما يشترك فيه الماء والفضة من اللون والقوام ، فقرن بينهما فى شعره ، ولو أنه رأى كلا منهما رؤية نفسية ذات حساسية وتعمق ، لأدرك أن الماء فى جوهره ووظيفته أغلى من أن يقوم بكنوز الأرض جمعاء . .

ثم ما هذه الصورة التقليدية التى يقترن فيها الماء المتموج بالجواشن المصقولة ؟ إن الماء المتموج يمثل الحركة والحياة ، فهل تمثل الجواشن تلك الحركة ، وهذه الحياة ؟

والذى أراه بعد ذلك أن الأستاذ الجندى فى حاجة إلى أن يراجع بحثه ، وأنه إذا شاء أن يأتى فيه بجديد ، فعليه أن يكتبه من جديد .

وفى مقال آخر سوف نتناول بقية الأبحاث بالتعقيب لنصحح ما يحتاج إلى التصحيح فى نقد البحترى خاصة ، ولنصلح ما يحتاج إلى الإصلاح فى موازين النقد عامة .

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على صفحة ١٠٨٤)

فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ، قالوا بلى . لله ورسوله المن والفضل فقال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ، قالوا ، وبماذا نجيبك يا رسول الله . قال ، أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وتصدقتم . أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت أمرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلك الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، .

هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامى . فأخصبت الجديب وأنعشت الذاوى بل إن تيارها الحنون قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت المحاجر ندما واستسلاما !! ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الأنصار برسول الله !! وهى إحدى وثبات العبقرية ، وكم لها فى أدب النبوة من أمثال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

رمضان بين الأمس واليوم

للدكتور محمد غلاب

كان رمضان فى ربيع الدعوة الإسلامية الباهرة — بما فيه من صوم حقيقى وعبادة مخلصة ، وصفاء تام — عملاقا نورانيا هائلا يتحدى أرواح الشر وشياطين الإثم ، ولا يزال يدعوهم إلى المنازلة حتى يشتبك معهم فى حرب طاحنة يقضى عليهم فيها قضاءه الأخير ، فلا يحل بالأمة الإسلامية شهر شوال حتى يكون جيش الآثام والسيئات قد انهزم هزيمة منكرة لا يسترد منها قوته إلا بعد لأى وعناء شديدين ولا يكاد يستخدم هذه القوة الشريرة التى استردها حتى يباغته رمضان من جديد فيعيده إلى هزيمته الأولى أو إلى ما هو أشد منها نكرا ونكالا .

ولم يكن رمضان يقتصر على ذلك الموقف السلبى بما اشتمل عليه من ألوان الكفاح المعنوى وعدده الروحية ، وإعداد المؤمنين للانتصار على جيوش الإثم والفساد وتمزيق كتائبها شر ممزق ، وإنما يقوم بدور إيجابى فعال ، وهو أنه يقدم — بصفائه ونقائه — أعظم مأوى للقلوب الطاهرة ، وأقوى ملجأ للعقول المتأملة فى ملكوت السماوات والأرض وما بينهما من آيات بينات ، وعبر نيرات . ولا ريب أن هذه التأملات دائما تنتهى بأولئك المؤمنين إلى نتيجة واحدة لا تختلف ولا تتخلف وهى اليقين بأن وجدان العالم الإسلامى يعتمد على الدين وبأن الإيمان المستنير النقى الخالص هو الذى يكيف هذا الوجدان ويكون له بمثابة المنبع الذى تنبجس منه درجات سموه وسيره نحو الكمال .

هذا هو هدف الدعوة العظمى التى أشرقت على حنادس العالم فأحالته نورا وبهاء ، وفاضت على كل ما كان يكتنفه من ضلال وشك فصيرته هدى ويقينا وانبثقت فى وسط الهمجية المطبقة فجعلتها نظاما وانسجاما .

هذا هو الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأماجد رضوان الله عليهم أيام أن كان عشرة من المؤمنين يغلبون مائة من الأعداء الاقوياء ، وعشرون يغلبون مائتين ، لا لشىء سوى أن عقيدتهم كانت أرسخ من الطود ، وإيمانهم أنقى من الثلج ، وأنهم انصرفوا تماما عن الاعتماد على أهل الأرض واتجهوا بكل كينونتهم نحو الواحد الأحد الذى يملك وحده دون غيره أن يعز من يشاء ويذل من يشاء .

كان هذا أيام أن فهم المسلمون دينهم حق الفهم وترفعوا بالتشريع الإلهى الحكيم عن

أن يفترض الصيام ليمنع النـاس من تناول الطعام والشراب ردحا من الزمن ينتهى كل يوم بغروب الشمس ، فيعود بهم إلى إباحة ما حرمه عليهم منذ ساعات ، أو أن يفرض الصلاة ليكره الناس على إتيان حركات رياضية معينة لا روح فيها ولا حياة ، وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة . ولقـد ترفع المسـلمون الأولون عن هـذا السخف فى الفهم وسموا بدينهم عن هـذه الدركة التى لا يقرها العقل المستقيم ، ولا يستسيغها الذوق السليم ، فاستوحوا كتابهم ، واستلهموا سنة نبيهم فألفوا لديهما حكمة هـذين الركنين من أركان الإسلام واضحة جلية وهى أن الصلاة إنما شرعت لتحرج الآثم وتجلله بالخجل كلما وقف بين يدى ربه ملوثا بالرذائل والسيئات ، فلا يسعه إلا العدول عنها ذهابا بنفسه عن مواطن العـار الذى يلحقه خمس مرات فى اليوم والليلة ، وإلا هوى فى حضيض السخط الإلهى لصفاقته وفقدانه معنى الحياء الإنسانى ، واستخفافه بتكرار مواجهة ذى القوة والجبروت متلبساً بالإثم ، متشبثا به ، مصرا عليه ، فينطبق عليه قول النبى الجليل : « من لم تنهـه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » . وإنما أيقنوا أن الله قد شرع الصوم لحكم خلقيـة واجتماعية شتى . منها أن يشعر الصائم بأن هناك سلطانا قويا يمنعه من لذائذه فيمتنع عنها حتى فى الخفاء فيحول ذلك الشعور بينه وبين الطغيان النفسى البغيض الذى هو أولى دركات الغرور المهلك .

فخدثنى بربك أيها القارىء أمتحققة الآن من صيام المسلمين تلك الأهداف العالية التى قصد إليها الشارع والتى كانت متحققة فى صدر الإسلام بقضها وقضيضها ؟ .

فهل يعتبر الآن صائمـا ذلك الذى يمتنع عن الطعام والشراب ثم يوغل فى الكـذب والخيانة والغـدر والدس والملـق والرياء والغيبة والنميمة والغمز واللمز ، وتتضاعف عنده شدة الغضب فى رمضان ، وتتعدد لديه أحداث التهور إلى حـد لا عهد للناس به فى غيره من الشهور كأن رمضان شهر شر وغضب وحمق وجهل ، لا شهر حلم وتسامح وسماحة وصفح وصفاء للنفس ، وتهذيب للخلق كما قصد منه المشرع الحـكيم .

وهل يعتبر من الصائمين هـؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون ، وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهـؤلاء العمال الذين يتقاضون أجـورهم ويلحفون فى الزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال باتقان وإخلاص .

على أن الذى زاد الخطب فداحة والجو ظـلاما أن أذناب الاستعمار وسماسرته الذين

كان سادتهم من المحتلين فى ذلك العهد المشئوم يعدون لهم ميزانية خاصة ينفقونها فى إفساد عقائد الشباب وتربيتهم وعقولهم قد نجحوا فى النصف الأول من القرن العشرين فى أن ينقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين من المواطنين أن أداء الفروض الدينية من صوم وصلاة وما إلى ذلك من التكاليف من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الاستهانة والاستهزاء ، ولقد خلقت هذه المحاولة الاستعمارية الخطيرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دعتهم إلى التهاون فى الشعائر الدينية التى هى مناط التماسك والترابط، وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى إليها المحتلون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ساد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاحتلال .

ولقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة وتبينوا مبادئه الأساسية وعناصره الأولية فأسروا إلى مواطنيهم أن الإسلام دين خطير ، لأنه اشتمل على مبادىء يمكن أن تقيم الدنيا وتقعدها ، وإذا تحقق تطبيقها ساد أهل هذا الدين الكرة الأرضية كلها ، فمن هذه المبادىء مثلا : الترابط والتماسك والاتحاد : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ، « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

ومنها الاستقامة والقناعة وحسن معاملة الجار وحب الخير للناس « قل آمنت بالله ثم استقم لا تزد على ذلك شيئا » ، « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

ومنها التعاون على الخير والتحذير من التعاون على الشر « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ومنها ذم الغيبة والنميمة والحسد والاعتداء والغمز واللمز والتنابذ بالألقاب: « ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » ، « ويل لكل همزة لمزة » ، « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » ، « إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

ومنها الصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد ، واستيفاء الأجير أجره : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » . « وأوفوا

بالعهد إن العهد كان مسئولا » . « قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . « آية المنافق ثلاث : إذا تحدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف » .

وأيًّا ما كان فإن هذا الفريق الأخير من المستشرقين يعلق على هذه المبادئ القرآنية بعبارات مختلفة ، مؤداها كلها أن المسلمين إذا عرفوا كتابهم حق المعرفة وطبقوه أكمل تطبيق . فالويل كل الويل للاستعمار ، إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد الساعة التى تتم فيها هذه المعرفة ، ويتحقق فيها ذلك التطبيق .

ومن ثم يتبين ذلك المجهود الذى يبذل المستعمرون فى أن يبقى الإسلام مجهولا ، وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ.

غير أننا نأمل أن نفوت على المستعمرين وناصحيهم من بنى جلدتهم هذه الفرصة الخطيرة حتى لا يظفروا بهذه البغية التى طالما عملوا لها فى عصور الخمول والظلام . ونرجو أن تستيقظ الأمة الإسلامية من نومها الذى طال مداه ، وأن تنفض عن كواهلها غبار الركود ، وأن تتخلص من مركب النقص الذى طالما أرهق نفوس الكثيرين من بنيها ، وهصر قلوبهم وسوّل لهم أن مناصرة الدين نوع من التأخر ، وتأييده لون من الرجعية ، وأن يتحرر منذ الآن أولئك الضعفاء الذين يضطربون فرقا أمام المتحللين من دينهم وأخلاقهم فيجارونهم فى التحلل ، بل يسبقونهم إليه ، وما أساس هذا كله سوى الجهل وضعف النفسية والجبن والانمياع .

وأخيراً ـ وإلى أن يتحقق هذا الاستيقاظ المرموق ـ هل ينبغى الصمت بإزاء هذا كله حتى نهوى أكثر مما هوينا ، ونتقهقر إلى الوراء أكثر مما تقهقرنا ؟ وأن نبقى كما نحن معتمدين على أن الله غفور رحيم ، ناسين أو متناسين أن عذابه هو العذاب الأليم ؟ وأن نظل مكتفين بالقشور دون اللباب كأننا لسنا من ذوى الألباب ؟ قانعين من الشعائر بالأعراض والأشباح دون الجواهر والأرواح ؟ كلا ، لا ينبغى أن نغضى عن هذه الحالة ولا أن نمد فى عمر هذا النوم الذى طال مداه ، ولا أن نتابع ذلك الخمول الذى اشتد ظلامه ، وران على قلوب المسلمين قتامه ، بل يجب أن ينهض الإسلام بالعالم من جديد كما نهض به منذ أربعة عشر قرنا ، فالنفوس معدة ، والقلوب مستعدة ، إذ أننا الآن نحيا فى عالم قد أصبح ـ بسبب هذه المدنية المادية التى تسوده وتقوده ـ يسخر من المبادئ ، ويهزأ بالفضائل ، ولا يمجد إلا حكم القوة ، وأمست مقاييسه محصورة فى النجاح ولو على حساب الفضائل والأخلاق . وأوشكت القيم الخلقية فيه أن تنهار ، وأضحت مقدسات

الإنسانية معرضة للإهانة والدوس بالأقدام.
ولما كان خروج كل شيء عن حده يؤذن بالانقلاب إلى ضده ، فإنه لا بد أن تبدأ هذه المادية البغيضة فى الانهيار ، وتصير الكلمة الأخيرة الحاسمة الروحية المشرقة .
نعم إن كثيراً من المعاصرين الذين بهرتهم هذه المدنية المادية يبسمون سخرية من هذا الرأى ، ذلك لأنهم اعتادوا على أن يرجعوا كل عمل إنسانى إلى بواعث نفعية وغايات شخصية ومع ذلك فإنه — رغم مبادئهم المادية — لا ينبغى لهم سوى قليل من الشجاعة وحسن النية ، لكى يعترفوا معنا بأن الفضائل ليست منسجمة مع التعاليم الدينية ، والفطرة الإنسانية المستقيمة فحسب بل هى متفقة مع الضرورات الأولية لجميع المشروعات الاجتماعية الأساسية فى الحياة .
وذلك لأنه إذا كان تعريف الفضيلة هو « كل ما لو عم لأصلح الحياة » وتعريف الرذيلة هو « كل ما لو عم لأفسد الحياة » ، فقد وجب الجزم بأن من المستحيل إقامة بناء أى مشروع متين ثابت مفيد للإنسانية دون أن يؤسس على دعائم الفضيلة والأخلاق ، كما أن من أسباب الفشل الجوهرية أن ينسى وُضاع المشروعات الاجتماعية أن البشرية إذا لم تكن كلها متمتعة بحياة عقلية ، فإنها جميعها مفتقرة إلى حياة روحية ترشدها أثناء اجتيازها دياجير الوجود ، ومحتاجة — فى تنظيم معاشها وعلائقها — إلى قواعد ثابتة ، ومناهج مقررة تسد حاجاتها وتحقق سعادتها ولا يتيسر هذا إلا فى قوانين الأخلاق الخالدة ، وتعاليم الدين الحكيم الذى هبط من لدن المستغنى الذى لا يناله شيء ، لأنه فوق كل شيء ، وإنما شرع ما شرع لنفع الإنسانية ، وإسعادها وتطهيرها ومنحها النصيب الميسور لها من درجات الكمال .
وإذا كان كل ذلك ثابتا مقرراً ، فإن الإسلام يجب أن يتزعم الآن ثورة التجديدين الخلق والاجتماعى كما تزعم من قبل ثورة التوحيد النقى الذى قلب كيان الوثنية رأسا على عقب ، وأن ينهض بهذه الأمة من كبوتها ويقيلها من عثرتها ، وهذا أهون عليه فقد خلق الإسلام قبل ذلك من الفوضى والهمجية والجهل أمة عز سلطانها ، وعلا صولجانها ورفرفت أعلامها ، وتغلغلت تعاليمها وسادت قوانينها رقعة من الكرة الأرضية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف : والسبب الأول والأخير لهذه العزة العظمى هو فهم المسلمين دينهم على حقيقته ، وتطبيقهم روحه دون الاكتفاء بحرفيته ، والعمل على تحقيق هدفه وغايته ، وهذا هو ما نريد أن يكون عليه المسلمون حتى لا تفوتهم القافلة التى نرجو لهم أن يكونوا قادتها الأولين .

الدكتور محمد غلاب

حقيقة الاشتراكية فى الإسلام

للأستاذ احمد حمد

اشتراكية الإسلام شاملة :

يتحدث الكثيرون عن الاشتراكية ويكتبون فيها ولكن قل منهم من يكتب عنها بمفهومها الصحيح ويحدد معناها تحديداً شاملا جامعا ، فلكل كاتب وجهته ولكل زاويته الخاصة التى ينظر منها إلى مدلول الاشتراكية ويحدد فى إطارها معالمه وحدوده ولعل النظرة الغالبة هى المعانى الاقتصادية وحدها عند تحديد الاشتراكية والمطالبة بالأخذ بها .

ومما ترتب على هذا الاتجاه ـ المعيب ـ أن الذين يتحدثون عن الاشتراكية الإسلامية يقصرون مفهومها على المجالات الاقتصادية وحدها ، بل منهم ـ وهم كثير ـ من يزيد فيستند إلى بعض الأحاديث منحرفا بمعانيها لتأييد ما ينادون به من اشتراكية متطرفة تذهب بخير الاشتراكية الإسلامية كما رسم حدودها الإسلام وبين معالمها وأركانها ، وهم فى هذا يبيحون لأنفسهم القضاء على الملكية الفردية وامتلاك الدولة لموارد الثروة وعناصر الانتاج كافة وهم فى دعواهم ينقضون الاشتراكية فى أصولها . إذ يفترض أى نظام اشتراكى وجود مجموعات من البشر يتعاونون فيما بينهم لخدمة المجموع وتكون علاقاتهم منتظمة فى إطار يكفل للجميع الخير ولا يساعد البعض على السيطرة على الآخرين.

والاشتراكية الإسلامية لا تقف عند مجالات الحياة المادية وحدها بل تشمل كافة المجالات الحيوية للمجتمع كله ، فالإسلام ـ دين الاشتراكية الحقة ـ دين اشتراكى فى العبادة حيث يقف الناس جميعا بين يدى الله تعالى لا فرق بين إمام ومأموم ، وهم كذلك فى صيامهم وحجهم . وأبلغ دليل على اشتراكية الإسلام فى الحكم هو أمر الله عز وجل إلى نبيه ورسوله عليه صلاته وسلامه بمشاورة المسلمين بالرغم مما اختص من نبوة وتشريف بالرسالة وأنه لا ينطق عن الهوى فيقول تعالى « وشاورهم فى الأمر ». كذلك فإن كل فرد مشترك فى المسئولية فى هذا المجتمع الإسلامى لا فرق بين حقير وعظيم (فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وتذهب الاشتراكية الإسلامية فى ذلك

إلى أقصى مداها حين تحمل كل فرد مسئولية المشاركة فى الحياة العامة للقضاء على المفاسد الاجتماعية والأمراض الجماعيـة فلا ينعزل الفرد عن الناس (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) ولا ينفرد بنيته وحسن طويته فيما يعمله ويأتيه من أعمال ، بل يرعى شعور الآخرين وأفكارهم فيحرم على النساء الظهور بما يفسد الشباب والرجال ويطمع فيهن الذين فى قلوبهم مرض ولو كانت النساء لا يردن بذلك أن يتحقق أى من هذه الأضرار . وفى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم فتزول بذلك فوارق الطبقات بآثارها من عوامل الحقد من جانب الفقراء والطغيان من جانب الأغنياء.

أما هـؤلاء الذين يقصرون معانى الاشتراكية الإسلامية على النواحى الاقتصادية وحـدها ، فهم على جهلهم بحقيقة أوضاع الإسلام وقواعده وأحكامه يجهلون أيضا حقائق تطور البحث الاقتصادى الحديث ، فقد بدأت تدخله النواحى النفسية للأفراد وتأثيراتها فى النشاط الاقتصادى ، وهـذه النواحى النفسـية إنما تستمد وجـودها وتقلباتها من الأوضاع الاجتماعية والدينية وما يتصل بها من ثقافة وخـلق ، وها هو الإسلام سابق بحكمته وعظمته وإن كان هؤلاء الباحثون فيما عداه يتعثرون للوصول إلى بعض حـكمته ويستضيئون بقبس من نوره .

اشتراكية انسانية :

فالإسلام فى اشتراكيته يهدف إلى تكوين مجتمع متكافل ترد فيه الحرية إلى أسير مغلوب على أمره أو يصان فيه عقل ماجن مغـلوب على إرادته كما يهـدف إلى إطعام الجائع وإسعاف المكروب .

الحقوق الاشتراكية الأساسية فى الإسلام

إن هناك مجالات عديدة تتطلب الاشتراكية كنظام يـكـفل لها البقاء والاستمرار ، فبدونها لا وجود لها ولا جدوى فيها . وهناك حقوق أساسية لا ينتفع بها إلا إذا اتسم تطبيقها بروح الاشتراكية ، وهى : حق الحياة ، وحق الحرية وحق العلم ، وحق الكرامة ، فالأفراد تعتمـد حياتهم على هذه الحقوق وتدور معها وجودا وعدما ، فلا وجود لإنسان لا حياة له ، ولا معنى لحياة الإنسان ما لم يستمتع بنصيب موفور معلوم من الحرية فى حدود ما شرع منها ، ولا يفهم الحرية ولا يقف عند حـدها الصحيح إلا من تلقى نصيبا معقولا من التعليم ، ولا علم لمن لا كرامة له .

فالناس جميعا شركاء فى هـذه الحقوق الأساسية ووجودهم مرتبط بها ، وما معنى

الوجود لإنسان لا يستطيع أن يحيا حرا متعلما كريما ؟ إن حق الحياة شركة بين الجميع وليس حكرا لفرد أو وقفا على طائفة أو منحة لشعب ثم يحكم على الآخرين بالدمار والهلاك والإبادة، كما أن حق الحرية شركة بين الجميع لأن الحياة تفقد ما فيها من سر ويظلم ما فيها من نور ويكبو ما فيها من أمل ويخبو ما فيها من رجاء ويكتئب ما فيها من سعادة إذا فقدت حريتها ورزحت تحت أثقال القيود ورسفت فى أصفاد العبودية والهوان. وحق الحرية دون علم منير وعقل مستنير : انطلاق محموم وانحلال مذموم وشهوات جامحة ونكبات جائحة، وحق الكرامة يحفظ للمرء حرمته ويصون له سمعته دون إهدار للقيم أو عبث بالمثل أو إفساد للناس.

ولما لهذه الحقوق من أهمية بالغة فى انتظام المجتمع الإسلامى واستقراره، فقد عنى بها الإسلام عناية فائقة، فاعتبر العدوان على حياة فرد عدوانا على المجتمع كله وأوجب على المجتمع القصاص من الجانى (ولكم فى القصاص حياة) باعتبار أن من قتل فرداً فقد قتل الناس جميعا لأن حياة الفرد من حياة الجماعة وعليها أن تحافظ عليها وتحميها (فمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) بل إنه لا يقف عند هذا الحد، فإذا لم يعرف القاتل على وجه التحديد أوجب على أهل البلدة التى قتل فيها أن يدفعوا الدية لأهل القتيل إذ المفروض أن يحافظوا على أرواح كل فرد بينهم.

أما عن حق الحرية فإن بيان أوجه التقرير والتأكيد التى جاء بها الإسلام خاصا به لمما لا يتسع له المقام فيكفى أن نذكر أن الإسلام يكفل للمرء حريته فى عقيدته (لا إكراه فى الدين) ولكل فرد أن يختار الدين الذى يروق له (لكم دينكم ولى دين). وأما عن الحرية السياسية فإن لكل فرد مهما كانت مكانته أن يقف أمام أمير المؤمنين ليقول رأيه. يقول الحق تبارك وتعالى فى ذلك (وتواصوا بالحق) فلا خير فى حاكم لم يسمعها ولا خير فى محكوم لم يقلها.

ولم يكن حق العلم أقل نصيبا فى عناية الإسلام به بل ما زال القرآن يأمر بالعلم ويوضح للناس أسس العلم الصحيح ومناهج البحث والتعليم، فمن آياته ما يعيب بها على التقليد والجمود ويدعو إلى التحرر فى البحث عن حقائق الوجود بلا تعصب لنسب أو جاه أو شهوة أو تقليد أعمى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ويكرم العلم فى شخص العلماء

فيرفعهم يوم القيامة إلى أعلى الدرجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وذلك لأن العلم يقودهم إلى حسن معرفة الدنيا والآخرة فيخشون الله ويتقونه حق تقاته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وأما حق الكرامة ، وهو أساس هذه الحقوق جميعا ، فهو أهم ما يعنى به الإسلام فيحرص على إبعاد الشبهات عن الإنسان حتى يكون موضع احترام المجتمع ومحل ثقته فيترابط الأفراد ويتماسك المجتمع (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ويحرم استهزاء الناس بعضهم من بعض (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) ولقد سجل القرآن حق احترام كرامة الإنسان فى قوله عز وجل (ولقد كرمنا بنى آدم) .

حق التملك :

ولعل حق الفرد فى التملك هو المجال الخصب الذى تجول فيه أقلام الكاتبين فى الاشتراكية وخاصة الذين يقصرون معانى الاشتراكية على الحقوق الاقتصادية وحدها . وقد يكون لبعضهم العذر فى ذلك إذ تستند كثير من الحقوق الأربعة السابقة إليه وتعتمد على تنظيمه . إلا أن ذلك لا يعنى أن تذوب حقوق الإنسان الأربعة الرئيسية فى تنظيم حقه فى التملك .

ولقد أقر الإسلام هذا الحق وتناوله بالتنظيم ، فأحكم تقرير أركانه ومقوماته والمجالات التى يمكن إعماله فيها ، وحدد معالم الطريق الذى يسلكه النظام الاقتصادى بصفة عامة ، ولا نغالى إذا ذكرنا هنا أن الإسلام قد وضع أحكامه فى التنظيم الاقتصادى بطريقة لم تستطع النظم الحديثة أن تصل إليها ، وإلى عمق علاجها للمشكلات الاقتصادية المختلفة ، فقد حقق الإسلام اشتراكية اقتصادية فى وقت لم تكن اقتصاديات الدول الأوربية قد حظيت فيه بشىء من العناية والتنظيم ، بل نزيد على ذلك فنقول إن البحوث الاقتصادية لم تصل إلى تقرير نظام محكم حتى الوقت الذى نعيش فيه ، فإن النظام الاقتصادى الإسلامى على بساطته دقيق فى علاجه كل نواحى الهيكل الاقتصادى للمجتمع بحيث لا يترك كبيرة ولا صغيرة بدون علاج ، ولا يدع مجالا لظهور مشكلات جديدة تخل بانتظامه واستقراره .

الاشتراكية الاقتصادية وسيلة لا غاية

ومن الواضح أن الاشتراكية الاقتصادية فى الإسلام إن هى إلا وسيلة لتحقيق غاية

كريمة وهى الحياة الحرة الكريمة المستنيرة للإنسان ، فهى وسيلة إلى حضارة تقوم على الفضيلة وتنطوى على الإيمان بالله ووحدانيته وليست وسيلة إلى حضارة تقوم على الرذيلة والفوضى والتناحر بين الأفراد والكفر والإلحاد ، فالإسلام عند ما يقرر (إنما المؤمنون أخوة) لا يقصد بهذا مجرد الأخوة المادية فى الطعام والشراب والكساء فحسب ولكنها أخوة رحيمة متكافلة إذ يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه ويتألم لمصابه كما يتألم لمصاب نفسه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » فالمسلم يحرص على حقوق أخيه وحياته وحريته كما يحرص على كرامته ، فيضطرب لاضطرابه ويألم لآلامه ، ولا يستقر خوفا على مستقبل أخيه المسلم ولو كان مستقرا ثاويا . فالأخوة الإسلامية أخوة فى المشاعر والأحاسيس كما هى أخوة فى المطالب والحاجيات على حد سواء .

الاشتراكية المادية فى الإسلام فى الذروة

وقد بلغت الاشتراكية المادية فى الإسلام ذروتها إذ سبقت عقول الباحثين بأجيال وأجيال ، فما زال هؤلاء يخبطون خبط عشواء ، وتتحمل الإنسانية مرارة تجاربهم الوصول إلى الكمال فى تنظيم اقتصاديات المجتمع الإنسانى على أساس من الاشتراكية .

إن الاشتراكية الإسلامية تنبثق من روح الإيمان لدى الإنسان ثم هى بعد ذلك تهدف إلى إنماء روح الإخاء بين الناس ودعم معانى الوحدانية وتثبيت الحرية الفردية واحترام كرامة الإنسان وتزكية روح العلم لديه .

ولقد توسل الإسلام لتقرير هذه الاشتراكية بوسائل غفلت عنها جميع المدنيات وأقفرت منها جميع النظم ، فقد ربط إطعام الفقير والمسكين بكثير من المخالفات الدينية والأعياد السنوية ، والعواطف الإنسانية ، فمن المخالفات كفارات الظهار والفطر فى رمضان بغير عذر مشروع وكفارة اليمين ، وفى الأعياد مناسبة كريمة لإعطاء المحروم وإشاعة روح التآخى والمساواة فيلزم الفرد بزكاة الفطر عن نفسه ومن يعولهم فى آخر يوم من رمضان ، وشرعت الأضاحى فى عيد الأضحى (يأيها النــاس على كل أهل بيت فى كل عام أضحية) فهى واجبة على كل قادر . وفى الأوقاف والنذور والوصايا فتح الإسلام أبوابا رحبة تلج منها العواطف الإنسانية إلى آفاق البر والإحسان إلى فئات كثيرة من المعوزين والمحرومين .

ويتساوى الناس فى هذه الأحكام جميعاً

ما داموا قادرين، ولا يقتصر حكمها على الأغنياء ومن آتاهم الله من فضله بغير حساب .

ثم يقضى الإسلام بأحكام أعمق فى آثارها وأعظم فى نفعها فيفرض الزكاة على ذوى المال فيأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء والمعوزين ، وهى أيضا تقضى على تكتل الأموال فى أيدى أفراد فتنتقص من أموال الكسالى والعاطلين الذين لا يفيدون المجتمع بأموالهم والذين يكتنزونها ولا ينفقونها فى خيرهم وخير العباد ، وتنقل الأموال إلى أيد أكثر نشاطا وأقدر على التنمية والاستغلال فيزداد الإنتاج والرخاء على حد قول كتاب الاقتصاد .

ويحارب الإسلام تكتل الأموال فى أيد قليلة ويحارب سيطرة المال على جهود الأفراد واستغلال حاجة المحتاج وكربة المكروب فيحرم الربا فى كل صوره ، فمن كان له رأس المال فهو شريك أو لا يكون على الإطلاق ، فإن أحجم واكتنز فالزكاة تكفل للمجتمع نصيبا من ماله وتحرمه منه بعد قليل من الزمان وتنقله إلى العاملين الذين يشاركون فى البيع والشراء والأخذ والعطاء يتعرضون للغنم ويتعرضون للغرم على السواء .

وكم بحث الباحثون واقترحوا من حلول القضاء على مشكلات الرأسمالية المنبثقة من عيوبها الكامنة فى أصولها والتى تسير عليها الدول الغربية حتى هذا الزمان من إطلاق حرية أصحاب الأموال فى استغلال أموالهم بلا حساب لحياة الناس وكرامة بنى الإنسان . وكان آخر ما وصلوا إليه الضرائب التصاعدية إلا أنها عجزت عن أن تكفل معاملة الجميع على السواء . فما زالت مشاكل الأعباء المختلفة وفروق المراكز الاقتصادية المتفاوتة أقوى من أن تحلها الضرائب التصاعدية . وهنا ظهرت بين أقلام الكتاب أقلام تشير إلى قوة الزكاة وإلغاء الربا فى علاج مشكلات المجتمع الاقتصادى الحديث .

ولا تقف أحكام الإسلام فى تنظيم الاشتراكية الاقتصادية بين الناس عند هذا الحد بل إنها تقرر حقوقا كثيرة على الأموال ؛ منها حق الحصاد « وآتوا حقه يوم حصاده » وحق الجوار . فالإسلام يوصى بالجار ويقرر له الحقوق تلو الحقوق فينفى صفة الإيمان عن مسلم نام شبعان وجاره جائع « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع » ، وحق الماعون حين يتوعد المصلين الذين يمنعون الماعون وتبادل المنافع والخيرات « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » .

ونظرة واحدة إلى نظام الإرث فى الإسلام تكشف عما فيه من قضاء على تكتل الأموال لدى بعض الأفراد وتوزيعها على

الأقارب وتفرقته بين الرجال والنساء. فيزيد في نصيبه لأنه يتجه إلى الاستغلال والإنماء والمرأة غالباً تتجه إلى الاستهلاك.

ويبلغ الإسلام ذروته فيقرر حقوقاً لمن ليست لهم حقوق إرث أو وصية «وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا» فلا تقف نصوص المواريث جامدة تقضي على الأخوة الروحية بين الناس «إنما المؤمنون إخوة» وتحول بين مشاعرهم بل تنميها وتزكيها بروح من الاشتراكية في أسمى معانيها «فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا».

التأميم والاشتراكية:

ورغم أن الاشتراكية الاقتصادية تعني الاشتراك في ضروريات الحياة وحاجياتها، إلا أن المعنى السائد هو التأميم أي استيلاء الدولة على الملكيات والإشراف عليها إداريا وفنياً. والحقيقة أن الاشتراكية أشمل وأعم من التأميم، فالتأميم إنما هو أسلوب من أساليبها ومنهج من مناهجها وليس هو مظهر الاشتراكية الوحيد.

والواقع أن التأميم سبيل سليم من سبل تحقيق الاشتراكية الاقتصادية فهناك من الأعمال والمشروعات ما يجب أن تنفرد الدولة بإدارتها وتستقر ملكيتها في يدها لتتحقق بها المصلحة العامة وتتوافر الضرورات الاجتماعية.

والحديث اليوم إنما يكثر عن التأميم باعتباره المظهر المعاصر الشائع من مظاهر الاشتراكية، وما زالت المذاهب تتصارع للأخذ بالتأميم أو عدم الأخذ به. وفي مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي لتحقيق المبادئ الاشتراكية الاقتصادية.

التأميم ضرورة عند الضرورة:

إن هناك كثيرا من أوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز الفرد أو المشروعات الفردية عن القيام بأعبائها، إما لأنها لا تحقق الأرباح التي تشجع الأفراد على القيام بها مهما بلغت من المشروعية، أو لأن قيام الأفراد بها يمهد لهم سبيل السيطرة والتحكم في أرزاق الناس وأقواتهم وحاجاتهم، ومن هذه المشروعات إنشاء السكك الحديدية ومحطات القوى الكهربائية وإنشاء البنوك مع ما لها من قوى في توجيه النشاط الاقتصادي، فهذه المشروعات تحتم طبيعة الأمور قيام الدولة وحدها بتنفيذها دون الأفراد تحقيقا لصالح المجتمع ولو لم تحقق منها الربح.

إلا أنه من اليقين أن الأخذ بسبيل التأميم تحقيقا للاشتراكية إنما هو ضرورة عند

الضرورة ، فهو سبيل يؤخذ به عند الضرورة أى فى الحالات التى تستلزم قيام الدولة بتملك المشروع وإدارته وحدها وليس فى كل أوجه النشاط الفردية والا انقلبت الدولة إلى تاجر يبيع ويشترى وينافس الأفراد فى أعمالهم ، وهى ـ نظرا لضخامة إمكانياتها وقدرتها على تحمل خسائر لا يتحملها الفرد ـ تستطيع أن تقف فى الميدان الاقتصادى وحدها وتنقلب إلى محتكر لأوجه النشاط الاقتصادى المختلفة مع ما فى ذلك من مضار لا تخفى لكل من يعلم حقيقة الحرية الاقتصادية ومساوىء الاحتكارات ، وهو ضرورة أى حالة خاصة لعلاج الضرورة التى تبرره ، فيجب أولا ألا يكون هناك سبيل آخر لعلاج هذه الضرورة التى تستلزم التأميم ، فإن وجدت طريقة تعالج المشكلة القائمة أخذ بها ولا داعى للتأميم لأنه نظام مخالف لطبائع الأمور وهى قيام الأفراد بمباشرة الأعمال الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك فإن مباشرة الدولة لهذه المشروعات الاقتصادية يتسم بالطابع الإدارى وحده دون وجود الدافع الشخصى لإدارة مثل هذه المشروعات ، وانعدام هذا الدافع يقضى على روح التجديد والسعى لإرضاء المنتفعين بهذه المشروعات وإدخال التحسينات ومعالجة أوجه النقص فى أقرب وقت وبأحدث الوسائل حتى تحافظ على جمهور المتعاملين معها ولذلك تبقى فى حالة تجديد مستمر وبحث عن مصالح الجمهور وهو ما لا تقوم به المشروعات التى تباشرها الدولة .

وقيام الدولة بهذه المشروعات لا يراعى فيه إمكانيات المشروع المالية لأن الدولة تمد يد المعونة ، وبلا حساب ، لهذه المشروعات فتنوء بها الخزانة العامة وتحمل الأفراد فى النهاية عبء التمويل فى صورة ضرائب أو رسوم وهو ما يناقض نتائج الاشتراكية المقصودة بالتأميم وهى القضاء على سيطرة رأس المال وخفض تكاليف المعيشة للأفراد وتيسير الحاجيات.

ولقد انتهج الإسلام سبيلا رشيدا يكفل للأفراد ضروريات الحياة بعيدا عن الاستغلال والتحكم فأباح للدولة القيام بمثل هذه المشروعات ولكنه إلى جانب ذلك احترم الملكية الفردية وأحاطها بسياج من الحماية وشجع أوجه النشاط الفردى فى مجاله . فيروى أبو عبيد فى كتاب الأموال أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقطع بلال بن الحارث النقيع كله وهو من أراضى المدينة التى لا تصل إليها المياه ، وكذلك أقطع كلا من الزبير بن العوام ووائل بن حجر وعبد الرحمن بن عوف ، وكان يشجع إلى التملك للاستثمار وزيادة نماء البلاد فيقول (من أحيا أرضا ميتة فهى له) و

(من أقام حائطا على أرض فهى له) وذلك كله لتشجيع الأفراد على الحيازة والاستثمار ، ولذلك من احتجز أرضا ولم يعمرها نزعت منه (ليس لمحتجز بعد ثلاث سنين حق) .

اشتراكية الإسلام هى اشتراكية الفطرة

وليس من شك أن اشتراكية الإسلام إنما تستوحى فى أحكامها الفطرة الإنسانية وتعتمد على المواهب البشرية ، فاحترمت الملكية الفردية واعتبرتها وظيفة اجتماعية يقوم بها الفرد لمصلحته ولخير الناس جميعا ولا يحرم منها إلا من أساء استغلالها وأضر بالناس وهى اشتراكية قوامها التعاون والتكافل بين طبقات المجتمع كافة وليست حربا من طائفة ضد أخرى فهى تدعو الغنى إلى البذل إلى الفقراء وتدعو الفقراء القادرين إلى العمل والكدح فى سبيل القوت والرزق ، فتضمن للمحروم حاجته ، وللجائع قوته ، وللمريض دواءه ، وللعارى كساءه ، وللشيخ التوقير والعناية ، وللطفل التربية والرعاية ، فلا يبقى فى المجتمع إلا إنسان راض مطمئن على مستقبله .

وهذا كله لا يتفق مع الاشتراكية المتطرفة المعروفة بالشيوعية التى تنكر حق الملكية الفردية ، وتقضى على الدافع الشخصى للفرد فتقتل فى نفسه الموهبة والكفاية الشخصية ، وتحيله إلى عامل ينفذ ما يوجه إليه من عمل فلا هى تحترم العقل ولا الكفاية لأن التنافس بين الأفراد يخلق طبقات من الناس والطبقات فى الاشتراكية الشيوعية معناها وجود حرب بين الناس لأنه لا يفهم هناك أن بين الطبقات تعاونا وتضافرا لتحقيق الخير للجميع . وأن القوى يعطف على الضعيف ويبذل له من الجهد والمال ليرفع عنه الكربة والظلم ، ولكن الطبقات فى الشيوعية قوى متحاربة قوام العلاقة بينها الكفر بالله ونكران العواطف الإنسانية وإهدار القيم الأخلاقية فالعلاقات هناك تقوم على أساس من الشهوات والرغبات المادية وحدها ولذلك كانت حرب على الرحمة لأنها لا تعترف بالضعفاء بل يجب أن يعمل الجميع ليحصلوا على أقواتهم دون رأفة بالضعفاء والعاجزين . ولعل الشيوعية استوحت مبادئها من إبليس الذى رفض أن يحترم الإنسان لأنه لا يثق فيه . إن الشيوعية لا تثق فى الإنسان وحرى بالإنسان ألا يثق فى الشيوعية .

* * *

ونظرا للمساوئ التى يتعرض لها الإنسان فى النظام الرسمالى المطلق فى العصر الحديث فقد أخذت الدول الأوربية الحديثة بمبادئ الاشتراكية للحد من هذه المساوئ والقضاء على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وإن كان الأخذ بالاشتراكية فيها يختلف فيما بينها وذلك

لاختلاف ظروف كل دولة والأوضاع السائدة فيها .

ونحن والحمد لله نأخذ بالاشتراكية على هدى من الإسلام ، فقد صدرت عدة تشريعات تهدف إلى تخفيف الفوارق بين الطبقات والتقريب بينها ، وأخرى تهدف إلى القضاء على تكتل الملكيات فى أيدى فئة قليلة من الإقطاعيين والعاطلين ، وهى إلى جانب ذلك تحترم الملكية الفردية وتدعمها فقامت بتوزيع الأراضى الزراعية على صغار الفلاحين ، وأشركت العمال فى أرباح أصحاب الأعمال .

وصفوة القول أن الاشتراكية ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة ومخالف لما شرع الله ، وكذلك الفردية فى مجالها المشروع ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة وفطرة الإنسان ومخالف لما شرع الله وفق الله على الخير خطانا وهدانا صراطا مستقيما .

أحمد محمد
الواعظ العام بالقاهرة

خطر الكلمة يستهونها القائل

فى إحياء علوم الدين للغزالى :

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها ، فلذلك لا مخلص إلا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا ، وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها ، فقد قال بلال بن الحارث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » .

مفردات قرآنية مادة الأمن فى القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصي

وردت مادة « أمن » فى القرآن الكريم عشرات المرات ، ونجد هذه المادة تستعمل أحيانا بمعنى الأمن وهو ضد الخوف وتستعمل أحيانا بمعنى الأمانة وهى ضد الخيانة ، وتستعمل أحيانا بمعنى الإيمان وهو ضد التكذيب .

ويحسن قبل استعراضنا لمواطن الاستعمال القرآنى لهذه المادة بمشتقاتها ، أن نتعرف إلى معناها اللغوى ، وقد قال ابن زكريا : « الهمزة والميم والنون : أصلان متقاربان ، أحدهما الأمانة التى هى ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق ؛ والمعنيان كما قلنا متدانيان » . ويقول أيضا : « الأمان إعطاء الأمنة ... والأمين المؤتمن ... وبيت آمن : ذو أمن ، قال الله تعالى (رب اجعل هذا البلد آمنا) ... وأما قولهم : أعطيت فلانا من آمن مالى ، فقالوا : معناه من أعزه علىّ ... لأنه إذا كان من أعزه عليه فهو الذى تسكن نفسه إليه »[١] .

ويقول الزمخشرى : « وأعطيت فلانا من آمن مالى ، أى من أعزه علىّ وأنفسه ، لأنه إذا عز عليه لم يعقره ، فهو فى أمن منه »[٢] .

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١١٣ .
(٢) أساس البلاغة ، ج ١ ص ٢٠ .

وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والأمان اسم للحالة التى يكون عليها الإنسان فى الأمن ، والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان[١] ، نحو قوله تعالى . « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

والناقة الأمون هى التى يؤمن فتورها وعثورها[٢] ، أو هى القوية المأمون فتورها ، جعل الأمن لها وهو لصاحبها[٣] . واستأمن الحربى ، أى استجار وطلب الأمان ودخل دار الإسلام ، لا يعتدى عليه ما دام مستأمنا ...

ونعود إلى الاستعمال القرآنى لمادة «أمن» ، فنجد بعض هذا الاستعمال يورد المادة بمعنى « الأمن » وهو زوال الخوف ، وهو معنى له جلالته ومكانته فى الحياة الفردية والحياة العامة ، لأن الخوف فى الفرد والجماعة هو سبب الكثير لنكبات البشرية وكوارث الإنسانية . ولأن زوال الخوف مفتاح للاستقرار

(١) مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٣٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٣) أساس البلاغة ج ١ ص ٢٠ .

والإثمار، وإذا كنا نجد اليوم تشريعات وتقنينات ومحاولات يراد منها تحقيق الأمان الفردى والتأمين الاجتماعى، ويعنى بهذه التشريعات باحثون ومتخصصون هنا وهناك، فمن حق القرآن الكريم علينا أن نعترف له بأنه قد سبق نخص هذه الناحية بالحديث الصريح تارة، وبالإشارة أو الرمز أو التلميح تارة أخرى؛ ونفهم من هذا أيضا أن مبادئ «التأمين الاجتماعى» لها بذورها وجذورها فى كتاب العربية الأقدس وهو القرآن الكريم، ولو أحسن الدارسون تتبع هذه الجذور، وتحليل تلك البذور، لوصلوا إلى نتائج هامة ومقررات جليلة.

إن القرآن الكريم يشير إلى أمن الجماعة المستقرة فى موطن يضمها ويشملها حين يقول: «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر». والمراد من الآية دعاء إبراهيم للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة، بما يجلب إلى مكة، لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحى، وتعذر العيش فيها (١).

ونلاحظ هنا أيضا الرمز إلى ارتباط الأمن بالإيمان، فإبراهيم دعا بالأمن لمن آمن وصدق، وقد عرفنا أن معنى الإمن ومعنى الإيمان متقاربان، لأن الأمن اطمئنان واستقرار، والإيمان فيه اطمئنان قلب واستقرار اعتقاد.

ويقول القرآن عن البيت الحرام: «ومن دخله كان آمنا» أى آمنا من النار، وقيل من بلايا الدنيا التى تصيب من قال فيهم القرآن: «إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا» ومنهم من قال: إن الكلام فى الآية لفظه خبر، ومعناه أمر، أى اجعلوا من دخله آمنا، وقيل: آمن فى حكم الله، وذلك كقولك: هذا حلال وهذا حرام، أى فى حكم الله، والمعنى لا يجب أن يقتص منه ولا يقتل فيه إلا أن يخرج (١).

ومثل هذا قوله تعالى: «أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا»؟ وقوله: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا». يقول الطبرسى فى تفسير هذه الآية: «وإنما جعله الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به والتجأ إليه، لا يخاف على نفسه ما دام فيه، وبما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه، حتى كانوا لا يتعرضون لمن فيه، فهو آمن على نفسه وماله، وإن كانوا يتخطفون الناس من حوله، ولعظم حرمته لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ إليه وإلى حرمه، لكن يضيق عليه فى المطعم والمشرب، والبيع والشراء،

(١) تفسير الفخر الرازى، ج ١ ص ٤٨٦.

(١) مفردات القرآن للأصفهانى، ص ٣٤.

حتى يخرج منه فيقام عليه الحد ، فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ، لأنه هتك حرمة الحرم ، فهو آمن من هذه الوجوه » (١) .

وكأن الله تبارك وتعالى يريد بهذا التشريع أن يذكر الناس بأن الأمان والاطمئنان وزوال الخوف غاية يطمح إليها الإنسان لتكون تاجاً لسعادته فى الحياة ، ولذلك جعل بيتاموطنا لتوافرهذا الأمان ، حتى مع المذنب ، ليكون فى ذلك تذكير بعنصر التأمين الذى يجب أن يتعاون الناس على تحقيقه فى الدنيا بكل وسيلة ، مع عدم الإجحاف بواجب العدالة والقسطاس .

ولكن القرآن الكريم فى موطن آخر يذكرنا بأن المتمتع بنعمة الأمان والأمن والاطمئنان إذا لم يقدرها ويشكرها ويعمل بمقتضاها ، سلبها الله منه ، ورده إلى نقيضها ، ولذلك يقول : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

وقد ذكر ابن كثير أن هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها كان آمنا ، وأن رزقها يأتيها رغدا ، أى هنيئا سهلا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله وجحدت آلاء الله عليها ، وأعظم هذه الآلاء هى بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما ، فقال « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » ، أى ألبسها وأذاقها الجوع ، وبدل أمنها خوفا ... (١)

وكأن كفران النعم الإلهية ، والتمرد على توجيه الناس إلى الطيب من العمل والقول ، وإساءة الصنع والتصرف ، مما يستوجب النقمة وزوال الأمن ؛ ويحسن بنا أن نلاحظ هنا ما يشبه التلازم بين الأمن والتعبد ، لحسن التعبد لله عن طريق صدق الإيمان به والخضوع لأمره يستتبع تفضل الله بالأمن على هؤلاء المتعبدين ، والكفر بالله والتمرد على حكمه يستتبعان زوال الأمن والرزق ، وإقبال الخوف والجوع ؛ ومن ناحية أخرى نلحظ أن تحقق الأمن عامل جوهرى يؤدى إلى صلاح العبادة ، لأن الخائف فى حسه أو نفسه أو رزقه لا يتقن العبادة ولا يؤديها على وجهها ، لتسيطر القلق عليه واستبداد الخوف به ، وفخر الدين الرازى يقول : « إن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين ، فإذا كان البلد آمنا ، وحصل فيه الخصب ، تفرغ أهله

(١) تفسير مجمع البيان ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٨٩ .

لطاعة الله تعالى ، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك ، [١] .

وقد نفهم من ذلك أن الذين يسعون لتوطيد دعوة الله بين النـاس ، والذين يجاهدون لتثبيت دعائم تعاليمه بين خلقه ، يجب عليهم أيضا أن يسهموا فى توفير الأمن الحسى والتأمين الاجتماعى ، والاطمئنان المعاشى ، بمـا يستطيعون من وسائل ، لأن توافر الأمن والاطمئنان يعاون على حسن العبادة ويثمر الاستجابة الواسعة النطاق لأحكام الدين وتعاليم الدعوة .

وفى مجال الارتباط بين الايمان والعمل الصالح ، وتحقق الأمن والاطمئنان نجـد قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعمـلوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمـكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

فالمستحقون للاستخلاف والتمكين والأمن هم المصدقـون بالله ودينه ، العـابدون لله بلا شريك ، الذين يعملون كل عمل صالح لازم فى هذه الحياة ، ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، وله الحمد والمنة » [١] .

ويقول الرازى فى تفسير الآية أيضا : « أعلم أن تقدير النظم : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، أى الذين جمعوا بين الإيمـان والعمل الصالح أن يستخلفهم فى الأرض فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين والمـالكين ، كما استخلف عليها من قبلهم فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما ، وأنه يمكن لهم دينهم ، وتمـكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العـدو أمنا ، بأن ينصرهم عليهم ، فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم . فيعبدوننى آمنين ، لا يشركون بى شيئا ولا يخافون ، فمن كفر أى من بعد هذا الوعد وارتد فأولئك هم الفاسقون [٢] .

والقرآن يعود فيكرر ارتباط تحقق الأمن بتحقق الايمـان المحفوظ من الظلم والبغى والانحراف ، فيقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمـانهم بظلم أولئك لهم الأمن

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٨٦ .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) تفسير الرازى ، ج ٦ ص ٣٨٧ .

وهم مهتدون ، والمعنى - كما يقول الرازي - إن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين : أولهما الايمان ، وهو كمال القوة النظرية . وثانيهما هو عدم التباس الايمان بالظلم ، وهو كمال القوة العملية (١) .

وهناك فريق من المفسرين يذهب إلى أن المراد بالظلم في الآية هو الشرك ، وهذا تخصيص لعام بدون موجب ، فالظلم قد يكون شركا ، وهذا أشنع أنواع الظلم ، وقد يكون هضما لحق ، او بغيا على شخص ، أو غير ذلك ، وحينما تعرض الطبري لتفسير هذه الآية ذكر روايات في أن المراد بالظلم هو الشرك ثم قال : « وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معاني الظلم (٢) .

وإلى هذا الرأي أميل ، وقد رجحه الزمخشري حين قال في تفسير الظلم هنا : « اى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم» (٣) .

ويؤيده صاحب « تفسير المنار » حيث يقول في الآية : « المعنى : الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم ، لا في إيمانهم ولا في أعمالهم البدنية والنفسية ، من دينية ودنيوية ، ولا بغيرهم من المخلوقات من العقلاء والعجماوات ، أولئك لهم الأمن من عذاب الله تعالى الديني على ارتكاب المعاصي والمنكرات وعقابه الدنيوي على عدم مراعاة سننه في ربط الأسباب بالمسببات ، كالفقر والأسقام والأمراض ، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم أو غيرهم ، فإن الظالمين لا أمان لهم ، بل كل ظالم عرضة للعقاب » (١) .

ويأتي الحديث النبوي مؤكداً أن الرسول كان بدعوته وهدايته أمنا لأمته ، وأن أصحابه بحرصهم على تبليغ سنته كانوا أمنا لهذه الأمة أيضاً ، وهذا يستفاد منه أن الاعتصام بهدى الله سبب الأمن والأمان ، فيقول الحديث : « النجوم أَمَنَةُ السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد » .

وقد أراد - كما في اللسان والنهاية (٢) - بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة ، وذهاب النجوم : تكويرها وانكدارها وإعدامها ، وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم

---

(١) تفسير الرازي ج ٤ ص ٨١ .

(٢) تفسير الطبري ، ج ٧ ص ٢٥٨ .

تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ٢٥ .

(١) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٥٨١ .

(٢) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ . ولسان العرب طبعة بيروت ، ج ١٣ ص ٢١ .

من الفتن ، وكذلك أراد بوعد الأمة ، والإشارة فى الجملة إلى مجىء الشر عند ذهاب أهل الخير ، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما توفى جالت الآراء واختلفت الأهواء ، فكان الصحابة رضى الله عنهم يسندون الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فقد قلت الأنوار وقويت الظلم ، وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم ...

وقد جاءت مادة « الأمن » بمعنى عدم الخوف فى مواطن من القرآن أريد فيها التحذير من الاغترار بإمهال الله جل جلاله لعباده إذا أهملوا أو أساءوا ، والتحذير من الاطمئنان إلى متاع الحياة اطمئنانا يؤدى إلى عدم الخوف من الله ومن حسابه على ما قدمت الأيدى وعقابه على ما اجترحت من السيئات ، وذلك كما فى الآيات التالية :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » ، « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » ، « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » ، « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » .

وقد جاء من مادة « الأمن » فى استعمال القرآن كلمة « أمنة » — بفتح الألف والميم والنون — وهى بمعنى ضد الخوف أيضاً ، وذلك فى قوله تعالى ، فى شأن المسلمين فى غزوة بدر : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » ، وهذه كما فى تفسير المنار [1] منة من الله تعالى على المؤمنين التى كانت من أسباب ظهورهم على المشركين ، وهى إلقاؤه تعالى النعاس عليهم ، تأمينا لهم من الخوف الذى كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم فى العدد والعدة ، وذلك لأن من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام .

ومثل هذا ما جاء بسورة آل عمران من قوله تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم » . وفى بيان وجه الامتنان بإنزال النعاس على المؤمنين المجاهدين يقول الإمام الشيخ محمد عبده —

(١) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٦٠٩ .

كما روى صاحب المنار — : « قد مضت السنة فى الخلق بأن من يتوقع فى صبيحة ليلته هولا كبيرا ومصابا عظيما ، فإنه يتجافى جنبه عن مضجعه ، ويبيت بليلة الملسوع ، فيصبح خاملا ضعيفا ، وقد كان المؤمنون يوم بدر يتوقعون مثل ذلك ، إذ بلغهم أن جيشا يزيد على ثلاثة أضعافهم سيحاربهم غدا ، وهو أشد منهم قوة وأعظم عدة ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ، يضربون أخماسا لأسداس ، ويفكرون بما سيلاقون فى غدهم من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النعاس ، غشيهم فناموا واثقين بالله تعالى ، مطمئنين لوعده ، وأصبحوا على همة ونشاط فى لقاء عدوهم وعدوه » . ويقول أيضا : « والنوم للمصاب بمثل تلك المصائب نعمة كبيرة وعناية من الله عظيمة ، وقد كان من أثر هذا الاطمئنان فى القلوب والراحة للأجسام ، والتسليم للقضاء ، أن سهل على هؤلاء المؤمنين اقتفاء أثر المشركين بعد انصرافهم ، وعزموا على قتالهم فى حمراء الأسد عندما دعاهم الرسول إلى ذلك فاستجابوا له مذعنين (٢) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد أبان فى هذه المواطن السابقة عن أهمية الأمن للانسان ، وعن الأثر البليغ الذى يحدثه الخوف فى نفسه ، فإنه إذا كان قلقا خائفا لم يستطع أن يثمر أو يعمر أو يقاوم ، ولكنه حين الأمان والاطمئنان يستطيع أن ينفع وينتفع ، وفى هذا إيحاء أى إيحاء بأن تعمل الأمة بجميع طاقاتها على أن يتوافر الأمان والاطمئنان لها وهى أمة ولكل من فيها من الأفراد . « للبحث بقية »

أحمد الشرباصى

---

(١) تفسير المنار ج ٤ ص ١٨٧ .

من صفاته صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه ، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة ، وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه ، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ، فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه ، يعنى الصفرة .

حرّية الكلمة في الإسلام

للأستاذ علي محمد حسن العماري

لا أعرف دينا سماويا، ولا قانونا وضعيا، ولا مذهبا اجتماعيا، ولا حزبا سياسيا، لا أعرف شيئا من ذلك أعطى لأتباعه حرية مطلقة، ولا أظن أنه سيجيء في المستقبل القريب أو البعيد لون من هذه الألوان إلا أن تتجسم الفوضى ذاتها بشراً سويا، وتدعو أتباعها إلى شريعة من شرائعها، وحينئذ سوف لا تتركهم يعيشون في العمران، وإنما ستجرجرهم إلى غابة من الغابات يمرحون فيها ويلعبون، ويأكلون كما تأكل الأنعام.

فلا يمكن أبدا أن تترك الحرية للناس في أي نظام كان، يفعلون كل ما يشاءون، ويقولون كل ما تجيش به خواطرهم، حتى الوجودية التي دعت الفرد أن يتحرر من كل موروث من الاعتقادات والتقاليد والعادات، وأن يتخلص من كل المبادئ والأحكام السابقة حتى هذه «لم تترك له تلك الحرية مطلقة الزمام بغير هدف ولا غاية، أي لا تجعل من تلك الحرية غاية في ذاتها فتنقلب إلى ما يشبه الفوضى. نعم لا يدعو سارتر إلى مثل هـــذه الحرية الشبيهة بالفوضى، وإنما يرتب على حرية الفرد نتيجة خطيرة وهي المسئولية، وضرورة تحملها، ثم الالتزام بالفعل والقول» (١).

والدين الإسلامي وهو أقوم نظام عرفته الإنسانية، وأسمى شريعة جاء بها نبي مرسل ما كان له أن يعطي الناس حرية مطلقة — ولو أنه أعطاهم حرية واسعة — لأن مصلحة الجماعة — دائما — مقدمة عنده على مصلحة الفرد و (بعض الحرية في التقييد وبعضها في السلب، وإذا تعارضت منفعة الفرد في إطلاق الحرية، ومنفعة الأمة في حدها أو سلبها وجب نزع (ملكية) هذه الحرية، ولو على الوجه الذي تؤخذ به دور الناس لتطريق شارع(٢)).

وقد ضرب الإسلام أحسن مثل للحرية التي منحها لأتباعه، بين فيه أن مصلحة الجماعة أولى بالرعاية، وأحق بالاعتبار، قال صلى الله عليه وسلم: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٤٤، ١٤٥ للدكتور مندور.

(٢) تحت راية القرآن ص ٣٦٩ للمرحوم مصطفى صادق الرافعي.

على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقا . ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، فلابد إذن من الأخذ على اليد حين يكون استعمال الحرية مهلكا للجميع ، وهذه - فيما أعتقد - قضية طبيعية لا يختلف فيها اثنان . وفى الحديث — على ما قال ثقات الشراح — تشبيه الواقعين فى الحدود بمن أصابوا أسفل السفينة ، وتشبيه القائمين عليها — وهم الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - بمن يركبون أعلى السفينة . وفيه — أيضا — إرشاد القائمين على حدود الله أن يأخذوا على أيدى المعتدين عليها ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع فيهم ولا يأذنوا للفساد أن يستشرى بينهم : فإنهم إن لم يقوموا بما افترض الله عليهم من المحافظة على تعاليمه وألقوا حبل العابثين على غواربهم ، وتركوهم يخوضون الباطل خوضا عمهم الله بعذابه .

هذا من الناحية العامة ، وأما من خصوص الكلمة ، فالإسلام - على مبدئه العام - لا يتركها للناس يقولونها بحرية مطلقة ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، بل حد لها حدوداً وشرع لها قوانين ، ونهى عن أنواع منها ، وتوعد عليها ، وبعض وعيده يشير إلى العقاب الأخروى فقط ، كما فى نهيه عن اللغو من القول ، وعن ترديد الإفك الذى يرمى به بعض المسلمين بعضا ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » ، وبعض وعيده أخروى ودنيوى ومن ذلك إذاعة قالة السوء عن المسلمين ، وإشاعة الأكاذيب التى تضر بجماعتهم ، أو تؤثر فى سياستهم الحربية أو غيرها وقد جاء فى هذا قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » ، والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا . ومعنى لنغرينك بهم ، لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التى تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة .

وشبيه بهذا : الإرجاف بعقائد الناس ومقدساتهم فإن ذلك يوقع البلبلة فى النفوس ، ولا وجه لما يقال أن حرية الرأى نور ولا يخاف النور إلا الضعفاء لأن ذلك حق

يراد به باطل فليس كل مسلم قادراً على أن يميز الخبيث من الطيب ، وكثير من الناس حتى المتعلمين منهم سريعو التأثر بما يسمعون أو يقرأون ومن واجب أولى الأمر أن يحموا عقائد الناس من أن يتلعب بها أهل الزيغ والإفساد الذين يتتبعون المتشابه من الآيات كما قال تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » قال الشاطبى فى الاعتصام : « من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر فى مقيداتها وبالعمومات أهل لها مخصصات أولا ؟ وكذلك العكس ، بأن يكون النص مقيداً فيطلق أو خاصا فيعم بالرأى من غير دليل سواه . فإن هذا المسلك رمى فى عماية ، واتباع للهوى فى الدليل . ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن ، ومناقضة بعضها بعضا وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول[1] » .

والكلمة التى تضر بالجماعة سواء كانت كلمة تطعن فى الوطن أو فى الدين أو فى الخلق يجب أن تحبس ، وأن يضرب على يد صاحبها ، سيما إذا كان رجلا لا يعنيه إلا أن يقول ، فليس بصاحب هدف سام يريد أن يصل إليه ، وليس بصاحب مبدأ فى الإصلاح حتى يقال إنه إنما يريد خير أمته . وأى خير فى أن ينشر على الناس ـ مثلا ـ أن القرآن يحتوى على أساطير ، أو أنه أنزل بالمعنى والصياغة من عند محمد غير بلبلة الأفكار ، والتهجم على أقدس ما يعتز به المسلمون .

نفهم أن يفسح للرأى فى الذيوع والنشر إذا كان من وراء نشره ما يفيد الجماعة فيبصرهم عماية يقعون فيها ، أو يرشدهم إلى مسلك جهلوه ، أما أن يكون القصد من الرأى هو مجرد الهدم فلا أرى معنى لنشره لأن فى ذلك مساعدة لقلب مريض على أن ينفث من دائه فى صدور المعافين الأصحاء .

ومن عجب أنه ما أثيرت حرية الرأى ، أو حرية الكلمة إلا حيث وقع شر أجمع العقلاء أصحاب الدين الصحيح على أنه شر ، وما رأينا قوما دافعوا عن حرية الرأى المطلقة إلا وفى تاريخهم ما يؤخذ عليهم من وجهة النظر الإسلامية ، ولماذا ـ فقط ـ لا يدور الجدل حول هذه المسألة إلا حين يكون ما يراه رجال الدين العارفون به مطعنا فى دينهم ؟ إن الذين يناصرون الخارجين عن الدين يحجمون أن يقولوا كلمة واحدة حين يتعلق الأمر بغير الإسلام ، وأنا ـ فى الحقيقة ـ لا أريد أن أحكم هنا على أن هذا الرأى أو ذاك خروج على الدين لأن هذا ليس غرضى ، وإنما الذى أريد أن أقوله إذا كان فى الرأى ما يراه العلماء مضراً

(١) حـ ١ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

بالدين أو يراه الساسة مضراً بالوطن ، يجب أن يحال بينه وبين الذيوع ، ولا يعتبر هذا حجراً على الحرية ، لأن الحرية المطلقة كما قلت آنفا - لا تكون إلا فى الغابة أو كما يقول الرافعى - رحمه الله - : « ما هى قيمة حرية التفكير وأنت لا تجدها على أعظم شأنها وأكثر أسبابها وأوسع أشواطها إلا فى المعتوهين والموسوسين وألفافهم » .

وفى الإسلام نصوص كثيرة تدل على أنه ينبغى أن يحال بين الكلمة الضلماء وبين الذيوع ، بل تدل على وجوب معاقبة صاحبها ، ذكر صاحب الاعتصام أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ذكر له رجل يقال له صبيغ فلما ظفر به جلده حتى سقطت عمامته ، قال السيد رشيد رضا معلقا على هذه القصة : « وما ذكره المصنف هنا مروى بالمعنى ، وجملة الأمر أنه - أى صبيغ - كان أول من وقع منه الشك وتشكيك الناس فى متشابه القرآن ابتغاء تأويله ، وكان قد كثر الداخلون فى الإسلام من الشعوب المختلفة فخشى عمر الفتنة على الجاهلين فأدبه وأبعده إلى البصرة ، ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته [1] » .

وروى صاحب الاعتصام - أيضا - قصة غيلان القدرى مع عمر بن عبد العزيز ، وأن عمر أرسل إليه فلما جاء ناظره وأرشده ثم قال له ما تقول ، فقال غيلان : قد كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى . ثم أمسك عن الكلام فى القدر ، فلما مات عمر تكلم فى القدر فبعث إليه هشام بن عبد الملك فقطع يده ثم تكلم فى القدر فصلبه [1] .

وقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد ، تشتم النبى صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهى ، فلما كان ذات ليلة أخذ المعول فجعله فى بطنها واتكأ عليه فقتلها ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اشهدوا فإن دمها هدر قال صاحب (بلوغ المرام) فى هذا الحديث : ورواته ثقات .

اما قتل المرتد فقد أجمع عليه علماء المسلمين . قال الصنعانى صاحب سبل السلام بعد أن روى حديثا عن معاذ بن جبل : الحديث دليل على أنه يجب قتل المرتد وهو إجماع (ح ٣ ص ٣٦١) .

وذكر حديث ابن مسعود - رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . قال صاحب بلوغ المرام فى الحديث

(١) الاعتصام ج ١ ص ٩٣ ، ٩٤ [هامش]

(١) ج ١ ص ٦٩

متفق عليه ، أى رواه البخارى ومسلم ، وفسر صاحب سبل السلام التارك لدينه بأنه كل مرتد عن الإسلام بأى ردة كانت فيقتل إن لم يرجع إلى الإسلام ، وفسر المفارق للجماعة بأنه كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغى أوغيرهما كالخوارج إذا قاتلوا وأفسدوا فى الأرض .

ومن الأحاديث فى هذا الموضوع قوله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه ، وقد رواه البخارى وأصحاب السنن .

وممن حكى الإجماع على قتل المرتد ابن عبد البر فى التمهيد فى الكلام على حديث (من بدل دينه فاقتلوه) قال : وفقه الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه ، وضربت عنقه . والأمة مجمعة على ذلك .

وصاحب المغنى من فقهاء الحنابلة قال : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك فكان إجماعا .

وقال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع .

وقد اختلف الفقهاء فى المرتدة ، فقال الأحناف : لا تقتل ، وقال غيرهم تقتل ، وجاء فى نيل الأوطار حديث عن النبى قال لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن : أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها . قال الحافظ : وسنده حسن ، وهو نص فى موضوع النزاع فيجب المصير إليه(١).

وقد قتل أبو بكر الصديق فى خلافته امرأة ارتدت والصحابة متوافرون فلم ينكر عليه أحد ذلك (٢) .

ومن عجب أنى قرأت لأحد الكاتبين كلمة فى صحيفة يومية جاء فيها بالحرف الواحد : (فإن ارتدت الزوجة هى الأخرى عن الإسلام فالاجماع بين علماء الإسلام على تركها حرة مختارة ، وعدم التعرض لها بأى سوء فضلا عن قتلها) والكاتب قد نقل فى كلمته عن كتاب (نيل الأوطار) فبدهى أن يكون اطلع على هذا الخلاف فحكايته الإجماع على عدم قتل المرتدة لا يحمل إلا على الجرأة البالغة ، والخيانة العلمية ، فكيف نأمن أمثال هذا على رأى يذيعه أو كلمة يقولها وهو يكذب فى النقل فى موضوع يعلم أن الحديث فيه لن يمر دون درس وتمحيص .

وقد تمسك هذا الكاتب فى عدم قتل المرتد ـ كما تمسك كاتب آخر قبله ـ برأى نسب

(١) جـ ٧ ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩٣ .

إلى إبراهيم النخعي ، وهذا لم يقل بعدم قتل المرتد صراحة ، وإنما حكى رأيه عند استتابة المرتد ، وقد اختلف العلماء فيه ، فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور ، وقيل يجب قتله فى الحال وإليه ذهب الحسن وطاووس . قالوا : وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة ، فأما من خرج عن بصيرة فلا .

واختلف القائلون بالاستتابه هل يكتفى بالمرة أم لا بد من ثلاث ، وهل الثلاث فى مجلس أو فى يوم أو فى ثلاثة أيام ، ونقل ابن بطال عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه يستتاب شهراً ، وعن النخعى أنه يستتاب أبداً (١)

فالذى حكى عن النخعى هو أن المرتد يستتاب أبداً ، قال عالم جليل فى مقال نشرته مجلة الأزهر : « ففهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل ، وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ، ـ بعد أن حكى الإجماع كما سبق ـ : وقال النخعى يستتاب أبدا ، وهذا يفضى إلى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد ـ وهو أحد الكفار ـ بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحربيين ، فسقط هذا القول . اهـ .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعى غير مراد ، لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شئ فيتعين حمله على أنه يستتاب كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى : وعن النخعى يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ ... وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعى أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعى ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال :

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعى : تقتل المرتدة اهـ (١) .

ولا شك أن كثيرين من المثقفين قد دهشوا من جرأة هذا الكاتب ومن جهله معا ،

(١) نيل الأوطار جـ ٧ ص ١٩٠

(١) من بحث كتبه المرحوم الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا؛ وقد رد فيه على كل ما كتبه هذا الكاتب فى الصحيفة اليومية لأنه فى الحقيقة ترديد حرفى لبحث كان نشر قبل ذلك . أنظر مجلة الأزهر العدد (شعبان سنة ١٣٧٥) .

فقد ذكر (أن الفتوى بقتل المرتد تسربت إلى فقهاء المسلمين عن طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التى تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم فى العصر العباسى وقد كانت هذه التقاليد وما زالت تقضى بقتل المسيحى إذا هو غير دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) الله . الله . فقهاء المسلمين قلدوا المسيحية فى فتاواها ، فلنحرق إذن كتب الفقه كلها لأن الذين ألفوها كانوا غير أمناء وكانوا مغفلين ، ألم يقل ذلك (آدم متز) ذلك المستشرق العلامة ، ومن ذا بعد آدم متز ؟ .

وذكر الكاتب أن أبا بكر لم يقاتل المرتدين إلا بعد أن (هجموا بالسلاح على المدينة المنورة) وأنا ـ والله ـ أظن أن المحققين من علماء التاريخ الإسلامى يجهلون هذه الحقيقة : هجوم المرتدين على المدينة ! ، وأن أبا بكر قاتلهم لذلك ، كأنه لم يقل : والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه .

والقرآن لم يذكر قتل المرتد ، ولذلك فينبغى ألا يقتل ! وهذه الفتوى من الكاتب على حد فتوى الشاعر الأندلسى الذى أخذ إلى القاضى والخمر تفوح من فمه فقال :

قرأت كتاب الله تسعين مرة

فلم أر فيه للشراب حدودا

فعلى هذه الطريقة المخمورة نأخذ ديننا ، فمادام القرآن لم يذكر عدد الصلوات فلا نظام للصلاة ، ومادام القرآن لم يذكر رجم الزانى المحصن ، ولا تغريب الزانى غير المحصن ، فلا رجم ولا تغريب ، ولا معنى لما جاء فى القرآن (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . و (أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

بل ما لهؤلاء العلماء الأعلام . وهؤلاء العالمات الأعلام أيضا ونصوص القرآن ، ألم تقل واحدة منهن فى مجلة أسبوعية إن المرأة قد أخذت كل حقوقها فلا معنى لأن ينقص ميراثها عن ميراث الرجل ، ألم يقل عالم فى بعض كتبه إن ضرب المرأة وحشية ، وألم يقل قدوة هؤلاء جميعا ، « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى » ؟ ! (١) .

(وبعد) فإن الإسلام وضع قاعدة ذهبية ، يا ليت كل مسلم يضعها أمام عينيه وذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) .

على العمارى

(١) الشعر الجاهلى ص ٢٦ للدكتور طه حسين

بمناسبة رمضان عيد دستور الإسلام :

تبياناً لكل شيء من رب كل شيء ﷻ

للأستاذ فتحي عثمان

أختتم عام ١٩٦١ من ميلاد المسيح ، بحدث ديني ضخم في تاريخ الكنيسة المسيحية ، فقد انعقد مؤتمر ديني عدته مجلة « تايم » الأمريكية أضخم اجتماع مسيحي منذ القرن السادس عشر !!!

لقد كان الانعقاد الثالث للمجلس العالمي للكنائس في دلهي عاصمة الهند . وقد أعرب أحد أقطابه : الرئيس هنري تيني فان دوزن عن إيمانه بأن هذا الاجتماع سيعد بحق « أحد الأحداث المبكرة في ثاني إصلاح كبير في المسيحية » !!!

لقد أخذت كل الكنائس تحس بالحاجة إلى تعبئة الجهود ، وتنسيق الخطط ، وتعاون القوى ... للانطلاق !!!

الكنائس الأرثذوكسية اجتمعت في رودس ، والبابا يوحنا يؤمل في وحدة الكنيسة ويسير إلى الأرثذوكسية الشرقية والبروتستنتينية الغربية بروح من المودة . أما البروتستنتينية في أمريكا فتريد أن تجمع شتاتها ...

وفي هذه الظروف جاء اجتماع دلهي ، وهو حدث ينبغي أن يدرسه دعاة الأديان في كل مكان ! ...

لقد اجتمع ٥٧٧ مندوبا ، ليحاولوا تحديد إطار المسيحية غير الكاثوليكية ، وتناقشوا ١٨ يوما متتابعة وقد أرسل الفاتيكان لأول مرة مراقبين عنه إلى هذا الاجتماع « بصفة رسمية » !

وكان أكثر الموضوعات التي ألقيت أصالة واستثارة ماقدمه الدكتور يوسف سيتلر أستاذ اللاهوت في الإلهيات بجامعة شيكاغو... إنه يرى أن الشيوعية ليست مادية صرفة ، إن الذي هيأ للشيوعية فرصا هو اتجاهها لإعطاء كل شيء « قيمة » و « هدفا » ، ووضعها إياه في مكانه من النطاق الضخم لمجموع الإنسان والعالم !!

وعلى العكس من ذلك يرى الدكتور ستيلر أن المسيحية قد تضاءلت وانحسرت ، حتى لم تعد أكثر من سناد للعجز ، وقرين للوحدة وخادم سماوي للأغراض القومية المحلية .

وهو يرى أن الذي تحتاجه المسيحية : نظرة توجيهية شاملة ، أصدق وأوسع

وأثبت من النظرة الماركسية ، مع روحانية فى الأعماق تنير الطريق : « فى مجالات الاقتصاد ، والسياسة ، وشتى مجالات النشاط الإنسانى » !!

إن الدكتور سيتلر يريد مسيحية عالمية إيجابية فعالة Cosmic Christology ، لا يوضع فيها المسيح ضد الواقع وضد مجرى الطبيعة ! إن الذى كان لدى المسيحيين هو مسيحية (التاريخ) . لكن الذى يحتاجونه هو مسيحية (الطبيعة) ! !

وقد أثارت كلمات الدكتور سيتلر جدلا كثيرا ... وتمسك هو بالدعوة الحارة إلى الوحدة : « إن الكنيسة قد وجدت كثيراً من الطرق (الهستيرية) للتعبير عن خلافاتها ، ولكنها وجدت طرقا أقل للتعبير عن وحدتها ! ولكن إذا دعونا حقا إلى الوحدة ، وإذا استجبنا لهذه الدعوة فى صورة مسيحية عصرية تتسع لتستوعب نظرة الإنجيل الشاملة . فقد يكون من الجائز أن نلتق بعد ذلك على وحدة أكمل ، لأننا سنكون أهلا لتوفيق الله » !!! .

وقد وضع المؤتمر قراراته التوجيهية التى شملت كل شيء ، من الاستعمار البرتغالى فى أنجولا إلى الاعتراف بالصين الشيوعية عضوا فى الأمم المتحدة ! ودعا المؤتمر إلى أن تكون الكنائس على وعى كامل بالتغيرات الاجتماعية وأثرها فى الحياة المسيحية ، وأهاب بها أن تكافح بجد فى سبيل المساواة بين الأجناس ، وحث الشعوب الغنية على مساعدة الشعوب المحرومة ، كما استنهض همم المسيحيين للعمل من أجل قيام المنظمات السياسية التى تشجع اشتراك كل المواطنين فى الحياة السياسية ، والتى تحمى كلا من حرية الفرد فى ضميره وحريته فى تعبيره . وقد كانت توصيات المؤتمر قوية فى صدد الدفاع عن الحريات الإنسانية . وأنذرت من أن حكومة لا تستند إلى رضاء المحكومين لا يمكن أن يؤيدها المسيحيون فى هذا العصر ! ! !

* * *

يفعل هذا دعاة الدين الذى قال داعيته الأول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » !

فماذا يفعل دعاة الدين الذين يقرأون : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » !!

لقد فصلت أوربا بين الدين والدولة ... فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

يقول روجيه باستيد R. Bastide فى كتابه مبادىء علم الاجتماع الدينى :

« ... مع أن التفرقة بين الهيئات الكهنوتية وبين الدولة قانون مطرد ، فهناك طغيان متبادل بين هاتين السلطتين عندما تكونان

منفصلتين . وهنا يجب علينا أن نفحص ثلاث حالات :

أولا : طغيان الكنيسة التى تطالب بنصيب فى التشريع ، وبالحصانة من توقيع العقوبات ، والتى تكرس الملوك ، وتخلق الأحزاب السياسية .

ثانيا : طغيان الدولة التى تحل الهيئات الدينية ، وتنص على عدم مشروعية نظام الرهبنة .

ثالثا : ويوجد أخير طغيان غير شعورى ينجم عن هذا الأمر ، وهو أن نفس الأفراد ينتمون فى آن واحد إلى كلتا الناحيتين . وأنهم يجدون مشقة كبيرة فى تقسيم نشاطهم قسمين » !!

هذا رأى علم الاجتماع وعلمائه الغربيين ..

وقد عالجت فى كتابى الأخير : « مع المسيح » قضية « الدين والدولة » فى ضوء تعاليم المسيحية ، وكان مما قلته فى ذلك :

« ... والكنيسة فى الغرب كثير ما تتدخل فى شئون السياسة ، وهى ما برحت حتى اليوم ذات تأثير كبير ـ فى بعض الدول على الأقل . وقد تولى أسقف مسيحى أخيرا رئاسة السلطة الزمنية فى قبرص دون أن يخلع رداء الكهنوت والاتجاه المسيحى يلون النزعة الاشتراكية عند بعض أحزاب ألمانيا وانجلترا وبلجيكا الاشتراكية والديموقراطية ، ويبدوا أثر الدين واضحا فى كتابات تشرتشل وأتلى وأيزنهاور ودلاس ... وعندما أتيحت للمسيحية فرصة الإفادة من السلطان لم تتردد ـ فى الدولة الرومانية الشرقية أو فى الدول الأوروبة فى الغرب ... وقد تحمس الأباطرة البيزنطيون منذ قيام ليو الثالث رأس الأسرة الإيسورية سنة ٧١٧م لنزعة فى الدين عرفت باللاصورية Iconclast ، وقد سعى الأباطرة لفرض هذه الفكرة ومحاربة مخالفيها بكل سبيل ... وجرى الصراع بين البابوية وبعض رءوس السلطات الزمنية فى أوربا ، وكان الفصل الظاهرى الرسمى لسلطتى الدين والسياسة يحمل معه أسس النزاع حول سيادة أيهما على الأخرى » .

* * *

والمسلمون اليوم فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وهم يجدون عيد دستورهم بمواكب الصائمين القائمين ، عليهم أن يكونوا على وعى بين تطول الأمور فى أرجاء العالمين .

* والحقيقة الأولى التى ينبغى أن يعوها جيداً : أن فى العالم مجاعة روحية ، وحنينا إلى العودة إلى الدين ، وإلى تغشية كل مجالات الضمير والسلوك والتنظيم بهذه الهداية السابغة الرحيمة .

* والحقيقة الثانية : أن الفصل الظاهرى بين « الدين والدولة » فى تاريخ المسيحية ، ينبغى

أن يدرس فى ضوء حقائق التاريخ وعلى النفس والاجتماع ، وينبغى لدعاة الإسلام أن يتابعوا أحدث ما يقوله فلاسفة المسيحية فى هذا العصر عن هذا الموضوع .

فهل نقدر الأمانة ... وننهض بعبء الرسالة ؟

هل نعى دقة موقفنا فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الحضارة الإنسانية ؟

هل ندرس ما يسمى « بالاستراتيجية الإيديولوجية » فى صراع الأفكار والمذاهب ؟

إننا نحتفل بدستورنا الخالد ، الذى لم يفصل بين النظام والعقيدة وبين الجسد والروح ، وبين الأجهزة الحاكمة الضابطة والروح الموجهة ... ولا نفتأ نبدأ ونعيد فى شمول القرآن ، وإحاطة القرآن ، وعلاج كل الأمور فى القرآن ! !

وتدخل هذه الحقيقة إلى أذهاننا فى رمضان أو فى غير رمضان ، لتعيش على وفاق عجيب ووئام منكر مع متناقضات كثيرة فى أذهاننا وسلوكنا وواقعنا ...

* منها : أن الدين صلة بين العبد وربه ...

* ومنها : أن الدين ينحسر فى هذا العصر ... وأنه قد انحسر تماما فى الغرب ...

* ومنها : أن أصول الدين نفسه تبرر هذا الانحسار ! !

وأقوم سبيل للاحتفاء برمضان ، وبدستورنا (القرآن) : أن ندرس موقف « الدين » فى العالم وموقف « الإسلام » بين الأديان ...

وأذكر هنا كلمات منيرة هادية ، للأستاذ الدكتور محمد البهى ، فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » :

« إن رجال السياسة فى الغرب عامة يعرفون جيداً الثمن الذى دفعوه للفاتيكان مقابل تأييده للحلفاء ضد النازية والفاشية فى الحرب الأخيرة ، ويعرفون جيدا الثمن الذى يدفعونه الآن لقاء تعضيده مقاومة الشيوعية فى العالم المسيحى . . . والتاريخ السياسى الحديث لم يزل يذكر ثورة الأرجنتين على ديكتاتورها السابق عندما شق عصا الطاعة على رجال الكنيسة الأرجنتينية . ومع أن (مثنوية) الإنسان التى قام عليها الفصل بين والدولة تعتبر فكرة غير سليمة من الوجهة العلمية ، وغير عملية من الوجهة التطبيقية — فإن دعاة (التجديد) فى الفكر الإسلامى الحديث لم يزالوا يرونها (تجديدا) لأن الغرب المتحضر قال بها يوما . . . !

إن تجديد الشرق فى الفكر الإسلامى الحديث ، تقليد لفكر الغرب فى القرن التاسع عشر . . . تقليد لفكر إنسانى انكشف ضعفه وهواه ، وانتهى أجله واعتباره . . إنه الشرق يستورد ولا يخلق . . هل نرجو الآن إنه قد وعى ، وسيخلق ليبنى ، ثم يورد لغيره كما كان ؟ ؟ »

أدعو الله مع الأستاذ الدكتور . . . أن يحقق الرجاء ؟

فتحى عثمان

الثورة الباقية

للأستاذ محمد محمد خليفه

زحفت ثورات الجمهورية العربية المتحدة السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية فى مختلف ميادينها ، وكتب الله لها فى كل ذلك نصراً هزت نشوته العرب جميعا فكبروا حين رأوا عرش الطغيان تتحطم قواعده ، وحين رأوا الذئاب الاستعمارية تتسلسل تحت ظلمات الخزى والخيبة مشيعة بلعنة السموات والأرض يطاردها البعث المسلح بالعزائم الصارمة .

وهلل العرب حين رأوا نفاثاتهم ومقاتلاتهم تمزق فى حدة طباق الجو وتعلن للدنيا قدرة قواعدها على حماية حماها .

وهللوا حين رأوا الغواصات وزوارق (الطوربيد) وغيرهما من الأسلحة البحرية ترعد بين البحار فترتعد من بأسها أحلام الصهيونيين .

وهللوا حين رأوا الجيوش الرابضة على الحدود فى إيمان يسخر بقوى الأرض لأنه ابن السماء .

وكبر العرب حين رأوا الثورة الاقتصادية تحطم الأغلال التى صنعها الغرب وتذيب القيود التى أحكمتها مصانع الغدر وتمضى بعد الظفر لتعلن للدنيا أنها تسير أبدا فى كنف الله .

ثم كبر العرب حين رأوا الثورة الاجتماعية تذيب الفوارق الطبقية وتنتشل من وهدة الاستكانة العامل والصانع والزارع ممن استعبدهم الإقطاعيون وامتص دمهم وقوامهم أصحاب المعامل والمصانع ، وكان هدف هذه الثورة خلق الكرامة لمن سلبت منه الكرامة ، وبعث الحياة فيمن كان يمن عليهم بأسباب الحياة ، حتى عافوا دنياهم التى يعيشونها بين عقارب المن وجوائح الاستذلال .

كل هذه الثورات حققت للأمة حياة عاشت ترقبها من خلال تاريخها أعواما طوالا . وكل هذه الثورات أزجت إليها أملا طالما تلمسته فى ماضيها حتى لمسته فى حاضرها .

ولكن ... ولكن بقيت ثورة هى أشد حاجة إلى القوى الصالحة المصلحة وإلى الإرادة المتيقظة البانية وهى أولى الثورات بعناية قادة الثورات ، لأنها تطرد نوازع السوء من طريق أولئك الذين تحملهم الأمة أعباء رسالة المجــد .

إنها الثورة على الانحلال ... الانحلال

الذى استشرى خطره منذ فجر الاحتلال ، فأتزر حينا أردية الحضارة البراقة ، وخطر حينا وراء أستار المذاهب الوافدة من الغرب أو الشرق ، وخلع حينا هذا وذاك ، فظهر متحللا من روحانية الشرق الإسلامى ومن كل مقومات الأخلاق ومادعت إليه الأديان .

إن الانحلال الذى نخر فى كيان هذه الأمة وامتد فى أعضائها ، ونهشت أخطاره حياتها أحوج ما يكون إلى ثورة جائحة تستأصله وتقضى على عوامله التى قد تتجسم صخوراً وعقبات تسد على الثورات الزاحفة سبيلها ، وتضع العراقيل المعوقة فى طريق المصلحين .

وليس الانحلال الذى يتهددنا وليد اليوم وإنما شب فى أحضان الاحتلال يرعاه ويدلله فهل من لفتة حازمة تقضى عليه ، وتهىء الثورات المنطلقة الأمن فى كنف أمة تكون لها من أخلاقها قوة تصون ، قبل أن يكون لها من سلاحها قوة تحمى .

وإننا نستهدف لملاحم دامية من الصهيونية والحملات تبشيرية صليبية ، ولكن أعنف ما يخيف تلك التيارات الإلحادية التى تهدد العقائد وتعصف بالمقدسات ، فهل من ثورة تمزق ما عبأ الملاحدة قبل أن يمزقوا أقدس ما نعتز به .

نريد ثورة على الانحلال الدينى ثم نريد ثورة على الانحلال الاجتماعى ، ثورة على الرشوة تدك النفوس المريضة وتصادر ما جمعت من مال لتجعل أصحابها عبرة لمن عسى أن يعتبر ، وما أكثر مرضى النفوس فى هذا المجتمع وما أشد خطرهم وما أفظع مصيبة القادة بهم .

نريد ثورة على المحسوبيات التى قتلت الكفايات ووثبت بالكثير من غيرهم إلى مناصب مرضت بهم وتعثرت خطاها فلم تستطع المضى فى كنف الركب الزاحف وكم نادى السيد الرئيس وندد بأولئك المستغلين لمناصبهم . ولكن ما زال فى الدولة من فى أذنيه وقر وما زال خطر المحسوبيات تمزق مخالبه أحلام الكفايات وتوهن من جهودها .

نريد ثورة على النفاق الذى عشش فى قلوب الضعفاء وصرع فيها معانى العزة والكرامة ومحاسنها من مقومات الرجولة ، فعاش المنافقون فى دنياهم أشباه رجال على جباههم من شيات النفاق طابع تزيد كل يوم حدته .

فهو أبدا ينطق بمعانى الذلة ولهؤلاء خطرهم على نفوسهم وعلى أبنائهم وعلى مجتمعهم وخليق بالدولة ألا تدع هؤلاء ينشرون الضعف فى ذلك المجتمع الشامخ .

نريد ثورة على الغش يعمل فيها القانون عمله ويعمل إلى جانبه المصلحون بألسنتهم وأقلامهم وتجند لها الصحافة والإذاعة قوة تنزع من نفوس الغاشين جشعهم الطاغى وتخلقهم للمجتمع الجديد خلقا جديدا .

نريد ثورة على المستهينين بالواجب والمسئوليات والمناصب أولئك الذين كفلت لهم الدولة كل شيء وضنوا عليها بكل شيء ، قلدتهم بعض شأنها فاستغلوا السلطة والثقة واستجابوا إلى وسوسة الإهمال ونزغات الاستهتار فقضوا أيامهم يتثاءبون وراء مكاتبهم أو يشتغلون بما ليس من عملهم والجمهور الغاضب على الأبواب يحرقه الغيظ ويستبد به الألم .

وكأنى بهؤلاء يفرضون على الدولة أجساما بلا أرواح وهياكل بغير قلوب إن هؤلاء المستهترين بالمسئوليات (سرطان) فى جسم المجتمع إذا امتد به الزمن دون أن يستأصل عاق الجيل الصاعد عن السمو إلى آماله التى يتطلع إليها .

نريد ثورة على المختلسين الذين تفننوا فى سلب أموال الدولة ، إن الدولة فى حاجة إلى نفوس طاهرة تنطلق فى الوزارات والمدارس لتحاسب وتحقق حتى ترد إلى خزائنها ما سلب منها وتصون لأبواب النفقات ما أعدلها وتمنع العبث بأموال النشاط وتراقب تزوير (الفواتير) .

نريد ثورة على اللصوصية السافرة والمستترة وكم بين الأغنياء من لص يسلب حقوق الدولة ويوارى عنها الكثير من أملاكه ويحتال للفرار من حساب الضرائب التى تجنيها الدولة لخير الأمة ، وليس أنجع فى هذه الثورة من حكم الله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » هذا حكم الخالق فى قضية السارق وكشفه للمجتمع ليكون عبرة تحذر وتخيف المستسلمين لأهوائهم وفى هذا الجزاء علاج أى علاج لمرض يهدد كياننا .

وأخيراً بل أولا نريد ثورة على الأغانى الساقطة التى تقتل فى شبابنا كل معانى العزة والرجولة وفى فتياتنا كل المعانى الخلقية النبيلة وترمى بهؤلاء وأولئك فى محيط صاخب من شهوات النفس وغرائزها يلاطمون أمواجه وتلاطمهم ثوراته وتشغلهم مغامراتهم عما يطلبه الوطن العربى الكبير من كفاح أجياله فى سبيل أمجاده .

وخليق بأيدى البناة والمصلحين أن تمتد إلى هذا اللون فى دار الإذاعة فتأتى عليه وتحطمه قبل أن يعثر قوافلنا الماضية فى الحياة.

وخليق بالقادة ألا يدعوا المرآة الحقيقية لأخلاق الأمم تعكس للعالم صوراً تشف عن حياة رخيصة هزيلة لا تتلاءم مع الانطلاقات الفتية فى حياتنا .

وخليق بهم كذلك ـ وبيدهم المقاليد ـ أن يعلنوا لمؤلفى الأغانى منهجا جديداً يخلق ولا يفنى ، يحيى ولا يميت يقوى ولا يضعف ، يسجل ولا يضيع ـ وإلى من يعيشون مع

الأحلام والاستهتار والتحلل من كل مقومات الأمم الحية داخل إذ هتنا يجب أن يلتفت القادة ليقذفوا بهم بعيداً عن طريق انطلاقها .

ويجب أن تنطلق الثورة المدمرة إلى الماديين من تجار (الأفلام) المريضة التى تجنح إلى الرقص أو إلى ما يثير الغرائز الجنسية من مواقف وأغان على حين خلو هذه (الأفلام) من علاج مرض اجتماعى بل إنها كثيرا ماتبعث الأمراض الخلقية النفسية فى المجتمع وما أحوج هـــذا المجتمع إلى قصص تعالج أمراضه وتتناول مشاكله فى حذق وعرض يعين على استئصال هذه الأدواء ، وقد تفيد القصة والتمثيل أكثر مما يفيد الوعظ إذا آمن الممثل برسالته فى المجتمع . أما مرض المخدرات والاتجار بها فقد امن المسئولون بخطره ووضعوا العقوبات الصارمة كلون من العلاج ولكن المستهينين بالمجتمع مازالت نفوسهم العابثة تمضى بهم فى العبث ومن ثم لم يجد المسئولون بدا من أن يأخذوهم بالحزم ليقضوا على خطرهم .

أيها الثوار . الذين حاربوا الفساد السياسى ، إن الفساد الاجتماعى الذى تعصف بهذا المجتمع عواصفه أحوج ما يكون إلى جهودكم وثورتكم حتى تؤمنوا لهذه الأمة حياتها وإنكم وأنتم صناع أمجادها جديرون بإرساء قواعد المجد على أصول ثابتة محكمة ولن يكون ذلك إلا إذا قضيتم على أسباب التفكك والاسترخاء والانحلال .

أيها الثوار . . . هبوا لهذه الأمراض وغيرها بعض جهودكم ولمحات من وقتكم ولفتات من رعايتكم فالمجتمع الذى تتقاذفه تيارات الانحلال يمد يده المرتعشة إليكم وهو مؤمن بأنكم منتشلوه لأنكم صانعو حياته وباعثو آماله .

وإن هذا المجتمع لا يصلح إلا بما صلح به أوله : خلق طاهر وضمير حى وإيمان بالواجب وعمل خالص وتفاعل مع الانطلاقات الصادقة لخير المجتمع وقضاء على الانحلال والمنحلين

أيها الثوار :

إن الانحلال أخطر ما يهدد كيان الأمم فأعلنوها ثورة عارمة عليه يبارك الله لكم فى جهادكم وينصركم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

محمد محمد خليفه
المدرس فى معهد القاهرة للأزهر

إبليس الأول أو إبليس آدم

للأستاذ عباس طه

أصل اللفظ واشتقاقه ـ خلق إبليس ـ حقيقة الجن ـ إبليس قبل المعصية ـ إبليس وآدم ـ إنظاره ـ موته ووقته

١ — أصل اللفظ واشتقاقه :

قال الزجاج : هو اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه فعليل .

قال البستانى فى دائرة المعارف : وهذا هو الصواب فإنه معرب (ذيافوليس) باليونانية وهو علم جنس للشيطان ، ومعناه فيها بالحصر موقع الخلاف وبالتعميم نمام أو مشتك كاذب .

وقال صاحب تاج العروس بعد قول القاموس : أو هو اعجمى ولذا قيل إنه لا يصح أن يشتق إبليس وإن وافق معنى أبلس لفظا ومعنى وقد تبع المصنف الجوهرى فى اشتقاقه فغلطوه فلينتبه لذلك .

وقال أبو عبيدة وغيره : إنه عربى مشتق من الإبلاس وهو الإبعاد من الخير أو اليأس من رحمة الله . يقال أبلس من رحمة الله أى يئس وندم وفى التنزيل العزيز (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أى أويس ومنع من الصرف حينئذ لكونه لا نظير له فى الأسماء أو لأنه شبيه بالأسماء الأعجمية لكونه لم يسم به أحد من العرب فصار خاصا بمن أطلقه الله تعالى عليه وكأنه دخيل فى لسانهم . وقيل إسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث ، أما كنيته فأبو مرة .

٢ — خلق إبليس :

تتوقف معرفة خلق إبليس على معرفة النوع الذى هو منه وذلك أنهم اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن ؟ فذهب جماعة إلى أنه من الملائكة مستدلين بجملة أدلة :

الأول : ظاهر الاستثناء فى قوله تعالى : « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر » .
والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة .

الثانى : أنه لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) متناولا له ولو لم يكن متناولا له لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء

واستكبارا ومعصية ولما استحق الذم والعقاب وحيث حصلت هذه الأمور وعلمنا أن ذلك الخطاب يتناوله ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة .

وذهب جماعة آخرون إلى أنه من الجن مستدلين أيضا بعدة أمور منها :

الأول قوله تعالى فى سورة الكهف «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » ،

الثانى : « إبليس له ذرية لقوله تعالى فى صفته « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو» وهذا صريح فى إثبات الذرية له وأن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والانثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم) أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فاذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية .

الثالث : أن الملائكة معصومون وإبليس لم يكن كذلك لأنه قد استكبر والملائكة لا يستكبرون .

الرابع : أن إبليس مخلوق من النار والملائكة ليسوا كذلك ـ وشأن الأدلة على هذا فى بيان حقيقة الجن ، وقيل : إنه لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق نعمة وأنه مخلوق من النار .

٣ — حقيقة الجن :

الجن نوع من الخلق سموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس ، فلا يرون ، قال الراغب : أصل الجن (بفتح الجيم) ستر الشىء عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه لجنه : ستره) إلى أن يقول والجن بكسر الجيم يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا تدخل الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل : بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة : ١ ـ أخيار وهم الملائكة . ٢ ـ أشرار وهم الشياطين . ٣ ـ أوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن » اهـ .

وقد أخبرنا القرآن الكريم وجاء فى السنة الصحيحة أنهم عالم قائم بذاته وأنهم قبائل وطوائف وأن منهم البار والفاجر وأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون .

قال تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » وقال : حكاية عنهم « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون » .

وقد رويت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى فروى أنهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته ثم اجتمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روثة علف لدوابكم. ونهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بهما وقال إنهما زاد إخوانكم الجن ، أما ماخلقوا منه فقد ذكره القرآن الكريم فى قوله : « خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » وفى قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وذكره الحديث فى رواية مسلم من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

٤ — ابليس قبل المعصية :

ليس هناك خبر تطمئن اليه النفس وتقوم به الحجة على تعيين الحالة التفصيلية التى كان عليها إبليس قبل معصية ربه بإبائه السجود لآدم وليس من اليسير على الباحث الحريص على استكمال نواحى بحثه أن يهمل مثل هذه الناحية الهامة فى ترجمة إبليس دون أن يتحدث عنها بكثير أو قليل فانه ان أهمل وصف بالتقصير وان تحدث بما لم يؤيده نص دينى أو يعضده مصدر تاريخى وثيق وصف بالقصور واذا فليعذرنا حضرات المطلعين ان نحن أوردنا شيئا فى هذا الموضوع مما رواه شيوخ العلم وأئمة المؤلفين ونسبوه إلى أجلاء من الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم كابن عباس وغيره ونحن لا نورده هنا على أنه أخبار مسلمة وروايات مقطوع بها بل لنبين أن هذا هو كل ما ذكروه والعهدة عليهم فيه قالوا كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وما بينهما وكان خازن الجنة مع اجتهاده فى العبادة وكثرة علمه فأعجب بنفسه ورأى أن له بذلك الفضل فاستكبر . وقيل : إن الجن لما أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة فقاتلهم وشردهم إلى الجزائر فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد . وقيل : كان قاضيا بين الجن فلم يزل يقضى بينهم بالحق حتى سمى حكما فتعظم وتكبر وألقى بينهم العداوة والبغضاء فأفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء فأقام

عند الملائكة يعبد الله مجتهدا فى العبادة فلم يزل كذلك حتى خلق الله آدم فكان من أمر إبليس ومعصية ربه ما كان ، وقيل غير ذلك .

٥ - إبليس وآدم :

يؤخذ من الآيات القرآنية التى وردت فى خلق آدم عليه السلام أن الله تعالى اختصه بمزايا أهمها :

١ — تعليمه الأسماء كلها .

٢ — أمره الملائكة بالسجود له . ولقد كان هذا الاختصاص سببا فى حسد إبليس لآدم وقد حمله هذا الحسد على الاستكبار والعناد مبررا ذلك بأنه أفضل من آدم فعاقبه الله على ذلك بالطرد من الجنة وبإنذاره بأنه من أهل النار . ويحكى لنا القرآن الكريم ذلك فى نظم رائع وأسلوب معجز قال الله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

٦ — إنظاره : أراد إبليس أن يجد له فسحة فى الأغواء وأن يكون له من طول الحياة ما يرخى له العنان فى الجرى وراء الافساد الذى جبل عليه فسأل ربه عز وجل أن ينظره إلى يوم الدين لإشباع نهمته من هذه الناحية .

قال تعالى حكاية عنه : « قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صرطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين، أما الحكمة فى إنظاره ذلك الزمن الطويل ما هو عليه من الإفساد فقد بينه العلماء . قال ابن كثير فى البداية والنهاية . إن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى : وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ .

٧ — موته ووقته : ذكر أصحاب الأخبار كيفية موت إبليس ، فنقل الألوسى فى تفسيره عن كتاب البحور الزاخرة للسفارينى خبرا مرفوعا إلى ابن مسعود رضى الله عنه أن أبليس يموت بقتل الدابة له عند خروجها ، ولكن الألوسى شك فى نسبة هذا القول إلى ابن مسعود ، وإذاً فالمسألة موكلة إلى علم الله تعالى .

وأما وقت موته فقد حكى فيه الرازى قولين : الأول . أنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى لأنه تعالى قال إنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم والمراد منه اليوم الذى يموت فيه الأحيا. كلهم والثانى أنه تعالى لم يوقت له أجلا بل قال (إنك من المنظرين) وقوله فى الآية الأخرى إلى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت المعلوم فى علم الله تعالى وقال بعضهم غير ذلك . والله أعلم ؟

عباس طه

الإسلام والمسلمون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشوارني

التبادل الثقافي بين أمريكا والعالم الإسلامي :

لقد أدى نظام تبادل الأساتذة والباحثين، الذي استحدثته الولايات المتحدة والذي عرف أخيراً بنظام الفولبرايت ، إلى تحقيق التبادل الثقافي بين أمريكا وبين كثير من دول العالم . وكان من بين هؤلاء الأساتذة الذين وفدوا إلى أمريكا أو الذين أوفدتهم أمريكا إلى خارج بلادها كثيرون ممن وفدوا من بلاد العالم الإسلامي أو أوفدوا إليه . ومما لا شك فيه أن هذا النظام قد أدى إلى الكثير من الفوائد لكلا الفريقين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن رئيس لجنة تبادل الأساتذة بالحكومة الأمريكية ألقى محاضرة قيمة عن نتائج وأهمية التبادل الثقافي بين أمريكا ودول العالم الإسلامي ولقد ورد في تلك المحاضرة كثير من الحقائق الشائقة والآثار الطيبة التي تركها الأساتذة الزائرون من دول العالم الإسلامي في نفوس أساتذة الجامعات الأمريكية .

ولقد يكون من الخير أن تقوم البلاد الإسلامية بالإكثار من إرسال الوفود من الشخصيات الإسلامية البارزة التي لها إلمام باللغة الإنجليزية لزيارة أمريكا والتعرف على الجاليات الإسلامية بها وإقامة الروابط الدينية والثقافية المختلفة وهو مصداق قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . فمما لا شك فيه أن القيام بإرسال هذه البعوث كفيل بتحقيق خير كثير لكلا الفريقين على السواء .

ونود أن نذكر في هذا العدد أن الباكستان تقوم الآن بهذا العمل على أوسع نطاق ممكن سواء عن طريق الأفراد أو الجمعيات أو الحكومة ذاتها .

ولقد التقيت في أمريكا ببعثتين من هذه البعثات : الأولى في واشنطون وكانت تتكون من أربعة أشخاص قاموا بها بدافع شخصي وبصفة غير رسمية وقد أسهموا فيما بينهم بتحمل نفقات الرحلة وزاروا مختلف الجاليات

الإسلامية فى أمريكا وتنافسوا فى خدمتهم وتقديم المعونة الأدبية لهم .

ولقد التقيت بالبعثة الثانية من بعثات الباكستان فى نيويورك ، وكان قوامها تسعة من كبار رجال الباكستان بينهم محام كبير ومهندس ممتاز وموظف كبير بمصلحة السكك الحديدية وأستاذان من كبار أساتذة جامعاتها ، وقد وفدوا جميعا إلى تلك البلاد الأمريكية لقضاء ستة أشهر بها بعد أن قبلت الهيئات الحكومية والأهلية التى يعملون بها منحهم هذه الإجازة بمرتب ليتسنى لهم زيارة مسلمى أمريكا بالنيابة عن مسلمى باكستان .

ولقد قامت هذه البعثة الأخيرة بإلقاء عدد كبير من المحاضرات فى شتى الجمعيات الإسلامية وعقدت كثيراً من الندوات لتفقيه المسلمين فى أمر دينهم كما وجهت الدعوة إلى بعض المسلمين الأمريكيين للسفر إلى باكستان عند انتهاء زيارتهم لأمريكا ليقوموا بدورهم بزيارة إخوانهم فى العالم الإسلامى وأن ينزلوا عليهم ضيوفا كراما .

وتلق مثل هذه البعثات عادة كل ترحيب من المسئولين الأمريكيين ، كما أن الشعب الأمريكى بما طبع عليه من حب لحرية الرأى وما يتصف به من سعة الأفق ودماثة الخلق يرحب كل الترحيب بمثل هذه البعثات ويقبل بقلوب متفتحة على التعرف إلى أعضائها والاستماع إليهم وتأكيد المودة بينه وبينها .

وقد يكون من الخير أن تحذو الدول الإسلامية الأخرى حذو الباكستان فى القيام بهذا الدور الجديد فى العمل على تشجيع التبادل الثقافى بين الشعوب الإسلامية والشعب الأمريكى ، ونأمل فى المستقبل القريب أن تولى الدول الإسلامية هذا الأمر عنايتها بإرسال الوفود إلى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية فإن كل ولاية من ولايات أمريكا لا تقل فى عدد سكانها ، ومساحة أراضيها عن بعض دول العالم الإسلامى إن لم تزد عليها فى عدد السكان والمساحة .

ويذهب الآن إلى الشرق الأوسط والأدنى عدد كبير من الأساتذة الأمريكيين ومن الباحثين والطلبة وكلهم موضع رعاية الدول التى يفدون إليها ويلقون فيها ما عرف عن الشرق من كرم الضيافة ، وتعتبر هذه الأمور من العوامل الفعالة التى تؤكد إيجاد جو من التفاهم الصحيح والتعاون الفعال بين الإسلام والمسيحية .

وقد درج بعض كبار أعضاء الجاليات الاسلامية فى أمريكا على إرسال أبنائهم للدراسة بعض الوقت فى بعض الدول العربية حتى يمكنهم أن يحافظوا على لغة أجدادهم والتحدث بها بطلاقة ، وهذه بلاشك روابط قوية تربط بين الوطن الجديد لهؤلاء المهاجرين

وبين وطنهم الأصلى الذى هاجر منه آباؤهم وتؤكد حسن التفاهم بين البلدين .

ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم الاتفاق بينى وبين بعض المشرفين على الجامعة الإسلامية فى شيكاغوا على أن يسافر بعض الطلبة والطالبات إلى مصر للتعلم فى جامعة القاهرة وإتمام دراساتهم فيها ، ونأمل أن تيسر وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة هذه المهمة خصوصا أن هؤلاء الطلبة لن يكلفوها شيئا إذ أن ذويهم سوف يتكلفون بدفع كل نفقات سفرهم وإقامتهم ، ونأمل أن تعفيهم جامعة القاهرة من دفع المصروفات الجامعية .

ومن البوادر الطيبة التى تؤيد هذا التعاون الثقافى وتدعمه ما نراه اليوم من اتجاه كثير من دول العالم الإسلامى فى السنوات الأخيرة إلى دعوة بعض المبرزين من قادة الجاليات الإسلامية فى أمريكا إلى زيارتها ، فنى استضافة مثل هؤلاء تجديد لمعلوماتهم وتأكيد لروح المودة بين العالم الإسلامى وبين أمريكا .

ويقوم طلبة البعوث من أبناء الدول الإسلامية فى أمريكا بنشاط ثقافى ملحوظ وهم يزيدون على بضعة آلاف ، ويبلغ عدد أعضاء البعثات من العالم العربى فقط ما يزيد على أربعة آلاف طالب ، وهم جميعا يقومون فى أوقات فراغهم بعقد الندوات والمحاضرات عن الإسلام ويتبادلون المعلومات الصحيحة مع زملائهم من الطلبة الأمريكان كل عن معتقدات دينه وتعاليمه ، فهم من هذه الناحية يقومون بواجبهم على خير وجه وعلى أوسع نطاق ممكن إذ أنهم موزعون فى معظم الجامعات والكليات الأمريكية المختلفة التى تزيد على الآلاف والمنتشرة فى جميع الولايات الأمريكية .

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الأساتذة الزائرين من مختلف دول العالم الإسلامى الذين يدعون للتدريس فى مختلف الجامعات الأمريكية يقع عليهم عبء كبير فى هذا الشأن ، فهم بحكم وظائفهم ومراكزهم الأدبية فى تمكنهم من لغة البلاد وصلتهم القوية بزملائهم من الأساتذة والطلبة أقدر الناس بلا مراء على تأكيد المودة وحسن التفاهم بين العالم الإسلامى وبين أمريكا وإيقاف الرأى العام الأمريكى على حقيقة الإسلام ومبادئه .

وهنا أود أن أسجل التسامح الدينى الكبير الذى يلقاه المرء فى مختلف أنحاء أمريكا ، فالشعب الأمريكى يستمع إلى كل ذى رأى وعلى أتم استعداد لقبول كل رأى يؤيده العقل والمنطق ، ولقد كانت لنا مع الكثيرين منهم مواقف كثيرة إن دلت على شىء فإنما تدل دلالة واضحة على الديمقراطية الصحيحة ،

(البقية على صفحة ١١٤٦)

ديمقراطية (رعاوية) في شمال الصومال

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الكتاب واحد من مئات الكتب التى تصدر اليوم تباعا عن القارة الإفريقية باللغات الأوربية . وقد بدأ التأليف فى هذا الموضوع بالإجمال عن القارة فى عمومها تاريخا واقتصادا وسياسة وأخلاقا وعادات أو عبادات فى المجلد الواحد والمجلدين ، ثم تشعبت البحوث واتسع نطاق العناية بها بين قراء الغرب حتى بلغ بها التخصص والتحديد أن يصدر المجلد الضخم عن شعائر القبيلة الواحدة فى القطر الواحد ، مع التزام الشعائر الدينية الاجتماعية دون غيرها من شؤون تلك القبيلة فيما يتصل بالجغرافية أو السياسة أو العلاقات التجارية والاقتصادية ، وصدرت عن الصومال وحدها ـ فى شمالها دون سائر جهاتها ـ مؤلفات عدة يستغرق بعضها مئات الصفحات ، ومنها هذا الكتاب فى (دراسة الأحوال الرعاوية والسياسية بين أبناء الشمال ، وقد فرغ لتأليفه (ا . م لويس) بعد أن قضى عشرين شهراً فى الرحلة بين أقاليم القبائل التى خصها بالكتابة فى هذا المجلد ، واطلع قبل الرحلة وبعدها على مراجع شتى من رحلات السياح والجغرافيين والمستطلعين .

ولا ننس أن البحث عن (أحوال الإسلام) يتقدم البحوث فى كل كتابة عن القارة الإفريقية وعن الأقاليم التى يسكنها المسلمون أو يجاورونها بين أرجاء القارة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وقد تعد الكتابة عن هذه الأقاليم التى يسمونها (قرن إفريقية) كتابة خاصة بالإسلام والمسلمين ، سواء اتصلت بحوثها بالأقطار الأثيوبية أو بالجنوب الذى يسكنه أناس على دين الفطرة وتتخلله الدعوة الإسلامية أو دعوة المبشرين من حين إلى حين .

والمؤلف لا يخفى إعجابه بغيرة أبناء الصومال على العقيدة الإسلامية ، ويقول فى مقدمة كتابه (إن الغريب عن الديار لا يسعه أن يتجنب الشعور بإخلاصهم الصادق لعقيدتهم الدينية وامتزاج الفخر بالإسلام عندهم والفخر بالانتساب إلى السلالة الوطنية . ولا يجهل الصوماليون أنهم شعب من شعوب كثيرة تدين بهذا الدين ، ولكنهم يتخذون من حماستهم له أداة لإبراز ما هم مطبوعون عليه من الشعور العميق بكرامة الأنساب .

ويقول الرحالة إن المسلم الصومالى ينتمى

ـ عادة ـ إلى إحدى الطرق الصوفية ويرعى فيها النظام الدقيق الذى يمتاز به الصوماليون فى اجتماعاتهم العامة ، سواء منها اجتماعات القبيلة لتدبير المصالح المشتركة أو اجتماع أبناء الطريق لإقامة الشعائر والعبادات . ولكن الصومالى قد يجمع بين طريقتين فى وقت واحد ويؤدى شعائره فى كلتا الطريقتين ، لأنهما تتفقان فى اتباع السنة وقضاء الفرائض المرعية فى أحكام القرآن ، وقد يقع الخلاف بين الطريقتين إذا اشتبكت أسبابه بأسباب الخلاف على مسائل المجتمع أو مسائل القبيلة (الرعاوية) ولكنه خلاف قليل الحوادث إذا قيس بالخلاف على المذاهب فى غير هذه الديار . .

ومما يحد من أضرار هـذا الخلاف أن مشايخ الطرق مسؤولون فى العرف العام عن التوفيق بين الخصوم والإصلاح بين القبائل وولاة الأمور فيها أو فى البلاد الحضرية التى انفصلت بعض الانفصال عن تقاليد الريف والبادية ، وليس لأحد من وجوه القوم مكانة تعلو مكانة رجل الدين بين قبائل الصوماليين ، ولكن العرف الصومالى يدين بتقسيم (السلطات) بين مكانة الشيخ ومكانة رئيس العشيرة أو سلطان الإمارة ، فإذا استجاب المتخاصمون إلى وساطة الإمام الدينى فالعهود التى تبرم بينهم إنما يتم إبرامها على أيدى الرؤساء والسلاطين ويتولى الإشراف على تنفيذها وكلاؤهم وأعوانهم الاجتماعيون ... إلا أن يصل الأمر إلى التحكيم على وجه من وجوه الخلاف المتفق عليها فلا يرى الجميع بدا من قبول الاحتكام إلى أئمة الدين .

ويحـترم الصوماليون ذكرى الآباء والأجداد ، ويقيمون الأضرحة والمزارات لكل جد عظيم من جدود القبيلة المذكورين ، ويتفق فى هـذه الحالة أن يكون مزار الجد العظيم كمزار الولى الدينى فى القداسة والتوقير وإقامة الموالد إلى جواره مع التصدق بالذبائح والقرابين فى كل موسم مشهود ، يحضره أبناء ذلك الجد كما يحضره غيرهم من المقيمين إلى جوار المزار . ولعل هـذا الاشتراك بين شعائر القداسة وشعائر الولاء قائم على اشتهار أولئك الأجداد بفتح البلاد للدعوة الإسلامية واستحقاقهم للذكرى بفضل الغيرة على الدين والقدرة على تمكين السلطان السياسى لعشيرة من العشائر الوطنية أو عشائر المهاجرين الأولين .

ويدل اسم الكتاب (ديمقراطية رعاوية) A Pastoral Democracy على الغرض الأول من تأليفه ، فهو وصف النظام الديمقراطى الفطرى فى بلاد القبائل الراعية ، أو قبائل الرعاة التى تحسب فيها الثروة بعدد

ما تملكه من الأنعام والماشية وقطعان الحيوان على الإجمال . وقد يصف المؤلف مجالس الحكم والمشاورة فى هذه القبائل كما يصف علاقات الحكام بالمحكومين وعلاقات القبائل المتعددة بعضها ببعض فى السلم والحرب وأيام الرخاء وأيام الجدب والشدة ، فيخلص من مشاهداته الكثيرة إلى الإيمان بصدق العنوان (الديمقراطى) حين يطلق على سياسة القبائل وآدابها الاجتماعية ، وإن تكن (ديمقراطية) فطرية تدين بالعرف المأثور ، قبل أن تدين بالنص المكتوب .

ويقول المؤلف إن مصالح القبيلة (الرعاوية) لها اعتبارها الأول عند تطبيق الأحكام والحقوق وبخاصة فى مسائل الدية والثأر ومسائل التوريث والتمليك ، ويحرص أبناء الصومال على تطبيق أحكام الميراث كما شرعها الإسلام ، فتعطى المرأة حقوقها على حسب هذه الأحكام ، ولكنها لا تتولى رعاية الإبل ولا حيازة الأرض المخصصة للرعى والسقاية ، وقد تملك الماشية وتملك الدار والمسكن من مخلفات الآباء والأزواج ، ولكنها — هى باختيارها — لا تطالب بولاية أمر الإبل والمراعى والسقايات ، ولعلها تؤثر ذلك لأن الملكية هنا تستتبع الحماية بالسلاح والاستعداد لدفع الغارة وصد العدوان والانتقال من حوزة إلى حوزة كلما وجبت الرحلة من حمى إلى حمى آخر ، تبعا لأحوال الخصب والجدب أو أحوال الرى والجفاف.

ومما يجعل للملكية فى هذه الحالة حكما خاصا لا تنهض المرأة بأعبائه أن تدبير الغارة موكول إلى نظام صارم لا يعفى منه أحد من القادرين على حمل السلاح ، فإذا وجب القتال وتخلف عنه أحد من شبان القبيلة فهو عرضة لاستباحة ملكه من الأنعام والماشية ، وإذا اجترأ جماعة من القبيلة على شن الغارة على قبيلة أخرى بغير إذن الزعيم حق له أن يعاقبهم ويحرمهم غنيمتهم ، إلا إذا تقدموا بأنفسهم مختارين لقسمة الغنيمة بينهم وبين إخوانهم الذين خالفوهم ولم يشتركوا فى اغتنامها ، فقد يشفع لهم ذلك فى رفع العقاب وتخفيف التعويض المفروض .

وقد تحول الصوماليون من سكان بقاع الشمال من نظام المراعى إلى نظام الأرض الزراعية ، فكان لذلك أثره فى تعديل أطوار المعيشة وأحكام الديمقراطية الرعوية ، ولكنه تعديل ظاهر لم يتعمق إلى أصول العادات والأخلاق .

ويستطرد المؤلف فى حديثه عن العرف الاجتماعى إلى الحديث عن الشعر الصومالى ووظيفة الشاعر الاجتماعية بين البادية والحاضرة ، فإذا هى صورة أخرى من صور

الحياة العربية فى عصورها الأولى . لأن الشاعر يثير النخوة للقتال ويستفز الغضب للأخذ بالثأر ورد العدوان بالعدوان ، وقد يلجأ إليه أحيانا فى تهدئة الثوائر الجامحة وتزيين الصلح والمسالمة كلما جنح الحكماء ورؤساء الدين إلى علاج المشكلة بالتوفيق والترضية ، ولا يندر فى أغراض الشعر عند الصاماليين نظم القصائد حمدا للأولياء وترتيلا لأناشيد الدعاء والثناء على عباد الله الصالحين ومن أمتع فصول الكتاب تلك الصفحات التى يروى فيها المؤلف طرفا من سير الشيوخ والنساك الذين قادوا الثورة على الحكم الأجنبى كما قادوا الثورة على فساد الأخلاق ومساوىء التفرنج بين أناس من الصوماليين بعد احتكاكهم بالجاليات الأوربية . فإن أحاديث المؤلف عن أولئك الشيوخ والنساك تصحح التاريخ المفترى عليهم وتدفع شبهة الهوس التى علقت بهم من روايات الصحفيين عنهم ، وأولهم (الملا محمد عبد الحسن) الذى لقبوه بالملا المجنون ، وما كان به من جنون إلا أن يكون الجنون عندهم فرط الغيرة على الصلاح وفرط الغضب من دسائس التبشير والاستعمار.

وأهم ما فى الكتاب من وجهة النظر إلى الحياة العصرية تحقيق المؤلف عن الأحزاب السياسية وأسباب التقارب أو التباعد بين أعضائها ، وخلاصته أن العصبية القبلية هى الصلة الكبرى التى تربط بين الهيئات السياسية فى الشمال ، وأن العوامل المحلية ونفوذ « الشخصيات » التى تهيمن عليها تحل محل هذه الصلة فى الأقاليم (غير الرعاوية) وأن المذاهب الأوربية التى نجحت فى اجتذاب بعض الصوماليين إليها إنما نجحت لتوكيدها شريعة المساواة بين الأجناس البشرية أو لتوكيدها مبادىء الديمقراطية بين الحكومات ورعاياها ، ولا يخفى أثر الإسلام فى كل عامل من هذه العوامل بين المسلمين وغير المسلمين .

عباس محمود العقاد

الكتب

١ — قصة الإيمان :

نديم الجسر مفتى طرابلس :

قد يتوهم القارىء أن هذا الكتاب الضخم : « قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » هو من تأليف الأستاذ الجليل الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس ولبنان الشمالى ، ولكن الحقيقة أن الشيخ المفتى كان دوره القيام بالطبع والنشر والإهداء إلى كبار الكتاب والجامعات العلمية والإسلامية .

إن لهذا الكتاب قصة من حق القارىء علينا أن نسوقها إليه فى إيجاز كما رواها الشيخ المفتى مقدم الكتاب تحت عنوان : كيف ألقى إلى هذا الكتاب .

لقد زار الشيخ المفتى (طينال) مسقط رأسه فى لبنان ، وبينما كان فى مسجدها إذ فوجىء بشيخ مهيب الطلعة هو : (حيران بن الأضعف البنجابى) من أصل مصرى ، ومقيم بقرية (خرتنك) القريبة من سمرقند بالهند ، وقصد من زيارة (طينال) اللقاء مع والد المفتى حيث أوصاه شيخه بهذا اللقاء ، أما شيخه فهو (الشيخ أبو النور الموزون) من علماء سمرقند ، وكان قد تلقى العلم والفلسفة على والد المفتى ، وهذا الكتاب هو مجموعة الدروس الفلسفية التى تلقاها الشيخ حيران على الشيخ الموزون حين استبد به الشك وترك جامعة بيشارور حين لم يجد من يروى غلته فى البحث عن الحقيقة .

وهذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير جاء فى شبه قصة روائية ، ولذا سهل استيعابه ، رغم أنه دراسات فلسفية على مستوى أعلى وأرفع ، تنتصر للتوفيق بين العلم والإيمان أو بين الفلسفة والدين . والقصة يرويها الشيخ حيران على لسان الشيخ الموزون .

يتحدث الشيخ الموزون عن الباحثين عن الله من فلاسفة اليونان الأقدمين : طاليس ـ انكسيمنس ـ انكسيمندر ـ فيثاغورس ـ بارمنيدس ـ هرقليط ـ ديموقريطس ...) ومن جاء بعدهم كسقراط وتلميذه إفلاطون ، وأرسطو تلميذ إفلاطون . وهؤلاء جميعا بحثوا عن الله ، وإن اختلفت أساليبهم ، وأصاب السقم بعضا من آرائهم .

وتحت عنوان : (نور على نور) تحدث الشيخ عن فلاسفة المسلمين (الرازى - الفارابى - ابن سينا) ومن جاء بعدهم (ابن خلدون ، ابن طفيل - الغزالى - ابن رشد) وهؤلاء من أعظم المؤمنين بالله ومن أصدقهم برهانا على وجود الله ، وقد جمعوا إلى إيمان الوحى الصادق إيمان العقل السليم .

ويرى الشيخ الموزون أن هنالك تلاقيا للعباقرة على الحق بين أكثر الفلاسفة المسلمين وفلاسفة الغرب : (باكون ، ديكارت ، باسكال ، لوك ، كانت ، برجسون) أما (دارون) صاحب نظرية النشوء والارتقاء فيرى الشيخ أنه ليس بفيلسوف بل هو عالم طبيعى كبير دفع مذهب التحول دفعة جريئة إلى الأمام عندما نشر فى عام (١٨٥٩) كتابه : (أصل الأنواع) فأصبح صاحب مذهب خاص فى التحول والنشوء ، أما الفيلسوف الذى اتخذ مذهب التحول والنشوء والارتقاء أساسا لوضع فلسفة شاملة فهو (هربرت سبنسر) صاحب مذهب التطور .

ويربط الشيخ بين الشيخ الجسر والد المفتى وبين الإمام الغزالى فى أن كلاهما كان عالما متكلما واسع الاطلاع على حقائق العلوم الكونية عظيم التبحر فى الفلسفة الميتافيزيقية ، وكان غرضهما معا إثبات وجود الله ، كما أن كلا منهما وضع كتابا فى الرد على الفلسفة ، فللأول (الرسالة الحميدية) وللآخر (تهافت الفلاسفة).

وتحت عنوان (كلمات ربى) يستعرض الشيخ الموزون مع تلميذه الشيخ حيران آيات من القرآن كلها تنطق بالبراهين الدالة على الله ويتناولان معا هذه الآيات على ضوء ما كشفه العلم من أسرار الوجود والخلق ، ويخرجان من هذه الدراسة بأن القرآن استوعب جميع الحجج العقلية البالغة ، والبراهين الساطعة الدافعة ، التى قضى العلماء والفلاسفة أعمارهم حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها بهدى القرآن أو بهدى الله الذى أنار عقولهم .

والعجيب أن الشيخ الموزون يدافع بحرارة عن (المعرى) ويرى أنه كان محبا للحكمة ، وقد شك فى كل شىء إلا فى وجود الله وهو القائل :

بوحدانية العلام دنا
فدعنى أقطع الأيام وحدى

الواقع الذى لا خيال فيه أن مثل هذا الكتاب يجب أن يحتل مكانا لائقا به فى المكتبة الإسلامية ، وهو بحق - كما يقول الشيخ المفتى - يهدى الحيارى من الشباب المسلم المتشكك ، الذى تقف به الفلسفة المادية على عتبة الإلحاد نحو الايمان بوجود الله ، من طريق الفلسفة التى هو مولع بها ، ومن طريق العلم الذى هو مؤمن به ، ومن طريق القرآن الذى هو معرض عنه ، لكى يعلم أن

دين الحق لا يتعارض ولا يتناقض أبد مع العقل السليم والعلم الصحيح .

٢ — قيم جديدة للأدب العربي :

للدكتورة بنت الشاطىء

هذا الكتاب الجديد للدكتورة بنت الشاطىء الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة جاء فى أربعة فصول : تناولت فى الفصل الأول (أدبنا والحياة فى العصر الجاهلى ، وقديمنا الأصيل ، وشاعر القبيلة ، والشعراء الصعاليك ، وشعراء البلاط) ، وفى الفصل الثانى (أدبنا والحياة فى ظل الإسـلام ، الإسلام والشعر ، الخضرمة) ، وفى الثالث (أدبنا والحياة فى ظل الحكم الفردى الوراثى) وفى الرابع والأخير (أدبنا والحياة ، من دمشق إلى بغداد ، فى معترك المذاهب وخضم الأحداث ، مجرى التيار) .

هذه دراسات واعية ناضجة ، ترى فيها الكاتبة أو تريدها : محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبى من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة احتكمت فيه زمانا وسيطرت ، ولا تزال تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبى) .

إن الأديبة المفكرة لا ترى فى تحرير أدبنا العربى ، التخفيف من قدسية أدبنا العربى القديم ، والعمل على أن تكون لنا شخصية مستقلة تأخذ من ثمار القديم ما طاب وحسب وهى تحاول (أن تستحدث قيما جديدة للأدب العربى ، لكى تستمد لأدبنا مفهوما نابعاً من أصوله النقية ، وقيما حرة لا ينكرها أدب العربية فى جوهره الصافى وذوقه الأصيل) . ومهما أضيف إلى القديم من خلط فله أصالته .

والدكتورة بنت الشاطىء فى الفصل الثانى تدافع عن قضية الإسلام والشعر بحرارة ، فهى تدفع عن الإسلام أن يكون معادياً للشعر ، أو عاملا على إضعافه ، واستعرضت الأحاديث النبوية التى نالت من قيمة الشعر وناقشتها ، وقدمت نماذج حية من مواقف الرسول تجاه الشعر وتقديره له ، ورضائه عنه كواحد من مقومات تعبئة الأمة الإسلامية فى نضالها ضد أعدائها .

وترى الكاتبة أن آية الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاوون ...) فهمت على غير وجهها الصحيح ، ولم يخطر ببال النقاد أن يلتفتوا إلى موقف الرسول من الشعراء ليدفعوا بها قولة من قالوا بعداء الإسلام للشعراء ، ثم إن آية الشعراء لا يجوز منهجا أن تؤخذ مستقلة عن آيات أخرى تنفى فى مجموعها الشاعرية عن محمد ...) .

إن حجج الدكتورة من القوة بحيث لا تحتاج إلى ربط بين آية الشعراء والآيات الأخرى التى تنفى الشاعرية عن محمد مع عدم وجود هذه الرابطة ، فآية الشعراء تهاجم نوعا

من الشعراء لا يتقيدون بمبادىء ومثل ، دون أن تهاجم ذاتية الشعر كقيمة أدبية ، علماً بأن لبعض المفسرين - ومنهم ابن كثير - رأيا فى المقصود بالشعراء وهم الكفار ، ويعتمد على آراء على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم .

إن القيم الجديدة للأدب العربى وضحت خلال هذه الدراسات القيمة ، وكنا نود أن تلخصها الدكتورة فى مقدمتها أو فى خاتمة هذه البحوث ليسهل على القارىء استيعابها ، وإرساء قواعدها وأصولها فى ذهنه .

٣ — مع المسيح فى أناجيل الأربعة :

للأستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والأستاذ فتحى من كتاب مجلة الأزهر وليس غريبا على قرائها .

فى مقدمة الكتاب جال بنا المؤلف جولة مركزة فى إطار التاريخ ، عرض علينا البيئة التى استغلت رسالة المسيح ، بيئة اشترك فى تحديد مفاهيمها وأوضاعها الرومان الحكام ، وطوائف اليهود التى سيطرت سيطرة تامة على الفكر اليهودى كالصدوقيين والفريسيين والسامرية .

ويستعرض الكاتب فى فصول واسعة أبرز المبادىء التى استوعبتها الأناجيل الأربعة للمسيح عليه السلام ، وهى المبادىء الإنسانية التى قدمها المسيح إلى عالم مزدحم بالرذيلة ، منغمس إلى آذانه فى المادية المتحجرة :

(مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بكل كلمة من الله) ، (إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبرارا .. بل خطاة إلى التوبة) ، (من لا يحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة) .

الحق أن الأستاذ فتحى عودنا أن يكون دارسا واعيا ناضج الفكر ، يعتمد على المقارنة بين الفكر الإسلامى وغيره ، إلا أننا نختلف معه فى قضية أثارها إثارة عابرة دون أن يعطيها حقها من الدراسة والبحث ، كما أنه أراد عدم التورط فى بعض القضايا العقيدية الأخرى التى نقف نحن والمسيحية إزاءها على طرفى نقيض ، كالصلب وألوهية المسيح أو بنوته لله ، أو جمعه الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) .

أما القضية التى أعنيها فهى قضية رفع المسيح حيا ومجيئه آخر الزمان هاديا البشرية إلى الله :

وقد اعتمد المؤلف أحاديث أوردها ابن كثير فى تفسيره واعتبرها متواترة ، ونحن نرى أنه لا حديث متواتر فى هذه المسألة العقيدية التى لابد لها من خبر قطعى الدلالة والورود

كما ذكر الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت فى كتابه الفتاوى ، ورأى ذلك قبله الإمامان محمد عبده والمراغى ، وأمامنا آية قرآنية ناطقة : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . .)

ومع هذا - فالكتاب دراسة لها قيمتها ، والمؤلف بذل مجهودا ضخما ، ووهب لهذه الدراسة قسطا وافرا من التقدير . .

٤ — النور أولى :

للأستاذ زين العابدين ركابى

المؤلف أديب سودانى تضمن كتابه فصولا أربعة :

العالم فى الميزان ، استعرض هذا العالم المضطرب الذى تسيطر عليه الأهواء والشهوات ، وينحدر من أسفل إلى أسفل ، وليس بين أرجائه مكان للمبادئ والمثل العليا .

مرحلة لابد منها ، عرض المؤلف فيه لبناء الفرد باعتباره لبنة فى بناء المجتمع ، ولبناء المجتمع باعتباره أساسا فى بناء الأمة ، ثم لبناء الأمة باعتبارها دعامة من دعائم العالم الكبير ، وحاول المؤلف فى هذا الباب أن يسترد الفرد للإسلام ، باعتباره مرجعامهما لقيادة البشرية إلى مجال الخير والحق والعدل .

ثم الإناء ينضح بما فيه ، وقد خص المؤلف بهذا الباب ، النفس البشرية باعتبارها مصدرا للخير والشر ، وإصلاحها أساس مهم فى تكوين الفرد والمجتمع والدولة .

والنور يعنى به المؤلف (الإسلام) وفى مبادئه ومثله وقيمه الروحية ما يصلح لهداية البشرية قاطبة ، حتى تسلك الطريق السوى وتصل إلى شاطئ النجاة .

وكل ما نأخذه على المؤلف أنه قد استعمل الأسلوب الخطابى الممتزج بالحماسة والغيرة ، على المفاهيم التى تعارض المفاهيم الإسلامية ، وكنا نود أن يستبدل المناقشة الهادئة الممتزجة بالمنطق والحجة فى هجومه على بعض هذه المفاهيم ، مع أنه كان يملك بعض هذه الحجج حتى فى هجومه نفسه .

وإذا علمنا أن الكاتب قدم لنا باكورة إنتاجه ، كان لكتابه تقديرنا حيث إن مستقبل المؤلف يبشر بالخير .

٥ — الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله المؤلف مدرس الآداب بكلية الشريعة بالأزهر ، وسبق أن قدم للمكتبة الإسلامية أبحاثا عن سيرة الرسول صلوات الله عليه .

وهذا الكتاب الذى نشرته الدار القومية للنشر بالقاهرة ، أراده المؤلف أن يكون دراسة للفلسفة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية من ناحية القومية العربية والمجتمع العربى ونظام الحكم .

والكتاب فصول سبعة تناول فيها : المفهوم الثورى للقومية العربية ، اقتصاديات العرب ، جناية الاستغلال ، تحرر العرب ، بناء مجتمع تسوده العدالة ، الفلسفية الخلقية ، الفلسفة السياسية . يرى المؤلف أن القومية روابط مادية ومعنوية ، زمانية ومكانية ، وإذا لم تتبلور هـذه الروابط فى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية ، كانت القومية فى دور التكوين لا تزال تمر بأزمة البحث عن نظام كامل تبرز وتتجسد فيه.

وفى الفلسفة السياسية يتحدث المؤلف عن تحقيق السيادة التامة للدولة وأن الاستقلال فى ظل السيطرة الامبريالية معناه العبودية ، وأن تحقيق هذه السيادة يتطلب تأكيد سيادة الشعب ، تحرير الحكم من سيطرة رأس المال ، تحقيق الحرية والإخاء والمساواة .

ويتحدث المؤلف عن فلسفة الاتحاد القومى وأنه خير صورة لتطبيق الاشتراكية تطبيقا ديمقراطية تعاونيا . وعن دورنا القيادى الأفريقى ، وعن فلسفة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ...

المؤلف ناقش كثيرا من قضايا القومية العربية ودورها الإيجابى فى إيجاد كيان مستقل للعرب.

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٣٦)

وعلى أن حرية القول وحرية الرأى مكفولتان للجميع تماما .

وأود أن أذكر أن مشروع التبادل الثقافى بين أمريكا ومختلف دول العالم لم يكن فى الواقع منصرفا بالكلية إلى الوجهة العلمية والفنية البحتة إذ أن أمريكا تكاد تفوق معظم دول العالم فى هذه الميادين العلمية والفنية جميعا . وإنما الباعث الأول على معظم ذلك المشروع الإنسانى الكبير هو فى الواقع إتاحة الفرصة بوقوف كل فريق من الأساتذة الزائرين على حقيقة نظم الحياة فى كل بلد ووقوف كل منهم على ثقافة الآخر وإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الجميع يبنى على تفهم كل منهم لأهداف الآخر فى الحياة .

وهنا بالذات تأتى المهمة الأولى للأساتذة الزائرين من العالم الإسلامى وتعريف الأمريكيين حقيقة التعاليم الإسلامية وثقافة الإسلام ، فالثقافة الإسلامية هى منبع الثقافة الأول فى جميع دول العالم الإسلامى مهما تباعدت أطرافه .

وفى اعتقادنا أنه كلما فهم كل فريق معتقدات الآخر على الوجه الصحيح كلما زاد التفاهم بين الناس وازدادت بينهم أواصر المودة وقويت الرابطة بيننا جميعا كمواطنين فى هذا العالم وتوطدت تبعا لذلك أركان السلام فيه.

الدكتور محمود الشواربى
الأستاذ بجامعة القاهرة

بريد المجلة

عروبة مصر :

حين قام بعض المأجورين فى إذاعة دمشق بالحديث المسفّ عن قومية مصر العربية ، انبرت الصحف الكثيرة فى مختلف البلاد العربية ترد ذلك البطلان الصارخ ، وتشيد بجهود مصر فى دنيا العروبة والإسلام ، والطريف الحميد أنها جميعها قد ذكرت الدور الهام الذى قامت به مجلة الرسالة فى تثبيت الوحدة العربية ، وإرساء دعائمها على أسس مكينة من اللغة والدم والدين ، ونذكر هنا بعض ما ذكره الكاتب الكويتى الأستاذ فاضل خلف بجريدة الرأى العام الكويتية ؛ فى ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٨١ هـ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦١ م كنموذج لما قيل ، قال الأستاذ من حديث طويل :

« لن أتطرق إلى الحديث عن الانقلاب الذى حدث فى سوريا لأن ذلك ليس مكانه هنا ، ولأن الحديث عنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولكننى سأتكلم عن ناحية حساسة فى هذا الموضوع ، فقد استمعت بكل أسى وأسف إلى من يقول فى إحدى الإذاعات إن المصريين لم يعرفوا القومية العربية فى تاريخهم الطويل .

ويح هؤلاء وويح ما يتقولون .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر ؟ إن كان هؤلاء يقصدون بالقومية قومية الذين هللوا للوحدة ثم عادوا فهللوا لتمزق الوحدة ، فليست مصر كذلك ولا هى هنالك .

مصر لا تعرف القومية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر ؟ إننى لن أستشهد بالتاريخ لأبرهن على أن مصر كانت دائما وأبدا فى خدمة العرب والإسلام ، ولو شئت لأوردت أمثلة عديدة على مواقف المصريين الخالدة فى تاريخهم العربى القديم الزاهر ، ولكن ليس فى نيتى التحدث عن التاريخ فى هذه الكلمة القصيرة ، ولكننى سأتحدث عن مصر فى هذا العصر ، مصر التى خدمت العرب ، وأخلصت لهم كأحسن ما يكون الإخلاص ، وكانت لأخواتها الدول العربية أستاذة ومرشدة فى كل مدلهم من الخطوب .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل عرفنا القومية إلا من مصر ، ومن صحف مصر ، ومن أبرزها وأحسنها وأعظمها شأنا مجلة الرسالة ، تلك المدرسة السامية التى وضعت جميع طاقاتها الجبارة فى خدمة العرب والإسلام .

لقد أخذنا – إذن – القومية العربية على جهابذة الأدب فى مصر كأحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام وزكى مبارك ومصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد وطه حسين ومحمود محمد شاكر وسيد قطب وعبد المنعم خلاف ومحمد عبد الغنى حسن ومحمود حسن اسماعيل وتوفيق الحكيم ومحمد مندور ومحمود غنيم ونخرى أبو السعود ومحمود الخفيف ومحمد سعيد العريان ومحمد أحمد الغمراوى وابراهيم عبد القادر المازنى وأحمد أمين وعلى محمود طه المهندس ومحمد فريد وجدى ومحمود تيمور وغيرهم وغيرهم من الذين اتخذوا صفحات الرسالة ميدانا فسيح الجنبات لخدمة العرب وتاريخهم وتراثهم الخالد . لقد ظل هؤلاء الأساتذة يؤلفون الأوتار الخالدة فى قيثارة الأدب العربى المعاصر حقبة من الدهر ، وما زال أكثرهم يواصل الجهاد فى إعلاء روح القومية العربية بما لا يستطيعه الآخرون فى أصقاع أخرى من العالم العربى .

إننى هنا أتكلم عن المصريين العاملين المخلصين الذين خدموا العرب عن طريق الأدب ولغيرى – إن شاء – أن يتكلم عن الأسماء المصرية اللامعة التى خدمت العرب عن طريق السياسة والاقتصاد والقانون والتاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية والطبيعية والسينما والمسرح والفلسفة وعلم النفس والفنون الجميلة والترجمة .

لقد أخذنا نحن شباب هذا الجيل ما أخذناه من ثقافة على أيدى عرب مصر وكذلك أخذ آباؤنا من قبلنا الثقافة والمعرفة من الصحف المصرية وعلى أيدى أدباء مصر البارزين .

لقد ظلت مجلة الرسالة مدى عشرين سنة وهى تخدم العالم العربى من جبل عرفات إلى بحر الظلمات وتخدم الفكر العربى وتخدم اللغة العربية ويتأتى من كل هذا « القومية العربية » الصحيحة التى يدعى أناس أن مصر لم تعرفها فى تاريخها الطويل .

لقد كان لى شرف الثناء على مصر وإطراء محامدها فى كثير من كتاباتى ومنها هذه الفقرة التى كتبتها منذ عشر سنوات تقريبا فى مجلة البعثة ، ثم أثبتها فى كتابى « الأدب والحياة » .

« مصر العظيمة التى أضحت كعبة طلاب العلم والأدب مصر الخالدة التى يأنس الأديب فى جنباتها ويأمن من غلواء الزمن . مصر التى فهمت معنى الثقافة فأخذت تنشر درها ولآلئها فى أرجاء البلاد العربية ، وما تلك الدرارى واللآلىء إلا كتب أبنائها البررة التى أنارت السبل أمام الشباب فأضاءت لهم ما حولهم فمشوا بثبات وإقدام . الخ ص ٩٨ .

فسلام على مصر فى عروبتها وإسلامها .

وسـلام على مصر فى علومها وآدابها ومعارفها .

وسلام على مصر فى أزهرها ودار علومها وجامعاتها ومتاحفها .

وسلام على مصر يوم خدمت الفكر العربى وتبنت القومية العربية .

وسلام على مصر يوم استهدفت لغزو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى معركة بور سعيد الخالدة .

وسلام على مصر يوم وافقت على الوحدة .

وسلام على مصر فى محنتها الجديدة » .

هذا هو صوت محايد ، يتكلم عن الحق الصارخ ، فياليت قومى هناك يعلمون من نكون !!

محمد رجب البيومى

فلنذرف . . فى مأتم مجاهد :

منذ أيام قصدت أن أؤدى واجب العزاء فى فقيد من مجاهدى فلسطين هو المرحوم الشيخ أحمد بيومى التميمى عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين .

هذا المجاهد من القلائل الذين يعملون فى صمت دون الإعلان عن أنفسهم . كنت ألتقى به كثيراً ـ وهو لاجىء سياسى بالقاهرة ـ فأوقن بأن قضية فلسطين تحتل كل إحساساته ومشاعره ، وتمتزج بنبضات قلبه .

اعتقلته حكومة الانتداب البريطانى وأودعته معتقل صارفند قبيل عام ٩٣٦ ثم نفى بعد الإفراج عنه إلى القاهرة حيث عاد عام ٩٤٠ إلى فلسطين ليوالى جهاده ، ولم يعد من فلسطين إلا عام ٩٤٩ بعد أن وقعت الكارثة .

وخلال المعركة كان لمساهمته دورها فى القضاء على مستعمرة كفار عصيون فى الخليل وهى من أقوى المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، كما كان لمساهمته أيضا دورها فى الدفاع عن القدس قبيل دخول الجيوش العربية ، وفى منطقة الخليل أمد الجيش المصرى وقتئذ بالمؤن والسلاح . وكان السيد عبد المحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى اليوم هو حاكم مدينة الخليل العسكرى .

ومن مواقفه المشهورة خلال المعركة ، أن الفقيد قاوم دخول جيش الأردن إلى منطقة الخليل ، إلى درجة أنه كسر بيديه سارية العلم الأردنى ، ولم تستطع مساومة مدير المخابرات الأردنية أن تحول عقيدته ، ولا أن تجعله يسير فى الركب .

هذه مجرد خطرات سريعة عن مسلم مجاهد ، أفنى شبابه وثروته الطائلة ، ولحق بربه وقلبه معلق بقضية وطنه ، والوطن جزء لا يتجزأ من الإيمان .

أما ما حدث ليلة المأتم فهو يصلح لأن يضاف إلى عجائب الدنيا . .

كان ضمن الوافدين إلى السرادق لتأدية واجب العزاء فى المجاهد الفقيد، المقرئ المشهور الشيخ محمد صديق المنشاوى، وكان من الطبيعى أن يدعى ليتلو جانبا من القرآن، ولم يكد يبدأ التلاوة حتى أهل على السرادق شيخ يتعالى فى عباءته، ويهتز رأسه داخل عمامته التى لم يفته أن يرخى دؤابتها، ويتبختر بعصاه فى مشيته وكأنه ظن أنها عصا موسى، ولم يتجه إلى أقرب المقاعد الشاغرة ليجلس - كما هو المفروض - وإنما اتجه إلى الشيخ صديق المنشاوى ليقول له بصوت جهورى وفى أنفة وكبرياء: «أوجز.. فأنا أريد أن أعظ»، ولم نملك نحن إلا أن نفتح أفواهنا لتلجمنا الدهشة، وإن كان الشيخ المنشاوى قد واصل تلاوته وكأن لم يسمع شيئا، وتجلى الله عليه فهزت تلاوته قلوبنا.

وعز على الشيخ أن لا يستجيب المقرئ، فكان ينتهز فرصة استحسان الجلوس لتلاوته خلال المواقف القرآنية بأصوات تتفق مع هيبة المناسبة، فيتصايح ملوحا بلحيته وعصاه معا، مهدداً ومتوعداً، ومنددأ بهذا المسلك، ومحدثا شغبا وصخبا..

وحين تخلى الشيخ المنشاوى عن كرسيه عقب انتهاء القراءة، قفز الشيخ على الكرسى، وظل يعظ حتى مل الناس.

ولم يكن الوعظ بالطبع مما يناسب المقام، ويليق بهيبة ووقار المناسبة، بل كان حشوا وخلطا، فى الألفاظ والمعانى على السواء، وعلى كل فقد استطاع أن ينتقم من الناس فى وعظه.. وهان عليه كل شىء، فلم يكن واعظا رسميا يقدر الأمور قدرها.

بقى شىء يجب أن نقوله:

إن كثيرا من معانى القرآن توضع فى غير موضعها، فهذا الواعظ المحترف كان يلوح بقوله تعالى: «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ...»، مع أن معظم المفسرين يكادون يجمعون على أن المقصود بفرض الاستماع والإنصات هو الصلاة، وابن مسعود كان يقرأ والرسول يقول له «أحسنت» كما جاء فى حديث مسلم، وهذا مجاهد يقول: لا بأس إذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم وقد رؤى عبيد بن عمير وعطاء بن رباح يتحدثان والقاضى يقص، فقيل لهما: ألا تستمعان إلى الذكر، فقالا: إنما ذلك فى الصلاة ثم تليا قوله تعالى: «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا»..

ونحن نرجو أن يستمع المستمع بقلب خاشع وأذن صاغية، حتى يمكنه أن يتدبر آيات الله، ولكننا لا نرجو أن يثير استحسان المستمعين لكتاب الله خلال المواقف فى أدب ووقار، لا نرجو أن يثير هذا أحـــدا يشهر عصاه ليندد بالمستمعين ويحـدث من الشغب والصخب، ماليس

بحاجة إليه ، مجلس يجب أن ترفرف عليه هيبة المناسبة . محمد عبد الله السمان

البسملة فى قراءة القرآن :

قرأنا فى مجلة الأزهر — عدد شعبان — بحثا علميا لفضيلة الشيخ محمد محمد الشرقاوى الأستاذ بمعهد الأسكندرية حول التسمية لقارىء القرآن .

وهو بحث لا بأس به ، إذ فيه عناية أشكر لفضيلته .

غير أنى رأيتنى بحاجة إلى التفاهم مع الأستاذ فيما تعرض له من إنكار التسمية عند القراءة إذ قرر — أولا — « أن المطلوب فى بداية التلاوة لون واحد هو الاستعاذة فقط ، ... واستند فى ذلك إلى أمور .

منها — أن الله تعالى أمر بالاستعاذة وحدها فى قوله سبحانه « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومنها — أن زيادة البسملة بعد الاستعاذة تعتبر زيادة على النص ، والزيادة نسخ ، والنسخ ، لا يكون إلا بنص متواتر أو مشهور وهذه قاعدة مذهبية لا إجماعية .

ومنها — أن جمهور القائلين بالتسمية ليس لهم دليل سوى حديث غير متواتر ، ولا مشهور ، حتى يمكن النسخ به لنص الاستعاذة « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أقطع » .

ثم استطرد الأستاذ فى مناقشة الحديث السالف : روايته ، ومتنا .

ثم ينتهى فضيلته عند رأيه بعدم التسمية فى القراءة : إذ يقول مثل ما بدأ « فبعد كل هذا القيل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلا لأن يزاد به على نص قرآنى . . وبالتالى لا يصلح لنسخ المتواتر إلخ » .

والذى أقوله راجيا أن يصادف قبولا : هو — أولا —

إننا فى غير حاجة إلى مناقشة الحديث إيجابا ، ولا سلبا ، ولا سندا ، ولا متنا .

فإن التسمية فى أول القراءة ثابتة بالقرآن نفسه بل فى أول آية نزلت منه « إقرأ باسم ربك الذى خلق .

فهذا أمر تكليفى بالتسمية عند القراءة ، وهو تشريع جرى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه — طبعا — فإذا جاء حديث بعد ذلك فى هذا الصدد فهو غير بعيد عن مدلول الآية ، ومهما يكن فيه من توهين فهو معقول المعنى ، والتسليم به غير افتيات على الآية إطلاقا .

وذكر البسملة فى أوائل السور بالمصحف أمر توقيفى ، يؤذن ، بل يقتضى التأسى ، وهذا هو المأثور سلفا وخلفا عن علماء المسلمين .

وثبوت التسمية بالآية « اقرأ باسم ربك » ليس رأينا من جديد ، بل هو ما قال به أئمة فى التفسير كالقرطبى ، والألوسى وسواهما .

وثانيا مما أقوله — إن الاستعاذة شرعت بعد مشروعية التسمية — بداهة . فتكون التسمية والاستعاذة مشروعتين بنص القرآن، والعمل بالآيتين يتحقق بالاستعاذة ثم بالتسمية ، ويكون عملا بكل دليل فى موضعه دون تعارض ولا نحوه .

وخلاصة ما أقوله واضحا : أن التشريع القرآنى يقضى بالاستعاذة والتسمية باسم الله، على نحو ما تحقق بالبسملة التى صارت آية من الكتاب وفاتحة للقراءة وما بعد ذلك من تعدد وجهات النظر بين الأقطار لا ينسينا أن سياق القرآن فوق كل اعتبار .

وعلى ذلك البيان الاجمالى يكون التقليد المعمول به فى مصر أوفى بمقصود الشارع وبمدلول الآيات .

وعسى أن يكون فى هذا كفاية والله يوفق الجميع . عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

(المجلة)

جاءنا بحث فى هذا الموضوع من الأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، وسننشره فى العدد القادم .

تقرير الدين مادة أساسية فى الجامعة :

قرار كريم صدر من نفس كريمة صافية ذلك القرار الذى أصدره السيد الوزير حسين الشافعى بتقرير الدين مادة أساسية فى الجامعات المصرية وإنها لفكرة حميدة طالما تاقت النفوس الطيبة والعقول الرشيدة إلى تحقيقها ولقد غمرت القلوب بموجات وموجات من السرور حينما زفت هذه البشارة على صفحات جريدة الجمهورية وإنى أشعر بأن الدنيا كلها تبارك هذا القرار وتهنىء الجامعة بهذا الخير العظيم .

فالدين فى ماضيه وحاضره وسيظل كما أراده الله الأمل الحقيقى لبناء الأمة القوية السليمة من الأمراض الاجتماعية وغيرها وهو الدعامة الثابتة المتينة التى تهزأ بالأعاصير والعواصف الهوجاء وتسخر من معاول الأعداء وترد كيدهم فى نحورهم وتبقى عالية لأنها مؤسسة على أقوى المبادىء وأسماها .

والجامعة بشبابها الغض النضر وأساتذتها الكرام البررة منبع للعلم ولكن العلم كالماء يتدفق وينساب رقراقا يهب الحياة للانسانية ولا بد من حاجة المياه الصافية وأمواجها المتلاطمة لرقابة واعية تتمثل فى إحكام الجداول وتنظيم السدود وحفظ المياه النافعة حتى تعود عليها بأزكى الثمرات وأطيب النتائج وإذا لم تكن الرقابة سارت المياه فى غير سبيلها فتغرق العالم وتهدم البناء وتقتل النبات وتقتلع جذوره .

كذلك العلم نفع وأى نفع إذا حصن بالحصن القوى الدين حبل الله المتين كان طريقا للنجاح والفلاح وإلا كان شرا مستطيرا .

والعلم إن لم تكتنفه شمائل
تعلوه كان نهاية الإخفاق

الدين يدعو للعلم بملكوت السموات والأرض وتسخير قوى الكون التى خلقها الله نعما للإنسان وتفضيلا وتكريما ولكنه يشترط أن يكون ذلك لسعادة الإنسانية ورفاهيتها ولو كانت الأسلحة العلمية النووية والذرية تحت لواء الدين لأمن العالم فزع الحروب الباردة وغير الباردة ، وسعد بالاستقرار والطمأنينة وأسباب السلام غير مشوب بأكدار .

والدين يملأ نفسك طمأنينة وثقة وهو دواء من العقد والانحرافات والقلق النفسى وحيرة المصير كفاه هاديا أنه ينظم علاقتك بالخالق فتشعر بالاستقرار وبالعالم فتسعد بالمحبة وتبادل المنافع الصادقة بينك وبين المجتمع .

وعندما تتفتح زهرات الدين المشرقة فى الجامعات وتنفح للطلاب عرفها الربانى سيرون المعانى الحية السهلة التى كانت تحير الافهام . عندئذ تمتلىء الصدور طمأنينة وثقة فلا تضعف ولا تفتر بمبادىء مزيفة من الشرق أو الغرب لا مركسية ولا سرترية لاشيوعية ولا وجودية وسنلمس أن الدين بنصوصه القرآنية ، وأضوائه العليا ومبادئه القويمة ، أذاب كل هذه الأفكار الخبيثة وعمر القلوب بالحقائق الثابتة .

إن الدين فى عيادة الطبيب أمن للمرضى . وفى ميدان الجهاد والكفاح قوة للمجاهدين وفى مكتب المحامى وقاعة القاضى نور لهما ونصير الحقيقة . فما أحوج الدنيا كلها إلى ثمرات الدين الطيبة وظلاله الوارفة وما أحوج الجامعات إلى ينابيع الدين الصافية وما أجملها من فكرة رشيدة ونهضة فائقة ، فسر أيها الوزير فى قرارك والله معك وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا . الحسينى هاشم

مجلس البحوث الطبية والشرعية
« بأندونيسيا »

ألف هذا المجلس عام ١٩٥٤ ، وهو يضم عدداً كبيراً من العلماء والأطباء ، وكان الغرض من إنشائه إجراء بحوث علمية فى كل المسائل الطبية من حيث علاقتها بأحكام الشريعة الإسلامية ثم إصدار فتاوى بشأنها ليجرى العمل على مقتضاها فى جميع المصالح الصحية والطبية بكافة أنحاء أندونيسيا ، وقد زود هذا المجلس بمكتبة ضخمة تحوى أكثر من ٦٥٠٠ كتاب فى مختلف العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأصول ، وفى مختلف العلوم الطبية والصحية وما إليها مما يساعد المجلس على أداء مهمته والنهوض بالغرض الذى أنشىء له ، وقد تفضل الأستاذ الأكبر فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت فأهدى المجلس عند زيارته لأندونيسيا هدية قيمة تلقاها المجلس بالشكر .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

لفظ الإسلام ومعناه ..

إذا تتبعنا مادة « س ل م » ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام المسالمة ، وضد المسالمة الحرب والخصام ، جاء فى القرآن : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ولعل هذه الآية هى المفتاح الذى نصل به إلى معرفة السبب فى تسميه العهد الذى قبل محمد صلى الله عليه وسلم جاهلية ، وعهده إسلاما ، والجاهلية ليست من الجهل الذى هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذى هو السفه والغضب والأنفة ، جاء فى حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » أى حملته الأنفة والغضب على الجهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر — وقد عير رجلا بأمه — : « إنك امرؤ فيك جاهلية » أى فيك روح الجاهلية ؛ وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشىء أى استخفه ، ومنه قوله :

وقاك الهوى واستجهلتك المنازل

وفى معلقة ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فترى من هذا كله أن كلمة الجاهلية تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة ، وهى أمور أوضح ما تكون فى حياة العرب قبل الإسلام فسمى العصر الجاهلية ؛ ويقابل هذه المعانى هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهى كلها نزعة سلام فمعنى الآية كما فى الطبرى : « أن عباد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم » .

ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا ، وهو استعمال أسلم المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد ، لما كان الخضوع أدعى إلى السلام ، وفى هذا المعنى جاءت الآية : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له » ، « فقل أسلمت وجهى لله » ، وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله ، ومنقادون إليه بحكم خلقتهم ، رضوا أو كرهوا ، تسرى عليهم قوانين العالم ؛ ولا يستطيعون الخروج عليها « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً

وكرها وإليه يرجعون » فكل من في السموات والأرض مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لأمر الله، مطيع لما وضع فى العالم من قوانين.

ثم قصرت فى الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعا ، فكأنما المسلم هو الذى رضى بإطاعة الله ، فاجتمعت له الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وبهذا المعنى تطلق كلمة « المسلم » على كل من خضع لله وأطاع أى نبى من الأنبياء ، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون « قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » ، « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، وفى سورة يوسف : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » ، « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ».

ثم خصصت فى الاستعمال بالدين الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

فهذا الإسلام عماده الخضوع لله والانقياد له ولعل هذا الاسم أنسب اسم للرد على العقلية الجاهلية عقلية الأنفة والحمية .

من كتاب فجر الإسلام للأستاذ

« أحمد أمين »

تعليق :

لاحظت أن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية كاملة وهى « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ، وليس فيها بتمامها ما يشعر من قريب أو بعيد بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين كما قال رحمه الله وغفر له ، وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز فى النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن مآله إليه ولأن الله قادر عليه ، إن يشأ يذهبه أذهبه ، وأن يشأ يعذبه عذبه ، وأن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » .

ولو ذكر رحمه الله ما سبق هذه الآية ولحقها ما اتجه هذا الاتجاه .

وليقرأ القراء السياق واللحاق .

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما انزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ويلاحظ كذلك أن إطلاق اسم الإسلام لم يكن الرد على العقلية الجاهلية فى العرب وحسب كما ذهب إليه المؤلف وإنما كان ولا يزال الرد على كل جاهلية من أى لون وجنس.

الكوكب المعذب :

وهب الله سبحانه وتعالى كوكبا جميلا رشيقا تتوافر فيه أسباب النعيم والرفاهية لآلاف « الملايين » من الكائنات المختلفة المتنوعة ، منها ما يزحف ، ومنها ما يطير ، ومنها ما يمشى على رجلين أو أربع أرجل ...

وكان هؤلاء جميعا خليقين أن يصيبوا فى هذا الكوكب العظيم حياة هانئة ناعمة لو أنهم جنحوا إلى شرعة الانصاف ، واصطنعوا الحب والمودة فى مختلف شئونهم وعلاقاتهم ولكنهم أبو ألا أن يملئوه ظلما وبغيا وعدوانا ، فأشاعوا فيه الشقاء والعذاب ويوشك أن يشيع فيه الخراب والدمار .

ومن سخرية الزمن أن يكون مصدر هذه الويلات ذلك الكائن الذى يمشى على رجلين وقد كرمه الله ووهب له نعمة العقل والتفكير والقدرة على الابتكار والاختراع ، فإذا هو يسخر هذه القوى لارتكاب الشرور والآثام ، وابتكار الوسائل الجهنمية التى تمكنه من إزهاق أرواح الآلاف المؤلفة من بنى جنسه فى لحظات معدودات ، ومن أعجب العجب أن تزداد هذه القدرة الهائلة على القتل وسفك الدماء وعلى التخريب والتدمير بازدياد ما يسمى العلم والمعرفة ، وبالتقدم فيما يسمى الحضارة والمدنية ، فحروب « المتوحشين » لا تخلو من خفة الظل ، وقتالهم يصحبه شىء كثير من الطبل والزمر والموسيقى والفنون الجميلة . وضحاياها يعدون

بالعشرات أو المئات ، أما الأمم « المتمدينة » فإن محبي السلم في العالم يرتعدون فرقا مما تعده وما تهيئه لحرب ثالثة ، ولما يحل بالعالم من النكبات لو اشتعلت تلك الحرب .

ومع ذلك فإن محبي السلم لا يرون في العالم كله مشكلة جدية يتطلب حلها الاحتكام إلى القوة ، ويؤكدون أن الدول الكبيرة لو أنفقت من الجهد والمال في سبيل السلم عشر معشار ما تنفقه في سبيل الاستعداد للحرب لأمكنها أن تنشر بين الشعوب روح المحبة والوئام بدل العداوة والخصام .

الدكتور محمد عوض محمد

من « المجلة » العدد الخامس

تفسير ذلك :

« ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » .

قرآن كريم

عظمة صائم :

لم أجد فيما قرأت حديثاً لصائم أروع ولا أمتع ولا أقوى من هذا الحديث .

فقد ورد في كتب الأدب أن الحجاج كان في طريقه إلى الحج فنزل عند ماء . ودعا بغداء . ثم قال لحاجبه انظر من يتغدى معي ، ونظر الحاجب فإذا أعرابي نائم بين شملتين من شعر فضربه برجله وقال له أئت الأمير ، فلما أتى دار بينه وبين الحجاج هذا الحوار :

الحجاج : اغسل يديك وتغد معي .

الإعرابي : دعاني من هو خير منك .

الحجاج : « في دهشة » من الذي دعاك ..؟

الأعرابي :دعاني الله للصوم فصمت . .

الحجاج : في هذا اليوم الحار ..؟

الأعرابي : نعم : صمت ليوم أحر منه .

الحجاج : فأفطر اليوم ؛ وتصوم غدا .

الأعرابي : هل ضمنت لي الحياة إلى غد ..؟

الحجاج : ليس ذلك إلي .

الأعرابي : وكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه . . ؟

الحجاج : إنه طعام طيب .

الأعرابي : إنك لم تطيبه ولا الخباز . . ولكن طيبته العافية .

فهل يصنع الصوم بنفوسنا ما صنع بنفس هذا الأعرابي ، حتى وقف وهو الفقير الذي لا يملك غير شملتين من شعر يفترش إحداهما ويتغطى بالأخرى يصاول الحجاج بهذا الحجاج المفحم ، ولا يرى فيه وهو الجبار الطاغية إلا مخلوقا هزيلا لا يضمن له البقاء إلى غد .

وهل نجد من كلام الفلاسفة والعلماء ما نجد فى هذا الحديث القصير من ذلك الأعرابى الفقير . . ؟

من جريدة الأخبار (ع . ف)

مهر المغفرة

(التوبة . والإيمان . والعمل الصالح . والاهتداء) .

« وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

الله غفـــار ولـ كن بعد تلك الأربعة
فمن استظل بغيرها ظلت خطيئته معه

من كتاب مع الدين للأستاذ (محمد السيد شحاته) شاعر البرارى

عيب الجمال . .

عيب الجمال بلاؤه بعـد جدته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا

من الرسالة (أحمد الزين)

إسفاف

وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بمعانى القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب ، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم ، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يساوى قيمة المداد الذى يكتب به ، وعقيدتى أنه مدسوس على المسلمين فى كتبهم ، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل . . ؟ ثم كيف يصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله ، مع أن الله يقول « حتى يسمع كلام الله » إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله .

والحق أنه ليس لجبريل فى هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه ، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم فى هـذا القرآن سوى وعيه وحفظه ، ثم حكايته وتبليغه ، ثم بيانه وتفسيره ، ثم تطبيقه وتنفيذه ، نقرأ فى القرآن نفسـه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمـد نحو « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » ونحو « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى » ونحو « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينـات قال الذين لا يرجون لقـاءنا ائت بقرآن غير هـذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عـذاب يوم عظيم » ونحـــو « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

من كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن
لفضيلة الشيخ المرحوم
« محمد عبد العظيم الزرقانى »

أنباء الأزهر

مسابقة لتأليف كتب المعاهد الأزهرية

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية عن حاجتها إلى مؤلفات مبتكرة فى الموضوعات الآتية وتدعو المدرسين فى المعاهد الأزهرية وغيرهم من أهل الكفاية إلى مسابقة عامة للتأليف فى هذه الموضوعات .

وسيمنح المتسابقون الفائزة كتبهم بالمراتب الأولى الجوائز المالية المبينة بعد ، وهذه هى المؤلفات المطلوبة ، والجوائز المقرر منحها لكل منها .

أولا : فى الفقـــه :

١ ــ كتاب فى الفقه الإسلامى ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة المسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ ــ كتاب فى الفقه الإسلامى ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجى الأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٣٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة منها جائزة تشجيعية قدرها ٧٥ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب الفقه :

يشترط فى كل كتاب من كتب الفقه المتقدمة للمسابقة ما يأتى :

(أ) من ناحية الأداء :

أن يكون اسلوب الكتاب سهلا ، وتعبيراته مألوفة ، وبعيداً ما أمكن عن الاصطلاحات الفقهية والأحكام الافتراضية ، وملائما لفهم الطلاب ومستوى إدراكهم .

(ب) من ناحية التقسيم :

وتكون موضوعاته متتابعة ، متميزاً

بعضها عن بعض ، ملتزما ما أمكن تقسيمات كتب الفقه .

(جـ) من ناحية الموضوع :

أن يكون مضمون الكتاب غير منسوب إلى مذهب ، ولا متعارض مع المذاهب الأربعة ولا متعرض للفروع الخلافية بين هذه المذاهب .

ثانياً : في قواعد اللغة العربية :

١ — كتاب لقواعد اللغة العربية ذو أجزاء أربعة يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ١٥٠ جنيها عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٣٥ جنيها عن كل جزء .

٢ — كتاب لقواعد اللغة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثاني من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيهاً عن كل جزء .

مواصفات كتب القواعد :

ويشترط في كل كتاب من كتب القواعد المتقدمة للمسابقة ما يأتي : —

(١) أن يكون ملحوظا فيه التدريب والناحية التطبيقية مع البعد عن الخلافات النحوية والتزام أخف الأوجه وأكثرها استعمالا من الأحكام الجوازية .

(ب) أن يعمل على تزويد التلميذ بقدر كاف من الكلمات الكثيرة الاستعمال ، المعينة على الانطلاق في التعبير الصحيح والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات الشرط الكثيرة الاستعمال وأدوات الاستفهام .

(جـ) أن يعنى من الناحية التطبيقية بالتوليد اللغوي كمقدمة لدروس الاشتقاق في المستقبل والتنبيه كلما سمحت الفرصة إلى مدى التقارب بين معاني الكلمات المتقاربة حروفا لتدريب التلاميذ على محاولة الفهم الذاتي لمعاني بعض ما يعرض لهم من الكلمات بقياسها إلى كلمات مألوفة المعنى لهم .

ثالثا : فى القراءة :

١ — كتاب للقراءة العربية ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ — كتاب للقراءة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية للمعهد النموذجى بالأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب القراءة :

يشترط فى كل كتاب من كتب القراءة المتقدمة للمسابقة ما يأتى :

(ا) من ناحية الأداء :

١ - أن تكون لغته صحيحة وأسلوبه ملائما وجمله غير طويلة وألفاظه مألوفة وتعبيراته خالية من التعقيد .

٢ - وأن يكون مزوداً بالصور التوضيحية اللازمة (ويمكن الاستغناء عن الصور ببيان مواضعها ووصفها) .

(ب) من ناحية الموضوع :

١ - أن يكون الكتاب منهجيا تتساوى موضوعاته على تتابع مخطط - مع استقلال كل موضوع فى ذاته لتحقيق غاية من غايات المعرفة بلا حشو ولا فضول .

٢ - أن يكون مشتملا على شعر وقصص وأمثال على أسلوب القصة ، وحوادث مما يجرى فى البيئة ، ومشاهدات ومعارف عامة ، وتوجيهات سلوكية وقومية .

٣ - أن تخدم موضوعاته - ما أمكن - المناهج المقررة لمواد الدراسة المختلفه فى كل صف أو تمهد لها بأسلوب ملائم وخاصة فى المواد النظرية كالتاريخ والجغرافيا وبعض الفروع العملية وبعض صور السلوك الإسلامى ، بحيث يمكن الاستغناء بما تتضمنه بعض فصول الكتاب من فنون المعرفة

عن إعادة تدريس موضوعها تحت عنوان مادة أخرى .

تنبيهات عامة

١ — تقدم الأجزاء الأولى من الكتب المطلوبة للمسابقة إلى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية من ثلاث نسخ فى موعد أقصاه يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٦٢ .

٢ — تؤلف لجان الفحص للكتب المتقدمة للمسابقة من أعضاء متخصصين فى موضوعات المسابقة وأحكامهم نهائية بالنسبة للمتسابقين .

٣ — تعلن نتائج الفحص قبل أول يولية سنة ١٩٦٢ وتصرف الجوائز لمستحقيها فور اعتماد الميزانية .

٤ — من حق لجنة الفحص أن توشح للرتبة الأولى بعض الكتب المتقدمة للمسابقة مع التوصية بإدخال تعديلات عليها يتحقق بها الغرض ، ولها إذا اقتضى الأمر أن توصى باشتراك اثنين أو أكثر من المتسابقين فى إجراء التعديلات المقترحة على بعض المؤلفات المتقدمة منهما للمسابقة ، وفى هذه الحالة توزع الجائزة المقررة كاملة على الشركاء المذكورين بعد إجراء التعديلات المقترحة .

٥ — للإدارة العامة للمعاهد الأزهرية حق طبع الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى للانتفاع به فى الأغراض التعليمية ما شاءت من الطبعات . ويعتبر ما حصل عليه المؤلف أو المؤلفون من جائزة مقابلا لحق التأليف مع السماح للمؤلف بأن يطبع منه لحسابه ما شاء من طبعات خاصة .

عميد كلية الشريعة بجامعة كابول

فى ضيافة شيخ الأزهر :

قـــدم القاهرة مولانا عبد الحق خان عميد كلية الشريعة فى جامعة كابول بأفغانستان فى ضيافة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وأمضى الضيف الكريم سبعة أيام فى القاهرة درس خلالها النظم الحديثة فى الأزهر ، وزار المعالم الإسلامية والأثرية .

وقد أهدى فضيلة شيخ الأزهر للضيف الكريم نسخة من المصحف الكريم ، ومجموعة من المؤلفات الإسلامية لفضيلته وقال : « هذا هو أساس العهد بيننا وبينكم ، ونأمل أن يتسع نطاق التعاون بين الأزهر وأفغانستان فى سبيل نشر الفكرة الإسلامية ، وتقوية صفوف المسلمين .

If it be true that Al-Azhar is open to women, please post immediately all information. Are there any scholarships available? Being the child of a relatively poor man I have to enquire.

My qualifications are I am told only for entering an ordinary University I have done tow European languages, History, Geography, Science, (Biology, Poysiology, Hygiene, and Physics) up to university level. There is the Urdu and the African language and a bit Phrsian, Arabic as I mentioned previously.

May Allah make Al-Azhar the centre of religious knowledge not only for men but women too; and may He bless the people who thought of taking such a wise step.

Do send all informtion soonest possible as at the moment I am at no proper institution, merely doing Arabic privately with the intention of proceeding to the Oriental College of London which is offering a scholarship to six students.

Yours in Islam

(Miss Z. Adam.)

THE VICE — CHANCELLOR
AL-AZHAR
Egypt. U.A.R.

6 / 3 N Samanabad,
Lahore. W. Pakistan.
23rd Dec., 1961.

Als — Salamo alaik.
Dear Sir.

This morning a local paper had an article declaring the admittance of girls to the above institution. If this be true then surely Allah has answered the call of a weeping heart.

On completing my education up to University level I was forced to leave home in search of islamic knowledge as the women in my country; South Africa, were terribly ignorant of the simple facts of Islam; men were no better off either. Islam was and is still spreading at a terrific rate but there was not a single female capable to quench the thrist of religious knowledge of thousands of my fellow sisters. I wrote and enquired from various institutions in the world whether there was a Darul-Uloom for girls to which I could go and study Islam before helping my numerous sisters who due to lack of clear and simple explanation of Islam were trying to become Muslems in name only.

As long as our women remain ignorant of the practicability of Islam in their daily lives so long will the universal progress of Islam be retarded as the future generation willoose correct contact with their religion. Is it not the mothers who play the greatest part in the up bringing of children ?.

The one institution which answered my call was here in Pakistan, On my arrival I found out that it was of very poor standard since then for the last six months, I have been knocked from pillar to post begging the Alims of India to teach me at least the Quran and Hadis, but all have turned a deaf ear, for they are not willing to teach female.

I am ready to devote my entire life for the upliftment of Islam but first give me the chance to arm my self. Give me a chance to know the words of God and His Prophet. My knowledge of arabic is poor but I am willing to go to any extent in learning it for my aim is to understand the Quran which is written in this noble tongue.

into its true followers. The early Muslims, by their sacrifice, built up an immense fund of vitality for our Faith and that is why it is still sustaining us inspite of some of us having fallen prey to the influences of such philosophies of life as look upon this earth as all.

We have developed a nation that it is almost sacrilegious to impose any hardship on the body. But we forget that some hardship is necessary in the body's own interest in addition to the interest of the soul.

Is it really very difficult to abstain from food of all kinds and other indulgence for the hours of the day for one out of twelve months of the year? Given the determination to endure a highly beneficial hardship, it is not difficult at all. Rather, it gives the mind a satisfaction and a thrill of pleasure that is experienced in overcoming any obstacle. Supposing it is not pleasant and without difficulty for all, should they, who find it not pleasant and not easy, yield to this modest difficulty.

We have been eating in the daytime for eleven months of the year, Should we grudge abstaining from eating in the day thim for one month only. Were we to eat without ever abstaining from eating throughout our lives, could that prolong our lives or make us any the happier. Nobody, I think, will claim such a result. Then, why not get some real benefit spiritually and physically and physically by this not too difficult exercise of Fasting.

Far a normal person to suppose that he is not equal to the task of fasting, is to destract from his own abilities, which is not a promising outlock on life. Fasting is therefore as such a necessity today as it was when it was first introduced and will continue so, as long as man is what he is.

These are the results which can and shold be achieved by the Muslims after undergoing the Fast of Ramadan. And when the Muslim succeed in achieving these results he has every cause to celebrate, for success is always worthy of celebration. The day of Id — ul — Fitr should mark for every Muslim the day of the completion of the success of his experiment — the day when he can say to himself that he has mastered his pains and held the reigns of its impulses; the day when his faith in Allah and himself has been reaffirmed, and he has scored victory against doubt and suspicion; and the day when his willpower and organised effort has controlled his desires and feelings.

value, besides its value as the means of providing rest to the stomach, is well known.

This is not all that is involved in the exprience of Fasting. There is an educational and training aspect which makes its imprint on the mind without being detected by the preson undergoing the Fast.

The person who as a result of the Fast changes his eating habits, invariably indulges, during the time of the Fast in silence, in deep thinking and contemplation. During these contemplative moods, it is more than probable that the person who fasts would think about the unfortunate members of the human race who, because of hunger, sickness or persecution, are forced to experience suffering and unhappiness of a similar to what he has vehemently undertaken.

The man who fasts would thus find something in common between him, while in that state, and his unfortunate fellow human beings and it is unlikely, that he would not then feel sympathy with those unfortunate members of humanity in His conscience and new frame of mind. And this, in fact, is what the Muslim should celebrate on "Id-ul-Fitr" - his joy at having rejunevated and purified his soul and clothed it with a new outlook in life in general, and the joy of his having awakened his conscience so that it becomes aware of what is around it. Upon the completion the opportunity of leading a life towards the attainment of his spiritual goal.

Is Fasting unnecessary in the present day world, as some amongst us seem to suppose? This question is indicative of the notion - a wrong notion indeed - that the Shariat stands in need of amendment today.

To think that the Shariat should be adopted to a particular way of life preferred and chosen by some is to being it into line with what our physical propensities have made of us. Instead of lifting ourseleves up from the low spheres where man lives only to eat, to the high plane pointed to by the Shariat - where man eats only to live, and in due course, to pass into a state in which he is not required to eat for the purpose of living.

Our concern should be not to remain what we are, but to be what we ought to be. Our love of the body appears to have gained undue intensity. It was not so with the past generation of. Muslims. History abounds in accounts of Muslims subjecting the body to extremes of hardship in striving to establish the supremacy of the soul over the body, It is because they believed in the life of the soul immensely more than the life of the body, that, they as a race could prevail over all others in the world.

The vitality of Islam lies in the spirit of self-sacrifice that it infuses

in him. What supports him then in his work and determination, is largely his spirit. In a moment of irresistible hunger, what stands between a lonely fasting Muslim in his house and the food lying near him is his determination not to yield to hunger a determination born of regard for the Commands of Allah and the desire to be firmer in determination. Such determination, such refusal to yield to hunger and other physical propensities and such regard for the Commandments of Allah are qualities of the Soul of spirit.

Fasting should therefore be considered as an institution for the moral and spritual upliftment of man so as to bring him closer to Allah. When a Muslim undergoes the Ramadan Fast, he is in the process of controlling hunger and thirst and he is accustomed to the hardships of life and cultivates to his advantage and benefit the habit of self-restraint which is of paramount importance towards the attainment of his spiritual ideals and goal. Abstinence from food alone is not the purpose of the Ramadan Fast, but it is only a preliminary step to abstinence from all evil, be they thoughts or deeds. It is very pertinent to observe that the Holy Prophet is reported to have said in this connection " there are many who fast but can derive no benefit from it . . . for such people who lie and bear false witness, Allah has no need for their observance of the Fast". In Islam, Fasting is not considered as a method of appeasing divine wrath or seeking divine compassion, but connotes an entirely different purpose based upon lofty spiritual ideals towards the attainment of spiritual perfection.

Thus every Muslim obtains strength from the conditions created by the spiritual exercise of fasting. And if developed studiously, the spirit can so strengthen the man that he does not become affected by the demands of his physical nature and he emerges than his physical propensities. It is all a matter of practice with attention and care.

Fasting is meant to establish the superiority of man's spiritual being over his physical. If man recognized that his spirit which is immortal and which is endowed with potentialities for growth and development, should have ascendancy over his mortal body and bodily propensities, he will find fasting the means to establish the desired ascendany of the spirit.

Like Prayer, Fasting has many benefits concomitant with its main benefit to the soul. These are the obvious benefits to man's health and his relation with fellow Muslims. The benefits to health needs no elaboration; that Fasting has a therapeutic

THE FAST OF RAMADAN

By

A, M. M. SALMAN

The Fast of Ramadan and the celebraton of the Feast of " Id—ul—Fitr " occupies a prominent place in the heart of every Muslim throughout the whole universe. Id — ul — Fitr denotes to every Muslim a day of rejoicing and thanksgiving upon a successful completion of the Ramadan Fast which is considered one of the five pillars of the Islamic Faith.

It is therefore necessary and appropriate to ascertain the meaning and significance of the Fast of Ramadan as well as the meaning and significance of Id — ul Fitr. The Ramadan Fast is a personal experience of self control and self purification which every Muslim undergoes every year during the month of Ramadan.

The Holy Quran which was revealed during the month of Ramadan, to serve as a guidance to mankind, — and hence the special sanctity attached to this month, referes to Fasting as follows:—

" O, Ye believers. Fasting is prescribed to you, as it was prescribed to those before you, that ye may learn self restraint ".

Prophet Muhammed, (May the peace and blessings of Allah be upon Him) systematized the institution of Fasting by prescribing its time in the year, its duration, the conditions necessary for its effectiveness etc.' and enforced it with the utmost strictness. That is why fasting is very largely a universal practice among the Muslims.

What is the purpose of fasting ? Fasting makes the Muslim accustom himself to self control in hunger which is one of the most difficult physical conditions for man to withstand, Since man is mainly a spiritual being, it is necessary for him to create conditions in which his spirit can thrive unhampered by his physical propensities.

The food of spirit lies in meditation about Allah and in concentration on Allah's Commandments to Man. When the stomach is full, all the physical faculties of man find strength to get the better of his struggling spiritual faculty. But when the belly is empty the physical faculties fail to put up any strong fight against the spirit. But when he resists them with the will to continue till sunset these lie dormant

feels that the fast is harmful for him, should break his fast and fast the same number of days at another time.

The third section relates to the old men and those who are like him whose life will be harmed by fasting and the causes of their ailments are impossible to be removed away due to senility and the one who suffers from a long continued disease. To this class of people, Islam permits them not to fast at all, and in return imposes on them an obligation to feed a lesspoor man every day. The Qur'an stats " For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent. " (S. The Cow, V. 184.)

In addition to the above mentioned, divers and miners who work all the year are exempt since fast causes them hardships, they need not fast, but it is incumbent on such persons to feed a poor man as a ransom for every day of the month of Ramadan. Thus in view of the aforesaid, we come to the conclusion that Islam is the religion of simplicity and forgiveness.

among yourselves; but He turned to you and forgave you; so now associate with them and seek what God hath ordained for you, and eat and drink untill the white thread of dawn appear to you; distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears." (S. The Cow, V. 187.)

This is a mode of a adjustment which Islam introduced as a facility in the religion which God wills it to his bondmen, as for instance the Qur'an states " For God is to all people most surely full of kindness most merciful."

The Facility of Islamic Fast;

According to the facility which God ordained to his bondmen, Islam imposed fast on all Muslims in an easy way, as for example the Qur'an states "He had chosen you and has imposed no difficulties on you in religion." (S. The pilgrimage, v. 78.) "God intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties." (S. The cow, V. 185.)

"What can God gain by your punishment, if you are grateful and you believe ?" (S. The Women, V. 147.)

Hence, Islam categorised Muslims into their sections in the observance of the fast : The first one relates to those who are healthy and living in their homes and who are able to fast the month of Ramadan without any difficulty. They should fast the whole month. And one who breaks his fast without a reasonable cause, his deed will be against the teachings of Islam, and he will be the meritorious of God's anger and all Muslim people. It was the duty of the governor to punish him, so that he may serve as an example to the others who try to follow his footsteps concerning this. But if the one who broke his fast willed to return back to the straigt path, he should declare his repentance and fast the same number of days plus sixty days more as an expiation.

The second section consists of those who are ill or on a journey. In fact, Islam allows them to break fast on condition that they should fast the same number of days at another time. In this respect the glorious Qur'an says " If any one is ill or on a journey; the prescribed period (should be made up) by days later. " (S. The Cow, V. 185.)

Because fasting mostly causes the ill man and the travelling one harm or inconvenience, Islam allowed them to break fast. Hence, one who

not only to Muslims but to all mankind also. The Qur'an says " Ramadan is the (month) in which sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right aud wrong). [S. The cow, V. 185].

In fact, Muslims spend the month of Ramadan fasting, worshipping, gathering together and listening to the speechers who remind them with the good, urge them to do it, invite to all that is good, enjoin what is right, forbid what is wrong and join together in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy. Verily, it is the duty of every Muslim to say " welcome you O glorious Month and may it give you pleasure O fasting believers ".

Verily, fast is not a modern concept, but it is rather an ancient one. It was an important pillar of every religion, for example : The Bibles of the christians praise the fast and state that jesus the christ and his apostles had performed this kind of devotion. The Testament "Taurah" of the jews also considers fast one of the obligations imposed on the jews and state that Moses " peace be on him " had fasted for fourty days. Moreover, the idolators themselves are aware of the Fast. The history of the ancient egyptians tells us that they had fasted, the romans and the greeks quoted the fast from the egyptians and performed it. Nowadays, the Indian idolators are performing Fast. It is probable that fast is an instinctive matter which the living beings perform during a period of their life time. For example, we notice that the camels sometimes fast. Hence, we come to the conclusion that fast is an ancient worship which was well known by all. In this connection, the glorious Qur'an says " O ye who believe ! Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that you may (learn) seff — restraint " [S. The cow, V. 183].

Fast in Islam, is to cease eating, drinking and sexual contact from Dawn till sunset. It was the habit of the people to eat, drink and indulge in sexual behaviour with women from sunset till the time of sleep and cease after that time. But it was the will of God to forgive them and to guide them to an easy religion, so He revealed the Qur'an distinguishing right from wrong, depicting for them how to fast, He says :

"Permitted to you, on the night of the fast, is the approach to your wives. They are your garments. God knoweth what ye used to do secretly

done by their faithful predecessors, and consequently, they would restore their past glory, and their reception of Ramadan will be a reception for dignity and honour and a joy for the glory and greatness. In this respect the holy Qur'an says : " Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation afore time, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? For many among them are rebellious transgressors. Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death ! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom. " (S. The Iron, Vs. 16 — 17.)

" O ye who believe ! shall I lead you to a bargain that will save you from a grievous penalty ? That ye beleive in God and His prophet, and that ye strive (your utmost) in the cause of God with your property and your persons : That will be best for you, if you but knew ! . He will forgive you your sins, and admit you to gardens beneath which rivers flow, and to beautiful Mansions in gardens of eternity : That is indeed the supreme achievement. And another (favour will He bestow), which ye do love, — help from God and a speedy victory. So give the glad tidings to the believers. O ye who believe, be ye helpers of God : As said Jesus the son of Mary to the disciple " who will be my helpers to (the work of) God ? " said the disciples " We are God's helpers ! " Then a portion of the children of Isreal believed and a portion disbelieved : But we gave power to those who believed against their enemies, and they became the ones that prevailed. " (S. The battle Array, Vs. 10 — 14.)

Fast in Islam :

This is the month of Ramadan which unites Muslims all over the world, irrespective of their languages and colours. It unites their feelings, pleasure, night, day, time of eating, drinking and also makes them equal to each other : There is no distinction between the governor and the governed, man and the woman or between the rich man and the poor one. It is a great pleasure to see Muslims expressing their congratulations — with the coming of the blessed month — to each other with faithful hearts, good souls, smiling and laughing faces. As a matter of fact, the month of Ramadan reminds Muslims " The feast of the Qur'an " which had been granted by God,

from wrong and cleared the word "Right" whether in divinity, message, Resurrection or in the relationship which joins the man to his brother during his life time. The Qur'an says: "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong)" [S. The Cow, V. 185.]

On the other hand the month of Ramadan inspires and reminds Muslims that their victory against the enemies of Islam was not dependent upon the numerical strength of the fighters, the wealth or the power of their weepons, but it is dependent on their faith, piety and patience. It reminds them the battle of Badr which took place in the month of Ramadan, and which was the first battle in Islam. The Qur'an states the great victory of the Muslim fighters in the verse "God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force : Then fear God; thus may ye show your gratitude." [S. The family of Imran, v. 123.]

It is therefore quite clear that the month of Ramadan inspired Muslims of the great events of the past, while God supported his bondmen and restored them back to their homeland out of which they were driven for no reason execpt that they said "Allah is our God". This event is the one of the great victory of Muslims against their enemies and which caused the sacred Mosque to be purified of the idols and that led the Islamic area to be extended and the word of God to occupy the highest position and the super rank, the Qur'an says "Verily, we have granted thee a manifest victory. That God may forgive thee thy faults of the past and those to follow; fulfil His favour to thee; and guide thee on the straiht way; and that God may help thee with powerful help." (S. The Victory, vs. 1-2-3.)

The duty of Muslims towards Ramadan :

This is Ramadan and that is its inspiration. It is the duty of the Muslim people to receive it with open hearts and to block the way of the satanic influence by means of it. This satanic influence which separated Muslims from each other, corrupted their characters, stole them of their good personality and emptied their souls of the Zeal. Hence, Muslims became a mixture of personalities which had no nationality or religion. They constituted a personality which was not eastern; western, Islamic christian or Jewish.

Verily, it is the duty of Muslims to remember the inspiration of Ramadan and to carry out what was

the materialistic life and lead a calm and spiritual one. He should forget the pains and the troubles of the world and live the life of happiness and bliss where there is no pain or misery. This life means to begin the day Fasting and saying "In thy name I am fasting" and to break his fast at the end of the day saying "In thy name I am breaking my fast" and to spend the night in prayer praising his God, prostrating to Him, asking Him for forgiveness and reciting the holy Qur'an till the break of dawn.

In following this way of life, the beliver's heart will be attached to his creator, he will maintain this attachment to be connected to God continuously and this will lead him to live all his life in piety, to perform his duties towards his God and to give the bondman his rights and to treat people kindly. This in essence is the inspiration of Ramadan.

The month of the heavenly revolution:

Not only is Ramadan the month of spiritual inspiration because of fasting, but it is also the month of the heavenly revelation against evil and the falsehood. Indeed, falsehood led the human being to deny the existence of his creator, to worship idols, the sun and the moon. Moreover, he asked the deaf stones to forgive him, to support him and to provide him with bounty. Falsehood took the mercy out of the human being's heart, filled it with tyranny and cruelty. So, he killed his sons, committed adultery and crimes, stole the properties, humiliated the weak people and harnessed the poor for his own benefits.

God disliked the falsehood, and it was His will to save humanity from its bad condition. Hence, He revealed the guidance to His prophet Mohamad "peace may be upon him" through the month of Ramadan to lead mankind to the straight path and to take them out of the darkness of ignorance and enmity, to the light of knowledge and brotherhood. The first chapter of the Quran reads "Proclaim! (or read) in the name of thy God and cherisher, who created. Created man out of a (mere) clot of congealed blood: Proclaim! and thy God is most Bountiful, He who taught (the use of) the pen, Taught man that which he knew not." [S. The clot of congealed blood, vs. 1- 5.]

In fact, the glorious Qur'an was revealed to guide people to that which is most right and o give the glad tidings to the believers who perform deeds of righteousness, that they shall have a magnifcent reward. Verily, the Qur'an distinguished right

and this is the Fast which Muslims are enjoined to perform during the month of Ramadan, to express their praises and appreciation to Almighty God. In this respect, Holy Qur'an says "Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month, should spend it in fasting, but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. God intends every facility for you, He does not want to put you into diffeculties. (He wants you) to complete the prescriced period, and to glorify Him in that He has guided; and perchance ye shall be grateful." " (S. The Cow, V. 185).

This is the Holy Book of Islam, which guides you to the best and leads you to the right way, and this is your Month, which reminds you with God's gift to fear your Creator and to be patient people, The Qur'an says "And hold fast, all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, you became brethren; and you were on the brink of the Pit of Fire, and He saved you from it. Thus doth God make His Signs clear to you: That ye may be guided." [S. The family of Imran, V. 103.]

The popular inspiration of Ramadan :

In reality, Ramadan is nothing but a name of the lunar month between the month of Shaaban and the month of Shawal. As a matter of fact, this month is one cf special inspiration and influence on Muslim people. Consequently, their hearts, through this inspiration are filled with belief and guidance.

The influence and inspiration of the Ramadan month is not limited to the elders, but it has also its effect on the children. At the commencement of this month, you could see the children, especially at night, gathering themselves together, playing, singing, carrying their candles and lanterns, going through lanes and streets to express their glad tidings and good feelings and joy towards the advent of the blessed month cf Ramadan.

Surely, the word " Ramadan ' inspires those who understand this month, its events and characteristics; to prepare themselves to a divine journey for the whole month. This journey simply denotes that the bliver should avoid the enjoyments of

"Say : Behold all that is in the heavens and on earth" "On the earth are signs for those of assured Faith, as also in your own selves : Will ye not then see" [S. the winds that scatter, vs. 20-21].

In fact, it is the book which removes the distinctions between man and his brother in humanity. It states that all human beings are the sons of a single male and a single female and that God made nations and tribes of them to know each other, not to despise each other; and that, verily the most honoured of them before God, is the most pious who does good for the sake of goodness itself.

It is the book which guides all people to the straight path; to follow it during their life time. In this respect, the Qur'an says "For He commands them what is just and forbids, them what is evil, he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure); he releases them from their heavy burdens and from yokes that are upon them." [S. The Heights V. 157.]

"Verily, this is my way, leading straight : Follow it : Follow not other paths : They will scatter you about from His (great) path" [S. The cattle, V. 153.]

It is the duty of every one to declare his full respect to this Book, to carry out its instructions and to celebrate the occasion on which God granted this divine Book to humanity.

Legallity of Fast during the month of Ramadan :

It is the habit of the people to celebrate the days which bear their good memories. This is because God has selected the month of Ramadan to be the time during which Repentance is acceptable, He greeted it and obliged every Muslim to fast during this period. Moreover, He considered it one of the pillars of the religion "Islam" and also a part of the Islamic personality.

As a matter of fact, the fast of Ramadan according to the glorious Qur'an aims at — the up bringing of the mind and soul. It unifies the Muslim's leisure hours or work and his hours of feast (eating and drinking). It fills their hearts with the love of God, urges their tongues to repeat God's praise, inculcates the quality of patience in their hearts and guides them to love each other. Surely God wills the human being to possess a good coduct and great manner.

It was in the month of Ramadan that the glorious Qur'an, a gift, which God granted to his londmen

" Glory to (God) who did take His servant for a Journey by night from the sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts we did bless " (S. The children of Israel, V. 1.)

With regard to times, God chose some days and nights to be feasts and occasions for His mercy and blessing. In this respect the glorious Qur'an says : " By the breake of day. By the nights twice five ". " And the morning prayer and reading. For the prayer and reading in the morning carry their testimony" " The night of Power is better than a thousand months " " By the Book that makes things clear; we sent it down during a blessed night : For we (ever) wish to warn (against) evil) ".

Hence, it was the will of God to choose the month of Ramadan from amongst the other lunar months to be the best time for seeking His blessings and forgiveness. It is also the only month which God mentioned through the verses of the glorious Qur'an and also granted His bondmen during it the best one of His blessings, namely His Book, that no falsehood can approach it from before or behind it. It was sent down by one full of wisdom, worthy of all praise. The most important one of the instructions of the holy Book of Islam, is that it transformed or moulded humanity which existed through the long ages of complete darkness and idolatry and directed the light of Islam which is the religion of Monotheism. Henceforth, they prostrated only to one God as the creator of this universe. The Qur'an says :"O people of the Book ! come to common terms as between us and you : That we worship none but God, that we associate no partners with Him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God. " (S. the family of Imran, V. 64.)

The instructions of the Qur'an :

Verily, the glorious Qur'an is the book which guides one to the right path, leads him to happiness, shows him how to utilize the bounties of God that are harnessed to him; orders him to search the greatness of God through earth and heavens; to feel the dignity and the honour that Almighty God granted to the human beings. The Qur'an states "Do they see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing o an end? In what Message after this will they then believe ? " [S. The Heights, V. 185.]

THE MONTH OF RAMADAN IN QUR'AN

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

It is a verse from the glorious Qur'an that attracted my attention — I contemplated its meaning and then I found out its explanation very obvious throughout the universe. This verse is " Thy God does create and chosse as He pleases". Indeed I found the explanation of this verse very evident in some persons, in some places and also in some times.

Since the time of Adam, God created countless people and chose for the guidance and the leadership of man some amongst them according to His will. He chose the erudite, the philosophers, the leaders, the reformers, prophets and messengers. In this connection the holy Qur'an says " God did choose Adam and Noah, the family of Abraham and the family of Imran above all people ". (S. the family of Imran, V, 33).

" God knoweth best where (and how) to carry out His mission ". (S. The cattle, V. 124).

" God said : " O Moses ! I have chosen thee above (other) men, by the mission I (have given thee) and the words I (have spoken to thee) ". (S. The Heights, V. 144).

" It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth: He hath raised you in ranks, some above others ". (S, The cattle, V. 165).

Also God chose some place to be descents of the revelation and others to be alloted to places of worships. He inspired some people to adopt these places as places of residence. In this respect, the glorious Qur'an say : " The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka : Full of blessing and of guidance for all kinds of beings. In it are signs manifest ; (for example. The station of Abraham ; who ever enters it attains security " (S. The family of Imran, V. 96-97).

But when he came to the fire, a voice was heard : " O Moses ! Verily I am thy God : Therefore (in my presence) put off thy shoes : Thou art in the sacred vally Tuwa. I have chosen thee : Listen, then to the inspiration (sent to thee). ' (S. Taha, Vs. 11 — 12 — 13.)

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨١ هـ — مارس ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٩٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد في الدين وفي اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأعياد من المراسم المرعية في جميع الأديان الكبرى . لأن الاشتراك في الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التي لا غنى عنها في كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها .

وفي الأديان الكتابية كلها أعياد مقررة تجب على الجماعة رعايتها ، يلاحظ في الكثير منها أنها قديمة متوارثة من زمن بعيد سابق لعهد الدعوة إلى تلك الأديان ، وقد يرجع ذلك إلى سبب يتعلق بسياسة الدعوة كما يرجع إلى حكمة العقيدة في صميمها . فإن قطع الصلة بماضي الأمة كل القطع قد يعوق الدعوة في سبيلها إلى أسماع المدعوين وضمائرهم ، وقد يكون النفور من الدعوة في هذه الحالة كالنفور من العدو المقتحم الذي لا يقبل منه كلام ولو كان من غيره مظنة للقبول والترحيب ، وليس من اللازم في محاربة الضلالة الدينية أن نحارب ملكة العقيدة في النفس الإنسانية ، فإن ملكة العقيدة في لبابها هي مناط الخير من ضمير الإنسان ، ويكفي عند محاربة الأديان الضالة أن نحتفظ بملكة العقيدة لكي يسهل بعد ذلك تحويلها

من المعتقدات السيئة إلى المعتقدات الحسنة ، فذلك أقرب إلى الهداية من استئصال ملكة الاعتقاد بجذورها ، وامتلاء النفس بنزعة الكفر الذى يعرض عن كل إيمان ويسخر من كل دين .

وقد أبقى الإسلام على بعض شعائر الحج فى الجاهلية وأصلحها بالانتقال بها من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وكانت دعوة النبى عليه السلام إلى حج البيت وهو فى قبضة المشركين يصدون عنه قصاده المسلمين حجة للإسلام على الشرك ، وإحباطا لسياسة الملأ من كفار قريش ، وهم يحاولون أن يعزلوا الدعوة الإسلامية عن أمتها باسم الحفاظ على كرامة الآباء .

ومن تاريخ الأعياد فى اليهودية والمسيحية يظهر لنا على التحقيق أنها منقولة عن مراسمها الأولى من عهد عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب قبل دعوة موسى وعيسى عليهما السلام .

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد ، وهى بأسمائها فى العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد ، وموعد الجمع ، وقرابين البواكير من الثمرات والأنعام .

والعيدان المسيحيان يوافقان موعد انتقال الشمس فى الشتاء ، وموعد انتقالها فى الربيع ، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين فى هذين الموعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية .

إلا أن التوقيت بالأشهر القمرية فى حساب العيدين الإسلاميين قد كان له أثره فى تنزيه هذين العيدين عن كل صلة بالعقائد الجاهلية التى سبقت دعوة الإسلام ، فلا ارتباط لهما اليوم بمواقيت عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب ، وليس لها قوام من الذكريات المادية أو المعانى النفعية ، فقد يعود الصيام فى أشهر الصيف كما يعود فى أشهر الشتاء ، وقد يجب الحج مع أوان المرعى والسقاية كما يجب مع كل أوان ، وهو عدل فى توزيع أيام الفرائض يناسب العدل فى تكاليف الدين وأعباء الواجبات ، ويناسب العدل فى أحوال الأمم التى تؤدى تلك الفرائض وتنهض بتلك الأعباء ، ومنها أمم الرعاية والزراعة وأمم التجارة والصناعة ، وأمم تقيم فى كل مناخ وكل إقليم .

ومن ثم خاص العيد الإسلامى لمعناه من الإيمان المحض بعبادة التنزيه والتوحيد .

وفى سياق هذه المقالات التى نتابع فيها النظر فى مزايا اللغة العربية يتفق لنا أن نذكر مزية لهذه اللغة فى كلمة العيد بلفظها ومعناها ، فإن

تسمية العيد بهذا الإسم تدل عليه بأخص معانيه وهى الإعادة والتعييد ، وليس لهذه الخاصة مدلول مفيد فى أسماء العيد بأكثر اللغات .

فبعض أسمائه باللغات الأوربية تدل على معنى الوليمة ووفرة الطعام .

وبعض أسمائه تدل على اليوم الدينى أو يوم البطالة ، وليست هذه من خواص العيد التى ينفرد بها بين سائر الأيام .

وبعض أسمائه الحديثة تقابل كلمة «السنوية» أو «المئوية» وتصدق على احتفال بعينه يجوز أن يكون يوما واحدا لا يعاد إليه ، ويجوز أن يكون من غير الأعياد لأنه من ذكرى الكوارث أو ذكرى الحداد .

أما كلمة العيد بصيغتها هذه فى اللغة العربية فهى أدل من تلك الأسماء جميعا على خاصته ومعناه .

* * *

ويعود هذا الاستعداد لتخصيص الألفاظ بمعانيها إلى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فإن الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الإسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فيأتى الإسم معبرا عن واقع فعله وعن المقصود بوصفه ، وتصلح المادة الواحدة أساسا لأسرة كاملة من المعانى المتفرعة عليها .

وكلمة العيد مصدر من مصادر كثيرة يدل على صفة العودة أو على هيئتها ، ومن فعل (عاد) تؤخذ العودة للمرة من العود وتؤخذ العادة للفعل أو الخلق الذى يكثر الرجوع إليه ، ويؤخذ المعاد لمكان البعث أو زمانه ، وتؤخذ العيادة للزيادة المتكررة ، وتؤخذ العائدة لما يعود على الإنسان من نتائج عمله على معنى قريب من معنى التبعة أو الجزاء ، وتستعار العوائد لما يعطى أو يؤخذ مع التكرار والتوقيت ، لأن الإعطاء والأخذ معنى واحد من جانبين ، فما يأخذه هذا هو عطاء من ذاك .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها إلى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

وهنا مجال واسع لمعانى الإعادة والاستعادة والتعويد والتعييد ، ومجال واسع للتفرقة بين المعيد والمستعيد وبين العود والمعاودة ، والمعاد والمستعاد ، ولا لبس فى موضع لفظ من هذه الألفاظ لأن وزنه دليل على موضعه من التعبير .

والاشتقاق موجود فى لغات كثيرة ، وهو بعض الخواص الملازمة للغات السامية ، ولكنه لا يوجد بهذا التوسع على هذه القواعد المفصلة ، كما يوجد فى اللغة العربية .

وكل ما يوجد فى سائر اللغات السامية من قواعد الاشتقاق قائما يوجد بالمقدار الذى يدل على أنها — كلها — فروع من أسرة لغوية واحدة ، وأن كل فرع من هذه الفروع مخالف فى أساس تركيبه للغات النحت التى يطلقون عليها فى الغرب اسم اللغات (الغروية) لأن تنويع معانى المادة فيها يقوم على لصق المقطع بالمقطع وضم العلامات والحروف لنقل الكلمة من صيغة الفعل أو الإسم إلى صيغ النعوت والظروف ودرجات العمل أو الإفادة .

ولكننا إذا قارنا فى خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية وأخواتها فى الأسرة اللغوية كادت أن تنفرد باشتقاق مقصور عليها ، لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو الكلدانية أو الحبشية فى السعة ولا فى تقسيم القاعدة ولا فى تحكيم المتكلم فى التعبير عن أغراضه على حسب كل احتمال معقول .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه ، والمتكلم هو صاحب الشأن فى اختيار الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لأنها وضعت من أصلها ارتجالا أو محاكاة لصوت أو تلفيقا للأجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمرة أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة ، والصفة المرتهنة بالحدث والزمان .

فالمتكلم المعبر هنا هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات على حسب أغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على ألسنة المتكلمين بها إلى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات ، قبل أن تعرض لهم الحاجة إلى استخدام جميع تلك المفردات أو إنشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تأتى للمتكلم بشىء جديد يحتاج إلى لفظ جديد .

وقدم القواعد على هذه الوتيرة من أول القرائن على قدم اللغة وقدم الزمن الذى ارتسمت فيه عند أهلها قوانين التعبير .

وبهذا القدم تنفرد اللغة العربية بين أخواتها من أسرة اللغات السامية ، ولكنها تنعزل تمام الانعزال عن أسرة اللغات الحامية التى يخلط بعض المستشرقين بينها وبين العربية فى أصولها ، فإنهم — لتجردهم من الذوق الأصيل فى بواعث التعبير باللغة العربية — يحسبون أن التشابه فى بعض الضمائر أو بعض الأعداد أو بعض التصاريف التى تشبه

الاشتقاق برهان كاف على وحدة الأصول ، ولو جاز الأخذ بأمثال هذه المشابهات لما انفصلت عائلة لغوية عن سائر العائلات اللغوية التى تتباعد غاية البعد فى تقسيم الأصول والفروع ، فإن الشبه بين بعض الخصائص الطورانية والملاوية وبين خصائص اللغة العربيه أكبر من كل شبه بين الساميات والحاميات .

والمعلوم أن فروع الساميات تتألف من الأصوات المقطعية القصيرة وتكتسب اختلاف المعنى باستعارة صوت إلى جانب صوت ، ولا تنقسم فيها أجزاء الكلام انقساما يعزل الأسماء عن الأفعال ويعزل هذه وتلك عن الحروف .

ولا قرابة بين لغات تقوم على هذه الأسس المتفرقة ، وبين لغة تنقسم فيها حروف الجر وحدها انقساما يخصص كلا منها بموضعه ومعناه وعلاقته بالأسماء والأفعال ، ولا حاجة بعد الالتفات إلى هذا الفارق فى حروف الجر إلى بيان الفوارق الواضحة بين الحاميات والآريات معا وبين اللغة التى انسعت فيها قواعد الاشتقاق المفصل ذلك الاتساع واشتملت مادة الفعل الواحد منها على أسرة كاملة من درجات المعنى ومقاصد التعبير .

عباس محمود العقاد

عن السرى السقطى ، أنه اشترى لوزا بستين دينارا ، وكتب فى دوزنامجه ثلاثة دنانير ربحه . وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار . فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه ، قال بكم ، فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال ، فقد صار اللوز بتسعين ! فقال السرى ، قدعقدت عقدا لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغشى مسلما ، لست آخذ منك إلا بتسعين . قال فلا الدلال اشترى منه . ولا السرى باعه فهذا فرض الاحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

موقفُ الإسلام من المستغلّين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

حالة المجتمع قبل الإسلام :

نظم الإسلام التكافل الاجتماعى بين أفراد الأمة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها بما يرسى قواعدها ويقرر أصولها وفروعها . وإكمالا للصورة التى رسمها الإسلام للمجتمع الفاضل المتكامل يجب أن نبين كيف واجه الإسلام عيبا من عيوب المجتمع التى جاء والناس عليه ، ولا يمكن مع وجوده فى أمة أن يتأتى لمجتمعها تحقيق التكافل بين أفراده ، وذلكم هو « استغلال حاجة المحتاج » .

وحتى ندرك أثر الإسلام فى تخليص المجتمع من هـــذا العيب الخطير على بناء الجماعات وتكوين الأمم ، أقدم استعراضا عن حالة المجتمع قبل الإسلام ثم أتلوه ببيان موقف الإسلام من علاج هذا العيب وكيف تغلب عليه بفضل العقيدة الرشيدة والإيمان العميق اللذين تمتع بهما المسلمون الأولون .

فقد جاء الإسلام وقلوب الناس فارغة من معانى الرحمة ، والتعاون . لا يحمل قادرهم كَـلَّهم ولا يساعد موسرهم معسرهم ، بل يأكل قويهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم ، دون أن يكون للقادر أو الغنى من ميزة إلا أنه ذو عافية أو مال ، ولا ذنب للعاجز أو الفقير سوى أن ظروف حياته لم تهيء له الصحة الكاملة أو موارد الغنى الكافية ، وسبل الكسب الطيب .

فى هذا الجو المظلم كان جشع الأغنياء والقادرين يتفتق كل يوم عن حيلة يمتصون بها أموال الفقراء ويمتصرون دماء الضعفاء حتى لم يبق للطبقات العاجزة والمحرومة إلا أن تستسلم للأمر الجارى أو تثور عليه ، وأنى لها بالثورة وقد قلم الاستغلال أظفارها وسلب منها جميع إمكانياتها .

(ا) فالمقرض ، فى معاملته للمقترض كان لا يكتفى باستيفاء الأصـــل ، إذا اضطر المقترض إلى تأجيل السداد عن موعده ، بل كان يضيف إليه زيادة فى مقابل التأخير ، وتتضاعف هذه الزيادة كلما تكرر عجز المدين عن السداد فى الموعد المحدد .

(ب) ورب العمل ، كان يبخس العمال أجورهم ، فضلا عمن يسخرهم فى عمله ، من العبيد والأرقاء ، الذين كان يضن عليهم حتى بضروريات الحياة الإنسانية ، ليظـــلوا مسخرين لأمره ونهيه .

(ج) والمحتكر، كان يتحكم فى الأقوات والأرزاق، يحبسها عن الأسواق حتى يشتد الطلب عليها، بعد قلة المعروض منها، ومن ثم يتسنى له أن يبتز ما شاء من اموال الناس بالباطل، استغلالا لحاجتهم مع قلة حيلتهم.

وهكذا من صور الجشع الذى يرمى إلى جمع الأموال من دماء المحتاجين والضعفاء وتكديسها.

وبذلك نشأت الرأسمالية الطاغية، التى مزقت الصلات الإنسانية شر ممزق وجعلت أفراد المجتمع أشبه بحيوان الغاب، الغنى يطمع، فيفترس الفقير، والقوى يتجبر، فيسخر الضعيف. والفقير والضعيف يحقدان فيتربصان الدوائر بالغنى والقوى ويفترصان الفرصة للانقضاض عليهما.

وكان من آثار ذلك أن شاعت فى مجتمع ما قبل الإسلام السوءات الآتية:

أولا: اعتصار الفقير لحساب الغنى، مما زاد الفقير فقراً وراكم على أموال الغنى أوزاراً فوق أوزاره.

ثانيا: طغيان الغنى وزيادة قوته، حتى كان من الفرد الواحد أو من الجماعة الرأسمالية دولة أو دويلات تناهض سلطان ولى الأمر وتهدد الأمن والاستقرار، بما تملكه من مال فائض تسخره فى الطغيان، وصدق الله العظيم إذ يقول: «كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى».

وما أروع التعبير فى الآية بقول الله تعالى: «أن رآه استغنى» تعليلا للطغيان: ذلك أن الغنى أمر نسبى، يختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن زمان أو مكان، عنه فى غيرهما، كما أن الإنسان قد يكون بالنسبة لغيره غنيا، لكنه لا يرى نفسه قد اغتنى بعد، فيظل له سلوكه الهادىء المسالم، حتى إذا ما وصل إلى درجة رأى نفسه فيها أنه قد اغتنى، فإن أعراض الشراسة والاستعلاء تأخذ سبيلها إلى تصرفاته، ومن ثم يسير حثيثا نحو الطغيان.

ومن هنا ربط القرآن الكريم طغيان الإنسان، بمجرد ظنه وتقديره أنه استغنى، باعتبار ذلك هو القدر المشترك الصادق فى كل تلك الحالات.

وليس فى أقوال البشر شىء من الشمول فى وصف الآثار السيئة على النفس البشرية، حين تمتحن بوفرة المال، كهذا الذى عبر عنه القرآن.

ثالثا: استغلال حاجة المحرومين، وهم سواد الناس، وامتصاص جهود الكادحين، وهم جمهرة الأمة، مما ترتب عليه ضعف الجماهير الذين هم قاعدة التنظيم الاجتماعى، ومن ثم اهتز البناء الاقتصادى، لضعف الطاقة التى هى أغلبية المشتردين والمستهلكين والعاملين فى مجالات الإنتاج والذائدين عن الحياض والساهرين على أمن الدولة.

ولا شك أن إرهاقهم بهذا الاستغلال الجشع هو إخلال بثبات القاعدة الشعبية التي يجب أن تتلقى العون لا أن تستثمر وتستغل .

رابعا : تزعزع العقيدة ، فالغنى كان يطغيه سلطان المال وكثيرا ما نجح في فرض مشيئته على العامة بالاسترهاب أو شراء الذمم ، وبتكرار فرض مشيئته نسى أنه بشر تافه زائل ، وحاكى قارون في غروره عندما قال : « إنما أوتيته على علم عندى » لما أتاه الله من الكنوز « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .

والفقير يطول انتظاره وصبره ، مع تزايد البلوى عليه ، كان يئن ، فيما بينه وبين نفسه المكلومة ، حتى ليتساءل أين عدل الله !

خامسا : فساد المجتمع ، لسيطرة الروح المادية المسرفة ، فالغنى كان يغرى بفيض ماله المتزايد ، والفقير كان يضطر تحت وطأة الحاجة للتفريط ، فهانت الأعراض وانحلت الأسر .

سادسا : شيوع الخوف في جميع الطبقات ، فالضعيف المحروم كان غير آمن على رزقه حيث لم تكن المعاملة بين الناس قائمة على الفضل والعفو والصدقة . . والقوى الغنى الغاصب كان يعيش في خوف على ماله الذى يجمعه بالاستغلال غير المشروع .

سابعا ـ استنبات الجريمة بخلق أسبابها ، فالمحروم حاقد ، والمبطون باطش حتى لا تدور عليه الدوائر .

كيف واجه الإسلام حاجة المحتاج :

جاء الإسلام والناس على هذا الوضع السيء فأفرغ جهده في القضاء على منابع الشر وأخذ بمبادئه الحكيمة يزيل الحواجز التي قطعت ما بين الناس من صلات التراحم والتعاون والبر والإحسان ، وأخذ يبنى المجتمع بناءاً واحداً متماسك اللبنات متضام الوحدات .

وقد واجه الإسلام علاج هذا الوضع السيء من ناحيتين :

أولا : من الناحية الإيجابية :

(ا) وضع تشاريع التكافل الاجتماعى التى سبق أن بينا كيف حتم الإسلام ضرورة الأخذ بها والعمل فى نطاقها .

(ب) طالب كل فرد من أفراد المجتمع بالعمل على تحصيل رزقه الذى يكفى حاجته ، ويوفر له حياة نفسية كريمة هادئة .

(ج) أشعر الأغنياء الذين آتاهم الله من ماله أن هذا المال ، وإن كان معقوداً فى ملكيته بأسمائهم ، إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء الذين يكونون المجتمع معهم ، وراحته من راحتهم ، واضطرابه من اضطرابهم ، كما هو مشترك بينهم وبين المصالح العامة التى تحتاج إليها الجماعة ، فى راحتها واستقلالها وإدارة شئونها والدفاع عن حرماتها وكيانها .

(د) ونتيجة لهذا كلهم بمد يد المعونة ـ

١ ـ إلى الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ، إما بالبذل أو بتهيئة العمل .

٢ ـ وإلى أولياء الأمور ، بما يمكنهم من إقامة المصالح العامة التى تحقق خير الجماعة .

(هـ) قرر أن تجرى المعاملات بين الناس على أساس واحد ينتظمها جميعا ـ مهما اختلفت صورها ـ وهو الانسياب إلى الخير ، الذى تشيع فى جوانبه الرحمة ، ويحقق التعاون ، بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد والدولة ، بحيث يكون جوهر المعاملات هو إعطاء كل ذى حق حقه ، ورحمة الضعيف ، واقتضاء حق المجتمع من المقتدر .

ثانيا : من الناحية السلبية : ـ

حرم الربا والرشوة والشح والبخل ، ونهى عن الإسراف والترف والتبذير ، وحذر من الضن بحق الفقير والمسكين .

صورتان متقابلتان :

ولإظهار التفاوت بين هاتين الناحيتين ، الإيجابية والسلبية ، اللتين واجه بهما الإسلام استغلال حاجة المجتمع ـ قابل القرآن الكريم فى كثير من آياته بينهما ، ووضع أمام الأبصار صورة مضيئة هى صورة التراحم والتعاطف والتعاون المطلوبة وجعل شعارها البذل والإنفاق .

وفى الجهة المقابلة وضع صورة مظلمة هى صورة الجشع والقسوة والأنانية الممقوتة ، كى يمعن الناظرون فى الآثار الطيبة لصورة التراحم والتعاطف والتعاون ، وفى الآثار السيئة لصورة الجشع والقسوة والأنانية ، فيكون لهم ـ من هذا الوضع ـ ما يردهم عن احترام صورة الجشع والقسوة والأنانية إلى احترام صورة التراحم والتعاطف والتعاون. وبذلك تتحقق إنسانيتهم الفاضلة ، ويسيرون فى الحياة بخطوات متزنة فى البناء والتشييد ، فتسمو بهم الحياة التى ينعمون بها .

ومن هنا لا تكاد تجد ، فى القرآن الكريم آية من آيات الإعلاء من شأن البذل والمعونة والتراحم ، إلا وبجانبها آية من آيات التحذير عن الشح والجشع والأنانية ، وأن شئت فاقرأ من سورة البقرة المدينة قول الله تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا

والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » . وهكذا تتوالى الآيات على هذا النسق إلى قوله تعالى بعد ذلك فى نفس السورة : « يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » وأقرأ من سورة آل عمران المدنية أيضا : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

ثم اقرأ فى مقابلة ذلك قوله بعد ذلك مباشرة : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

واقرأ كذلك من سورة الروم المكية : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ... اقرأ هذا كله بعين البصيرة ، وتدبره بروح الإيمان الصادق ، لتعرف الهدف الذى لأجله حرم القرآن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وسد أبوابه وأحكم سدها على أهله وأتباعه ، وشهر بآكليه أشنع تشهير ، حين قال فيهم : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » . ثم دعاهم إلى تركه ، وحذرهم من التمادى فيه بقوله : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . ثم توعد من لا يستجيبون إلى دعائه أشد الوعيد فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » . ثم نظم تصفية الأوضاع الربوية القائمة بقوله : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

نموذج سمح كريم :

وفى هذه الآية نموذج سمح كريم لما يجب أن يكون عليه سلوك الدائن مع المدين بالنسبة لاقتضاء دينه منه ، قدمه الله بقوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

فالله يوصينا بإمهال المدين المعسر حتى يصيب يسرا يمكنه من سداد دينه . لكننا إذا تأملنا قوله تعالى : « وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » . فإننا نجد نموذجا إنسانيا

فوق ما يخطر على البال من معانى الترابط بين الناس ، فى سبيل إصلاح الجماعة ، يقدمه الإسلام ، ويغرى به ، ويقيم عليه الدليل .. فالله تعالى ، بهذه الآية ، يريد أن يقول : إن الدائن حين يعلم من أمر مدينه عسرا وعجزا ، فإن الإمهال وحده لا يسمو بتصرف الدائن إلى ما يوصى به الرحمن من صور المعاملات الخيرة بين الناس . وإنما يحسن الدائن صنعا إذا هو ترك الدين وتصدق به على المدين .

ثم ينبه إلى أن هذا خير المجتمع ... ذلك أن المجتمع الذى يتراحم فيه الناس حتى تصل المعاملات بينهم إلى هذا المستوى الإنسانى النبيل ، لا يبقى فيه حاقد أو ناقم يفكر فى انقلاب أو انتقاض .

أفرأيت إلى مجتمع هذا شأنه ، هل تتخلف فيه الجماهير عن نصرة القوى ونجدته إن حلت به كارثة ، أو نزلت به نازلة ، كأن تحترق له دار أو تغرق له زراعة ، كما يحدث فى الريف كثيراً ، حيث لا تتوافر أجهزة الإطفاء ، ولا وسائل مقاومة السيول ؟

هدف الإسلام من بناء مجتمع إنسانى فاضل :

على هذه الأسس والمبادىء التى تقتضيها الأخوة والتراحم والتعاون والاشتراك فى الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد ، بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الدولة - امتلأ القرآن الكريم ، فى مكيه ومدنيه ، بآيات الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، وقضاء الحاجات التى تطرأ على الأفراد فتوهن من قوتهم ، وتضعف من روحهم ، وتجعل القلق يسيطر عليهم فى الحياة ، حين يرون إخوانهم الأغنياء يتمتعون بالأموال فى سعة واقتدار ، مما يضاعف همهم . وقد يفتح لهم أبوابا من الشر والفتنة يمكرون بها على الجماعة صفو حياتها ، ويزلزلون عليها عناصر الأمن والاطمئنان .

وعلى هذا الوضع الذى سقنا طرفا منه ، سار الإسلام فى بناء المجتمع الإسلامى الفاضل ، حتى تتفاعل وحداته بإحساس واحد واتجاه واحد فيكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

ولا شك أن رأس المال إذا استخدم مراعى فيه تلك العلاقات الإنسانية التى شرعها الإسلام للتعاون بين الناس فإنه لا يصبح ذا قوة أو سيطرة على المجتمع ، ولا يصبح صاحب المال ذا استغلال أو إقطاع فيه ومن ثم يكون أفراده كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وليس غير هذا المجتمع يريد الله .

محمود شلتوت

التجديد فى الدعوة الإسلاميّة يبتدئ من المفاهيم

للأستاذ الدكتور محمد البهى

— ١ —

جاءت رسالة الإسلام وهى تحمل معانى ومدلولات تحدد نظرة الإنسان إلى الحياة ، كما تحدد سلوكه فيها ، إن فى صلته بخالقه وإن فى أسرته وإن فى صلاته بغيره فى المجتمع : وكانت هذه المعانى والمدلولات كذلك مصدر الدفع فى الحياة ، ومصدر الحركة فيها . وقد تمثلها الإنسان المسلم فى نفسه وقت الرسالة وما بعد الرسالة بقليل ، بعد أن وعاها فى وضوح ، وقبل أن يطرأ عليها أى أثر من آثار الانحراف فى فهمها وتحديدها .

وعندما اتخذت هذه المعانى والمدلولات فى وضوحها وفى حسن وعيها قاعدة للسلوك ولتحديد النظرة فى الحياة — كان الأفراد المسلمون أفرادا أقوياء فى بنائهم وفى سلامة توجيههم وفى دفعهم للحياة ، وكان المجتمع الإسلامى تبعا لذلك مجتمعا قوياً متماسكا متآزرا ، وكانت أهدافه فى الحياة هى تلك الأهداف التى توحى بها تلك المعانى والمدلولات فى وضوح وعيها وضبطها ، ولا تخرج هذه الأهداف عن كونها تحديدا لإطار المستوى الإنسانى الذى يجب أن يرتفع إليه الأفراد إذا ما انخفض سلوكهم عنه وابتعد توجيههم عن محيطه ، والذى يجب أن يظلوا فيه إذا ما وصلوا إليه .

ولكن لوحظ بعدئذ أن هذه المعانى والمدلولات ابتدأت تفارق وضعها الأول شيئا فشيئا ، وأخذت تبعا لذلك تصور نظرة أخرى فى الحياة كما تحدد منهجا فى السلوك مختلفا عن ذلك المنهج الذى كانت تدعو إليه يوم أن كانت عند وضعها الأول وفى تحديدها على عهد الرسالة وما بعدها إلى أن طرأ عليها هذا التغيير والتبديل .

وربما كان ابتعادها عن وضعها الأول قد تأثر بهدف آخر يختلف عن هدف الرسالة التى جاءت متضمنة إياها ومحددة لها للتطبيق العملى فى الحياة . وبعبارة أخرى ربما كان التخلى عن الهدف الحقيقى للرسالة وهو الارتفاع إلى مستوى الإنسانية لذات الإنسانية والاحتفاظ بهذا المستوى عند الوصول إليه ، هو السبب فى تحويل تلك المعانى والمدلولات وتغييرها عن وضعها الأول الذى كان لها .

ولكى لا نبقى طويلا فى الجو النظرى البحت لتوضيح هذه المعانى والمدلولات وتغيرها عن وضعها الأول يجب أن نشير إلى بعض منها كما يجب أن نذكر التغير الذى طرأ عليها تبعا لتغير الهدف والغاية فى الحياة. ويستحسن أن نصل إلى ذلك عن طريق توضيح الصلة بين هدف الرسالة الإسلامية عندما نزلت وحيا وقرآنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المعانى والمدلولات التى تضمنتها هذه الرسالة فى ذلك الوقت ، كى يمكن أن نسير فى يسر إلى الارتباط الذى أشرنا إليه وهو : أن تغيير الهدف ترتب عليه بالتالى تغيير الوضع الأول للمعانى والمدلولات . فالرسالة الإسلامية ـ كما ذكرنا مجملا ـ تخطط فى حقيقة أمرها المستوى الإنسانى الرفيع الذى يجب أن يصل إليه الفرد الذى يؤمن بالإسلام ، ثم بعد ذلك يجب عليه أن يحتفظ به طول حياته ما دام مؤمنا بالاسلام وبقيمه. ويكون هذا التخطيط معانى ومدلولات هى فى ذاتها وصايا فى صورة مؤكدة يترجمها الانسان المسلم إلى فعل أو إلى ترك . وما يجب أن يفعله هو بعينه ما يجب أن يترك ضده . وعلى ذلك فالمتروكات والنواهى هى اضداد الأوامر التى يجب أن تؤدى بالفعل أو القول .

وفى اختصار : هذه المعانى والمدلولات هى التى يسميها الاخلاقيون : « فضائل » يجب على الانسان أن يتدرب عليها حتى تصير من عاداته ، وتكون له بذلك طبيعة ثانية . ويمكن أن يقال أيضا إن تكوينها عند الانسان هى صورة التهذيب التى يجب أن يكون عليها الانسان المهذب ، وصورة الخلق الكريم الذى يجب أن يتخلق به الانسان صاحب الخلق ، وصورة التربية التى يجب أن يكون عليها الانسان الذى قد تعدته التربية ليصبح ذا تكوين إنسانى .

١ ـ الاحسان :

فاذا جاءت الرسالة الاسلامية بالإحسان وبالحث عليه حتى يكون الإنسان ذا إحسان فالمقصود منه هو كل ما يكسب الانسان حسنا أو كل ما يؤدى بالانسان إلى أن يكون ذا إنسانية فالانسانية فى حقيقة أمرها هى حسن فى كل جانب من جوانبها ، وصاحبها محسن وما يصدر عنها إحسان . والآيات الكريمة التى جاءت فى هذا المعنى تدلنا على ذلك دلالة واضحة . يقول القرآن الكريم فى سورة الكهف « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » . فالاحسان الذى تتحدث عنه هذه الآية وتعد بأن الله لا يضيع أجره هو ذلك الذى يتمثل فى صدر الآية من الإيمان والعمل الصالح . ولا شك أن

الإيمان صورة رفيعة للبشرية ، وأن العمل الصالح أيضا — وهو ذلك العمل الذى يترتب عليه آثاره فى تهذيب النفس وفى قوة ربطها بالآخرين — صورة رفيعة للبشرية ولا يصل إلى هذه الصورة إلا ذلك الانسان الذى قد سعى ليكون إنسانا ويصل إلى مستوى الإنسانية . ويبتعد بذلك عن أن ينحط إلى ما دونه وتحمل فى هذا السعى دفع الأنانية وإبعاد مؤثرات الهوى والشهوة ومؤثرات الاغراء الداخلية والخارجية على السواء التى من شأنها أن تحول بينه وبين أن يكون كائنا ذا مستوى بشرى رفيع .

ويوضح هذا المعنى قول الله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض » . فما أحسن به الله إلى الانسان هو أولا خلقه الذى تحدث عنه فى آية أخرى فى قوله جل شأنه : « وصوركم فأحسن صوركم » ثم ثانيا هدايته التى تكتمل بالإيمان بالله وعبادته على نحو ما يحكم الحديث الشريف عند ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه » مجيبا على سؤال من سأل عن الاحسان .

فالاحسان فى أول مدلول له وأول معنى جاءت به الرسالة الإسلامية هو الصورة الإنسانية الفاضلة المهذبة التى لا يصدر عنها فى الفعل والقول إلا ما يعبر عنها . كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة فى قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان . وفى قوله . « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » . وقوله : « فامساك بمعروف وتسريح بإحسان » . « وقوله : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها وقوله : « وقولوا للناس حسنا » . وقوله : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » وقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فهذه الآيات تناولت الجوانب المختلفة للصورة الإنسانية الكريمة ، وهى تلك الصورة التى تجعل صاحبها محسنا ، وتجعل ما يصدر عنه إحسانا من فعل وتصرف ، أو قول وحديث ، او دعوة ومجاورة .

والآيات الأخرى التى يطلب فيها القرآن الكريم من الإنسان أن يكون محسنا تعطى فقط ما لمدلول الإحسان من وضع أراده الإسلام إرادة أولية ، وهو ذلك الوضع الإنسانى الرفيع ، فإذا قال : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وقال أيضاً « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا » ـ لم يزد عن طلب أن يكون ذا إنسانية فى معاملته وسلوكه ، وإذا

قال أيضاً : « ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقال : « أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . إذا قال ذلك فإنه يبغى فحسب ، ذلك الخلق وهو التقوى والصبر والجهاد فى سبيل المثل العليا والقيم الإنسانية ، هو خلق الإنسان الذى وصل إلى المستوى الرفيع فى الإنسانية ويحدده معنى الاحسان .

وهكذا فى كل ما ذكره القرآن الكريم خاصا بالحسن ، وما اشتق منه من إحسان ومحسنين لم يرد به أكثر مما ذكرنا ، وهو ذلك المستوى البشرى المهذب الذى يترتب عليه استقرار النفس وقوة الصلة بين الانسان والانسان .

فإذا مال الاحسان بعد ذلك إلى معنى آخر هو البذل المادى ، وإلى ما يقربه من معنى الصدقة - فذلك الميل جاء نتيجة لتحول المجتمع وتحول أهدافه من السعى فى سبيل المثل والقيم الانسانية والحرص على الوصول إلى المستوى الانسانى ، ثم البقاء فيه إلى التركيز على لقمة العيش وإلى قصر السعى على تحصيله وحده ، وبمعنى آخر جاء نتيجة لتحويل الهدف من أن يكون هدفا مثاليا رفيعا إلى هدف مادى آخر ، ولم يتحول المجتمع الاسلامى إلى هذا الهدف المادى وحده إلا عند ما ضعف وبعدت الشقة فى حياته بين إدراك القيم الانسانية على حقيقتها والتعبئة عن طريق الايمان للوصول إلى تحقيقها .

والاحسان فى تحوله من معنى المستوى الانسانى الرفيع إلى تحصيل ما يساعد على المعيشة المادية يصور تطور المجتمع الاسلامى نفسه من المجتمع المثالى صاحب القوة فى الايمان وصاحب القوة فى التماسك وفى التعاون والترابط ، وصاحب الدفعة القوية فى تحقيق الأهداف والمثل إلى مجتمع آخر يبتعد كثيراً عنه سواء فى صلات أفراده بعضهم ببعض ، أو فى تحديد أهدافه أو فى تحديد وسيلة تحقيق هذه الأهداف فى الحياة . وإذا كان تحول المجتمع قد أوحى بتغيير المعنى والمدلول للإحسان ، فمن جهة ثانية هذا التغير فى المعنى والمدلول - كما ذكرنا - تعبير عن تحول المجتمع نفسه . وتاريخ المسلمين تبعا لذلك يصور نوعين من المجتمعات البشرية . أحدهما ينشد السمو والرفعة والتفانى فى سبيلهما ، والآخر ينشد الكفاف وينشد البقاء للمحافظة على الذوات من أن يصيبها الفناء بسبب الفقر أو الجوع والإحسان فى فى تطوره من مدلول إلى مدلول يشير لهذا التحول من مجتمع إلى مجتمع .

٢ — الصبر :

وكذلك لو انتقلنا إلى مفهوم الصبر نجده فى ذاته كان له مدلول عند قيام المجتمع الإسلامى الأول ، ثم لما تحول هذا المجتمع إلى مجتمع آخر اخذ الصبر مدلولا ومعنى آخر متلائما مع الوضع الطارىء لهذا المجتمع الآخر . فالصبر فى أول الرسالة الإسلامية كان الصورة العملية للإيمان القوى . على معنى أن قوة الإيمان كانت تتشبث بالإنسان بحيث لا يفارقها ولا تفارقه ، وبالتالى يتحمل فى سبيل الإيمان كل أذى مادى ونفسى . لأنه طالما كان تعبيرا عمليا عن قوة الإيمان فلا سبيل إلى الجزع والهلع ولا سبيل إلى النكوص . وعندما يقول الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الأحقاف : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » ـ يريد جل شانه أن يوصى رسوله بالاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إليه . ولم يكن هذا الاحتمال بسبب فقر اليد أو بسبب أزمة نفسية تعود إلى خيبة الأمل فى تحقيق رغبة شخصية مادية . وإنما كان أولا وأخيرا احتمالا نفسيا فى سبيل الدعوة وفى مواجهة العقبات التى يقيمها خصومها ، كى يكون هذا الاحتمال أخيراً قنطرة توصل إلى الهدف وهو نجاح الدعوة ، أو بعبارة أخرى ترجمة الإيمان بها إلى نتائج عملية فى إقامة المجتمع الجديد الذى أرادته الرسالة السماوية .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فى سورة آل عمران : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . فهذه الآية الثانية تشير إشارة لا ليس فيها إلى أن الصبر فى وضعه الأول ومدلوله الأول كان الاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إلى رسالة الله احتمالا نفسيا قبل أن يكون احتمالا ماديا وعلى وجه الخصوص احتمالا بسبب فقر اليد والجوع .

وهكذا لو مررنا على الآيات القرآنية الذى ذكرت فى الصبر نجد المدلول الذى أشرنا إليه والذى جعلناه مدلولا أوليا لمفهوم الصبر هو ذلك المدلول الذى تقصده الآيات القرآنية الأخرى فإذا قال الله سبحانه : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » . وقال : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط » . وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » . وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » إذا قال القرآن كل هذا وغير هذا فى طلب الصبر والتخلق به فإنه لا يقصد سوى الاحتمال النفسى فى سبيل الإيمان وفى سبيل القيم والمثل العليا

(البقية على صفحة ١٢٧٥)

الله أعلم حيث يجعل رسالته

للأستاذ محمد محمد المدني

١ — اختار الله تعالى أمة العرب من بين سائر الأمم لتلقى آخر رسالة سماوية إلى أهل الأرض بعد أن استحصفت الإنسانية وبلغت مرحلة الرشد العقلي التي تجعلها صالحة لتلقى الرسالة الخاتمة ، واستمداد حكم الله تعالى منها في كل ما يتصل بالحياة إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وإذا تأملنا قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وجدنا هذه الآية الكريمة تشير إلى هذا الاختيار ، فإن كلمة « حيث » صالحة لأن يفهم منها الزمان والمكان والشخص والأمة : فالله تعالى اختار لرسالته تلك الأمة من بين سائر الأمم ، واختار من بين هذه الأمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، واختار شبه الجزيرة العربية بيئة مكانية لهذه الرسالة ، واختار الزمان المعين الذي يوافق أوائل القرن السابع الميلادي زماناً لها .

والذي يهمنا الآن هو أن نعرض على وجه من الإجمال ، السر الذي جعل أمة العرب هي أجدر الأمم بتلقى هذه الرسالة واحتمال أمانة تبليغها إلى العالم .

والواقع أن العالم كله – قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم – كان يسبح في ظلمات بعضها فوق بعض ، ولم يكن العرب بمنأى عن هذه الظلمات ، إذ كانوا مجتمعاً طبقياً كغيرهم . وكان فيهم كثير من العادات المرذولة ، والتقاليد الجاهلية ، ولكنهم مع ذلك كانوا أولى فطرٍ صافية ، وأولى ذكاء خارق . كما كانوا على الرغم من نظامهم الطبقي مجتمعاً متراحماً تسوده أخلاق النجدة ، والمروءة ، والجود ، ولهم في ذلك قصص وأخبار وأشعار حتى ليعجب الإنسان كيف كانوا مع هذه الأخلاق يقدسون الطبقية ، ويؤمنون بالعصبيات القبلية .

فهذا التواضع الذي يصوره قول الشاعر :

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا
وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

يدل على عراقة في الكرم والجود والإيثار ونسيان النفس .

وهذا الشاعر الذي يقول :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

يصف قوما متعاونين متكافلين كأجمل ما يتصور التعاون والتكافل ، أما ذلك الشاعر الذي يقول :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

فإنه يصف النجدة والمروءة بصورة شبيهة بقول أحدهم نثرا : كان إذا غضب هب لنجدته أو لغضبته أربعون لا يسألونه لماذا غضب ! وتلك قوة في التجاوب ليس بعدها قوة .

وهناك ذلك الشاعر الذى يمثل لونا من الحمية الخالصة من التلكؤ ومن إلقاء المسئولية على الآخرين ، إذ يقول :

إنى لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان فى الألف منا واحد فدعوا :
من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

هذه الصفات ونحوها هى التى جعلت من المعدن العربى معدنا قابلا للتهيؤ والتشكل فى صور كريمة ، وقلما نجد أمة من الأمم لها هذا النوع من التجاوب مع الفطرة الإنسانية التى هى فى الوقع تعاون وتكافل وشعور بأخوة الجنس ، واشتراكية الحياة ، وليس معنى هذا أن الأمم الأخرى لا تمتاز بصفات طيبة ، ومعادن كريمة ، فما قصدت إلى هذا ، وليس هو مما يقصد ، ولكنى أريد أن أقول إن الصفات التى امتاز بها العرب - ولكل أمة صفات امتازوا بها - كانت صفات ملائمة لما جاء به الإسلام إلى حد بعيد ، وإن هذه الأمة - مع ما كان يشوبها من وثنية وطبقية وعادات جاهلية - كانت أقرب الأمم إلى تقبل الطابع الإسلامى ، وكان هذا هو السر فى اختيارها لحمل أمانة هذه الدعوة الإلهية الخاتمة.

والقرآن الكريم يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وعلينا أن نتأمل قوله عز شأنه « أخرجت » فإن الإخراج يتضمن اختيار من يصلحون ، وتهذيبهم وتربيتهم ، وإمدادهم بما يعينهم على أداء ما يعهد به إليهم ، وعلينا أيضا أن نتأمل قوله تعالى « للناس » فهو يشير إلى أن هذه الأمة قد أريد بإخراجها أن تكون مثلا للناس ، ومصدر قيادة وتوجيه ، وإنما كانت كذلك لما ذكرناه من مؤهلات اختيارها ، وأساليب إخراجها ، وعناصر خيريتها المشار إليها بقوله تعالى : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وذلك رمز استقامتها ، ومبدأ عظمتها ، « وتؤمنون بالله » وهو مبدأ الشعور بالكرامة والعزة .

وبهذا يتبين أن الإسلام اختار لدعوته أمة صالحة بالفطرة ، وأنه أخرج هذه الأمة أى طبعها بطابعه ، وهذبها وأصلحها بما غرسه فيها من المبادىء والعقائد التى تجعل منها أمة قيادة ودعوة إلى الله .

* * *

٢ — جاء الإسلام فأخرج أمة العرب

للناس كما بينا ، أى طبعها بطابعه ، فما هى ملامح هذا الطابع الإسلامى ؟

إن هذه الملامح تتضح من المبادئ الآتية :

المبدأ الأول : لا وثنية ، بل وحدانية،

وهذا المبدأ هو أعظم مبدأ أعاد للإنسان كرامته الآدمية ، وكرامته العقلية .

فأما كرامته الآدمية ، فلأنه لم يكن من اللائق به ـ وهو الذى اختاره الله للخلافة فى هذه الأرض ـ أن يأتى لشىء فيها من حجر أو شجر أو حيوان ، أو يأتى لشىء مما سخره الله له من الكواكب فيعبده ويخضع له مع أنه هو سيد الكون الذى خلقت كل هذه الأشياء له ، وسخرت لمصالحه .

فالإسلام قضى على الوثنية القضاء الأخير بعد أن حاربتها جميع الرسالات السابقة حروبا كثيرة دون أن تقضى عليها لما كانت عليه العقول من جمود وجهالة ، ولأن الرسالات السابقة لم يكن لها عموم الرسالة الإسلامية ، وإنما كانت محلية فى حدود محصورة زمانا ومكانا .

وأما أن هذا المبدأ قد أعاد للإنسان كرامته العقلية ، فلأنه أظهره على عقيدة « التوحيد » وأيدها أمامه ولم يكن مما يشرف العقل البشرى أن يعلم أن الخالق هو الله ومع ذلك يشرك به ما سواه ، وقد كان العرب يدركون وحدانية الربوبية ، أى أن الله هو الرب الخالق الرازق المنعم المحيي المميت المتصرف فى الكون دون شريك : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » ولكنهم كانوا مع إيمانهم بهذه الحقيقة يجعلون مع الله آلهة أخرى يعبدونها ويقربون لها القرابين ، وكان ذلك شأن الأمم الأخرى أيضا ، فاتخذ الإسلام من وحدة الربوبية دليلا على وحدة الألوهية ، وكان منطقه فى ذلك منطقا عقليا ، إذ كان يصف لهم خلق الله وتصريفه وآثار رحمته ونعمته ثم يقول لهم « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق شىء فاعبدوه » .

المبدأ الثانى : لا طبقية، ولا عصبية .

فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، رابطة الإيمان بينهم مقدمة على رابطة النسب ، والمنافقون بعضهم من بعض ، لأنهم لا يؤمنون بروابط فلا يقال فيهم بعضهم أولياء بعض كما يقال فى شأن المؤمنين ، لأن المنافق ليس له شىء يؤمن به ويدافع عنه ، وإنما هو يبحث عن مصلحته الخاصة يدور معها حيث دارت ، أما المؤمن فله ما يحبه ويؤمن به ويدافع عنه ويوالى ويعادى فى سبيله .

المبدأ الثالث : التوحيد والمساواة يسيران فى الإسلام جنبا إلى جنب، ويخدم كل منهما الآخر.

بيان ذلك :

* أن الله تعالى يجمع بينهما حين يقول : « يأيها النـاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » فقوله « اتقوا ربكم » إشارة إلى مبدأ التوحيد ، وقوله « الذى خلقكم من نفس واحدة » إشارة إلى مبدأ المساواة .

* وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بينهما أيضاً حيث يقول : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد » ، فهما قضيتان متآخيتان .

* والتوحيد يخدم المساواة ، لأن من يعتقد أن لا إله إلا الله ، يعلم أنه هو وجميع الناس مربوبون له ، متساوون أمام هـذه الربوبية ، فليس لأحد حق فى أن يخضع له الآخرون ، لأن الجميع عباد الله .

* والمساواة تخدم التوحيد ، لأن من يشعر بالمساواة بينه وبين جميع الناس ، يعلم أنهم جميعا محتاجون كما هو محتاج ، إلى هذه الرحمة الإلهية التى يحسون كل حين آثارها ،

ويعلم أن هذا الاستواء بين البشر فى الاحتياج والفقر دليل على أن هناك إلها فوق مستواهم وأنه واحد لا شريك له بما خلق ، وإلا لكان الشريك مثله ومساوياله ، بل مناوئاله : « إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

المبدأ الرابع : القسط هو مظهر الإيمان بالربوبية والمساواة جميعا ، وإقامته ضرورة من ضرورات هذا الإيمان .

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » .

« يأيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » .

وقد توافقت الآيتان فى أنهما تطلبان من المؤمنين أن يكونوا « قوامين بالقسط » أو « قوامين لله » ، أى أن يكون العدل والتوازن هو غايتهم ليرضوا الله .

ولكن اختلاف التعبير فى الآيتين يوحى بأن « القوامية بالقسط » هى عين « القوامية لله » وبأن « الشهادة لله » هى عين « الشهادة بالقسط » ولا شك أن هـذا تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله ، وبما بين الإيمان بالإله ، وبين المساواة التى مظهرها الأول هو العدل ، من ارتباط واتساق .

وكما نوه القرآن الكريم بالقسط ، نوه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله « إن المقسطين عند الله على منابر من نور . الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا » .

وقوله « أهـل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف ضعيف ذو عيال » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

من شئون المجتمع :

هدى القرآن فى الأمانات والأموال والأولاد

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

(ا) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

(ب) واعلموا أنما أموالكم ، وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم .

(ا) بعد أن تكونت بجانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فئة من المسلمين تدين بالعقيدة الحقة ، وتجاهد فى سبيلها صار القرآن يخاطبهم كثيرا « بيا أيها الذين آمنوا » وإنما خصهم بهذه النداءات لأنهم تخلصوا من الكفريات ، وتهيأوا للعناية بتربيتهم ، وتطهيرهم من دنس الجهالة ، فكانوا أهلا لتلك العناية ، ولتنشئة مجتمع طيب منهم ، عريق فى دعائمه ومشخصاته ، وملامحه .

حتى كان من تلك العناية أن يتكرر نداؤهم بوصفهم هذا : الإيمان - فى آيات متعاقبة ، أو متقاربة ، كما نرى فى سياق آياتنا هذه من سورة الأنفال بالنسبة لما قبلها وما بعدها ، وفى مقامنا هذا يعمد القرآن إلى توجيه المؤمنين نحو أمور ثلاثة : من أهم قواعد النظام فى حياة المجتمع .

الأول - الأمانات، وما تقتضيه من صيانة.

والثانى والثالث : الأموال ، والأولاد ، واعتبارهما فى دنيانا نعمة ، أو فتنة مضلة . وقد سبق فى سورة النساء أن أمر الله تعالى بتأدية الأمانات إلى أهلها تأكيدا لما فى سورة البقرة من قبل .

١ - والجانب الأول من موضوعنا الآن - نهى الله عن الخيانة لله ، وللرسول ، والأمانات بيننا .

فإذا وعينا تكليف الله لنا بتأدية الأمانة، ثم وعينا نهيه عن الخيانة : وجدنا أنفسنا

أمام وجهة من الكمال ينشدها الدين فيمن يريدون الخير لأنفسهم .

وخيانة الله تكون بالتخلف عن مطاوعة دينه فيما أمر ، أو فيما نهى .

وسواء أكان ذلك التخلف فى عبادة ، أو معاملة أو فى نشاط فردى أو جماعى فى تحصيل الأرزاق ، وإنجاز الأعمال فى مواقيتها ، وعلى وجه الإتقان كما أحب الله من عبده إذا عمل عملا ما .

فهذه جوانب النشاط فى حياة سليمة من الآفات ،والمرء فيها بحاجة إلى الاهتداء بتشريع الله حتى يكون متجاوبا فى مسلكه مع دين الله ، وتكون معيشته لونا صادقا تتمثل فيه بوضوح مظهرية الدين الذى يعيش فى ظلاله .

والانحراف عن هذا المسلك القيم المستطاع يعتبر خيانة لله فيما عهد به إلى المؤمنين فضلا عن كونه انحرافا لا يكفل نجاحا مطرداً ، وإن صادف نجاحا مؤقتا .

فإن سنة الله فى تدبير ملكه ، والتى قامت عليها فطرة الحياة تأبى أن يكون للباطل دوام . .

٢ ـ وحينما نقرر أن الأمانة بمجموع الامتثالين فعلا ونهياً لا يكون أحد الجانبين كافيا فى تحقق الأمانة أو اتصاف الإنسان بالأمين .

فربما كان المصلى مرائيا ، وربما كان المزكى ظالما ، وربما كان المجاهد مختلسا ، وفاعل هذا لا يسمى أمينا ، ولكنه خائن ، لانتقاصه أمانة الله ، وخدشه إياها من أحد الجانبين ـــ فعل المنهى عنه ـــ .

وخيانة الرسول بالإعراض عن دعوته ، وإهمال سنته فيما بين من أحكام القرآن وآدابه ... وقصارى الحديث فى هذا أن خيانة الرسول فى جملتها وتفصيلها هى خيانة لله ، فإن الرسالة النبوية أمانة الله التى حملها إلينا محمد رسوله ، فكانت طاعة الرسول أو مخالفته هى فى موضوعها طاعة لله أو مخالفة له .

ومن أجل هـــذا كان الاقتران بينهما فى أسلوب القرآن: « ومن يطع الله ورسوله ـ وأطيعوا الله والرسول ـ ومن يعص الله ورسوله . . . » .

والقرآن يتعرض لهذا فى كثير من آياته المفصلة ثم يتعرض له إجمالا فى مثل قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وما دامت الأمانة فى جانب الله ورسوله واحدة ، والخيانة كذلك واحدة : لوحدة الموضوع فيهما فالتنصل من الحفاظ عليها يعتبر نقصا فى الدين . وهنا يتضح قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ لا إيمان لمن لا أمانة له ـ وهل يكون مؤمنا فى اعتبار العقل فضلا عن الشرع من يخون الإيمان فيما يقتضيه ؟ ؟ وإن ذلك الحديث ليتسع لأنواع الأمانات ، وفيها الأمانات بيننا .

ونحن نعلم ما بين الناس من عهود واتفاقات وودائع وأسرار ، واشتراك فى أعمال ، وأموال . ونحو هذا يطول تفصيله كعلاقات الحاكم بالمحكوم ، والقاضى بالمتحاكمين ، والشاهد بالمشهود الخ ...

وكل هذه أمانات تقتضى صيانتها من العبث بها ، أو الخروج فيها عما فرض لها من محافظة عليها . . وفى المساس بها خطر على مصلحة الفرد أو المجموع .

فمن وراء الخيانة فيها زعزعة الثقة بين الناس ، وتعويق عن النجاح فى أمور تحتاج إلى السرية كما يشير النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فى قوله ـ واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ـ

وعندما نفطن إلى الخيانة وأثرها فى الإضرار بالحياة العامة ندرك حكمة الله فى تحريم الخيانة على أى وجه من الوجوه ، ومهما تكن فى شىء ضئيل ـ فمعظم النار من مستصغر الشرر .

ومما يزيد مأثمها أن يرتكبها الناس عالمين بكراهية الله لها ، وبأسباب الحظر فيها . . وهذا هو قول الله : « لا تخونوا الله ، والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

أى تعلمون شأن الأمانات ورعايتها ، وأضرار الخيانة ، وبشاعتها ، وكراهية الله لمخالفة حكمه ، فإن ارتكاب المحظور على علم يزيد فى جرم صاحبه وعقابه .

وليس من قبيل الأمانة المرعية فى نظر الإسلام مجالس السوء ، ومؤمرات الأشرار وأحاديث المجون ، وما لا يتفق مع توجيهات الدين إلى الخير .

فإنكار ذلك كله ، والكشف عنه لمقاومته ودفع أضراره قبل حصوله حق على المسلم .

وهو ما يشهد له قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « المجالس بالأمانة : إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » فهذه أسرار لا حرمة لها ، ويجب أن تعلن لمقاومتها ، وكف أصحابها ، وسلامة الناس من آثارها .

كما يشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فأن لم يستطع فبلسانه ، فأن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » .

يريد النبى صلى الله عليه وسلم مقاومة المنكر بكل وسيلة ممكنة .

هذا مجمل القول عن الأمانات فى تشريع الله .

(ب) والجانب الثانى من موضوعنا : جانب الأموال والأولاد : إذ فى الكلام ضميمة قوية ، أفصحت عنها الآية الثانية : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ،

١ ـ فلا شك أن المال والولد نعمة محببة إلى النفس تستبد بفرحة الإنسان ، وتتحكم فى توجيهه يمينا ، وشمالا .

والقرآن يشيد بهما كثيرا .. وهو يتجاوب فى هذا مع فطرة الإنسان فى إعزاز المال والولد : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ... وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا ... يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

٢ — ثم مع هذا يحذرنا القرآن من تلك النعمة فى قوله هنا « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » .

فهما نعمة ، وزينة ، وهما فتنة وبلاء ... هما نعمة يغتبط لها الإنسان ، ويزهى بها ، وهما غرور ، وخيلاء ، ومدعاة البطر والتجبر .

وقديما كان المال والأولاد مفاتن للناس ، يتغنون بذكرهما فى مجال التفاخر ، ويتكاثرون بهما حين التطاول على الغير ، والمباهاة بالثراء والعصبيات : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » ولأنهما نعمة ، وفتنة : نبه القرآن كثيرا على حسن التصرف فيهما ، وأنهما اختبار يتضح به شأن الإنسان فيهما كأمانة عنده : أيرعاها حق رعايتها أم يسىء فيكون اختياره بهما وبالا عليه « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » .

وكان الكافرون يظنون أن الله يعطيهم لخصوصيات فيهم .

وكذلك شأن الكثيرين فيمن سلف ، ومن خلف .. وكم حاقت المهالك بأمم كانت أشد من سواها قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا .. فما أغنت عنهم أموالهم ، ولا أولادهم !!

٣ — ولعل حديثنا هذا - عن الأموال والأولاد - يقرب إلى الأذهان ما أريده : من أن تعرض القرآن لها بعد التكليف برعاية الأمانات ، وعدم الخيانة فيها كيفما كان نوعها - يعتبر من جديد إشادة بهما ، كما يعتبر تنصيصا على الحيطة فيهما ، والتحذير من الفتنة بهما حين وجودهما ، أو الاسراف فى الجزع لأجلهما حين الحرمان منهما .

فالفرح المفرط ، والأسى والتحسر كلاهما فتنة موبقة ، وتصرف محذور ومحظور .

وفى الناس والحمد لله عقلاء يدركون أن الأموال والبنين وديعة الله لدى خلقه ، فهو يودعهما ، أو يودع أحدهما عند من يشاء ، ويستردهما ممن يشاء .

وفى ترديد هذا يقول الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع

٤ — ومن هـذا ندرك فى سهولة أن التوجيه إلى الأمانة ، وعدم الفتنة بالأموال والأولاد متعلق بالمحظوظ فيهما ... كما هو متعلق بالمحروم .

فذلك يغتبط ، ويشكر ، ويكون بماله وأولاده خيرا لنفسه ، ولوطنه ، ودينه ، فلا تكاثر ، ولا صلف ، ولا تجبر ولا إفساد .

والمحروم يرضى ويصبر ، فلا جزع ، ولا

حفيظة على الناس ، ولا يأس ولا زهادة في الاجتهاد ، ولا كراهية للحياة .

وحينذاك يكون اختبار الفريقين بالعطاء في جانب ، والحرمان في جانب : اختبارا موفقا حيث لم يكن من المحظوظ إلا حسن تقدير وشكر ، ولم يكن من المحروم غير تسليم وصبر ، وقد وعد الله الفريقين وعدا حسنا في نهاية الآية بقوله « .. وأن الله عنده أجر عظيم » .

٥ ــ هذا ــ وقد لا تجد المال والولد في اعتبار الناس سواء ، بل يزاحم أحدهما الآخر . . فهذا إنسان يكدح في الكسب ، ويضني نفسه وأولاده في تحصيل المال من طرقه المشروعة أو غير المشروعة ، ثم يضن به على نفسه وأهله ، ويكنزه عن بعض وجوه الخير : حبا ذاتيا للمال ، وتفانيا في تكديسه وحراسته ، وكأن المال خلق غاية لا وسيلة ، وهذا الضنين يجني بشحه على ذويه ، وعلى الوطن جناية مزدوجة ، فالحرمان مبعث الفساد في الأولاد ، وحبس المال عن إطلاقه في مجال الاستثمار وتعميم النفع « ... الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ــ . وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما » .

ومثل هذا مثل السارق من الوطن : يأخذ ويخفي ، ويمد يده للسلب ، ولا يمدها للعطاء ، فهو عدو لمجتمعه .

وذاك إنسان آخر يبسط يده في الإنفاق بما لديه . ويبالغ في تدليل نفسه وأولاده ، ولا يتردد أن يختلس ، أو يغتصب ، أو يرتشي ، ليشبع نهمه ، ويرضي شهوات البنين ، ولا تزجره الأزمات ، ولا يقف في سبيله العجز المادي إذا فرغت يده مما تملك ، فلديه وسائله الشيطانية الكثيرة .

ومن شأن هذا الإتلاف أن يجر إلى الضرر بالكثيرين ممن يتعرضون له في مجتمعه ، فضلا عن كونه أنبت أولاده في مباءة فساد ، وسلطهم بتربيته الضارة على الأمن العام وحقوق الغير ، فالمبالغة على أي وجه من وجوهها في حب المال ، أو الأولاد على حساب المال مفسدة ، ومخلة بالتوازن ، وعبث بالأمانة في المال والولد ، وضررها كالوباء المتفشي بين القوم .

والله تعالى يلزمنا بالأمانة كفرض ديني : لا لمجرد التعبد بها ، فليست عملا نحصله ، ونجهد أنفسنا به قربة إلى الله !! . بل يلزمنا بها كمبدأ خلقي نعتصم به ، ونتحمل بالتزامه في حقوق الله ، وحقوق الناس .

وما دامت نوازع الشر دائما مشبوبة ، ووقائع الخيانات متلاحقة ، ومتنوعة فكأن الناس على جهالتهم الأولى ، وكأن الآيات في الأمانات واجتناب الخيانات تنزيل جديد ، والله الحفيظ .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

دراسة عن علي مبارك :

علم الدين : الشيخ والكتاب

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ١ —

علم الدين : اسم كتاب ألفه على مبارك ، وأجرى حديثه على لسان متحدث سماه بالإسم نفسه : الشيخ علم الدين ، وهو ليس كتاب أدب ولا تاريخ ولا علم ولا سياحة ولا لغة ولا قصص . وإنما هو كتاب جمع هذا كله وزاد عليه . جعله على مبارك فى مائة وخمسة وعشرين فصلا ، سمى كل فصل منها «مسامرة». فجاء فى أربعة أجزاء كبار . والمسامرات أحاديث أجراها بين جماعة من الأصدقاء ، هم شيخ أزهرى وابنه ، وسائح إنجليزى محب للغة العرب عالم بها . وآخرون عرفهم هؤلاء فى رحلتهم التى رحل فيها الشيخ وولده إلى أوربا فى صحبة صديقهم الإنجليزى وعلى نفقته ، وبأجر منه .

أما أسلوبه فسهل يسير صحيح العبارة . لا يلتزم السجع وإن كان يجنح إليه إذا جاء طبيعيا غير مفتعل ولا متصنع . أسلوب يرضى عنه القارىء المعاصر الذى اعتاد أن يقرأ السهل الميسر المفيد من الكلام . ويرضى عنه الذى يريد أن يتذوق شيئاً من السجع والمحسنات ، من غير سرف فيها . وإذا راعينا أسلوب الكتاب ومستوى الكتابة فى ذلك العصر ، نستطيع أن نقول إنه كان ، فى كتابه هذا ، سابقا لعصره . يتميز عن معاصريه من الكتاب ويفوقهم إلى حد كبير .

وهو فى سياق هذه المسامرات التى أجراها عن سيرة علم الدين أو فى سياق الأحاديث التى يحدثنا بها على لسانه ، يستشهد بشىء من القرآن الكريم والحديث . ويذكر شيئاً غير قليل من الشعر ، وشيئاً آخر من الأمثال والحكم والنوادر المأثورة والقصص التهذيبى أيضاً .

ونستطيع أن نقول إن «علم الدين» هو أول كتاب ألفه كاتب على هذا النحو القصصى فى الأدب العربى الحديث . فقد سبق ظهوره ظهور «حديث عيسى بن هشام» الذى ألفه محمد المويلحى ، بعشرات السنين . كما سبق «ليالى سطيح» الذى ألفه بعد ذلك حافظ إبراهيم . وقد سلك فى تأليفه مسلكا باعد بينه وبين الملل والسآمة . فنحن نقرأ علم الدين فى أجزاء أربعة كبار . فنجده شيقا مشوقا يثير فى نفس القارىء الرغبة فى أن يقرأ ويسترسل

ويمن . حتى النصائح والعظات يسوقها مساقاً رقيقاً رفيقاً لا يبدو فيها متعالماً ولا ناصحاً أو زاجراً . وجعل الحديث أو «المسامرات» كما سماها ، بين أكثر من واحد .

وهو لم يسلك هذا المسلك فى تأليفه اعتباطاً ومصادفة . بل سلكه عن إدراك وتمييز . وذكر فى مقدمته أنه اختار هذا المسلك لأنه رأى « النفوس كثيراً ما تميل إلى السير والقصص وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة ، والعلوم المحضة » .

ليس كتاب « علم الدين » رحلة ولا قصة ولا حوارا يتضمن كثيراً من مبادئ العلوم والفوائد وطرائف المعرفة . بل هو كل ذلك جميعاً . ويتضمن فوق ذلك شيئاً من طريف القصص . كقصة يعقوب مع أخته التى ترهبت وماتت فى الدير . فهى قصة شيقة حقا . قصها يعقوب على أصدقائه الشيخ وابنه وللسائح الإنجليزى عندما تعرف إليهم وصادقهم . وكقصة هذا القاتل الكسيح الذى فصّل قصته فى المسامرة الخامسة بعد المائة . ومنها نعرف أن على مبارك يجعل المجتمع مسئولا عن جريمة المجرم . إذا لم يهئ له أسباب العيش ، وكانت قوانينه فى مصلحة أهل السيادة . وقد أبرز رأيه هذا إبرازا قويا فى قصة طريفة شيقة مؤثرة .

ويبدو على مبارك فى كتابه هذا معلما من الطراز الأول . مشغولا ومشغوفا بالعلم والتعلم والتعليم . فهذا الإنجليزى فى القطار بين القاهرة والإسكندرية مع رفيقه الشيخ لا ينى يعلمه ويتعلم منه . يتحدثان فى البخار والسرعة والمقاييس واللغة وما يتعلق بالسير والمسير وملابساتها . فإذا نزلا فندقا فى الإسكندرية تحدثا عن الفنادق والنظافة والسياحة ومعرفة البلاد والناس ، والخلطة بين بعضهم وبعض . فإذا نزلا المدينة تحدثا عن البريد وفوائده ، وكيف يحمل رسائل الناس بعضهم إلى بعض ، وما يفيده ذلك فى التجارة والمعرفة والصلات ، فإذا سارت بهم السفينة تحدثا عن البحر ، وكيف عرف الناس ركوبه أول الأمر ، وعن السفن وكيف بدأت أخشابا ساذجة غشيمة منحوتة ، حتى صارت كأنها مدن هائلة تسير بالبخار ، ويتحكم الربان فى مسيرها أكثر مما يتحكم الفارس فى فرسه الملجم . وكيف عرف الناس فى البحار وجهتهم أول الأمر برصد النجوم والشمس والكواكب حتى عرفوا البوصلة ، كما عرفوا قياس السرعة التى تسير بها السفينة . ويتحدثان فى هذا الأثر البعيد الذى أحدثته فى حياة الناس هذه السفن وإقدام الناس على ركوبها وتسخيرها لحملهم وحمل بضائعهم .

كما يتحدثان فى هذا العالم الواسع الذى تضطرب به أعماق هذه البحار والمحيطات ،

وما أودع الله فيها من عوالم وأحياء وأسرار.

وكما يتحدث الشيخ علم الدين إلى صديقه الإنجليزى حديث العلم والمعرفة . يتعرف ابنه الشيخ أيضا إلى إنجليزى آخر بحَّار على الباخرة فيتحدثان حديث العلم والتاريخ والثقافة . ويضمن الإبن هذه الأحاديث رسائل يبعث بها إلى أمه فى القاهرة .

وفى مقدمة علم الدين يبد وعلى مبارك ، منذ اللحظة الأولى متدينا مؤمنا . وهو فى الوقت نفسه عالم يفسر ظواهر الطبيعة تفسيراً علميا ثم يخلص من هذا المزج بين العاطفة الدينية والإدراك العلمى ، إلى إحساس صوفى إنسانى شامل (١) ، ثم ينعطف من هذا الإحساس الصوفى الإنسانى إلى إحساس وطنى قومى . وهو بعد إبراز هذه العاطفة ، وتوكيد هذا الإحساس ، ينتقل به من التعميم إلى التخصيص فيحدد طريق النفع الذى يجب على صاحب العاطفة الوطنية أن يخدم به وطنه ، يحدد هذا الطريق بأنه إشاعة العلم والمعرفة .

ونجد لعلى مبارك ذوقا ولمتاحية فى اختيار الأسماء . وهو ذوق يشى بهذه العاطفة الدينية أيضا . فاسم صاحب الرحلة « علم الدين » . والزوج التى اختارها له اسمها « تقية » ، وولده منها إسمه « برهان الدين » .

(١) ص ٥ – ٦ من المقدمة .

الفن وأصوله :

والكتاب من الناحية القصصية أو الفنية لا يلتزم قواعد الفن وأصوله . فهو يجعل زوجا جاهلة فقيرة من أهل القرن التاسع عشر فى القاهرة هى تقية تتعلم على يد زوجها حتى تجادله فى أمور دقيقة من شؤون الفكر والفلسفة ، كعقيدة الجبر ، وما يعرفه الأصوليون وأهل الكلام بالصلاح والأصلح ؛ والعرض والجوهر كما تجادله فى القضاء والقدر ، وفى ذلك المعنى الذى تحدث عنه الشاعر فى شعره : —

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأفهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقاً

وهو ينطق هذه الزوج بكثير من الشعر والحكم كما أنطقها بكثير من دقائق العلم .

ونجد فى موضع آخر أنه أنطق الشيخ بما يستبعد جداً أن يعرفه ، من حديث اللغة المصرية القديمة والأعياد المسيحية .

وكأن على مبارك لا يرسم قصة يلتزم فيها حدود الإمكان والبيئة والطبيعة وحدود الواقع ، أو الخيال الذى يلتزم إمكان الوقوع ، بل يود ويتمنى . ويغرب به الخيال إغرابا بعيداً ، فكأنه حين أنطق هذه الزوج الجاهلة

بهذا الحديث، وأجرى فى فهمها وعلى لسانها هذا الحوار، كان يتمنى أن يجد المرأة المصرية وقد بلغت هذا المبلغ من الإدراك والمعرفة، أو يجدها وقد نالت هذه الحرية مع زوجها فى الحديث والمحاورة والمجادلة، أو نالت عنده هذه الكرامة التى تجعله يستمع إليها متحدثة ومجادلة.

وكذلك شأنه مع الشيخ فيما أنطقه به من حديث الأعياد المسيحية واللغة المصرية القديمة.

وتبدو ظاهرتان فى بعض هذه المحاورات بين الزوجين، : تقية وعلم الدين، أولاهما أن تقية تكثر من الكلام على قدر ما يكثر هو من الإصغاء. ولئن كانت هذه الظاهرة أمرا حقاً بالنسبة لطبيعة المرأة وواقع أمرها. فإن الظاهرة الثانية ليست كذلك. وهى أن الحديث الذى يجريه على لسانها أقوى حجة، وأقوم منطقا، وألسن بيانا من ذلك الذى يجريه على لسان أستاذها وزوجها علم الدين ... !

ومما يمكن أن يؤخذ أيضا على كتاب «علم الدين»، من الناحية القصصية أو الفنية، أنه لم يراع واقع الأمر ولا احتمال إمكانه فى هذه الرسائل الطويلة التى كان يرسلها برهان الدين لأمه فى القاهرة. فعلى مبارك يجعل برهان الدين يحدث أمه الريفية القاهرية فى أمور من الثقافة قد لا يعرفها الآن كثير من الرجال المثقفين فى عصرنا الحاضر. فكيف بامرأة قاهرية ريفية من القرن التاسع عشر، يحدثها عن علم الأجناس، وأصول البشر، وإلى أى جنس ينتسب الأوربيون والعرب والتتار والأمريكيون، ويحدثها عن نشأة الأديان وافتراق المسيحية إلى مذاهبها من الكاثوليكية واللوثرية والبرتستانتية وما بينها من اختلاف، وعن افتراق المذاهب الإسلامية إلى أشعرية ومعتزلة وخوارج وجبرية وشيعة ونجارية ومشبهة، إلى آخر هذه المذاهب وما بينها من فروق، ويذكر لها أسماء واصل بن عطاء، ومحمد بن الحسن النجار، وغيلان الدمشقى ويونس الأسوارى، ومعبد الجهنى، إلى غير هذه الأسماء التى لا يعرفها إلا الراسخون فى علم الكلام والمذاهب والفرق، كما يذكر الشيخ فى رسائله إلى زوجه كثيراً من الإحصاءات الدقيقة التى لا يعنى بها إلا خاصة الباحثين والعلماء.

ويحدثها كذلك فى أنواع الحكومات: الجمهورية، والملكية، المطلقة منها والمقيدة. وعن نظام الشورى، والجيوش، والحصون، إلى غير ذلك من الأحاديث.

ومع هذه الإحاطة والدقة والحرص على الاستيعاب نجده عندما تصل السفينة بالشيخ وولده وصديقه الانجليزى إلى الساحل

الأوربى ، يقول إنهما كانا يتحاوران فإذا بضجة « فى صدر السفينة ، تبين أنها إشارة للوصول إلى الميناء » ولكنه لم يبين لنا أى ميناء هى من بين هذه الموانىء المتعددة التى يمكن أن يصل إليها الراحل من مصر إلى أوربا . . ! ثم نعرف بعد صفحات طوال أنهم نزلوا ميناء مرسيليا .

ومن هذه المآخذ أيضا حديثه عن تلك الفتاة الفرنسية التى جعل الشيخ الشاب برهان الدين يجلس إلى جوارها على مائدة الطعام ، فهو يصفها بقلمه بما نعرف من أوصاف الفتاة الأوربية ، من الرقة واللطف والتهذيب والأناقة والجمال والانطلاق الذى يجعلها تشارك الرجال فى الحديث وتبدى إعجابها بالشيخ الشاب وفتوته ومظهره ولباسه الشرقى ، وهو فى حديثه هذا صادق فى وصف المرأة الأوربية ، كما نعرفها وكما شهدها .

ولكنه عندما يستشهد على فتنة هذه الفتاة وجمالها يذكر هذين البيتين من الشعر العربى القديم :

وتميس بين مزعفر ومعصفر ... ومعنبر وممسك ومصندل

هيفاء إن قال الشباب لها انهضى ... قالت روادفها : اقعدى ، وتمهل

وهو فى هذين البيتين قد أبعد البعد كله عن وصف المرأة الأوربية ، فهى إذا تعطرت لا تتعطر بالصندل والمسك والعنبر ، وإذا لبست لا تلبس المعصفر والمزعفر ، وإذا نهضت لا تقعدها ولا تثقل عليها الروادف والأعجاز . بل ذلك كله من صفة المرأة الشرقية القديمة وخصائصها كما نعلم .

على أننا نجده هو نفسه يصف هذه الفتاة نفسها بعد قليل من الصفحات ، بأنها هيفاء . وهذا الشعر الذى وصفها به منذ قليل ، والذى يقول إنها لا تكاد تستطيع أن تنهض لثقل أردافها ، إنما يصدق على المرأة الألياء (١) ، لا على المرأة الهيفاء .

وقد نجد هذه الظاهرة فى غير هذا الموضع ، مما اقتبس فيه على مبارك شيئاً من الشعر العربى القديم .

ومن الناحية اللغوية قد نجد بعض أخطاء بينة الخطأ فيما يكتب (٢) ومع سلامة أسلوبه وصحته وانطلاقه . لم يخل من أخطاء بعضها واضح من الصعب أن يصدق الإنسان أن يجهل على مبارك وجه الصواب فيها . وقد يكون خطأها من مصحح الكتاب . فهو لم يخل من خطأ فى التصحيح والترقيم والفهارس . ونجد شيئا من ذلك فى الخطط أيضاً (٣) .

---

(١) الثقيلة الالية . الكبيرة العجيزة .

(٢) انظر ص ٦٢٤-٦٢٥ جزء ٢ من الكتاب .

(٣) انظر مثلا ص ١٣ ج ٣ من الخطط .

ومما يلاحظ على « علم الدين » أن على مبارك جعل الشيخ وأصحابه يزورون الحدائق العامة في باريس . ويبدون إعجابهم وسرورهم بحديقة الكسمبورج كما يزورون « البورصة » ويتعرفون طرق التعامل فيها . ولكنهم لم يزوروا دار الكتب الأهلية في باريس .

وقد تعلم على مبارك في فرنسا . وأجاد اللغة الفرنسية . ولكنه يجعل صديق الشيخ إنجليزيا . وكذلك صديق ولده بهاء الدين . وجعل الشيخين يتعلمان اللغة الإنجليزية ويتحدثان بها دون الفرنسية . ولا نستطيع أن نقول إن ذلك كان سببه الاحتلال الإنجليزي لمصر . فقد ألف على مبارك كتابه هذا قبل هذا الاحتلال . وطبع في السنة التي دخل فيها الإنجليز مصر .

والذي نعتقده سبباً هو إعجاب على مبارك بالأمة الإنجليزية وثقافتها وحضارتها . وهو إعجاب نجد له ذكراً ودلائل في غير موضع من كتابنا هذا . وسبب آخر هو ما نعرف من اهتمام الإنجليز بالشرق وتقدمهم في علوم الاستشراق .

ونجد في « علم الدين » شيئاً من التكرار . فهو ، مثلا ، يتحدث عن المكان الذي قسمت فيه الغنائم عند دخول العرب القاهرة . يذكر ذلك عند حديثه عن « المقس » [1] ثم يذكره مرة أخرى عند حديثه عن « جامع المقس » [2] . بل نجد الجمل في الحديثين ، تعاد كما هي ، بحروفها وألفاظها .

ويذكر على مبارك في « علم الدين » ألوانا عجيبة من « المعرفة » يذكر أن اللغة السريانية كانت لغة آدم . وأن الطوفان وقع قبل ظهور المسيح بثلاثة آلاف وثلثمائة واثنين وأربعين سنة . بل يعرف ويحدد موعد هبوط آدم من الجنة ، فيقول إنه كان قبل الطوفان بألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة . ويذكر أن الهرم الأكبر بنى بعد الطوفان بألف وثمانمائة وخمسين سنة . ويحدد جلوس الملك منيس على عرش مصر بأنه كان بعد موت نوح بخمس سنين . إلى آخر هذا الكلام العجيب الذي نقله عن الكتب القديمة وغيرها .

ونجد في المقال القادم ، عند حديثنا عن التعريف بعلم الدين ، شيئا من حديث آخر عن التزامه أصول الفن وقواعد الصدق فيه .

(البقية في العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

(١) ص ١٠٥ ج ٣

(٢) ص ٦١ ج ٤

من معانى القرآن

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم »

معنى حسبتم ظننتم

والعبث ـ هو اللهو واللعب

والعرش هو السرير ويكنى به عن الملك (بضم الميم)

لم نخلق للعبث

ومعنى الآية ـ والله أعلم ـ هل غفلتم عن الحكمة فى خلقكم فظننتم أن ذلك كان لعبا أو انكم وجدتم فى هذه الحياة لتلهو أو تلعبوا وأنكم لا ترجعون إلينا بعد الموت لنحاسبكم على أموالكم فيم أنفقتموها ، وعلى قواكم فيم استخدمتموها ، وعلى كل ماقدمتم من خير وشر .

« تعالى الله عن أن يلهو ويلعب بخلقكم وسبحانه أن يتصف بهذا النقص المعيب وتعالى الله عن أن تكون الحكمة فى خلقكم هى أن تلهو وتلعبوا فى هذه الحياة ، فإن ذلك غرض تافه حقير ، إذا لاق بكم فى تقديركم فانه لا يليق به سبحانه ، إنما خلقكم لعبادته بالنظر فى ملكونه واكتشاف أسراره فى خلقه ، والعمل الجاد المثمر فى عمارة الأرض ، والقيام بما فرضه عليكم من واجبات نحو الله ونحو أنفسكم ونحو إخوانكم فى الدين والإنسانية .

وتعالى الله عن أن يدع الظالم يذهب سالما غانما بما اغتصب واكتسب من حقوق الناس أو يدع المظلوم يذهب محروما مهموما بما وقع عليه من ظلم أو إثم ، إن عدل الله يأبى ذلك ، وسيرجع الناس إليه ليحاسبهم على ما قدموا ، فيكافئ المحسن ويعاقب المسىء وينتصف للمظلوم من الظالم .

وليس له من معقب على حكمه ، فإنه الملك وما سواه مملوك ، الحق الثابت الدائم ، وما عداه حائل زائل ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا شريك فيه فى الملك ، فإنه وحده رب العرش الكريم .

والعرش يكنى به عن الملك والسلطان ، أو هو من أمور الغيب التى لا تقع عليها الحواس ولا تخضع للملاحظة والتجربة ، إنما نؤمن بها لأن الله ذكرها ، ونضع أمام أعيننا قوله سبحانه « ليس كمثله شىء » لتنزهه عن أن يكون حجما أو جسما أو جرما أو محدودا بمكان أو زمان ، سبحانه « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

عبد الرحيم فوده

في أصول الفقه :

وحدة الحق وتعدده

في المسائل الفقهية الاجتهادية

للأستاذ محمد سعاد جلال

مقدمات :

١ — نؤثر أن نقدم لهذا البحث بشرح مستقل لبعض الكلمات التي يكثر دورانها في عرض مسائله مثل الحق والحكم الشرعي ، والدليل ، واليقين ، والظن ، وخطاب الشارع ، فإن اختصاص هذه الجملة من الكلمات المتكررة . بشرح منفرد بين يدي هذا الموضوع يعين إن شاء الله على تمييز أجزائه وتذليل صعوباته وتحصيل الغرض من فهمه

الحق :

٢ - بالرجوع إلى مصادر اللغة الموثوق بها (١) - تجد أن معنى كلمة « حق » الشيء الثابت أو الموجود الثابت ، وفعله حق الشيء إذا ثبت يحق من باب « قتل وضرب » حقا إذا ثبت ، ووجب .

ولما نقل هذا اللفظ إلى استعملات أهل الصناعات من المفسرين والفقهاء والمتكلمين جروا في استعماله على عادتهم في تشكيله بما يوافق غرضهم ، ويخدم صناعتهم .

قال الفخر الرازي : الحق : الثابت الذي لا يسوغ أنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب ، « وحقت كلمة ربك » ، وثوب محقق أي محكم النسج (١) ولم يجاوز الرازي هنا أوضاع اللغويين ، لكن إطلاقه لفظ ، التحقيق على أحكام النسج في قولهم « ثوب محقق » فيه نظر فإن الاستشهاد في هذه المواضع التي تفسر فيها مفردات اللغة إنما يكون ببيان معانيها الحقيقية ، لا المجازية ، وقد نص صاحب الأساس على أن هذا الاستعمال « ثوب محقق » من قبيل المجاز . فهل نقول إنه مجاز اندرس الالتفات إليه فصار حقيقة على مثل ما قالوا في بعض تعليل وجود المشترك في اللغة أو يكون المراد من ذكر هذا المقال مجرد الإيضاح لمعنى الثبوت والوجوب المدلول عليهما بلفظ الحق ، كل من الغرضين جائز .

لكن الشيخ أبا السعود صاحب التفسير

(١) اللسان ، القاموس ، المختار ، المصباح ، الأساس ، تعريفات الجرجاني . كليات أبي البقاء ،

(١) ص ٢٤٦ ج ٢ .

لم يقنع بمطلق الثبوت فى تفسير لفظ الحق . كما فعل اللغويون وكما فصل الفخر الرازى ، وإن كان وضح الأصل بكلمة « لا يسوغ إنكاره » فقال - أعنى الشيخ أبو السعود - الحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لاحالة بحيث لا سبيل للعقل إلى انكاره لا الثابت مطلقا فهنا قد زاد أبو السعود قيدا ، أو تفسيرا - لا يوجد عند أهل اللغة ، وقال الجرجانى : فى تعريفاته « الحق فى اللغة الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، وفى اصطلاح أهل المعانى هو الحكم المطابق للواقع ، يطلق على الأقوال والعقائد ، والأديان والمذاهب ، باعتبار اشتمالها على ذلك .

وأما الصدق . فقد شاع استعماله فى الأقوال خاصة ويقابله الكذب ، وقد يفرق بينهما - أى بين الحق والصدق - بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع ، وفى الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه .

كما قال آخر (١) . الحق مطابقة الواقع للاعتقاد ، والصدق مطابقة الاعتقاد للواقع وعبارات القوم تدور كلها فى هذا المقام على هذا المعنى .

(ب) وذكر الراغب . أن الحق اسم يقع على أربعة معان ، أحدها أنه يقال لموجد الشىء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا سمى الله بالحق ، قال تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ، وثانيها أنه يقال للشىء الموجود بحسب ما تقتضيه الحكمة . وثالثها أنه يقال فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه الشىء فى نفسه ، كقولنا اعتقاد المسلم فى البعث والثواب والعقاب حق .

ورابعها . أنه يقال للفعل والقول ، بحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، وذلك كقول القائل فعلك حق وقولك حق . قال تعالى « كذلك حقت كلمة ربك » . لكنه قد انفرد عن جمهرة (١) اللغويين الذين استقرأنا هذا اللفظ فى معاجمهم بإثبات معنى آخر ، هو « المطابقة» قال « أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الدار فى حقه لدورانه على استقامة » .

فهذا المعنى الجديد الذى يعبر عنه بأنه « أصل الحق » هو ما لم نجده فى مصادر اللغة الكبيرة المشهورة كاللسان والأساس وغيرهما مما يشبه حد الاستقصاء ، مما يجعلنا نستبعد أن يكون المعنى الذى ذكره هو المعنى المباشر للكلمة ، أو المعنى المطابق إن شئت ولو كان

(١) البرجندى فى شرح مختصر الوقاية .

(١) اللسان ، والمصباح .

هذا المعنى المباشر أو المطابق للكلمة لم يفت جملة كتب اللغه التى اطلعنا عليها أن تثبته .

٣ — هذه الأقسام الأربعة المذكورة إن كان قد ذكرها الراغب على جهة الحصر فعمل غير صحيح ، لأنه لم يذكر من بينها أشهر المعانى « للحق » وهو الموجود الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، سواء جعل اسما من أسماء الله أم لم ينظر إليه كذلك وهو ما اشتهر ذكره عند المفسرين .

وإن كنا نرجح أنه ذكر الوجوه الأربعة المذكورة يريد بها الحصر لأنه أشار فى مقدمة كتابه ، بما يفيد ظاهره أنه يستوفى معانى مفردات القرآن ، ولأن الاكتفاء بذكر عدد من الاقسام فى مقام البيان يفيد الحصر .

وبقى أن نسأل لماذا لم يعرج على ذكر المعنى المشهور مع أنه من المستحيل أن يكون قد جهله (١) .

صحيح أنه يمكن تفسير جميع كلمات الحق الواردة فى القرآن وهى قريب من تسعين ومئتى كلمة على أساس النظر لهذه الوجوه الأربعة .

لكن المعانى المحتملة الواقعة تحت اللفظ الواحد أوسع نطاقا من أن تضبطها هذه الوجوه الأربعة . ولا يجوز إبطال وجه زائد على الأربعة تستشرف له بعض المعانى المحتملة ، وربما كان فى موضعه أكثر صوابا وأصح فى مذاقات اللغة .

اليقين والظن : (١)

إذا أذعنت النفس للتصديق بقضية من من القضايا وسكنت إليها . فلها مع هذا التصديق ثلاثة أحوال .

الحال الأول : أن تستيقين التصديق بهذه القضية وتقطع به ثم تعود فتقطع ثانية بأن قطعها الأول بتلك القضية ، كان قطعا صحيحا ، لم يدخله غلط ، ولا سهو ولا تلبيس ، وتبلغ فى ذلك اليقين مبلغا لا يقبل التشكيك أصلا بحيث لو ادعى نبى من الأنبياء نقيض ما آمنت به هذه النفس واستيقنته ، وأظهر على صدق دعواه معجزة معاينة ، لامتنعت أن تترجح عن تصديقها ، بل شكت فى معجزة هذا النبى ، بدل أن تشك فى يقينها فعدتها شعوذة أو سحرا ، فذلك هو اليقين .

ولو خطر لهذه النفس ، وهى بإزاء المعجزة التى يظهرها من يدعى إثبات نقيض اعتقادها أن الله ربما يكون قد أطلع هذا النبى على سر

---

(١) كان هذا الرجل باطنيا متفلسفا على طريقة الحكماء فهل من المحتمل وجود صلة بين التعالم الباطنية والإعراض عن تسمية الله بالموجود الثابت الخ .

(١) تلخيص وتيسير عن الغزالى فى المستصفى .

به انكشف له نقيض اعتقادها ، لو خطر لها مثل هذا الخاطر فى مثل هـذا الموقف لم يكن الذى اعتقد يقينا . ومثال ذلك التصديق بأن الشىء لا يكون قديما حادثا ولا موجودا معدوما ولا ساكنا متحركا فى آن واحد ، وما كان أمرا من جنس هذا القبيل الذى لا يعقل أن يقبل التشكيك أبدا ولا يحتمل النقيض أصلا .

الحالة الثانية : أن تستيقن النفس بقضية من القضايا وتجزم بها وتستعصى على قبول التشكيك فيها فى أول الأمر ، ولكنها إذا هوجمت بالتشكيك فى اعتقادها بأسباب قوية ، استرخى مقادها وتوقفت تتأمل وتنظر ، لم يعتبر مثل هذا التصديق يقينا فى الواقع وإذا كان الذى سكنت إليه النفس من المعتقد يسمى اعتقاداً جازما ومنه اعتقاد كثير من أهل المذاهب فى مذاهبهم الموروثة .

الحالة الثالثة : أن يكون للنفس سكون إلى الشىء والتصديق به — وهى تشعر بنقيضه أو لا تشعر لكنها إذا شعرت بنقيضه ، لم ينفر طبعها عن قبوله فهذا — ما يسمى ظنا .

إذن : فاليقين ما تجزم به النفس ، ولا تقبل التشكيك باحتمال نقيضه أصلا ودائما ، وفى كل الأحوال ، ويمتنع أن يخطر ببالها هذا الاحتمال .

والظن ما تسكن النفس لتصديقه على احتمال حصول نقيضه ، سواء شعرت بذلك أم كانت مستعدة للشعور به ، أما تصديق النفس بما اعتقدت تصديقا جازما لا تمارى فيه ولا تشعر معه بالنقيض أصلا ، إلا إذا حلت عقدتها أسباب التشكيك القوية ، فأورثها ذلك توقفا وتأملا ، وهى الحال الثانية التى أسلفنا ذكرها . فلم يستطع الغزالى — الذى ننقل عنه هذه الفكرة — كلها — أن يعتد بها يقينا ، وإن سماها اعتقادا جزما ، يقول الغزالى بالنص فى تصوير التفرقة بين المرتبة الأولى والمرتبة الثانية فى درجات التصديق — وهى كلمة يجب الوقوف عندها طويلا ، وكافة الخلق إلا آحاد المحققين يسمون الحالة الثانية يقينا ولا يميزون بين الحالة الثانية والأولى ، والحق أن اليقين هو الأول والثانى مظنة الغلط ،

محمد سعاد جلال

للكلام بقية

خطأ فى فهم التعبئة الروحية

للأستاذ محمد رجب البيومى

> « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك »
>
> (قرآن كريم)

تنظر إلى الحضارة الإسلامية فى عصورها السالفة ، فتجدها أنقذت الأرواح من مهاوى الذلة ، وجعلت الفتوحات الحربية سبيلا إلى نشر المبادئ الإسلامية ، وإعلاء القيم الإنسانية ، حتى سادت الناس فى مختلف الأصقاع المفتوحة روح من الكرامة المنصفة ، والمساواة النزيهة ، وعرف الأعجمى أنه نظير العربى يتمتع بحقوقه وينال مثل نصيبه ، بل يفضله إن برّز عليه بتقوى الله ، واستقامة القصد ، ثم تنظر إلى حضارة أوربا فى القرن العشرين ، فتجد ذئابا تنطلق إلى فرائسها الطاوية فى الأمم المغلوبة لتنقض عليها تمزيقا بالأنياب وولوغا فى الدماء ، ثم تتعارض الأطماع ، وتتنـازع الأهواء تكالباً على الفريسة الجريحة ، فتدور الحرب بين الأقوياء ، ليصطلى بنارها المذنب والحمل والمذنب والبرئ ، وتنكشف المعركة عن غالب يستشرى شره ، فيجمع قواه لينقض من جديد على فرائس ضعيفة ، غلبت على أمرها ، وعاث الاستعمار برجولتها وثروتها وإنسانيتها ، فأصبحت هدايا توزع على موائد الصلح لتسام ما اعتادته من الذل والاستنزاف ، فى دنيا أهدرت بها الكرامة البشرية ، وتحكم فيها الهوى الطامع بجبروته المبيد .

تنظر إلى الحضارتين ، شرقية وغربية ، فتجد الحضارة الإسلامية قد أسعدت الأرض لأنها استندت إلى دين عادل ، يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، ويهدى الفوز الغالب للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا فى خير أمة أخرجت للناس ؛ ثم تلتفت يسرة ، لتجد حضارة أوربا فى حاجة إلى قيم روحية تقدس مكارم الأخلاق ، وتصون كرامة الإنسان أن تنحدر بها الأطماع إلى مستوى الوحوش الضارية فى الغابات ، وقد ندد عقلاء المفكرين فى الغرب بهذه المدنيـة المادية التى تسود أوربا اليوم ، ورأوا بها من المبيدات الجائحة ، هولا أكثر من هول الصواريخ والدبابات والطائرات ، إذ تحللت من أكثر قيود الضمير الأدنى ، وفسحت للغرائز الهابطة مجالا شائنا تنحط به

المتع المسفة ، وتتفكك به الأواصر المشتجرة ، فإذا الانحلال النفسى ينخر فى الكيان الناهض ، ويوشك أن يميد به إلى القاع السحيق ، وإذا كانت الحضارة المادية قد أخذت علينا السبيل فى بلاد الإسلام ، فلن نعتصم منها بغير تعبئة روحية إسلامية تعيد مجد العصور السالفة وتقف سياجا حائلا دون البلاء الوافد ، والشر الهاجم ، !! ذلك ما أجمع عليه الرأى فى كل مكان ، فليس بيننا - والحمد لله - من يشك لحظة من جدوى التعبئة الروحية .
بل تضافرت الجهود على الإشادة بها تأليفا وخطابة ومحاضرة وإذاعة ، حتى أصبحت من المسلمات البدهية فى عهد الثورة والتحرير ، وصرت اليوم فى غنى عن الإشادة بأثرها الموجه ، وضرورتها الملزمة ، ولكنى الآن بصدد معارضة من يفهمونها على غير وجهها الصحيح ، لأن العلاج المخطئ أشد خطرا على الجسم المريض من قسوة الداء نفسه ، فإذا اتفقنا جميعا على ضرورة التعبئة الروحية فلابد أن نتفق على طريقها الصحيح ، فلا تزل قدم بعد ثبوتها .

لقد أصدرت سلسلة « اقرأ » فى شهر ديسمبر سنة ١٩٦١ كتابا تحت عنوان « التعبئة الروحية فى بناء المجتمع » بقلم الأستاذ الدكتور حسن الأشمونى ، فسارعت إلى قراءته فى شوق وحمدت للدكتور الكريم حسن النية ، ونظافة المقصد ، وحسبه ذلك شرفا ، ولكنى وجدته يرسم للتعبئة الروحية طريقا غير طريقها الصحيح ، إذ لا يرجع بها إلى مبادىء الإسلام ، القوية ، من حرص على الحياة الجادة ، وطلب للعمل المثمر ، واعتصام بالخلق الدينى فى خوض غمار الحياة معاملة وتعليما واختراعا واكتشافا واستثمارا بل يرجع بها إلى التصوف وحده ! ثم يفيض فى شرح أمور التصوف من مقامات وأحوال وزهد وفقر وتوكل ، ويرى ذلك كله سبيل للتعبئة الروحية فى العصر الحديث .

وأنا قبل كل شىء — لا أنكر نزاهة التصوف الجاد ، ولا أحارب التأليف فى ميزانه وأحواله ، والكشف عن روحانيته واستشفافه ولا أمنع التعريف برجاله وأبطاله ففى المتصوفين السابقين قمم عالية ثابرت وناضلت حتى فتحت آفاقا من المثالية يستشرق لها المؤمن بروحه ، ويتطلع إليها ببصيرته ويلتمس فى الحديث عنها سأما من ضيق وإمتاعا من مشقة ، ولكنى أعارض وأمنع وأنكر أن تكون التعبئة الروحية فى القرن العشرين مستوحاة من سلوك هؤلاء الزاهدين لأن التصوف - كما رسمه المؤلف فى كتابه — رحلة انسحابية يترك فيها الصوفى أمور دنياه وهمـــوم معاشه ليستشرق إلى المقامات والأحوال والفناء !! وديننا الإسلامى دين العمل والقوة والحياة ، وسبيل ذلك أن نخوض تيار الوجود فنتمتع بما أحل الله من الطيبات ، ونقود الإنسانية إلى مراشدها

الضالة ، فنعد لأعدائنا ما نستطيع من القوة ونعلى صروح العلم والخلق والضمير على هدى بصير من كتاب الله ، وذلك - أو بعضه فقط - ما يتعذر على الصوفى أن يقوم به فى سبحاته التائهة واعتزاله البعيد .

ولئن أشق على الدكتور الفاضل فى سبيل إقناعه ، إذ أننى سأستعرض فى إيجاز سريع من أقواله وحدها ، ما يتعارض ويناقض ، ولعله فى نشوة هيامه الصوفى لم يلق بالا لهذا التعارض الصارخ ، فترك السطر من قوله يرد على السطر السابق أو اللاحق .

يقول الدكتور الأشمونى - ص ١٤ - « والتجربة الصوفية تجربة شخصية لا تخضع لأى نوع من القياس والبرهان ولا سبيل إلى وصفها ، فإن الحروف والألفاظ تعجز عن التعبير عنها ، وإيفائها حقها من البيان » وأنا أقول فى سهولة يسيرة : إن التجربة الشخصية التى لا تخضع لنوع ما من القياس والبرهان ، والتى لاسبيل إلى وصفها هذه التجربة لا تصلح أساسا للتعبئة الروحية ، إذ أننا لو سلمنا فرضا بصلاحيتها للمجتمع ، لا يمكن أن نجذب إليها الناس ، إذ كيف ندعوهم إلى شىء غامض لا نقدر على وصفه ، وهب أن المدرس أو الواعظ أو الكاتب قد اقتنع بضرورتها وأراد أن يطبع الناس بطابعها ، فماذا يقول لهم ؟ ! ، أيقول : إنى أدعوكم إلى شىء بعيد خفى لا أقدر على وصفه وإيضاحه ! ! وإذا قال ذلك فماذا يكون رد الجمهور المعبأ عليه ! قد يُوَجّه مثلُ هذا الكلام إلى فنان شاعر يستلهم أشواقه ونوازعه فى ساعات الصفاء ، أما أن يكون أساساً لتعبئة المجتمع الإسلامى فمن الذى يقول ؟ ومن الذى يسمع ؟ !

ويقول المؤلف الفاضل - ص ٢٢ - « وليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة عداء واحتقار ، فهذه كلها رواسب ليس لها أساس من الدين الذى يدعو الناس إلى أخذ نصيبهم من الدنيا والسعى فى مناكبها » وهذا قول صادق نباركه ، وندعو إلى المزيد منه ، ولو أن المؤلف قد اعتقده اعتقاداً جازما ما جعل التعبئة الروحية تدور على التصوف الانسحابى ! لأنه فى كتابه هذا قد جعل الكيان الصوفى ينهض على أمور ثلاثة هى الفقر والزهد والتوكل ، وأفاض إفاضة وافية فى خصائص كل أمر من هذه الثلاثة ، وكأنه أوجب على نفسه أن يحسّنها إلى الناس بما مهد من مقدمات وسرد من حكايات .

فالصوفيون عنده - أولا - سعداء بفقرهم يجدون فيه مظهراً من مظاهر قربهم إلى الله - ص ٣٩ - فقد سئل شقيق البلخى : بأى شىء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حظ الفقر ؟ فقال بأن يخشى الغنى ويغتنم الفقر !! وسئل أيضا : بأى شىء يعرف العبد أنه

اختار الفقر على الغنى ؟ فقال : يخاف أن يكون غنيا ، فيحفظ الفقر بالخوف كما كان من قبل يخشى أن يكون فقيراً فيحفظ الغنى بالفقر » .

واللطيف أن الدكتور مع أفقه الواسع لا يزال يعتقد أن فقر الصوفى يدعو إلى تكبره على الناس فى القرن العشرين ، كما كان الحال فى العصور الأولى ، كأن أبناء هذا الجيل ينظرون إلى الانساحبيين الفقراء نظرة رفيعة تجعل هؤلاء يشمخون ، ويتكبرون ، وإذا وقع بعض ذلك فى عصور باهرة حين كان لبس المرقعات فخرا أى فخر ، أفيمكن أن يكون الفقر فى عصرنا هذا مدعاة الزهو بدنيا تتحفز إلى المجد ، وتنطلق إلى أبعد غايات الازدهار !

والصوفيون - ثانيا - سعداء عند الدكتور بزهدهم ، وليس معنى الزهد لديهم اجتناب ماحرم الله فقط ، ص٤٢ ، فهذا ليس من الزهد فى شىء ! بل هو أول واجبات العبد، أما الزهد الذى يعنيه الكاتب فهو ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا حراما كان أو حلالا ، فقد قال أبو سعيد الأعرابى . اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك ، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن أمور الآخرة !

والصوفيون - ثالثا - سعداء بتوكلهم عند المؤلف ، وكنت أظن التوكل مفهوما لديه على وجهه اللغوى ، فإذا به ينقله إلى معنى التواكل بما ساعد من أمثلة ، فأصبحنا منه على خطر محيق ، وإليك بعض ما قال .

(ا) سئل أبو عبد الله الجلاء - ص٤٦ - ما تقول فى الرجل يدخل البادية من غير زاد فقال . هذا من فعل رجال الله عز وجل ، فإن اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق ، فعاد السائل يقول . فإن مات ؟ فأجابه . الدية على القاتل، والقاتل هنا من ؟ هو الله عز وجل .

(ب) سقط درويش فى نهر دجلة ، فصاح به رجل على الشاطىء رآه لا يعرف السباحة . أتريد أن أدعو لك من يخرجك إلى الشاطىء فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل ، أتريد أن تغرق ؟ فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل فماذا تفعل إذن ؟ فقال الدرويش . يفعل الله ما يشاء فما شأنى بإرادتى .

وإنى لأتساءل بعد ذلك إذا كان الفقر والزهد والتواكل طريق التصوف كما رسمه المؤلف ، فلماذا ذكر قوله السابق - ص٢٢ - : « ليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة احتقار » والصوفيون باعترافه قد عاشوا فى العزلة ، ونظروا إلى الدنيا نظرة احتقار حين أقاموا صلاح أمورهم فيها على الفقر والزهد والتواكل ، فإما أن تكون الحياة الروحية التى تقوم عليها التعبئة الصحيحة غير حياة المتصوفين ، وهذا

ما نعتقده جازمين ، وإما أن يكون التصوف أساس هذه الحياة ، وقد كشف الدكتور عن علاماته الثلاث . وهو بها لا يخرج عن العـزلة والاحتقار ، أفلا يلمس القارىء تضاربا صريحا بين القاعدة والمثال ، وتناقضا صارخا بين السطور والصفحات ! !

وكأنى بالدكتور الأشمونى ، وقد أحس ذلك فى أعماقه ، ولكن هيامه بالتصوف الانسحابى جعله يتغافل كثيراً عن إيضاح مشاعره الدفينة ، إذ أن بعض العبارات قد ندّت منه فى سرعة عاجلة ، لتثبت شعوره الأصيل « فهو يقول مثلا ـ ص٢٢ ـ » «وقد يرى القارىء فى هـذه الصورة ـ صـورة التصوف ـ نوعا من التطرف ، الذى يبدد فى الانقطاع التام والقعود ، ولكنه يجـد نفسه فى النهاية وقد خرج بمزيد من معانى الحق والخير والجمال ، وشحنة هائلة من المثل والمبادىء ، التى اختص بها الصوفيون أنفسهم على توالى العصور » والكاتب الذى يحكم على التصوف بالتطرف حين يدعو إلى الانقطاع والقعود ـ وهما ما هما ـ ثم يفيض بعد ذلك فى مزايا الزهد والفقر والتواكل لا ينسجم مع نفسه تمـــام الانسجام ، وأخشى أن أقول : إنه لم يتبين عاطفته الصريحة إزاء هذا الموضوع الدقيق .

وسأحاول جهدى أن أنصف الدكتور ، لأرفع هذا الخصام الموهوم بين الناقد والمنقود فأعلن أن المؤلف ـ كما يظهر ـ أراد شيئا ، ثم ساقه اطلاعه العاَجل إلى أشياء ظنها بما أراد ، فأوقعته فى هذا الحرج الشاق ، فقد فقد قال فى ـ ص ١٥ ـ مانصه « ونحن لا نجانب الصدق إذا قلنا إن التصوف يستطيع أن يكون قوة دفع تخـدم جميع أهداف المجتمع حتى المـادية منها ، فليس من شك فى أن بنـاء المجتمع بناء قويا متينـا عزيز الجانب يرجع إلى مدى ما يكون لأفراده من صفاء النفوس ومتانة الخلق ، واستعداد للتضحية وإنكار الذات ، وهى كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ، ويروضون مريديهم عليها ، وهـكذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلى المشاركة فى مطالب الحيـاة اليومية ، فتؤدى إلى تدعيم أركان المجتمع ، وتحقيق خيره ، بدل أن تكون دافعا إلى العزلة والعزوف عن الدنيا » .

فهذا الـكلام فى غاية النفاسة والسـداد ، لو أتبع ذلك بصفحات تصور صفاء النفس ومتانة الخلق والاستعداد للتضحية وإنكار الذات ، لتـكون تطبيقا واقعيا على ما يريده من غزو الفضائل الروحية للنفوس ، ولـكنه لم يفعل ذلك ، بل تكلم عن التصوف الاعتزالى واقام دعائمـه على الفقر والزهد والتواكل ، وشفع ذلك بعبارات التـأبين والتجنيد ، فـكانـــ كلامه السابق خطبة عرش ملـكية

فى المقدمة لاتجد التنفيذ فى الأبواب والفصول فأصبح حينئذ غير ذى موضوع ! .

ولو كان الدكتور جعل عنوان كتابه « نظرة فى التصوف » ما كتبت حرفا واحدا فى معارضته ، ولكنه صمم على أن يكون « التعبئة الروحية فى بناء المجتمع » ثم جعلها ترتكز على التصوف ، وهنا المشكلة ، وقد تعرض فى باب التصوف والمجتمع ـ ص ٨٦ إلى مأزق ضيق لم يستطع الخلاص منه ولو راجع فكره فى ثقة وإيمان ما سمح لقلمه بتسطير العنوان كما جاء ، ففى هذا الفصل ذكر فى صراحة أن أهم ما يؤخذ على الصوفية « أنهم لم يشجعوا العمل والسعى من أجل الرزق ، وأمعنوا فى التوكل غاية الإمعان ، وحرموا على أنفسهم الزواج على أساس أنه من العوائق التى تشغلهم عن المضى فى طريقهم الروحى ، فالتصوف ينطوى على نظرة عداء للدنيا وإعراض عنها ، وقمع لشهوات البدن وأهواء الحس من أجل تنمية الروح » ثم قال فى تبرير ذلك ، ما نصه :ـ ص ٩٠ ـ « ونحن إذا حاولنا أن نقيم الصوفية من خلال هذه النظرة ، وجدنا أنه من الإنصاف أن نبدأ أولا ببيان أمرين نعتقد أنهما على جانب كبير من الأهمية ، وأول هذين الأمرين أن الصوفيين أنفسهم كانو ينظرون إلى طريقتهم فى التهذيب الروحى وإلى نزعاتهم التى تختلف أحيانا مع الطبيعة البشرية وتحول بينهم وبين أن يكونوا عوامل بناء وخلق فى المجتمع ، كان الصوفيون ينظرون إلى ذلك على أنه منهج خاص بهم يكفل لهم الوصول إلى غايتهم ، لا أسلوب للسلوك يجب فرضه على سواهم من الناس ، . . فالصوفية إذن لم يقصدوا أن يكونوا حملة لواء دعوة عامة » .

ولنا أن نقول بعد ذلك متعجبين : إذا كان الصوفيون ينظرون إلى طريقتهم ونزعاتهم فى التهذيب الروحى على أنها منهج خاص بهم ، وأسلوب للسلوك لا يجب فرضه على سواهم ، فلماذا يجعل الدكتور من منهجهم ذلك طريقا للتعبئة الروحية ، أيكون معهم ملكيا أكثر من الملك نفسه ! ؟ ثم ألا يكون لنا بعض العذر حين نقول إن فكرة الكتاب مرفوضة من أساسها لشئ واحد غير ما قدمناه وهو أن أصحاب الفكرة أنفسهم يعترفون ببعدها عن نطاق المجتمع ، ويؤمنون بأن منهجها لا يسير مع المنهج السوى المألوف ، وإذا تمحل المؤلف بأننا نستطيع أن نأخذ من صفاتهم بعض المحامد فى التعبئة الروحية ، ثم نأخذ الصفات الأخرى من تعاليم الإسلام الاجتماعية ، فإننا نقول له : ما هذا العنت الشاق ؟ لماذا لا نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله مباشرة ؟ دون نظر إلى شئ خاص كالتصوف يعترف أصحابه أنفسهم بأنه بعيد كل البعد عن منهج الحياة ، !

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أصول الإثبات والتعاقد في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

الشريعة الإسلامية تساير كل تطور سليم صحيح، وقد سبقت شرائع الأمم الأوروبية. ولم تتبدل أو تتغير بل تغيرت تلك القوانين والتشريعات على مر الأيام، هذه الشريعة الغراء أتت بأحكام هامة في الإثبات والتعاقد وردت جميعها في القرآن الكريم في آية الدين وهي قول الله تعالى جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب، وليملل الذي عليه الحق، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا، فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل، واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، وأشهدوا إذا تبايعتم، ولا يضار كاتب ولا شهيد، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » سورة البقرة الآية (٢٨٢).

فإننا إذا تمعنا فيما اشتملت عليه هذه الآية من مبادىء قانونية في الإثبات والتعاقد نجد أنها دستور للمعاملات بين الأفراد وسنوضح فيما يلي أهم هذه المبادىء التشريعية والنظريات الفقهية.

مبدأ الإثبات بالكتابة:

فرضت الشريعة الإسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدين المؤجل مهما كانت قيمته، وذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » وقوله جل شأنه « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله » ويدخل تحت لفظ الدين، كما نعرف، كل التزام أيا كان نوعه فيدخل تحت لفظ الدين الرهن والقرض والبيع بثمن مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك من أنواع الالتزامات.

وظاهر من هذا النص أنه نص عام ومرن إلى آخر حدود المرونة والبساطة، وأنه يصلح للتطبيق في كل حين وهذا أحد مميزات الشريعة التي هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل.

ولنرجع بعيداً إلى اليوم الذى نزل فيه هذا النص على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنجد أن العرب كانوا أميين يعيشون فى أعماق البادية، وفى خشونة من العيش، وأن المعاملات تقل بينهم بحيث أنهم فى غنى عن تشريع خاص ينظم شئونهم، ولكن هذا السمو الذى امتازت به شريعتنا الغراء عن كافة الشرائع الأخرى بإتيانها هذا النص وتنظيمها شئون المعاملات بين الأفراد إنما أتت به شريعة كاملة دائمة تصلح للتطبيق على كافة الشعوب والأمم وجميع العصور والأزمنه. فالشريعة الإسلامية هنا تميزت على القانون إذ أن القانون يأتى على قدر حاجة الناس له، بينما هى فى هذا المقام لم تأت لتتفق مع أمية العرب وجهالتهم وإنما جاءت شريعة كاملة صالحة للتطبيق فى كل حين كما أن هذا النص شرع لحكمة سامية، فالشريعة الإسلامية - شريعة الأمم الناهضة الربانية - فرضت الكتابة بين الأميين لتحملهم على أن يتعلموا فتتسع مداركهم وتتثقف عقولهم، ويحسنوا فهم هذه الحياة الدنيا فيصبحوا وقد تعلموا أهلا لمنافسة الأمم الأخرى والتفوق والسيطرة عليها وخلافة الله فى الأرض، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية، أما الغرض القانونى فهو حفظ الحقوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الريب والشكوك.

فالشريعة حين أوجبت الكتابة فى الصغير والكبير جاءتنا بنظرية عظيمة ذات وجوه سياسية واجتماعية وقانونية، وهذه النظرية التى نزل بها القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام فى القرن السابع الميلادى هى من أحدث النظريات فى القوانين الوضعية وفى المذاهب الاجتماعية الحديثة، فالدول قد بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تفرض على شعوبها أن يتعلموا تعليما إجباريا رجالا ونساء، وهذا الذى تفرضه الدول على الشعوب إنما هو تطبيق للنظرية الإسلامية فى ناحيتها السياسية والاجتماعية.

وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية للنظرية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حين اشترط القانون الفرنسى الذى أخذت عنه القوانين الأوربية أن يكون الدين مكتوبا إذا زاد عن مقدار معين، ولكن شراح القانون رأوا أن نظرية الإثبات بالكتابة تكون أكمل وأكثر توفيقا لو اشترطت الكتابة فى الصغير والكبير على السواء، وظلوا ينادون برأيهم هذا حتى حققته أخيرا بعض دول أوربا، ولا يزال الشراح فى الدول الأخرى ينادون به ويأملون تحقيقه.

ويتضح مما سبق أن أحدث نظريات الإثبات فى عصرنا الحاضر هى نفس نظرية الشريعة الإسلامية أخذت بها بعض القوانين الوضعية ولا يزال الشراح فى بعض الدول يطالبون دولهم أن تأخذ بها.

مبدأ إثبات الدين التجارى :

اشترطت الشريعة كما بينا آنفا الكتابة لإثبات الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا ، ولكنها استثنت من هذا المبدأ العام حالة الضرورة ، وذلك قوله تعالى «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته» كما استثنت الشريعة أيضا من مبدأ الإثبات بالكتابة الدين التجارى فأباحت إثباته بغير الكتابة وذلك فى قوله تعالى جلت قدرته «إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها» والحكمة من هذا الاستثناء أن الصفقات التجارية تتطلب السرعة ولا تحتمل الانتظار ، ولأن المعاملات التجارية أكثر عددا وتنوعا ، فاشتراط الكتابة فيها يؤدى إلى الحرج وقد يضيع فرصة الكسب على المشترى أو يعرض البائع للخسارة ، ومن أجل هذا لم تقيد الشريعة المرنة المتطورة الكاملة المعاملات التجارية بما قيدت به المعاملات المدنية من اشتراط الكتابة .

ويتضح من هذا النص المتقدم مرونته وعموميته إلى آخر الحدود بحيث لا يحتاج إلى التعديل أو التبديل ، وليس أدل على ذلك من صلاحيته لوقتنا الحاضر مع أنه نزل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومن يعرف شيئا عن تاريخ العرب وحالهم وقت نزول هذا النص يعلم تمام العلم أن النص لم ينزل مجاراة لحال الجماعة أو تمشيا مع ما وصلت إليه ، وإنما كان نزول النص ضرورة لتكميل الشريعة الدائمة المتطورة ولرفع مستوى الجماعة ، وتوجيهها الوجهة الصالحة.

وليس أدل على سمو الشريعة وكمالها من من أن نظريتها فى إثبات الدين التجارى هى نفس النظرية السائدة اليوم فى القوانين الوضعية الحديثة وأنها تعتبر أحدث ما وصل إليه القانون الوضعى فى عصرنا الحاضر .

مبدأ البينة على المدعى :

من المبادىء المقررة فى الفقه الإسلامى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى» . رواه البخارى ومسلم . وللبيهقى بإسناد صحيح : «البينة على المدعى واليمين على من أنكر» .

ويقول الأستاذان بيدان وبرو : جزء تاسع فقرة ١١٥٩ ص٢٣١ هامش رقم ١ فى القانون المدنى الفرنسى : (إن القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى ليست ، كما قد يتوهم ، من القواعد التى كانت مقررة فى كل العصور . فهى لم تظهر فى القانون الرومانى إلا منذ

أخذ البريطور Prétur يحمى مجرد الحيازة فيحمى الوضع الظاهر ، وعندئذ ألقى عبء الإثبات على من يدعى خلاف الظاهر ، أما فى القانون الفرنسى القديم ، فقد كانت العادات القديمة تجعل عبء الإثبات على المدعى عليه لا على المدعى ، وإن كان ذلك يبدو غريبا ، وهذا بسبب الصبغة الجنائية للدعوى فى القديم عما نزل بوضع المدعى عليه دون وضع المدعى بل إن هناك من الوثائق . التى ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى ، ما يثبت أن دعوى الاستحقاق التى يكلف فيها المدعى بإثبات ملكيته لم تكن ترفع ، وفقا لهذه العادات القديمة ، إلا ضد الحائز بسوء نية أو الحائز ضد القانون ، مما يحمل على الظن بأن الحائز هو الذى كان عليه أن يثبت أن حيازته مشروعة . ولم تظهر القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى فى القانون الفرنسى القديم إلا تدرجا فى العصور الوسطى ، تحت أثر إحياء القانون الرومانى ، وبفضل القانون الكنسى بوجه خاص (انظر فى ذلك رسالة تفنيه Thévenet فى نظرية عبء الإثبات ، ليون سنة ١٩٢١ ص ١١ وما بعدها) . وينتهى الأستاذان بيدان ويرو إلى القول بأن من الخطأ حسبان القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى من القواعد التى تمليها البداهة وتقضى بها طبيعة الأشياء ، فإن الواقع من الأمر أن هذه القاعدة لم تظهر إلا بعد أن نظم القضاء تنظيما خاصا ، وإلا بعد أن برز المبدأ الذى يقضى بحماية الأوضاع الظاهرة .

ولعل ذلك يكشف عما للفقه الإسلامى من فضل التقدم ، فقد قرر هذه القاعدة منذ البداية ، فى عصر لم تكن فيه معروفة فى أوربا ، وقد أخذت سائر القوانين الحديثة بهذا المبدأ ، فالمدعى هو الذى يحمل فى الأصل عبء الإثبات ، سواء كان دائنا يدعى ثبوت الدائنية أو مدينا يدعى التخلص من المديونية . كما تقول المادة ٣٨٩ مدنى مصرى .

نظرية من الملتزم فى إملاء العقد :

جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ عام أوجبته فى كتابة العقود هو أن يملى العقد الشخصى الذى عليه الحق ، أو بمعنى آخر أضعف الطرفين ، والمقصود من هذا المبدأ العام هو حماية الضعيف من القوى ، فكثير ما يستغل القوى مركزه فيشترط على الضعيف شروطا قاسية ، فإن كان دائنا مثلا قسا على المدين ، وإن كان صاحب عمل سلب العامل كل حق واحتفظ لنفسه بكل حق ولا يستطيع المدين أو العامل أن يشترطا لنفسيهما أو يحتفظا بحقوقهما لضعفهما ، فجاءت الشريعة وجعلت إملاء العقد للطرف الضعيف ، لتحفظ به حقوقه . ولتحميه من التورط ، ولتكون شروط العقد معلومة له حق العلم وليقدر ما التزم به حق قدره .

وهـذه الحالة التى عالجتها الشريعة من يوم نزولها هى من أهم المشاكل القانونية فى عصرنا الحاضر ، وقـد برزت فى أوربا فى القرن الماضى على أثر نمو النهضة الصناعية وتعـدد الشركات وكثرة العمال وأرباب الأعمـال ، وكان أظهر صور المشكلة أن يستغل رب العمل حاجة العامل إلى العمل أو حاجة الجمهور إلى منتجاته ، فيفرض على العامل أو على المستهلك شروطا قاسية ، يتقبلها العامل أو المستهلك وهو صاغر ، إذ يقدم عقد العمل أو عقد الاستهلاك مكتوبا مطبوعا فيوقعـه تحت تأثير حاجته للعمل أو حاجته للسلعة ، بينما العقد يعطى لصاحب العمل كل الحقوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل تبعات ذلك العقد الذى نسميه اليوم فى اصطلاحنا القانونى عقد الإذعان .

وقد حاولت القـوانين الوضعية أن تحل هذا المشكل ، فاستطاعت أن تحـله بين المنتج والمستهلك بفرض شروط تحمى المستهلك من المنتج ، وبتعيين سعر السلعة ، ولـكـنها لم تستطع أن تحل إلا بعض نواحى المشـكلة بين أصحـاب العمل والعمال ؛ مثل إصابات العمال والتعويضات التى يتسحقها العامل إذا أصيب أو طرد من عمله ، لأن التدخل بين صاحب العمل والعمال فى كل شروط العمل ممـا يضر بسير العمل والإنتاج ، وبقيت من المشكلة نواحى هامة كأجر العـامل وساعات العمل ومـدة الإجازات وغيرها فيحاول العمال من ناحيتهم حلها بتأليف النقابات والاتحادات ، ويرى العمال أن حل مشاكلهم لن يتأتى إلا إذا كان لهم حق إملاء شروط عقد العمل ويظاهرهم على ذلك بعض المفكرين والـكـتاب . فهذا الحق الذى يطالب به العمال فى كل أنحاء العـالم والذى حقق القانون الوضعى بعضه ولم يحقق بعضه الآخر والذى يأمل العمال أن يتحقق كله إن قريبـا أو بعيداً . هذا الحق قررته الشريعة الإسلامية كاملا للضعفاء على الأقوياء وللملتزمين على الملتزم لهم ، وجاء به القرآن الكريم فى آية الدين « وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » .

وظاهر أن صيغة النص بلغت من العموم والمرونة كل مبلغ وهذا هو الذى جعل الشريعة تمتاز بأنها لا تقبل التغيير والتبديل .

ووجود هذا النص فى الشريعة دليل قاطع على سموها وكمالها ورقيها وعدالتها ، فقد جاءت به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا بينما القوانين الوضعية لم تصل إلى تقرير مثله حتى الآن مع ما يدعى لها من الرقى والسمو .

ولنـا أن نقول إن الشريعة الإسـلامية

ماهى إلا شريعة عالمية إنسانية قد قررت بهذا المبدأ وغيره مبادئ العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعى فى أسمى صوره .

نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات

حرمت الشريعة على الإنسان أن يدعى للشهادة فيمتنع عنها أو أن يشهد واقعة فيكتمها أو يذكرها على غير حقيقتها ، وقد نص على الحالة الأولى فى آية الدين فى قوله تعالى جل شأنه « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » والمقصود إباءهم حينما يدعون ليشهدوا تصرفا ما أو واقعة معينة ، فالنص جاء خاصا بتحمل الشهادة وليس خاصا بأدائها . أما الحالتان الثانية والثالثة فقد نص عليهما فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » سورة النساء الآية ١٣٥ ، وهذه الآية الكريمة خاصة بالحالة الثالثة ، أما الحالة الثانية فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه فى سورة البقرة « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » . الآية ٢٨٣ .

والنصان الأخيران خاصان بتحريم شهادة الزور ، وبتحريم كتمان الشهادة أو الامتناع عنها . والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بنظرية الشريعة فى تحريم شهادات الزور ، أو كتمان الشهادة ، ولكنها لم تصل بعد إلى تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، ولا شك فى أن الشريعة تتفوق على القوانين الوضعية من هذه الوجهة . فإن المصلحة العامة تقضى بالتعاون على حفظ الحقوق ، وبتسهيل المعاملات بين الناس ، والامتناع عن تحمل الشهادة يؤدى إلى تضييع الحقوق ، ويؤدى إلى تعقيد المعاملات وبطئها ، وهناك عقود لا بد فيها من حضور الشهود كعقد الزواج ، فإذا كان الامتناع عن تحمل الشهادات مباحا تعطلت هذه العقود .

هذه أربعة مبادئ ونظريات جاءت بها آية واحدة من القرآن الكريم وهى آية الدين ، أخذت القوانين الحديثة باثنتين منها وبدأت تأخذ بالثالثة ولم تأخذ بعد بالرابعة . وليست هذه النظريات الأربع كل أحكام آية الدين وإنما هى بعض أحكامها ، فالآية تشترط أن يكون الكاتب محايدا عدلا عالما بأحكام الشريعة فيما يكتبه ، وتوجب عليه أن لا يمتنع عن الكتابة وتشترط أن يشهد على سند الدين رجلان أو رجل وامرأتان وتوجب عدم الإضرار بالكاتب أو الشاهد ، وهذه كلها مبادئ عامة لا نستطيع أن نستعرضها بالتفصيل لأن مجاله الكتب .

محمد محيى الدين المصيرى

بحث مقارن فى المنازعات الدّوليّة

للأستاذ محمد فناوى عشر

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فالعائلة الدولية - وهى مكونة من جماعات هى الدول — نشأت بينها علاقات مختلفة نتيجة حتمية لوجودها جنبا إلى جنب وعدم إمكان الواحدة منها أن تستغنى عن الأخرى ، وفى نواحى الحياة المادية والمعنوية تظهر حاجة كل دولة منها إلى الدول الأخرى . ومن ثم لا يمكن الدولة أن تعيش أو تنمو وهى بمعزل عن مجموعة العائلة الدولية .

وقد كانت العلاقات الدولية فى أول الأمر قليلة نادرة الحصول قاصرة على الدول المتجاورة ، وذلك لبطىء المواصلات وعدم توفر الثقة بين الدول ، فلما زادت سرعة المواصلات نشطت التجارة الدولية وتعددت حالات الاتصال بين الدول ، وأحكمت الروابط بينها الاكتشافات العلمية والأعمال الفنية والأدبية وتعدد المصالح والمشارب . إزاء ذلك لم يكن من الممكن أن تبقى هذه العلاقات الدولية المتعددة فوضى بلا قواعد تحكمها ، ومن ثم نشأت قواعد القانون الدولى والمنظمات الدولية والإقليمية ، وهى قواعد تتجدد وتتطور حسب الاحتياجات البشرية ، وهذه العلاقات ترسم ما يجب على الدول اتباعه إزاء غيرها فى السلم وفى الحرب على السواء .

وقد تناولت المعاهدات بعض القواعد التى تحكم العلاقات التى تربط بين الدول الموقعة عليها . ولم يكن يحمى هذه المعاهدات إلا ضمير الشعوب وكثيرا ما كان هذا الضمير يغفو أمام الأنانية وإيثار المصالح الخاصة .

ثم هناك المنظمات الإقليمية كجامعة الدول العربية التى تضم هـــذه الدول باعتبارها مجموعة من الدول ذات المصالح والأهداف المشتركة والتى تتركز فى منطقة واحدة من العالم . ولم تصل هذه المنظمة إلى الحد الذى يجعل قراراتها واجبة التنفيذ ويحمل الدولة التى تخرج عن التزاماتها تبعات قانونية ، رغم كل الجهود التى تبذلها الشعوب العربية وذووا الشجاعة من قادتها للنهوض بها إلى المكانة التى تجعل منها أداة لها فاعليتها فى إقرار السلم العالمى . وإنه وإن كانت آراء أعضائها فى

المحيط الدولى تعتبر آراء فردية فإنها فى أغب الأحوال متناسقة مع بعضها .

وهناك أيضا المنظمة الدولية — وهى الأمم المتحدة وفروعها — وميثاقها الذى ترتبط به الآن مائة دولة من دول العالم يجعل لها حق التدخل لفض المنازعات الدولية بقرارات لها قوة إلزامية ، وحق إعلان الحرب ، وتوجيه الجيش الدولى لضمان احترام قراراتها ولرد العدوان ودفع الاعتداء ـ وقد أشار إلى ذلك نصا المادة ١٠٤ من ميثاقها : (تتمتع الأمم المتحدة فى أرض كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التى يتطلبها قيامها بأعباء وظائفها وتحقيق مقاصدها) وحتى تتمكن الأمم المتحدة من إيجاد الجيش الدولى الدائم ، فإن قراراتها لا تكون لها قوة القسر والإلزام إلا بمساندة الضمير العالمى .

هذا هو أقصى ما وصل إليه العالم الحديث فى قوانينه الوضعية ـ هذا العالم الذى أتى بالمعجزات فى كل علم وفن ـ عجز أن يهيء لنفسه أسباب الاطمئنان ، والعيش الهادىء الكريم ، والسمو بالعلاقات الدولية فوق مستوى النزوات والمصالح الفردية .

هذا هو أقصى ما وصل إليه القانون الوضعى فى العلاقات الدولية . أما دستورنا السماوى فكان له معها شأن آخر يتفق مع مبادىء الإسلام القويمة ـ هذا الدين الصالح لكل زمان ولكل مكان الذى لم يترك شاردة ولا واردة إلا عالجها وجعل لها قواعدها وآدابها بما يكفل سعادة البشرية ، ويحفظ للإنسانية عظمتها ، ويقضى على ما يعترضها من أسباب النزاع والضعف .

هذا الدين لم ينكر وجود دول متعددة المصالح متنافرة المشارب ، ولكنه أمر بأن يقوم بينها السلام وتقوى بينها الصلات الودية .

وفى القرآن الكريم دعوة صريحة إلى قيام وحدة أمم إسلامية لإصلاح حالها ، ونزع الأحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية والروابط الدينية وكف يد الظلم والعدوان بالقوة والسلطان . فقد قال تعالى فى سورة الحجرات: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ـ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون» .

وكان نزول هاتين الآيتين عند ما اقتتلت طائفتان من الأوس والخزرج بالجريد والنعال عقب نزاع ، فكره الله منهم ذلك وأنزل هاتين الآيتين .

وقد كان بين الأوس والخزرج نزاع دموى طويل قبل إسلامهما ـ وتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من إحلال الوئام والمودة بينهما

إلى أن ثار هـــذا النزاع الذى أنزل الله فيه الآيتين نصحا لها ودستوراً إسلاميا يجب على المسلمين اتباعه والأخذ بمبادئه ـ فقد افترض الله وقوع مثل هـذه المنازعات بين طوائف المؤمنين ودولهم وشيعهم إلى الحد الذى يثير الحرب بينهم ، وأبان لهم ما يجب عمله ، وما يجب على باقى المسلمين القيام به .

فأمر بالتدخل بين المتخاصمين بالصلح ـ فإن ركبت إحدى هذه الطوائف رأسها وأصرت على البغى والعدوان ، ولم يجد معها نصح أو إرشاد فقـد أوجب الله قتالها حتى تصحو من غفوتها وتعود إلى ما أمر الله به وتنتهى عما نهى عنه ، حتى إذا توقف النزاع أمر سبحانه وتعالى بالصلح والتوفيق بين المتنازعين ـ واشترط أن يقوم هـذا الصلح على العدل وإظهار الحق وإنصافه حيث أن الله يحب المقسطين ، ثم ذكرهم بأن المؤمنين أخوة لا يجوز لهم أن يتطاحنوا ويقتتلوا بل هو تراحم وحسن جوار ومنافسة فى الخير .

وقـد جاءت هاتان الآيتان بمبادىء هامة فى العلاقات الدولية وفى أسس التحكيم والتدخل فى المنازعات الدولية ـ ووضعت لها آدابا لم تصل إليها القوانين الوضعية حتى الآن.

وكل مزية من هذه المزايا عنصر من عناصر السعادة الحقة ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة ـ وهذه المزايا قد سعد بها المسلمون الأولون ورفعتهم إلى مراتب الحضارة السامية وأنزلتهم معاقل المنعة فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ونشروا نور القرآن فى كل مكان .

وقد حبب الله التآخى بين المسلمين وأمرهم بحسن التعارف والتنافس لما فيه خيرهم ـ كما فى قوله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كلكم لآدم ـ وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

فالأصل واحد وإن تفرقت الشعوب والقبائل والطوائف ـ صلاتها يجب أن تقوم على التآخى والتعاون وحسن الجوار .

وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : إذ التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار .

وحكمة الإسلام فى ذلك عظيمة ـ فالمسلمون أمامهم تبعات كبيرة ومسئوليات جسام فى سبيل إعلاء شأنهم وتبوء المركز الكبير الذى أراده الله لهم «كنتم خير أمة أخرجت للناس» . يجب ألا يشغلهم عن ذلك شاغل من خصومة أو منازعات شخصية ـ ومن واجبهم التنافس فى السير قدما فى ركب الحياة بما يحفظ لهم دينهم ودنياهم ويعلى كلمتهم بين الطوائف الأخرى التى تتربص بهم الدوائر وتسعى لإذلالهم وإضعافهم وإحلال التفرقة بينهم محل

التعارف والتآخي . ومن فضل الإسلام على المسلمين أنه آخى بينهم وجمع كلمتهم - فني أحد المواسم ، جاء مكة نفر من الخزرج حيث قابلهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا : إنا قد تركنا قومنا وليس قوم بينهم من العداوة والشرك ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم . فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

فلما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوهم للإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله .

كما أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة آخى بين المهاجرين وبين الأنصار من أهل المدينة - فقال : تآخوا فى الله أخوين أخوين - ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى .

وجمل صلوات الله وسلامه عليه التآخى ينبع عن القلب - تحسه كل جوارح النفس ومنه قوله : لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وقوله : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الدين الإسلامى كان سمحا مع الطوائف غير المسلمة التى تعيش فى أرض الإسلام حيث أمنهم على أموالهم ومعابدهم وخلى بينهم وبين شعائرهم الدينية .

كما أن المسلمين كانوا كرماء مع جيرانهم من الدول الأخرى إن هى جنحت للسلم . ومن أمثلة ذلك أنه لما ترك ملك الروم الحرب وكاتب عمر بن الخطاب وتقرب إليه أجاب طلبه وحقق رغبته وسير إليه البريد بما يريد ، وتهادت زوجه أم كلثوم بنت على وملكة الروم - كما أنه عندما تضرع ملك الباب (ثغر عظيم على بحر الخزر) إلى عمر ابن الخطاب تنازل له عن الجزية لقاء مساعدته على حرب المشركين .

وأخيراً فإن السلف الصالح من فقهاء المسلمين قد شرعوا - على ضوء المبادىء الإسلامية - أدق القواعد فى القانون الدولى والعلاقات الدولية - منها كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيبانى ، وهو أحد علماء الحنفية فى عصر هارون الرشيد ؛ الذى تكلم فى أحد أجزاء كتابه عن الأمور التى تحل فى دار الحرب ولا تحل فى دار الإسلام ، وعن الأمان وعقد الذمة وعقد الصلح وما ينبغى فى ذلك كله .

النقيب
محمد فاوى عمر
إدارة أسلحة وإمدادات الشرطة بالقلعة

سلطان الضمير

للأستاذ سعد الدين محمد الجيزاوى

يخضع الإنسان فيما يصدر عنه من تصرفات إلى سلطانين :

أحدهما : سلطان « القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة » .

والآخر : هو « سلطان الضمير » .

وسنكتفى هنا بإشارات عابرة عن سلطان القوانين ، لأن تفصيل ذلك مجاله بحوث المختصين بالدراسات القانونية :

إن القوانين فى مجموعها تختلف باختلاف الأزمان والبيئات ، ومصادرها الأساسية إما وحى من الله يبلغه الرسل الكرام إلى أممهم ، وإما أوامر رؤساء الدول . وطاعة هذه القوانين واجبة بأمر من الله تعالى على كل فرد من أفراد الأمة أو المجموعة الذين تصدر من أجلهم . قال تعالى « يأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

غير أن الآية عادت فحددت ـ ضمانا للعدالة فى تشريعات أولى الأمر ـ أن تكون هذه التشريعات مستمدة من روح التشريعات السماوية ، غير بعيدة عن خطوطها الأساسية : « فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وفى التشريعات الإسلامية فسرت السنة المطهرة مايجب على الأفراد من طاعة أولى الأمر ، وحددت هذه الطاعة فيما يعود على الفرد والأمة بالخير والمنفعة ، وإن كان فى ذلك مشقة على النفوس ، على شريطة ألا تكون فى هذه الطاعة معصية تغضب الخالق ، أو تهدم ركنا من أركان التشريع السماوى . وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، ومثل : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فى المنشط والمكره ما لم يؤمر بمعصية ... » ، ومثل : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

واثن كانت تشريعات سَوْق الأفراد إلى القتال حفظا لكيان الوطن ، أو دفاعا عن العقيدة . فيها مشقة على بعض الأنفس ، فإن طاعة هذه القوانين واجبة لما فيها من قيام بعمل يحفظ كيان الأمة التى ينتسب إليها الفرد .

كذلك التشريعات التى تحد من عبث العابثين بمصالح الأمة ، وتضرب على أيدى الذين يتآمرون فى الخفاء للوصول إلى أغراض ذاتية سواء أكان ذلك بالتجسس ، أو بعصيان القوانين التى ليست فيها معصية للخالق ، أو بإشاعة الفتن بين أبنـــاء الأمة ... إن مثل هـذه التشريعات من حق الحاكم ، وطاعتها واجبة .

ومن حق ولى الأمر أن يتخذ من التشريعات ما يشيع العدالة بين الرعية ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويرفع المستوى العـام للأمة ، ويدفعها إلى التقدم والنهوض ، وإن اقتضى ذلك استخدام الفائض المكدس من الأموال دون نفع ، للانتفاع به فى مجالات أخرى تبعث النشاط والتقـدم ... ومثل هـذه التشريعات مما يجب الرضا به ، وإن بدت شاقة على النفوس الشحيحة .

ولولى الأمر ـ ما دام يصدر فى أعماله عن إخلاص ، ومحافظة على روح التشريع السماوى وبعد عن الهوى ـ أن يفرض من العقوبات ما يكفل له تنفيـذ إصلاحاته مهما بدا فيها من قسوة على المعوقين . قال تعالى : « إنمـا جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خـلاف ، أو ينفوا من الأرض » .

ولكننا نسأل أنفسنا :

هل من الممكن أن يكون هـذا السلطان المستمد من القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة ، على ما فى مخالفته من عقوبات تتفاوت من « وقف التنفيذ » إلى «الإعدام» هل من الممكن أن يكون هـذا « السلطان » وحده كفيلا بأن يلزم كل امرىء حـده ، ويكف عن العدوان على الغير ؟؟

هل فى سلطان القوانين ما يبعث الرهبـة دائما فى أعماق النفس لتكف عن ارتكاب الجرائم ؟

إن الواقع الملموس يقول : لا !!

استمع إلى الإمام محمد عبده يقول «ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم ، وتقدير المغارم على المخالفات ، هى التى تربى الأمم وتصلح من شئونها ، فإن القوانين لم توضع فى جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات » .

ثم يقول : « وأما القوانين العامة المصلحة فهى نواميس التربية الملية فى كل أمة » . ثم استمع إلى طه الهاشمى فى إحـدى محاضراته بجامعة آل البيت بالعراق رداً على « سبنسر » فيما ذهب إليـه من أن المجتمعات يمكن أن تساس بقواعد تستمد من الوجدان ، ومن مشاهـدة سنن الطبيعة ، ومن سلطة المجتمع دون حاجة إلى وازع من دين :

قال الهاشمى : « إن المجتمع لا يعاقب كل من يتنكب شرائعه ويشذ عن قوانينه ، فكم من جناية تجترح ، وكم من مال ينهب ويغصب وكم من إثم يقترف ، والفاعلون يسرحون ويمرحون بين سمع الشرطة وبصر الحكام ، وكم من مجرم أفلت من يد العقاب بفصاحة المدره ولمع النضار » .

وكيفما كان ذلك « السلطان » المستمد من القوانين فإنه ضرورة لا بد منها ، وقد لازم المجتمع الإنسانى من يوم أن بدأ الإنسان يندمج فى محيط مجتمعات متدرجا من سلطة رب الأسرة إلى كبير العائلة ، ثم إلى رئيس القبيلة ... ثم إلى الملوك والرؤساء ، وقد ورد فى ذلك : « يزع الله بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » .

ولعل الذى جعل بعض الناس لا يبالون بسلطان القوانين مهما قست هو أن عقوبة المخالفين قاصرة على أمور مادية ، وقليلا ما يلجأ المحقق أو القاضى إلى تذكير المتهم بأن هناك عقوبات أخرى سينالها حتما إن هو أفلت من الحكم عليه لسبب أو لآخر .

من أجل كل ذلك عنى الإسلام عناية كبرى بتوجيه النظر الى « السلطان » الآخر ، السلطان الذى لا يستمد قوته من القوانين واللوائح والتشريعات بل يستمد تلك القوة من أعماق النفس ، ويخلق فى شخصية الإنسان محكمة عادلة : تراقب أدق مراقبة ، وتحاسب أعسر حساب ، ثم تحكم أعدل حكم ، وتنفذ دون تدخل شرطة أو ذهاب إلى محاكم أضمن تنفيذ .

ذلك السلطان هو سلطان « النفس اللوامة » الواردة فى قوله تعالى « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، ولا شك أن فى القسم بالنفس اللوامة إلى جانب القسم بيوم القيامة إشارة إلى ما فى ذلك اليوم من من حساب وجزاء تستعد لها النفس اللوامة.

ذلك السلطان يستمد قوته من محاسبة المرء نفسه ، ومن الشعور بأن هناك رقابة دقيقة عليه تسجل ما خفى من أعماله وما علن ...

ذلك السلطان تتلاشى أمام قوته جميع رغبات المراء فى غير ما هو حلال مباح ، ويجعل الإنسان يسير فى أقوم سبيل ، فإن أخطأ لا يحاول الهرب من مسئولية خطئه ويتقبل كل عقاب جزاء لما اجترح من السيئات ، وإنما الذى يؤرقه ، ويحزنه ، إنما هو شعوره الناشىء من اجترائه على ذلك الرقيب الذى لا يستطيع الاستخفاء منه ، ولا الإفلات من دقة تسجيله .

ذلك السلطان هو الذى عبر عنه الإمام الغزالى بالمراقبة والمحاسبة . وأفاض فى بيان درجات هذه المراقبة وحساب النفس . حتى عرف أرباب البصائر « أن الله تعالى لهم

بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون فى الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة» .

ذلك السلطان هو ما يعبر عنه اليوم فى مجتمعاتنا « بالضمير » .

ولعلماء النفس مذاهب وتفسيرات فى منشأ هذا « الضمير » وتكوينه ، ومقدرته على أن يسيطر على ذات الإنسان وغرائزه ويقوده إلى أقوم سبيل ، وغاية ما وصلوا إليه فى تقريب مدلوله أنه الجانب السامى من النفس الإنسانية أو ما يعبرون عنه بالذات العليا أو النفس العليا التى تراقب الإنسان فى تصرفاته .

ومهما قيل من آراء ونظريات فى تكوين هذا الضمير ، فإن العامل الأول فى نشأته هو عنصر الدين المتأصل فى الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها ، ذلك العنصر الذى يظل كامنا فى حنايا النفس الإنسانية مهما امتزج بها من ضروب الشرور وصنوف الآثام وعصف الغرائز السفلى .

استمع إلى السيد جمال الدين فى حديث له عن فطرية الدين : « إن الشعور بوجود إله متصرف فى الأكوان تصرفا غيبيا فوق تصرف المخلوقات بما يكون من إفضاء الأسباب إلى المسببات ، قد عرف فى جميع البشر ، من أدنى القبائل الهمجية إلى أرقى شعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة فى صحارى إفريقية وجزائر المحيط وفلاسفة اليونان فى الماضى ، وفلاسفة الإفرنج الآن ، وقد عرف فى الفريقين عند قدماء الأمم كالمصريين والكلدانيين والهنود كما هو معروف فى هذا العصر . ومثل هذا الاتفاق من الشرقى والغربى ، والشمالى والجنوبى ، فى جميع الأزمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تعليم ، لا يعقل إلا أنه فطرى فى البشر » .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم عن منطقة هذه الحاسة الفطرية بالتدين : « حينما كنت وكيلا للنائب العام ، كنت أرى عجبا فى قاعات المحاكم وقاعات التحقيق ، وكنت أفكر كثيراً فى أمر ذلك الشرير الذى طالعت صحيفة حياته ، فإذا آثام ، ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامى متطلعا إلى السماء ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا .

هذا الآدمى قد انطلقت غرائزه الدنيا ، لا يقوم لها شىء ولكن بقيت رغم هذا فى نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد: هى منطقة العقيدة . أهناك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ ؟ » .

تأمل كيف أبى هذا الشرير أن يحلف كذبا بالمصحف ! ! . إنه يرى أن هذه جريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم قد تؤدى به إلى

حبل المشنقة ، ولكنه يأبى أن يفلت من الإعدام بمخالفة عقيدته !! .

إن سلطان الضمير قد تغلب واستخف بكل عقوبة . وربما لو بحثت حالة مثل هذا المجرم من الوجهة النفسية والاجتماعية لا تضح أنه مظلوم وإن تلوثت يداه بالدماء !! .

وإذا نحن أمعنا النظر فى مهمة الرسل الكرام نجد فيها تذكير الناس بأصل الفطرة التى فطروا عليها بعد أن يكون قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى يستيقظ وازع الدين الفطرى ، وينمو الشعور بالمراقبة والمحاسبة ، ويقوى سلطان الضمير .

ومن واجبنا اليوم أن نعرف كيف عنى الإسلام بتنمية سلطان الضمير ، ثم ما كان لهذا السلطان من الآثار فى تكوين شخصية المسلم ، عسى أن ننتفع بما فى ذلك من تذكرة .

لقد كان من أبرز الأهداف الأساسية التى عنيت بها رسالة الإسلام إدخال شخصية المرء فى تقويم أعماله ، وتحميله مسئولية شخصية عن كل ما يصدر منه من أعمال اختيارية ، وخلق إحساس عميق فى نفسه بأن كل صغيرة وكبيرة مسجلة عليه تسجيلا دقيقا لا يستطيع الإفلات منه ، وأنه سيجازى على كل ما اقترف جزاء عادلا .

وأهم ما سلكته الدعوة الإسلامية فى تكوين هذه الشخصية طريقان :

أولها : آيات القرآن الكريم العديدة التى تدور حول تحميل المرء تبعة أعماله الاختيارية وإشعاره بأن الرقابة عليه شديدة . . مثل قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » و « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ... » و « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا ، مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا . » و « كل نفس بما كسبت رهينة الخ » .

وثانيها : قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه ، وتوجيهاته السديدة نحو إيقاظ الشعور بالمسئولية . ومن ذلك مثلا أنه حين اختصم إليه رجلان فى ملكية عقار ، وليس لأحدهما بينة ظاهرة ، لم يسلك السبيل المألوف فى مثل هذه الخصومة من التدقيق فى طلب بينة أو توجيه اليمين للمنكر مثلا ، بل عمد إلى الذات الإنسانية العليا ، إلى الضمير فقال : ... لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له . فمن قضيت له

بشيء من غير حقه فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها إن شاء أو يتركها .

هنا تلاشت الرغبة فى ملكية العقار عند كلا الرجلين ، وتنازل كل منهما لصاحبه حتى لا يقع فى شبهة من ظلم لنفسه إذا هو أصر وقضى له . ثم كان من حكمة الرسول أن أمرهما بأن يستهما فاستراحت أنفسهما ، وارتضيا هذا الحكم .

وكذلك كان موقفه من رجل جاء بأموال الصدقات التى كلف بجمعها ومعه أشياء لنفسه وقال : هذا مالكم ، وهذا أهدى إلى .

غضب الرسول الكريم عند ما علم بذلك ، وجمع أصحابه وخطبهم خطبة كبيرة بين فيها أن مثل هذا الإهداء لم يكن لولا جاه الوظيفة ، ومعنى ذلك أن هذه الهدايا تعتبر رشوة مقنعة . . ثم أخذ يصور لهم يوم القيامة وما فيه من أهوال كأنه يراها ، وكأن كل مرتش يمر أمامه حاملا فى عنقه كتلا من نار جهنم ...

ومما يلفت النظر أن الخطبة الأولى التى وجهها النبى عليه الصلاة والسلام إلى قومه عند ما صعد على الصفا فى أول يوم أعلن فيه الدعوة إلى الإسلام قد تضمنت الأساس الأول فى تحديد المسئولية الشخصية إذ جاء فيها : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . والله إنها لجنة أبداً ، أو نار أبداً . والله ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة والنار ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة.

ما ذا كانت نتيجة هذه التربية الإسلامية لشخصية المسلم ؟ .

لقد ظهرت آثار تلك التربية سريعا ، ولعل أروع مثل نسوقه فى ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا الواردة بسورة التوبة ، إذ تبين موقف هؤلاء الصحابة الكرام حينما أحسوا بخطئهم ؟ وتقاعدهم عن الغزو مع الرسول الكريم بأعذار واهية قبلها منهم الرسول ثقة منه بهم ... ما ذا كان منهم عند ما رجعوا إلى أنفسهم وحاسبوها وأيقنوا أنهم كانوا مخطئين... إنهم ربطوا أنفسهم فى أعمدة المسجد وكاد الشعور بالندم يقتلهم ، وأصبحوا فى تلك الفترة شبه معزولين عن أهليهم وصحبهم كأنهم غير جديرين بالاندماج فى مجتمع يتسم بالصدق والصراحة ، وقد قاسوا من الآلام النفسية خلال خمسين يوما ما قاسوا ، « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، « وضاقت عليهم أنفسهم » ، وأيقنوا أن لا مهرب من الله إلا إليه .

ولقاء هذا الصدق فى محاسبة النفس ، والاعتراف بالخطأ ... أكرمهم ربهم فتاب عليهم .

دكتور
سعد الدين محمد الجيزاوى

صفحاتٌ من العُروة الوثقى

للدكتور جمال الدين الرمادى

العروة الوثقى اسم لجريدة صدرت فى باريس عام ١٨٨٤ وأنشأها فيلسوف الإسلام ، وحكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، ويهدف فيها إلى الوحدة الدينية وجمع شتات المسلمين فى عروة وثيقة لا انفصام لها .

وكان يدير سياستها الأفغانى نفسه ، أما محررها الأول فكان الشيخ محمد عبده ، ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الدينى فيها يغلب كل اتجاه آخر ، فإن « روابط المسلمين الملية أقوى من روابط الجنس واللغة . وما دام القرآن يتلى بينهم وفى آياته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم » .

كما كانت هذه الجريدة تهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم ، ولا وقوف على حقائق أمورهم ، وإبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ما داموا على أحوالهم التى كان عليها آباؤهم الأولون .

ودافعت العروة الوثقى عن القضية المصرية دفاعا مجيدا ، وربطت هذا الدفاع بالدين وجعلت ساعة الخلاص من الاحتلال ساعة الفرح عند المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، إذ أن مصر مناط أمل المسلمين ومعقد رجائهم و « إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما . إن مصر تعتبر عندهم من الأراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين . فإذا كان هذا الباب أمينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع ، وإلا اضطربت أفكارهم ، وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الإسلامية ، إن الخطر الذى ألم بمصر نفرت له أحشاء المسلمين وثكلت به قلوبهم ولن تزال الأمة تستفزهم ما دام الجرح نفارا ... » .

أما عن منهج الجريدة الذى اتخذته لنفسها فهو أنها ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة فى أفرادها، وتأييد المنافع المشتركة بينها، والسياسات القويمة التى لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين.

وكانت الجريدة ترسل أعدادها إلى من تعرف أسماءهم بدون مقابل حتى يتداولها الأمير والحقير، والغنى والفقير، وقد ختمت الجريدة دعوتها إلى القراء بهذه العبارة: «ومن لم يصل إلينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب الى إدارة الجديدة بالإسم المعروف به ومحل إقامته، على النهج الذى يريده، والله الموفق».

وهذا يدل دلالة واضحة على ان منشئها ومحررها لم يكونا يضنان بمال أو جهد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، والمناداة بالفضيلة وتحرير الأوطان الإسلامية من ربقة الاستعمار ونير الاستعباد، وحوزة الاستغلال، ولم يكونا هادفين الى مال أو ثراء، إنما كانا يلتمسان نشر الدعوة الإسلامية، وبث النخوة الوطنية بمختلف الوسائل وشتى الذرائع مهما كلفها ذلك من نصب، وكد وكفاح.

وقد رحبت البلاد الإسلامية ترحيبا عظيما بصدور هذه الجريدة وظل أهلها يتسابقون الى الحصول على عدد من أعدادها، حتى إذا ما ظفروا به تناقلته الأيدى فى شغف

وقد أحس الإنجليز بخطرها قبل صدورها، فهاجت الصحافة الانجليزية بمجرد أن نمى إليها خبر اصدارها، والى ذلك تشير الجريدة فى العدد الخامس فتقول: «عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محررى الجرائد الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها، ولا كاشفين عن حقيقة سيرها، فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانجليزية المهمة أخذتهم الحدة، وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانجليز ونفوذها فى البلاد الشرقية، وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول فى البلاد الهندية، والبلاد المصرية، بل تطرقوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها».

وتمكنت السلطات البريطانية، من منع الجريدة من دخول الهند ومصر، بيد أن صوت الحرية لا يخفت أو يذهب أدراج الرياح، فقد استطاع بعض المصريين الحصول على أعداد من هذه المجلة، وسرعان ما وضح أثرها فى نفوسهم، فزادتهم حماسة واشتعالا فى تحرير وطنهم من المستعمر الغاصب.

وعند ما تمكن عملاء الاستعمار من مصادرة العروة الوثقى فى مصر زاد أسلوبها حدة تجاه أذناب الإنجليز وتمنت أن يكون بين المصريين من يستطيع ـ ولو بأعنف الوسائل ـ إبطال

هذه الصفقة ونقض هذه البيعة، وتقصد صفقة القروض التى كان يتفاوض فيها نوبار.

وقد وضحت الجريدة سماحة الإسلام وسماحة خلق المسلمين إذلم يسلك المسلمون فى وقت ما مسلك الالزام بدينهم، والاجبار على قبوله، مع شدة بأسهم فى بدايات دولهم وتغلغلهم فى الأقطار، واندفاع هممهم للبسطة فى الملك والسلطة. إنما كانت لهم دعوة يبلغونها، فإن قبلت فبها، وإلا استبدلوها برسم مالى يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الإسلامى هذا على خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى فإنهم ما كانوا يطأون أرضا إلا ألزموا أهلها بخلع أديانهم والدخول فى دين أولئك المتساطين وهو الدين المسيحى كما فعلوا فى مصر وسوريا، بل فى البلاد الإفرنجية نفسها.

وقد مضت العروة الوثقى توضح وجهة نظر المستعمر فى إلغاء الفكرة الدينية لبث الفرقة بين المسلمين. وتأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين هى الرابطة الدينية، ولأولئك الافرنج مطامع فى ديار المسلمين وأوطانهم، فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار السافطة بين أرباب الديانة الإسلامية، وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة، وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الإسلامية ويمزقونها شيعا وأحزابا.

والجريدة بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا ومدافعتها عن حقوقهم تبعد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم، ويتفق معهم فى مصالح بلادهم ويشاركهم فى المنافع من أجيال طويلة، فليس هذا من شأن الجريدة ولا تميل إليه ولا يبيحه الإسلام ولكن الغرض، تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم والإفساد فى بلادهم، وقد تخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى غدر بها الأجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين، واستأثروا بجميع خيراتها».

وفى مقالة نارية مضت جريدة العروة الوثقى توضح واجب المسلمين فى التآلف والتآزر، والتعاطف والتكافل - وجعلت عنوان المقالة الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» فقالت إن للمسلمين شدة فى دينهم، وقوة فى إيمانهم، وثباتاً على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل، وإن من عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض، ومما رسخ فى نفوسهم أن فى الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين، ومن حرم الإيمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدهم ان يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء.

وانطلقت تحدد دستور الوحدة بين المسلمين فقالت: « المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل فى ولايتهم من البلدان ، وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدثين فى الجنس ولا المختلفين فيه ، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ، ومن فروضهم فى سبيل الحماية ، وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم فى حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة فى طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التخلص من سلطة غيره لوجبت الهجرة من دار حربه ، وهذه قواعد مثبتة فى الشريعة الإسلامية يعرفها أهل الحق ولا تعرفها تأويلات أهل الأهواء ، وأعوان الشهوات فى كل زمان ، والمسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الإيمان وهو هاتف الحق الذى بقى له من إلهامات دينه » .

وعلى هذا النحو مضت الجريدة تطالب بتحرير أفغانستان من نير الإنجليز كما مضت تطالب بتحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين وتخليص مراكش من الجنود الفرنسيين .

وفى ١٥ مايو عام ١٨٨٤ زادت حمية الجريدة فى الدفاع عن المصريين فنشرت فى افتتاحيتها مقالا مستفيضا جاء فيه « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين، والاستنجاد لهم ، ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ، ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح فى عمرو فإن المقصد أعلى وأرفع من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين جميعا على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ، ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم » .

وفى مقالة : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » مضت تعدد مجد المسلمين فى العصور الخوالى فقالت: أظلت ولاية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى تونكانى على حدود الصين فى عرض ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء أقطاراً متصلة وديارا متجاورة يسكنها المسلمون ، وكان لهم فيها

السلطان الذى لا يغالب ، وأخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام وأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلا ، ما كان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول على قائلهم .

ثم مضت الجريدة تقول ، والمسلمون اليوم يملؤن تلك الأقطار التى ورثوها عن آبائهم وعديدهم لا ينقص عن مائتى مليون وأفرادهم فى كل قطر بما أشربت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع إقداما على الموت ممن يجاورهم ، وهم بذلك أشد الناس ازدراءا بالحياة ، وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل .

غير أن الجريدة أرجعت وقوف المسلمين فى سيرهم بل تأخرهم عن غيرهم إلى عدم الترابط ، فأخذت ممالكهم تنتقص أطرافها وتتمزق حواشيها مع أن دينهم يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم ويعمل على الاستئثار بالحكم عليهم وأن المسلمين لا يحتاجون فى صيانة حقوقهم إلا إلى تنبه أفكارهم لمعرفة مابه يكون الدفاع ، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه ، وارتباط قلوبهم الناشزة عن إحساس بما يطرء على الأمة من الأخطار .

« أليس لكل واحد منهم أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله فى قوله « انما المؤمنون إخوة » فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب »

هذه صفحات مطوية من العروة الوثقى وهى صفحات لا تزال مشرقة متألقة رغم تطاول السنين ، وتقادم العهد ، وقد صدر فيها ثمانية عشر عددا بلغ فيها الشيخ محمد عبده الذروة فى روعة الأسلوب ، ودسامة المادة ، والحرص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتخليص الوطن العزيز من براثن المغتصب الأثيم ، وقد توقفت الجريدة فى ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١هـ الموافق ٢٦ اكتوبر عام ١٨٨٤ ففقدت الصحافة نجما زاهرا زاهيا فى سمائها ، ومشعلا متألقا هاديا فى فضائها يهدى المسلمين الى حقائق دينهم ، ودقائق شريعتهم الغراء ، وإلى حب أوطانهم وفدائها بالمهج والأرواح .

دكتور

جمال الدين الرمادى

الفنون الشّعبيّة فى العصور الإسلاميّة

للأستاذ عبد المجيد وافى

فى تاريخ مصر حضارات متعددة ، تركت أثرها واضحا فى حياة الشعب المصرى، وعاداته وفنونه ، وإن اختلف ذلك الأثر باختلاف الظروف التى لابست كلا من هذه الحضارات.

فالحضارة الفرعونية عمرت قرونا طويلة بقيام دولتها ، واستمرت باستمرارها ، وتأثرت بضعف الدولة وقوتها ، فازدهرت بازدهار العصر ، وانحطت بانحطاطه ، حتى إذا انتهى عهد الفراعين ، خلفهم البطالمة متمسحين فى التاريخ الفرعونى وثقافته وفنونه إلى أن أطبق الفتح الرومانى على هذه البقايا

ولم يؤثر العصر الرومانى على هـذا البلد ، بقدر ما أثرت العقيدة المسيحية التى صاحبت ذلك العصر فى حياة الشعب وفنونه .

ودخل المسلمون مصرفا تحين ، على أنقاض الحكم الرومانى ، ولم يمض طويل زمان حتى كان أثر المسلمين واضحا فى حياة الشعب وعاداته ، التى أخـذت تتطور وتتغير مع العقيدة الجديدة .

* * *

والذى يهمنا أن ننظر إليه خلال هـذه الحضارات المتعاقبه هو أثر العقيدة فى حياة الشعب وتعبيره الفنى ، فالفن مرآة تبين مدى انطباع الشعب بالحضارات وانعكاسها على أعماله .

* * *

والناظر إلى آثار المصريين القدماء ، يرى الفن باقيا خالدا خلود المواد التى شيدت منها هذه الآثار ، ولـكنه فن رسمى ، فن يعبر عن رأى الحاكم لا رأى الشعب ، ويمثل سيطرة الهيئة الحاكمة على الاتجاهات الفنية ، والتى تجعل الفنان يسجل ما يخلد تاريخ الملك وفتوحاته ، والعقيدة التى يوجهها الـكهنة من وراء العرش .

وليس ذلك القـول من باب الطعن على الفنون المصرية القديمة ، بقدر ما هو إقرار بما نقله التاريخ ، لأن روعة الفن المصرى القديم ، ليست مجـال البحث ، ولا محور جدال ، فقد سلمت بعظمتها الأجيال المتعاقبة ولـكن جهد الفنان مهضوم فى ثنايا المدرسة أو الأسلوب الغالب على فن الدولة ، إلا من نوادر وجدت فى حفريات بعض المراكز التى اشتهرت بالانتاج الفنى ومراسم الفنانين ،

حيث عثر على قطع من الفخار عليها خطوط حرة عن الأثر المدرسى ، ولم تحمل ما ينسبها إلى صاحبها من سمات أو علامات .

ولم تترك هذه الأعمال الفردية أثرها فى الاتجاه الفنى ، بل إن الأعمال التى اتسمت بطابع الحاكم والدولة والأعمال الفردية التى أشرت إليها ، لم تترك أثرا فى المجال الشعبى ، أو كانت من التفاهة بحيث لم يتمكن التاريخ أن يحفظ لنا ما يدل على أن عامة الشعب قد انطبعوا بها وظهرت فى ثنايا حياتهم فنونا شعبية ، عليها أثر انفعال الشعب ، واختصاصه نفسه بلون من ألوانها

بينما يظهر الفرق واضحا ، حينما ننتقل إلى الآثار الباقية من عصر المسيحية ، فإن عامة الناس قد تأثروا بالعقيدة فى هذه المرحلة ، حتى لم يقتصر الانفعال الفنى بالعقيدة على طبقة الحاكم ومن حوله ، بل تخطى الطبقة الراقية إلى عامة الشعب الذى أخذ يختص نفسه « بالأيقونات » وصور العذراء والعائلة المقدسة والقديسين ، بل لقد وجدت صورة العذراء والسيد المسيح على درجات متفاوتة من الإتقان والضعف ، وتغير الملامح ، باختلاف اليد التى رسمت والبيئة التى عاشت فيها هذه الأعمال الفنية .

ويلاحظ أيضا أن أثر العقيدة المسيحية فى الفن الشعبى المصرى لم يتعد المجال الدينى ومطالبه

ولما دخل الإسلام مصر فى أعقاب الحكم الرومانى لم يحاول أن يفرضه فنـًّا ولا رأيا ، وإنما ترك كل ما وجده على ما هو عليه ، احتراما لعقيدة الذميين وعاداتهم النابعة من تلك العقيدة .

ولم تمر فترة طويلة حتى انتشر الإسلام بين الشعب ، وأصبح العقيدة السائدة بين أغلبيته ، ومع هذا الانتشار أخذ الأثر العقيدى يظهر فى حياة العامة وعاداتهم ، ويطغى على كل أثر آخر ، وأوضح ما ظهر هذا الأثر فى الفنون .

ولن أبحث فى مصادر إلهام الفنى ولا فى طرزه فى هذه الفترة ، ولا فى اقتباسات الفن الإسلامى من الفنون المعاصرة يومئذ ، ثم استواءه واستقلاله .

ولكن الذى أريد أن أوضحه هو أن اتجاه الفن نزل إلى مستوى العامة ، وطرق مجالات كثيرة غير المجال الدينى ، تداخلت مع كل مطالب الحياة ، وتغلغلت إلى أعماق حياة الشعب .

وقد حفظت المتاحف الكثير من أمثلة هذا التغلغل ، فى كل ضرب من ضروب المتعة أو الحاجة الضرورية من رسوم الخلفاء والحكام وزينة القصور والدور والمساجد إلى حاجات المرأة فى البيت وأدواتها .

وهذا بالطبع متوقع كأثر من آثار عقيدة انطبعت بها الحياة والبيئة .

ولكن الذى أحب أن ألفت إليه النظر هو انفعال العامة بذلك بدرجة جعلت أثره يظهر فى المواسم والأعياد العامة والخاصة ، فلقد ظهر بين أفراد الشعب ، وفى مختلف الحرف فنانون استغلوا المناسبات الدينية إلى جانب المناسبات العامة فى هذا الانتاج .

فالفنان الشعبى فى مصر قد احتفل منذ ثمانية قرون بالمولد النبوى ، وصنع فى تلك المناسبة الصورة الفنية الساذجة ، ورغم طول القرون فقد بقيت بصورتها إلى العصر الحاضر محتفظة بطابعها ، ولم تتأثر بالحضارة المعاصرة فى أصلها وطابعها المميز ، وإن تأثرت بالنوع .

فالعروس من الحلوى والحصان والمنبر والمسجد ، ما تزال كما كانت ، وإن جد عليها المدفع والجندى والطائرة مع الاحتفاظ بالخصائص الفنية .

والفنان الشعبى قد سجل عودة الحجاج على واجهات المنازل ، وبالغ فى تصويره لمشاق الرحلة على الجمال وفى القوافل ، واستمر يسجل هذه الصورة حتى جاء عصر الباخرة والقطار والطائرة ، فرسم ذلك كله بنفس السذاجة ، ولم ينس أن يضع الجمل إلى جوارها كرمز لأصل الرحلة .

ونفس الفنان هو الذى اتجه بفنه ـ عندما دعت الحاجة ـ إلى تسجيل الأفراح وحفلات العروس على جدران بيت العروس بأسلوبه الخالى من احترام الأبعاد وتحقيق المستويات والأعماق .

وهو الذى سجل مغامرات الزناتى ، وأبى زيد الهلالى ، ومعارك عنترة ، ولم ينس الإمام علياً وسيفه ذا الفقار ، وعزيزة ويونس ، وأساطير الشعب التى احتفظ بها الأدب الشعبى عصرة حية على مر العصور ، وقام الفنان الشعبى بواجبه فى تقريب صورتها إلى خيال الشعب .

* * *

لم يخرج الفن الفرعونى إلى عرض الشارع ، بل ظل فى المعبد ، ولكن خرج الفن فى العصور الإسلامية المختلفة ، ولم ينتقل الفن من الخير الدينى وانفعلات المؤمنين بالعقيدة المسيحية فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة المصرية .

والفن فى ظل العصور الإسلامية ـ على الرغم من الفكرة الشائعة عن تحريم الإسلام لأنواع معينة من الفنون ـ قد خرج إلى مستوى العامة وانبث فى زوايا كثيرة من جوانب الحياة .

وإن كانت بيوت القادة والحكام فى تلك العصور قد حفلت بالكثير من الجهد الفنى

(البقية على صفحة ١٢٤١)

عاد الشعر في العالم كما بدأ

بقلم : أحمد حسن الزيات

بدأ الشعر غنائيا فى كل أمة تهيأت له بحكم الفطرة وفعل الإقليم . والمراد بالشعر الغنائى ما يقوله الشاعر تعبيرا عن خوالج نفسه ، وتصويرا لمدارك حسه ، وتسجيلا لخواطر ذهنه ، كالغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل فى شأن غيره أما نسبته إلى الغناء فلأنه كان فى الدهر الأول ينشد على القيثار فى المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا فى الناس ، وكان الكهان وهم الشعراء الأولون يتخيرون لأناشيدهم اللفظ المصون العذب ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذى يرفع إلى السماء أسمى وأجل من الكلام الذى يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من المعابد إلى القصور ، ومن مدح الآلهة إلى مدح الملوك ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وإنشاده الموقع ، فظلوا ينشدونه فى المحافل والمجامع بلحون تختلف باختلاف البحور وتتفاوت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا الأعشى صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن إنشاده . واستمر ذلك دأبهم بعد الجاهلية فكان الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدى الخليفة أو الأمير ، فإذا لم يكن حسن الإنشاد اقتنى غلاما رخيم الصوت ليقوم عنه به . وقد قالوا إن الرشيد كان يطرب للإنشاد أكثر مما كان يطرب للغناء .

ونشأة الشعر فى المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعر فى كل أمة ، ولا يزال الأوربيون يقولون كما كان يقول الإغريق والرومان والعرب ، أنشد الشاعر شعره أو غنّاه ، ولا يقولون ألقاه أو أداه .

* * *

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر إلى المدينة ، وخرج الشاعر من دنياه إلى دنيا الناس ؛ وكانت الآلهة قد صنعت الخوارق ، والأبطال قد أتوا بالمعجزات ، فنسجت حولهم الأساطير ، واستفاضت عنهم الأحاديث ، وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل ، فجاء الشعراء فنظموا هذه الوقائع ملاحم وأنشدوها الشعب ليذكروه بأمجاد قومه ويثقفوه بسير أبطاله . وهذا هو الشعر القصصى ، ومنه فى تاريخ الأدب العالمى : الإلياذة لليونان ، والإينياد للرومان ، وماهابهاراته للهند ، والشاهنامة للفرس ، وسيرة بنى هلال للعرب ،

والملهاة الإلهية للطليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهنرياد للفرنسيين .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من الخيال إلى الواقع ، ومن الكلام إلى الحركة ، ومن المدينة إلى المسرح ، وكان الفكر الإنسانى قد نضج ، والأثر الفلسفى قد شاع ، والنظام الاجتماعى قد تعقد . فاتخذ الشعراء ، القصص الشعرى وسيلة الإصلاح بتمثيل أبطال القصة على المسرح وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم ما رواه القصاص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما فى المأساة ، أو تقويم المعوج من الأخلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما فى الملهاة ، وهذا هو الشعر التمثيلى .

فأنت ترى ان الشعر قد تطور فى تاريخ الإنسان أطوارا ثلاثة يتطورها كل شاعر فى ذاته وكل شعب فى مجموعه : وهى الغناء المهدهد فى الطفولة ، والقصص الحماسى فى الشبيبة ، والتمثيل الفلسفى فى الكهولة . ففى الأول يتغنى الشاعر بما يلم به ويتخيله ، وفى الثانى يقص ما يسمعه أو يعمله ، وفى الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله . ومنبع الأغانى الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظمة والجلال ، ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . ومظاهرها فى عمر الخليقة هى التوراة والإلياذة وشكسبير ، ولم يمر الشعر بهذه الأطوار الثلاثة مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة الطبيعة إلا عند الإغريق لأسباب فطرية وإقليمية ، أما عند الرومان ومن خلفهم من الأمم اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار إلا بتقليد الإغريق والأخذ عنهم .

* * *

أما الشعر القصصى وهو يقوم على الأعاجيب والأكاذيب والخوارق فقد كان له بلاغه فى العقول ومساغه فى الأذواق حين كان الناس لا يزالون يعيشون للحرب والحب ، ويفتنون بالبطولة والقوة ، ويصدقون بالهواتف والرؤى ، ويؤمنون بالكهانة والسحر ، ويعتقدون فى الأبطال والملوك . فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للإنسان الحديث خبايا الكون وأسرار الطبيعة ، فلم تعد التهاويل تروعه ، ولا الأباطيل تخدعه ، مج ذوقه هذا الضرب من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صوراً لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت ، وأصبح من العسير على الشاعر القصصى أن يوفق بين الملحمة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على الوقائع والعلم .

* * *

وأما الشعر التمثيلى ، وهو شعر الأناقة والترف ، فقد كان له فى أوربا نفاق وإشراق أيام كان المسرح للخواص ، لا يشهده إلا الملوك والنبلاء والقادة . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية فى تلك العصور أن

جمعوا بين أدب السيف وأدب اللسان ، فكانوا يتفاصحون فى الحديث ويتفاخرون بالأدب ويتنافسون فى الشعر ، وأصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفى القرن السابع عشر اشتد التشدق بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء سخر موليير من حذلقتهن فى ملهاتين من ملاهيه وهما (النساء العالمات) والمتفاصحات .

واستمر إشراق الشعر المسرحى ونفاقه حتى أقبل القرن العشرون وكانت الديمقراطية قد غلبت على المسرح ، والواقعية قد هيمنت على الأدب ، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيراً إلى أن شرط الإمكانية فى الشعر المسرحى مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم أو يمثلون لهم لم يكونوا فى الواقع يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يكلفون أوساط المثقفين أو أنصافهم شططا بتتبع السياق القصصى بين أوزان الشعر وقوافيه ، وفى غموض لغة الشاعر وتراكيبه ، فاقتصدوا فى تغليب أدب الخاصة على أدب العامة ، وقصدوا إلى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلى عن المسارح وانزوى فى المتحف الأدبى بجانب الشعر القصصى ينتظر من يخرجه إلى الأدب لا إلى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربى فى الشعر المسرحى بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقى ولا روايات أباظة شعب أسخيلوس وسوفكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير ، وإنما وجدت جمهوراً خاصته للواقعية وعامته للأمية ، فلم يفهم مرامى البيان فى الفصحى ، ولم يدرك أسرار الجمال فى الشعر ، فخرج من مشاهدتها غائب الرأى والوعى لا يدرى على وجه اليقين أى شىء رأى ولا أى كلام سمع !

إذن لم يبق فى العالم من تراث « أبولون » إلا الشعر الغنائى ، وهو فيض الوجدان ، وعبير الروح ، وأحلام النفس ، وأنغام القلب ، وحُداء البشرية المرفه فى طريق الحياة الوعر ، صفا من شوائب البهيمية فى العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلص للتأملات والوجدانيات والوطنيات والأغانى والأناشيد ، وهى علة وجوده وسر دوامه .

وهذا النوع من الشعر هو كما قلت أصل الأنواع الأخرى ، لجذوره ضاربة فى أعماق الأزل ، وفروعه ممتدة فى آفاق الأبد . فهو باق أبداً لأن البواعث التى تستدعيه لا تنقضى ، وهو جديد أبدا لأن العواطف التى تغذيه لا تتقادم .

سيبقى ما دام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد ما دام للمغنى صوت وألحان ، وسيسمع ما دام فى الإنسان نزوع إلى مثل وطموح إلى أمل ! .

أحمد حسن الزيات

مفردات قرآنية :

مادة الأمن في القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

جاءت مادة « الأمن » فى القرآن الكريم مرات كثيرة ، وتستعمل أحيانا بمعنى الأمن الذى هو ضد الخوف ، وأحيانا تأتى من المادة مشتقات تدل على الأمانة ، وأحيانا تأتى منها مشتقات تدل على الإيمان . وقد تحدثنا عن « الأمن » من قبل ، ونواصل الحديث عن الأمانة والإيمان .

وردت لفظة الأمانة فى طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ، وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، وقوله : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

والأمانة ـ كما تقول المعجمات ـ ضد الخيانة ، « والخيانة أن يؤتمن الرجل على شىء فلا يؤدى الأمانة فيه »(١) . ورجل أُمَنة ـ بضم ففتح ـ أى الذى يأمنه كل أحد فى كل شىء (٢) .

(١) كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ص ٣٦٥ .

(٢) القاموس المحيط ، ج ٤ ص ١٩٧٨ .

وقد وردت كلمة « الأمانة » فى آية كريمة فشغلت المفسرين أكثر من مثلها فى آيات أخرى ، وهذه الآية هى قول الله تعالى فى سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

تعددت الأقوال فى بيان المراد من « الأمانة » هنا فقال الراغب الأصفهانى : « قيل هى كلمة التوحيد ، وقيل العدالة ، وقيل حروف التهجى ، وقيل العقل ، وهو صحيح ، فإن العقل هو الذى لحصوله تتحصل معرفة التوحيد ، وتجرى العدالة ، وتعلم حروف التهجى ، بل لحصوله تعلم كل ما فى طوق البشر تعلمه ، وفعل ما فى طوقهم من الجميل فعله ، وبه فضل (الإنسان) على كثير ممن خلقه »(١) .

فالراغب بعد أن يورد أقوالا فى معنى الأمانة ، يختار معنى العقل ، ويحاول أن يرجع إليه بقية المعانى ببيان كونها داخلة فيه أو راجعة إليه .

(١) مفردات القرآن للراغب ، ص ٣٤ .

وقد روى - كما فى اللسان - عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا : الأمانة ها هنا الفرائض التى افترضها الله على عباده ، وقال ابن عمر : عرضت على آدم الطاعة والمعصية ، وعُرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية . ثم جاء فى اللسان : « والذى عندى فيه أن الأمانة ها هنا النية التى يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ، ولم يظهر عليها أحدا من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة ، ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان فى الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها ، وكل من خان فيما اؤتمن عليه فهو حامل ، والإنسان فى قوله : (وحملها الإنسان) هو الكافر الشاك الذى لا يصدق ، وهو الظلوم الجهول ، يدلك على ذلك قوله : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما) (١) .

وكأن المراد هنا أن يجعل الأمانة هى مطابقة الاعتقاد الداخلى للعمل الظاهرى والنطق اللسانى ، وكأنه يجعل الأمانة ضدا للنفاق ، وإذا كان الفيروزابادى يذكر فى القاموس أن المراد بالأمانة فى الآية « الفرائض المفروضة » ، فإنه ينتقل بعد ذلك إلى ذكر ما يؤيد صاحب اللسان ، فيقول : « أو النية التى يعتقدها فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله تعالى ائتمنه عليها ، ولم يظهرها لأحد من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة » (١) .

وقد نستطيع أن نلحظ الارتباط بين معنى « الأمن » ومعنى « الأمانة » ، لأن الأمانة توجد أمنا عند صاحبها ، لأنه يستقر بأمانته ومطابقة باطنه لظاهره ، وموافقة اعتقاده لعمله وقوله ، فلا يكون منافقا قلقا مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فيتحقق له الأمن والاطمئنان ، ويزول عنه الخوف الناشئ من القلق والنفاق والتلون ؛ وكذلك يأمن الناس الذى تحلى بالأمانة وحفظ الأمانات ، لأن الأمانة صفة تظهر آثارها فى حفظ الأمانات ، وهى الأشياء الذى يؤتمن عليها : مادية كانت أو معنوية ؛ (٢) وفى الحديث : « لا إيمان لمن لا أمانة له » .

---

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ طبعة بيروت .

(١) القاموس ، ج ٤ ص ١٩٧ .

(٢) من أنواع الأمانة أمانة المجالس ، ففى الحديث « المجالس بالأمانة » وهذا ندب إلى ترك إعادة ما يجرى فى المجلس من قول أو فعل ، فكأن هذا أمانة عند من سمعه أو رآه . انظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٥٠ واللسان ، ج ١٣ ص ٢٢ . طبعة بيروت .

ومن مادة « الأمانة » جاءت كلمة « الأمين » فى طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » وقوله : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » وقوله : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وقوله أكثر من مرة فى سورة الشعراء : « إنى لكم رسول أمين » .

والأمين هنا الذى لايخون ولا يخدع ، ومعنى : « وأنا لكم ناصح أمين » : أى عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة ، فما حق أن تتهمونى ، أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه ، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (١) .

وقد وصف جبريل بوصف الأمين ، يقول القرآن : « نزل به الروح الأمين » ويقول : « مطاع ثم أمين » وجبريل هو أمين الله على وحيه ، وسفيره إلى أنبيائه ورسله . وقد وصف مكان المتقين بالأمين فى قوله : « إن المتقين فى مقام أمين » أى أمنوا فيه من السوء والتعب والألم ، كما وصفت مكة بالبلد الأمين فى قوله : « وهذا البلد الأمين » أى الآمن .

وقد يجوز وصف الله سبحانه بوصف « الأمين » : روى الأزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة فى قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » قال : غشى على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أن نفسه خرجت فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة ، فلما أفاق قال: أغشى على ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم ، إنه أتانى ملكان فى غشيتى ، فقالا . انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين . فانطلقا بى فلقيهما ملك آخر ، فقال : وأين تريدان به ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين . قال : فأرجعاه ، فإن هذا ممن كتب الله لهم السعادة ، وهم فى بطون أمهاتهم ، وسيمتع الله به نبيه ما شاء الله ! . فعاش شهراً ثم مات ! (١) .

ويكون معنى الأمين هنا هو القوى ، إذ من معانى الأمين فى كتب اللغة القوى (٢) ، وقد يقوى هذا ورود كلمة « الأمين » مع كلمة « العزيز » فى القصة السابقة .

* * *

ومن أصل مادة « الأمن » جاءت كلمة « الإيمان » التى وردت فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » وقوله : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » وقوله :

(١) الكشاف للزمخشرى ، ج ٢ ص ٦٩ .

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٧ .

(٢) انظر مثلا القاموس ج ٤ ص ١٩٧ .

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ، وقوله « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » وورد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا » عشرات المرات فى القرآن المجيد . . الخ .

وفى القاموس أن الإيمان هو الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة (١) : وحدد الزجاج الإيمان بقوله : الايمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هـذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله فى ذلك ريب (٢) .

وقال الأزهرى : اتفق العلماء على أن الايمان هو التصديق ، قال تعالى « وما أنت بمؤمن لنا » ، أى ما أنت بمصدق لنا ، وتقول العرب : (ما أمنت أن أجد صحابة) أى ما وثقت ، فالإيمان هو الثقة والتصديق ، وقال الله تعالى : « الذين آمنوا بآياتنا » أى صدقوا بها ووثقوا فيها (٣) . ومن الواضح أن التصديق اطمئنان واستقرار ، وأن الثقة اطمئنان واستقرار ، فارتباط الإيمان بالأمن واضح ظاهر .

(١) المرجع السابق .
(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٣ .
(٣) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٧ .

ويقول الطبرسى عن الإيمان (١) : « أما فى الشريعة فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وأنبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار » .

ويعبر ابن قتيبة عن إيمان العبد بالله بأنه تصديقه قولا وعملا وعقداً ، فالعبد مؤمن أى مصدق ، والله سبحانه وتعالى مؤمن ، أى مصدق ما وعده ، أى محققة ، أو هو قابل لإيمانه (٢) .

وقد ذكر بعض الأئمة أن الإيمان أنواع فمن الإيمان تصديق باللسان دون القلب ، كإيمان المنافقين ، يقول الله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا » أى آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب ، ومن الإيمان تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض ، قال الله تعالى : «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » يعنى مشركى العرب ، إن سألتهم من خلقهم قالوا : الله،وهم مع ذلك يجعلون له شركاء ، وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل والكتب ويكفرون ببعض

(١) المرجع السابق .
(٢) تفسير غريب القرآن ، ص ١٠ .

قال الله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » يعنى إيمانهم ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلهم [١] .

وللإيمان استعمالات يشير إليها الراغب ، فيستعمل تارة إسما للشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل فى شريعته مقراً بالله وبنبوة محمد وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء ، تحقيق بالقلب وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، ويقال لكل من الاعتقاد ، والقول الصدق والعمل الصالح إيمان ، ويزداد اهتمامنا هنا بقول الراغب فى حديثه عن الإيمان : « إلا أن الايمان هو التصديق الذى معه من [٢] لأن هذا يؤكد ارتباط معنى الإيمان بمعنى الأمن. كما أن الإيمان يرتبط بالأمانة ، لأن « الأمل فى الإيمان كما يقول ابن منظور فى اللسان — الدخول فى صدق الأمانة التى ائتمنه الله عليها فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة ، وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التى ائتمنه الله عليها ، وهو منافق ، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب ، فإنه لا يخلو من وجهين : أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم ، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقال له ، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق ، وترك قبول الصواب ، أعاذنا الله من هذه الصفة وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم ، جهل فتعلم ممن علم ، وسلمنا من آفات أهل الزيغ والبدع ، بمنه وكرمه » [١] .

وقد تحدث العلماء كثيراً عن شمول الإيمان للعمل ، وقال الطبرسى : قد روى الخاص والعام عن على بن موسى الرضى عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا : الإيمان قول مقول وعمل معمول ، وعرفان بالعقول ، واتباع الرسول [٢] ! :

وفى أسماء الله تعالى « المؤمن » كما جاء فى القرآن وهو الذى يصدق عباده وعده ، فهو من الإيمان بمعنى التصديق ، أو هو الذى يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فيكون من الأمان والأمن [٣] . وقال بعض أهل العلم : إن

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٧ .
(٢) مفردات القرآن ص ٣٥ .

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٣ .
(٢) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٨ .
(٣) النهاية لابن الأثير ، ١ ص ٤٣ .

المؤمن فى صفات الله تعالى هو أن يصدق ماوعد عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم (١) وقال ابن قتيبه فيما يتعلق بوصف العبد بصفة المؤمن : « وقد يكون المؤمن من الأمان ، أى لا يأمن إلا من أمنه الله (٢) » فالعبد يصدق ربه فيأمن بتصديقه ، والله يصدق عبده فى هذا الإيمان فيمن عليه بالأمان :

وقد يراد المؤمن الشخص الأمين الذى يأتمنه الناس ، فى الحديث عن ابن عمر قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من المهاجر ؟ . فقال النبى من هجر السيئات . قال : فمن المؤمن ؟ قال : من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قال : فمن المسلم ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قال فمن المجاهد ؟ قال : من جاهد نفسه (٣) .

ومن هذه النصوص والشواهد المتواكبة المتعاقبة نشهد ترابط الفروع الثلاثة لمادة الألف والميم والنون ، وهذه هى الأمن ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد التكذيب .

أما بعد فقد قال ابن عباس : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن معنى « آمين » فقال افعل (١) ، وهذا كما يقول ابن فارس : يعود إلى معنى مادة « أمن » الثانى وهو التصديق ، لأنه متى استجاب الله للدعاء وحققه فقد صدقه فهناك تصديق للدعاء بالتحقيق له من الله سبحانه ، ولذلك قال الترمذى : إن معنى آمين : لا تخيب رجاءنا ، وقال جعفر الصادق فى تأويل آمين : قاصدين نحوك ، وأنت أكرم من أن تخيب قاصدا : وقال أبو إسحاق : معناها : اللهم استجب ! .

ونعود فنردد بالدعاء قائلين : اللهم لا تخيب رجاءنا ، اللهم آمين ! .

أحمد الشرباصى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ١٠ .

(٣) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ .

(١) تهذيب الأسماء للنوى ، ج ١ ص ١٢ . ونحن نتعرض لكلمة (آمين) لأنها فى الظاهر من مادة « الأمن » .

بمناسبة العيد :

مباهج الحياة .. في نظر الإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

يردف الإسلام صيام رمضان - عيد الدستور في الإسلام - بعيد الفطر . . .

ويردف الإسلام أيام الحج في ذي الحجة - عيد الوحدة في الإسلام - بعيد النحر . . .

وينظر الإسلام إلى هذا وذاك على أنه عيد .

عيد فيه معنى البهجة والفرحة ، واللعب واللهو البرئ ... وإشارة النص إلى أن هذين العيدين بديلان أفضل وأخير ليومين كان العرب « يلعبون » فيهما في الجاهلية ... إشارة النص إلى هذا لا تخلو من دلالة معبرة ! !

وهكذا تتعانق شعائر الصيام والحج والتبتل ، مع شعائر الفرح والمرح ...

إن الحياة في الإسلام سوية مستقيمة ... ليس فيها نسك الأعاجم ، وعبوس المتزمتين ، وإضناء الجسد بدعوى ترقية الروح . . .

الحياة في الإسلام متكاملة . . .

ترضي الجسد والروح ، وتستوعب الجد واللهو ، وتستكمل الحاجات والأشواق ، وتستجيب لضغط الضرورة ودواعي الزينة والجمال والكمال !

* * *

في القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« والخيل والبغال والحمير ، لتركبوها . . . وزينة » ! !

وفي القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« يا بني آدم . . . خذوا زينتكم ، عند كل مسجد » ! !

وفي القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ! !

وفي القرآن الكريم ، نقرأ أن نبيا صالحا من أنبياء الله رضي أن يرسل ابنه الحبيب - الذي هو بدوره نبي كريم - ليلهو ويلعب :

« أرسله معنا غدا . . . يرتع ويلعب . . . وإنا له لحافظون » ! !

فالإسلام لا يصادر مباهج الحياة ، ولا يحرم طيبات ما أحل الله . . .

والإسلام لا يعرف التقوى المرهقة القاسية :

إنه يفرض الوضوء طهارة ونظافة . . . ثم يردف الحكم بالحكمة ... « ... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

ويفرض الصلاة ... ثم يردف الشعيرة ببيان الغاية «وأقم الصلاة ... إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون».

ويفرض الصيام ... ثم يقرر أن الأصل هو التيسير «... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون».

وأحكام الإسلام ... تختار صاحب «الصوت الجميل» للأذان، وتفضل «الأحسن وجها» على غيره ممن تتوافر فيهم شروط الإمامة فى الصلاة!!

* * *

تحدث الإمام الجليل ابن حزم عن سماع الألحان والغناء، فكان له رأيه الجليل المشهور، وقد قرر أن «بيع المزامير والعيدان، والمعازف والطنابير - حلال كله، ومن كسر شيئا ضمنه ...»!!

وهو يناقش مدلول اللهو الذى ذمه القرآن، ويقرر أن اللهو فى الأصل مباح، فيقول فى معرض مناقشة الآية القرآنية الكريمة «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا، أولئك لهم عذاب مهين».

«... هذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف، إذ اتخذ سبيل الله تعالى هزوا، ولو أن امرءا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله تعالى ويتخذها هزوا — فهذا هو الذى ذم الله تعالى، وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليلتهى به ويروح نفسه، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ...

فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق، وكذلك كل شئ غير الغناء!! ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ... كخروج الإنسان إلى مشيانه متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا، وصباغة ثوبه لا زورديا أو أخضر أو غير ذلك، ومد ساقه وقبضها، وسائر أفعاله ...!!».

وروى فى حياة رسول الله ... أتقى الخلق لله وأعبدهم له، هذه الروائع: فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة قال: دخل على رسول الله فى يوم عيد، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه. فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال لى: أمزمار الشيطان عند رسول الله؟ فأقبل عليه رسول الله فقال دعهما ... وعلق ابن حزم على هذا الحديث «فصح أن الغناء

مباح مطلق لا كراهية فيه ، وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك » ! !

وهو يروى أيضا من طريق مسلم عن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة ، قالت : جاء حبش يزفنون (أى يرقصون) فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى حتى وضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى انصرفت عن النظر ! !

ودلالة هذه النصوص واضحة . . .

والذى يعنينا من رأى ابن حزم بصفة خاصة فى هـذا المقام ، نظرته إلى اللهو ، وتصنيفه لأنواعه وحكم هذه الأنواع ما بين الحل والحرمة .. فأيا كان رأيه فى السماع ، فإن فى تفرقته بين اللهو المباح والمحرم ، وتقريره الأصل فى الإباحة ، انتصاراً للفطرة ، وإبرازاً لروعة أحكام الإسلام ، ودلالة على حسن الفقه فى دين الله !

* * *

وتأتى الأعياد فى الإسلام . . . تقريراً وتوكيداً لبهجة الحياة ! فيها يأخذ المسلمون زينتهم ... ويعلنون بهجتهم ! . وفيها يتجمعون... ويتزاورون!. وفيها يفرحون... ويمرحون ! ! .

وهذه البهجة فى العيد مقدسة بأمر الله . . كما أن الصوم فريضة بأمر الله ، وكما أن الجد فى مواضعه مطلوب بشرع الله ! .

والصيام يوم العيد حرام ...

واستثارة الأحزان يوم العيد حرام ...

إن الله يُعبد بإشاعة الفرح والسرور ، كما يُعبد بالجد فى معالى الأمور ! .

ولكن المسلمين غفلوا عن هـذه الصورة البهيجة فى دينهم ، فقتمت حياتهم ، وغدا الناس يرون أنفسهم بين أمرين : حياة كالحة ثقيلة باسم الدين ، أو حياة منطلقة معربدة تتحلل من كل القيم ! .

ولو أنصف دعاة الدين فى عرض دينهم .. لعرضوه متكاملا ، وأبرزوا وفاقه مع الفطرة والحياة ...

إن عبد الرحمن الكواكبى يبرز آفة التزمت والتشدد ويحذر منها فى كتابه « أم القرى » : « ... وهكذا بالتمادى عظم التشديد فى الدين، حتى صار إصراً وأغلالا ... فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقيل التكليف ... « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » ـ فإذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود ، فما معنى نظرنا الفضيلة فى المزيد ؟ » .

أيها المؤمنون :

إن كتابكم قد لفت أنظاركم إلى الكون وروائعه ...

وقد زكى فيكم إحساس الشعور بالجمال وبدائعه ...

وقد فتح أعينكم على نعم الله عليكم فى أنفسكم وفى دنياكم ...

فاعبدوا الله بالإفادة من نعمه ، والمتعة بطيباته ، والبهجة بالحياة السوية والفطرة المستقيمة وأعلنوا الفرح المقدس بالعيد ، كما أعلنتم « الصبر » المقدس بالصيام ! .

« فأقم وجهك للدين حنيفا ... » .

فطرة الله التى فطر الناس عليها ...

لا تبديل لخلق الله ...

ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

فتحى عثمان

بقية المنشور على صفحة ١٢٢٨

الرفيع فى صورة زخارف أو كتابات أو أنواع من الخزف المسطح على الجدران ، أو الآنية بين خزف ونحاس أو أقمشة وسجاجيد .

فقد وجد الفن مجاله بين العامة وفى بيوتهم على صور وهيآت مختلفة ، ولم تقتصر على مناسبة دينية ، أو مناسبة عامة أو خاصة .

ولم يتحرج الفنان الشعبى أن يحرك صوره ونماذجه ورسومه ، ويحررها من القيود التى أملاها الاتجاه المدرسى لفن الدولة - فى الفن الفرعونى - أو قيود الوقار الدينى - فى الصور المسيحية - كما امتاز عمله بتنوع الموضوع وتعدد الاتجاه .

وهذا نرى أن الفن الشعبى لا يكاد يظهر فى العصر الفرعونى ، ويظهر محدوداً بالحيز الدينى فى العصر المسيحى ، وانطلق غير مقيد واضحا متعدد الاتجاهات فى ظل الحضارة الإسلامية .

عبد المجيد وافى
المدرس بمعهد القاهرة

ابتداء القراءة بالبسملة فى غير أوائل السُّوَر

للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم

دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ما نشر على صفحات مجلة الأزهر الغراء فى العدد الماضى تحت عنوان « قراءة القرآن من أواسط سوره » ، وهو بحث قرآنى يدور حول رياض القرآن الكريم فعلينا أن نتحرى فيه الدقة الفائقة والاستقصاء التام والدراسة الواعية وأن نتناول الموضوع الدينى من جميع أقطاره حتى يبدو على مرآة البحث مقنعا كاملا واضح المعالم خاصة إذا ترتب على نتيجة البحث حكم عملى يهم المسلمين فى أنحاء العالم كله .

ذكر الكاتب أدلة المثبتين للتسمية قبل تلاوة القرآن فى غير أوائل السور وخرج الحديث الداعى للتسمية « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » وبين درجة الإسناد فيه وأنه لم يصل إلى درجة التواتر والشهرة .

ثم فكر علام اعتمد الصوماليون فى طريقتهم من الاستعاذة ثم القراءة مباشرة من غير التسمية بخلاف المصريين فاهتدى إلى الدليل القاطع الذى سماه نصا فى الدلالة على عدم التسمية فى غير أوائل السور .

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ، فهذا فى معرض البيان لأسلوب البداءة حين القراءة يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها دون التسمية إذ من المقرر فى علم الأصول « أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر » ، فزيادة التسمية زيادة على نص قرآنى والزيادة على النص القرآنى نسخ والنسخ لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور ولولا هذا النص لكان رأى القائلين بالتسمية سائغا .

وأقول إن من القواعد المقررة فى علم الأصول « الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال » .

وقد قال بعض العلماء « إن منطوق الآية من غير تأويل يقتضى القول بالاستعاذه بعد القراءة » ، وهذا طبعا يخرج المقام عن أنه مقام ابتداء للقراءة ومهما قيل فى هذا الرأى فهو احتمال يتمشى مع النظم القرآنى والمعنى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد قراءة حتى لا يوسوس لك الشيطان بعدم الفائدة من قراءتك .

وعلى رأى أكثر العلماء من أن المقام هو الابتداء أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ الخ : فهنا يتحتم علينا أن نبحث الفرق

بين الاستعاذة والتسمية فمن المعلوم أن الاستعاذة بالاتفاق ليست بقرآن أما بسم الله الرحمن الرحيم فالاجماع على أنها آية من سورة النمل وهى آية من كل سورة عند ابن المبارك وهى فى الفاتحة آية عند الشافعى ، وفى أحد قوليه أنها آية من كل سورة وأما مالك فقال ليست بآية لا فى الفاتحة ولا فى غيرها — وما دام الاجماع منعقداً على أنها آية من سورة النمل بالاتفاق فهى على أى حال آية قرآنية فى أوائل السور وفى غيرها ، وإنما الخلاف ينصب على أنها هل تعد ضمن آيات كل سورة أو هى آية واحدة فى القرآن توجت بها رءوس السور فلا تعد إلا ضمن آيات النمل — بعد كل ذلك نقول : وإذا ثبت أنها آية قرآنية فلا يقال لم اقتصر النص القرآنى فى الآية على الاستعاذة ولم تذكر التسمية لأن معنى الآية فإذا قرأت القرآن الصادق بالتسمية وبما يماثلها من آيات قرآنية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وأظن بعد ذلك أننا لسنا أمام نص قرآنى قاطع بعدم التسمية وأننا معافون من النتائج المترتبة على معارضة النص وبناء على ذلك من الممكن أن تكون أدلة المثبتين سائغة .

وإذا كانت الحكمة الداعية للاستعاذة قطع وساوس الشيطان والهواجس النفسية التى تتزاحم على رأس القارىء إبان التلاوة فلتكن هى الحكمة فى القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، ولعل اتحاد الحكمة هو ما جعل ابن القاسم رحمه الله يقول إن الاستعاذة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم [1] » .

وإذا كانت الاستعاذه خصوصية فى ابتداء التلاوة الأمر بها فى الآية كما جعل التكبير خصوصية فى افتتاح الصلاة فما المانع أيضا أن تجعل البسملة خصوصية فى كل افتتاح للتلاوة قياسا على أوائل السور المجمع على كتابتها فى أوائلها وقراءتها فيها تيمنا وبركة واتباعا وقسما .

وإذا كانت البسملة مطلوبة فى أول الأفعال بالنص القرآنى كالنحر وركوب البحر فقد قال تعالى فى النحر فكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وفسر اسم الله ببسم الله الرحمن الرحيم، أليس من حقنا أن نفسر اقرأ باسم ربك : اقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم . ونستأنس بما لهذه الآية من منزلة ومكانة عن البدء بها فى أول كل سورة عدا براءة لأنها متممة لسورة الأنفال أو لأنها سورة السيف .

واستحضر معى قصة سفينة نوح وهى تحمل المعمرين إلى الدنيا أنه أمر جليل ، لذا ذكرت التسمية « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فإذا طلبت فى بدء الأفعال فقراءة القرآن من أى نقطة أولى وأجل ، وهذا يوافق معنى الحديث : كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع .

(1) أنظر سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٣٩ وسنن أبى داود ج ١ ص ٧٧ .

وإذا استعرضنا المناسبة التي ذكرت فيها بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل نجد ملكة سبأ تحكى لأشراف قومها مضمون كتاب سيدنا سليمان ، وقد بدىء بالتسمية « قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم » مكرم مختوم ، ولم تذكر صورة الكتاب ، وإنما اقتصرت على ما فيه الفائدة ، لشدة معرفتها وبلاغتها « إنه من سليمان » المرسل سليمان « وإنه » أى مضمونه الآتى « بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين »

حكاية الله لنا أن سليمان ابتدأ كتابه الملكة ببسم الله وذكر الله لنا ذلك في وسط السورة وبين ثنايا الآيات ، أليس في ذلك ما يطمئننا حينما نقرؤها في ابتداء الآيات ويجعلنا نحلى بها جيد كل ابتداء للتلاوة .

وانظر معى إلى مناسبة آية الاستعاذة بما قبلها من آيات : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » نجد أن حكمة التفريع على ما قبلها كما ذكرت التفاسير أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب الاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على وساوس الشيطان ، والمعنى إذا علمت مما تقدم أن أعظم الجزاء لمحاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو أحسن الأعمال وأزكاها . وبناء على ذلك نقول : إذا ثبتت التسمية في بدء الأعمال كما تقدم ، فإن أزكى الأعمال البدء في التلاوة سواء من أوائل السور أو من غير أوائلها بما جعلته بدءاً لقراءتك ما دامت القراءة من غير أوائل السور جائزة ومن أحسن الأعمال .

وبعد فما أوردنا نستطيع أن نقول : حتى لو أسقطنا من حسابنا الاستدلال بالأحاديث الداعية للتسمية وقول الكثير من العلماء والقراء .

إن البسملة في غير أوائل السور ليست معارضة لنص قرآنى ، وإن البسملة بعد الاستعاذة في غير أوائل السور أشبه مايكون بالحق وأقرب إلى الصواب لليمن والبركة ، والقياس على ما علمنا من الأعمال والقياس على أوائل السور .

وعلى القراء أن يصدحوا بها وهم مطمئنون فهى آية أمام الآيات لها ميزتها الخاصة بما جعلها تتكرر في بدء كل سورة ، ولا لوم إذاً على من لم ينكرها من العلماء الأزهريين طوال هذه السنين ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

أصالة الفقه الإسلامى

للأستاذ على العمارى

كتب أحد العلماء بحثا فى صحيفة يومية جاء فيه فقرة عن الفقه الإسلامى يقول فيها : « وهناك طريق آخر تسربت منه هذه الفتوى التقليدية - يريد الحكم بقتل المرتد عن الإسلام - وأعنى به طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التى تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم فى العصر العباسى ، وقد كانت هذه التقاليد ، وما زالت تقضى بقتل المسيحى إذا هو غيّر دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) ص ٥٦ من كتابه الجليل (الحضارة الإسلامية) » .

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ؛ فالمستشرقون يحاولون جاهدين أن يسلبوا أسلافنا كل فضيلة ، وأن يشككوا فى تراثنا كله ، والمستغربون وأشباههم من أبناء أمتنا يريدون أن يتشبهوا أن لم يكونوا مثلهم ، وعند هؤلاء وهؤلاء أن العرب أضيق أفقا ، وأضعف عقولا من أن يدونوا علما ، أو يقعدوا قواعد ، ولو كان لهذا العلم أصوله النازلة من السماء .

فالبلاغة من أرسطو ، وشيخ البلاغيين عبد القاهر قد أنفق جهداً صادقا خصبا فى التأليف بين قواعد النحو العربى وبين آراء أرسطو العامة فى الجملة والأسلوب والفصول ، ولم يكن عندما وضع فى القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة البيان العربى إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ، فالبيان العربى فى جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليونانى أخيراً ، وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين فى الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول فى علم البيان .

هكذا يقول شيخ المستغربين ، فهو لم يكتف بتأثر البلاغة العربية فى طور من أطوارها بالبيان اليونانى ، بل جعلها وثيقة الصلة بهذا البيان فى جميع أطوارها ، فليس من علماء العرب أحد تكلم فى البيان منذ بدأ العرب يتكلمون إلا وهو دارس للفلسفة اليونانية ، هكذا ... والشيخ عبد القاهر لم يكن له أى فضل إلا أنه بذل جهداً صادقا فى شرح أرسطو ، فأسرار البلاغة قبس من فلسفة أرسطو ، ودلائل الإعجاز لا يسع من يقرؤه إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق فى التأليف بين قواعد النحو العربى وبين آراء أرسطو . وماذا بقى بعد ذلك لإمام البلاغيين ؟ بقى له التوفيق الذى يدعو إلى الإعجاب فى محاولته هذه .

والنحو العربى كذلك ليس من وضع سيدنا على بن أبى طالب ولا أبى الأسود الدؤلى لأنهما فيما أعرف لم يدرسا النحو السريانى ، وهذا النحو هو أساس النحو العربى ، لأن تقسيم الكلمة فى النحوين واحد ، والسريان ـ طبعا ـ سابقون ، فمنهم أخذ العرب نحوهم ... ولا شك !

وقد كنا نعتز بجهود فقهائنا . وأمانتهم ، وتحريهم ، ونقول إنهم ـ على الأقل ـ وحدهم من بين علمـــاء العربية الذين اعتمدوا على دراساتهم العربية المحضة . وعلى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وعمل أصحابه ، ولكن بعض علمائنا ينبهنا ، ونحن غافلون ، نقلا ـ طبعا ـ عن أحد المستشرقين ، أو عن جماعة منهم ، إلى أن هؤلاء الفقهاء تأثروا بالفقه الرومانى ، وبتقاليد الدولة البيزنطية ، بل تسربت إليهم بعض الأحكام ، وهم لا يشعرون ، وما داموا كذلك فلا ثقة بما يقولون ، ويجب أن نطرح آراءهم حين نبحث عن الحقيقة ، (والإسـلام الأصيل الحقيق السمح براء كل البراءة من قتل المرتد مسلما كان أو غير مسـلم . فلنترك الناس أحرارا فى آرائهم ومعتقداتهم) ـ كما يقول هذا الكاتب ـ وفقهاء المسلمين جميعا راغمون !

هـذا هو المنطق الذى يكتب به قوم من أبنـاء جلدتنا ، يتسمون بأسمائنا ، ويدينون بمعتقداتنـــا ، ويعيشون على أرضنا .

(كولد زيهير) قال إن الفقه الإسـلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، فيجب المصير إلى قوله . لأنه العلامة الأوحد الذى تفضلت به الحياة على الناس ، ولا يمكن أن يرد قوله ، أو تحوم الشبهة حول صحة تفكيره ، وقوة منطقه ، أما الباحثون من المسلمين ، قدامى ومحدثين فلا ثقة بمـا يقولون .

لقد أثيرت هذه المسألة قبل ذلك فى أوقات متباعدة ، وقد نوقشت وتبين فيها وجه الحق لمن يريد الحق ، ولكن لا بد من جـديد ، والجديد عندنا إن وجدنا من يريد أن يقتنع .

أول ما ينبغى أن يعرفه المفتونون بالغرب ، عن قصد أو عن غير قصد أن المستشرقين ـ مهما تذرعوا ، وتظاهروا بحب البحث العلمى ـ هم أعداء ألداء للإسلام ، وللثقافة الإسلامية (ولا يعرف العقـل ولا المنطق حدا لمـا يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى وتشويه لمبادئ الإسلام ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هـذا الجانب ، والتفاوت ـ إن وجد بينهم ـ إنمـا هو فى الدرجة فقط ؛

فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه [1]) .

وجولد زيهر - بالذات - معروف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، وهو من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ودورها فى تشويه الإسلام معروف لكل من طالعها .

وأخطر من المستشرقين - فى نظرى - أولئك المستغربون ، الذين يروجون آراءهم بل ويدافعون عنها ، ويطيلون فى امتداحها .

وهل يمكن أن نجد رجلا يحترم دينه وعقله ، وقد قرأ شيئا عن مصادر التشريع الإسلامى ، وعرف أن القرآن والحديث هما المصدران الوحيدان لهذه الشريعة ، هل يمكن أن يقول هذا الرجل إن الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، وعلماؤنا الأتقياء الورعون الذين كان بعضهم يتورع أن يفسر كتاب الله برأيه ، وصحابة الرسول الأجلاء الذين أخذنا عنهم كثيرا من تفسيرات شريعتنا ، وكل أولئك كانوا شديدى الخوف أن يقولوا على الله ما لم ينزل به وحى ، أو يتحدث به الرسول الكريم .

إن دعوى أن مسألة من المسائل تسربت إليهم من التقاليد المسيحية البيزنطية دعوى جريئة لا يقول بها إلا من يجهل التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا ، فالذى يعرف تاريخ الصحابة ، ويدرس سلوك الأئمة وأخلاقهم يوقن أن هؤلاء لا يمكن أن يعتمدوا أحكاما بعيدة عن الإسلام ، ويدخلوها فى الفقه على أنها من الشريعة ، والذى لا سبيل إلى الشك فيه أنهم كانوا يقفون عند النصوص ، فإذا لم يكن نص اجتهدوا ، واستندوا إلى الأصول العامة فى الدين .

والدارس للفقه ولتاريخ التشريع يعلم أنه بعد عصر الصحابة نشأت مدرستان نما الفقه وترعرع فى ظلالها ، مدرسة المدينة . وعمادها الفقهاء السبعة المشهورون ، وإمامهم سعيد ابن المسيب ، ومدرسة الكوفة وإمامها ابراهيم النخعى الذى ظهرت صورته واضحة فى أبى حنيفة .

أما المدرسة الأولى فقد أسست الفقه الإسلامى ، وكانت تستمد فقهها من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان مذهبهم اتباع السنة ، ومذهب الصحابة ، وقد بعدت هذه المدرسة عن أى مؤثر خارجى لأنها قامت فى مدينة الرسول ، وكان هؤلاء إذا لم يجدوا نصا فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه لجأوا إلى القواعد العامة للدين من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار ، وقوله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

[1] من محاضرة عنوانها (المبشرون والمستشرقون) ص ١٥ للدكتور محمد البهى .

وأما مدرسة الكوفة ، فمع أنها شهرت بمدرسة الرأى كانت تأتم فى عملها بجماعة من الصحابة أشهرهم ابن مسعود ، وقد أدرك إمامها وهو النخعى جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدرى والسيدة عائشة — رضى الله عنها — وكانت هذه المدرسة كذلك إذا لم تجد نصا لجأت إلى الرأى ، ولكنها عنيت بالتعليل ، على أنه إذا ثبت عندها النص لم يتركوا العمل به ولو خالف الأصول العامة ، وأبو حنيفة الأستاذ الثانى فى هذه المدرسة كان من العلم والفقه والورع على ما كان ، وقد شهد له الإمام الشافعى شهادة جليلة ، حيث قال : « من أراد أن يفتن فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبى حنيفة » . وكان أبو حنيفة يأخذ بخبر الآحاد إذا لم يخالف السنة المشهورة ولم يسبق طعن أحد من السلف فيه ، ولم يخالف العمل المتوارث بين الصحابة والتابعين.

فى هذه الفترة تحددت كل أصول التشريع ، وكان عمل الفقهاء فيما بعد التفريع والتعليل ، فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء الإسلاميين أخذوا فقههم من أى فقه آخر .

على أن الأوزاعى الذى يجعلونه مظهرا لتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى لأنه عاش فى الشام ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، هذا الامام كان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، على أن مذهبه قد اضمحل وذهب ، وذهب معه كل أمل فى البحث عن أثر الحقوق الرومانية فيه إن صح أن لها فيه تأثيرا [1] » .

وإذا كان لابد لنا من الاستعانة بما كتبه العلماء الذين درسوا الفقه الرومانى بجانب دراستهم للفقه الإسلامى ، فإننا نثبت هنا كلمتين لعالمين كبيرين. قال معروف الدواليبى: « إننا إذا نظرنا إلى هذه الدقائق التاريخية وجدنا عندئذ دعوى المستشرقين عبارة عن فرضية مجردة من كل دليل ، ومتنافية مع الوقائع التاريخية ، وهذا ما يجردها بعد اليوم من كل قيمة ، ولم يجد الفقه الإسلامى فى سورية موطنا ملائما للتوسع والرقى ، والاقتباس من الحقوق الرومانية ، يقول ذلك لأن سورية — كما يرى — « لم يكن لها أى تأثير فى تطور الحقوق الإسلامية ، ولم يعرف عنها أنه نشأ فيها مذهب من مذاهب الفقهاء الأحرار ، لأن سورية فى عهد نشأة الحقوق الإسلامية كانت تحت سيطرة مذهب المحدثين المقلدين للفقه الاسلامى على ما هو عليه فى الحجاز ، وكما جاءت به نصوص

[١] الحقوق الرومانية وتاريخها ص ٥٣ لمعروف والداليبى .

الكتاب والسنة (١) ، هذا والكاتب سورى فقول فى هذه المسألة فصل .

وقال العالم الجليل الذى أطال النظر والدرس فى الفقه الاسلامى ، وكان حجة فى القوانين الغربية المرحوم الأستاذ عبد الرازق السنهورى . « لن يكون همنا فى هذا البحث إخفاء ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصنعة والأسلوب والتصوير ، بل على النقيض من ذلك سنعنى بإبراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقريب ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته ، وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه، ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى ، ولا يعنينا أن يكون الفقه الإسلامى قريبا من الفقه الغربى فإن هذا لا يكسب الفقه الاسلامى قوة ، بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع ، وهو جانب للفقه الاسلامى منه حظ عظيم (٢) » .

أعتقد أنه بعد هذا نستطيع أن نؤكد أن الفقه الاسلامى فقه أصيل ، وأن علماءه أدوا الأمانة العلمية على أتم وجوهها ، ولم يكونوا من البلاهة والغفلة بحيث يتسرب إلى فقههم حكم ليس له مستند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، وأن الذين يرددون هذه الأباطيل إنما يخدمون المبشرين والمستعمرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ؟

على العمارى

[١] الحقوق الرومانية من صفحات ٥٠، ٥٤، ٥٢

[٢] مصادر الحق فى الفقه الإسلامى صـ ٢ ، ٣

التدين ضرورة لحياة الأمم والأفراد

للأستاذ محمود النواوي

إن التدين ضرورة لا غنى عنها للبشر وأن التمسك بشعائر الدين مهما يكن ألزم لصاحبه من التحلل والإباحية مهما تكن، وهو معنى سليم صادق فإن التحلل من الأديان والإباحية الفاشلة مهما حاول دعاتها أن يدافعوا عن وصماتها . إن هو إلا تنازل عن معنى الإنسانية التي كرم بها الله الانسان وميز من الحيوان فكلفه ووجهه ، وجعله خليفة ، وسخر له الكائنات من حيوان ونبات وجماد .

فالإنسان مهما تكن درجته لا يكون إنسانا إلا بعقل ودين . أما العقل فإنه يتصرف به وينظم به شئون خلافته . والأديان لطف من خالق الإنسان تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وتخرج الناس من مضايق المشكلات وموالج الشبهات وذلك أن العقلاء يختلفون في وجهات النظر ، وتقتصر أفكارهم أحيانا حتى يتناقضوا إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظر قصير الإدراك في جانب علم الله الذي « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » قال الله سبحانه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فكان من لطفه وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والإيمان به من علوم السموات والأرض منظمين الحياة للناس في أسرهم وفي مجتمعهم وفي علاقاتهم كل أمة مع غيرها من الأمم حتى يعيشوا إخوانا متحابين ، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رؤوسهم لغير خالقهم ، يعبدونه لا يشركون به شيئا . ثم كانت هذه الطقوس هي التي تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض . وحتى لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخوانا متعاونين وإخوة متسالمين . وقد أرادت أن تلزم الناس ذلك . فجعلت لكل إنسان جزاء على ما يعمل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب ، وحتى يخاف ربه ويشفق من ذنبه فلا يفعل إلا خيرا . فإن نسى أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوما إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره

فى يسر بلا عنت وإن ربه رحيم به . لا يوصد دونه باب الإصلاح والاستصلاح فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم .

فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً ومعانداً مؤذيا ، فقد جعل له عقوبات فى الدنيا تزجره حتى لا يعود وتزجز غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوئام والحب . ولا يبغى بعض الناس على بعض وتتحقق الخلافة المنشودة .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمنتسبين إليه و بين غيرهم من دعاة الإلحاد والزندقة الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدنية : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما اشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

تالله لقد علموا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافى المدنية الحقة ، فإن المدنية الحقة تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان وكل هذه هى ما يدعو إليه التدين . بل يدور فى محوره . فكل طمع فى حق للناس وكل أثرة وأنانية وكل معاملة غير مرضية ليست تمت إلى التدين فى سيء وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله فى كلمة واحدة (قل آمنت بالله ثم استقم) .

أما إذا كانت المدنية هى الميوعة والخنوثة والعرى وقضاء حق الشهوات الحيوانية فى صور بهيمية فإن الدين لا يرضى ذلك لأنه يعلم ما فيه من وخيم العواقب وما يدعو إليه من العدوان والتنافس وما يوقع فيه من الأنانية التى هى معول التعاون ومصدر الشقاق . فأنبئونى إذن ما عيب الأديان وهى مصدر القوة وأساس التحرر وما عيبها وهى التى تأخذ صاحبها بالخير وتجعل منه ملاكا كريما لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه تجعل منه إنسانا متماسكا يرجى خيره ويؤمن شره . لأن له ضميراً حيا يحمله على الخير ويحول بينه وبين الشر .

إن الإيمان بإله قادر عليهم صانع حكيم مما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم واستدل الأعرابى بالسماء وكواكبها والأرض ومساكنها على اللطيف الخبير . كما استدل بالبعرة على البعير وبالخطوة على المسير وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم وكل ترجيح لا بدله من مرجح .

ولكن أبى ذلك : « من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا

تذكرون ، وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » .

هؤلاء قوم لا تخلو الدنيا منهم ينبتون فى مختلف العصور نباتا شيطانيا ليرووا شهواتهم وينالوا أقصى متعهم ولذاتهم وقد نظمت الديانة ذلك كله نظاما دقيقا أمينا ولكن إسم التدين قد يزعج كثيرا من النفوس الفارغة والأفراد الفاشلة . والتدين خير لهم لو كانوا يعلمون .

هؤلاء قوم تسللوا من جماعة الإنسانية ليكونوا فى حظيرة الحيوانية وصاروا يدعون الناس بالمغريات ويزينون لهم الشهوات ولم يكونوا شجعانا فى دعوتهم ، ولكنهم نافقوا وصاروا كالشاة العائرة بين الغنمين فانطبق عليهم بالدقة قول الله سبحانه فى كتابه الذى وصف به ضعفاء اليهود يوم جبههم دعوة الحق « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » إلى قوله سبحانه « فى طغيانهم يعمهون » .

المجد ما هو إلا مجموعة من الفضائل تتمثل فى رياضة النفس على العدل والإحسان والعفة والنزاهة والصدق والشجاعة والكرامة والأمانة والوفاء وما إلى ذلك من المكارم والدين وحده هو الذى يكفل لمن يتمسك أن يأخذ من هذه الصفات الكريمة فى أسرع وقت وأقرب زمن بأوفى نصيب .

هؤلاء يسيئون إلى أممهم وشعوبهم بمقدار ما تحسن الأديان إلى الناس والمساكين يتجاهلون ما يسيئون ويدعون أنهم يحسنون فهم كما وصفهم الله سبحانه إذ يقول « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . الآية » .

ليس مذهب الوجودية الذى دعا به سارتر فى فرنسا فقامت حوله ضجة عالمية بين معزز له ومنكر عليه هو نسيج وحده ولا أول شيء من نوعه .

وإنما هو تمثيل للتحلل الذى ظهر فى فرنسا منذ عهد بعيد . فأضعف شوكتها وقل عزيمتها وأخرها عن مستوى الأمم . وهو تجديد لعهد التحرر الذى مر بفرنسا قبل عهد نابليون ، على أنه تجديد فكل نعرة فاشلة يقوم بها بعض ذوى البطالة من عباد الأهواء والشهوات . يريدون أن يزعموا أنها مذهب وفلسفة . وليس الهدم مذهبا ولا فلسفة وإنما هو هدم لبناء الأمم وتقويض للشعوب .

وإن شئت فقارن بين المسلمين فى ماضيهم وقد اتخذوا الدين إماما وقدوة بينهم فى حاضرهم وقد عرفوا اللهو وأغرقوا فى نسيان القرآن وإهماله وحسبك . أو قارن

بين رجل متدين يخشى الله ويحسن إلى الناس فيعرف ما له وما عليه لا يؤذى ولا يبغى ولا يحسد ولا يحقد ويلجأ إلى الله فى كل أمره ويرضى بقضائه وقدره .

ماذا يكون إنتاجه فى الحياة وكيف تكون علاقته بالناس وقرة عينه بالعيش إذا كان مؤمنا حقا ، وآخر شهوانى طماع لا يعرف إلا الأثرة والأنانية والبغى والتخبط كيف تكون مشاكله فى الحياة ، وقنوطه من رحمة الله ، وشقائه بعيشه وتعاسته فى قومه ، وغير قومه .

ولقد وصف السيد جمال الدين الأفغانى أولئك الماديين وصفا طويلا فى كتابة الرد على الدهريين فكان مما وصفهم به أنهم كثيراً ما ظهروا فى الأمم منذ القدم يتسمون بسيما رفع الظلم ويدعون تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء وحماة الضعفاء ، وأنهم فى كل صورهم صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصدع متفاقم لبنية جيلهم ، وأطال الشيخ فى وصف أمم خضعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة التى كانوا ينالونها بقوة المقاومة والاعتزاز بالعقيدة والتمسك بالتقاليد الرفيعة ، وذكر منهم شعب الكرنك وهم اليونان الذين كانوا من أشرف الأمم وأعرقها فثبتوا أحقابا فى مقاومة الفرس وهى أمة عظيمة ذات مجد شامخ فهدموا أركانها ثم مدوا أيديهم إلى الهند فطاولوها ثم ظهر فيهم أبيقور المشهور بمذهبه الإباص التحللى ظهر هو واتباعه متسمين بسيما الحكماء ينكرون الألوهية ويقولون ما بال الإنسان معجبا بنفسه .

يزعم أنه أشرف المخلوقات ويدعى أن له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية بعد هذه الحياة ، ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا لنظام الطبيعة مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوان بمزية ، بل هو أدنى منها جميعها ، وما زال أبيقور وأتباعه بهذه المملكة حتى استعبدوها للشهوات فوقعت أسرى فى أيدى الرومانيين وخاضعة لحكمهم وكبلوا فى قيود العبودية حتى استردوا بعض أخلاقهم فعاد إليهم بعض مجدهم .

والأمة الفارسية . كانت أمة تمجد التقاليد وترعى العهود وتعتز بالصدق والأمانة لأن التقاليد الدينية كانت أساس حياتهم والمسيطرة على مجتمعاتهم فكانوا يؤثرون الصدق إلى درجة أن الواحد منهم لا يستدين مهما بلغت به الحاجة خوفا من الكذب والمطل وخلف الوعد فارتقوا فى الأسباب وبلغوا فى عزة الملك مبلغا عظيما . قال المؤرخ الفرنساوى لونورمان إن مملكة فارس على

عهد داريا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة واحدة منها تحتوى مصر والقلزم ، وبلوجستان والسند حتى ظهر فيهم مزوك الطبيعى الذى ينكر الإله والرسل على عهد قباز وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبدأ تعليمه بأن جميع الحدود والآداب التى وضعت بين الناس جور وأن الطبيعة جعلت حق المآكل والمشرب والمباضعة مشاعا بين جميع الناس . فلماذا يحمل الانسان على حرمان نفسه او حرمان غيره من مشاركته ولماذا لا تكون أم الرجل وبنته وأخته كزوجة ولماذا يتركهن لغيره يتمتع بهن دونه وأى خطر حق يستند إليه من يدعى ملكية خاصة فى مال يتصرف فيه دون سواه .

وذاعت هذه الخرافات بين الفارسيين فهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ونسفت فى الهواء ، وبددت فى الأجواء على أن أنو شروان قتل مزوك وجماعة من أتباعه ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة فى سهولة ويسر فضعفت شوكة هذه الأمة ، حتى إذا ما هاجمهم العرب لم تكن إلا جولة واحدة حتى هزموهم مع أن الروم ثبتوا للعرب أزمانا طويلة .

وإنك لتعرف تاريخك الإسلامى العربى . وماكان العرب فيه قبل إلتزام الدين الحق من فوضى وبغى وعدوان وضعف وخور واضطراب إجتماعى وسياسى مع انحرافهم وتحللهم وأن الشريعة الإسلامية جاءتهم فمكنت من نفوسهم الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة حتى صارت خير أمة أخرجت للناس وحتى أدخلوا فى دينهم مائة مليون فى قرن واحد من أمم مختلفة .

فلما كان القرن الرابع ظهر الطبيعيون بمصر تحت إسم الباطنية . وذهبوا مذاهب التدليس فى نشر آرائهم ومذاهبهم وأدخلوا من طريق التصوف المدخول . أن الأعمال الظاهرية مفروضة على المحجوبين . وأما الواصل فليس صلاة ولاصوم ولا حج ولاغيرها . وكذلك الحدود والعقوبات وهم يفسرون القرآن على أن له باطنا هو مراد الله سبحانه . ومنهم طائفة الإسماعيلية المارقة من هذا الدين وهى تنتسب إليه زوراً وبهتانا . فهم ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة ويعبدون زعيمهم ويحرمون الحلال ويحللون الحرام وقد ظهر بعضهم بآرائهم الإلحادية إذ وقف على منبر المسلمين فى قلعة خراسان فقال : إذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الأعناق ورفعت الأحكام الشرعية جميعها والقيامة عبارة عن قيام القائم بالحق وأنا القائم بالحق . فليعمل عامل ما أراد بعد اليوم فلا حرج . وقد كان هؤلاء من أكبر

العوامل فى ضعف النخوة الإسلامية والتمكين للأعداء. فاختلفوا وسادهم القوم الظالمون وضربوا ما أمكن تخريبه من بلادهم وهم عاجزون عن الدفاع لتفرق قلوبهم وكذلك نال منهم المغول والتتر كل منال . وأهدروا دماء الملايين منهم . وقد كان القليل منهم يهزم الجيوش الجرداء باجماع كلمتهم وكونهم كالبنيان المرصوص لا يعرفون إلا الطاعة والإنضمام إلى صفوف الجماعة .

على أننا قد بدأنا بحمد الله نستعيد مجد الإسلام والعروبة بفضل الثورة التى قامت على الأثرة والأنانية والطمع القاتل وجاءت بتمجيد الخلق الفاضل الكريم ، وحددت الحدود لكل من تحدثه نفسه بالخيانة أو الغدر أو تلين قناته للمطامع ، ولا غرو فإنك كلما تتبعت الأمم واحدة واحدة وجدت أن النصر والشوكة والعزة والبركة يقترن بالتدين الذى هو خلق متين وسلك قويم . والدين كما قلت : خير محقق لهذا المعنى ولا سيما دين الإسلام الذى يأمر كما شهد له عدوه بمكارم الأخلاق والذى هو المعاملة الكريمة ، ولهذا المعنى كان إنحطاط المسلمين إلى عهد قريب ، وبعد فما هذه النعرات القائمة ، وما هذه الظلمات القائمة كأنكم لا تعلمون . . ذلك التحلل الذى تنحدرون اليه هو أيسر وسيلة يسلكها العدو إليكم ليترككم فى الذل ولينال منكم كل غرض بعد أن يملأ نفوسكم بالمرض.

لقد علم أعداؤكم من دراسات الدول والجامعات أضعاف أضعاف ما تلوت عليكم من أن نجاح الأمم فى التمسك بدينها ، وأن إعراضها عن التدين أهدى سبيل إلى إضعاف شوكتها وتيسير مهمة أعدائها .

ولهذا قال كرومر سابقا ما دام هـذا القرآن بين ظهرانى المصريين فلا سبيل لنا عليهم ، لأنه رآه يعلم القوة ويدعو إلى العزة ويأمر بمكارم الأخلاق ويربى النفوس على المجد ، فإذا كان وجود القرآن أخافه وأرهبه لأنه سبيل المجد عند الانقياد لحكمه والعمل بما فى تضاعيفه . فكيف إذا عملتم بما فيه واهتديتم بهديه ، فأنى تؤفكون وإلى أين تذهبون ؟؟.

محمود النواوى

أنماط من الأدب العربي الرفيع

للأستاذ عباس طه

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير . ثم أن العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار. فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب ، وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد ، وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أكثر حفظاً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن إلى قرن ومن أمة إلى أمة ، فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير : وكانت العجم تجعل الكتابة فى الصخور نقشا فى الحجارة وخلقا فى البنيان، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركبة المشمر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون إلى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مربه ، ولا ينسى على وجه الدهور، ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع .

ولولا ما رسمت لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها لما شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم .

ولو لا جياد الكتب لما تحركت همم العلماء لطلب العلم ونزعت إلى حب الكتب وخرجت من حال الجهل ، ولدخل عليهم من الضرر وسوء الحال شيء كثير .

عن محمد بن الجهم يقول إذا غشيني النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الأريحية التى تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمير فإني إذا استحسنت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم استبدل عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله

وقال ابن راحة كان عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .

وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله تزكوا على الإنفاق وتربو على الكر لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي أنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق.

وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء. وقال آخر: الكتاب جليس بلا مؤنة .

وقال آخر: ذهبت المكارم إلا من الكتب.

وقال الجاحظ : « وأنا أقول : الكتاب نعم الذخر والعمدة والجليس ، ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشى ظرفا وإن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه بالله من ناسك فاتك وناطق أخرس .

ومن لك بطبيب أعرابي وروى هندى وفارس يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ـ وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملالا ولا إبرارا ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب، ولا أعم بيانا ولا أحسن مواساة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب تناولا ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبّان من كتاب ، ولا أعلم إنتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده .

يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأزمان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة .

ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا ووروده نهلا وإن شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك ، والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى يوافيك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيرك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ، والكتاب هو الذى إذا نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العام وصداقة الملوك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر ، وهو المعلم إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم تتغلب عليك .

وإن أمثل ما يقطع به الفرّاغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة صون عرض وإصلاح دين وتثمير مال ، وابتداء إنعام ، ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا متعته لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المار بك ، مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والعظة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ، ولو لم يكن فى ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف الحديث واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه .

لقد كان له بذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة ، وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس مما يمل لأنه وإن كان كتابا واحداً فإنه كثير فى خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب ابن الزبير : إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختارا ولؤلؤا منظوما .

وقال لقمان لابنه : يا بنى نافس فى طلب العلم فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ، ونفيس حظ من الناس مطلوب . وقال الزهرى : الأدب ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم . وقال : إذا سمعت أدبا فاكتبه ولو فى حائط .

وقال منصور بن المهدى للمأمون : أيحسن بنا طلب العلم والأدب ؟ قال : والله لأن أموت طالبا للأدب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فإلى متى يحسن ذلك قال : ما حسنت الحياة بك .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

الدين والسياسة فى باكستان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت تصفية الاستعمار شغلانا جديداً للباحثين فى علم السياسة أو علم الدولة والحكومة ، وهو العلم الذى يبحث فى تكوين الدول وفى العناصر الاجتماعية التى تهيء مجتمعا من المجتمعات لإقامة الدولة أو الحكومة المستقلة فيه .

وقد زال الاستعمار عن بلاد كثيرة كان بعضها خليطا من الشعوب والأجناس والعقائد واللغات والمصالح الاقتصادية والمواقع الجغرافية ، بغير رابطة تجمعها إلى وحدة مشتركة غير سيطرة الدولة المستعمرة عليها جميعاً بسلطان القوة والسطوة ، فلما ارتفعت عنها هذه السيطرة تفرقت فاشتغلت كل منها بسبب من أسباب الاستقلال ، وتجدد البحث العلمى فى عناصر الوحدة التى تصلح لقيام الدولة المستقرة فى وطن من الأوطان .

هل هى وحدة الجنس والعنصر ؟ نعم . قد تكون هذه الوحدة قوام الدولة ولكنها قد تتم فى بلاد ولا تتم فى بلاد أخرى توافرت لها معالم الدولة المستقلة ، كالبلاد السويسرية التى ينتمى سكانها إلى أمم الجرمان والطليان والفرنسيين ويتكلمون اللغات الثلاث ، ويدينون بمذاهب مختلفة من المسيحية.

هل هى وحدة المصلحة المشتركة ؟ نعم أيضا ولكن البلاد قد تتولاها حكومة واحدة وهى فى قطر من أقطارها زراعية وفى القطر الآخر صناعية وفيما بينهما أو فى جوارهما تجارية تتعارض مصالحها المتفرقة فى هذه المرافق ثم تجمعها فوق ذلك مصلحة أعم منها وأدعى إلى الوفاق والاتحاد ، كالولايات المتحدة وبعض الجمهوريات الأمريكية أو الأوربية .

هل هى الوحدة الجغرافية أو الوحدة التاريخية ؟ نعم أيضا ولكن مع الاستثناء الواضح فى كثير من الحالات ، فإن « باكستان » تنقسم إلى قسمين بينهما مئات

الأميال ، والجزر البريطانية وحدة جغرافية متقاربة ولكنها أشتات من المواضى والتواريخ والسلالات البشرية .

هل هى وحدة الدين ؟

لقد سئل هذا السؤال وهم علماء السياسة بالإجابة عليه بالنفى وكادوا ينسبون مطالبة المسلمين من أهل الهند بالاستقلال إلى شذوذ (الرجعية الإسلامية) لولا أن حركة الاستقلال فى الهند كانت مقرونة بظهور اسم إسرائيل فى معترك السياسة الدولية ، فتعذر على العلماء (المنصفين) أن يتهموا إسرائيل بالرجعية الدينية كما شاءوا أن يتهموا بها طلاب الاستقلال من أبناء باكستان ، وتعذر عليهم من الجهة الأخرى أن يفرقوا بين الوحدتين فى المصطلحات العلمية ، فسمحوا بالعامل الدينى مع العوامل الأخرى التى تهىء البلاد لوحدة الدولة أو وحدة الحكومة

ولقد كان مؤسس العلم السياسى ابن خلدون يفطن لهذه العوامل ولا ينسى منها عامل الدين فى مقدمته الوافية حيث يقول عند الكلام على قوة الدين وقوة العصبية : « إن الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها ... وإن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التى هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ... » .

ولكن الباحثين العصريين الذين يذكرون كلام ابن خلدون ولا يهملونه فى هذا الصدد يستشهدون به ثم يعرضون عنه لأنه لم يعمل على « تطوير » هذه الفكرة وإدماجها فى أبواب التقسيم العلمية ، وهكذا صنع الأستاذ ليونارد بايندر Binder : صاحب الكتاب الذى نراجعه فى هذا المقال واسمه : « الدين والشئون السياسية فى باكستان .

Religion and politics in Pakistan

إن الاستاذ (بايندر) مؤلف الكتاب عضو فى قسم الدراسات السياسية المتخصصة لمسائل الشرق الأوسط والشرق الأدنى . وله مباحث يجريها فى البلاد المصرية من قبل معهد روكفلر ، ويظهر من تعليقاته على آراء المختلفين من أصحاب البرامج السياسية والدينية فى الأمم الإسلامية أنه يجتهد فى الحيدة بينها غاية اجتهاده ، فلا يتورط فى العصبية على النحو الذى ينساق إليه خدام التبشير والاستعمار

يرجع المؤلف إلى موقف المسلمين فى الهند من الدولة البريطانية ومن الحضارة الغربية على التعميم ، فيلاحظ الحقيقة التاريخية المتفق عليها ، وهى يقظة المسلمين للدفاع عن كيانهم على أثر الاحتكاك بالسياسة البريطانية

ومظاهر الحضارة الحديثة التى كان لها جانباها من الأثر الحسن والأثر السيء فى التعليم والعادات الاجتماعية .

فاجتمعت كلمة الدعاة المسلمين على وجوب التبديل والإصلاح ، واختلفوا فى المنهج على حسب اختلافهم فى تعليل أسباب الضعف التى أصابت العالم الإسلامى بأسره ، ومنه المسلمون الهنديون .

فالذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن العلوم الحديثة طلبوا الإصلاح من طريق العمل الحثيث على مجاراة الأوربيين فى حضارتهم وضاعفوا السعى إلى هذه الغاية بعد شعورهم بغلبة مواطنيهم عليهم ، لأنهم أقبلوا على التعليم الأوربى فكثر منهم المرشحون لوظائف الدولة والأعمال العامة .

والذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن آداب دينهم وابتعادهم عن منهج السلف فى أخلاقهم ومسالكهم طلبوا الإصلاح من طريق حركة (الإحياء) وهى حركة التجديد الإسلامى بالعودة إلى سنن المسلمين الأولين ، وقصروا جهودهم فى إحياء الماضى على تجديد تاريخ السلف الإسلامى دون السلف القريب الذى ارتبط بتاريخ دول المغول .

وقد عصم هذه الحركة أن تكون رجعة إلى الوراء أن طلاب الأحياء إنما طلبوا الرجوع إلى الأصول الأولى بغير استثناء أو تمييز بين المراجع إلا أن يقضى به الاجتهاد فى التوفيق بين السنة المختارة والضرورة العصرية ، فوجب على أصحاب هذه الدعوة — إذن — أن ينبذوا التقليد ويعتمدوا على الاجتهاد فى اتباع السنة التى يهديهم إليها التفكير المستقل والنظر فى مطالب الزمن ودواعى المصلحة الحاضرة ، وكادت هذه الدعوة المستقلة أن تقارب بين الفريقين المتعارضين ، وهما فريق التعليم الحديث وفريق الإحياء على سنة السلف مع الاجتهاد فى الاختيار والاستقلال بالتفكير ، لأن هذا الاستقلال خليق أن يعصم الحركة من جمود التقليد الأعمى وكراهة التجديد إصرارا على القديم بغير تبديل .

ولما واجهت الباكستان بالمشكلة الاقتصادية كان فريق من دعاة الإصلاح يجنح إلى نظام سماه بالديمقراطية الإسلامية وترجمه المؤلف إلى الانجليزية بكلمة الديمقراطية الالهية Theo - democracy .

وكان فريق آخر ، وعلى رأسه لياقت على خان ، يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية ويقول فى تصريحاته السياسية إنه لا يعرف (إزما) يدين به غير الإزم الذى يلحق باشتراكية الإسلام ، ويعنى بالازم هذه الحروف الأجنبية (Zom) التى تلحق بأسماء المذاهب عند الغربيين ، فلا مذهب له فى

السياسة ولا فى الاجتماع غير مذهب الاشتراكية على حسب عقائد الإسلام ، وفسر كلمة الدولة الإسلامية بقوله إنها (هى الدولة التى سلمت من المنازعات الداخلية حيث يجزى كل إنسان بعمله ولا يحتمل بقاء الطفيليين ، وإن الواجب الأول على الحكومة الإسلامية أن تبطل كل ضرب من ضروب الاستغلال والتسخير) .

قال المؤلف : ولكن دعوة لياقت خان كانت تبدو أحيانا كأنها دعوة إلى شىء يخالف الفهم المعتاد للاشتراكية كما يخالف الفهم المعتاد للإسلام ، وخلاصة هذ المذهب أنه يسعى إلى توفير القوت والكساء ، والمأوى والعلاج والتعليم لعامة الفقراء ، ومن الصعب فى رأى المؤلف أن نذكر نظاما من النظم الاقتصادية لا يزعم أن هذا المسعى غرض مباشر أو غير مباشر من أغراضه المقصودة .

ويمضى المؤلف فيقول إن السند الإسلامى للنظام الاشتراكى يقوم على فريضة الزكاة ، وواجب الصدقات وأحكام المواريث وتحريم الربا وحماية الملكية ، واعتبار الدولة مسئولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، ومن ذلك فى صدر الإسلام فريضة الأرزاق التى كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين .

وعقب المؤلف قائلا : إن ما سماه لياقت خان اشتراكية إسلامية لا يعدو أن يكون مزيجا من نظام رأس المال ثم الضمان الاجتماعى ثم (الله) ... وإن هذه الفكرة الغامضة قد استندت إلى ركن يؤيدها من (ضرورة الرأسمالية الحكومية) وهى ضرورة محسوسة حيث تتأخر الصناعة فى البلاد كما هى الحال فى باكستان ، ولم يغفل الداعون إلى الإصلاح الاجتماعى على هذه القواعد عما يستتبعه من « الإجراءات الإدارية » عند التطبيق ، ولكنهم نظروا إليها نظرتهم إلى صعوبة تعالج فى الطريق ولا تستدعى تقرير مبدأ سابق كفرض الادخار الجبرى أو الاستيلاء أو إلغاء المصارف وما إليها .

وأشار المؤلف فى ختام الكتاب إلى طائفة من فقراء الطبقة الوسطى بين أبناء الباكستان تميل إلى إقامة « وطنية باكستانية » منعزلة عن الصبغة الدينية ، وهو اتجاه لا يستطاع الحكم على نتائجه منذ الآن ، ويتوقف التطور الديمقراطى فى البلاد ، آخر الأمر ، على تقدم الإصلاح الاقتصادى وانتشار التعليم معا على خطوة واحدة ، وبذلك يصبح النظام الإسلامى بذاته مصدرا مستقلا فى عوامله السياسية .

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

لم تقم القيامة

للأستاذ علي الجندي

كذب المنجم ، ليته صدقا ... وأباد رب الخلق ما خلقا
وعدا الظلام على عوالمنا ... فأعاد ضوء نهارها غسقا
وانشقت الغبراء وانفلقت ... من فوقها خضراؤنا فلقا
وتناثرت في الجو أنجمها ... بددا ، وطارت شمسها شققا
وهوى من الأوج الرفيع إلى ... أقصى الحضيض البدر فاحترقا
وانحلت الأفلاك ، وانكدرت ... منها المجرة تغمر الأفقا
فترى بها « العذراء » قد غرقت ... في نهرها ، و « الثور » قد نفقا (١)
و « القوس » لا يلفى لها وتر ... فيها ، ولا « الجبار » منتطقا (٢)
و « الحوت » قد نزعت زعانفه ... عنه ، وطاح « الجدي » مختنقا
و « أبو الشبول » على جراءته ... خارت قواه ، وطرفه برقا (٣)
و « النسر » خانته قوادمه ... فانحط من عليائه صعقا (٤)
و « الشعريان » تعانقا فزعا ... و « الفرقدان » تفرقا فرقا (٥)
وعرا « الثريا » ماله انتفضت ... ذعراً ، فألقت عقدها النسقا
و « بنات نعش » خلفه مقل ... عبرى يقرح دمعها الحدقا
وصدعن جيبا ناصعا بهجا ... ولطمن خدا ناعما عبقا
وتلظت النيران حاطمة ... من أنكر الأديان ، أو فسقا

(١) العذراء : برج السنبلة .
(٢) الجبا : الجوزاء وتعرف بمنطقتها .
(٣) أبو الشبول : برج الأسد .
(٤) النسران : نجمان لامعان ، والمراد هنا : النسر الطائر لا الواقع .
(٥) الشعريان . الشعرى اليمانية والشعرى الشامية .

وأوى إلى الفردوس من سلكوا وضح الهدى لنعيمها طرقا
عجبي لمن طاشت حلومهم وتباعدت أجفانهم أرقا
أن قيل : قد حانت قيامتكم ونذيركم بالحين قد طرقا(١)
أو كنتمُ لا تؤمنون بها لجريتمُ في غيكم عنقا(٢)
أشفقتمُ من سوء صنعكم والسوء يكسب أهله الشفقا
أهل التقى منها على ثقة لكنكم لستم بأهل تقى
هل هذه الدنيا تعلقها إلا فتى من ربه أبقا
أصبى بنى حواء زخرفها فتحلقوا من حولها حلقا
نزعوا إلى الطين الذى جبلوا منه، فما بسقوا ولا بسقا
ما إن ترى فردين بينهم صدقا الهوى، وعلى الهدى اتفقا
وسهوا عن الأخرى كأنهمُ لم يبصروا ميتا بها لحقا
وعلى الخنى والرجس قد عكفوا ما وقروا ديناً ولا خلقا
والمال قد جعلوه دينهمُ كل له قد بات معتنقا
فى جمعه وأدوا ضمائرهم حتى أباحوا السحت والسرقا
وتداولوه بينهم نهبا لا عين أبقوه ولا ورقا
والزرع حازوه بلا خجل عن سقاه الدمع والعرقا
والضرع ، لا لحما به تركوا كلا ، ولا لبنا به غدقا
ماكان أحراهم وقد نعموا باللحم أن يدعوا لنا المرقا
أتراهمُ بزمانهم وثقوا يا ويح من بزمانه وثقا
ما حرصنا أنا نعيش على أرض يعانى أهلها الرهقا
أقسمت ما نفسى بهائمة فيها ، ولا قلبى بها علقا
ووددت لو بدنى يطلقها ويبيت منها الروح منعتقا(٣)
سواسها متنافرون بها متبطنون البغض والحنقا

---

(١) الحين : الهلاك
(٢) العنق : ضرب من السير السريع .
(٣) يبغض الشاعر فى هذه الأبيات فى دنيا الشر لا الخير .

فى كل قطر منهم فتن تركت به سكانه حرقا
وملاحم هوجاء ساعرة تذرو الجسوم ، وتسفح العلَقا (١)
لم يكفهم أن بات كوكبهم متوجسا من « ذرهم » قلقا
حتى سما صعداً — بلا رهب — شيطانهم للسمع مسترقا
واخشيتا مما يلم بنا يوماً إذا صاروخهم مرقا
وتطايرت ذراتهم ومضت قُدما تمزق أرضنا مزقا
وأحاط بالأحياء مارجها عرما يبث الهلك والحرقا
ويل الكواكب من مناسرهم ما أقبح الأخلاق والخلقا
يبغون أن تمسى لهم وطنا كى ينشروا التمويه والملقا
ويلقنوا فيها رعيتهم حكم الهوى واللؤم والنزقا
ويلوثوا قوما بها طهروا ويسودوا أفقا لها يققا
قسما بها لو أنها لكمُ دانت لأطفأتم بها الفلقا
وتبدلت من حسنها بكمُ قبحا ، وعاد جديدها خلقا
ومشيتم فيها أباطرة وتخذتم أبناءها سُوَقا
ونرى بها « دبا » يخاصمه « أسد » . وكل نابه زرقا (٢)

* * *

مهلا فإن العلم غركمُ فركبتمُ فى ظله الحمقا
لا تأمنوا عثراته بكم كم صاعد درج العلا زلقا
صان الإله سماءه ورعى ملكوته من شركم ووقى

على الجندى

عميد دار العلوم سابقا

---

(١) العلق : الدم .

(٢) إشارة إلى المعسكرين المتخاصمين .

يا شباب الفصحى

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حضر إلى المدرسة التى أعمل فيها وفد من طلبة الأزهر للتدرب على التدريس وبعد انتهائهم من هذه المهمة أقاموا - مشكورين - حفل تكريم لهيئة التدريس بالمدرسة . وفى هذا الحفل ألقيت هذه القصيدة تحية للأزهر المجيد ولأبنائه الناهضين .

يا شباب الفصحى ، بكم تفخر الفصحى ، وتعتز أمة الإسلام
قد نماكم للمجد أزهرنا السامى ، فرمتم فى المجد أسمى مرام
مهنة الأنبياء ، وهى جهاد لا يبالى بالتضحيات الجسام
أهلها الماجدون أصل الحضارات ، بَنَوْها بمرهف الأقلام
قل لمن رام شأوهم ، أو تجنى منكراً حظهم من الإعظام
إن خير البناة فى ساحة المجد بناة النفوس والأفهام

* * *

قد نعمنا بكم زمانا قصيرا كان أشهى من أعذب الأحلام
وسعدنا بالعلم يُلقى ويُستنبط فى دقة وفى إحكام
ورأينا الأخلاق كالزهر ، كالعطر ، كنور الصباح ، كالأنسام
وسمعنا شعرا كشدو القمارىّ صفاء ، ورقة الأنغام
مرّ فى مسمعى كما مرت البشرى على قلب عاشق مستهام
وسمعنا نثرا رشفناه خمرا رب نثر منه رحيق المدام
زعموها بنت المناقيد جهلا وهى - لو يعلمون - بنت الكلام

* * *

قد أردتم تكريمنا ، ولأنتم أهل هذا التكريم والإكرام
غاية الفضل أن يكون لك الفضـــل ، وتاتى بالمدح فضل الأنام
رب شمس تقول ما أروع النو ر ، ومنها سحر السنا البسام !
وربيع يقول ما أجمل الزهـــر ، ولولاه مات فى الأكام !

* * *

يا شباب الفصحى غدا تتلاقى فى مجال رحب المدى مترام
فاجعلوا الدين فى الحياة رفيقا بل إماما ... أنعم به من إمام
واجعلوه وسيلة لحياة تملأ الكون بالهدى والسلام
واجعلوا علمكم منار اهتداء لعقول تتيه بين الظلام
وخذوا منطق القوى سلاحا يحفظ الحق من دعاوى اللئام
تعست أمة تحاول بالضعـــف بلوغ المنى ، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف وكلام القوى حد الحسام

* * *

نضر الله عيشكم ورعاكم وحماكم من سطوة الأيام

ابراهيم محمد نجا

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

حديث متفق عليه

الكتب

١ — التفسير والمفسرون :

للأستاذ محمد حسين الذهبي .

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب الضخم فى ثلاثة أجزاء تقع فى أكثر من ألف صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف عالم فاضل وأستاذ بكلية الشريعة وكان رئيسا سابقا لقسم الشريعة بكلية الحقوق العراقية ، والكتاب بحث قيم نال به المؤلف شهادة العالمية من درجة أستاذ فى علوم القرآن والحديث عام ١٩٤٦ .

تناول فى الجزء الأول المرحلة الأولى للتفسير ، وهى التى كانت فى عهد الرسول ، وقد برز فى هذه المرحلة ابن عباس وابن مسعود ، وعلى وأبى بن كعب ، كما تناول المرحلة الثانية للتفسير ، وهى عصر التابعين ، وقد برز فيها من رجال التفسير : ابن جبير ومجاهد وعكرمة وطاوس وعطاء فى مكة ، وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظى وزيد بن أسلم فى المدينة ، وعلقمة ومسروق والشعبى والبصرى وقتادة فى العراق ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه المؤلف المرحلة الثالثة للتفسير ويعنى بها عصر التدوين ، حيث دون تفاسير الطبرى والسمرقندى والثعلبى والبغوى وابن كثير والثعالبى والسيوطى ، وجميعها من التفسير المأثور ، كما دون من التفسير بالرأى : الرازى والبيضاوى والنسفى والخازن وأبو حيان والنيسابورى والجلالين والخطيب وأبو السعود والألوسى ، ومن تفاسير المعتزلة ظهر تفسير القاضى عبد الجبار والشريف المرتضى والزمخشرى .

والجزء الثانى تناول المؤلف موقف الشيعة من التفسير ، وكيف تأثر الإمامية الإثنا عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم ، كما تأثروا بمذاهبهم الفقهية والأصولية فى تفاسيرهم ، وأهمها مرآة الأنوار للكازرانى ، وتفسير الحسن العسكرى ، ومجمع البيان للطبرسى ، والصافى للكاشى ، وبيان السعادة للخراسانى ، وكذلك تناول المؤلف موقف الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) ، والبابية والبهائية ، ثم الزيدية ، والخوارج وفرقهم ، وكيف كان سلطان مذهبهم يغلب عليهم فى فهم نصوص القرآن .

وفى الجزء الثالث والأخير عرض المؤلف للتفسير الصوفى لكتاب الله : النظرى منه والإشارى . كما عرض لمذهب ابن عربى فى التفسير ، ومذاهب الفلاسفة وفى مقدمتهم الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا . كما عرض أيضا للتفسير الفقهى والتفسير العلمى ، وختم الجزء بفصل مسهب عن ألوان التفسير فى عصرنا الحاضر ، وعن مذهب الأستاذ الإمام محمد عبده ، وتلميذه المراغى فى طريقتهما لتناول القرآن بالتفسير .

إن المؤلف عرض قصة التفسير عرضا قويا أمينا ، وكانت عنايته بالأمانة فى العرض أكثر من عنايته بالتحقيق فى مئات المسائل التى كان يجب الدقة فى تحقيقها ، والمؤلف يحاول جاهدا الدفاع عن روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ويربط بينهما وبين أمثال عبد الله بن سلام وهو صحابى مخلص الإيمان فى عهد الرسول ، كما أن المؤلف ـ وقد بذل فى بحثه جهدا مشكورا ـ لم يعط ما عرضه من نماذج للتفسير حقه من التحليل ولا سيما فى توضيح مناهجها .

هذا البحث وقف به المؤلف عند عام ١٩٤٦ حيث تقدم به لنيل شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وقد استحدث بعض التفاسير فى الهند ومصر والشام ، وكنا نود أن يناقش هذا البعض الذى ظهر فى أكثر من ربع القرن الأخير ، ويستوفى بمناقشة رسالته هذه فى التفسير ، ولو كملحق لها ، إذا كان قصده الاحتفاظ بما كتبه للغاية التى نشدها .

إن كتاب (التفسير والمفسرون) خلا من عرض آراء كتاب الغرب الذين تصدوا فى آثارهم للتفسير ومناقشتها ، ولا نكران بعد ذلك فى أن الكتاب مرجع فى موضوعه ، له تقديره ومكانته فى المكتبة الإسلامية .

* * *

٢ — مناهج تجديد :

للأستاذ أمين الخولى .

هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة الأستاذ أمين الخولى ، هو مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، وهذه المناهج التجديدية قدمها المؤلف فى دراسات على مستوى رفيع من التعمق وسعة الأفق وسلامة الحكم فى القضايا التى أثارها .

فى الباب الأول عرض النحو : كواحد من مقومات حياتنا يجب أن يتطور مع تطور الحياة نفسها ، وأن يخضع لمقاييس الاجتهاد إذا أريد له الخلود .

وفى الباب الثانى عرض البلاغة وأثر الفلسفة فيها وصلتها بعلم النفس ، ومكانة مصر فى تاريخها ، ثم صورة عامة عنها .

وفى الباب الثالث عرض التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، كواحد من العلوم الشرعية شغل ـ ولا يزال ـ يشغل الفكر الإسلامى ، حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بكتاب الله .

وفى الباب الرابع والأخير عرض أستاذنا للأدب ، فتحدث عن علم النفس الأدبى ، وعن منهج تفكير الجاحظ : النقلى والنظرى والعلمى .

والكتاب مجموعة من الدراسات ألقى بعضها فى محاضرات ، وكتب البعض الآخر فى أبحاث هادفة . وهذه وتلك قصد منها شيئا واحدا ، هو التجديد الدائم فى قيمنا الفكرية ، والعلمية ، والأدبية ، إذ لا خلود لهذه القيم مع الجمود والتقليد وتهيب التهجم على قدسية ما خلفه الأوائل لنا من تراث فكرى ، ومن النواميس الاجتماعية ـ كما يقول أستاذنا ـ أن تعد الفكرة حينا ما ، كافرة تحرم ، ثم تصبح عقيدة تعتنق ، وقد جرى هذا أمامنا فى حياة الفقه الإسلامى حديثا » .

ويهمنا فى هذا الكتاب حين نقدمه الدراسة الخاصة بالتفسير وموضوع التفسير يمس جانبا مهما من تفكيرنا الإسلامى ، فنحن ما زلنا نقدس تفاسير القرآن ولا سيما المنقول منها ، دون محاولة لتمحيصها ، على رغم أن من اشتهر بالتفسير من التابعين أمثال عطية بن سعد والسدى والكلبى ، ومقاتل ، وابن جريج ، هؤلاء لم يبلغوا مرتبة الثقة الكاملة فيما رووا عن ابن عباس الذى نسب إليه تفسير ضخم ، ولم يثبت عنه فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث كما يروى ذلك عن الشافعى .

ثم هذه الأحاديث النبوية المكدسة فى كتب التفسير المروى ـ فاشتملت ـ كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : على الغث والسمين والمقبول والمردود ، وتساهل المفسرون فى ملء كتبهم بمنقولات عن عامة أهل التوراة ، هذه الأحاديث وغيرها من الإسرائيليات المدونة فى كتب التفسير ، يستعدى عليها أستاذنا أشياخ الأزهر لنقدها على هدى قواعد القوم فى نقد الرواية متنا وسندا .

* * *

٣ – الجانب العاطفى من الإسلام :

الأستاذ محمد الغزالى

هذا كتاب جديد للشيخ الغزالى ، جديد فى موضوعه بالنسبة لسابق مؤلفاته الإسلامية العديدة التى أصبح لها رواجها وتقديرها فى البلاد الإسلامية ، لما عرف فى كتابات الشيخ الغزالى من الجرأة والغيرة معا ، والإحساس بآلام الإسلام وشعوبه وقضاياه.

الكتاب يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة ، تناول فيه المؤلف جزءا من ثقافتنا الإسلامية

لم يلق من الدراسة الحصيفة ما لقيته بعض شعب الإيمان الأخرى كفقه العبادات وفقه المعاملات ، وسائر الأحكام التى نظمت العلاقات بين أفراد الأسرة وأركان المجتمع .

فى الباب الأول : (الإسلام والإيمان والإحسان) أشار المؤلف إلى أنها كلمات ثلاث لا تعدو أن تكون عناوين شتى لحقيقة واحدة . . هى الدين ، والدين هو الإسلام إن نظرنا إلى السلوك الظاهر والعمل البين ، وهو الإيمان إن نظرنا إلى اليقين الباعث والعقيدة الدافعة ، وهو الإحسان إن نظرنا إلى كمال الأداء والوفاء على الغاية عند اقتران الإيمان الواضح بالعمل الصالح .

وفى الباب الثانى : (دعائم الكمال النفسى) يتحدث المؤلف عن نسبنا السماوى ، ويشير إلى أن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوى الروحى ، لا إلى نسبه الأرضى المادى ، ويتحدث عن الإلحاد كمثل الخيانة العظمى ، وعن جهاد النفس وتجارب المربين وقدرة الله سبحانه .

وفى الباب الثالث والأخير يعرض الشيخ الغزالى شارات الطريق إلى الكمال ، وليس لطريق الكمال نهاية يقف لديها المسلم ، فهو ما بقى حيا مكلف بالأمر والنهى ، مطالب بالنظر فى نفسه . وأول مراحل الطريق إلى الكمال التوبة ، ثم تتدرج هذه المراحل نحو الورع ، والعفة والقناعة ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل حتى تصل فى النهاية إلى الحب .

الشيخ الغزالى فى كتابه هذا ترك المعانى تنساب بين السطور دون تحديد معالمها ، وعلى الأخص فى الباب الثانى دعائم الكمال النفسى ، ولم يفعل ما فعله فى البابين الأول والثالث ، ومع أن الدراسة التى قدمها امتزجت بالطابع النفسى إلا أن استيعاب شىء من الأفكار الغربية للمقارنة أو الاستشهاد بما يؤيد الفكر الإسلامى كان موجزا للغاية ، ونحن حين نقدم دراساتنا الإسلامية إلى القراء يجب أن نعمل حساب القارىء المزود بالثقافة الغربية .

والكتاب أيضا ناضج التفكير من حيث الجانب الإسلامى وهو هدف الكتاب ، والموضوعات التى أثارها موضوعات حية تتصل بقيمنا النفسية والأخلاقية ، هذه القيم التى فرطنا فى جانبها فأصبحنا ـ نحن المسلمين ـ فى حال لا نحسد عليها .

* * *

٤ — فهم كتابة السيرة الشعبية :

للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى :

نشرت دار الثقافة العربية بعابدين هذه

الدراسات الواعية الناضجة بلغت صفحاته أكثر من ثلثمائة صفحة ، ومنهج هذه الدراسة يتجه إلى تصحيح وهم خاطئ يزعم أن هناك فى إنتاج أدبائنا الكبار ، وأسلافهم من أصحاب التراث الأدبى عازلا بين الفن والحياة بينما أدبنا العربى — منذ أن كان — انعكاس طبيعى لمجريات الحياة فى المجتمع الإسلامى بوجه عام ، والمجتمع العربى بوجه خاص .

وما دام الأدب الشعبى فى حقيقته قد عبر عن الشعب العربى كله بمكوناته المختلفة وعناصره الجنسية المتعددة ، والثقافات التى صبت فيه قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فالواجب أن نوجه اهتمامنا إلى الأدب الشعبى العربى الذى يتمثل فى السيرة الشعبية التى لا زالت تحتل جزءا مهما من كياننا الأدبى ، دون أن تمحص التمحيص الذى تستحقه .

يبدأ الكتاب بدراسة عن ملامح بطل السيرة الشعبية ، الذى يعكس فى الأعمال الأدبية حقيقة العلاقات التى تربط أفراد الجماعة فى المجتمع الذى أنشىء فيه العمل الأدبى ، وبدراسة أيضا عن مكان السيرة الشعبية ، والتعريف العلمى المعاصر يحدد مكانها بين التاريخ والأدب ، فهى تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهميته كموجه للأحداث فى عصره ... وهى أدب من حيث كونها تحمل انطباعات مؤلفها ، وتتلون بثقافته ووضعه الاجتماعى وموقفه من الحياة ، ثم يتناول هـذا الباب الأول دراسة تطبيقية تحتمه علينا عنايتنا بتراثنا الأدبى ، ومما يعيب دراساتنا فى الأدب الشعبى أنها تقوم على نصوص ليست تحت أيدى الدارسين ، ومع أن النصوص موجودة فى واقع الأمر إلا أنها غير موجودة فى تصور الدارسين ، وهم قد اتخذوا فيها أحكاما جانبها التروى .

وفى الباب الثانى : يعرض الكتاب المقدمة الحجازية ، فالسيرة الحجازية تنفرد بفصل طويل يضم تمهيدا روائيا للقصة وهو تمهيد له أصالته وأهميته بما يحمل من سمات عرفت عن الرواية العربية .

وفى الباب الثالث : يعرض الكتاب فى أسلوب تحليلى شخصية عنترة بن شـداد . ومرحلة الفروسية التى عاش فيها وكانت ملهما دسما للمؤلف ، ثم المرحلة الأسطورية وقد لعب فيها خيال المؤلف دوراً مهما .

وفى الباب الرابع تتحدث دراسة الكتاب عن جهد المؤلف فى قصة عنترة ، فترى أن المؤلف فرد واحد عاش فى عصر واحد ، أو مجموعة من الكتاب معاصرين ومجتمعين فيما يشبه اللجنة لتقديم هـذا الجهد الفنى ، أما أهداف مؤلف السـيرة الشعبية فهى أهداف سياسية أو أهداف اجتماعية ، ومشكلة اللون تلعب دورها فى السيرة الشعبية وقد

وضح هذا فى قصة سيف بن ذى يزن ، وهناك بعد ذلك الأهداف الثقافية والدينية التى كانت ممتزجة باتجاه السيرة الشعبية .

وبعد فما لا ريب فيه أن المؤلفين الأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى قد قدما عملا فنيا ، كانت المكتبة الأدبية فى حاجة ماسة إليه ، وإن كانا لايزالان يريان جهدهما فى حاجة إلى متابعة واستكمال وأنه ليس إلا بداية الطريق .

* * *

٥ — كما تحدث القرآن :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد الذى نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، كتاب خفيف الظل ، حاول فيه المؤلف أن يجلس بنا حول مائدة القرآن نتناول منها ما لذ وطاب من المعانى الحية الرحيبة ، التى كانت المعجزات العظمى التى حققها بما شاد من عالم ، وبما رفع من قيم ، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تغنى عن طريق الدنيا المسلمة التى أيقظها .

فى الفصل الأول تحت عنوان : (تلك آيات الكتاب) ، عرض المؤلف القرآن كما تحدث عن نفسه فى أكثر من مائتين وثلاثين آية ، تحدث فيها عن نفسه وطرح خلالها كل الأسئلة التى تتعلق به ، ثم أجاب عنها ، وفى الفصل الثانى : (بالحكمة والموعظة الحسنة) عرض الأستاذ خالد منهج القرآن فى أسلوبه التى يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذى وضع أسس مبادئ العلاقات الإنسانية فى البأساء والضراء . وفى الفصل الثالث : (وما يدريك لعله يزكى) يستعرض قصة ابن أم مكتوم فى سورة « عبس وتولى » ، وكيف رفع القرآن بها من قدر المواطن العادى ، وأنشأ له عالمه الكبير وأعده لتسلم الراية . وفى الفصل الرابع : (والله يسمع تحاوركما) يستعرض المؤلف قصة المجادلة بين رسول الله وخولة بنت حكيم ، ويجعل منها نموذجا حيا لحرية الفكر ، وفى الفصل الخامس : (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) يعرض الأستاذ خالد قضية الدين كوحدة واحدة هدفها : الخير للبشرية جمعاء ، هكذا أراده الله ، وأراده البعض أداة منابذة وخلاف .

أما الفصل السادس والأخير : (ذلكم الله ربكم) ففيه يتحدث القرآن عن وحدانية الله ، وهو فى أروع حالات توقده ، وتألقه ، وتحفزه ، وسسناه ، والقرآن حين يتحدث عن الله ، فإنما يتحدث عن الله الأحد ، فليس الله عنده إلا واحدا أحدا .

هذه لقطات سريعة الأستاذ خالد التقطها من كتاب الله عز وجل ، وكل لقطة منها

تحمل من المعانى الحية ، والقيم الإنسانية ، والمبادئ الأخلاقية ما شاء لها أن تحمل .

* * *

٦ — قبسات من الرسول :

للأستاذ محمد قطب

المؤلف من الكتاب القلائل الذين يعنون بالدراسات الإسلامية ، التى تتسم بالدقة والعمق معا ، وكتابه هذا صورة تطبيقية لمنهجه فى الكتابة ، وهو لقطات أيضا التقطها من حول مائدة الرسول صلوات الله عليه ، ليقدمها نماذج حياة من سيرة الرسول ومنهجه فى تربية النفس والعقل والمجتمع .

فى سبيل ارتباط الانسان بالحياة وتصحيح خطأ الزاهدين فيها يعرض المؤلف حديث الرسول : إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر » .

وفى سبيل ربط الإنسان المسلم بالعلم كوسيلة لنهضة أمته يسوق المؤلف مع التحليل حديث الرسول : «طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

الحديث الثالث : إن الله يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، يعرض المؤلف فيه أخطر القضايا التى يؤسس عليها كيان الجماعة ، ألا وهى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهكذا يقدم الأستاذ قطب نماذج من أحاديث الرسول ، فى صور من القضايا الكبرى التى تعيش فى واقع حياتنا ، وهو حين يقدمها فإنما يقدمها فى دراسة تحليلية منطقية ، ويجعل منها مسائل يعنى بها المسلم العادى ، والمثقف الخاص الدارس للفكر الإسلامى ، ولم ينته من تقديمه هذه النماذج الحية من توجيهات الرسول ، حتى كانت هذه الأحاديث الجامعة متفقة الهدف فى إيجاد المسلم القويم الدين الناضج الفكر معا .

* * *

٧ — ديوان شاعر آل البيت :

للأستاذ محمود جبر

الأستاذ محمود جبر منذ ربع قرن وهو شاعر خفيف الظل فى شعره ، وقد حدد اشعره طريقه حين التزم مدح آل البيت حتى انفرد اليوم بلقب (شاعر آل البيت) وليس هناك أدنى شك فى إخلاص إحساساته نحو آل البيت ، ومن بين ثنايا شعره البالغ من الكثرة مكانا ملحوظا يبدو صدق إحساساته الشاعرية نحو آل البيت رضى الله عنهم .

وديوانه هذا يبدأ بقصائد يناجى فيها ربه تحت عنوان : (رشفات من خمر التوحيد) وتحت عنوان . « نبويات » يناجى الرسول فى قصائد عديدة ألقى بعضها بالروضة الشريفة ،

وأبرز هذه القصائد النبوية قصيدته التى عارض فيها نهج البردة تناول فى بعض أبياتها المعانى والأحداث الجديدة فى العالم :

وقد عقد المؤلف فصلا مسهبا للإمام الحسين تحت عنوان «الحسينيات» ، وسجل قصائد للسيدة زينب بطلة كربلاء ، وكل آل البيت ، وتحت عنوان : «متفرقات» سجل فى ديوانه قصائد عن القرآن والإسلام وبعض الأحداث الإسلامية والأحداث السياسية فى بلاد المسلمين ، وفى دنيا الوفاء للإخوان والمجاهدين ورجال البر .

سجل الشاعر قصائد تنم عن خلق رفيع فيه ، لأنه لم يتجاهل أخا استحق الوفاء لصدق أخوته ، ولا مجاهداً استحق الوفاء لصدق جهاده

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٧٨)

لأن أهم ما يعنى به الإنسان فى حياته إن كان ذا خلق إنسانى وذا سمو فى الإنسانية هو الهدف الرفيع فى الحياة ، ولا يكون الهدف فى الحياة هدفا إنسانيا رفيعا إلا إذا كان من أجل الإيمان بنظام معين فى الحياة ومن أجل العمل على تحقيق هذا النظام وتطبيقه .

أما احتمال العاجز عن الكسب سبيل الحصول على لقمة العيش ، واحتمال الضعيف بسبب المرض فى سبيل أمل الشفاء ، واحتمال الجائع فى سبيل انتظار ما يدفع به جوعه — فإن ذلك لون آخر ومدلول آخر للصبر ، ولكنه ليس ذلك الصبر الذى جعله الحديث الشريف نصف الايمان فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الصبر نصف الايمان) .

فإذا مال مفهوم الصبر بعد ذلك إلى هذا المدلول الأخير ، فإنه يكون قد مال إليه تحت تأثير الطابع الجديد للمجتمع الذى تحول إليه مجتمع المسلمين فى أول أمره . ولا يكون هذا الطابع للمجتمع الجديد إلا الطابع المادى الذى يحمل الناس على السعى للحصول على سد حاجات الإنسان المادية ، بعد أن ضعفت الروابط بين الأفراد ، وخف تعاون بعضها مع بعض ، وبعد انصراف أفراد المجتمع نفسه عن النظر إلى المثل والقيم العليا والانصراف بالتالى إلى السمى الإنسانى فى سبيل تحقيقها أو صيانتها .

وهنا أيضا يمكن أن يكون مفهوم الصبر معبراً عن نوعين من أنواع المجتمع الإسلامى ، كما يكون تحول المجتمع الإسلامى نفسه صاحب الأثر الأول فى نقل مفهوم الصبر من مدلوله الأولى إلى معناه الثانى . وهنا كذلك يمكن أن نقول إن المجتمع القوى يضفى على المفهوم قوة مدلوله وهدفه ، كما أن المجتمع الضعيف نفسه يستطيع أن يذهب القوة ويستبدلها بضعف لنفس المفهوم الواحد .

البقية فى العدد القادم

دكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

آراء وأحاديث

العيد ولمن يكون

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

---

١ – حكمة الأعياد عند الناس :

الأعياد سنة فطرية ، جبل الناس عليها ، وعرفوها منذ القـــدم ... منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات ... فكان لكل أمة أيام معلومة ، تظهر فيها زينتها وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من رهق الحياة وعنتها .

وعلى هذه السنة وجد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار في المدينة ، بعد هجرته إليها . يلعبون في يومين ، ورثوا اتخاذهما عيدا عن الجاهلية ، فلم ينكر أصل الفكرة ، فأباح اتخاذ العيد ، تحصيلا لمزاياه القومية والاجتماعية والدينية ، ولكنه استبدل بيومى الجاهلية يومين آخرين . ارتبط بهما ، فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ البشرية عامة ، ما جعلهما غرة فى جبين الدهر كله ، وهما يوم الفطر والأضحى .

٢ – نعمتا التشريع وإكمال الدين :

فيوم الفطر يذكرنا بالنعمة العظمى ، نعمة إنزال القرآن فى رمضان ، تلك النعمة التى كانت أساس التشريع لبناء دولة الإنسانية الموحدة ، دولة الهدى والرشاد ، دولة الصفاء الروحى والاستقامة العظيمة والتحاكم إلى الرحم ، دولة الحق والعدل والفضل ، دولة العلم والحكمة والتعمير والبناء ، وفى كلمة دولة العزة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

أما يوم الأضحى فإنه يذكرنا بنعمة الإكمال والإتمام لهذا البناء ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

٣ – عيد الإسلام :

وإذا كانت الأمم الناهضـــة لا تعرف فى تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذى وضع فيه أساس بنائها ، ويومها الثانى

الذى تم فيه صرح هذا البناء ، فما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين ، تنقش فيهما ذكرياتهما ، وآثارهما ، وإيحاءاتهما ، على صفحات القلوب ، وأن يظهر ذلك كله على ملامح الوجوه ، وعذبات الألسنة ، وحركات الجوارح .

٤ — إيحاءات يوم الفطر :

وليوم الفطر إيحاءات بنعم أخرى ، فوق ما ذكرنا ، تلازمه ، فى كل عام ، باعتبار وضعه الزمنى .

(١) نعمة الحرية : فهو أول يوم ، بعد رمضان ، تعود فيه إلى المؤمن حريته الشخصية فى مأكله ومشربه ، بعد أن سلبها إلى مولاه خلال رمضان طائعا مختارا ... إيذانا بأنه لا يضحى بها إلا فى سبيل ما هو أعزمنها وهو رضوان الله ومغفرته ، أما فيما عدا ذلك ، فدون سلبها خرط القتاد .

(ب) فرحتان : وهو كذلك أول يوم بعد رمضان يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمتين لها أكبر الأثر فى حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب ، واجب الطاعة والامتثال لأمر الله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء من الله ، وهو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

٥ — مظاهر الفرح بالعيد :

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيدا للمسلمين فيه يتبادلون التهانى والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يتجملون ويتزينون ، وفيه يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون بينهم عرى المحبة والإخاء .

وحتى يتم كل هذا باسم الله وفى ظل رحمته ، جعل افتتاح هذا اليوم السعيد ، اجتماعا عاما للمسلمين ، يؤدون فيه جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ، وفى صعيد واحد ، صلاة العيد ... يكبرون فيها ويهللون ويشكرون الله على ما هداهم إلى العطف على إخوانهم الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات فأغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم ، ووفرا عليهم هم العيش ، فشاركوهم فى الصلاة وبادلوهم التحية والمحبة والتهنئة والمودة ، ومن ثم يجمع المسلم فى يومه هذا بين اتصاله بربه عن طريق العبادة وبين الاتصال بالناس عن طريق التعاون والتراحم والإخاء .

٦ — لفتة إلى رمضان :

وإذا كنا بالأمس القريب قد استقبلنا شهر الصيام ، وتلونا قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، كما خطبنا الخطباء على المنابر ، وحدثنا العلماء والكتاب فى الصحف والإذاعة شهراً كاملا عن مكانة

الصوم فى الإسلام ، وعن أسراره وحكمته ، وعن مثوبة الله للصائمين ، وعما ينبغى أن يكون عليه الصائم حتى يفوز برضاء الله ومثوبته وعن ثورة السماء على الباطل التى نزل بها القرآن ، فزلزلت عروش الفساد واهتزت صروح البغى والطغيان ... وهكذا خلقت لنا تلك الخطب والأحاديث جواً روحيا كان من حقه أن يدفع بالمسلمين جميعا ، فى ليلهم ونهارهم وفى سرهم وعلانيتهم ، إلى الصفاء والإخلاص وتطهير القلوب وصدق المراقبة وقوة العزيمة .

ولكن الواقع الذى نراه بأعيننا ، ونأسف له أشد الأسف ، ونحزن منه أشد الحزن ، أن هذا الجو الربانى المليء بذكر الله ، وبتلاوة كلام الله ، وبالإشارة إلى أحكام الله ، لم يتأثر به المسلمون كما يجب أن يكون ... فقليل من المسلمين هم الذين أجابوا الدعوة وامتثلوا الأمر ، فصاموا ، وقاموا ، وراقبوا الله فى صومهم ، واتقوه فى قيامهم ، فعصموا أنفسهم من الشهوات ، وسموا بأرواحهم عن المدنسات ، وطهروا قلوبهم من الآفات ، وحفظوا جوارحهم من المعاصى والمخالفات.

٧ — لمن يكون العيد :

فهؤلاء النفر ، وحدهم ، هم الجديرون أن يكون لهم العيد وأن تتجه إليهم أحاديث العيد وأن يقصدوا بالتهانى فى أيام العيد ... أما أولئك الذين عبثوا بالشخصية الإسلامية فى ركن من أركان الدين ، وشعيرة من شعائره المقدسة ، وأطلقوا أنفسهم ، خلال شهر المراقبة ، على عادتها ... تدبر المكائد وتنفث سموم الفتن ، وتذيع الأراجيف ، فيفرقون قلوبا متحدة ، وصفوفا متراصة ، ويزعزعون إيمانا قويا نقيا ، ويشوهون جمالا وجلالا ، ثم يضعون الأشواك والعقبات أمام المجاهدين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، فليس العيد لهم أبدا فى شيء من معانيه ، فالعيد إنما يكون لمن صام رمضان وأدرك أنه بصومه قد أدى شكر الله على نعمته العظمى ، التى أنعم بها على عباده فى مثل هذا الشهر ، وهى نعمة إنزال القرآن ... ثم جرد نفسه لإحقاق الحق وإقامة العدل ، وتوثيق عرى الإخاء . ثم كان بعد ذلك القدوة الحسنة والمثل الحى فى الدعوة بالعمل إلى العمل ، وبالإخلاص إلى الإخلاص ، وبالانتظام إلى النظام ، وبالجهاد إلى الجهاد ، وبالبذل إلى البذل ... وهكذا يدعو فيعمل ، ويقول فيفعل ، هذا فقط هو الذى ينبغى أن يتجه إليه بحديث العيد ، وهو وحده الذى يكون له العيد .

٨ — رجاء :

وإنى لأرجو الله أن يهب لكل من أخلصوا فى صيامهم ، وصدقوا فى قيامهم وتوجهوا

إلى الله بقلوبهم - قوة إيمانية يكافحون بها الإلحاد ، ويحطمون رأس الفساد ، بعد أن يحفظوا أنفسهم وإخوانهم من النزق والطيش والذل والعبودية لغير الله ، فيكونون بذلك مثلا حية ، وقوى مخلصة ، تقوم من شأن الآخرين ، وتسدد خطاهم ، وتأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم... وبذلك تتراص الصفوف وتتعانق القلوب، ويتوحد الاتجاه ، وتتحقق الأهداف ... وحينئذ يصدق معنى العيد ، فتعم التهنئة ، ويشمل الرضى والغفران .

٩ — دعاء :

كما أسأل الله بقلب يذوب من جلاله ، ثم يعود فيتماسك من جماله ، أن يجعل هذا العيد فاتحة عهد جديد ، يعود فيه إلى الإسلام مجده ، وإلى المسلمين النصر والتمكين .

١٠ — الإسلام والعلم والسلام :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بمكتبه الأديب اليوغسلافى مستر اندروفيتش الحائز على جائزة نوبل فى الأدب وبرفقته الدكتور عبدالمحسن الخشاب ومستر بويتش الملحق الثقافى بسفارة يوغسلافيا فى القاهرة وقد تناول الحديث فى هذه الزيارة كثيرا من الجوانب الإسلامية فى تقدير العلم والعلماء ، ودعوة الإسلام إلى الحرية والسلام .

وقال الأستاذ الأكبر : « إن الأزهر ليسر بزيارة العلماء ، لأنه يرى أن العلم أساس الحياة ، فقد خلق الله الإنسان بداعيتين : داعية العلم وداعية عبادة الله وحده ، فيسر له سبل العلم وخلق له السمع والبصر والفؤاد وكل الحواس ليصل بها إلى العلم « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون » .

ونوه بفضل العلم فى أول كلمة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . . . » .

فعلم الإنسان فى أرضه طبقات الأرض ، وعلمه فى سمائه طبقات السماء ليستخرج منها كل ما يحقق السعادة للبشر، والخير للإنسانية، ولهذا يدعونا ديننا إلى تكريم العلماء والأدباء لأنهم دعاة الخير . والمبشرون بالسلام ، ولو فهم الناس كلمات الله فى السلام والأمان لما خرج سيف من جرابه ، ولما لجرت قنبلة لإبادة الإحياء .

وإن الأزهر ، وهو الحريص على دين الله ومبادىء الإسلام ، ليعمل ما وسعه العمل على نشر روح المحبة والسلام فى جميع أنحاء العالم .

ومن أجل هذا نحييك ، ونرحب بك باعتبارك عالما ، وداعيا إلى الخير .

١١ — وحدة العقيدة :

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه وفد جماعة الدعوة والتبليغ الباكستانى ، ويضم عدداً من أساتذة مدرسة «كاشفر العلوم» وكلية التليفونات والحربية .

وقد تحدث إليهم فضيلة الإمام الأكبر عن أثر التزاور فى تقوية الروابط بين المسلمين وتعاونهم فى سبيل الحق والخير ، وأثر علماء المسلمين الباكستانيين والهنود فى خدمة الإسلام والدعوة إليه والتمسك بحبل الله .

ثم قال : «إن من أعز أمانى أن التقى بإخوانى المسلمين فى شتى أقطار الأرض وبخاصة إخوانى الباكستانيين الذين أرجو أن يشد الله بهم أزر المسلمين . وإن أعظم شىء يقوى الرابطة بين المسلمين هو أن يتزاوروا ، ولقد كنتم أصحاب الفضل إذ بدأتم بالزيارة .

ثم قال فضيلته : «إن النداءات التى خاطب بها القرآن المؤمنين تلتقى كلها حول وحدة العقيدة .

«ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة »

« ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ....» .

فالإسلام وحدة تجمع ولا تفرق ، وتقوى ولا تضعف وهذه رسالتى ووصيتى إلى إخوانى الباكستانيين أحملكم أمانة تبليغها .

وإن أخوة الإسلام التى تجمع بيننا جميعا دون أن يفرق بينهم اختلاف اللون أو الجنس أو اللغة لهى الأساس الذى يقوم عليه ديننا ، وعلى هذا الأساس يجب أن تكون جهود المسلمين ... ومنذ نشأة باكستان ونحن نؤمن بأنها ستكون سنداً قويا للنهضة الإسلامية وأنها ستعمل إلى جانب مصر لتنقية الدين من البدع والخرافات وإظهاره فى جوهره النقى الأصيل .

وفى ختام المقابلة أهدى الوفد إلى فضيلة الإمام الأكبر الجزء الأول من كتاب (حياة الصحابة) للشيخ أحمد يوسف العالم الإسلامى الهندى .

تعاطى الترغيب والنشوق والمضغة مفطر :

أرسل السيد الأستاذ محمد نجومه ـ نظارة معارف سبها فزان ، ليبيا ـ خطابا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا نصه :

بعد التحية ، فقد سعدنا بالاستماع إلى حديثكم القيم المذاع بالراديو مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ الموافق ١٣ / ٢ / ١٩٦٢ م والذى أفدتم به أن كل شىء لا يدخل المعدة من المدخل الطبيعى للطعام والشراب وهو الفم ـ أفدتم أن كل

هذا لا يعد مفطراً ، وبما أن بلية التبغ المنتشرة فى البلاد تكاد تكون شبيهة بما ذكرتم ، أحببت أن أتشرف بسؤال فضيلتكم عن حكم استعمال أنواع التبغ وهى عندنا بليبيا على ثلاثة :

١ ـ التدخين : وهذا بطبيعة الحال طريقه القصبة الهوائية فالرئتان .

٢ ـ النشوق : وهو مسحوق التبغ ينشق به من الأنف فلا يتعداه .

٣ ـ المضغة : وهى قطعة من ورق التبغ تلاك فى الفم ثم يطرح الريق إلى الخارج ، وأظن أن هذه الطرق فى الاستعمال لا تدخل المعدة .

فالرجاء من فضيلتكم إفادتنا من حيث أفادكم الله وهو ولى المحسنين .

وقد أجاب فضيلته على السيد محمد نجومة بخطاب هذا نصه :

« إجابة على استيضاحكم عن أثر التدخين ومضغه وتعاطى النشوق على الصوم ، أفيدكم أنه بالرجوع إلى الأطباء والإخصائيين تبين أن هذه الأشياء الثلاثة تصل إلى المعدة عن طريق اللعاب ، فالدخان حين تدخينه أو مضغه يثير اللعاب ، ومن ثم يذوب فيه بعض أجزاء النيكوتين ، وهو المادة الفعالة فى الدخان ، ثم يحملها هذا اللعاب كما يحمل ما يتسرب إليه من أجزء النشوق إلى المعدة عن طريق المرىء ، وإذا كان الأمر كذلك كان استعمال أى من هذه الأشياء الثلاثة خلال نهار رمضان مفطراً .

وفقنا الله وإياكم إلى الفقه بأحكام الدين وتحرى الصحيح منها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت

بريد المجلة

ماذا صنع بنا الاستعمار ؟ :

فى العـدد الأخير من مجلة (دعوة الحق) التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية بالرباط للعناية بالشئون الإسلامية والعربية ، قرأنا هذا الخبر .

« أصبح الزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة ، بعد ما كان يجهلها تمـاما عندما اعتقله الفرنسيون وقد استغل مدة إقامته فى السجن فتعلمها . . ! ،

وفى مؤتمر كتاب أفريقيا وآسيا الذى انعقد من ١٢ - ١٦ من شهر فبراير الماضى بالقاهرة ، جاء دور رئيس وفد الجزائر فى تولى رياسة المؤتمر ، ولم تمض إلا دقائق حتى أعلن تنحيه عن كرسى الرياسة لأنه لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع متابعة المناقشات التى تدور بها فى جلسات المؤتمر . . ! هكذا اعتذر السيد / مصطفى الأشرف رئيس وفد الجزائر . وأشهر شعراء الجزائر محمد ربيع ، وأشهر كتابها محمد ديب ما زالت قصائدهما وقصصهما تطبع باللغة الفرنسية ثم تترجم إلى العربية !

هذه أخبار قد يقرأها العربى المسلم فيتملكه العجب ، إذ كيف يناضل زعيم عربى مسلم كابن بيـلا طغيان الاستعمار ، وهو أعزل من سلاح اللغة ، لغة وطنه التى أعلن الثورة على فرنسا من أجله ، وكيف كان يتسنى للزعيم أن تتجاوب روحه مع روح الشعب الجزائرى المناضل الذى دفع به إلى مقعد الزعامة ، وهو يفقد الوسيلة الكبرى للتفاهم مع الجماهير . . ؟

ولكنه الاستعمار الفرنسى الغـاشم . . الاستعمار الصليبى الذى تسلل من قلب أوربا ليثأر لهزائم الجيوش الصليبية فوق أرض عربية هى قطعة من الوطن الاسلامى . . الجزائر . وليس له هدف إلا أن يأتى على أعظم مقومات شعب مسلم من دين ولغة وأدب .

استطاع أن يتعقب اللغة العربية ويطاردها حتى حصرها فى عدد ضئيل من الكتاتيب ، وبقضائه على لغـة القرآن أصاب الاسلام فى الصميم . هذا الاستعمار لم يدع وسيلة لمحاربة اللغة العربية إلا توسل بها ، ومن المهازل المضحكة أنه فى شمال أفريقيا ، بينما يطارد اللغة العربية كان يعمل على إحياء لغـــة البربر هناك ، مع أنها لغـة غير مكتوبة ، وليست قائمة على قواعد وأصول ، وهو

الذى وضع لها قواعد وأصولا من نسج خياله ليستعين بها على محو اللغة العربية. وعلى تمزيق أوصال الشعب العربى الواحد.

إننا نبعد كثيراً عن الحقيقة حين نتوهم أن هدف الاستعمار الغربى الصليبى فى بلاد المسلمين يقف عند حد السيطرة السياسية، وابتزاز خيرات البلاد، ونخدع أنفسنا ونتجاهل أن هدفه الأساسى "قضاء على الإسلام نفسه، وعلى اللغة العربية لغة القرآن.

فى حرب إيطاليا ضد ليبيا كان من نشيد جنود إيطاليا:

« يا أماه .. أتمى صلاتك ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ...

« ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا ...

لأبذل دمى لسحق الأمة الملعونة. !

لأحارب الإسلام الذى يجيز تعدد البنات الأبكار للسلطان .. !

سأحارب بكل قوتى لأمحو القرآن .. !

إن الألمان الذين وقعوا فى الأسر فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية جاهدوا فى سبيل تعليم اللغة الألمانية للمصريين المعتقلين معهم، على أن يعلمهم المصريون اللغة العربية. وقد ضربوا عصفورين بحجر: وفوا لوطنهم واعتزوا بلغتهم، وأضافوا إليها لغة العربية التى قد يحتاجون إليها جديدة وهى اللغة فى المستقبل.

إن بعضا من أدباء الجزائر هاجروا من فرنسا أو الجزائر وهو لا يعرف عن اللغة العربية شيئا، ولكن هذا البعض لم يدع فرصة دون أن يتلقى دروسا فى اللغة العربية حتى أتقنها، وأصبح اليوم يجيدها قراءة وكتابة لأنه كان على يقين من أن اللغة الوطنية من أقوى مقومات الوطن؟

محمد عبد الله السمان

مفرد شمائل:

اختلفنا فى مفرد شمائل فمن قائل إنه شميلة ومن قائل إنه شمالة فنرجو أن تعينوا المفرد الصواب منهما ولكم الشكر.

محمد رءوف

طالب بكلية آداب القاهرة

المجلة:

... مفرد الشمائل شمال بالكسر لا شميلة ولا شمالة: قال عبد يغوث:

ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا

وقال لبيد وقد جمع المفرد والجمع فى شطر واحد.

وهم قومى وقد أنكرت منهم
شمائل بدلوها عن شمال

الاقتباس من القرآن:

اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا

مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية فيه . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى لا تسيغه الأذواق المؤمنة ... وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه «كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن» . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — «... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموا ذلك اقتباسا من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجاتهم إليه — ثم جئت على قدر يا موسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به ... فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه قول الشاعر :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف
بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله : قـل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم ؟ .

محمود حمدى زقزوق

تعليق على تعليق

قال المرحوم الأستاذ أحمد أمين إن الإسلام يطلق على الانقياد القهرى ، وعلى الانقياد الاختيارى ، فالأول يشمل كل من خضع وانقاد بحكم خلقته ، أى فهو مقهور تسرى عليه قوانين العالم ، ولا يستطيع الخروج عليها ، وفى هذا قال سبحانه «وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون» . فكل من فى السموات والأرض

مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لله ، مطيع لما وضع فى العالم من قوانين .

ثم جاء فى الإسلام بمعنى الانقياد الاختيارى قوله تعالى « فقل أسلمت وجهى لله » وهذا يفيد أن المسلم هو الذى رضى بطاعة الله فيما كلفه من شرع ، وبهذا المعنى تطلق كلمة المسلم على كل من خضع لله طوعاً ، وأطاع أى نبى من الأنبياء . فأتباع الأنبياء كلهم مسلمون بهذا المعنى ، وفى هذا قال يعقوب « يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ثم خصصت كلمة الإسلام أخيرا فى الدين الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم .

وكلام المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى هذا واضح ، لا غبار عليه ، لأن الإسلام الذى معناه الانقياد لما يريد الله كرها المعبر عنه فى موضع آخر بالسجود يعم كل المخلوقات . قال سبحانه : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » ولا شك أن هذا المعنى الذى يشمل حتى الجمادات لابد أن يشمل الكافر قطعاً .

وقد علق الأستاذ عبد الرحيم فوده على هذا القول فأنكر أن يكون معنى الآية يفيد أن الكافر يقال له مسلم بالمعنى العام ، وقال إن سابق الآية ولاحقها يخالفان ما يقول .

وقد قرأت سابقها ولاحقها فلم أجد ما يخالف كلام المرحوم أحمد أمين .

ولو صح كلام الأستاذ فوده من أن الإسلام فى آية « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها الخ » . معناه الخضوع للشرائع طوعاً فقط لترتب على ذلك محظوران :

أولا : أن يكون جميع من فى السموات والأرض مسلمين بالمعنى الذى ذكره هو . وطبعا لا يكون فى الأرض كافر قط . وهذا خلاف الواقع .

ثانيا : أنه يلزم أن يكون الملائكة مكلفين بالشرائع ، والمعلوم أن الملائكة مجبولون على الطاعة ، ولا قدرة لهم على المعصية .

ومعنى الآية على الوجه الذى قدره المرحوم أحمد أمين هو تسفيه رأى المشركين فى اتخاذ آلهة غير الله يتقربون إليها ، وليس فى الوجود من خضع له كل شىء غيره تعالى ، ولا يستحق أن يكون إلها إلا من كان كذلك .

هذا ما بدا لى فى هذا المقام ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

محمد فخر الدين

آداب عين شمس

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فودة

وللرجال عليهن درجة :

ترى هل غبن الإسلام المرأة إذ جعل للرجل عليها درجة كان له بها رياسة الحياة الزوجية . . ؟ ألم يكن الأقرب إلى طبيعة الإسلام دين المساواة أن يسوى بين الشريكين فيجعلهما فى منزلة سواء . . ؟ فيرضى بذلك الغربيين والمتغربين فى هذا القرن العشرين — ولكن . هل المساواة المطلقة من صالح الطرفين . ؟ وهل الطبيعة ساوت بينهما فى القوى والملكات ، وفى الأعباء والواجبات حتى نطالب الإسلام برعاية هذه المساواة . ؟

أو أن الضرورة قاضية بوجود الرياسة فى المنزل كضرورة الرياسة فى كل أمر ذى بال فللقرية رئيس ، وللمدينة رئيس ، ولكل مصلحة من المصالح رئيس ، وللوزارة رئيس وللدولة رئيس ، والإسلام دائما يطلب هذه الرياسة ويحرص عليها لتحديد المسئولية ، ولو فى الأمور العارضة ، فإذا حضر اثنان أو أكثر لفريضة الصلاة أمهم واحد منهم ، وإذا خرج ثلاثة فى سفر أمروا أحدهم .

ويقضى العقل والحكمة أن تكون الرياسة لأقدرهم عليها . وأصلحهم لها ، وتفرض أمانة الإسلام ذلك وتوجبه . وفيه يقول الرسول : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » .

ولن تكون المرأة موضع الرياسة ما لم يكن ذلك نقصا فى الرئيس الطبيعى ، لأنها بضعفها الجسمانى . وملكاتها . وغرائزها . ووظيفتها فى البيت تكلف ما ليس فى وسعها أن تحسن القيام به إذا أسند إليها تلك الرياسة .

ثم هذا الرجل . مالك البيت . والقائم بنفقته ورعايته وحمايته . كيف لا يكون صاحب الكلمة العليا فيه . ؟

فدرجة الرجال فى الإسلام هى درجة الواقع المحسوس من عالم الأحياء ، وهى درجة تضاعف الواجبات وتزيد فى الأعباء ، وهى درجة تقفهم موقف المسئولين عن أنفسهم وعمن حولهم ، وهى درجة تصلح بها الحياة ويستقيم عليها الأمر .

إن خضوع المرأة لشريكها الرجل أمر طبيعى لا غبار عليه ، إذ لابد للأسرة وهى المجتمع الصغير من رئيس مسئول يكون

الفيصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات . وإن هذه المسألة من الأصالة والوضوح بحيث ترى المرأة السوية لا تسرها هذه الرياسة إن سلمت إليها ، ولا يرضيها من الرجل أن تكون مالكة أمره والمهيمنة عليه . ولدينا الأمثلة من الحياة كما عند الكثيرين ولا ريب ، وهذه كاتبة إنجليزية تقول : « لا تتعلق المرأة بالرجل الذى تديره كيف تشاء . وما ذلك إلا لأن المرأة تعلم أنه لا يمكن الاستناد إلا إلى ما كان صلبا متينا ، فلا غرابة إذا احتقرت من كان ألعوبة فى يديها :

ويقول الأستاذ هنرى ماريون فى مثل هذا المعنى : فقد تبين لنا الآن لماذا خضعت المرأة للرجل ، وأيضا لماذا يتحتم عليها ذلك الخضوع إلى حد ، وإلا انقلب النظام البشرى رأسا على عقب . بل لو أراد البشر خلاف ذلك لكان لهم فى طبيعة المرأة : فى تركيبها وخلقها ومزاجها . ما يحول دون تنفيذ مرادهم : ثم يقول : إن خضوع المرأة أمر مكروه متى رافقته خشونة الرجل وفظاظته ولكنه طبيعى متى عدله تقسيم العمل . ولطفته روح العدل والإنصاف ، بل ليس ذلك الخضوع إهانة ومذلة ، إذا نشأ عن تفاوت ضرورى للتآلف والتوافق ، وكان أساس الوحدة العاملة وهى الجرثومة البدائية فى تكوين الجمعية البشرية ، كما تتآلف الأعضاء وتتوافق فى خدمة الجسم البشرى » .

فهذا الخضوع إذا كان ضروريا كما رأيت فهو فى الإسلام خضوع الرأى والمشورة والسمع والطاعة ، لا خضوع الذل والعبودية أو العنف والاستبداد . فالإسلام يوجب على الرجل الرفق والكياسة والعطف وينهاه أن يستبد أو يجور ، بل لقد طالبه أن يحتمل من المرأة أخطاءها ، وأن يغفر لها هفواتها وأن يحسن إليها . لافتا نظره إلى طبيعة المرأة وما جبلت عليه حتى لا يلح فى حسابها طمعا فى إقامتها « استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن اعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا، وفى رواية : « المرأة كالضلع . إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » رواهما البخارى ومسلم .

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من طبيعة المرأة عذراً لها فى الصفح عن هناتها والتجاوز عن أخطائها ، وليت شعرى هل يكون الخير للمرأة والرجل إلا بهذا العوج ، وهل يستقيم الحال بعقل مثل عقل الرجل ، وعاطفة كعاطفة الرجل ، وجسم كجسم الرجل .

من كتاب المرأة فى الإسلام
للأستاذ « كمال أحمد عون »

زينة للمزينة

قال بعض القدامى :

إن المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال غيره :

منعمة لم تلبس الوشى زينة
ولكن أحبت أن تزان الملابس

وقال بعض المحدثين :

إن المليحة من كانت محاسنها
من صنعة الله لا من صنعة (البُدَر)

من مقال للأستاذ « على الجندى »
فى مجلة صحيفة دار العلوم

المجد كالجمال

والمجد عند الغانيات رغيبة
يبغى كما يبغى الجمال ويعشق

« شوقى »

دور الأدب فى المجتمع الاشتراكى :

أصبح طبيعيا أن يكون للأدب دور فى بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل أصبحت هذه وظيفته ، وإذا كان فى أدبنا العربى قديما وحديثا أصوات متباعدة تنادى بالعدالة الاجتماعية والتعاطف الاجتماعى من مثل قول الشاعر القديم .

فلا هطلت علىّ ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

إلى الروائع المعروفة فى أدبنا الحديث ، إذا كان ذلك فإننا الآن إزاء حركة اشتراكية جذرية تنظيمية شاملة ، من ألزم الأشياء أن يعبر عنها الأدب ، ويترجم حقائقها وقيمها إلى صور جمالية تحرك النفوس وتطور الأفكار .

وحركة الأدب الاشتراكى التى تبدأ الآن بطريقة جذرية شاملة مع الحركة الاشتراكية نفسها ستأخذ طريقها بجدة صاعدة غير ملتفة إلى الواقفين ينظرون متسائلين : ما هو الأدب الاشتراكى ؟ وما علاقة الأدب بالاشتراكية .؟ وهل هناك أدب اشتراكى وأدب غير اشتراكى .؟ إلى آخر هذه الأسئلة المستنكرة التى عهدناها فى مناسبات سابقة من أنصار الفن للفن متذرعين بالحرية والجمال والصدق الفنى .

وكلمات الحرية والجمال والصدق لو تعمقنا معانيها لوجدناها فى صالح الأدب الهادف إلى بناء المجتمع وتقدم الحياة ، فالأديب مواطن كأى مواطن صالح يعمل فى خدمة المجتمع ، ويدخل الأغراض الجماعية فى وجدانه ومشاعره فيعبر عنها من داخل نفسه وبدافع حريته ، فكيف ننكر على الأديب حريته فى تعبيره المتجه نحو أهداف المجتمع ، ونشيد بالحرية التى يستعملها الأديب فى الانعزال والبعد عن أغراض الجماعة . . ؟ أليس هذا الأديب مثل الجندى الذى يستعمل حريته

فى التخلف عن الدفاع . والجاهل الذى يستعمل حريته فى الامتناع عن التعلم . . ؟ ثم أليس الأديب الفردى مستعبداً لقوى الفردية فى نفسه . . ؟ ولماذا لا يكافح هذه القوى ويتحرر منها إن كان حقا يطلب الحرية . . ؟ ولماذا لا يتأمل فى نفسه ويخلصها من استعباد القوى الرجعية الكامنة فيها .

وكذلك الجمال . . فمن قال إن استهداف الأدب أو اشتراكيته معناها إهمال جمال الفن وإهدار متعته . . ؟ ولست أدرى لماذا يكون التعبير عن الوجدان الفردى جميلا وفنا أصيلا ولا يكون التعبير عن الوجدان الاجتماعى مثله على الأقل فى الجمال وأصالة الفن . . أما الصدق . . فنحن لا نريد من أحد أن يزور مشاعره ، إنما نريد من الأديب أن يشكل نفسه بحيث يتشرب المثل والقيم الاشتراكية ، بحيث يكون إنسانا ، فلست أرى فرقا بين الاشتراكية والإنسانية ، بمعنى أن كلا منهما يهدف إلى العدل والتعاطف بين الناس ، ثم يعبر بصدق عن أهداف الاشتراكية النابعة من نفسه الممتزجة بوجدانه .

وهل يعد الشاعر الذى يعبر عن آلام البعاد وتباريح الهوى . وما يصيب فؤاده من سهام النظرات ، هل يعد هذا الشاعر صادقا فى تعبيره ولا يعد كذلك من تشربت نفسه حب المواطنين وسعى لخيرهم والتعاطف معهم ، أو من خالط مشاعره حب العمل وأحب الآلة فى المصنع أو النبات فى الأرض الطيبة . أو الحبيبة التى يحبها كإنسانة تشاركه الكفاح والمناءة . . ؟

أيهما أجدر بالتقدير والاحترام . . الصدق الفردى المستغرق فى العزلة واللذات الشخصية . أم الصدق الجماعى الذى يستهدف الخير العميم . . ؟

من جريدة الأهرام
« للأستاذ عباس خضر »
عبد الرحيم فوده

ربيعك فى نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تلقيته وفى نفسى بهجة الطفل ، وفى عينى وضاءة الجنة ، وفى قلبى صبوة العاشق ، وفى حسى نشوة الشاعر ، وعلى لسانى أغرودة البلبل ، ثم أجدنى بعد همود الشتاء وعبوسه قد تجاوبت مع الطبيعة ؛ فأنضر مع الغصن ، وأنفتح مع الزهر ، وأنطلق مع النسيم ، وأمرح مع الطير ، وازدان مع الروض ، وأقضى أواخر النهار على ضفاف النيل ، وأوائل الليل فى ملاهى القاهرة ، فأجد لكل شىء جمالا ، وفى كل عمل لذة ، وعلى كل منظر فتنة !

أما اليوم فإنه يقبل به عليّ فلا ألقاه ، وإذا لقيته لا أراه ! ذلك لأن ستاراً من ظلام النفس يفصل بين عيني ونوره ، وحجاباً من كآبة العيش يحول بين قلبي وسروره !

فأنا أمشي في شارع ٢٦ يوليو - إن مشيت - فأرى حياة الربيع من حولي تتدفق باللهو ، وتتألق بالجمال ، وتتأنق بالزينة ، وأنا محمول على عبابها المضطرب ذاهل الوعي بارد الحس خامد الحركة ، كأنني جثة قتيل على سطح نهر ، تمور الأمواه تحتها بالحياة ، وتزدهي الشطئان حولها بالنضارة ، وهي تجري إلى مصيرها المجهول لا تتصل بالكون ولا تشعر بالوجود !

وأنا أغشى مسرح اللهو - إن غشيت - فأرى الوجوه تهش ، والثغور تبسم ، والعيون تقول ، والقلوب تصغي ، وأنا جالس إلى المنضدة الرخامية لا أجد بيني وبينها فرقاً في الجمود والبرود ! فمثلي كمثل الأصم الأصلخ في المرقص الصاخب : يرى أفواهاً تنفخ في مزامير ، وعصياً تضرب على طبول ، وأجساداً تلتصق بأجساد ، وشفاهاً تنفرج عن ثغور ، ثم لا يسمع أنغام العازفين فيطرب ، ولا يدري كلام الراقصين فينتعش !

لقد خبت وقدة القلب وعادت جمرته رماداً !.

أذلك لتقدم السن ، أم ذلك لتأخر الصحة؟ لا يا صديقي ! لا تقدم السن يؤخر الربيع ، ولا تأخر الصحة يقدم الخريف . ما دامت فيك حياة ففيك شعور ، والشعور إن يبلد يدرك الحس في جمال الطبيعة ؛ وإن يرهف يدرك الروح في حس الجمال ، إنما هي الحياة العفنة التي نحياها اليوم في مصر(1) ! مستنقع من الماء الآسن ، تنعقد عليه أبخرة خانقة ، وتسطع منه روائح خبيثة ، وتطن فوقه حشرات سامة . فإذا لم يؤتك الله المشاعر السحرية التي تجعل الظلام نوراً ، والبخار بخوراً ، والطنين شدواً ، والكدر صفواً ، عناك أن تجد اللذة ، وأعياك أن تسيغ العيش .

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب والقلب فنان ، ونحن الآن نبصرها بالعقل والعقل عالم !

(من كتاب وحي الرسالة للزيات)

---

(1) نشرت هذه الكلمة في ٩ أبريل سنة ١٩٥١

" Ye shall certainly be tried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear mnch that will grieve you; from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you perservere patiently, and guard against evil, — then that will be a determining factor in all affairs" (S. The Family of Imr'an, V. 186.) " And we shall try you untill we test those among you who strive their utmost and persevere in patience: And we shall try your reported (mettle)." (S. Mohamad, V. 31.); It intended to mobilize the spiritual powers of the believers to pass any distress or difficulty and to face it boldly.

Islam, in fact, did not intend to frighten the people when it assured that they will suffer, not only in their wealth or plenty; but also in themselves. The truthful expression and its actual existence was of a great term in their steady faith and their final success, which they scored because of patience, endurance and piety which is to follow God's instruction. The Holy Qur'an says: " It it not righteousness that yo turn your faces towards East or west; but it is righteousness, to believe in God and the Last Day, and the Angeles, and the Book, and the messengers; to spend of your substance, out of love for him, for your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask and the ransom of slaves; to be steadfast in prayer; and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all perisds of panic. Such are the people of truth, the God fearing". (S, The cow, V. 177).

Mobilization of the national power:

The final question which comes up now is: How to mobilize the national power towards the socialism? And how to orgamize that mobilization?. Is it better to form leading units in the different sectors of the society which will completely represent all the specific power, to turn the meaning of socialism into a belief? or to let the individuals to elect their representatives who take care of their affairs?.

The President Gamal Abd El-Nasser's call to Revolution: who chose and guided it? — Surely, it is a natural process found its way through a belief, then became an effective belief, and then turned to a motion. These three steps are inseparable, they also follow each other. President Gamal Abd El-Nasser and his companions were effected by the

(*Continued . . .*)

the individuals as they divided education into a religious and a civil one. They also formed the parties which opposed each other, instead of to strive towards the realization of one aim which is the reviving of the Heydays of the islamic society that embraced the human socialism.

C : In thought :

By thought, we mean here the way of thinking and its course. For the thought to be a directive source in mobilizing the orientation of the numerical national power and in turning the meaning of socialism into a belief; it should confirm the islamic and the historical values and not to destroy or doubt people in them.

Undoubtedly, the thinkers have the right to read the weastern and the eastern writings, but they should modify themselves with the specific national powers. This is because the repetition of some directions here and some there through our new revolutionary society; will surely disturb and cause troubles and disunity among the individuals, as it will create a feelings of suspicion towards the sincerity of the Revolution to its history and to the social values which the society is doing its utmost to defend them.

D : In expression :

By expression, I mean the declaration of one's idea — whether by saying or practical conducting through life — . And as the way of thinking should go with the main social values which represent some of the specifid national powers; the expression of one's ideas — whether by saying or conducting — should be modified with these values. Also, the means of information, such as the newspapers, broadcasting and television, and the means of Art, such as theatres and cinemas, and the means of publishing books and the means of preaching such as mosques; should not oppose each other or differ in their objectives. For perhaps a news or a report in a daily newspaper or in a weekly magazine causes doubt in the people's hearts — because it does not go with the main values of the society — especially those who have no knowledge but what related to the religion and aimed to God's favour. And also the methods of the expression should go with the steps of the society in its new era. So, it should not be exaggerated or abased whether in distress or abundance. When the holy Qur'an said : " Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the ftuits (of your toil)." (S. The cow, verse, 155)

Al-Azhar by the revolutionary government to enable them to earn their living on one hand, and to understand Islam and to perform faithfully the islamic message on the other. Hence, there will be no distinction between one and another in the society. No man will be called a religious or a secular one, but all people will have equal opportunities.

As a matter of fact, the islamic society during its heydays did not know a religious man and a secular one, but it knew only Muslim individuals. It did not know the religious man who use his message as a mean to gain his living, but it knew the professional man who was a jurist or a guide to the people. The history tells us some examples: such as Abu Bakr who was a merchant till he was selected ruler of the muslim society, then the great friends of the Prophet "peace may be upon him" asked him to devote himself for the muslim affairs. Another example was Othman son of Affan who was also a merchant. But both of the two - Abu Bakr and Othman - were jurists. The history tells us also about : Abi Hanifa Annoman who was selling silk at the markets, inspite of his knowledge and fame as a jurist, and about Abou Al-Hassan Ahmad El-Kadouri who was a maker of pots although he was one of the greatest jurists. It tells us also about Ahmad Ben Omer Al-Khas-af who wrote the book of "Al-Kharag" and many other great books in jurisprudence, although he was earning his living from repairing shoes.

By this new system, the revolution removed the distinctions and realized equal opportunities for all the individuals of the nation. It also restored the strong picture of the learned muslims of the past, to the learned men of our present time. Hence, our revolution has the right to declare its pride - because of what it realized for Islam and the arabic nation - to the other arabic societies which embraced a certain islamic creed, and their rulers defended it one generation after the other. This certain creed was of Ibn Taymia which aimed at restoring Muslims to their glorious past and putting them face to face with the Qur'an, in order to have a clear understanding for the message of Islam and to have the powerful unity of thought and orientation. Consequently, the hateful sectarianism will be abolished, and the separation which causes weakness and interruption in the islamic society will be removed. But inspite of the existence of these principles, the forgone societies conducted against them. This was because their purpose was only to separate the unity of the people, to weaken them and to create differences among

If any observer looks into the islamic massage, studies its principles and objectives in such way, and uses it to attract the people's attention, undoubtedly, he will have a deeper influence in the field of producing more understanding towards the relation between the arabic socialism and the islamic one. This understanding will be changed into a faith and utilization in the daily life of the individuals of the society and this faith by turn, will be the protector of the new position of the arabic society. Also, there will be no need for the legislative law which is guarded and carried out by the executive authority. Hence, the national power which is represented by the individuals will have the task of protecting the new equilibrium and duration of the new arabic society to be of productive socialism.

But the message of Islam can not be understood or has its effect in reviving and turning the meaning of the socialism into a belief, except after giving guidance and orientation to those who are known as the bearers of the islamic message — The Azharites whether they are students or professors —. And on the contrary, if they have not the right understanding and the ability to rouse the general attention for turning the meaning of the socialism into belief; surely their danger will be nearer to that of those who badly use their authority. This is because, as the obsecurants invest the people's wealth and capabilities in their material production; the bearers of the islamic message who have no correct understanding affects the people's hearts and souls and leads them astray.

Our prospect now is depending upon the university of Al-Azhar in its new organization which can be considered one of the greatest revolutionary works and which will have a great influence on our society, and the other islamic. and arabic societies. Also, we hope that the revolutionists will make their utmost to turn that organization into an actual existence, in order to perform its message as a growing university — though it is the oldest — especially in guiding the arabic and the islamic nations.

Verily, the reorganiztion of Al-Azhar University will prevent the islamic guidance to be a kind of professions. It will create new kinds of kdowledge which enables one to work and earns his living, instead of to use the islamic guidance as a mean of gaining money. The new faculties which are added to the old ones-The theoritical faculties of arabic and Islamic studies - are a golden opportunity given to the students of

Therefore, the islamic society is not only the one in which justice and equilibrium are realized, but it is also the society which completely respects humanity and gives it more than it takes, and hence, the islamic society will be the one which fulfills equilibrium and kindness at the same time.

The islamic call did not strive for, correcting the social condition in the human society or for exhorting people to follow the human innate qualities only, but it also called for keeping that, as the saying of the Almighty God " God commands justice and doing of good " [S. The Bees, V. 90]. While the islamic call called people to do good, it called them to enjoin what is right and forbids what is wrong, especially when the society has an obliquity or remissness in carrying out the islamic teachings which consider only the human qualities, not wealth, not pride of honour nor dignity. glorious Qur'an says: " Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in God ". [S. The family of Imran, V. 110].

As a matter of fact, the message of Islam is not only embodied the principles which call for the social equilibrium and its protection, and which call people to faith in God, but it embodied also the principles which call reople to make their utmsst for the benefit of their society. Moreover, it combined — beside that — the main principles which prevent corruption from being spread among the individuals of the society on the hands of the alien people. They also prohibit the individuals of the islamic society to be loyal to any one who does not share with Muslims their faith and national aims, and also prevent them to be loyal to any one except the natural ruler who guides and leads it to realize its objectives and its basic principles. The Qur'an says: " The believers, men and women, are protectors, one of another : They enjoin what is just, and forbid what is evil ". [S. The Repentance, V. 71] " O ye who believe ! take not my enemies and yours as friends (or protectors) ". [S. The women to be examined, V. 1]. " Thou wilt not find any people who believe in God and the last Day, loving those who resist God and His prophet, even though they were their fathers or their sons, or their brothers, or their kindred ". [S. The woman who pleads. V. 22,].

From these verses, we come to the conclusion that people are forbidden to be loyal to the non — Muslims and not to get outer orders or guidance from a stranger or any ruler other than that leader who shares with them their aims and guides the society to realize its objectives.

In Islam, the honour or the personal pride never adds to a person more virtues to distinguish him from any other one, but both of the two (the honour and the pride) are an external factor gives no more consideration or value. It does not give any one more advancement (in the life welfare) than the other, nor it grants him more social qualities in the society in which he lives. When Islam averts the pride of honour or greatness of the ancestors to be a kind of preferance or valuation, it makes the way wider for the whole people and cleans it from the obstacles and hindrances which were founded by those who are people of honour in order to prevent others from occupying the good position which they deserve because of their personal effeciency, as it realizes what so called in Sociology " The equality of opportunities ".

Indeed, equality of opportunities is not more than a prevention of non-personal factors-such as pride of honour, dignity or fortune—to be means of distinction for some and backwardness for the others. Hence, when Islam returns the mutual position of the wealth back again, and prevents people to use money for monopoly, bad investment or raising the honour and dignity; it surely spreads tranquility and comfort among people. So, every one will feel a safe future and will be directed to the true aim and objective of life, which is undoubtedly not the fortune nor the pride of honour nor greatness of the ancestors; but it is indeed the production of the human beings in its different shapes; it is the mental production and the physical one together.

Moreover, Muslim — from the islamic point of view — is not one who has fortune, pride of honour or dignity; but he is who works and produces by all his human powers and activities. Also, human society is the one of production and work which are the reciprocal aspect in the islamic society. Indeed, the human production is notling but human services which benefit all the individuals of mankind, whether they took part in its performace or not. Because every one of the islamic society is a human producer, it is naturally that the work of every individual serves the benefits of common, and also the work of common serves the benefits of the individual. And this leads us to conclude that the islamic society is a socialist one. This is because the main principle of socialism is " one is for whole, and all are for one ". The islamic socialism is a human one since it depends only upon the human production, not on wealth nor any other adventitious qualities which have no effect in the human valuation.

Those who unjustly eat up the property of orphans, eat up a fire into their own bodies : They will soon be enduring a blazing fire!' (S. The women, V. 10.)

The word "orphans" in this verse does not combine those who are under age only, but it contains also the feeble people who have no ability to resist the utilization or to restore their rights which were usurped by the agressors.

Perhaps the main function of the fortune — in view of Islam — is to liberate humanity, — individuals and communities — to liberate them from the material captivity and from the slavery of a man to his brother. As a matter of fact, enslavement can be represented by many ways such as hunger, ignorance, illness and fear. Also, the main function of fortune — In Islam — may be to enable the individuals of the society to enjoy their rights equally. The most important one of these rights is freedom and also honour. The glorious Qur'an says : " Verily, we have created man into toil and struggle. Thinketh he, that none hath power over him? He may say (boastfully) wealth have I squandered in abundance! Thinketh he that none beholdeth him? Have we not made for him a pair of eyes? And a tongue, and a pair of lips? And shown to him the two highways? But he hath made no haste on the path that is steep. And what evil explain to thee the path that is steep? — (it is) freeing the bondman; or the giving of food in a day of privation. To the orphan with claims of relationship, or to the indigent (down) in the dust. Then will he be of those who believe, and enjoin patience, (constancy, and self-restraint), and enjoin deeds of kindness and compassion. Such are the companions of the Right hand." (S. The city, Vs. 4 — 18.)

As a result of what we mentioned, — the main function of the fortune is to liberate the humanity from all the different ways of slavery — Islam aims at giving the man a complete mastery over money due to his characteristics, freedom and his honour. That is because the subjection of man to the fortune is against the law of God who created him to be the master of all the other creatures, such as the wealth which lays in the botom of the earth and the money which is its price. So, when the holy Qur'an says "And He has subjected to you, as from Him, all that is in the heavens and on earth" [S. Bowing the Knee. 13.] It intends to clear that man himself is a master and that all the other creatures are harnessed to him.

standard, Islam calls people to maintain and protect it against any unexpected relapse. But if the society is compelled and forced — by a bad authority, utilization, monopoly or the different trials — to come back to its former state, Islam ordains people to call again for the correction of the society, then to guard and protect it. Undoubtedly, Islam always tries to correct the bad condition of the society, and to narrow the distinction among the people in order to enjoy themselves during their lifetime.

We previously mentioned that the message of the prophet Mohamad " peace may be upon him " had come to purify the social condition and to oblitirate the investment, whether it is performed by those who are the descendants of the great ancestors, or by those who are wealthy. This seems very obvious in the islamic attitude towards fortune, pride of honour and greatness of the ancestors. For example : Islam does not consider fortune as a private property enjoyed by those who possess it, while needy people have no share in it, but on the contrary it considers money a loan given to them and they temporarily possess it, also Islam considers those people as guardians who should carry out their guardianship completely and wiselv. Moreover, fortune in the islamic point of view belongs to God, as it is a common right for all people. This is because God's provision is to be shared by all His creatures. This islamic point of view concerning fortune is cleared in the different verses of the holy Qur'an which read " Believe in God and His prophet, and spend (in charity) out of the (substance) where of He has made you Heirs ". [S. The Iron, V. 7].

" Ye, give them something yourselves out of the means which God has given to you " [S· The Light, V. 33].

" And those in whose wealth is a recognised right. For the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking) ". [S. The ways of Ascent, V. 24-25].

Because wealth basically belongs to God, one who possesses it has no right to with holdit from others, or to badly use it, such as to enslave their souls ar to tie their future to his order by means of it. In this respect the holy Qur'an says " And do not eat up your property among yourselves for vanities, nor use it as bait for the judges with intent that ye may eat up wrongfully and knowingly a little of (other) people's property ". [S. The Cow, V. 188].

meet hindrances and obstacles, such as hunger, fear and lack of properties. In this respect the holy Qur'an says "Be sure we shall test you with something of fear and hunger some loss in goods or lives or the fruits (of your toil), but give glad tidings to those who patiently persevere,-" [S. The cow, V. 155].

These hindrances sometimes be represented by the conspiracies or the plots which are prepared by those who have no belief in the new system and principles. These plots and conspiracies sometimes cause harm to the reformers. In this connection the glorious Qur'an says "Ye shall certainly be iried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will griéve you, from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, - then that will be a determining factor in all affairs." [S. the family of Imran, V. 186.]

Though these difficulties may hinder the call's way, the last consequence will be the victory and the stability for the callers and the society which they are struggling to realize. The Qur'an says "This day have I perfected your religion for you, completéd my favour upon you and have chosen for you Islam as your religion." [S. The Table, V. 4.]

Reviewing the history as a directive source for the struggle of our nation which aimed at realizing the methodical examples and stability of the balance among all members of the human society, it is undoubtedly possible to mobilize the national numerical power towards the belief in Arab socialism. This mobilization will be realized, if we understand the happenings of the history, which happened as a result of calling to these idologies, the hindrances which met the callers and the success which they scored at last as a result of their struggling.

B. in Religion :

As a matter of fact, Islam - by its message and through it - aims only at restoring the human and the good position to mankined. This because the human society had lost ist position pride and honour and also the differences and distinctions among its individuals were very obvious, not only in the poverty and richness nor in ignorance or learning, but also in the human qualities which are differently granted to the human beings.

After turning the situation of the society to its correct human

From this Qur'anic verse, we come to the conclusion that Islam ordains Muslims - when their society comes down to a level lower than the required one - to from a group from amongst themselves to bear the responsibility of reformation of the society. But without having a complete authority over the society, it is impossible to restore the society back to its glorious past. This is because the authority is the only mean which enables one to enjoin what is right and forbids what is wrong.

However, the holy Qur'an - in this verse or in any other verse did not point to the way of forming such group which will bear the responsibility to restore the society back to its right position. No doubt that the Qur'an never aimes at forming such a group by means of election-when the society comes down to a level lower than the level of the islamic values - because people, as a whole, in such case will have no ability to be higher than the happenings, to see the outlines of the reformation of the society, or those who gather these lines into their minds, have a complete belief in them and make their utmost to carry them out.

As a matter of fact, God chose this group of people, His selection does not mean that He sent down to them a new revelation to convey it to the people as the prophets; but it surely means that God granted them pure natures and faithful hearts by which they can be higher than the happenings and which enable them to call People to do good, enjoin what is right and forbids what is wrong, as the Qur'an states in the previous verse. Verily; with their faithful hearts and pure natures; they will realize their aim and reach their goal which is the improvement of their society and conducting according to the islamic values. This is the statement of the Qur'an at the end of the above mentioned verse which reads "They are the ones to attain felicity", the task of this group does not differ from that of the prophets and messengers, whether towards the call itself or its stages or the circumstances of the struggle : Its failure and success. No doubt that the good result — inspite of these circumstances — will be at last for those who are pious, and also they will be the winners inspite of the long time and the hindrances that they will meet.

Hence, we do not expect to find a paved way to pass over or a bright light to lighten the way in front of us, but we mostly expect to

through its history — is the Islamic call, its begining and its extention all over the world. However, the arab history before the Islamic Call, was only the history of the arab tribes, history of war and comptetion for the sake of the mastery over the arab peninsula. But after Islam, the arab history is the history of the Islamic values and ideologies, history of Arab struggle to plant these values in their life and all mankind as well.

If we have a true desire to restore our nation's glory to our new society which is the socialist one, we shall firstly centralize our desire on these values which are the arabic and the Islamic message, and also on the difficult and long periods of struggle to make a room for these values in the human beings life.

The Qur'an — it self — not only illustrates the values of the Islamic message, but it depicts the struggle for its sake also. The examples of the struggle in the holy Qur'an are not for the struggle which began and then ended, but for the sake of the struggle which will be repeated through the human generation. This is because the values of the Islamic message are requested to be followed by all people and they also asked to perform them during their life, or [at least to be nearer to them. Sometimes, humanity may come to the standard of the realization of these values, and sometimes it comes down and in this case, all the human society will be responsible to fight in the cause of the realization of these values again to inculcate them in the human being hearts.

As a matter of fact, these values are steady ones and the human beings are responsible to raise themselves to its level, so it is only the society attitude — towards these values — which changes nearer to or away from them. The Qur'an says " Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong : They are the ones to attain felicity ". (S. The family of Imran, V. 104).

This verse denotes to the duties of humanity, when the society becomes away from the Islamic values, or when disruption and corruption are existed. According to this verse, it is the duty of the society to have a group of people who have a complete conviction in these islamic values to restore—by enjoining what-is right and forbidding what is wrong the glorious past of the Muslim society.

The specific national power:

As a result of the above mentioned, all the individuals of the nation — except those who badly took the proceeds and the sources of the nation's wealth, who directed its political and intellectual affairs and who weakened the nation and helped the foriegn mastery against the national struggle, indeed those are the people who took more than they gave or took but did not give — except those, the rest of people are qualified to be Arab socialists. But the question which we should face now is: How the individuals of the nation become Arab socialists — while they are forming the numerical power — in the actuality and manner ? How does the understanding of Arab socialism can be changed to a complete belief in it ? And how this belief can be utilized in the practical life to protect the nation n case of aggression or conspiracy ogainst it ?

Having the suitability for acceptation of Arab Socialism is not quite enough for the individuals of the nation, as well as it is not sufficient for them to have a numerical power, but there should be — besides that — a complete conviction which urges one to do good during his life, to carry out the principles of Arab Socialism and to fight against those who are trying to aggress on it.

Consequently, there should be another power which is unseen and immaterial one, beside the numerical power. This power is the one which drives, or rather, should drive the Socialism, as an understanding, to be a complete conviction, then to a behaviour according to that conviction.

Hence, we may call this power, the specific national power. This is to face the numerical natinal one. And if we examined these specific national power which turn the understanding of Socialism to a complete belief in it, we shall find out that they are represented in following of the sources of powers :

A. The history.

B. The religion.

C. The thought.

D. The expression.

Undoubtedly, these means and sources of power can be a perfect guide, if they are well understood and practised. The practical role of the leaders of Arab Socialism, is to declare the values of these sources of power and to materialize it in our new society.

A. In the history:

We mean here by history, the history of our arabic nation which —

The teaher will also be an arabic socialist, if he gives more favour in addition to his work. This favour can be represented by giving help to the students who need such help, performing his duties thoroughly, or by sharing the task of giving free education to the people in a public schools. Not only the teaher, but also the teachers syndicate will be an arabic socialist, if it gets out of the circle of serving only its members in return for their subscribtions and strives to serve all people. It can, for example, build schools and produce free scholarships for the intelligent students or to spread konwledge and culture to enlighten people and oblitirate illiteracy.

The agricultural engineer can be also an arabic socialist, if he freely shares by his expertness in some technical fields for the benfit of the people, such as to show farmers how to cultivate lands, to visit their farms and houses periodically, and to give them more advices to indicate his active readiness for help and his human noble feelings towards them.

Also, the agricultural syndicate can be an arabic socialist, if it widens its services to benefit, not its members only, but all people also, For example : To establish methodical houses for farmers in different villages, to improve animal production and its exhibitions, or [to] offer any other help to denote that it does not confine its services to its members, but it does its utmost for the benefits of all.

The Governmental employer can be an arabic socialist, if he gives more favour or human services beside what he is compelled to do according to his job. For example : To accomplish the needs of the people as soon as he can, to save their time and to offer them other services which are not due to his official work, but for only humanity and kindness.

Therefore, Arab Socialism combines two aspects :

* Justice and balance between taking and giving with regard to the individual relation.

* An exceeding favour beside that justice which reflects its influence upon the society.

Hence, the fact that the individual is working for the benefit of all will be realized. This is because his services are not equal to his wage, but they are more than it. And also that all are working for the benefit of the individual. This is because they make their utmost to happy him irrespective of the value of their wages, and this of course is the essence of Arab Socialism.

passes his examination successfully in return for his parents, teachers and professors care ? Is the wife an arabic socialist when she takes care of her family's affairs and carries out her duty as a mother in return for her husband carefulness ? Is the husband an arabic socialist when he accomplish his duty towards the family in return for the services which family offers to him ?

Surely, if the Arab Socialism is mere giving in return for taking, or a service apt to a recompense, every one will be, therefore, an arabic socialist. In my openion, Arab socialism is not only an act of moving inside the sycle of giving and taking or, in other words, that work should be equal to its recompense. But Arab socialism is that " One for all and all for one ". And here questions will rise : How one be for all ? How all be for one ?

It is impossible for one to work for all, or all to work for the benefit of one as long as the work is only in the circle of giving and taking or at least the work is equal to the wage. Therefore, every one should offer an additional work beside the equality of taking to the giving or rights to the duties. This additional work is a human service that can be explained as a manly effort whether it is a material or immaterial one. For instance the worker wili be an arabic socialist if he — beside his daily work — offers an additional service, as to do his work thoroughly, to help the weak workers, to guide and advise those who have no experience . . . . etc.

The medical man will be an arabic socialist, if he gives an exceeding favour beside the medical care for which he takes the fees. This exceeding favour can be represented by giving free medical advice to the patient who has no ability to pay fees. The medical man can also represent his exceeding favour by giving a precise description or an exact advice and also never to produce it, unless he studies the patient condition thoroughly. Consequently, the patient will not be exposed to any harm or pain. This favour also can be materialized in the fields of offering guidance to those who badly need it and in many other fields.

Undoubtedly, the Doctors Syndicate can be an arab socialist, if it gives an exceeding favour beside, the services which it offers to its members in return for what they pay. For instance : It can help in establishing new free hospitals for the needy people, in giving free medical advices and also in teaching people, especially the uneducated and the peassant classes how to protect themselves against diseases and in any other free human and medical services.

that the working class — the factory workers in particular — is the only class which should have complete authority over society, and this of course will be the last ring of the historical events chain.

The system of the society — in the communism point of view — had changed to its contrary in the past, and now it differs from what was in the past, and it will be also changed to its contrary in the future till the society becomes a worker one. For instance, the royal society — in which the different kinds of properties belonged to the king himself and the people were similar to slaves — was changed from the royal system to feudal one in which the rulers — who were appointed by the king's will — owned the fields and rented them to the cultivators. Again that society was changed from the feudal system to the capitalistic one in which money was entirely invested in the factories as the feudalists prefer factories on land cultivation to get more interest. This capitalistic society was also changed to a worker one after long conflicts between the capitalists and the workers of the factories. Hence, communism considers that the workers of the factories are only the communists and the socialists.

But is the Arab Socialism, the same communist one? No,.. It is not, because Arab socialism protects the individual properties, which are forbidden in the worker or the communist societv. The personal properties are existed and will remain because they form the private section, beside the public one in which some lands, factories and stores are belonging to State.

Again, we will come back to ask about the meaning of the Arab Socialism and the fields in which it can be materialized. Is it a kind of exchange or substitution? Is it the performance of person's duties in return for having fully his rights? Are the farmer in return for having fully his rights? Are the farmer in the farm and the worker in the factory, arabic socialists when they perform certain works and take their wages? Is the employer in his office an arabic socialist because he performs the duty of his employment and in return for, he charges his salary? Is the medical man - when he discribes medicine for the ill and takes fees for his work - an arabic socialist?

Are the teacher of the school and the professor of the university arabic socialists when they carry out their duties and get their salaries? Is the student of the school or university an arabic socialist when he carefully attends his lessons and

THE NATIONAL POWER

HOW TO BE MOBILIZED TOWARDS THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
Vice chancellor of Al-Azhar University

This is a valuable philosophical research, in which the writer has demonstrated the national power and how they are to be mobilized towards realizing Arab Socialism. He also analyses its different specific fundamentals, especially from the aspect of history, religion, thought and expressions. The task of Al-Azhar in its new era is to inculcate the new revolutionary thought and understanaing in the people's minds.

To define suitably, the national power, it would be better before discussing the meaning of Arab socialism, to explain or declare what the National power is? Is it a certain number of individuals of different classes? or is it a discriminative power conferred on certain individuals who can possess it, while the rest of them have the ability to bear it and to carry out its principles.

The Arab Socialism :

In this respect I wish to ask the question " Is the one who works in a factory socialist, only because he is a worker?" If so, the Socialism will be an inseparable quality for the worker, wheresoever he will be. Or, does socialism bear another meaning and essential quality which stands for that worker or any other individual, if such meaning or quality is planted in him?

Indeed, Communism looks at the worker as a Communist and a socialist because he is a worker. This is because it rests upon certain intellectual fundamentals which' mean

best nation of mankind. So, it is our duty - in that condition - to carry out the instructions of the holy Qur'an which was revealed to be as a constitution and system of life. Hence, the enmity among Muslims should be removed and replaced with love and peace. And consequently, our nation will restore its glory and honour, as well as it will had the ability to perform its duty towards the message of Islam till the tumult and oppression be removed and justice and faith in God be prevailed.

In the occasion of the coming of the month of Ramadan, I gladly direct these words to all Muslims everywhere as I like to put in their consideration — as a conclusion — the saying of God (exalted be He) " O ye who believe! give your response to God and His prophet, when He calleth you to that which will give you life, and know that God cometh in between a man and his heart, and that it is He to whom ye shall (all) be gathered. And fear tumult or oppression, which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong and know that God is strict in punishment. " (S. The spoils of war, Vs. 24 — 25.) " O ye who believe! Perserve in patience and constancy : vie in such perseverance, strengthen each other; and fear God; that ye may prosper." (S. The Family of Imran, V. 200.)

In the end, I prey God to guide all of us to the straight path and to do good for the benefit of our nation and our religion. Also, I hope them to receive Ramadan of the next year with faithful and united hearts. And now, let us hear and read the following verses of the Almighty God (exalted be He) " In the name of God, most gracious, most merciful. By (the taken of) time (through the ages). Verily, man is in loss, except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy." (S. Time through ages.)

be like those who say, " we hear" but listen not." (S. The spoils of war, Vs, 20 — 21.) " And hold fast all together by the Rope which God (stretches out for you) and be not divided omong yourselves. " " Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputions after receiving clear signs : For them is a dreadful penalty, — On the Day when some faces will be (lit up with) white, and some faces will be black. " (S, the family of Imran, Vs. 103 — 105 — 106.)

" Let not the believers take for friends or helpers unbelievers rather than believers : If any do that, in nothing will there be help from God" (S. The family of Imran, V. 28.)

" Your (real) friends are (no less than) God, His prophet and the (fellowship of) believers, — those who establish regular prayers and regular charity, and they low down humbly (in worship). As to those who turn (for friendship) to God, His Prophet and the fellowship of believers, — It is the fellowship of God that must certainly triumph. " (S. The table, Vs. 58 — 59.)

Verily, if they completely understood the meaning of these verses, they would know what they order them to do, they would come to the conclusion that they are the followers of the religion which enjoins love and co-operation and forbids hostility and conflicts. The religion which always calls for unity and brotherhood. Undoubtedly, people who are like that, should stick themselves to the unity and not to cut the links of fraternity which join them to each other, as they prevent insult and hatred, because these are against the requested character of the believers whom God says about them "The believers, man and women, are protectors, one of another; they enjoins what is just, and forbid what is evil' (S. The Repentance, V. 71.)

This means that unity in loyalty and devotion, should leap Muslims to be united, to support and help each other in the righteous deeds and piety.

Now, we are passing through the time in which Muslims are separated and in which the factors of corruption are spreading among the individuals of the Muslim society. And as a result of that, imperialists occupied their lands and usurped their properties, and Muslim also failed to reach the goal which God had chosen for them. This goal is to lead mankind to the straight path. For this reason, God revealed to them his guidance and religion, as He supplied them the means of being good conductors in order to be the

full well all that ye conceal and all that ye reveal. And any of you that does this has strayed from the straight path. IF they work to get the better of you, they would behave to you as enemies, and stretch forth their hands and their tongues against you for evil; and they desire that ye should reject the truth." [The woman to be examined Vs. 1 — 2] .

"O ye who believe ! Take not into your intimacy those out side your ranks : They will not fail to corrupt you. They only desire your ruin : Rank hatred has already appeared from their mouths : What their hearts conceal is far worse, we have made plain to you the signs, if you have wisdom. Ah ! you are those who love them, but they love you not." (S. The family of Imran, V. 118.)

Surely, Muslims forgot all these meanings. It bloods the faithful hearts to observe the hostility and separation widely spread among the individuals and the governments of the Muslim nations, to notice that the Islamic society had divieded into many sections and to see Muslim countries had beon subjected to the imperialists who usurped their wealth and induced one to fight against his brother. Here we should repeat the following verse, "Has not the time arrived for the belivers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long age, passed over them and their hearts grew hard ? " (S. The Iron, V. 16.)

Has not the time arrived for the muslim people to liberate themselves from the deception of the imperialists and their supporters who strive hard to create hostility among one and his brother, to extend the period of their occupation in the Muslim's land ? Has not the time arrived for them to be guided by the tenets of the month of Ramadan which is the month of devotion and Qur'an, and to take it a point for revolution against the imperialists and the dishonest citizens who put the obstacles and the hindrances in the way of their unity, dignity and honour ? Has not the time arrived for them to repeat attentively reading of the following verses : " And obey God and his Prophet; and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart; and be patient and persevering : For God is with those who patiently persever. " (S. The spoils of war, V. 46) "O ye who believe ! obey God and His Prophet and turn not away from him when you hear (him speak). Nor

may notice from all its principles and regulation : We can observe that in the fasting as we above mentioned, in the prayer which is a repeated devotion. For instance : All Muslims direct their faces towards one direction (one keblah), they perform their prayer behind one leader (Imam), their movements are the same, they read one Qur'an and they repeat the same praises through their bowing (Sobhana Rabbia Al-Azeem) " praise be to great God ", and through their prostration (Sobhana Rabbia Al-Aàla) " glory be to God the Almighty ".

Unity is the aim of Islam in Zakat also. Zakat is the tie which links all the individuals of the society to each other, spread among them, love, faithfulness and cooperation. Surely, alms giving removes the distinctions among the classes and replaces them with love and brotherhood. Hence, the rich man feels the pains of the poor one, and he may make his utmost to please him, and the poor man offers his assistance to the rich one when he afficted by a calamity.

In pilgrimage, unity is very obvious, especially at the time of " Ihram " when all pilgrims put off their ordinary clothes and put on clothes of a similar kind, material, parts, colour and the same making. At that time, one can not distinguish rich man from the poor one. This of course teaches Muslims the meanings of unity, instill in their hearts fraternity, tidiness, love and co-operation. Hence, Muslims become one group against their enemies.

But unfortunately, it is very painful for the faithful hearts to know that Muslims - during a period of the islamic history - forgot the facts of their religion. They were involved in the material fascinations of the world and forgot the constitution and the guidance of God, some of them become affectionate with God's enemies and their detractors, as they accepted them as their supporters other than God. The holy Qur'an says "And incline not to those who do wrong, or the fire will seize you; and ye have no protectors other than God, nor shall ye be helped." [S. Houd, V. 113.] "O ye who believe ! Take not my enemies and yours as friends (or protectors) offering them (your) love, even though they have rejected the truth that has come to you, and have (on the contrary) driven out the prophet and yoursselves (from your homes), (Simply) because ye believe in God your Lord ! If you have come out to strive in my way, and to seek my good pleasure. (Take them not as friends), holding secret converse of love (and friendship) with them : For I Know

RAMADAN IS ONE OF TENETS OF THE ISLAMIC UNITY

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar

Dear Muslim brothers and sons all over the world : Assalamu Alikum wa - Rahmatu Allah wa - Barakatoh (peace from God be upon you). Now, the month of Ramadan has come " Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). " (S. The cow, verse 185.)

It is the great month which God imposed upon every Muslim to fast it, to be as an Islamic tenent declares the unity of Muslims everywhere. An Islamic unity with infinite time, place, geographic borders, — natural or political — race, colour or language. In this respect the holy Qur'an says " O mankind ! we created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily, the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. " (S. The Rooms, V. 13.)

The Prophet Mohamad " peace may be upon him " said : There is no preferance between the Arab and the non-Arab or the white and the black except by piety. This is because all of you are the sons of Adam, and Adam was created of dust. "

Surely, it is the unity which basically stands on the faith of Islam which followed and embraced by those who Fasting Ramadan is imposed upon them. The unity of Muslims plainly becomes evident during the month of Ramadan, especially in the times of eating and drinking which are from sunset till the dawn time. It seems also in prayer, fasting, alms giving, praising God, rehearsing Qur'an and also in awakening and sleeping.

Verily, the month of Ramadan and of unity has come. And Islam aims at the Muslim's unity as we

their eyes from looking to the prohibitions, their tongues from saying bad words, the ears from hearing the hateful speaking and prevent their hands from causing harm to the others. They also do good and follow the traditional instructions of Ramadan : The drankard lets his wine, the gambler lets his gambling the wrongdoer lets evil and the criminal forgets his crime, then the fasters will invite the poor people to eat with them and to give them a share in their money and possissions. Hence, all Muslims will feel that their hearts are in one place inspite of the long distance which separates one from the other. This is because they have the same feelings and the same spirit.

This divine spirit takes its place inside the hearts of the fasting people as a faith and a heritage. If one believes in patriotism as he believes in his faith, and find a reformation in the example as the same in the traditional love of reformation, therefore Muslims will be socialist citizens. Every one will make his utmost for the benefits of the common as if they were his own benefits, as he will prefare a better life for his citizens as he likes it for himself. He also will be faithful to his country as the same of the english to his empire.

At that time, the egyptian will be similar to the english who can live in a long distance away from his homeland in order to serve his nation. While he is working for his own benefit, he always puts his republic in front of his sight : Represents it at the best of his ability, offers it his best service and gains people's respect for it because of his good deeds, his faithful heart and his good conduct. Hence, you will not hear that the arabic or the egyptian man is living in the foreign contry in a complete loneliness, but in a permanent contact with his homeland and its people. He will not be a bad propagandist for his nation, as he will not speak badly about his brothers. This is because the socialist spirit receives its light from the spirit of God, and this leads man to change his individuality into a nationality, his selfishness into a philanthropic liking.

beings — which is the best kind of the living creatures — is making his utmost, firstly, to benefit himself, then to please his wife and sons' On the other hand, we find that the relation between man and the others looks like the relation between the hunter and his prey or the murder and his victim. This means that man strives hard to interest himself and his family, whether it is a legal action or a prohibited one. He wants his body to be healthy and his house to be full of nice properties, but he will be careless about any loss or distruction which may happen to the other people.

Surely, God does not grant man this kind of the materialistic socialism, but He makes it a part of His constitution and a section of the book which He revealed. So, one who tries to reform the corruption of the society, should spread these spiritual aspects everywhere to lighten the way in front of the people, otherwise his reformation will be useless.

According to the nature and the message of the Islamic religion, God promulgated it a socialist one. Indeed, God had revealed it due to his knowing and Distiny to guide people to the straight Path during their lifetime in the world. God is the owner of all money and properties, people are His bondmen and they will return back to Him after death. Because of the spiritual contact between creator and His creatures, the great Islamic family should be together in a unit. In this unit, people are equal, and the appointment of their government should be according to their will, the brotherhood is their faith and the money and properties are belonging to all of them.

If you think over the pillars of Islam and the regulations of its constitution, you will find out that socialism which unifies the hearts of the people, imposes on the rich man to help the poor one, as it makes all the Muslim society as one body which feels pain because of the diseased part. Here, I shall mention one example from one thousand, and it will be about the Fast of Ramadan. Is not the month of Ramadan which represents the spiritual unity among all Muslims everywhere ? Surely, it is. Muslims perform fasting during one time, break their fast at another one and perhaps they eat one food. They do not repose their tangible delights or desires, because they devoted themselves for the worship of God. Hence, they prevent themselves from doing ill deeds, prevent

FASTING RAMADAN
IS A SPIRITUAL SOCIALISM

By

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is quite impossible for the materialistic Socialism — which we call people to carry it out — to lead its way, without a strong foundation which is the spiritual Socialism. This is because the spirit is God's secret which he created inside the heart of every human being, every system and every society. This secret is near to bring to life the dead as it unifies those who are separated from each other. As a matter of fact, we call this secret " love, attraction or unity ". It urges people to worship one God, to like their country, to respect one motto and to obey one leader. But if this secret left the hearts and went out of minds, there would be no brotherhood or help between one and the other, and no cooperation among the individuals of the society. Hence, the socialist laws and the co-operative systems would be in vain.

Verily, without the divine spirit, the human society will become looks like the animal one. For instance : one who takes care of his son is urged by his instinct which obliges him to keep his kind. But when this son comes to the age of youth, he will become as an enemy for his father, many conflicts and fights will happen between the two and the emotion of motherhood or fatherhood will become a tyrannical individuality.

In fact, the instinct of keeping the race is sometimes promoted among the animals such as the Bees and the ants till it becomes an ideal socialism which the human society makes its utmost to carry it out. This ideal socialism among the individuals of these two kinds of animals, means that " The whole are for one and the one is for all ". Hence, we find that the bee or the ant is working for the benefit of its society as a whole.

As it is also impossible to find this kind of sacrificing and co-operation among the individuals of another society like flies, monkeys or people. But every one of the human

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

يشترك فى التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الحادى عشر — ذو القعدة سنة ١٣٨١ هـ — أبريل ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الشخصية الدينية لجماعة المسلمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إننا ونحن الآن فى أشهر الحج المبارك ، نقدم للأمة الإسلامية ، وللإنسانية جمعاء - مستعينين بالله سبحانه - بعض ما جاء به القرآن فيما يتصل بهذا الموضوع من حيث الطريق ، والإقامة ، وما يتصل بذلك ، ولذا فإننا سنعنى بالكلام فى هذا الموضوع ، ببيان عن :

النداء الثانى فى سورة المائدة :

وقد جاء فيه : « يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهرَ الحرامَ ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيتَ الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وإذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قومْ أن صدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

وكما تضمن النداء الأول تشريعا كليا يركز مسئولية الالتزام التعاقدى ، وتشريعا جزئيا ينص على ما أحله الله للإنسان وما حرم عليه من الحيوان ، يتضمن هذا النداء الثانى تشريعا كليا يقرر المحافظة على الشخصية الدينية لجماعة المسلمين وتشريعا جزئيا ينص على

وجوب الاحتفاظ بأشياء معينة تتصل بما قدس الله من المكان والزمان .

المحافظة على الشخصية الدينية للمسلمين بإيجاب التمسك بالشعائر

وفى الكلى يقول : « لا تحلوا شعائر الله » شعائر الله : هى ما نصبه الله عنوانا على هديه وهى عند التحقيق ترجع إلى مظاهر ما فرض الله من فرائض وحد من حدود ، وشرع من تشريع وهو بعمومه يشمل فى جانب الفعل : الفرض والمسنون والمندوب ، وفى جانب الترك : المحرم والمكروه وما لا ينبغى وإحلالها وانتهاكها وتركها وإهمالها فيما طلب فعله وفعلها وإظهارها وإشاعتها بين الناس فيما طلب تركه ، ومن هنا يتبين أن الشخصية الدينية تتكون من عنصرين : فعل مطلوب ، وترك منهى عنه ، فإذا اجتمعتا كملت الشخصية الدينية وإذا عدما أو عدم أحدهما عدمت الشخصية الدينية للجماعة وحرمت مكانة السمو التى تحظى بها ذات الشخصية الكاملة « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ؛ وما الله بغافل عما تعملون » .

فالأذان ، وصلاة الجماعة فى الأوقات الخمس ، وصلاة الجمعة فى كل أسبوع ، وصلاة العيدين فى كل عام وأداء الحج فى العمر ، وزكاة المال والزروع فى أوقاتها ، كل ذلك ونحوه من العناصر الإيجابية للشخصية الإسلامية . والابتعاد عن شرب الخمر وأكل الخنزير والاتجار بها وغلق أبواب اللهو والفسوق وبيوت الدعارة والقمار ومنع خروج المرأة متزينة متعطرة عارية كاسية من العناصر السلبية للشخصية الدينية ووجودها هدم لهذه الشخصية .

تقديس ما قدس الله :

وبعد أن ركز هذا النداء فى نفوس المؤمنين وجوب المحافظة على شخصيتهم التى بها يعرفون وعن غيرهم يتميزون ، ويتضح للناس مسلكهم وصراطهم الذى يسلكون ، عنى النداء بالنص على أشياء خاصة كانت موضع انتهاك القوم لها وقت التنزيل ، وربما كان لإحلالها فى نفوس البعض ما يبرره ، فحذر بوجه خاص من إحلالها .

الشهر الحرام :

ومن ذلك : « الشهر الحرام » والمراد به الجنس ، فيشمل الأشهر الأربعة المذكورة فى قوله تعالى من سورة التوبة : « إنَّ عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتابِ الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعةٌ حُرُم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم » وقوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر

يُضَلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرّم الله . زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » .

الهدى :

ومن ذلك « الهدى » ، وهو ما يهدى إلى بيت الله من الأنعام للتوسعة على عباد الله العاكفين فيه والبادين .

القلائد :

ومنه « القلائد » ، وهى ما يوضع على الهدى إشعاراً بأنه هدى إلى الله وقربان .

قاصدوا البيت الحرام :

ومنه ما أشار إليه بقوله : « ولا آمين البيت الحرام » ، وهم الذين يقصدون البيت يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ...

وإحلال الأشهر الحرم ، يكون باستباحة الدماء والقتال وارتكاب المظالم فيها .

وإحلال الهدى حبسه عن أن يبلغ محله ، وهو بيت الله الحرام ، أو ذبحه . قهراً عن أصحابه . وإحلال القلائد يكون بانتزاعها من الهدى فيجهل الناس أنه هدى ، ويتعرضون له بالغصب أو النهب ، وإحلال قاصدى البيت التعرض لهم بسوء ، وهم لا يريدون السوء بأحد ، وإنما يريدون فضل الله ورضوانه ، فهم إذن ضيوف الله وفى جواره فلا يقاتلون ولا يساءون ، ولا يعنف عليهم فى معاملة أو بيع أو شراء . وقد عرض القرآن الكريم للبيت الحرام وبين قدسيته القديمة ومناسك الحج وشعائره فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، وسورة الحج ، وبيّن فى كل ذلك أنه شأن دينى قديم نزلت به شريعة السماء ، ودانت به الأمم من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى عهد محمد خاتم الأنبياء إلى يوم الدين .

ومما جاء بشأنه وشأن احترامه وتقديس ما يتصل به أو يدخل فيه حتى الصيد والأنعام قوله تعالى فى سورتنا هذه : « يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون . جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، وأن الله بكل شىء عليم » .

تقديس بعض الأماكن والأزمان

يتبع الناس نوعا من الهدنة والتحصن

ومبدأ احترام بعض الأماكن وبعض

الشهور مبدأ سام، شرعه الله فى القديم وأقره فى الإسلام ، كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام ، هو بمثابة هدنة الهيبة يغرس الاعتراف بها فى قلوب الناس جميعا ويمنحونها حقها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر بلذة الأمن والطمأنينة ، وتسعى فى إزالة أسباب التدابر والتقاتل والخصام بوازع دينى تمتلىء به القلوب وتخشى فى مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقدرته وجبروته على القوى المتجبر، وبرحمته وعطفه على الضعيف المستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن فى هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذى يغشاها ويتنقل فى أرجائها ويطير فى أجوائها « وحرم عليكم صيد البر مادتم حرما » .

كلام القرطبى فى هذا :

قال القرطبى فى تفسيره : والحكمة من جعل الله تعالى هذه الأشياء قواما للناس وسبيلا لأمنهم أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة التحاسد والتقاطع والتدابر والسلب والغارة والقتل والثأر ، فلم يكن بد فى الحكمة الإلهية من كاف يدوم معه الحال ووازع يحمد معه المآل ، ومن هنا جعل الخليفة والإمام لتجرى على رأيه الأمور ويكف الله به عادية الأمور ، وعظم فى قلوبهم البيت الحرام وأوقع فى نفوسهم هيبته ، وعظم حرمته فكان من لجأ إليه معصوما به ، وكان من اضطهد محميا بالكون فيه «أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ولما كان البيت الحرام فى مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ، ولا ينال حظه من الأمن فيه كل خائف ولا يمكن أن يجتمع سكان المعمورة فيه جعل الله الأشهر الحرم ملجأ آخر ، تنشر على الناس وهم فى أقاليمهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ويدخلون بها فى هدنة الرحيم المنان ، فقرر فى القلوب حرمتها : لا يروع فيها سرب ، ولا يطلب فيها دم ، ولا يتوقع فيها ثأر وفيها تسكن السيوف فى أغمادها وتتجه القلوب إلى ربها فيفيض عليهم من رحمته ما يطهرها من النوازع المادية التى تدفع الإنسان لأن يهلك الحرث والنسل ويعرض الكون للخراب والدمار .

ولا ريب أن الإنسان إذا استمر فى هذه الهدنة وعالج نفسه فى ظلها وهى أربعة أشهر من اثنى عشر شهرا ، ثلث الحياة كان (فى فسحة وراحة ومجال للسياحة والاتصال

وتسوية الحال) مما يجعله فى حصن ووقاية من الرجوع إلى طرق باب الشرور والتنازع والخصام وبذلك يصير مع إخوته بنى الإنسان إخوانا متعاونين على البر والتقوى بعيدين عن الإثم والعدوان .

مقام النداء الثانى وما يوحى به

صور المعانى السامية :

هـذا تشريع الله لعباده المؤمنين وقد ذيله بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . ليأخذ بهم إلى السمو عن مواطن الأهواء والنزغات ، والترفع عن معانى الأثرة والأنانية ، وسبل الشر والفساد ويجعل منهم قوة موجهة إلى الخير ، متعاونة على البر .

فمتى يخضع المسلمون لتعاليم ربهم وإرشاده وهو يأمرهم أن يكونوا جميعا أمة واحدة لا تعرف النزاع ولا الشقاق ولا التقاذف ولا التقاطع ، ولا العصبية الجنسية ، ولا العصبية المذهبية ؟ . وفيم هذه الخلافات المستحكمة التى لفتتهم عن قصدهم ولوتهم عن سبيلهم وفرقت كلمتهم وجعلتهم شيعا وأحزابا ؟ وفيم هذه التفرقة وهم على كلمة سواء فى توحيد الله والإيمان بوحيه ورسله ، والإيمان بيوم البعث والجزاء ، والإيمان بأصول الأحكام التى قررها كتاب الله الخالد وجعل منها معتصما للجميع ، إذ يقـول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » : «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون»

إلا أن هذه الخلافات قد صرفتنا عن النافع العملى، واستغرقت جهودنا الفكرية فى مختلف الأزمان والأوطان ، ولو أن المسلمين كانوا قد تخففوا منها ، أو هونوا شأنها فلم يضخموه ولم يحرصوا على تلقينه لأجيالهم جيلا بعد جيل لوجدت العقول مجالا غير مجاله فأثمرت ثمرات طيبات مباركات ، ولوطدت أواصر المحبة والتعاون بين أهل الدين الواحد والأصول الأساسية المتفق عليها ، ولما وجد أعداؤنا منفذا إلينا لا فى أفكارنا وعقولنا ولا فى أوطاننا وأعمالنا . .

إنه لو حسبت الأوقات التى ضاعت وتضيع فى الخلافات النظرية ، والجهود التى بذلت وتبذل فى كل شعب قديما وحديثا لدراسة موقف كل طائفة من الأخرى فيما تقول به من كذا ، أو فيما تنكره من كذا ، لهالتنا كثرتها ، ولعز علينا أنها ذهبت هباء لم تفد منها الأمة شيئا إلا بقاء العدوات والأضغان بل تثبيتها وتنميتها .

فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، وألف بين قلوبنا . . .

محمود شلتوت

أسلوب الدّرعيّات

للأستاذ عبّاس محمود العقّاد

يضمن القارئ المعنى بأبى العلاء المعرى أنه ينتهى من كل قراءة له ، أو عنه ، إلى بحث من بحثين كلاهما أصيل فى تحصيل الثقافة الرفيعة : وهما البحث فى حقائق النفس الإنسانية أو البحث فى حقائق اللغة .

فإن هذا الأديب الكبير ، كان على فرط اشتغاله بالتنقيب عن حقائق الفكر والعقيدة يفرط مثل هذا الإفراط فى استطلاع أسرار اللغة وتقليب وجوه الألفاظ ومعانيها والمعارضة بين أقوال البلغاء فيها ، ويصحب ذلك بامتحان قدرته على الإتيان بمثل ما أتى به الأوائل ، من بلاغتها الممتنعة ومن مواطن الإعجاز فيها ، على حد قوله :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وكل ذلك ظاهر فى شعره ونثره وفيما التزم به بعض قيود اللفظ أو انطلق فيه من قيوده ليخلفها ببعض الشرائط التى تستعصى على غيره ممن يقنعون بالقليل الشائع فى باب الثقافة اللغوية .

وقد عرض الباحثون فى مؤتمر اللغة العربية لدراسة المعرى من غير جانب واحد ، وكان آخر هذه الدراسات بحث الأديب السودانى النابغ الدكتور «عبد الله الطيب» عن درعياته التى ألحقها بديوانه سقط الزند وهى إحدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة شعرية كلها فى وصف الدرع وما يصح أن ينسب إلى الدرعيات ، نظر فيها الأستاذ الطيب من جانب التاريخ واللغة وأسلوب النظم فاستقصى وجهات النظر فى هذه الجوانب ، وانتهى من المقابلة والموازنة بين أشعار المعرى إلى تقرير هذه الحقيقة عن أسلوبه فى هذا الباب من أبواب النظم ، فقال . إنه مخالف لأسلوبه فى سقط الزند مخالفته لأسلوبه فى اللزوميات ، ولكنه يميل تارة إلى نهج الشعر العاطفى فى قصائد الوصف والغزل ويميل تارة أخرى إلى نهج الشعر الفلسفى ، أو الحكمى ، فى اللزوميات ... وعلل ذلك بما يفهم منه أن هذا الاختلاف راجع إلى نظم الدرعيات فى وقت وسط بين الوقت الذى نظم فيه شعر صباه والوقت الذى استقر فيه على العزلة وعكف فيه على نظم اللزوميات .

وفى التعليق على بحث الدكتور الطيب يقول العالم اللبنانى الدكتور عمر فروخ :

« إنه من قراءة الدرعيات بإمعان نظر يتبين أن المعرى أراد أن يلتزم فيها حرفى روى ولكن ذلك لم يتأت له على الوجه الأكمل ... وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض فى أن الزهد بارز فيها وأن ذم الدنيا فيها كثير » .

وفيما نرى أن هذا الاختلاف يفسره لنا اختلاف الموضوع ولا تفسره لنا كل التفسير على الأقل مسألة اختلاف الوقت أو مسألة المحاولة الناقصة ، لأننا نرجع إلى الحالة النفسية التى هى العامل المهم فى تكوين بواعث المشاعر فنرى أنها تشترك فى قصائد من الدرعيات وقصائد من اللزوميات كما لاحظ الدكتور عمر فروخ ، ولكننا نستبعد أن يكون المعرى قد خطر له يوما أن يعالج التزام مالا يلزم فى القافية فعجز عنه وتركه ليعود إلى محاولته بعد ذلك عند نظم اللزوميات ، لأن حظه من المعرفة اللغوية فى نحو الأربعين من عمره لا يقصر به عن إتمام قصيدة واحدة على نهج اللزوميات إذا خطر له خاطر الالتزام عند نظمها ، وما كان ليرضى لنفسه مظنة الإقرار بالعجز عن نظم قصيدة إلى نهايتها على هذا النهج فيترك الالتزام فى هذه القصيدة ثم يتركه فى غيرها إلى أن يحاوله بعد حين فيستقيم له فى قصائد اللزوميات .

أما اختلاف الموضوع فهو كاف لتفسير الاختلاف بين أسلوب الدرعيات وأسلوب سقط الزند واللزوميات ، وهو الذى يفسر لنا اختلاف نظم الشعراء الآخرين فى قصائدهم الغزلية أو الوصفية ونظمهم فى قصائدهم « الطردية » حين ينظمون فى أغراض الطرديات ... لأن الطرديات والدرعيات كلاهما موضوع واحد يتردد فيه الكلام على مقاصد متشابهة : وهى أوصاف السلاح وعدة الصيد والفرس وطراد الوحش والحيوان ؟ .

ومن خصائص أبى العلاء « النفسية » أن نبحث عن اختياره « الدرعيات » موضوعا بدلا من هذا الموضوع الذى عرف عند غيره باسم الطرديات ، وظهر فيه اختلاف الأسلوب عند الشعراء الآخرين حين يطردون وحين يصفون أو يتغزلون .

فأبو العلاء كان يعارض البلغاء ويحب أن يأتى بما لم تأت به الأوائل كما قال ، ولا يستهويه باب من أبواب المعارضة كما يستهويه ذلك الباب الذى اختاره الشعراء لإظهار علمهم بغريب اللغة ودرايتهم بالحياة « الأعرابية » أو حياة الفروسية البدوية وهو باب « الطرديات » .

فهل كان من المعقول — وهو على غرامه بمعجزات اللغة - أن يقرأ للشعراء الأولين

منظوماتهم الطردية ولا يخطر له أن يعارضهم فيها ؟ .

ولكن هل كان من المعقول - مع هذا - أن ينظم فى الطرديات كما نظموا وأن يقصد القصيد ليقول لنا إنه ركب الفرس وسدد السهم وعدا خلف الطريدة وأصاب وأدمى وعاد بقنائص الطير ومصائد الوحش وصرائع الحيوان ، ليدخل بها على حليلة تنتظره فى الخباء كما ينتظر فرسان الهيجاء ؟ .

وهل يأذن للمعرى وقاره المطبوع ، الموروث ، أن يتقبل السخرية التى تخامر نفوس قرائه وهم يتخيلونه على حاله ويتخيلونه على دعواه ؟ .

إن الفزع من هذه السخرية فى ذهن المعرى تمثله لنا لمحة عابرة نقرأ حاله فى رسالة الغفران وهو يتخيل ابن القارح على ظهر فرس من أفراس الجنة بعد أن عرض عليه « أن نركب فرسين من خيل الجنة فنبعثهما على صيدانها وخيطان نعامها وأسراب ظبائها وعانات حمرها ؟ .

فيقول الشيخ كما ألقى المعرى على لسانه : « إنما أنا صاحب قلم وسلم ولم أكن صاحب خيل ؛ ولا ممن يسحب طويل الذيل » ... وما يؤمننى إذا ركبت طرفا ... رتع فى رياض الجنة ... وأنا كما قال القائل ...

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا
فهم ثقال على أكتافها عنف

أن يلحقنى ما لحق ... صاحب المتجردة لما حمل اليحموم ... وكذلك ولدك علقمة حلت فى العاجلة به النقمة لما ركب الصيد فأصبح كجده زيد ... » .

فالمعرى يتخيل الوهم الذى يوقع صاحبه ابن القارح فى سخرية أهون من سخرية الناس برهين المحبسين وهم يتمثلونه راكبا للطراد ، فيستكثر هذه الصورة الهازلة عليه ... فهل يسلم مقاده للساخرين بيديه لينظم لهم فى الطراد ويتبذل للماجنين عجزه وسكونه وهو الذى كان يستر طعامه عن الناظرين إليه مخافة أن يبصروه على غير ما يرضاه ...

إذن لا سبيل إلى النظم فى أغراض الطراد ولا سبيل كذلك إلى اجتناب هـذا الباب الوحيد الذى أولع به أناس من الشعراء أقل منه علما بغريب اللغة وأخبار الفروسية البدوية ، فليكن له - إذن - باب غير باب الطراد ولكنه شبيه به فى أغراضه وفى اتساعه لغرائب اللغة وأحاديث الفروسية البدوية ! وهو باب الدرعيات .

فالدرعيات هى « طرديات » أبى العلاء ، وعدوله عن « الطرديات » إلى الدرعيات إنما كان على سنته فى كل معارضته للأقدمين :

وهى سنة الإتيان بما لم يأت به أولئك الأقدمون الأولون .

إن الطرديات كانت تنظم فى بحر الرجز فلينظمها هو فى سائر البحور وليملأها من غرائب الأخبار بما لم يعلمه قبله أحد من السابقين إلى هذا الباب ، لأن أبا العلاء قد كان يستخف بالرجز ويحسبه طبقة من طبقات النظم دون طبقة القصيد فى سائر أوزان العروض ، ومن هنا جعل للرجاز جنة خاصة فى رسالة الغفران ، دون جنة الشعراء .

ولم يكن وقار أبى العلاء الذى أخافه من سخرية الركوب للصيد خلقا طارئا عليه من أخلاق الهرم بعد الشباب ، أو أخلاق الحلم بعد الجهل ، أو أخلاق القناعة بعد الأشر والطماح ... بل هو خلقه الذى لازمه فى عهد سقط الزند كما لازمه فى عهد اللزوميات ، وبهذا الوقار رثى أباه ، فاستعظم أن يتوهمه مهرولا فى موقف الحشر كما يهرول المبعوثون حول الحوض :

ويا ليت شعرى هل يخف وقاره
إذا صار أحد فى القيامة كالعهن
وهل يرد الحوض الروى مزاحما
مع الناس ، أم يأبى الزحام فيستانى

فلا جرم يختار لطردياته مجالا غير مجال الطراد والسباق ، وغير المجال الذى يقحمه على الفروسية إقحام المدعى لأمر يركبه مركب السخرية والمجون .

ودراسة الأبواب الشعرية هى فى جميع الشعراء دراسة لغوية نفسية ، ولكن المعرى ـ خاصة ـ بين هؤلاء الشعراء أجدرهم أن يعطينا من تفسيرات علم النفس أضعاف ما يعطينا من تفسيرات علوم اللغة كافة ، على وفرة غريبة فى هذه التفسيرات .

عباس محمود العقاد

قال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أرى خلل الرماد وميض جمر
فيوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام

التجديد فى الدعوة الإسلاميّة يبتدئ من المفاهيم

للأستاذ الدكتور محمد البهىّ

— ٢ —

٣ — التوكل :

وعلى نحو ما وجدنا فى مفهوم الإحسان ومفهوم الصبر نجد أيضا فى مفاهيم أخرى كانت لها مدلولات محددة فى أول أمرها ثم تغيرت هذه المدلولات تبعا لعوامل التغير التى غيرت المجتمع وغيرت هدفه وطابعه .

والتوكل من النماذج الواضحة لهذا القانون . فإذا استعرضنا آيات القرآن التى تطلب من الإنسان أن يتوكل على الله نجدها لا تحيد إطلاقا عن ذلك المعنى : وهو اقتران السعى البشرى واستخدام الإمكانيات التى يملكها الإنسان بطلب المعونة من الله جل شأنه . وليس هناك فى القرآن معنى للتوكل فصل فيه بين السعى البشرى وبين طلب العون الإلهى ، فإذا قرأنا مثلا قول الله تعالى : « وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » وقوله تعالى لرسوله الكريم : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » — إذا قرأنا مثل هذه الآيات نجد القرآن الكريم ربط فى معنى التوكل بين حقيقتين ، بين المجهود البشرى وطلب العون الإلهى ، ففى الآية الأولى ربط بين المجهود البشرى فى الصبر على الإيذاء وطلب المعونة من الله فى الاستمرار حتى تتحقق النتيجة المرجوة لنصر المثل والقيم التى تخطط سبيل الله فى الحياة . وفى الآية الثانية ربط بين المجهود البشرى فى عدم الإذعان للكافرين والمنافقين وفى تحمل أذاهم والانصراف عن الاهتمام به بطلب العون الإلهى حتى يتحقق أيضا نصر المؤمنين . وهكذا لو انتقلنا إلى آية ثالثة فى قوله تعالى فى سورة النحل : « الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » . أو فى قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » نجد ذلك الازدواج الذى لا يكون التوكل فضيلة

ومطلوبا فى نظر الإسلام إلا إذا تحقق واقترن أحد طرفيه بالآخر.

فإذا انفصل هذا الاقتران فى وقت آخر بعد ذلك وأصبح التوكل عبارة عن انتظار عون الله دون تقديم مجهود بشرى ودون استخدام الطاقات التى يملكها الإنسان - فإن هذا المعنى يكون طارئا على مفهوم التوكل فى بدء أمره ويكون تخصيصا له لعامل أو لعوامل طرأت على المجتمع الإسلامى فغيرته وتغير تبعا لذلك هذا المفهوم.

وإذا فتشنا عن ذلك العامل أو تلك العوامل التى طرأت على المجتمع الإسلامى فغيرته وغيرت معه مفهوم التوكل بحيث أصبح موازيا لمعنى التواكل — وجدنا نفس الشيء الذى وجدناه سابقا، وهو ما صار إليه المجتمع الإسلامى من ضعف وتفكك فى الروابط وانصراف عن المثل والسعى إليها إلى الارتباط بتحصيل المطالب اليومية التى من شأنها أن تعين الإنسان على البقاء المادى ككائن تدفعه غريزة حب البقاء إلى الحرص عليه. ولو استرسلنا فى تحليل العناصر الخاصة لظواهر الضعف والتفكك والانصراف عن المثل العليا ربما وجدنا هذه العناصر فى شيوع الفردية والأنانية، التى تسيطر على أفراد المجتمع بعد توالى الأزمات عليه وبعد فقدانهم الثقة فى أنفسهم وفى علاقات بعضهم مع بعض.

والمجتمع الإسلامى - كأى مجتمع إنسانى - مرت به أزمات كثيرة وفقد أفراده الثقة بأنفسهم وأصبحوا ينظر بعضهم إلى بعض نظرة ريبة وشك، وبالتالى ركزوا سعيهم فى الحياة على الاستقرار الذاتى أو بعبارة أخرى على المحافظة على البقاء الفردى والشخصى.

ومفهوم التوكل هذا فى تطوره وفى تحوله ينبئ بدوره عن تحول المجتمع نفسه من قوة إلى ضعف، كما كان تحوله هو ذاته نتيجة لتحول المجتمع.

٤ — التواضع:

ولا يشذ مفهوم التواضع عن تلك المفاهيم السابقة فى تحول مدلولها وفى تأثر هذا التحول بطابع المجتمع نفسه. فقد كان مدلوله الأول - ولذا كان فضيلة - حمل النفس على عدم الغرور بأسباب القوة وبمصدر العزة الذى يتوفر للإنسان فى وقت من الأوقات. ولم يكن يتصل بهذا المدلول من قريب أو بعيد معنى الذلة أو معنى القبول للمهانة فى أى صورة من صورها. والقرآن الكريم فى

آياته يوضح هذا المدلول على نحو جلى لا لبس فيه ، فيقول فى سورة المائدة : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . ويقول فى سورة الإسراء : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . ويقول فى سورة الحجر مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : « واخفض جناحك للمؤمنين » . ويقول كذلك فى سورة الشعراء « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» . وفى سورة آل عمران « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كل هذه الآيات تطلب فى واقع الأمر ألا يدفع الإنسان المؤمنين - بسبب ماله من تفوق أى تفوق - إلى أن يكون سلوكه بالنسبة لقرنائه أو بالنسبة لمن لهم فضل عليه كالآباء والأمهات سلوك المترفع المتكبر . وإنما يجب أن يكون مهذبا فى تصرفه معهم . وهذا التهذيب هو ما يشير إليه التعبير بقوله : « أذلة » وبقوله : « واخفض جناحك » . وبقوله أيضا : « واخفض لهما جناح الذل » .

فإذا مال التواضع إلى معنى آخر وهو — مثلا — الرضا بالمهانة ، أو البقاء فى الذل ، مع العجز عن دفع أسباب المهانة أو الخروج عن نطاق الذل — فإن ذلك معنى طارىء على المدلول الأول ، حمل عليه وضع المجتمع الإسلامى نفسه الذى صار إليه . وهو وضع الضعيف أو المستضعف ، أو وضع الذليل أو المستذل ، لأسباب لا تتصل بالإسلام وإنما تتصل بالمسلمين أنفسهم فى علاقات بعضهم ببعض أو فى صلات أمتهم بالأمم الأخرى .

٥ - العفو :

وعلى هذا النحو « العفو » فى مدلوله وفى تطور هذا المدلول من معنى كان له أولا إلى معنى آخر لحقه ثانيا . فاذا قرأنا مثلا قول الله تعالى فى وصف المؤمنين « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » يتأكد لدينا أن مدلول العفو الذى اعتبر فضيلة من الفضائل التى يجب أن يتصف بها المؤمنون : هو ترك توقيع الجزاء مع القدرة على مباشرته والصفح عن الأخذ بالمثل مع الاستطاعة عليه وتأكيد ذلك يوضحه التعقيب فى هذه الآية فى قوله :« والله يحب المحسنين» فليس الإحسان هنا إلا الصورة المثلى من صور الإنسانية الكريمة ، وهى التى تمثلت فى ضبط النفس والعفو عند المقدرة .

ويزيد فى هذا المعنى وضوحا قول الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى فى سورة الشورى « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » فهذه الآية ربطت الأمر بمثله فى الجزاء وأباحت القصاص بما لا يجاوز المثل ولكن طلبت من المؤمن أن يكون ذا مستوى إنسانى أرفع فيترك جزاء السيئة بمثلها لأنه أليق بالإنسان المحسن المهذب . وإذا ذكرت هذه الآية فى عقبها قوله تعالى : « فأجره على الله » كجزاء للشرط فى قوله « ومن عفا وأصلح » — فإن ذلك فقط لدفع المؤمن دفعا نفسيا على أن يتخلق بخلق العفو وهو الصورة الإنسانية الكريمة التى شرحناها ، حتى يصير العفو بعد ذلك خلقا له يصدر عنه دون أن ينتظر أجرا من الله عليه .

هذا العفو إذا صار إلى معنى التسامح عند العجز عن رد المثل وعدم القدرة على جزاء السيئة بمثلها فإنه يكون معنى آخر طارئا على فضيلة العفو التى جعلها الإسلام من فضائل التهذيب والسلوك الإنسانى الكريم ، ويكون السبب الذى دعا إلى طرو هذا المعنى هو ذلك السبب الذى يتصل بالطابع العام الذى صار إليه المجتمع الإسلامى وهو طابع الضعف والاستكانة ، وطابع العجز الذى أوصل إليه تفكك الروابط بين الأفراد ونزول الهدف من الاحتفاظ بالمثل العليا أو السعى نحو تحقيقها إلى الحرص على الحياة الفردية والبعد عن الأزمات أو عن مجال الكفاح فى الحياة .

* * *

وهكذا لو تتبعنا المفاهيم التى تمثل الفضائل الإسلامية والتى يقوم عليها المنهج المستقيم للسلوك العملى للإنسان المؤمن ، لوجدناها تغيرت وآلت تقريبا إلى أضداد مدلولاتها الأولى ، ووجدنا كذلك أن السبب فى تغييرها هو المجتمع نفسه ، ثم لو فتشنا فى طابع المجتمع الذى أوحى بهذا التغيير فى المفاهيم من مدلولاتها الأولى إلى أضدادها لوجدنا أن الفرد فى المجتمع الإسلامى قد تغير عما كان عليه أول أمر هذا المجتمع ، ولا يخرج هذا التغير عن كون أن الإيمان الذى كان للمسلم الأول فى نوعه وفى امتلاء القلب به خف وزنه أو تحول أمره من المقدسات والمثل العليا إلى مطالب دنيوية أو أهداف قريبة فى الحياة الإنسانية .

ولذلك لا يمكن أن ترد هذه المفاهيم إلى مدلولاتها الأولى إلا إذا ربى الفرد المسلم تربية إسلامية ، ونشئ على الإحساس بالقيم

التى جاءت بها الرسالة الإسلامية ، ثم تمثلت فى نفسه فى إيمانه وفى سلوكه معا ، ثم من جهة أخرى لا يمكن أن يربى الفرد المسلم هذه التربية الإسلامية وينشأ على عشق القيم العليا وتمثلها فى إيمانه وفى سلوكه إلا إذا حملت هذه المفاهيم من جديد مدلولاتها الأولى ، ووضعت أمامه فى الحياة الإسلامية كى يعيها ويتدبرها ثم يؤمن بها ويتصرف على غرارها .

وهنا طريق الإصلاح طريق مزدوج ، ولكنه طريق يمكن أن يبتدأ فيه فى وقت واحد ، فى الوقت الذى تعاد المدلولات الأولى للمفاهيم الإسلامية وتقدم للأفراد فى المجتمع وهى حاملة لهذه المدلولات ، والسبيل إلى ذلك هو العودة إلى القرآن والتزام مدلولات آياته دون أن يحكم فى تفسيره قاموس تكون بعد نزوله وحددت مصطلحاته تحت تأثير عصبية مذهبية أو طائفية ، ودون أن يحكم فيه لون معين من التفسير خضع لعوامل الضعف أو توجيه الذين حاولوا أن يستذلوا الأمة الإسلامية فى مقوماتها وفى قيمها التى تميزت بها كأمة لها تاريخ ولها رسالة وفرض عليها كفاح من أجل هذه الرسالة .

وهذا كله يدعو من جديد إلى إعادة النظر فى الكتب والرسائل التى تعرض الإسلام وتقدم للمسلمين فى مدارسهم ومعاهدهم أو فى حياتهم العامة ، كما يدعو إلى إعادة النظر فى ثقافة المساجد التى تقدم للمترددين عليها ، بحيث تكون هذه الثقافة تعبيراً عن الأصالة فى رسالة الإسلام كنظام صالح للحياة الإنسانية الكريمة . ومن عناصر الحياة الإنسانية الكريمة أن يكون الإنسان قويا فى كل ما يتصل بالجوانب الإنسانية ، ولكنه فى الوقت نفسه مهذب فى كل ما يتصل بالسلوك والمعاملة مع غيره .

ونقطة البداية إذاً هى رد المفاهيم الإسلامية إلى مدلولاتها الأولى ، واستشارة القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح فى تحديد هذه المدلولات دون غيرهما مما نسب للمسلمين وتأثر بالأوضاع الإنسانية المختلفة التى تبعد كثيراً أو قليلا عن أهداف الرسالة الإسلامية .

الدكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر

ابراهيم مصطفى
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

بقلم: أحمد حسن الزيات

لم يكد الخالدون الفانون يكفكفون دموعهم على فقد زميلين عزيزين هما المؤرخ شفيق غربال، و العالم إسماعيل مظهر، حتى عادت فتقاطرت على فقد زميل عزيز ثالث هو الأديب إبراهيم مصطفى. والأسرة المجمعية يحزنها أمض الحزن أن ترى المنايا السود يتخطفن أبناءها واحدا بعد واحد فى أزمان متقاربة وهى لا تملك لهم إلا عبرات تجف على حر الأسى، وذكريات تمحى على كر السنين.

نعم إن المجمعيين كالأنواء فى السماء كلما سقط نجم منها فى المغرب طلع بحياله نجم آخر فى المشرق، فلا يزال العالم الأدبى منهم فى ضوء مستمر وغيث متصل، ولكن غروب الغارب ينسى شروق الشارق ويسلم النفس إلى ليل من الحزن طويل موحش. والناس أمواج فى خضم الحياة، تتولد من بعيد، ثم تتعاقب وتتدافع، فترتفع وتنخفض، وتضطرب وتصطفق، وترغى وتزبد، حتى تبلغ الساحل فتنكسر على صخوره أو تغيب فى رماله! ونحن الشيوخ نرى بأعيننا الكليلة صخور الشاطئ ورمال القفر على مدى قريب، فنجد فى أنفسنا الرضا بحلول أصدق المواعيد لأنه العاقبة التى لا مفر منها والغاية التى لا معدى عنها. وسنة الله فى خلقه أن يشيخ الشاب ويهيج الزرع ويجىء الأجل، ويموت الحى ولكن الإيمان بيقين الموت والاطمئنان إلى نهاية الحياة لم يستطيعا أن يحبسا فى العين دمعة الحزن. ولا أن يخففا عن القلب لوعة الفراق.

والحزن على نوابغ الشيوخ هادئ ولكنه عميق، لأن مبعثه فكرة، والفكرة ولود. أما الحزن على نواضر الشباب فهو ثائر ولكنه ضحل، لأن مبعثه عاطفة والعاطفة عقيم.

الحزن على فقد الشاب الجميل حزن على زهر ذوى وزرع آف وأمل خاب وسند تحطم؛ ولكن الحزن على الشيخ العظيم حزن على ثروة ضخمة من العلم والخلق والمواهب والتجارب والمرانة، عمل فى تكوينها مع

نص الكلمة التى ألقيت فى حفل التأبين الذى أقامه مجمع اللغة العربية بداره للفقيد فى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٦٢.

الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة حتى أصبحت قوة فى طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم ، يحدث فقدها فى سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرس الصغير فى الدولاب الكبير .

وإذا قال أبو تمام :

إن الفجيعة فى الرياض نواضرا
لأشد منها فى الرياض ذوابلا

فقد صور الحزن العاطفى على جميل فقد ، ولم يصور الحزن العقلى على نافع ذهب . إن فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ألوفا من الأنفس تبتلعها القبور فلا يعقب فقدهم فراغا ولا دهشة ، ولكن فقد عظيم واحد فى العلم أو الأدب أو الفن أو السياسة أو الإصلاح يحدث فى العالم من الخسران ما عبر عنه عبدة بن الطبيب بقوله فى قيس ابن عاصم :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

لم يكن إبراهيم مصطفى علما على شخص وإنما كان علما على ثروة . كان ثروة ضخمة من علوم القرآن وفنون اللسان تجمعت بالحفظ والدرس والتحصيل والتمحيص والدأب والصبر والإيمان فى خمس وسبعين سنة من يوم مولده إلى يوم وفاته .

نشأ الفقيد فى بيت من بيوت القرآن ، فقد كان أبوه رحمه الله قارئا لكتاب الله مقرئا إياه، فأخذه منذ الحداثة بحفظه وتجويد لفظه وقراءته على الأحرف السبعة التى أنزل عليها . ثم غرس فى ذهنه البكر أصول العلوم . حفظه الألفية فى النحو والتلخيص فى البلاغة والكنز فى الفقه والشاطبية فى القراءات . عرف ذلك منه لدته فى العمر ورفيقه فى الدرس المرحوم أحمد أمين حين تلاقيا أول مرة بأحد المساجد الكبرى فى السنة الأولى من هذا القرن ، وكانا مجاورين بالأزهر ، أحمد فى سن الخامسة عشرة، وابراهيم يصغره بسنة. فعجم كل منهما عود صاحبه بسؤاله عما يحفظ وعما يعلم . فلما وقف أحمد أمين على مقدار تحصيله قال : « فأكبرته واستصغرت نفسى . ومن ذلك الحين تصادقنا ، وكان موطن الصداقة أول الأمر هذا المسجد لسعته وهدوئه . وكنا نجتمع لمذاكرة الأدب نحفظ من مقامات بديع الزمان ومما نختار من رسائله ، ونستظهر ما نختار من أمالى القالى ، ونقرأ فى بلوغ الأرب من أحوال العرب للألوسى ، وأمثال الميدانى ، وما إلى ذلك من غير معلم يعلمنا ، ولا مرشد يرشدنا إلى ما نقرأ وما لا نقرأ . ثم تفرقت بنا السبل وإن لم تتفرق صداقتنا . فاتجه إلى مدرسة اللغة والأدب والصرف والنحو وهى مدرسة دار العلوم . واتجهت إلى مدرسة الفقه والقانون وهى مدرسة القضاء الشرعى ،

ولكننا كنا نجتمع فى الأجازات الصيفية فنتمم ما بدأناه من دراسة الأدب » .

من هذا الجذر الغليظ العميق من فنون العلم تفرعت فى ذهن إبراهيم شجرة المعرفة ؛ وبهذه الحصيلة الأولية القوية من مختلف المحفوظ دخل إبراهيم دار العلوم ، فلم يكد يظفر لملكاته الموهوبة بالمعلم الصالح والجو الملائم والمنهج المؤدى حتى نمت فى ذهنه تلك البذور ، وانشعبت من أصلها هذه الفروع ، وأصبح إبراهيم بين أقرانه ورفاقه الغصن الذى يطول والزهرة التى تعد .

قال زميله وزميلنا الأستاذ زكى المهندس ـ مد الله فى عمره ـ « كان من حظى أن أزامل الفقيد فى الدراسة خمس سنوات كوامل ، يضمنا فصل واحد ، وتجمعنا آمال مشتركة . وأشهد أنه كان أجودنا حفظا لمتون اللغة وفن التجويد وعلم القراءات ، وأشدنا شغفا بالبحث فى كتب النحو والصرف ، وأكثرنا إلماما بنصوصها وشواهدها وشروحها وحواشيها . فما من مسألة لغوية عويصة عرض لها الأساتذة إلا كان له فيها جولة تنم عن اطلاع واسع وذكاء ملحوظ حتى دعاه أستاذنا المرحوم سلطان محمد بسيبويه الصغير . ولقد ظهرت فى الفقيد بواكير الحرية فى التفكير والنزعة إلى التجديد فى هذه الفترة من حياته ، فلم يكن كغيره من الطلاب يسلم بما يقوله الأساتذة من غير نقاش ولا بحث ، وما زلت أذكر نقاشا حادا جرى بينه وبين أستاذ الأدب المرحوم الشيخ علام سلامه حين قرر أن أمدح بيت قالته العرب قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

فقد فند هذا الرأى المأثور وأخذ يدلل على خطئه بأبيات من شعر حسان وغيره .

وكذلك كان أمره مع سائر الأساتذة فى قضايا النحو والصرف ولعل صوت الطالب إبراهيم مصطفى كان أول صوت ارتفع فى دار العلوم بالدعوة إلى تحقيق المأثور عن القدامى من هذه التعليلات الفاسدة والأقوال الخاطئة . وكان من أعز أمانيه وهو فى دار العلوم أن يكون يوما مدرسا بها . وكانت الخطوة الأولى فى سبيل هذه الغاية أن تبعثه الدار إلى انجلترا ليستفيد ويستزيد . وقد رشحته فعلا للبعثة ، ولكن فشله فى الفحص الطبى حال بينه وبين ما تمنى . لم يرض لنفسه أن يكون هذا التخلف القهرى عن الدراسة فى الخارج سبيلا إلى تخلفه عن أنداده المبعوثين فى العلم والمكانة .

وإنما رضى لها أن يكون حافزا ألهب طموحه إلى التفوق وأرهف عزمه على التكمل فأنف أن يسلك سبيل المتخرج العادى البادى ، فلم يعمل فى المدارس الأميرية وإنما عمل فى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ليكون الأفق من أمامه أرحب ، والأرض من تحت

أقدامه أثبت ، والحرية فى تطبيق أحكامه أطلق ، والمكافأة على جهوده أجزل ، فكان معلما فناظرا فمفتشا ، حتى إذا عاد أقرانه من انجلترا وجدوه فى المنصب المرموق بالمرتب المضاعف ، ثم سمت به كفايته إلى كرسى الأستاذية بكلية الآداب من جامعة القاهرة ، فسطع فيها نجمه . وتجلى بها نبوغه . تخصص فى تدريس النحو فاستقصى أطرافه واستجلى غوامضه ، وأولع بقراءة كتاب الحجة لأبى على الفارسى فى القراءات يستوعبه ويستوحيه ويجد فيه جلاء لما تخالج فى صدوره منذ صغره من اختلاف القراءات وتعدد اللهجات وتنوع العلل . فجره ذلك إلى النظر فى فلسفة النحو وإصلاح ما أفسده النحاة المناطقة منه فبدأ بالعامل . والعامل كما تعلمون هو المحرك لسكون الكلمات ولا محرك غيره . فالاسم مثلا يرفع لعامل وينصب لعامل ويخفض لعامل ويجزم لعامل . فإذا لم يكن العامل ظاهرا قدروه ، وإذا لم يكن موجودا أولوه . ولما سئلوا عن العامل فى رفع المبتدأ قالوا إنه الابتداء ، وعن العامل فى رفع المضارع قالوا إنه التجرد من الناصب والجازم . فقيل لهم إن فى جعل الابتداء عاملا فى رفع المبتدأ تكلف لا يسيغه ذوق ولا يسوغه منطق ، وإن تجرد المضارع من الناصب والجازم عدم والعدم لا يعمل فردوا على ذلك بكلام لا غناء فيه ولا طائل من ورائه .

هدم الفقيد هذه القاعدة وأنكر أن يكون الرفع والنصب والجر أثر العامل ، وقرر أن العربى حين يرفع الاسم يلحظ فيه أنه مسند إليه أو مخبر عنه وأنه أساس الجملة . فإذا جره ، لحظ فيه الإضافة إما بأداة أو بغير أداة ، أما إذا نصبه فلأن الفتحة هى الحركة المستحبة عند العرب يستخفونها إذا لم يدعهم داع الى الرفع والجر .

وعلى هذا الأساس بنى نظريته فى إعراب الاسم ، وعلى هذه النظرية وضع كتابه (إحياء النحو) .

لم يجد هذا الرأى مساغه فى عقول النحاة المصريين فردوه وفندوه ، ولكنه كان صيحة فيهم لإصلاح هذا النحو وتيسيره لا يزال رجعها يدوى فى دار العلوم والأزهر والمجمع حتى اليوم .

مضى إبراهيم فى جهاده اللغوى المرهق المثمر ، يحاضر الطلاب ويوجه المعلمين ويعاون فى وضع الكتب ، ويشارك فى رسم المناهج ، حتى تولى العمادة فى دار العلوم فأعطاها أكثر مما أخذ منها . وأبلغها فوق ما بلغ بها . وفى سنة ١٩٤٩ انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية ليجلس على كرسى المرحوم على الجارم فاستوى عليه استواء الند الكريم والخلف الصالح ، واضطلع بأعبائه فى لجنة الأصول وفى لجنة المعجم الوسيط وفى لجنة تيسير الإملاء وفى لجنة معجم ألفاظ

القرآن فنهض بها نهوض الكفء الضليع لا يتحفف منها لأنها رسالة حياته ، ولا يتبرم بها لأنها حاجة نفسه ولقد قال فى خطبة استقباله بالمجمع : « لقد أمضيت سنوات فى مسألة من النحو قيل إنى رأيت فيها رأيا واتخذت فى دربها نهجا . والآن أستبشر أنى فى ظل المجمع أستطيع أن أخطو خطوة ثانية ، وأن أجد ما أحتاج من التـأييد والإرشاد والعون » . وكانت هذه الخطوة الثانية أن تبنى فى المجمع المشروع الذى وضع قواعده فى لجنة تيسير النحو بوزارة المعارف وكانت مؤلفة منه ومن زملائه طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم لجادل عنه بالحجة ، ودعا إليه بالحكمة ، حتى أقره المجمع ومؤتمره .

وكان لهـذا التيسير أثره فى تعـديل المنهج وتأليف الكتاب وتوجيـه المعلم ، فأخذته صيحة من النقـد العاصف فى القـاهرة وفى دمشق ، وكان وليـه ونصيره يومئذ يقاسى دورا من أدوار علتـه المزمنة ، فلم يستطع رد الكيد عنه ولا صد الهجوم عليه ، فقتل فى القاعة التى ولد فيها من قاعات دار العلوم .

ثم وجه همه إلى تيسير الكـتابة العربية ، وهى المشكلة الثانية من مشكلات اللغـة بعد النحو ، فكان له رأى فى رسم الهمزة واقتراح فى كتابة الألف اللينة واشتراك فى اختصار حروف الطباعة ، أما فى لجنة المعجم الوسيط فقد عمل فيها على هدى ما تأصل فى نفسه من هوى الإصلاح والتجديد ، كان يبالغ فى حذف المهجور من الألفاظ والتراكيب ، ويغـير من بعض المأثور من الأمثـلة والتعاريف ، ويرانا نقف فى إثبات الجديد من الألفاظ عند قرارات المجمع وإجماع الناس وضرورة الحاجة ، فيثبت هو إذا ما انفرد بالعمل فى بعض الحـرف ، بعض الـكلمات الخالصـة فى العجمة : كالبـكس والبيانو والتايبريتر ، وكان الـكتاب قد ارتضوا من قبل ذلك الملاكمة والمسرح والآلة الـكاتبة ، ولـكنها النزعة الطاغية التى استبدت بالفقيد فى مجال التقريب بين الفصحى والعامية ، وفى لجنة معجم ألفاظ القرآن كان قطبا من أقطابها الذين يدور عليهم البحث ويرجع إليهم الحـكم ، وبحسبكم دليلا على مكانته منها وحسن بلائه فيها أن الشيخين الأكبرين إبراهيم حمروش ، ومحمود شلتوت وهما ماهما بين أعضاء هذه اللجنة ، جاءاه يوما وهو جالس معى فى قاعة المجلس يعتبان عليه أن ينقطع عن العمل معهم فى المعجم لخلاف فى الرأى لا يصعب الاتفاق فيه ، ويرجوان منه فى إلحاح أن يصل ما انقطع من مشاركته ، وكان إبراهيم يلقى المعـاذير ويظهر التأبى ، فقال لى الشيخ شلتوت عافاه الله : ما الحـكم فيمن يهجر مجلس القرآن ويصر على الهجر ؟ فقلت له مازحا : يدخل فى منطوق حكم الله الذى قضاه بقوله : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنـكا » ، فأخذ الشيخان يدفعان

بيديهما فى صدره ويقرآن بقية الآية الكريمة ويرددانها وهو يستغيث بى ويقول : أفتيتهما بقتلى وتضحك ؟ .

وحرص الفقيهين الكبيرين على بقائه معهما فى لجنة المعجم القرآنى شاهد على طول باعه فى تفسير الكتاب وانفساح ذرعه فى فقه مراميه ، ولهاتين الفضيلتين من فضائله اختاره الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية .

أما اختلافه معهما فى النظر إلى حد الاعتزال فدليل على استقلاله فى الرأى ، واجتهاده فى الفهم ، والاستقلال والاجتهاد كانا من أخص صفات الفقيد ، فقد كان له فى كل مسألة رأى ، وعلى كل رأى اعتراض ، ومن هنا كانت حياته العامة كلها حياة تجديد ومعارضة .

سيداتى سادتى : كان إبراهيم مصطفى رجلا ظاهر الرجولية بارز الشخصية فى كل رأى رآه وفى كل عمل تولاه ، وكان مظهر رجوليته ومبرز شخصيته فى اعتداده برأيه ، واعتزازه بنفسه ، وامتيازه فى علمه .

كان من أثر اعتداده برأيه انعتاقه من عبودية النص وانطلاقه من إسار التقليد ، فهو فى الدين مجتهد ، وفى اللغة متطور ، وفى النحو متحرر .

كان على تبحره فى النحو وتخصصه فيه وتعيشه عليه لا يتعصب له ولا يتزمت فيه ، كان فى لجنة وضع المناهج للمدارس الابتدائية والثانوية يصر على حذف بعض الأبواب والأعضاء يخالفونه فى هذا الحذف .

وكان فى لجنة المعجم الوسيط يسرف فى إغفال بعض المواد والأعضاء يراجعونه فى هذا الإغفال ، وكان فى لجنة معجم ألفاظ القرآن يجتهد فى فهم معنى اللفظ والأعضاء يعارضونه فى هذا الاجتهاد . وكان غالبا ما يسفر الجدل بين التقيد والانطلاق عن رأى سليم يقف من المسألة عند حد الوسط .

على أن اعتداده برأيه كان يحمله أحيانا على أن يصطنع لهجة الأستاذية فى خطاب بعض زملائه فيكدر ذلك من صفو المودة بينهم وبينه .

وكان من أثر اعتزازه بنفسه أن اعتراه ما يشبه الحساسية المرضية لكل ما يجافى شعوره ، أو ينافى كرامته . توثقت عرى المودة بينه وبين سرى من أعيان السراة كان وليا على شئون الجمعية الخيرية الإسلامية حين كان هو موظفا بها ، فأظله السرى بعطفه ، ورعاه بجاهه وأزال الكلفة بينه وبينه . فما هو إلا أن بدرت من الرئيس المسلط كلمة تنم عن سراوته أو رياسته حتى ملكته سورة العزة فانصرف عن مجلسه وصد عن لقائه ، وكانت الحظوة لدى هذا الرئيس مطمح كل نفس ومطمع كل واصل . ولا أزال أذكر تلك القصة الرمزية التى شيع بها هذه

الصداقة ونشرها فى مجلة السفور بعنوان (وفاء كلب).

كذلك تأكدت بينه وبين الأستاذ أحمد أمين عقدة الحب فتساهما الإخاء منذ الصبا، وتقاسما الوفاء أكثر العمر، وخلط نفسه بنفسه حتى بلغ من حبه إياه أن سمى أحد ولديه باسميهما معا ليتحدا فى اللسان لفظا كما اتحدا فى القلب معنى: سماه أحمد أمين إبراهيم مصطفى. ولكن هذه المخالصة الشديدة لم تستطع أن تقاوم عزة نفسه حين حك فى صدره شىء من تعالى صديقه عليه، ولعل ذلك كان توهما منه ولدته الحساسية من اختلاف المنصب وذيوع الشهرة، ففتر الحب المضطرم، وفرغ القلب المشغول، وجرى الأمر بين الرجلين مجرى الزمالة المألوفة والصداقة العادية.

ثم كان من أثر امتيازه فى علمه أنه وصل ما انقطع من زعامة المصريين للنحو بعد ابن هشام. وكانت هذه الزعامة قد انعقدت لمصر فى القرنين السابع والثامن من الهجرة بمن نبغ فيها من أخلاف سيبويه كطاهر بن بابشاد وابن بَرى وابن الحاجب وابن منظور وابن هشام والدماميني والأشمونى والصبان. ولكننا إذا استثنينا من هؤلاء جمال الدين ابن هشام الذى قال فيه ابن خلدون: إنه أنحى من سيبويه لا نجد فى الباقين من نظر فى النحو نظرة إبراهيم مصطفى. نظر القدامى فى النحو على أنه غاية لا وسيلة ونظر لا تطبيق، جعلوا النحو للنحو كما جعل قوم الفن للفن، وعالجوه معالجة المنطق الفيلسوف لا معالجة اللغوى الأديب، فوسعوا أبوابه وعددوا مذاهبه وشرحوا غوامضه وحصوا حقائقه وفلسفوا علله، وبحثوا فى كل شىء إلا فى الموضوع الذى دار عليه والغرض الذى وضع من أجله. لم ينظروا فيه نظر الناقد المصلح الذى يرى المبهم فيوضحه والمعوج فيقيمه والمشوش فيرتبه، وإنما اتخذوا منه رياضة ذهنية ومتعة جدلية تتسابق فيها الأفهام بالتقديرات الغريبة والتعليلات الباطلة، إبراهيم وحده هو أول من تمرد على هذا النهج القديم وحاول أن يجعل من النحو وسيلة مباشرة لإحسان الكلام والكتابة بأيسر جهد وفى أقصر وقت. فقضى أكثر عمره يخطط هذا النحو على النحو الذى يريد، وإلى الوجه الذى يقصد. فإذا أعجله الموت عن تنفيذ ما خطط وتحقيق ما آمل فإن الفكرة الطيبة كالبذرة الطيبة تتعهدها الطبيعة بالغذاء والرى حتى تخرج بإذن ربها نامية باقية.

كان رحمه الله عمليا يضع أمام عينيه الهدف الذى يعينه ثم يرميه من أقرب الجهات وأقصد السبل. فكر مرة أن يلغى النحو والصرف من مناهج التعليم الابتدائى والثانوى اكتفاء بتنشئة التلاميذ على النطق الفصيح

والكتابة الصحيحة بالسليقة والمحاكاة كما كان يصنع العرب الأولون ، فطلب من وزارة التربية والتعليم أن تخصص لهذه التجربة فصلا من فصول المدرسة النموذجية وكانت تسمى يومئذ الفصول التجريبية ، وظل يمارس هذه التجربة عاما بطوله ، ولا أدرى ماذا كانت النتيجة .

كان إبراهيم إذن من نحاة الطبع لا من نحاة الصنعة ، وكان علمه بالأدب وأساليبه لا يقل عن علمه بالنحو ومذاهبه . كان من النحاة الأدباء كالمبرد والزمخشرى وابن جنى ، يكتب فيجيد ، وينقد فيصيب ، ويحاضر فيمتع ، ولكنه أوتى اللسان الذلق والبديهة الحاضرة والقريحة الطيعة فطغت فيه ملكة الخطابة على ملكة الكتابة .

ذلك أيها السادة بعض الكلام فى جانب من جوانب الرجل الذى فقدناه ، وإن جوانبه الأخرى لأرحب وأخصب ، وإذا جل الخطب بفقده اليوم فإنه سيكون غداً بافتقاده أجل . لأن الغنى عن مثله عسير ، والعوض عن كفايته أعسر ، واللغة العربية فى محنتها الحاضرة يوهى من دفاعها ومنعتها أن تصاب فى أبنائها الأحرار الأبرار الذين وقفوا جهودهم عليها ، واستنزفوا أعمارهم فيها وكانوا لها وزرا فى الشدائد وجنة .

أخانا إبراهيم :

إن إخوانك لا يزالون بعد أربعين يوما من انصرافك إلى جوار ربك يغالبون الجزع عليك ويراودون العزاء عنك ، ولكن كرسيك الذى لن يشغل فى المجمع ، ومكانك الذى لن يحتل فى المجتمع ، وجهادك الذى لن يعوض فى الأدب ، يجعل الصبر على مصابك أمراً لا يدرك إلا بالزمن الطويل .

أخى إبراهيم :

دخلنا المجمع معا فى يوم واحد وخرجت منه قبلى ، والباب الذى خرجت منه مفتوح أبداً ، لا يضيق ولا ينغلق . إنه الباب الوحيد الذى فتحه الله على حدود الدنيا ليجتازه كل حى إلى حيث يفنى كالبهيم ، أو إلى حيث يبقى كالملك ! وأنت يا إبراهيم فى الحياتين خالد : خالد فى دنيا الناس بالذكر الحسن ، وخالد فى جنة الله بالعمل الصالح .

إن من بكاك فسوف يُبكى ، وإن من رثاك فعما قريب يرثى :

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة
أثنى عليها السهل والأوعار

وسلام الله عليك يوم فقدناك ،
وسلام الله عليك يوم نلقاك .

أحمد حسن الزيات

الحقوق الطبيعية للمواطنين كما قررها الاسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

الحقوق الطبيعية للمواطن كثيرة ، ويمكن إرجاعها إلى أصول ذات فروع ، وهذه الأصول هى :

١ — حق المواطن فى المساواة .

٢ — حق المواطن فى الحرية .

٣ — حق المواطن فى اعتبار كرامته الإنسانية .

٤ — حق المواطن فى أن يأمن على حياته .

٥ — حق المواطن فى ان يعيش عيشة كريمة .

وقد كفل الإسلام هذه الحقوق الطبيعية للمواطنين ولم يكتف بتقريرها نظرياً ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عمليا ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

وإليكم البيان :

إن الإسلام قد كفل المساواة بين الناس ، واعتبرهم جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا يمتاز الغنى فى نظره عن الفقير ، ولا الحاكم عن المحكوم ، وليس هناك ما يتفاوتون به إلا السلوك القويم المعبر عنه بالتقوى ، وما يقدمه كل منهم لنفسه وأهله ومجتمعه من المنافع الإيجابية المعبر عنها بالأعمال الصالحة ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى فضل إلا بالتقوى) .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفارى يقول لعبد زنجى أغضبه : « يابن السوداء » . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : « طف الصاع ! طف الصاع ! — أى تجاوز الأمر حده — ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » . فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال للأسود : قم فطأ خدى !

وكذلك قرر الإسلام حق المواطن فى الحرية ، وهذه كلمة عمر المشهورة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

والله سبحانه وتعالى يقول : « وما بكم من نعمة فمن الله » ، والإيمان بذلك يجعل الإنسان سيد نفسه ، لا يقر بالعبودية إلا لربه الذى أنعم عليه .

وحرية المواطن فى اختيار العمل الذى يعمله مكفولة بمثل قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » ، « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » . ولا ينبغى أن يفهم أن العمل فى مثل هذه الآيات مراد به أعمال العبادة والتقرب إلى الله فقط ، وإنما هو أوسع من ذلك ، بل إن الأعمال الإيجابية الدنيوية ، والأعمال التى يقصد بتركها معنى إصلاحى ، كلها من قبيل ما ينظر الله إليه وما يثيب به وما يحتسبه لصاحبه ، ويمنحه ثمراته فى العاجل والآجل .

والحرية الدينية مكفولة بمثل قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » ، « إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

والذميون - وهم أهل الأديان الأخرى الذين هم فى ذمة المسلمين وعهدهم - لهم أيضا حريتهم الدينية ، ولهم فى الحقوق ما لنا ، وعليهم من الواجبات المدنية ما علينا ، ولا مانع من برهم والقسط إليهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

وبمناسبة هذه الآية الكريمة أحب أن أستطرد ببيان مبدأ هام من مبادىء التسامح والعدل فى الإسلام :

فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ التسامح مع مخالفيه ، ولا يرضى بأن تقوم بين الناس عداوة لمجرد اختلافهم فى الدين ، بل يصرح - كما رأينا فى هذه الآية - بأنه يحب البر والقسط عامة .

والقاعدة التى يرشد إليها القرآن الكريم فى ذلك ، يمكن أن نعبر عنها فى هذه العبارة : « لا موالاة للأعداء ، ولكن بر وقسط وإن سلف منهم الإيذاء » .

وينبغى أن نعلم أن هناك فرقا بين « الولاية » التى هى النصرة والمعاونة على تحقيق غرض مشترك ، بحيث يؤمن كل من « الوليين » أن لصاحبه عليه حقا ، هو مطالب بأدائه عن باعث قلبى ، وبين البر والقسط اللذين يجب أن يسودا المجتمع الإنسانى ، وتقوم عليهما العلاقة بين أفراده وشعوبه ، وإن لم تجمعهما فكرة ، أو تؤاخ بينهما عقيدة ، وهذا هو ما يعبر عنه فى مجتمعنا الراهن بمبدأ « التعايش السلمى » فالقرآن الكريم يقف من كل واحدة من هاتين العلاقتين موقفا يناسبها ، فهو ينهى المؤمنين أشد النهى عن اتخاذ المخالفين لهم من أهل الكتاب والمشركين « أولياء » يرتبطون بهم ارتباط المتناصرين بعضهم ببعض ،

وذلك بأن يستعينوا بهم على المؤمنين ، ويعينوهم عليهم ، بينما يبيح للمؤمنين أن يعاملوا مخالفيهم فى الدين معاملة أساسها البر والرحمة والقسط وتبادل المصالح المادية من تجارية وغيرها ، ما دام لم يصدر منهم إيذاء لهم ، ولا تحريض عليهم ولا محاولة لفتنهم عن دينهم .

اقرأ فى النهى عن اتخاذهم أولياء مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ، « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .

واقرأ فى إباحة البر بهم والقسط فى معاملتهم قوله تعالى — وقد ذكرناه من قبل — : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

ثم اقرأ الآية التى بعدها تجدها تذهب إلى أبعد من هذا فى التسامح ، فتبيح للمسلم أن يتخذ البر والقسط أساسا للتعامل بينه وبين مخالفه الذى آذاه ، بشرط ألا يصل الأمر بينهما إلى حد « الولاية » والنصرة ، وذلك قوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . » فقد صرحت هذه الآية بأن المنهى عنه — فى شأن هؤلاء — إنما هو اتخاذهم أولياء ، لا مجرد البر بهم ، والقسط إليهم .

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم » وفى هذا إيحاء بأن العداوات ليست دائمة ، وأن القلوب تتغير وتتحول ، وأن الرفق والإحسان قد يكونان سبيلا إلى إصلاح النفوس ، وتقريب القلوب ، وقد حدث فعلا فى تاريخ المسلمين أن كثيراً ممن كانوا أعداء لهم ، وحربا عليهم ؛ أسلموا وحسن إسلامهم ، وأبلوا فى الدفاع عن الدين بلاء حسنا .

والخلاصة : أن الله تعالى لا يرضى أن يتخذ المؤمن مخالفه فى الدين وليا ومناصرا ، ولكنه مع ذلك يعطى هذا المخالف حقه فى علاقات المعاشرة والمصاحبة والإنسانية عامة ، على أساس من البر

والرحمة والقسط ، وكلا الأمرين هو غاية الحكمة ، والدستور الطبيعى للإنسانية فى كمال وعيها ، وكمال رقيها وسموها .

ونعود إلى بيان الحقوق الطبيعية التى كفلها الإسلام للمواطنين ، فنقول :

والحرية العلمية مكفولة بمثل قوله تعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » . وهى تقرر أن العقلاء هم وحدهم الذين يعطون المتكلم حق الاستماع إلى كلامه ، ويعطون أنفسهم حق التخير مما يسمعون ، وذلك هو الأسلوب العلمى الصحيح .

والحرية السياسية مكفولة ، فلكل إنسان أن ينكر المنكر الذى هو الشر والفساد ، ويأمر بالمعروف الذى هو الخير والصلاح .

وليس ذلك موجها إلى العامة فقط أو الرعية بعضها وبعض فقط ، وإنما هو حق لكل فرد يتوجه به إلى الحاكم كما يتوجه به إلى المحكومين ، ويتوجه به إلى الخاصة كما يتوجه به إلى العامة ، وله شروط وآداب مبينة فى مواضعها لو اختلت ، أو لم تراع ، عاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بضد المقصود منه ، وربما كان وبالا على صاحبه أو على المجتمع .

والحاكم فى الإسلام هو الراعى الشفيق للأمة ، وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد الخلافة : « إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » .

والإسلام يعرف للمواطن حقه فى اعتبار كرامته ، وهذا الحق مكفول بمثل قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم » فقد اختار الله لهذه النعمة التى هى التكريم التعبير بأعم وصف جامع للناس ، وهو كونهم بنى آدم ، فلا يصح أن تضيع هذه الكرامة لأى فرد ، ولذلك حرم الله التنابز بالألقاب ، لأنه إهانة لكرامة الإنسان فى وجهه ، وحرم الغيبة لأنها خدش لكرامة الإنسان من وراء ظهره ، وحرم قذف الأعراض لأنه انتهاك للحرمات وجعل للبيوت حصانة ، فلا يدخلها أحد دون استئذان أصحابها ، وحرم التطلع والتجسس وما إليهما ، لما فى ذلك من الاقتحام على الناس حيث يكونون آمنين مطمئنين .

والإسلام يكفل حق المواطن فى الأمن على حياته ، فقد نبه إلى أهمية حياة الإنسان فى مثل قوله تعالى : « أوَ مَن كانَ مَيْتاً فأحييناه » ، « هو أنشأكم من الأرض » ، « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، وهذا كله يلفت إلى أنه تعالى هو واهب الحياة ، فليس لأحد أن ينتزعها إلا بالحق .

وكذلك حق المواطن فى أن يعيش عيشة كريمة قائمة على مايكسب من رزق حلال فى أعمال نافعة :

فحث على العمل بمثل قوله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم : (خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . (وما أكل أحد طعاما خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وقد كان نبي الله داود يأكل من عمل يده) .

وإنما نص على داود بالذات ، لأنه كان ملكا وخليفة فى الأرض ، فكان مستغنيا بملكه وخلافته عن أن يعمل ليكسب ويعيش ولكنه مع ذلك كان يعمل ويأكل من عمل يده .

وحرم الإسلام التسخير وإرهاق العامل ، وأكل أجر الأجير، بل مجرد تأخيره عن وقته.

وأباح التمتع بالزينة والطيبات من الرزق « قل من حرّمَ زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

* * *

هذه هى أسس الحقوق الطبيعية التى قررها الإسلام للمواطنين ، وكل الحقوق متفرعة عنها ، راجعة إلى واحد أو أكثر منها .

وفى المقال التالى ، نبين إن شاء الله تعالى كيف أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريرا نظريا ، وإنما وضع لها من النظم والقوانين ما يضمنها ويكفل تنفيذها على أحسن وجه .

والله المستعان ؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

من رسالة عمر فى القضاء الى ابى موسى الاشعرى

القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس فى الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا . لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال . فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق .

نفحات القرآن

المكابرة فى الحق بلاء والتمادى فى الباطل شقاء

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا)	وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا !! لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين !!
(ب)	وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم .

١ - كانوا عرباً فصحاء ، وخطباء بلغاء ، وأعرف من سواهم بنسق الكتاب وتوجيهاته وأدرك لمفاهيمه ، وإرشاداته .

ولكن خذلتهم عقولهم . وسيطرت عليهم ضلالتهم ، فلم يكفهم التنكر للقرآن ، ولا أخجلهم العجز عن مضاهاته بشيء مثله .

بل تطاولوا : فزعموا أنهم لو شاءوا لقالوا مثله .

ثم تطاولوا فنزلوا به عن قدره — وهم يعلمون أنه قرآن سماوى — فقالوا إنه لا يزيد عن كونه أساطير السابقين .

فكأن الأمر فى أوله أمر مشيئتهم : فيأتون بمثله ، أو لا يأتون .

وكأنه - ثانيا - أساطير موضوعة ، ومعهودة عن الأسلاف ، يتندرون بها فى مجالسهم ، ويتسلون بها مع أهليهم ، وندمائهم .

فإن يكن جدلهم صوابا عندهم ، ولم يكن محمد صادقا فيما جاءهم به ، وليس القرآن معجبا لهم . فأين الحق الذى جاءوا به ، أو أين بعضه مما يشهد لهم ؟؟ .

قالت قريش هذا ، وما هو أشنع من هذا فى جدلهم للقرآن ، وتحديهم للرسول .

وكأنهم فطنوا إلى تخاذل المكابرة ، وتساقط الأراجيف ، وازدياد القرآن وضوحا فى حقيقته ، وتمكنا فى قلوب

الكثيرين سواهم ... فسلكوا سبيلا عمنة في الضلال ، وعريقة في التضليل .

٢ - وصاروا يجهرون في القوم بطلب السوء والدمار ، ينزل عليهم من السماء إن كان القرآن حقا كما يقول محمد ! !

يريدون من ذلك إعلان تأكدهم أن القرآن غير حق ، وإيهام الناس بدرايتهم وخبرتهم بهذا ! وإلا لما طلبوا لأنفسهم الهلاك .

ذلك إسرافهم :

وربما كان الإسراف في العناد ، والتمادى في تجاهل الحق شهادة واقعية في تزكية القرآن وإن لم تكن شهادة مقصودة ، ولا عن نية محمودة .

وكثيراً ما تكون الخصومة مؤيدة لعدوها الذي تريد أن تغلبه .

قالوا : إن كان هـذا القرآن حقا كما يدعى محمد فأمطر علينا حجارة من السماء ، أى : كما نزلت على أصحاب الفيل ، أو ائتنا بعذاب الاستئصال على أى لون آخر ، كما عرفوا عن عاد ، وثمود ، ونحوهم ، ثم لم ينزل عذاب الاستئصال ، فهل يكون ذلك تأييداً لهم ؟ ؟

وهل كانوا يطمعون في استجابة الله لدعائهم ويتصدون للعذاب حقا ؟ ؟

هو إيهام كما قلنا ، ولو استجاب الله دعاءهم وأنزل بهم ما طلبوا لزعم زاعم مبطل أنهم مقربون إلى الله ، وأن دعاءهم مقبول ، وأن الهلاك حصل صدفة ، أو لسبب آخر ، فإن حماقتهم وحماقة أمثالهم لا تقف عند حد في المحاولات .

٣ — وكان امتناع العذاب في حكمة الله ، لأسباب أخرى ، غير تصديقهم في إنكارهم أحدها - ما نطقت به الآية - أن الرسول يعيش فيهم « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، فقد جرت سنة الله حين إهلاك قوم يكذبون رسولهم ، أن يأمر رسوله فيخرج بالمؤمنين معه قبل حصول الهلاك لغيرهم فجأة ، كما خرج نوح ومن آمن معه .

وكما خرج هود ، وصالح ، وموسى ، عليهم السلام - قبل أن يحدق العذاب بمكذبيهم .

ولم يؤمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يبرح قومه الآن ، لأنه سبحانه يستبقيه فيهم ثابتا على دعوته ، صابرا على جهاده ، متحملا لأذاهم ، حتى يمكن الله لدينه ، ويركز دعوته رغم ما في سبيلها من صعاب .

وما دام محمد في القوم لحكمة الله فلن يأخذهم ربهم بعذاب الاستئصال ، مع أن عدم إهلاكهم أمارة على تكريم محمد ، ولكن القوم لا يفقهون .

وقد كان فيهم رجل أسرف معهم ، ولما توفى النبي أسلم ، وأخلص في عبادته ، فقال له بعض المؤمنين « لو فعلت هذا والنبي صلى الله عليه وسلم لفرح بك كثيرا .

فقال الرجل : كان لى أمانان من عذاب الله : مضى واحد ، وبقى الآخر : يريد أن الرسول كان أمانا حين وجوده ، فلما توفى لم يبق إلا الإسلام لمن يسلم .

السبب الثانى — لعدم الإهلاك — وقد نطقت به الآية كذلك .

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فاستغفار المستغفرين وقاية من الشر كما تبشر الآية — وهل كان فى قريش مستغفرون » .

قال العلماء : كان فيهم أفراد يستغفرون أحيانا من بعض ذنوبهم ، والله لا يبخل على الداعى ، وإن كان كافرا . . لا لأن الداعى كريم مستجاب عند ربه ، ولكن : إظهارا لكرم الله ، وسعة فضله ، وأنه لا يضيق فى تفضله حتى على من لا يستحقونه ، كما أنه يرزقهم ، ويعافيهم من أمراض ، وينصرهم فى حروب ويتيح لهم من نعيم الدنيا مايثير العجب ، فالله يستجيب دعوة المستغفرين منهم ويرحم بها الآخرين معهم .

ولعل فى هذه الاستجابة تنبيها للكافرين من غفلتهم ، وتوجيها إلى ربهم ، فيكون هذا لونا من ألوان رحمته بالناس فى هديهم .

أو يكون الاستغفار حاصلا من المؤمنين ، وهم بعض من قريش فأكرم الله الجميع بسبب ما حصل من بعضهم ، ونسب الاستغفار إلى الجميع كما ينسب كثير أعمال البعض إلى الكل ، وكما ينسب أحيانا عمل الكل إلى البعض باعتبارهم جماعة واحدة على أنه لا مانع أن يراعى استغفار هؤلاء ، وهؤلاء : مؤمنهم وكافرهم .

السبب الثالث : لم يستجب الله دعوتهم بالهلاك ، ولم يأخذهم به كما جرت سنته فى أمم سابقة لأن الله - تعالى - أباد تلك الشعوب ليخلى الأرض منهم ، ويشغلها بآخرين بعدهم ، حتى يصل الأمر إلى مستقره فى تقدير الله وتنظيمه للكون .

ولم يفعل ذلك بأمة محمد ، لأنها الخاتم ، ولأن دعوته عامة ودائمة ، وسوف لا يخلفه نبى غيره بدعوة جديدة ، ولا تأتى أمة غير أمته لتستقبل دعوته هذه ...

فعدم إهلاك قريش يعتبر مسايرة لحكمة الله فى إستبقاء أمة هذه الدعوة العامة .

ولقد ظهرت حكمة الله هذه فى دعوة النبى لأمته كما ورد فى حديثه ما معناه .

« دعوت ربى فى ثلاث : ألا تجتمع أمتى على ضلالة - ألا يأخذها بالعذاب - ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا ، فاستجاب الله فى اثنين ولم يجبنى إلى الثالثة » .

فمصداق هذا الحديث أن الله حفظ أمة محمد من الإجماع على منكر كما كانت أمم سابقة - بل إذا وجد منكر ، وجد بيننا من يحاربه ، ولا يرضى به ، فلسنا مثلا كبنى إسرائيل .

وثانيا : أن الله لم يعاجل أمة محمد بالهلاك المستأصل بل أبقاها لما ذكرنا من حكمة ، وأما الثالثة - فحكمة الله منعت الإجابة فيها ، لما يعلمه بين المسلمين من تصدعات لأسباب ترجع إلى دنياهم ، ومطامعهم فيها ، لا إلى دينهم الحق ، ولا من طريقه فى شىء .

٤ - ويمكنك أن تثير شبهة فى هذا : فإن الله - سبحانه - يحدثنا فى كتابه وعلى لسان رسوله أنه أهلك أمما بذنوبها ، وأن هذه سنته فى خلقه ، وأن سنته لا تبديل فيها فكيف تخلفت سنته فلم يهلك الكافرين بمحمد وهم أمم تملأ الأرض طولا وعرضا ؟ ؟

وكيف لم يهلك الكثير من أمم الإسلام ، وهم على غير استقامة ؟ ؟

والجواب الذى أفهمه - كما سلف - أن سنة الله قامت على إهلاك من هلك ، وعلى إبقاء أمة الدعوة المحمدية إلى الوقت الموعود فبقاؤها تنفيذ لسنته فيها ، ولم تتبدل السنة فى ذلك .

وليس هذا محاباة لأمة على أمة ، وإنما هى حكمة ، لبقاء الدنيا إلى موعدها ولو كفروا .

وذلك لا يمنع من نزول بلاء كريه بين المسلمين بسبب تقاعدهم كثيراً عن حق الدين عليهم ؛ فالأمراض ، والقحط وهزيمة الحروب ، والانقسام والتفرق بينهم ، والانحياز بعض ملوك المسلمين إلى أعداء المسلمين : كل هذا عذاب يصيب الله به المسلمين ، كما يصيب غيرهم ، وبهذا البلاء الشديد تكون السنة (جارية فيهم حقا) ولو على وجه من وجوهها ، إلى أن يحين وعد الله باليوم الآخر .

٥ - والقرآن نفسه يؤيدنا فى هذا التوجيه ، فالله تعالى يقول « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » « ولو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا » إلخ .

وبهذا تزول الشبهة المفروضة ، ويستقر الأمر على أن سنة الله لا تتبدل .

ثم نعود إلى الحديث عن قريش :

٦ - فالله - سبحانه - يعيب عليهم استعجال العذاب ، ويسجل شؤمهم على أنفسهم فيقول فى آية ثالثة « ومالهم ألا يعذبهم الله » ، يعنى وماذا يفيدهم أن يرجىء الله هلاكهم فى حين أنهم يمعنون فى مناوأة الدعوة ، ويستحقون أكثر مما يستحقه متخلف عن الإجابة » - .

(١) يصدون عن المسجد الحرام وينفرون الناس من اللياذ به ، والتقريب بزيارته ؛ وربما كانت الزيارة عادة تهديهم إلى الإيمان ، ولكن قريشا تخاف من تحقق هذا ، فتبعد الناس عنه .

(٢) وفى حين أنهم أولياء البيت ، يقومون بخدمته ، ورعايته ، وسقاية الحجيج وإطعامهم ؟؟.

فكيف يتوارثون هذا المجد فى تعظيم البيت الحرام ، ثم يذودون الناس عنه ؟؟

لم يكونوا حينئذ أهلا لولاية البيت حقا ، وإنما يستحق ولايته المتقون لربهم ، دون هؤلاء المتناقضين ، ولكنه الجهل المطبق ، والكفر الطامس .

(٣) وفى حين أن مظاهر احترامهم لبيت الله كانت ضروبا من السخرية ، والمخازى ، وسوء الغفلة عن حسن التفكير .

فقد كانوا يعبدون الأصنام فيه ، ويجعلونه مباءة للشرك .

وكانوا يطوفون به عراة الأجسام كما تختلط البهائم ، والوحوش .

وكانت صلاتهم عند البيت حركات هستيرية فى صفير ، وتصفيق ، وليس فيها أدنى ظاهرة من خشوع ، ولا ضراعة ، ولا ذكر صحيح لله رب البيت .

٧ — والقرآن يواجههم بهذا كله ، ويسمعونه فى قوله تعالى : « وهم يصدون عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية — صفيرا وتصفيقا — فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » يسمعون هذا ، ويسمعون آيات أخرى فى معايبهم ، ثم لم يزدادوا إلا غلوا ، وشططا ، حتى لينفقون أموالهم فى ترويج الأباطيل ويضاعفون الجهود فى مجافاة الحق ، والتشاغل عن الهداية ، حتى ولو هددهم القرآن ، وقرع أسماعهم بقوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يُغلبون — بضم الياء — وهذا عذابهم فى دنياهم — والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

وقصارى الحديث فى مقامنا هذا أن المكابرة فى الحق شؤم ، أو هى الشؤم كله ، وأن الاستغفار وقاية من المهالك ، وطهرة من الذنوب ، ومعونة على إصلاح الأنفس .

وأن أخلاقنا — وفى المجتمع الإسلامى خاصة — على غير ما رسم لنا ديننا ، وفى بعد بعيد عما يقصه الكتاب العزيز للعبرة ، والإفادة ، وأن السبيل ميسرة لمن أراد سلوكها فى غير تردد ، ولا مشقة ، وأن دعوة الله جهيرة ومفهومة ، وأن الحياة غير خالدة ، ولا مأمونة فى انطوائها أى ساعة !!

فهل لنا أن نستجيب ؟؟ اللهم وفق ؟ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

من معانى القرآن

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

الشىء الكريم هو النفيس العزيز ، وكرائم الأموال نفائسها وخيارها وهى لهذا موضع التقدير والحرص من الإنسان ، وتقول كرمت فلانا وأكرمته بمعنى عظمته واحترمته .

والطيبات ما تطيب به النفس وتجد فيه ارتياحا وانشراحا ولذة .

الكرامة : الوثيقة الأولى

من هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن الكرامة الآدمية حق لكل إنسان ، وأنها من الله لا من أحد سواه وان الناس جميعا يستوون فى هذا الحق ، فقد كرمهم الله وجعلهم بالنسبة إلى غيرهم من خلقه شيئا نفيسا عزيزاً ، منحهم العقل والنطق وخلقهم فى أحسن تقويم وزودهم بكثير من المواهب والقوى ، واستخلفهم فى الأرض يعمرونها ويستثمرونها وسخر لهم كل ما حولهم فى الأرض التى تقلهم والسماء التى تظلهم ، خلق لهم فى البر دواب تحملهم ووفقهم إلى اختراع غيرها من السيارات والقطارات والطائرات وما إليها وسخر لهم البحر يركبونه ويصنعون السفن والبواخر التى تحملهم عليه ، ورزقهم بما تطيب به نفوسهم من الثمرات وشتى ألوان الطعام والشراب وما إليهما من مجملات الحياة.

وقد فضلهم الله على من سواهم من سائر مخلوقاته حتى الملائكة كما فهم أهل السنة . فإنهم يفسرون الكثير من قوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا » بأنه ما عدا الإنسان من المخلوقات وهم كثير .

ومن ثم نرى فى القرآن الوثيقة الأولى لحقوق الإنسان ، وأولها الكرامة فلا يحق لإنسان أن يمتهن آخر أو يستذله أو يستعبده وقد يسر الله للناس جميعا أسباب الخير فى البر والبحر . ووفر لهم الرزق الطيب الحلال بما يخرجه لهم من الأرض وينزله عليهم من السماء فينبغى أن يقابلوا فضله بما ينبغى من الشكر ، وألا يكون منهم الشح المتبع والهوى المطاع ، والاستئثار بالخير دون الغير فإن ذلك لا يستقيم مع ما يجب لله ولإخوانهم فى الإنسانية وللمجتمع الذى يعيشون فيه .

عبد الرحيم فوده

كيفَ تحُجّ أيُّها المسلم ؟

للأستاذ محمّد محمّد أبو شهبه

تقدمة : سيكون مسلكى فى هذا البحث الاعتماد على ما صح فى السنة ولا سيما حديث جابر الطويل الذى حكى فيه حجة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

وسأتوخى القصد فى ذكر الخلافات والاستدلال ما استطعت حتى لا يشكل الأمر على جمهرة المسلمين ، فإنهم فى حاجة ماسة إلى معرفة المناسك وشعائر الحج بطريقة سهلة ميسرة لا غموض فيها ولا تعقيد ومن الله أستمد العون والتوفيق .

فريضة الحج :

الحج فى الشرع قصد البيت الحرام لأداء النسك والمشاعر فى أشهر معلومة وهى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة وقيل ذو الحجة كله ، والحج ركن من أركان الإسلام ، وفريضة محكمة من فرائضه باقية إلى يوم القيامة وهو من أعظم القربات ، والوسائل لغفران الذنوب ، والفوز بالنعيم المقيم .

روى الشيخان فى صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، وقال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . والحج المبرور هو الذى لم يقارف فيه الحاج إثما ولم يرتكب معصية سواء أكانت مما يتعلق بمحظورات الإحرام أم لا ، وأمارته الاستقامة والصلاح ، وأن يكون حال مؤديه بعد الحج خيرا من حاله قبله .

وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع : أما الكتاب فقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين »(1) . أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج » أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى .

وقد أجمع المسلمون قاطبة على فرضيته ، ولم يخالف فى ذلك أحد .

---

[١] آل عمران الآية ٩٧ .

وهو فرض فى العمر مرة ، وما زاد فهو تطوع ، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ذرونى ما تركتم ، فإنما هلك من كان قبلكم ، بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » ورواه الإمام أحمد والنسائى بزيادة «الحج مرة فما زاد فهو تطوع» .

والأئمة وإن اختلفوا فى أنه فرض على الفور أو على التراخى فالأولى والأفضل التعجيل به للمستطيع عند عدم الموانع الشرعية ، لأن الآجال غير معلومة لنا ، والأليق بالمسلم اغتنام الخير والمسارعة إليه ، فقد يمرض الصحيح ، وتضل الراحلة ، ويقطع الطريق ، وتعرض الحاجة المانعة .

حد الاستطاعة :

وحد الاستطاعة القدرة على الزاد والراحلة فمن كان حرا بالغا عاقلا صحيحا قادرا على الزاد والنفقة وأجرة الذهاب والإياب وكل ما يلزم الحاج من أجور ومكوس [١] ، وكان ذلك فاضلا عن حوائجه الأصلية ، ونفقة من يعول من حين ذهابه إلى إيابه فقد صار الحج لازما فى حقه .

ويدخل فى حد الاستطاعة ، أمن الطريق ، بحيث يغلب على ظنه السلامة على نفسه وماله .

ثم إن من كان قادراً على الحج بنفسه فلا يجوز أن يستنيب فى حجة الفرض إجماعا قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الإسلام وهو قادر على أن يحج لا يجزئ عنه أن يحج غيره عنه .

وأما المريض الذى يرجى برؤه وشفاؤه والسجين فعليهما الانتظار حتى يبرأ المريض ويخرج السجين . وأما المريض مرضا مزمنا والمقعد والشيخ الفانى الذى لا يقدر على مشاق السفر فعليهم الإنابة ما داموا مستطيعين ، ففى الصحيحين عن ابن عباس : أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : « نعم » وذلك فى حجة الوداع .

حج المرأة : ويشترط فى وجوب الحج على المرأة عدا الشروط الماضية أن يكون معها زوج أو ذو رحم محرم بنسب أو سبب (رضاع) كأبيها وابنها وأخيها وذلك عند الإمامين أبى حنيفة وأحمد [١] ففى الحديث

---

[١] جمع مكس وهو ما يؤخذ من رسوم ونحوها .

[١] شرط أبو حنيفة ذلك فى سفر ثلاثة أيام فما فوق ، وأطلق أحمد ذلك فى أى سفر قليلا كان أم كثيراً .

الصحيح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما محرم ، ولا تسافر امرأة إلا ومعها محرم فقام رجل فقال : يا رسول الله إنى اكتتبت[1] فى غزوة كذا ، وانطلقت امرأتى حاجة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انطلق فاحجج مع امرأتك » رواه البخارى ومسلم ، وروى الدارقطنى بإسناده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم » وهذا نص صريح .

وقال الأئمة مالك والشافعى والأوزاعى ليس المحرم شرطا فى حجها ويجوز لها الخروج فى رفقة النساء المسلمات كما قال مالك والشافعى وفى قول للشافعى الاكتفاء برفقة حرة مسلمة ثقة وقال الأوزاعى : يجوز لها الخروج فى الحج مع قوم عدول ثقات مع التحرز عن الاختلاط وهو مذهب فيه يسر لمن ليس معها محرم وليس برفقتها نساء والشأن فى المسلمين العدول الثقات أن يحافظوا على حرمة المسلمة محافظتهم على حرماتهم وأعراضهم .

على الحاج الاخلاص وتخير النفقة :

وعلى من يريد الحج أن يتوب توبة نصوحا من المآثم ويتحلل من المظالم وحقوق العباد ويعطى كل ذى حق حقه حتى يكون ذلك أدعى إلى قبول حجته وغفران ذنوبه ، وأن يطهر قلبه من العقائد الفاسدة ، والمذاهب الضارة ، ومن الحقد والحسد والبغضاء ، وأن يقصد بحجته وجه الله سبحانه وأداء فريضته لا الرياء والسمعة والجاه والألقاب فإنها مما يحبط الأعمال ويذهب بالثواب ، وأن يحرص ما استطاع على تحقيق الحكم التى أرادها الله من الحج ولا سيما توثيق علاقته بإخوانه المسلمين والتعرف على أحوالهم حتى يشاركهم فى السراء والضراء ، والبذل والعطاء فى غير إسراف ولا تقتير .

وأيضا ينبغى لمن يريد أداء فريضة الحج أن يتخير نفقته من خير ماله وأطيبه ويتجنب الخبيث الحرام ففى الكتاب الكريم « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » [1] وفى الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء « يا رب . يا رب » ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى

---

[١] أى كتبت نفسى فى أسماء من يخرج فى هذه الغزوة .

[١] البقرة الآية ٢٦٧ .

يستجاب له » رواه مسلم فاحرص أيها المسلم الراغب فى الحج على هذه الوصايا فإنها بما يقربك إلى الله ، ويحل عليك رضوانه ، ويجعل حجك مقبولا مبرورا .

الإحرام من الميقات :

ها أنت قد عزمت أمرك ، وشددت رحالك ، وتوجهت إلى بلد الله الحرام سواء أكنت فى البر أم فى البحر أم فى الجو ، وشارفت على الميقات .

والميقات هو المكان الذى لا يجوز لك تجاوزه إلا وأنت محرم بحج أو بعمرة [١] أو بهما معا وهو لأهل المدينة وما جاورها ذو الحليفة « تسمى الآن آبارعلى » ، ولأهل الشام ومصر وشمال إفريقيا ومن على شاكلتهم الجحفة « رابغ الآن » ، ولأهل نجد « قرن المنازل » ، ولأهل اليمن « يلملم » ، ولأهل العراق ومن حاذاهم « ذات عرق » هذه المواقيت لأهل هذه البلاد ولمن أتى عليها من غيرهم .

فإذا قاربت الميقات فاخلع ما عليك من ثياب ومخيط واغتسل وتعطر بما شئت من طيب ثم البس إزاراً ورداء[١] جديدين أو غسيلين ثم صل ركعتين وهما سنة الإحرام ثم قل : « اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى » ثم ارفع صوتك بالتلبية ناويا بها الحج والتلبية أن تقول : « لبيك اللهم لبيك [٢] ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » هذا إذا كان حاجا .

وإن كان معتمرا قال : « اللهم إنى أريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى » ثم يلبى .

وإن كان قارنا قال : « اللهم إنى أريد الحج والعمرة فيسرهما لى وتقبلهما منى » .

وبالإحرام أصبحت ملزما أن تكون على سمت خاص واتباع هدى خاص ، وحرم عليك بعض ما كان حلالا لك قبل هذا .

ما يحل للمحرم وما لا يحل :

ها أنت قد أحرمت بالحج أيها المسلم فاجعل جل همك فى التلبية ، والتكبير والتهليل سواء أكنت فى البر أم فى البحر أم فى الجو ، وعليك الإقلال من الكلام إلا فيما ينفع وتجنب لغو الحديث ولا يجوز للمحرم لبس المخيط ولا القميص ولا السراويل ولا العمامة

---

[١] العمرة لغة : الزيارة وشرعا : زيارة البيت بقصد الطواف حوله والسعى بين الصفا والمروة وإذا كان للحج أشهر مخصوصة فالعمرة لا تتقيد بزمان خاص وهذا من رحمة الله فقد جعل للمسلم الذى قد لا يتمكن من حج البيت فى أشهره المخصوصة سعة فى الاعتمار متى شاء كى يتمتع بجلال البيت ، ويحظى ببركاته ، ويطفىء لهيب الشوق ، ويروى النفس الظامئة ، ثم إن من أحرم بالحج فحسب يسمى حاجا ، ومن أحرم بالعمرة يسمى معتمراً ، ومن أحرم بهما معا يسمى قارنا ، ومن أحرم بالعمرة ثم تحلل منها وأحرم بالحج يسمى متمتعا .

[١] كبشكيرين أو ملاءتين أو ما شابههما .

[٢] لبيك يعنى نجيبك ياربنا إجابة بعد إجابة وليس المراد بالتثنية حقيقتها بل المراد : التكثير .

ولا القلنسوة ولا الخفين إلا إذا لم يجد إزارا فليلبس السروال للضرورة ، وإلا إذا لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين ، ولا يقتل صيدا ولا يدل عليه محرما أو حلالا ، ولا يقتل الهوام إلا أن يجد منها أذى ، ولا يقص أو يقلع أو ينتف شيئا من شعره ، ولا يقلم ظفره ، ولا يغطى رأسه ووجهه بملاصق لهما ، أما إن استظل بمظلة أو حائط أو شجرة فلا بأس بل هو مطلوب وقت اشتداد الحر حتى لا يصاب بأذى . ولا يمس طيبا ، أو يغسل رأسه وبدنه بما فيه طيب كالصابون المعطر او النباتات ذات الرائحة الطيبة كالسدر ، أما غسل الرأس والجسد بالماء القراح ولو لغير جنابة فلا شىء فيه فقد ثبت عن ابن عباس القول بجوازه كما فى صحيح مسلم ، فإن اضطر المحرم إلى حلق شعر رأسه لمرض أو كثرة قمل يؤذيه ، فله أن يحلق وعليه الفدية ، وهى ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين كل مسكين نصف صاع وهو بالخيار بين هذه الثلاثة ، لقوله سبحانه : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أو نسك » . وفى الصحيحين عن كعب بن عجرة قال : حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال : « ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى ، أتجد شاة ؟ قلت : لا . قال : فصم ثلاثة أيام أو اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع . ومن المحرم على المحرم ، قطع شجر الحرم وعشبه ، وصيد طيره أو حيوانه ، أو إهاجته ، والرفث ، والفسوق والجدال ، قال تعالى : « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

و « الرفث » الجماع ودواعيه من لمس أو قبلة أو نحوهما ، وقيل كل ما يستقبح ذكره عند النساء . وقد أجمع الأئمة على أن المباشرة التامة ـ ولو بين الزوجين ـ تفسد الحج ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن الحج لا يفسد بإتيان شىء فى حال الإحرام إلا الجماع ، أما المباشرة الناقصة كالقبلة واللمسة ونحوهما فهى لا تفسد الحج ، ولكنها جناية يلزم بسببها دم (شاة أو بدنة) ، والفسوق المعاصى ، وهى وإن كانت حراما مطلقا ، لكنها فى حق الحاج أعظم حرمة ووزرا ، والجدال المماراة مع الإخوان ، ومع الحمالين ، والأجراء وفى البيع والشراء ، ورحم الله عبدا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اكترى » .

« البحث موصول إن شاء الله »

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مرحبًا بالجزائر...!

للأستاذ فتحى عثمان

كما يكون العيد تتويجا لعمل مجيد، ورمزا لحياة سعيدة ...

كذلك يكون يوم إبرام اتفاق الجزائر... تتويجا لكفاح ورمزا لكيان.

أما الكفاح نفسه فكم احتفلنا به من قبل نضالا يتلوه نضال، وشهداء فى إثر شهداء.

نضال لم ينقطع طيلة قرن وثلث قرن، ودارت معركته الأخيرة سبع سنين دأبا، وعليها مزيد نصف عام !!.

وشهداء يتواكبون بأرقام مهولة، مئات وآلاف وعشرات الآلاف، يقتلون ويقتلون. وآخر موكب فى حرب السنوات السبع، عدته مليون شهيد !!! وأما الكيان...

فقد أعلن عن نفسه عملاقا شامخا فى خلال النضال، وفى مواكب الشهداء. وكيف تكون «الأمة» أمة بجميع مقوماتها، إذا لم تكن هى الأمة المتميزة المتحفزة فى جبال أوراس وصحراء الجزائر، التى تتربص بعدوها قرنا وثلث قرن، وتكيل له الضربات من الأمام ومن الخلف !!

دعوا فرنسا تحاول أن تحفظ شيئا من ماء وجهها بدعوى ترقب إجراء «الاستفتاء»! إن الاستفتاء قد مهره دم مليون شهيد... وإن فرنسا تعرف هذا وتصريحات «ديجول» هى تصريحات «الوداع».

ولكنه «الانسحاب النظيف»... كما يقول العسكريون!! إن بقى للنظافة فى سياسة الاستعمار مجال!!.

* * *

كان كفاح الجزائر. «آية» فى الكفاح! شعب يطبق عليه المستعمر ليستأثر به... به هو، وبالذات... فيقيم حوله الأسوار ويحكم رتاجا بعد رتاج!.

يحتجز المغرب العربى عن سائر ديار العروبة، ثم يستصفى الجزائر دون ديار المغرب... ثم يواصل الطرق فى هذا الشعب الأبى، ليستهلك رواسب ماضيه، ويسكب فى روحه من روح «فرنسا»، من لسانها وثقافتها وتقاليدها!!

ويختل التوازن أمام الطرق العنيف بين لسان ولسان، وبين ثقافة وثقافة. ولكن هيهات أن تهتز شعرة من كيان الجزائر

الأصيل أمام الدق والطرق العنيف ! !
ويهاجم الجزائريون فرنسا ...

يهاجمونها بلغة فرنسا ، وثقافة فرنسا ، وعلم فرنسا ، « وتكتيك » technique فرنسا ، يهاجمون بهذا كله ، فرنسا ذاتها ...

ويخرج المتعلمون الجزائريون من مدارس فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الموظفون الجزائريون من إدارة فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الجنود والضباط الجزائريون من جيش فرنسا ليهاجموا فرنسا ...

كل هذا بعد استعمار قرن وثلث ! !

الله أكبر ... أين تكون الأمة إذن إن لم تكن فى أرض الجزائر ! !

رددوا مع الكاتب الجزائرى الفيلسوف مالك بن نبى حكمته الرائعة : لا تلعنوا الاستعمار وحده ... هناك مع الاستعمار وقبل الاستعمار حالة « القابلية للاستعمار » اجعلوا لها نصيبا من لعناتكم ! !

* * *

كان كفاح الجزائر ... آية فى الكفاح ! !

كان مدرسة .. ماأجمها وأروعهامدوسة !

كان مدرسة تعلم العالم أن الأمة « كيان » اجتماعى روحى ، قبل أن تكون « تخطيطا » سياسيا لحدود يثور حول تخطيطها الجدل ، ويحدد مدها وجزرها الزمن والقوة !!

لقد وجدت الجزائر أمة ، ولم تغب لحظة خلال قرن وثلث كان يرتفع على هامتها فيه علم فرنسا ، وسلاح فرنسا ، ولسان فرنسا !

وجابهت الجزائر كأمة ، أمما أكثر عددا ومالا وعتادا ... فرنسا ، وحلفاء فرنسا ، من أمم تجرجر وراءها أساطيل البر والبحر والجو والصواريخ ... وتداعت على الجزائر القوى الباغية ، وبقيت الجزائر ، وعادت القوى الباغية أدراجها بعد قتال ما يزيد عن سبع سنوات !!

إن فى هذا الكون معايير لقوى مذخورة هائلة ... قوى غير المال والعتاد ، وغير الأعداد التى تلبس الحلل الصفراء ...

قوى فى « الإنسان » ... رصدها الانتصار الجليل فى معركة « الجزائر » ... لقد جاء انتصار الجزائر ... انتصارا للإنسان ! !

* * *

كان كفاح الجزائر آية فى الكفاح ! !

كان الشعب كله جيشا ... والشعب كله بطلا والشعب كله يقدم النموذج الفريد فى التضحية والفداء ! ! .

وكانت القيادة كلها نبلا وكانت كلها وحدة ... وكانت آية فى إنكار الذات ! ظنت فرنسا أن الأمر أمر أشخاص أو أفراد فاختطفت أحمد بن بللا ورفاقه فى مؤامرة كمؤامرات القرصنة . وعاش بن بللا فى السجن وبقيت ثورة الجزائر !! .

وجاء عباس فرحات رئيسا للوزراء ... واختير كريم بلقاسم نائبا لرئيس الوزراء .. ثم جاء يوسف بن خدة رئيسا للوزراء ... وتفاوض بلقاسم باسم الجزائر .

وكان بن بللا يطالب بتصريحات عن رأيه فيترك الموقف لبن خده ورفاقه ، ويقول إنه لا يستطيع إعطاء تصريحات لأنه فى السجن لا يتابع الأحداث ! !

وماكاد يوقع الاتفاق ، ويعلن عن إطلاق صراح القائد الأسير ، حتى هرع رئيس حكومة الجزائر إليه وهو يقول : « أنا ذاهب للقاء رئيسى بن بللا » ! !

حيوا بطولة القادة ... بجانب بطولة الجماهير ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين عاشوا على أعصابهم ، بين « القاهرة » مقر حكومتهم المؤقتة ، و « تونس والمغرب » منطلق جيوشهم الضاربة ، ومقر مهاجريهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين أقاموا مركز دعايتهم فى « الولايات المتحدة » ، وزارت وفودهم الصين الشيوعية ، وساحت فى أرجاء آسيا ، واتصلوا بالشرق والغرب اتصال الشرفاء ، المدالقة بحقهم وكفاحهم ونظافة سياستهم ! !

حيوا بطولة القادة ... وشدوا على أيديهم فالطريق أمامهم ما زال طويلا ، والامتحان ما زال عسيرا ... و « النبل » يغرى الشيطان بالإصرار على الإغراء والإغواء ... والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

* * *

يقول جوتييه E. F. Gau ter فى كتابه « ماضى إفريقية الشمالية » Le Passé de L, Afrique du Nord .

« لا زالت النتائج التى وصل إليها العرب فى الشمال الإفريقى تدهشنا إلى الآن ... لقد عرب المغرب إلى حد كبير ، وتحول إلى الإسلام تحولا تاما عميقا ، وهذه نتيجة تدعو إلى الإعجاب ما فى ذلك شك ، ولم توفق إلى مثل هذه النتيجة حركة استعمارية (كذا !) قامت على وجه الأرض . ولنكرر القول إن هذا الفتح أحدث خلال القرن السابع ثورة كبرى . لقد انهار الحاجز المغلق إغلاقا محكما من كل ناحية ـ الذى كان يفصل الشرق عن الغرب ! ولو أننا قارنا هذه القفزة الواسعة نحو المجهول بثوراتنا الفرنسية أو الروسية ـ لبدت لنا هاتان الأخيرتان صغيرتين جدا ! . . » ,

ولقد كان كفاح الجزائر الأخير ، آية مجردة فى القرن العشرين ، على أصالة هذا الشعب العريق . . وإيمانه العميق ! ! .

لقد أسلم الجزائريون عن جد ... فوفوا للإسلام فى صدق ! !

لم يسلموا رهبة فهم المحاربون الأشاوس . ولم يسلموا رغبة فهم الأشداء الأصلاء النبلاء ، ولم يكن للمسلمين خزائن ينثرون دنانيرها لاجتذاب الأقطار والأمصار ! !

يقول جوتييه : « إذا دفعنا تطلعنا إلى فهم الأسلوب الذى تمت به هذه الثورة الكبرى والإحاطة بتفاصيلها ، استبنا أن الفتح العربى كان طويلا جدا وعنيفا جدا ، إذ قاومتهم البلاد مقاومة عنيدة » ! !

ولندع جوتييه يقارن على طريقته ومفهومه بين فتح وفتح :

« كان الفتح الفرنسى للجزائر طويلا مؤلما ، وكانت قيادته سيئة ، وليس لنا الحق فى أن نفخر به كثيرا ! ولكن لنقارنه بالفتح العربى . ولنفرض أنه بين عامى ١٨٣٠ ، ١٩٠٠ طرد الفرنسيون من البلاد طردا تاما ثلاث مرات ، وأنهم لم يحتفظوا فى أحسن هذه المرات إلا بالجزائر وضواحيها - إذا استطعنا تصور ذلك أخذنا فكرة عما حدث أثناء الفتح العربى ... » .

ويغفل جوتييه عن الفارق الضخم الكبير .

الفارق بين « رسالة الإسلام » التى حملها العرب ، وبين ما يحمله الفرنسيون ! إن العرب حملوا معهم نداء الفطرة . ورسالة الحق ، فوافقوا بالإسلام طبائع النفوس . ولبوا احتياجات المجتمعات .

وحملت فرنسا « كلمات » مضيئة لا تصل إلى الأعماق ، تظاهرها « أفعال » حقودة سوداء ! .

وعرفت فرنسا أنها لم تقتلع المغرب باقتلاع راياته وحكامه ، ومحاربة لسانه .

إن أمامها « كيانا » راسخا ، لا بد من الضرب فى جذوره وأصوله ورواسيه !!

وعرفت أن عليها أن تشهد حربا أخرى ، غير حرب المدافع والدبابات والطيارات .. حربا تستهدف « تمييع » العقول لا إسالة الدماء !

وكتب لى شاتليه A. Lechatelier : فى كتابه « الغارة على العالم الإسلامى » :

La Conqete du Monde Musulmane

« ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ! ومن هنا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث الأفكار الأوربية ... ولا شك فى أن إرساليات التبشير من بروتستنتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية ، إذ يحتك الإسلام بثقافة أوربا وتتمهد السبيل لتقدم إسلامى مادى » .

ونفذت فرنسا الخطة ...

ونطق الجزائريون بالفرنسية ...

فلعنوا فرنسا ، وحاربوا فرنسا ...

وانتصرت الجزائر ... وثبت الإسلام .

وكتب مالك بن نبي بالفرنسية في كتابه L'Afro Asiatisme « ... في الإطار الثقافي العربي يصبح تعبير (النجاح الصناعي) مقصوداً به (النجاح) في كل شيء ، وترد المشكلة الإنسانية إلى (مبادئ ميكانيكية) تأخذ صفة مقاييس ، والواقع أنه من الصعب أن نهرب من سيطرة (الوهم الميكانيكي) في هذا الإطار !! ...

وفضائل الغرب ليست سوى فضائل داخلية أنانية لا إشعاع لها ...

والعقل الغربي هو نفسه ذاتي أناني من الوجهة الأخلاقية ... والغربي لا يحمل فضائله خارج عالمه هو ، فخارج حدوده الأوربية لا يكون إنساناً ، بل أوربياً .

وهو حيثما ذهب ، سواء كان صانعاً أو صحفياً أو مجرد سائح في بلد متخلف ، ينشئ عن قصد أو غير قصد ، حالة استعمارية situation colonial ...

وإن إخفاق أمريكا في هذه المشكلة ذات الطابع الإنساني والأخلاقي ، لا يساوي في دويه شيئاً سوى نجاحها في المشاكل ذات الطابع الصناعي !! ...

إن المشكلات الإنسانية لا تظهر في العواصم الغربية ، لأن ذكاء العقل الفني يدركها في ضوء خاص ، يعريها عن مظهرها الإنساني ، ولا ينظر إليها إلا في شكلها الكمي — أعني من الوجهة الاقتصادية والاستراتيجية !!!...

وحجم الإنسان في نظر الإسلام ينتج عن (اللانهائية) التي خصه الله بها ؛ عندما نشهد في حديث القرآن عن الخلق سجود الكون لآدم ، ثم يطرد الله إبليس لأنه رفض السجود له ، ونحن ندرك كم يكون هذا الأساس مهما لتشييد بناء إنسانية عالمية ، مهما في اللحظة التي لم تعد تستطيع فيها الإنسانية خلاصاً من مأزقها حيث أقحمتها إرادة القوة إلا عن هذا الطريق : طريق الحضارة الذي يهب للإنسان حرياته وأصالته وألوان اختياره جميعا . ولو أننا أدركنا كم يكون من المفيد في هذا الطريق أن نأخذ بهذه المبادئ الإسلامية « فسنرى ضرورة تنشيط هذه المبادئ بإنشاء ثقافة مناسبة لحال المجتمع الإسلامي لتطبيقها بمفهومها الاجتماعي ، وعلاقاتها التاريخية الجديدة ... » !

والمجال صالح أمام استنبات المجتمع الإسلامي الجديد ، والفكر الإسلامي الرشيد والدولة الإسلامية العصرية ... في الأرض التي أنبتت البطولات ...

ومرحباً بالجزائر ... مرحباً « بالإيمان » في أصوله وثماره ...

فتحي عثمان

الإمام الغزالى والفلسفة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

والفلسفة التى نعنيها هنا . إنما هى المحاولات المستمرة ، التى بدأت منذ العهد اليونانى القديم ولا تزال - لبناء « ماوراء الطبيعة » على العقل ، إنها هى المحاولات العقلية ، لاختراع ما وراء الطبيعة وابتداعه ، بحيث يأخذ العقل حريته فى الإثبات والنفى ، غير متأثر إلا بمقاييسه هو التى يفرضها وإذا كان العقل قد اشتغل بالطبيعة والرياضيات ، وإذا كانت الطبيعات والرياضيات قد أدخلت فى الفلسفة كأجزاء لها . فإن الهدف الأول للإمام الغزالى ، إنما هو جانب ماوراء الطبيعة .

ومما لا شك فيه ، أن العقل قد أنتج ثمارا يانعة فى الطبيعيات والرياضيات : لقد أقام القواعد المحكمة ونظم المبادئ المتقنة وانتهى به الأمر إلى أن شيد الطبيعيات والرياضيات على أسس متينة : وكان الأمر كذلك فى هذين الميدانين لأن العقل يعمل فى دائرة اختصاصه ، ودائرة اختصاصه ، إنما هى الماديات والمحسوسات ، أو ما يتمثل فيهما حينما يوجد خارج الذهن ، كالرياضيات .

وغر هذا النجاح قوما ، فاعتقدوا أن فى استطاعة العقل . أن يجول فى كل ميدان : فى استطاعته أن يجول فى الطبيعة وما فى وراء الطبيعة ، فى العالم وفى ماوراء العالم ، فى المادة وفى المجردات ، فى عالم الشهادة وفى عالم الغيب وكانت النتيجة أن أقحموا العقل فى عالم ماوراء الطبيعة : فكانت الفلسفة الإلهية العقلية ، وكان الإخفاق التام للعقل فى هذا الميدان .

وهذه الفلسفة العقلية . التى تبحث فى الغيب ، إنما هى انحراف عن الطريق المستقيم وهذا الانحراف حديث العهد نسبيا ، فهو يبتدئ كما قلنا بالعهد اليونانى ، وأشهر من تولى كبره فى ذلك العهد ، إنما هو « أرسطو » .

وأرسطو هذا الذى يعتبره بعض المؤرخين أكبر عقلية فلسفية ظهرت على وجه التاريخ ، هو أيضا أشهر الذين انهار مذهبهم فى عالم ما وراء الطبيعة وكان إخفاق عقله هذا الكبير فيما يختص بمعرفة الغيب من أوضح الأدلة على أن عالم الغيب أسمى من أن يتناوله العقل البشرى الخطاء ولقد كانت الاعتراضات على مذهبه قوية عامة شاملة حتى إن تلاميذه وهم فلاسفة دب اليأس فى نفوسهم من إقامة عالم ما وراء الطبيعية على أساس العقل لم يمكنهم أن يردوا على الاعتراضات ورأوا أنه إذا كان أستاذهم قد أخفق هذا الإخفاق فى مذهبه عن عالم الغيب فإنهم سيخفقون من باب أولى لو حاولوا إقامة مذهب فى الإلهيات جديد يقول : الأستاذ سانتلانا بعد أن ذكر الاعتراضات على مذهب أرسطو :

إن ذلك « حمل التلامذة بعد موته على الإياس من الإلهيات والتفرغ إلى علم الطبيعة ، وعلم الأخلاق ، اختصوا بهما فى القرن الثالث قبل الميلاد ، حتى لقبوا بالطبيعيين سماشيمة « ثاوفرسطيس » ، و « استواثون » ، الذين خلفا أرسطو فى رياسة « دار العلم » التى كانت المشائين بأثينا » ا هـ :

انصرف إذاً تلاميذ أرسطو - باثسين - عن عالم ما وراء الطبيعة ، إلى عالم الطبيعة والأخلاق وإذا كان مذهب زعيم العقليين قد انهار ، فمن باب أولى ينهار مذهب غيره ممن هم أقل منه ، ولكن هذا الانهيار المتتابع للمذاهب العقلية فى الإلهيات ، لم يصرف الناس عن هذا النمط من المحاولات ، التى مآلها دائماً الإخفاق .

وتتابعت هذه المحاولات فى الشرق والغرب إلى عهد الإمام الغزالى .

ورأى الإمام الغزالى ببصيرته النقادة ، وبحدسه الملهم ، أن هذا الطريق ، الذى انحرفت إليه الفلسفة وسارت فيه . إنما هو طريق مسدود ، ولابد إذاً من محاربة هذا العبث الذى يسمونه « الفلسفة العقلية » لابد من محاربته لأسباب عدة : فهو إضاعة للوقت ، وهو تشكيك للبشرية ، وزعزعة للإيمان وليس له من نتيجة إلا التفرق والاختلاف ، وتوهين المقدسات .

على أنه إذا كان يلتمس لليونان العذر فى معالجة هذا الموضوع ، لعدم وجود الوحى المعصوم ، الذى يهديهم الطريق ، وينير لهم الجادة . فليس هناك من عذر للمسلمين وبين يديهم رسالة السماء ممثلة فى « القرآن » .

وهو « كتاب ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقد تكفل الله بحفظه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ليس للمسلم إذاً - فيما يرى الإمام الغزالى - أن يحاول ابتداع عالم ما وراء الطبيعة ، أو اختراعه عقليا ، ولكن المسلمين ، أخذوا فيما أخذ فيه اليونان واعتمدوا على العقل . وألقوا قيادهم إليه فتفرقوا مذاهب شتى ، وطرائق قددا . وأصبح للفلسفة رغم هذا بريق يخطف الأبصار . ولمعان كالسراب يجذب الكثيرين .

لابد إذاً من التشمير عن ساعد الجد ، وهدم هذا الزيف ، وإبطال هذا السحر حتى يعود الناس إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق .

وحمل الإمام الغزالى على الأساس ، الذى تقوم عليه الفلسفة وهو « العقل » حملة عنيفة وهجم عليه هجوما قويا ، ولم يفتر قط عن مهاجمته منذ أن ألف كتابه القيم « تهافت الفلاسفة » إلى أن انتهت به الحياة ، ولقد كان كتابه « تهافت الفلاسفة » محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ، طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الأول ، والهدف

الأساسى لهجومه ، هدم الآراء فى نفسها ، فبعضها صحيح ، موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الإمام الغزالى ، المنهج العقلى ، الذى استندت إليه هذه الآراء ، « فخلود النفس » مثلا . رأى يقول به الغزالى ، ويقول به الفلاسفة ، ولكن الإمام الغزالى ، حمل معوله على طريقة الفلاسفة فى إثبات خلود النفس ، وهدم أدلتهم ، وضرب بمعوله فيها فانهارت وتهافتت ومع ذلك ، فقد كان هو مؤمنا بهذا الخلود ، إنه لم يلتزم فى هذا الكتاب (إلا تكدير مذهبهم ؛ والتغيير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم) .

ومقصوده : تنبيه من حسن اعتقاده فى الفلاسفة ، وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ، ببيان وجوه تهافتهم .

ويقول : (أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم ، إلا دخول مطالب منكر ، لا دخول مدع ، مثبت ، فأبطل عليهم ما اعتقدوه ، مقطوعا بإلزامات مختلفة : —

فألزمهم : تارة مذهب المعتزلة .

وأخرى : مذهب الكرامية .

وطورا : مذهب الواقفية .

ولا أنتهض ذابا عن مذهب مخصوص .

ويقول الأستاذ « بلاسيوس » بحق « إن الغزالى حينما سمى كتابه (تهافت الفلاسفة) : كان يريد أن يمثل لنا ، أن العقل الإنسانى ، يبحث عن الحقيقة ، ويريد الوصول إليها كما يبحث البعوض عن ضوء النهار ، فإذا أبصر شعاعا يشبه نور الحقيقة انخدع به ، فرمى بنفسه عليه وتهافت فيه ، ولكنه يخطىء مخدوعا بأقيسة منطقية خاطئة ، فيهلك كما يهلك البعوض .

فكأن الغزالى ، يريد أن يقول : « إن الفلاسفة ، خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا إعمال روية فتهافتوا وهلكوا الهلاك الأبدى » اه

وفى كتاب التهافت هدم الإمام الغزالى عقليا ما بناه الفلاسفة معتمدين على عقولهم وتهافتت الآراء تحت قلمه ، ومن الحق أن نقول ، إن أدلة الإمام الغزالى فيها من القوة ، ومن الرسوخ بحيث لا تقل ، من وجهة النظر العقلية ، عن أدلة الفلاسفة العقليين .

وما من شك فى أن حملة الإمام الغزالى ، إنما كانت موجهة أولا وبالذات إلى العقل والقضية المتنازع عليها هى قضية استطاعة العقل الوصول إلى المعرفة اليقينية فى عالم « ماوراء الطبيعة » . الإمام الغزالى ينكر ، ويثبت إنكاره بالإخفاق المتتابع للفلاسفة . ويثبته أيضا بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه فى هذا الميدان . والتعارض إذاً بين الإمام الغزالى والفلاسفة إنما هو تعارض كلى : ولذلك فإن المحاولات الكثيرة المتعددة ، لتصحيح آراء الفلاسفة ، أو لتصحيح بعضها ، ونقد الإمام الغزالى فى حملته على هذا الرأى أو ذاك ، والانتصار لوجهة النظر الفلسفية فى هذه أو تلك . . . . إن ذلك كله غير مجد فى القضية التى أثارها

الإمام الغزالى ، وهى محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .

ومن هنا كانت محاولة ابن رشد - وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة - تصويب آراء الفلاسفة فى كتابه « تهافت التهافت » عملا غير مفيد فى حسم النزاع : إذ أن دائرة النزاع الحقيقية إنما هى الأساس الذى بنيت عليه الآراء وليست الآراء نفسها . والواقع أن فكرة الإمام الغزالى لا تزال الآن تتسم بالسهولة والوضوح والقوة : لقد أخفقتم أيها العقليون والدليل على إخفاقكم اختلافكم المستمر ، هذا الاختلاف الذى أصبح وكأنه القاعدة والمبدأ العام .

وإذا أردنا فى النهاية تقدير مدى الآثار التى كانت ولا تزال ثمرة لفكرة الإمام الغزالى هذه فإن خير ما نفعل فيما يتعلق بذلك ، وخير ما نختم به هذه الكلمة هو أن ننقل رأى الدكتور محمد إقبال ، وهو رأى يتسم بالرصانة والعمق : يقول محمد إقبال فى كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام » :

على أنه لا سبيل إلى إنكار أن الدعوة التى نهض لها الغزالى تكاد تكون دعوة للتبشير بمبدأ جديد ، مثلها فى ذلك مثل الدعوة التى قام بها « كانت » فى ألمانيا فى القرن الثالث عشر :

ففى ألمانيا ظهر المذهب العقلى لأول عهده حليفا للدين ، ولكن سرعان ما تبين أن جانب العقيدة من الدين لا يمكن البرهنة عليه حسيا فكان الطريق الوحيد إذن : أن تمحى العقيدة الدينية من سجل المقدسات .

وقد جاء مع محو العقيدة مذهب المنفعة فى فلسفة الأخلاق ولذا مكن المذهب العقلى من سيادة الإلحاد .

تلك كانت الحال فى ألمانيا ، عندما ظهر « كانت » ، وكشف كتابه : « العقل الخالص » عن قصور العقل الإنسانى ، فهدم بذلك ما بناه أصحاب المذهب العقلى من قبل وصدق عليه القول بأنه كان أجل نعم الله على وطنه .

وإن التشكك الفلسفى الذى اصطنعه الغزالى على تطرفه بعض الشىء قد انتهى إلى النتيجة نفسها فى العالم الإسلامى إذ قضى ذلك على المذهب العقلى الذى كان موضع الزهو ، على الرغم من ضحالته ، وهو المذهب الذى سار فى نفس الاتجاه إليه المذهب العقلى فى ألمانيا قبل ظهور « كانت » .

غير أن هناك فارقا هاما بين « الغزالى » و « كانت » ، فإن « كانت » تمشى مع مبادئه تمشيا لم يستطع أن يثبت أن معرفة الله ممكنة ، أما الغزالى فعندما خاب رجاؤه فى الفكر التحليلى ، ولى وجهه شطر الرياضة الصوفية ، وألفى فيها مكانا للدين قائما بنفسه .

وبهذه الطريقة وفق لأن جعل للدين حق الوجود مستقلا عن العلم ، وعن الفلسفة الميتافيزيقية » .

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

دراسة عن على مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

تعريف بعلم الدين :

أما صاحب الاسم ، وصاحب الرحلة المتخيلة ، فهو صبي من قرى مصر . كان أبوه رجلا من فقهاء الريف يؤم الناس فى صلاتهم ، ويعلم أطفالهم كتاب الله ، وهو رجل تقى صالح ، رزقه الله ، على الكبر ، ولداً سماه « علم الدين » عسى أن يجعله الله من أعلام العلماء المجتهدين . ثم علمه ورباه فى « كتابه » لحفظ القرآن وبعض ملخصات العلوم اليسيرة — المتون — وعلمه مبادئ بعض الفنون أيضاً . فلما ظهرت على علم الدين دلائل النجابة والفهم أرسله أبوه إلى الأزهر حيث العلم والفضائل والبركات : وبعث الشيخ مع فتاه شيئا من الزاد يسيرا ، ومكتوبا إلى صديق له من التجار يوصيه به ، وقبل أن ينطلق الفتى من قريته وصاه أبوه بطاعة شيوخه ، والعكوف على العلم والتحصيل ، واجتناب المناهى وأماكن الملاهى . وأن يصحب فى كل وقته ، أهل الصلاح . ثم أراد الشيخ أن يفصل لفتاه وظائف طالب العلم وما يلزمه من الآداب التى يتوقف عليها كمال الوصول إلى المطلوب ، والحصول على تمام المرغوب ، فأجمل له ذلك فى عشر وصايا ، من المثابرة والصبر وتقويم النفس والتجرد للعلم والتواضع والبعد عن التفاخر والمباهاة ، ونحو ذلك .

فلما أتم وصية ولده ، دعا أمه العجوز العمياء ، وجمع أهله فتحدث إليها وإليهم عن عزمه ، ورفعت الأم رأسها إلى السماء تدعو لولدها بالفلاح والسلامة والعودة ، ثم أنزل الفتى إلى سفينة من تلك التى تسير فى النيل إلى القاهرة ، فسارت به على بركة الله.

ثم يتنقل بعد ذلك فى فصول ، يسميها المسامرات ، يتنقل مع هذا الفتى الريفى حيثما سار ، يصور أحاسيسه وهو على ظهر هذه السفينة الصغيرة القلقة ، أو فى جوفها . وحزنه على فراق أهل ، وإشفاقه من هذه السفينة ومما سيلاقى من القاهرة ، وهو لا يعرف عنها ولا عن أهلها شيئاً ، حتى يتعرف إلى رفيق له شيخ يركب معه السفينة ويعرف عن القاهرة وأهلها وعن الأزهر وعلمائه شيئاً كثيراً يتحدث به إلى الفتى ، فيفارقه ما كان يجد من إشفاق وخوف .

ويظل الفتى فى الأزهر سنين يبدى فى قليل منها كثيراً من التفوق ويحفظ غير قليل من العلم فى فنونه المختلفة المتباينة حتى يجيئه نبأ موت أبويه فيعود إلى قريته ثم يرجع إلى الأزهر وقد أحضر معه شقيقات له ثلاث. وباع فى قريته ما خلفه أبوه له ولهن، وكان حمارة واحدة وبعض أعنز وآنية من الفخار وشيئاً يسيراً من الأثاث، تلقى فى ذلك كله ثمنا أربع جنيهات.

ثم تزوج الفتى، وقد صار شابا، تزوج فتاة اسمها «تقية» وظلت تقية هذه، بعد أن أنجبت له، تشجعه وتدفعه لأن يقتحم فى الحياة الواسعة ويخرج من الحدود الضيقة التى وضع نفسه فيها بالتزامه علوم الأزهر ومجلس علمائه، ظلت زوجه تقية تدفعه وتشجعه حتى ألقت إليه المقادير برجل انجليزى قدم مصر ليدرس فيها علوم اللغة وليطبع فيها كتابا أعجبه هو لسان العرب، فيصل الشيخ حياته بحياة هذا الانجليزى ويلتصق به حتى يسافر معه إلى أوربا، وقد صحب معه ابنه برهان الدين.

ومنذ ركب الشيخ وابنه القطار، لأول مرة، طفق يسأل صديقه الانجليزى عن كل شىء سأله لماذا يدق الجرس ثلاث مرات قبل أن يبدأ القطار سيره، وسأله عن المتر والسنتيمتر والكيلوجرام والجرام، أى شىء هى، وكان عجيباً، مخيفا بعض الشىء، أن يركب هذا المركب من الحديد فيسير به سريعا حتى يسأله صديقه الانجليزى: ماذا ترى؟ فيقول الشيخ «أرى أن الأرض تطوى كطى السجل للكتب»، وهذه العربات بما عليها كما قال الله تعالى: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب». وهذا الدخان قد انتشر فى الجو كالسماء إذا انفطرت، وتطاير الشرر فى الهواء كالنجوم إذا انتثرت، وكثرة الزحام كالخلائق إذا حشرت وقد فتشت أوراق المسافرين ـ تذاكر السفر ـ كالصحف إذا نشرت، فتذكرت بهذه الأحوال أهوال القيامة.

ثم يتطرق الشيخ وصديقه إلى حديث طويل يفصل فيه الانجليزى للشيخ كيف يسير البخار هذا القطار، وكيف ومتى عرف الناس فى أوربا هذه النظرية واخترعوا هذه السكك الحديدية وما تم منها فى بلاد الغرب والشرق وكم حملت من الناس والأنعام والبضائع، وما أفادت منها البلاد التى أنشأتها، والشركات التى قامت على إنشائها، وطال منه هذا الحديث فى النظريات العلمية والأرقام، والشيخ يستزيده ويشاركه فى ذلك مشاركة الذى يعرف من ذلك شيئا غير قليل.

حتى وقف بهم القطار فى طنطا فيحدث الشيخ صديقه الانجليزى عن أصل هذه التسمية

فى اللغة المصرية القديمة ، وأنها كانت «طنطاء» أو «طندتا» ، ثم حرفت إلى طنطا ، بل نجد عند ذلك ، الشيخ يحدث صديقه عن كل شيء ، ويكاد يعرف كل شيء ، فهو يحدثه بعد ذلك عن السيد البدوى ومنشئه وحياته وموته ومولده ، كما يحدثه عن أعياد مصر المسيحية قبل الإسلام وبعده .

ولو أن الشيخ تحدث هذا الحديث بعد عودته من أوربا ، وبعد أن تعلم من رحلته فيها شيئا كثيراً ، لكان حديثه عندئذ ممكنا أو معقولا ولكن على مبارك ، على ما أعتقد ، وضع على لسان الشيخ هذا الحديث ليجعل الحوار مشاركة بينه وبين صديقه الانجليزى ، فيخرج بذلك من الإملال ، ويجدد نشاط القارئ قبل أن يبلغ به الفتور .

وفى هذا الحديث الذى جرى بين علم الدين وصديقه الانجليزى وهما فى طريقهما بين القاهرة والإسكندرية ، نجد فوائد لغوية كثيرة . كالبحث فى كلمة «وابور» وهما يتحدثان عن سكة الحديد ، وكلمة دست ومعانيها الخمسة عشر ، وكلمة «قدر» وأيهما عربى وأيهما فارسى . وإلى هذه الفوائد بحوث أخرى فى اللغة ، ونوادر من الشعر والأثر والأمثال . ومع أنه يجعل هذا الانجليزى يصف نفسه بأنه قليل الحظ من المعرفة باللغة العربية [1] فهو يرينا إياه فى حديث القطار هذا عالماً بهذه اللغة علماً واسعا عميقاً . نراه يتحدث إلى صديقه علم الدين فى هذا البيت من الشعر لابن عبيد :

وقِدْرٍ كرأل الصَّحْصَحان وثِيَّة
أنخت لها ، بعد الهدوء ، الأثافِيا

ويروى للشيخ من محفوظه هذا الشعر :

وقدر كمثل الفيل فى القدر ، أشرفت
على منصب كالفيل فى دست منصب

ويروى من حفظه :

وقدر جاع كاليفاع دميمة
زوازية سوداء غير صلود

ثم يتحدث إلى الشيخ فى معانى هذه الزيوزية أو الزوازية ، ثم فى الطنجرة والدمام ، والبرمة ، والهيطلة ، والزازية ، والملكية ، وغير ذلك . ويتحدث إلى الشيخ أو يستمع منه وهو يروى هذا الشعر ، لامرئ القيس يصف به فرسا :

على القصب جياش ، كأن اهتزامه
إذا جاش فيه حميه ، غلى مرجل

وهذا الشعر :

رأيت قدور الصاد حول بيوتنا
قنابل دهما فى المحلة صيما

يتحدث الشيخ والانجليزى فى هذا ومثله

---

[1] ص ٨٠ من الجزء الأول .

عما نجده عند ابن سيدة وسيبويه وابن دريد وابن جنى وغيرهم من أصحاب كتب اللغة وأصولها وأمهاتها التى لا يفهمها أولا يقتحمها إلا الراسخون فى علم هذه اللغة .

وفى هذا الحديث يسمى على مبارك «رأس الرجاء الصالح» باسم آخرهو «رأس العشم» .

ويعرف الشيخ صديقه الانجليزى ، عند الحديث عن رياح البحر ، أن الرياح لها فى اللغة العربية كثير من الأسماء ، تختلف باختلاف أحوالها ومظاهرها وآثارها . فهى العواصف ، واللواقح ، والحواسك[1] والبوارح ، والبشرات ، التى تبشر بالمطر ، والمعصرات ، أى التى تجىء مع المطر ، والأعاصير ، والسوافى ، ومنها كذلك الريدة والريدانة ، أى اللينة ، والرخاء ، والحنون ، التى لها صوت كحنين الإبل ، والناخة والسيهج والسيهوج ، وكلها تعنى تلك الريح التى تبدأ شديدة ، والزفرات التى لها صوت شديد . والحاصب التى تحمل الحصباء ، أى الحصى . والهبوة ، والهوجاء ، والصرصر ، والحرور ، والسموم . إلى آخر هذه الأسماء التى نجدها فى فقه اللغة وأشباهه .

يتحدث الشيخ إلى صديقه الانجليزى هذا الحديث ، ويحدثه صديقه الانجليزى عن أعماق البحار وتياراتها الحارة والباردة ، وعن المد والجزر ، وأثر القمر والكواكب فيها وعن الأمواج وارتفاعها وطرقها وسرعتها . وما فى قاع البحار من الغابات الواسعة الوديان المطمئنة والجبال الشاهقة والبرارى الهائلة والصخور والمغارات والأعشاب ، والحيوان والمعدن وما إلى ذلك من شىء كثير عجيب . فإذا ركبا البحر وبانت لعيونهما أضواء بركان إتنا فى جزيرة صقلية أو سيلسيا ، كما يسميها ، تحدثا عن البراكين وآثارها ، وتكوينها وهيجانها وبرودتها . وأسبابها ، وعددها ، وأماكن وجودها على سطح الأرض كلها ، ما طفىء منها وما يزال ملتهباً .

الشرق وحضارة الغرب :

ومن الأمور التى يبدو أن على مبارك قصد إليها من هذا الكتاب ، تعريف الحضارة الغربية إلى أهل الشرق . فنحن نراه فى هذا الكتاب يبسط شيئاً كثيراً من تاريخ الحضارة ومقوماتها ويتحدث بشىء كثير من الإفاضة عن هذه الأسباب التى رفعت حياة الغربيين ودفعتهم دفعاً إلى هذه الرفعة والعزة والمنزلة التى بلغوها دون الشرقيين ، وجعلت لهم على هذه الأرض وعلى أهلها السيادة ، يتحدث عن علوم الغرب وعن حرص أهله على المعرفة

[١] الريح المختلفة الشديدة .

وبذلهم وكفاحهم ليعرفوا ويتعلموا ويسيحوا في كل ركن من أركان هذه الأرض .

وهو إلى تعريفه حضارة الغرب إلى أهل الشرق ، وما يبدو واضحاً جلياً من تحريضهم على أن ينهجوا هذا النهج ويسلكوا هذا السبيل ، ليصلوا إلى ماوصل إليه الغربيون ، هو إلى ذلك يعرّف أهل الشرق بثقافة الغرب وفنونه . فهو يجعل السائح الانجليزى يتحدث عن « التياتر » الأوربى . ويجعل الشيخ يسأله ويصغى إلى حديثه ذلك عن المسرح وتاريخه ونظمه ومكانته فى الحياة الأوربية وغاية الغربيين منه وإفادتهم من عبره ودروسه وحرصهم عليه وبذلهم فى سبيله المال الكثير وتملقهم به وحرصهم على شهوده . وهو فى ذلك أيضا يحرض أهل الشرق على اقتباس هذه الثقافة ودراسة فنونها والتأثر بها واتخاذها سبيلا إلى التقدم والمعرفة وتهذيب الأذواق ، كما يفعل الأوربيون . وهو يؤمن بأن ما كان يعرفه المصريون أو الشرقيون من أنواع التمثيل ، مثل « خيال الظل » وما يشبهه ، هو سخف لا ذوق فيه ولا معرفة ولا تهذيب . ويؤمن بأن المسرح الأوربى كله فن وذوق ومعرفة وتهذيب . ولا يرى بأسا من أن يصور هذا المسرح « طوفان نوح » و « يوم القيامة » ولا يرى الشيخ بأسا فى ذلك أيضا

ولا يرى أى بأس ، من الناحية الدينية ، فى أن يشهد الناس التمثيل . بل يراه خادما للشريعة « التى تأمر بالمعروف وتنهى عن الشر » .

علوم ومعارف شتى :

يسير على مبارك فى كتابه هذا « علم الدين » على نهج المعلم ، فهو إذا انتهى من حديثه ذاك عن المسرح الأوربى ، أخذ يتحدث عن البلاد التى ينزلها مع صديقه الشيخ وابنه ، هذه مرسيليا ، فهو يذكر تاريخها القديم وما مر بها من الأحداث والتطورات حتى انتهى بها الأمر إلى ما هى عليه عند ما نزلوا بها ، فإذا انتهى من حديث مرسيليا انتقل إلى المدينة التى تقابلها على البحر الأبيض المتوسط ، مدينة الإسكندرية ، فذكر تاريخها أيضاً وشيئاً من تاريخ مصر القديمة ، ودخولها تحت حكم الفرس واليونان ، بفتح الإسكندر لها ، واستطرد إلى ما بعث به الإسكندر من رسائل إلى أستاذه أرسطاطاليس ، وما كان من الحرب بين الإسكندر ودارا . وهو فى حديثه عن تاريخ هذه البلاد يذكر مصرام ابن بيصر بن حام بن نوح ، وإخوته فارق ، وماج ، وياج ، ونحو هذه الأسماء ، كأنها حقيقة من حقائق التاريخ . ويروى بعد ذلك قصة الزبّاء وما فعله جذيمة بأبيها وملكه . وما ثأرت به هى لأبيها وملكه من جذيمة ، وما تحيّل به عليها قصير الذى

جدع أنفه ليأخذ منها ثأر مولاه جذيمة ، إلى آخر هذا الحديث الذى نعرفه من التاريخ العربى القديم .

لا نستطيع ، كما ذكرنا ، أن نقول إن « علم الدين » كتاب فى الأدب أو فى التاريخ أو فى علوم اللغة أو الشريعة . ولكنه كتاب جمع بين طرف من هذه الأشياء جميعاً ، وضم إليها أطرافاً أخرى كثيرة فى شتى المعارف والعلوم ، ومن مختلف الثقافات والأزمنة وعن جميع الأمم . هو « كشكول » ينتقل فيه الحديث بين السائح الانجليزى وصديقه الشيخ وابنه الشيخ الصغير ، ورفيقهما يعقوب ، ينتقل الحديث بينهم جميعاً أو بين بعضهم وبعض فى فنون شتى ، ويجمع طرائف عدة . فبينا نجده يتحدث عن اللؤلؤ والمرجان والأسماك وأشباه ذلك مما يعيش أو يوجد فى الماء ، إذا به ينتقل إلى مسامرة أخرى يتحدث فيها عن كلمة « الدينار » من أين جاءت فى اللغة العربية ، وقيمة هذه العملة النقدية عند العرب . ثم ينتقل من ذلك إلى النصاب الشرعى فى الزكاة ، ثم إلى « المثقال » وقيمته وما صنع به عمر ، وهو فى هذا وذاك ينقل عن صاحب القاموس إذا تحدث فى اللغة ، وعن الطحطاوى فى شرحه على حاشية الدر ، والذهبى الشافعى المصرى إذا تحدث فى الفقه ، ثم يعود بحديث الدرهم إلى عهد اليونان فينقل فى ذلك عن ابن الرفعة ، والسروجى والسيوطى والمقريزى وعبد القادر الصوفى ، ويستطرد إلى ذكر الحبة والخردلة والقيراط ، وعملة الرومان والفرس التى كان يتعامل بها المسلمون فى الصدر الأول حتى ضرب عبد الملك بن مروان أول درهم إسلامى .

وهكذا نجد على مبارك فى كتابه علم الدين ينتقل من علم إلى علم ومن فن إلى غيره ، ومن خبر إلى ما يتصل به أو يلابسه أو يجره إليه السياق والحديث والمناسبة ، وهذا المثل عن الدرهم والمثقال واللؤلؤ والمرجان ، نستطيع أن نطبقه على جميع ما يتحدث به الشيخ علم الدين وأصدقاؤه ، وفى جميع ما يتناوله هذا الكتاب ، ولكنه يجمع إلى العلم القديم ، من اللغة والفقه والتاريخ ، شيئاً كثيراً من العلم الحديث ، وما كشفه العلم الغربى من حقائق شتى ومن نظريات وآراء . كما نجد له أحاديث شتى ، فيها من الإفادة والتشويق شىء كثير ، عن طبائع الحيوان والحشرات ، وحياتها وما أودعها الله من حكم وأسرار ، ومنها حديث طويل شيق عن طبائع النمل وفصائله وأنواعه ونظم حياته ومعيشته .

وليس كتاب علم الدين كتاب سياحة وتاريخ وعلم مدنى فقط . بل فيه شىء غير قليل من العلوم الدينية أو الشرعية أيضاً . فهو يتحدث

عن الخمر وحكمة تحريمها فى الإسلام ، وما نزل فيها من الآيات ، وعن الميسر والأنصاب والأزلام . وعن أحكام الفقهاء فى لعب الشطرنج والنرد ، وأشباه ذلك من حديث الدين . إلى جانب أحاديثه العلمية عن النحل والسمك والمحار والودع واللؤلؤ والأحياء المائية الكثيرة المختلفة .

فإذا أراد أن ينقل الحديث من التاريخ والأحياء والعلوم والشريعة أنطق «يعقوب» ، صديق الشيخ ورفيقه ، بقصة شيقة رحل فيها للتجارة مرة بعد مرة ، حتى غرقت به السفينة هو ورفقاؤه فى رحلة من هذه الرحلات . ونجا وحده ليجد نفسه فى أرض لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا لغتهم . وهى قصة تذكرنا برحلات روبنسن كروزو وجلفر . وكان القوم الذين أقام بينهم يعقوب قوم سود يعرف منهم يعقوب صيد الفيلة ويتحدث عن حياتها وطبائعها حديثا مفيدا شيقا . كما يتحدث عن الذهب وموطنه فى هذه البلاد واشتغال الناس فيها بجمعه واستخلاصه من الرمال والماء ومبادلته بالملح والخرز والسلع التافهة التى هى عندهم أغلى وأحلى من الذهب . ويتحدث عن الأسد والنمر وابن آوى وغير ذلك من حيوانات إفريقيا . ثم يتحدث عن طبائع هؤلاء القوم وعاداتهم ودياناتهم أيضاً حديثا لا يقل إمتاعا ولا إفادة عن أحاديثه تلك . فهو بذلك ، فى قصة يعقوب أيضا ، يعود إلى حديث العلم والأحياء .

ومن أجمل وأجود ما كتب على مبارك فى «علم الدين» حديثه عن الرق فى إفريقيا [1] وعن تجارة الأوربيين فى الرقيق ، فهو فى هذا الحديث إنسان متحضر مرهف الحس . يسخط أشد السخط على هذه التجارة التعسة المذلة ، وهو إلى هذه العاطفة الكريمة يورد بعض الإحصاءات الهامة ، فهو يقول : إن ما نقل من العبيد ليباع فى أوربا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وإن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقى واحد هو ساحل الذهب . وفى سنة واحدة ، هى سنة ١٨٢٢ وإن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفا . ويقول إن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف عدد الأحرار فيها . وإن كنت أعتقد أنه من العسير أن يحدد الإنسان أرقاما دقيقة يثق بصدقها وصحتها عن هذه القارة ، وفى القرن التاسع عشر خاصة . وكذلك من أجمل الأحاديث وأجودها حديثه عن عادات الإفريقيين السود .

آداب الحياة الأوربية :

وليس ذلك كله هو ما نجده فى «علم الدين» فقط من ألوان الثقافة والمعرفة المختلفة

---

[١] ص ٧١٢ — ٧٣٣ من الجزء الثانى .

المنوّعة الشيقة . فقد أورد فيه على مبارك ، على لسان السائح الانجليزى ، أو يعقوب ، كثيرا من آداب الحياة الاجتماعية ، كما يلتزمها الأوربيون. وساق ذلك مساقا لطيفا لبقاً فى أحاديث هذين الصديقين مع الشيخ وابنه . ولكن القارئ يدرك أنه لم يقصد فقط إلى ذكر هذه العادات والآداب التى يحرص الأوربيون على التزامها حرصاً شديداً . بل قصد أيضاً إلى أن يحتذى بهم الشيخان الشرقيان فى ذلك . وهى عادات وآداب يلتزمها الأوربيون فى حركتهم وحديثهم ونظافتهم وملبسهم وخطاب بعضهم لبعض . نعرفها نحن الآن ونعجب بها، ولكن كثيرين منا ، مع إعجابهم هذا ، لا يلتزمونها .

بل نستطيع أن نقول ، إن على مبارك يدعو الشرقيين فى « علم الدين » دعوة واضحة قوية لفهم الحياة الأوربية والاقتباس منها والاقتداء بالغرب فيها . والأخذ بأسباب الحضارة الغربية ونمط الحياة التى يحياها أهله . ويدعوهم أيضاً للخروج من العزلة التى يعيشون فيها ويلتزمونها إزاء الغرب — وهو اتجاه كان واضحاً قوياً منذ سيطر محمد على على مقادير مصر — وفى « علم الدين » فهم جيد مستنير للإسلام والقرآن . ومعرفة وافية بعلوم الدين والتفسير .

وهكذا ينتقل على مبارك بالشيخ علم الدين وابنه وصديقهما الانجليزى ورفقتهم ، من حديث إلى حديث . حتى ينتهى بهم إلى المسامرة الخامسة والعشرين بعد المائة . فنجد أنفسنا قد انتهينا من قراءة مجلدات أربعة ضخام . جمعت كثيراً جداً من ألوان المعرفة . وأنواعا مختلفة كثيرة جداً من العلم القديم والجديد . ومن التاريخ والقصص واللغة والشريعة والشعر والحياة والطبيعة . وهذه المجلدات الأربعة الكبار ، مع هذا كله ، لا تملّنا ، ولا تزهدنا فى القراءة والمتابعة . بل نجد فيها . تشويقاً كثيراً ويسراً ولذة وترغيبا فى أن نستمع إلى حديث هؤلاء الجماعة المؤتلفة من الأصدقاء .

محمود الشرقاوى

قال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإن عرض له القول نظر فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القول أمسك ، ولسان الأحمق وراء قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أو له .

المعرفة الصوفية عند ابن سينا

للدكتور محمد غلاب

مس ابن سينا التصوف فى بضع رسائل من مؤلفاته مسا يتفاوت خفة وعمقا، ووضوحا وغموضا بتفاوت الأحوال والظروف التى ألف فيها تلك الرسائل، فجعل يحدثنا عن المعرفة البشرية، وعن طبيعة النفس وعلائقها بالملأ الأعلى، ومصيرها فى الحياة الآخرة. وهذه الرسائل كلها لا تعالج إلا نتائج المعارف الصوفية والثمرات الناتجة عن تلك المعارف التى هى مقصورة على من كشفت عنهم الحجب، وتمزقت دونهم الأستار، ولكنها لا تعرض لكيفية الوصول إلى المعرفة ولا لمراحل الحصول عليها. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من هذه الرسائل قد فقد. ولهذا سوف لا نقف عندها، بل سنجتازها إلى كتاب الإشارات الذى بسط فيه هذه المراحل وتلك الدرجات فنقف بك عنده وقفة بسط وتفصيل كافيين لإعطائك فكرة - ولو إجمالية - عن هذا الجانب الهام من إنتاج الشيخ الرئيس.

صدر ابن سينا فى مذهبه الصوفى عن مبدأ المعرفة الإلهية: فقرر بديا أن الطريقة الصوفية الحقيقية هى التى تنهى بصاحبها إلى معرفة البارى جل وعلا معرفة رفيعة لا نظير لها، ولكنها ليست عقلية عن طريق الأقيسة المنطقية، بل عن طريق النور الذى ينعكس فى مرآة النفس.

بيد أنه لكى يفهم الباحث هذه الفكرة من أفكار ابن سينا، يجب عليه أن يتتبع - ولو فى تبسط واختصار شديدين - كيف يتمثل هذا الفيسلوف عملية إنتاج المعرفة فى العقل البشرى الدارج. لأننا عن طريق هذه الوسيلة، سنرى كيف أن المعرفة الصوفية قد صارت عنده بمثابة مرتبة الكمال لتلك المعرفة العقلية وأنها بالتالى لا يمكن انفصالها عن تعاليمه الفلسفية التى تعتبر المعرفة الصوفية تاجا متمما لكمالها.

يرى ابن سينا أن العقل البشرى هو قوة قابلة منفعلة تتلقى العون على المعرفة من سواها، وأنها وحدها غير قادرة على تحصيل المعرفة المجردة، وأنها تتلقى هذا العون الضرورى من لدن العقل المضىء أو الملهم أو الفعال أو المفارق الذى هو واحد بالقياس إلى جميع

النفوس البشرية ، وهو ما يدعوه ابن سينا بواهب الصور ، وهو الجوهر العقلى النقى ، أو هو العقل المفارق المنبثق عن البارى .

وإذن فعن هذا العقل المفارق ، انبثق عالمنا بما فيه من النفوس والعقول البشرية التى هى مشخصة بواسطة أجسامها ، ولكن هذه النفوس وتلك العقول البشرية تظل غير قابلة للفساد من حيث مبدئها وطبيعتها . وهذا يستلزم أنها - حين تكون مشخصة فى الأبدان - يجب أن تتعلم كيف تتخلص من المحسات الدائرة القابلة للفناء ، لكى تعود إلى طبيعتها الحقيقية أو إلى حياتها الصحيحة التى هى من نوع عقلى محض .

ولا ريب أن كل معرفة عقلية فى هذا الصدد تكون وسيلة الوصول إلى تلك الغاية ، لأن المعرفة العقلية هى دائما نور مسكوب فى النفوس الإنسانية بوساطة العقل المفارق المنير أو الملهم . وعن هذا الطريق ذاته تتعلم النفس التغلغل فى منزلة الاتصال بالعقل الفعال ، مختارة فى هذا الشان درجات عدة تتفاوت كمالاتها ، وفوق ذلك أن العقل الفعال هو من نفس الطبيعة التى منها العقول الأخرى المفارقة ، فإذا كانت النفس البشرية فى اتصال تام مع العقل الفعال استطاعت أن تتغلغل ، بسبب هذا الاتصال ذاته ، فى العالم العقلى كله ، لأن ابن سينا يحدثنا أن العقول المفارقة هى كل لا يتجزأ ، وهى لهذا لا تنقسم من حيث الجواهر ، وإنما التعدد والانقسام عارضان لها ، ويطلق الشيخ الرئيس على هذه الوحدة العقلية أو على مجموعة العقول التى لم تتعدد إلا عرضا اسم « العقل العام » .

وعنده أن النفس البشرية — فى جميع حالات المعرفة العقلية العادية — لا تكون على اتصال إلا بالعقل الفعال . غير أن هذا الاتصال يظل ناقصا ، لأن النفس البشرية لا تزال مرتبطة بروابط المادة . مثقلة بغواشى الحس ، وحسبها أن تتخلص من هذا كله ليكون الاتصال كاملا ، فإذا فعلت تغلغلت فى العالم العقلى كله ، وكشفت عنها حجبه ، وتمزقت دونها أستاره ، وطلع عليها نهاره ، وحين ذاك تحيا هذه النفس حياة العالم العقلى النقى ، وتتلقى مثله إشعاع النور الذى هو منبع كل نور ، وهو الصادر عن الموجود الأول الذى هو الكامل من كل وجه ، الواحد من كل وجه . والذى عنه انبثق كل ما عداه ، وهو المستغنى عن كل ما عداه .

تلك هى المعرفة العليا أو المعرفة الإلهية أو عرفان الحق عند ابن سينا ، ومنها يتضح اتضاحا تاما أنه لا يوجد فرق عند هذا الفيلسوف بين أسس المعرفة الفلسفية والمعرفة الصوفية ، وأن النفس فى الحالتين منفصلة

متلقية أنوار العالم العقلى ، غاية ما هنالك أن التلقى فى حالة التصوف أقوى وأكمل منه فى حالة التأمل الفلسفى ، وإليك بيان هذا التلقى أو ذلك الاتصال .

مراحل العرفان :

تبع فى مسلكه الصوفى إلى المعرفة العليا ، طريقة صعودية ذات مراحل ومنازل تبتدىء ثانيتها على أثر انتهاء أولاها كأنها حلقات سلسلة رأسية صاعدة فى نظام وانسجام . ويمتاز بعض مراتبها على البعض الآخر بمقدار بعدها عن الحسيات وتقدمها فى العالم العقلى . ويلاحظ الناظر فى المعرفة الصوفية عند ابن سينا أنها منذ المرحلتين الأولى والثانية تبدأ النفس تتقدم نحو المجردات بخطوات واسعة بوساطة تطهر خلقى وعقلى مزدوج . وقبل أن يشرع فى صعود سلم هذه المراحل الأولية أخذ يفرق بين الزاهد والعابد والعارف ، فقرر أن الزاهد هو من يتخلى عن لذائذ الحياة الدنيا ، وأن العابد هو من يقوم بطاعة الله وعبادته وتنفيذ تعاليم الكتاب والسنة وأن العارف هو من يتجه نحو البارى قصد عرفانه لذاته فحسب . وأولى مميزاته أنه لا يرمى من وراء معرفته إلى أى هدف آخر سوى هذه المعرفة .

ولقد أمعن الشيخ الرئيس فى احترام توحيد غاية العرفان إلى حد أن أعلن أن من قصد فى معرفته لله غاية أخرى — ولو كانت هى المعرفة ذاتها - كان كأنه قد ثنى أو أشرك بالبارى ، وهو فى هذا يقول : « من طلب العرفان للعرفان فقد قال بالثانى » .

ومهما يكن من الأمر فإن المراحل التى يجب أن تجتازها النفس لتتلقى الإشعاع الإلهى تبتدىء عنده كما عند الفارابى : « بمرحلة الإرادة » إذ أن المريد يشرع فى اتجاهه نحو ربه ، بالإرادة الشخصية التى لا بد من أن تنبع إما من عقيدة دينية صادقة صادرة عن إيمان راسخ ، وإما عن معرفة فلسفية وصلت إلى الحق الأسمى إذ أن العقيدة والمعرفة كلتيهما تدفعان صاحبهما إلى السير فى سبيل الكمال والتقدم نحو الملأ الأعلى .

وبعد الإرادة يصل المريد إلى المرحلة الثانية ، أى « مرحلة الرياضة » ولها ثلاث غايات : أولاها تخليص النفس من علائقها بكل الدوائر الفانية ، أو نبذ كل ما يشغل عن البارى . وهذا ينال بالزهد ، والغاية الثانية هى تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة ، ، ونتيجة هذا هى العمل على تنقية قواه الداخلية مستعينا فى ذلك بأوامر الدين وإقامة شعائره حسب الكتاب والسنة ، وتلك هى مهمة العابد ، وثالثة تلك

الغايات : هى تصفية الجانب الباطنى من النفس ، أى السر ، وجعله - بوساطة التأمل والطهر والعفاف والميول النقية - جديراً باليقظة الدائمة ، والتنبه الحازم المتين .

ولا ريب أن ابن سينا فى هاتين المرحلتين الإعداديتين متأثراً تارة بالمعانى الإسلامية المحضة . وأخرى بمن سبقوه من صوفية المسلمين ، وثالثة « بالتاسوعات الأفلوطينية » التى أثرت فيه عن طريق الفارابى من جهة ، ومن طريق كتابى « ربوبية أرسطو » و« التفاحة» اللذين عزيا زيفا إلى غير مؤلفيهما الحقيقيين وهما مفعمان بآراء متأخرى الأفلاطونية الحديثة ، واللذين كانا من أهم أسباب الأخطاء الفادحة التى وقع فيها فلاسفة المسلمين ومؤرخو الحركة العقلية العربية .

وعندما تتمكن النفس من امتلاك قواها والتغلب على العلائق الحسية على هذا النحو الذى أشرنا إليه ، فإنها تستطيع أن تلق بذاتها صوب العالم العقلى . ولاجرم أن المراحل الآتية ستصور لنا تلك الترقيات الناشئة عن الإلهامات المتلقاة بعد مرحلتى الإعداد السالفتين اللتين يسرتا لها الانفلات من ربقة المادة وقيود الشهوات . وينبغى أن نعلم أن ذلك التصوير هو من وجهة نظر النفس البشرية لا من وجهة نظر العالم الأعلى .

المرحلة الثالثة وهى « مرحلة الحد » وفيها تكون النفس قد أعدت تمام الإعداد لتلق أول الأنوار المعنوية وطليعة الإلهامات العلوية وهى تبدو أول الأمر خلسات كأنها ومضات تعقبها ظلمات ، ثم يعود الومض سيرته ويستأنف الظلام أوبته ، وتظل الحال على هذا المنوال إيابا وذهابا وظهورا وخفوتا متعاقبين دواليك حتى يتبدل الأمر ، ويتحول الشأن .

غير أن هذه اللمحات القدسية ، وتلك النفحات الربانية - وإن كانت تبدو حائلة متحولة - لا تذهب عبثا ولا تضيع هباء بل إن النفس تستفيد من كل ومضة ، وتسترشد بكل إشعاعة ، فيتكون لديها من الضوء الخالد ما يجعلها قمينة بأن تساهم فى ذلك النور الإشعاعى وتلك المجردات التى تفيض من الموجود الأول ثم تتدلى فى انسجام واتساق حتى تغمر ذلك الكائن المتواضع المتطلع إلى الفيض الأسمى الذى هو بغيته المرموقة ، وغايته الموموقة .

على أن هذا المتطلع إلى رضوان ربه لا يكون فى هذه الحالة ظافرا بالسكينة القلبية ولا فائزا بالسلام النفسى ، وهو لهذا يظل فى شوق يعذبه ، وهيام يضنيه حتى يصير أهلا للمرحلة الرابعة ، وهى « مرحلة السكينة » التى تنزل على قلبه ، فتحول قلقه هدوءا ،

وتبدل عذابه راحة وسعادة . ولكن هذه السكينة لا تدوم دواما غير منقطع ، نعم إن لحظات النور فيها أطول مدى وأعمق إشعاعا بيد أنه ، كما يغمر المتصوف طولها فى السرور والحبور ، كذلك يغمسه انقطاعها عنه فى الحزن والانقباض حتى تعود ، وبالإجمال : هى لا تزال فى هذه المرحلة سكينة نسبية لأن النفس أثناء هذه المرحلة لا تزال فى حالة سلبية خاضعة لما تتفضل به عليها السماء من تقدم ورضوان ، وإجادة وإحسان وفيض بالعرفان : « رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » . ولكن الصوفى لا يلبث أن يرقى فى سلسلة السمو حتى يصير جديراً بالانخراط فى سلك المرحلة الخامسة ، وهى « مرحلة الملكة » التى تصل فيها النفس البشرية إلى منزلة الاتصال بالعالم المجرد ، أو بالعقول المفارقة أو بالعقل العام ، وإذ ذاك تأخذ فى الرقى درجة بعد درجة بصورة إيجابية لا سلبية كما كانت المرحلة السالفة ، ومعنى هذا أن ارتقاءها يكون إراديا أى كلما شاءت سمت ، ومتى أرادت ارتقت ، دون مانع ولا عائق ، وذلك لأن الفيض الربانى قد منحها السلطان الذى بفضله تستطيع أن تزيل من أمامها العقبات والذى به تملك أن تلتفت إلى العالم الأعلى كلما عن لها ذلك .

وأخيراً يجب أن يجتاز الصوفى بالضرورة مرحلة الملكة ، وأن يصل إلى الحد النهائى الذى لا بد له فيه من المعرفة ، والذى لا تملك فيه إرادته إلا أن تعرف ولا تستطيع أن تعدل عن أن تعرف ، كما كانت الحالة فى المرحلة السابقة ، بل إن تلقى المعرفة فى هذه الحالة يصبح هو الحالة الثابتة الدائمة التى لا تتخلف ولا تفتر عن الصوفى . ومنشأ ذلك أن السر الباطنى للنفس قد صفى وأضحى شبيها بمرآة مصقولة متجه نحو الحق الأول الذى منح كل حق وجوده إذا أمكن أن يتجه نحوه متجه وذلك لا يمكن قطعا إلا تصويرا المعقول ، وترويضا للنفوس على قبول هذه العبارات وتسهيلا على الأذهان ، فهمها واستساغتها ، لأن الله ليس فى جهة حتى يتجه إليه .

على أن هذا الحد النهائى هو ذاته مؤلف من مرتبتين ، ففى المرتبة الأولى يكون الصوفى موزعا بين حالتين ، إذ هو ينظر تارة إلى نفسه التى هى المرآة ، وأخرى ينظر إلى انعكاس النور الإلهى الأبهر على صفحة هذه المرآة . وفى المرتبة الثانية ينصرف الصوفى عن كل شىء حتى عن نفسه ، بل عن سر نفسه الأعلى ، ولا ينظر إلا إلى انعكاس أنوار الجلال الإلهى ، وفى هذه النظرات الثابتة الدائمة الفانية يتحقق « الوصول » . الذى يحقق معه ـ عن غير قصد ولا إرادة ولا طلب ـ أسمى قمم السعادة .

الدكتور محمد غلاب

السبعة الأحرف
التى أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

أرجح ما تطمئن إليه النفس فى استعراضها للأدلة . حين تستغرق فى بحث هذا الموضوع أن المراد من الأحرف السبعة هو تأدية المعنى الواحد ، للكلمة الواحدة من كلمات القرآن الكريم بسبعة ألفاظ مترادفة وإن اختلفت أسلوبا من خبر إلى إنشاء ، وذلك فى دائرة محدودة من لغات مضر السبع على الراجح ، سواء كان ترادفها فى لغة واحدة كما حدث لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضى الله عنهم — وهما من قريش ولغتهما واحدة حيث اختلفا فى كلمات من سورة الفرقان . . قرأها هشام — وكان إماما — بغير قراءة عمر وكان مأموما له — فتصبر عمر إلى نهاية الصلاة ثم لبب هشاما ، وقاده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . فلما استمع الرسول إلى قراءتيهما صوب كلامنهما — أو كان ترادفها ضمن لغات متعددة وذلك كخلاف عمر وابن مسعود حين قرأ الثانى بلغة هذيل « عتى حين » ، « أى حتى حين » بلغة قريش فأنكر عليه الأول ، وأمره أن يقرأ بلغة قريش ، قال ابن حجر : ويمكن الجمع بين الروايات بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك فى سبع لغات ، وقال ابن عبد البر : « أنكر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات . . لما تقدم من اختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة . . وقالوا إنما المعنى سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم » .

ولم يعرف على وجه التحديد أية كلمات تلك التى نشب فيها الخلاف بين عمر وهشام وهو من القليل الذى ضل فى غياهب التاريخ ، وقد اعترف بذلك ابن عبد البر حين قال : « الله أعلم بما أنكر عمر على هشام ، وما قرأ به عمر . . فقد يمكن أن يكون هناك حروف أخرى لم تصل إلى ، وليس كل من قرأ بشىء نقل ذلك عنه ، ولكن إن فات من ذلك شىء فهو النزر اليسير » . أما ما كان من نهى عمر لابن مسعود عن القراءة بلغة هذيل . فذلك حين يتصدى ابن مسعود لتعليم الناس القرآن

بتلك اللغة - لا حين يتلو لنفسه ، ولذا كتب إليه عمر وهو فى الأمصار : « أقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » . وكان عمر فى هذا حصيفا كالعهد به . . إذ أنه أراد جمع الناس على لغة واحدة خشية تصدع الوحدة ، بظهور الفرقة التى ذر قرنها فعلا زمن عثمان نتيجة تعدد القراءات ، وسمعت الكلمة المشئومة : قرآننا خير من قرآنكم » فلذا سارع عمر إلى الوحدة فى معدن التوحيد قال ابن عبد البر : « يحتمل أن يكون عمر قد نهى ابن مسعود بطريق الاختيار . . لا أن الذى قرأ به ابن مسعود لا يجوز . . لأن محل الترخيص هم العرب الذين يثقل عليهم الانتقال من لغة إلى لغة ، فأما من أراد أن يقرأه من غير العرب فالأفضل أن يقرأه بلسان قريش لأن جميع اللغات بالنسبة إلى لسانه سواء ، فإذا كان لا بد من واحدة فلتكن بلغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى لغة قريش » .

وفى رأى ابن حجر العسقلانى : « أن السبعة الأحرف . . هى السبعة الأوجه التى قرئت بها الكلمة الواحدة ، بمعنى أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءة فى الكلمة الواحدة هو سبع قراءات ، لا بمعنى أن كل كلمة من كلمات القرآن وكل جملة قرئت على سبعة أوجه وإن كانت هناك كلمات قرئت بأكثر من ذلك فرجع هذا إلى الاختلاف فى كيفية الأداء كما فى المد والإمالة ، أو يقال : إن أكثر الكلمات لا تثبت فيها هذه الزيادة ، وإن ثبتت فى الأقل ، والحكم للغالب » .

وهذا الاتجاه يحدد كلمة السبعة بمفهومها العددى الحقيق ، بلا زيادة ولا نقصان ، وهناك من أئمة القراءة من ذهب به اجتهاده إلى حد القول بأن كلمة سبعة يراد بها الكثرة قال عياض : « إن السبعة هنا لا تفيد التحديد بل معناها التكثير ، وأن القرآن قرئ بأوجه لا حصر لها ، وهدف الشريعة من هذا التيسير على قارئه ، ومن المألوف فى اللغة العربية إرادة الكثرة فى الآحاد بلفظ سبعة ، والكثرة فى العشرات بلفظ سبعين ، والكثرة فى المئين بلفظ سبعمائة ، ولا يراد العدد المعين » ونرى أن عياضا قد خالف الجمهور فى هذا لأن أهل الأداء قد اتفقوا على أن الكلمة الواحدة من القرآن لا يمكن أن تؤدى بأكثر من سبعة وجوه مترادفة من اللغات الفصحى وحينئذ يبدو القائل بالتحديد أدنى إلى الصواب ، وأقرب لواقعية اللغة .

قال ابن حجر : وحاصل ما قالوه فى ذلك : أن معنى إنزال القرآن على سبعة أوجه أى أنزل موسعا على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه ، أى يقرأ بأى حرف أراد على البدل من صاحبه لئلا يشق عليهم لسان واحد » .

وما تقدم ذكره أولى مما قيل : إن المراد

بالأحرف السبعة سبع من اللغات العربية المعاصرة لنزول القرآن وفي ذلك يقول ابن عبد البر : « قول الرسول في بعض الروايات « فاقرءوا ما تيسر منه » يقول قول من قال : المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة ، لأن لغة هشام وعمر بلسان قريش ومع ذلك اختلفت قراءتهما ، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة » .

وما ذكر أيضا . . أولى مما ذهب إليه البعض من أن السبعة الأحرف هي سبعة أصناف من الكلام مثل : الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ونحو ذلك محتجين بما أخرجه أبو عبيد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

ويقدح في هذا الرأي . . أن هذا الحديث الذي ارتكز عليه الاستدلال لم يتقبله نقاد الحديث ، واعتبروه غير ثابت ـ كما قال ابن عبد البر ـ لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، وأبو سلمة هذا لم يلق ابن مسعود ، وقد رده كذلك أبو جعفر أحمد بن عمران ، وأطنب الطبري في مقدمة تفسيره في الرد على من قال به ، وحاصل ما قاله: إنه يستحيل أن يجتمع في الحرف الواحد هذه الأوجه السبعة ، وقال فيه البيهقي: وعلى فرض صحة هذا الحديث فمعناه سبعة أوجه من الأنماط المذكورة مثل الوعد والوعيد . . لا أنها الأحرف السبعة المذكورة في أحاديث أخرى . بل إن الأحاديث الأخرى ظاهرة في أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة إلى سبعة تهوينا وتيسيرا ، والشيء الواحد لا يكون حراماً وحلالا في حالة واحدة ، وقال الماوردي : « هذا خطأ لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل حرف وإبداله بحرف آخر ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام » .

فالذي يراه النظر جديراً بالاعتبار : هو تفسير الأحرف السبعة ـ كما سبق ـ بالمترادفات السبعة للكلمة الواحدة ومن أمثلة ذلك : قراءة البعض « فاسعوا إلى ذكر الله » ، وقراءة البعض الآخر: « فامضوا إلى ذكر الله» ، « العهن المنفوش » ، و « الصوف المنفوش » ، والهذلي يقول : « عتى حين » ، والقرشي : « حتى حين » ، وهذا يقرأ : « قد أفلح »

بنقل فتح الهمزة إلى الدال وذاك يتلو : « قلُ أوحى » بنقل ضم الهمزة إلى اللام ، ومنهم من يقول سميعاً عليما بدلا من عزيزاً حكيما ، ومن يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالإمالة ، وغيره يلطف أى يقرأ بالتعليل وهو التوسط بين الإمالة والفتح ، ومن يقرأ عليهُم وفيهُم بضم الهاء .

والآخر يقول : عليهمو ، ومنهمو ، والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز... وهكذا ولو أراد كل فريق أن يتنحى عن لغته ، وما درج عليه لسانه طفلا ، وكهلا لشق عليه غاية المشقة ... فيسر عليهم بجعله مطواعا للغاتهم ، متسلسلا مع ليات ألسنتهم ، على سبعة مترادفات ، وكأنه انتهى إلى سبعة ولم يزد عليها لعلمه تعالى أنه لا تحتاج لفظة من ألفاظه إلى أكثر من ذلك العدد غالبا على حد تعبير ابن قتيبة — وقد أيده ابن عبد البر بقوله : وهذا مجمع عليه... بل هو غير ممكن ... بل لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشىء القليل مثل « عبد الطاغوت » « أرجه »....« هيت » ، وزاد ابن الانبارى : «ولا تقل لهما أف» ، جبريل ، وأما ابن قتيبة فقد أنكر هذا وليس بشىء .

والمروى عن عمر فى هذا المقام روايتان ظاهرهما التعارض ... بيد أنهما فى واقع الأمر يعبران عن الطورين اللذين مرت لغة القرآن فيهما وإحدى الروايتين : « أن القرآن نزل بلغة قريش » ، والثانية : « أنه نزل بلغة مضر » ، ولقد حكى ابن عبد البر قبائل مضر السبع فقال : إنها هذيل ، وكنانة ، وقيس وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش .

وتفسير هذا : أن القرآن نزل أول ما نزل بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، وذلك إبان إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة . . ثم أبيح للعرب بأن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، بشرط الاتفاق فى المعنى ، وعلى هذا يفهم اختلافهم فى القراءة مع تصويب الرسول لكل منهم ، ويدل على ذلك . . أن ذلك التيسير كان بعد ما كثر دخول العرب فى الإسلام فقد ثبت أن هذا التخفيف بدأ بعد الهجرة ويشهد لذلك حديث أبى بن كعب وفيه « أن جبريل عليه السلام لقى الرسول عليه الصلاة والسلام عند أضاة بنى غفار — وهو موضع للماء بالمدينة — وعلمه الأحرف السبعة » ، فلما تذللت ألسنة العرب ، وكان توحد لسانهم يسيرا عليهم ، وأوفق لهم أجمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة التى عرضها النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل فى السنة التى قبض

فيها . . وهو الذى كتب به المصحف العثمانى الإمام ، ونسخ ما سوى ذلك . .

وبيان هذا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل مرة فى كل عام. إلى أن كان العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم فعرضه مرتين وشهد عبد الله مسعود وزيد بن ثابت العرضة الأخيرة ، وعلما ما نسخ فيها ، وما بدل منها ، ولهذا سميت قراءة ابن مسعود فى عرف الصحابة « الأخيرة » قال ابن عباس سألت زر بن حبيش : أى القراءتين تقرأ ؟ فقال زر : الأخيرة ، وهو يعنى قراءة ابن مسعود .

فالقرآن فى تلك العرضة نسخ منه وغيّر فيه ، وقد صح النقل فى ذلك عن غير واحد من الصحابة ، رضوان الله عليهم حين دونوا القرآن فى مصحف عثمان اعتمدوا فى هذا التدوين على قاعدتين أساسيتين ـ على ما قرره العلامة المحقق الحافظ ابن الجزرى ـ .

أولاهما : ما تحققوا من عدم نسخه فى العرضة الأخيرة على وجه الخصوص .

ثانيتهما : ما تحققوا صحته عن النبى مما لم ينسخ ، ولو لم يكن بتلك العرضة الأخيرة ، وهذا هو السر فى تجريد الخط الذى كتب به القرآن من النقط والشكل ، الأمر الذى يجعل هذا الخط مرنا لاحتمال هذين الأمرين ، حتى يدل اللفظ الواحد بدون الشكل والنقط على كلا المعنيين المتلوين . . فتكون دلالة الخط الواحد كدلالة اللفظ الواحد ، وهذا هو منشأ الخلاف الذى وقع فى بعض المصاحف إذ لو كان أساس كتابة المصحف هو العرضة الأخيرة فحسب ـ كما نقل عن الكثير ـ لما وقع الاختلاف بين مصاحف عثمان بزيادة أو نقصان أو غير ذلك ، ولقد قال على كرم الله وجهه حين ولى الخلافة : « لو وليت من أمر المصاحف ما ولى عثمان لفعلت كما فعل » .

قال أبو عبيدة السلمانى : القراءة التى عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم ، وفى شرح السنة للبغوى : « أن زيد ابن ثابت شهد العرضة الأخيرة للقرآن التى بين فيها ما نسخ وما لم ينسخ ، واستكتبه الرسول إياها وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذا اعتمد أبو بكر وعمر جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف » .

والذى وقر فى أفهام الصحابة الذين عاصروا هذا التيسير فى قراءة القرآن ـــ أن ذلك لا يتأتى بالتشهى فى انتقاء المترادفات ، أو الاختيار الشخصى فى تطويع القرآن للغة . . ولو قد كان ذلك لما قال كل من عمر وهشام حين تجادلا فى الموضوع « أقرأنى النبى » بل المرجع الأول والأخير فى ذلك

(البقية على صفحة ١٣٦٩)

حول ليلة القدر :

أوّلُ أضـــــواء الفجر

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

فى ليلة من رمضان ، ومحمد وحده فى غار حراء يتأمل هذا الكون البديع ويستغرق فى تفكير عميق . الكون من حوله هادئ ساكن ، لا يقطع سكونه فى هذا المكان النائى ضوضاء تشل التفكير ، أو تعوق دون التأمل .

الليل ساج يلف الكون فى ردائه ، وتلمع النجوم فى سمائه وتنهض قمم الجبال حول مكة هنا وهناك . بينما ضوء خافت ينبعث من الكعبة ، حيث تجمع القوم حول أصنام دعوها آلهة يعبدونها من دون الله .

محمد يستغرق فى تفكيره ، ويسائل نفسه أيمكن أن يكون هذا الكون الكبير الذى يتعاقب عليه الليل والنهار ، أيمكن أن تكون هذه الأرض المنبسطة أمام العين أيمكن أن تكون هذه الجبال الراسخة الشاهقة . أيمكن أن يكون هـــذا الإنسان الجميل فى تكوينه ، أيمكن أن تكون الإبل رفيقة الإنسان فى الصحراء المترامية الأطراف ، أيمكن أن يكون الشجر المتنوع الألوان والأشكال ، أيمكن أن تكون هذه المخلوقات كلها ، ومن بينها ، الإنسان ذو العقل المفكر والقلب الحساس أيمكن أن يكون ذلك كله من صنع أصنام لا تشعر ، وأحجار لا تحس؟

لقد طال بمحمد التفكير وطالت خلواته إلى نفسه ، وطال بعده عن النـاس ، منفردا بتأملاته ، يقلب الأمر على وجوهه ، مؤمنا بأن ما فيه قومه خطأ وضلال ، ملتمسا طريق الحق ، وسبيل الهداية ، حتى نزل عليه الوحى فى ليلة سماها القرآن : ليلة القدر ، يقول له «إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » .

لقد هداه الله إلى حل المشكلة التى أرقته ، وهى خلق هذا الكون . فخالقه هو الله ، خالق الإنسان من دم يتجمد .

وكانت أولى آيات القرآن تمجيدا للمعرفة ، ودعوة إلى العلم ، ودعوة إلى العقل ؛ لكى يصل إلى المجهول الذى لم يكن له علم به من قبل ، ودعوة إلى تقييد العلم بالقلم .

كان محمد الأمى بذلك أول داعية لقومه إلى أن يأخذوا بنصيبهم من العلم ؛ وكأن هذا

الدين فى أول لحظة من لحظات حياته يعلن أنه مؤسس على العقل ، ومبنى على العلم . ولو لم تكن هذه الآيات من عند الله ، لستر محمد الأمى على نفسه ، ولم يفتح عيون الناس ليروه أميا لا يعرف كيف يقرأ ، ولا كيف يكتب .

كان أول ما مجد القرآن هذا القلم ، الذى علم الله به الإنسان ما لم يعلم .

وكأن القرآن عندما طلب إلى محمد أن يقرأ ، وهو يعلم أنه أمى لا يكتب ، ولا يقرأ ، يطلب إليه أن يوجه أمته إلى تعلم القراءة ، ومكانة القلم فى الثقافة ، وكشف المجهول .

تلك كانت ليلة القدر ؛ وتلك هى الآيات الأولى التى هبطت فيها على الرسول الكريم ؛ فأخذ محمد يرددها ، وقد ملكته رهبة ملأت نفسه من أقطارها ، فمضى مسرعا إلى زوجه خديجة ، يرتعش وينتفض ، طالبا إليها أن تجلب له الدفء والهدوء ، بثياب يرتديها فوق ثوبه . قائلا « دثرونى دثرونى » ؛ وإذا بالوحى ينزل عليه ، محددا له المهمة التى : عدلها ، وهى مهمة إنذار قومه ، فى لهجة قاطعة ، وجمل قصيرة مؤثرة تحمل خيوطا من الضياء ، تبدد غياهب الظلمات المتكاثفة ، وتنذر الناس بيوم يبعثون فيه بعد الموت ، ويحاسبون على ما قدمت أيديهم ، من خير وشر ، ولنصغ إلى تلك الآيات المؤثرة ، وهى : « يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » .

ليس هناك تردد ولا انتظار ، لقد وضحت المهمة الملقاة على عاتق الرسول محمد ، وهى أنه رسول إلى قومه يحذرهم وينذرهم .

وإنما كان الإنذار أول مهمة ألقيت عليه لأنه يراد منه أن يهدم عقيدة بالية ، ليبنى على أنقاضها عقيدة جديدة صالحة ، فهو مطالب أولا بأن يبين لهم ما فى عقيدتهم من زيغ ، وما هم فيه من ضلالة ، وأن يوجه أنظارهم إلى أن هذه الآلهة التى يعبدون من دون الله ، لا يستطيعون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون ؛ ومن أجل هذا كان الإنذار أول ما يوجه إلى أولئك القوم الذين أرسل إليهم الرسول الكريم .

وكان أول ما نزل من قواعد هذا الدين الجديد الدعوة إلى الإيمان بعظمة الله وجلاله ولذلك قيل له . « وربك فكبر » لأن الإيمان بهذه العظمة ، وذلك الجلال يمهد لطاعة أوامره ، والخضوع له ، واجتناب ما ينهى عنه من ناحية ، ثم استصغار كل شىء فى هذا الوجود إلى جانب عظمة الله ؛ وفى ذلك ما يملأ القلب عزة وكرامة ، ويرفع الإنسانية أن تذل لغير الله خالقها .

---

[١] الرجز : العذاب ، وعبادة الأوثان .

كما عنى الدين أول ما عنى بأن يكون مظهر المؤمن محببا فيه ، داعيا إلى أن يؤتنس به ويؤلف ؛ فدعاه إلى النظافة، وطهارة الثوب .

وأرشدت الآيات إلى أن هناك أمورا سينهى عنها ، وهى إثم يؤدى إلى العذاب ، وواجب المؤمن أن يحذرها ، وينصرف عنها ولذلك أمر أن يهجر الرجز ، وهو: العذاب أى أمر بأن يهجر كل إثم يؤدى إلى العذاب .

إن إنذار القوم ، ودفعهم إلى الطريق الصحيح عمل جليل ، وأثر محمد ، ولكن القرآن يبادر ، فيدعو محمدا إلى ألا يستكثر ما سوف يقوم به من خدمات لهذه الأمة ، عندما يدعوها إلى سواء السبيل .

ولم يخف القرآن عن الرسول أن هذه المهمة ثقيلة تتطلب من الرسول جلدا وصبرا ؛ فلن يتقبلها الناس فى يسر ، ولن يستجيبوا إليها فى سهولة ؛ ولذا أمر بالصبر فى الدعوة إلى الإيمان بالله ، إذ قال سبحانه : « ولربك فاصبر » .

وأول ما أراد القرآن أن يغيره من عقائدهم هو عقيدتهم أن الموت هو النهاية التى لا حياة بعدها ، وأن النشور وهم لا يتحقق ، وأن ليس ثمة يوم آخر يرجعون فيه إلى الله ، ويحاسبون على ما قدموا من عمل ؛ فقال : « فإذا نقر فى الناقور» أى فإذا نفخ فى الصور « فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير » .

وإنما كان ذلك أول ما عنى القرآن بتغييره من عقيدتهم ؛ إذ كانوا يؤمنون بأن الدهر هو الذى يهلكهم ، ويستكثرون أن يعودوا إلى الحياة بعد أن يصيروا عظاما نخرة ، ويتحولوا إلى تراب — كان ذلك ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الأول الذى تقوم عليه العقيدة الدينية ، وبدون الإيمان بذلك اليوم ، لا يستجيب المرء إلى إيمان ، ولا يلزم نفسه بالخضوع لعقيدة ؛ لأنه يعمل كما يهوى ، آمنا أن يحاسب على ما قدم .

ولكى ينبه القرآن إلى أهمية هذه الدعوة الجديدة يخالف نسقه الأول فى الفاصلة ، إذ تراه يقول : « يأيها المدثر ، قم فأنذر » ويجرى على هذا النسق ، حتى إذا جاء إلى ذكر اليوم الآخر قال: « فإذا نقر فى الناقور » متخذا من هذا التغيير فى النسق وسيلة إلى توجيه النظر إلى أن أمرا جديدا يراد التنبيه إليه ، واسترعاء النظر له .

وقام محمد يريد أن ينهض بالعبء ، ويؤدى الرسالة ؛ فدعا قومه ، وألقى فيهم أول خطبة له حمد فيها الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الرائد [1] لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو ، إنى لرسول الله إليكم حقاً ، وإلى الناس كافه ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون

---

[١] الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه .

والقرآن يقابل هـذا العناد الذى لا وجه له من الحق ، ويقابل ذلك الإنكار الذى لا سند له من العقل بالوعيد والتهديد ، إذ يقول : « سأصليه سقر[١] ، وما أدراك ماسقر؟ لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر[٢] » .

وتمضى الآيات واصفة خزنة جهنم ، وعدد هؤلاء الخزنة ، مقسمة بالقمر ، وبالليل ، وبالصبح ، وهى كلها من آثار قدرة الله ، على أن جهنم إحـدى البلايا الكبر ، وأن القرآن ينذر بها البشر ، فعلى كل فرد أن يقدم على الخـير إذا شاء ، وأن يتأخر عنـه إذا أراد ، لأن كل إنسان رهين بما كسب من خير أو شر .

ولنصغ إلى القـرآن يتحدث عن جهنم ، فيقول : « كلا والقمر ، والليل إذا أدبر[٣] ، والصبح إذا أسفر[٤] ، إنها لإحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقـدم أو يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة » .

ويضع القـرآن أمام أعينهم منظراً من مناظر يوم القيامة ، فيصور لهم المؤمنين ، ناعمـين فى جناتهم ، يسألون المجرمين عن الأسباب التى ألقت بهم فى النار . ولنستمع إلى هـذا النقـاش يصوره القرآن قائلا : « إلا أصحـاب اليمين ، فى جنات يتساءلون ، عن المجرمين : ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين » .

ويسجل القرآن فى تلك السورة الكريمة أن الناس لم يستقبلوا تلك الدعوة الجديدة بالتدبر فى أمرها ، أو الإصغاء إليها ، وإنما استقبلوها فى نفرة وإعـراض ، ويصور القرآن نفورهم فى صورة ساخرة ؛ إذ جعلهم كأنما هم حمر جدت فى نفارها ؛ لأن أسدا يتعقبها ، وصور لنفسك هذه الحمر النافرة ، تهرب على غير نظام ، فى هيئة تبعث السخرية والاستهزاء .

ومن أعجب ما سجـله القرآن عليهم أنهم أعلنوا عدم إيمانهم حتى يرد إلى كل واحد منهم رسالة من السماء ، يؤمر فيها باتباع الرسول ، يقـول سبحانه : « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفـاً منشرة » ؛ وفى ذلك تصوير لعنتهم فى مقابلة هـذه الدعوة الجـديدة .

وبعد ، فقد كان أول ما نزل من القرآن داعيا إلى العلم والمعرفة ، محرضا على الأخذ من الثقافة ، واحترام القلم .

ولم تـكن هناك تـكاليف أمر الرسـول

---

[١] سقر جهنم .
[٢] لواحة للبشر : مسودة للجلود ، ومحرقة لها .
[٣] أدبر : ذهب .
(٤) أسفر : أضاء .

البنين ذوى الغنى ، وأن له جاها ورياسة ، ويطمع أن يزداد من ذلك كله ، وهو كافر عنيد

لقد أذهلت الآيات التى نزلت على الرسول العرب ؛ إذ وجدوا فيها لونا جديداً من المعانى ، وأسلوبا جديداً من القول ، وقد أخبر الرسول أنها من عند الله ، ولكن ذلك المعارض ، ويقول المفسرون : إنه الوليد بن المغيرة ـ يفكر فى هذه الآيات الجديدة ، ويطيل التفكير ؛ ثم ينتهى من ذلك بإعلانه أن تلك الآيات ليست سوى كلام إنسان ، وأنها لا تتصل إلى الله بسبب .

والقرآن يصور ذلك المعارض إذ يقول : « ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيدا » ؛ وإنما جعل بنيه شهوداً ؛ لأنهم حاضرون فى مكة معه ، مستغنون عن السفر والضرب فى الأرض سعيا وراء الرزق .

لقد عدد القرآن النعم التى أسبغها الله على هذا المعارض ، والتى كان من شأنها أن يستجيب إلى الدعوة الكريمة التى دعاه إليها الرسول ، ولكنه بدلا من ذلك وقف موقف المعاند المعارض ؛ فأوعده الله بأن سيصيبه بشدائد الأمور ؛ ويعلل القرآن سبب ذلك الإيعاد بهذا التصوير المؤثر . إذ يقول : « إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر [1] ، ثم أدبر واستكبر ؛ فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر » .

يصور القرآن ذلك المعارض لطلائع النور ، رجلا مغيظا محنقا ، قد أذهله هذا القرآن الجديد ، فبدلا من أن ينقاد له ، ويؤمن به ، مضى يفكر فى وسيلة يصرف الناس بها عنه ، وأخذ يفكر طويلا ، مقدراً ما سيقابل به كلامه من السامعين ، محاولا أن يصل إلى فكرة تقنع الناس بالانصراف عن القرآن ؛ وهنا يصوره القرآن مستغرقا فى تفكيره ، مغيظا غاية الغيظ ، مقطب الجبين عابس الوجه ؛ ولم يهده هذا التفكير العميق إلى الخضوع للحق ؛ فبرغم أن تفكيره قد هداه إلى أن لهذا الكلام أثراً فى النفس يشبه السحر ، وأن ذلك لا يمكن أن يكون كلام إنسان ، فقد عرف كلام الناس : من شعر ، وخطب ؛ فلم يجد هذا القرآن ، شبيها بشىء منها . وبرغم اهتدائه إلى هذه الحقيقة ، أبى أن يذعن لها ، بل ولى مستكبراً ، ناسبا قوة تأثير القرآن لا إلى سببه الحقيقى ، ولكن إلى أنه سحر جاء به محمد ، وفاته أن تأكيده لسحر القرآن ، اعتراف منه بأن للقرآن أثراً فى النفس بالغا عميقا غاية العمق .

---

[1] عبس : قطب وجهه . وبسر : زاد فى التقبض .

ولتحاسبنّ بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وإنها الجنّة أبداً ، أو النار أبداً ، وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد » .

ويلحظ فى هذه الخطبة الأولى للرسول الكريم ، كما لحظنا فى الآيات السابقة أن أول مادعى القوم إلى الإيمان به كان الإيمان باليوم الآخر ، يؤكده الرسول بكل وسائل التوكيد التى تملكها اللغة ؛ يؤكده بالقسم ، ويؤكده باللام ، ويؤكده بنون التوكيد ؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر هو الدعامة التى يرتكز عليها الدين كله .

وسجل التاريخ المعارضة التى لقيها الرسول بعد خطبته الأولى فقد أنكر عليه بعض سامعيه أن يدعوهم ليسمعهم مثل ذلك الأمر الذى ينكرون

كما سجل القرآن تلك المعارضة ؛ ففى سورة « اقرأ » التى كانت أول ما نزل من القرآن يتحدث عن معارضة الرسول ، وينذر صاحبها إذ يقول : « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ؛ إن إلى ربك الرجعى ؛ أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ؟ أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ؟ أرأيت إن كذب وتولى ؟ ألم يعلم بأن الله يرى ؟ » .

ويذكر المفسرون أن تلك الآيات نزلت فى أبى جهل .

والآيات تبين هنا سبب المعارضة لهذا الجديد ، وأن طغيان الإنسان عندما رأى نفسه قد استغنى ؛ والقرآن يهدده بأنه سيرجع إلى الله ؛ ليحاسبه على طغيانه . وهنا يتساءل القرآن فى رفق . أهذا الناهى على حق ، ويأمر بالهدى ؟ أم هو مكذب بالحق معرض عنه ، ويتوعده بأن الله يراه ؛ ويشتد فى إيعاده إذ يقول : « كلا ، لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندعُ الزبانية ، كلا ، لا تطعه ، واسجد ، واقترب » .

لغة فيها تهديد ووعيد ، وفواصلها تختلف عن نهج الفواصل الأخرى ؛ لتبيان أن هنا تهديدا آخر غير ما سبقه من تهديد ، وهو تهديد يصوّر إلى أى مدى سيصيبه العذاب ؛ إذ يسحب بناصيته لأنها ناصيته كاذبة مخطئة ، ولن ينفعه قومه ومن يلتفون حوله فى ناديه ، لأن الزبانية ، وهم الشرطة ، سيدفعونه دفعا عنيفا ؛ لكى يحاسب . وينال ما يستحق ؛ وذلك تصوير لمنتهى ما يصيبه من الإذلال عندما نتخيله مسحوبا من ناصيته . ولقد دعى الرسول إلى ألا يأبه بنهيه ، وأن يستمر فى عبادته يتقرب بها إلى الله .

وتأخذ هذه الآية الكريمة نهجا فى الفاصلة منفرداً بها ، يميزها عن باقى الآيات ؛ لأنها أمر الرسول ، بعد أن هدد هذا المعارض .

إن سورة « اقرأ » تصور معارضا لمظاهر الدين الجديد ، وكان أهم ماعارضه هو الصلاة .

أما سورة « المدثر » التى أمر الرسول فيها بالإنذار، كما سبق أن تحدثنا، فتصور معارضا من نوع آخر، يشترك مع الأول فى بسطة الرزق، كما يصفه القرآن بأن له عديدا من أن يأخذ بها المسلمون، وإنما هى صلاة يتقرب بها المطيع إلى الله، وربما كانت هذه الصلاة دعاء لله، واتجاها إليه، وتفكيرا فى عظمته وقدرته، وكانت هناك دعوة إلى ترك الآثام بوجه عام.

ولكن الذى عنى القرآن بإبرازه فى تلك المرحلة هو إبراز اليوم الآخر، وما فيه من جنة ونار، وجعل من أسباب دخول النار ترك الصلاة، وعدم العطف على المسكين. وكأن القرآن يبادر، فيجعل أساس هذا الدين حسن صلة المرء بربه، ويتمثل ذلك فى الصلاة، وحسن صلة المرء بمجتمعه، ويكون ذلك بالتعاطف بين أبناء المجتمع، فيعطف الغنى على الفقير.

وأظهر القرآن الرسول قويا بربه، ينصره ويؤيده، ويحاسب من يكذب به، تكذيبا لا يستند إلى حق، بل ينبنى على الطغيان والعناد، ولذا كثر الزجر « بكلا » فى السورتين.

إذاً فقد كانت ليلة القدر التى نزل فيها القرآن فاتحة عهد جديد للإنسانية، فيها بدأ ظهور الإسلام، وفيها بدأت رسالة محمد، وفيها وضع الأساس لمجابهة الشرك والطغيان، وفيها بدأ نور جديد يحاول أن ينشر السلام فى الأرض، وأن تسود فيها عدالة اجتماعية، وأن تكون الصلة بين الناس صلة حب وعطف

فلا غرو أن عظم القرآن تلك الليلة، وأن جعلها خيرا من ألف شهر؛ ولم لا تكون كذلك وقد نزلت فيها ملائكة الله بالقرآن إلى رسوله المختار، وسوف يكون فى القرآن بيان كل أمر من أمور الدين. ولم لا تكون كذلك وهى تحمل إلى العالم دعوة السلام، يقول الله سبحانه: « إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هى حتى مطلع الفجر ».

دكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

قال أبو الطمحان القينى:

وإنى من القوم الذين هم هم … إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب … بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود … تسير المنايا حيث سارت كتائبه

مفردات قرآنية :

التجارة فى القرآن

للأستاذ احمد الشرباصى

أصبحت النواحى الاقتصادية تشغل بال الناس فى الشرق والغرب ، وتستحوذ على أغلب اهتمامهم وعنايتهم ، فلو قلنا إن الصبغة الأساسية للمجتمعات الآن هى الصبغة الاقتصادية لما بعدنا عن تصوير الحقيقة والواقع . والتجارة هى عصب الشئون الاقتصادية وعمادها ، وللتجارة فى القرآن حديث يحسن أن نستمع إليه ، بعد أن نعرف معنى التجارة فى اللغة والاصطلاح .

يقول القرطبى: إن « التجارة فى اللغة عبارة عن المعارضة » ويقول أيضا : « اعلم أن كل معاوضة تجارة ، على أى وجه كان العوض » ويقول أيضا : « التجارة هى البيع والشراء » ويقول الراغب الأصفهانى : « التجارة التصرف فى رأس المال طلبا للربح » . ويقول الطبرسى : « التجارة التعرض للربح فى البيع » . ويقول الرازى : « التجارة عبارة عن التصرف فى المال سواء كان حاضرا أو فى الذمة ، لطلب الربح » . ويقول أيضا : « التجارة عبارة عن معاوضة الشىء بالشىء » . ويقول الزمخشرى : « والتجارة صناعة التاجر ، وهو الذى يبيع ويشترى للربح » [1] .

ونلاحظ ـ من ناحية الاستعمال اللغوى ـ أن كلا من كلمة « البيع » و « الشراء » تطلق بمعنى أختها ، فيقال : اشترى ، والمراد باع ، ويقال : باع ، والمراد اشترى ، ولعل السبب فى هذا أن كلا من البائع والمشترى يأخذ شيئا ويعطى فى مقابله شيئا فما أعطاه يكون ثمنا لما أخذه ، وما أخذه يكون أيضا ثمنا ومقابلا لما أعطاه ، والثمن اسم لما يأخذه البائع فى مقابلة المبيع عينا كان أو سلعة ، وكل ما يكون عوضا عن شىء فهو ثمنه .

لذلك قال ابن الأثير : « البيع بمعنى الشراء تقول: بعت الشىء بمعنى اشتريته » [2] وقال الراغب الأصفهانى : « الشراء والبيع يتلازمان ، فالمشترى دافع الثمن وآخذ المثمن

[١] انظر لمراجعة هذه التعريفات على التوالى : تفسير القرطبى ج ٥ ص ١٥١ و ١٥٢ . ومفردات القرآن ص ٧٢ . وتفسير الطبرسى ج ١ ص ٥٣ . وتفسير الرازى ج ٢ ص ٣٧٥ و ج ٨ ص ١٤٦ . وتفسير الكشاف ، ج ١ ص ٣٧ و ج ٣ ص ٧٨ .

[٢] النهاية لابن الأثير ، ج ١ ص ١٠٥ .

والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن (١) . هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض (أى ما كان عينا وله مادة) وسلعة ، أما إذا بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما مشتريا وبائعا ، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر ، وشريت (٢) بمعنى بعت أكثر ، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر» (٣)

وفى حديث الزبير بن العوام أنه قال لابنه عبد الله : « والله لا أشرى عملى بشىء ، وللدنيا أهون على من منحة ساحة (٤) » . فقوله : لا أشرى ، معناه لا أبيع (٥) . ومن ذلك قوله الله تبارك وتعالى عن يوسف : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » (٦) .

ومن المقررات المعلومة أن الإسلام دعا إلى العمل وحث عليه ، وجعله الصبغة الغالبة على المجتمع الإسلامى الفاضل ، والشعب الرئيسية للعمل هى: الزراعة والصناعة والتجارة ومما نلاحظه أن التجارة دخلا كبيرا فى الزراعة والصناعة ، بل إن القيام بعمليات الزراعة والصناعة يستلزم التعرض للتجارة أو الارتباط بها ، كما أن التجارة هى التى تحقق الثمرة المرجوة من نتائج الزراعة والصناعة ، ومن هنا تبدو أهمية التجارة ، ويبدو مدى تغلغلها فى ميادين العمل الأخرى .

ولو رجعنا إلى حديث القرآن الكريم عن التجارة لوجدناه يعرض علينا ثلاثة أنواع من التجارة ، منها ما هو حسى ، ومنها ما هو معنوى ، ومنها ما يلتقى فيه الحس بالمعنى ، والتجارة الأولى التى يعرضها القرآن هى تجارة الإنسان مع الإنسان ، والثانية هى تجارة الإنسان مع الرحمن ، والثالثة هى تجارة الإنسان مع الشيطان . ونفهم بسرعة فى أول الأمر أن تجارة الإنسان مع الإنسان مباحة فى أصلها ، وتجب على طائفة من الأمة على سبيل فرض الكفاية ، ولها ثمراتها وفوائدها ، ونفهم أن تجارة الإنسان مع الرحمن واجبة لازمة مطلوبة من كل مسلم ، وثوابها جليل وجزاؤها عظيم ، ونفهم أن تجارة الإنسان مع الشيطان محرمة ممنوعة لا يجوز لأى مسلم أن يباشرها أو يقترب منها ، وهى تؤدى إلى أسوأ النتائج وأوخم العواقب .

---

(١) وفى معجم مقاييس اللغة لابن زكريا : « الثمن عوض ما يباع » . ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) يقول ابن قتيبة فى كتابه تفسير غريب القرآن عن كلمة (اشترى) : وهذا حرف من الأضداد ، ص ٣١٤ وانظر أيضا الأضداد لابن الأنبارى ص ٥٩ و ٦١ .

(٣) المفردات للراغب ص ، ٣٦١ .

(٤) أى شاة ممتلئة سمنا ، النهاية ج ٢ ص ١٤٩ .

(٥) النهاية ج ٢ ص ٢١٨ .

(٦) سورة يوسف ، آية ٢٠

ونعود إلى تجارة الإنسان مع الإنسان فنقرر أن الأصل فيها الإباحة ، بدليل قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا [١] » ، والبيع أحد طرفى التجارة الأساسيين ، وبدليل قوله تعالى أيضا فى آية المداينة : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم » [٢] .

ويقول الله تعالى : « يا أيها الذى آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما [٣] » . فى هذه الآية ينهى الله تعالى عباده عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل ، أى بأنواع المكاسب التى ليست مشروعة كالربا والقمار وما جرى مجراهما من صنوف الحيل ، فيجب عليهم أن يمتنعوا عن اتباع الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، ولكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى ، فلا بأس فى إتيانها والتسبب بها لتحصيل المكاسب ، ولا تقتلوا أنفسكم أى بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل [٤] .

[١] سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .
[٢] سووة البقرة ، آية ٢٨٢ .
[٣] سورة النساء ، آية ٢٩ .
[٤] تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٨٠ .

وفى تفسير المنار عن هذه الآية : « والمعنى : لا تقصدوا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ولكن اقصدوا أن تربحوا بالتجارة التى تكون صادرة عن التراضى منكم ، وتخصيصها بالذكر دون سائر أسباب الملك لكونها أكثر وقوعا ، وأوفق لذوى المروءات [١] » .

ولكن التجارة تصبح « فرض كفاية » فى الأمة ، لأنها تحتاج إليها ، وتفسد أمور الناس إذا أهملوا التجارة ، فإذا لم يقم بها بعضهم أثموا جميعا ، وإذا قام بها البعض سقطت التبعة عن الجميع ، وهذا حجة الإسلام الغزالى يقول : « الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق ، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل ، وتكفل كل فريق بعمل ، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا ، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم : (اختلاف أمتى رحمة) أى اختلاف هممهم فى الصناعات والحرف » [٢] .

وهذا النص له أهمية كبرى فى عصرنا الحاضر لأن العصر الحاضر يأخذ بمبدأ « التخطيط » فى كثير من الدول ، وأساس التخطيط هو أن تتوزع الهمم والطاقات على مختلف الحرف والصناعات ، حتى يتحقق التكامل الاقتصادى

[١] تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤١ .
[٢] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٧٦ .

وحتى تستطيع الدولة أن توجد ما تحتاج إليه وأن تقف فى وجه ما لا تحتاج إليه أو ما يضر اقتصادها ومجتمعها ، ولذلك تفسح الدولة المجال أمام صناعات معينة أو حرف بذاتها ، لأنها محتاجة إليها ، وتسد الطريق على صناعات أخرى ، لأنها متوافرة عندها أو هى غير محتاجة إليها . فلو تركت الأمر بدون تخطيط ، لكانت النتيجة أحيانا أن يتكاثر صنف لا نحتاج إليه فيكسد ويبور وتضيع فيه جهود وطاقات ، وأن يقل صنف أو ينعدم مع شدة حاجتنا إليه ، وفى ضوء هذا التفسير العاجل للتخطيط ندرك ألمعية الغزالى المتوفى سنة خمس وخمسمائة ، فى عبارته السابقة حينما أشار إلى وجوب توزيع الناس وهممهم فى المجتمع على الصناعات والحرف المختلفة ، بل ندرك ما فى حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة ، ومافى تفسيره السابق من براعة وذكاء ، فلولا اختلاف الناس فى مذاهب العمل ومسالك الحياة لتعطلت شئون وفسدت للمعايش وجوه وأسباب !.

وللتجارة فى الإسلام – مع هذا – فضل ومكانة :

جاء فى كتاب « الخراج » ليحيى بن آدم القرشى : أخبرنا إسماعيل قال حدثنا الحسن قال حدثنا يحيى قال حدثنا عبد السلام ابن حرب وابن مبارك عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله عز وجل : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » قال : من التجارة .

وقال يحيى : حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » قال : من التجارة « ومما أخرجنا لكم من الأرض » قال النخل [1] .

ونفهم من هذين النصين أن ما يأتى من رزق عن طريق التجارة يكون كسبا طيبا محمودا ، وذلك لأنها تتضمن مجهودا يبذله صاحبها من جهة ، وفيها تيسير للمطالب وحاجات الناس من جهة أخرى . فيكون القيام بها أمرا محمودا ويكون كسبها جميلا .

وإذا انتقلنا إلى روضة السنة النبوية المطهرة وجدنا فيها طائفة من الأحاديث تنوه بشأن التجارة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق). ولعل الزمخشرى قد فسر هذا الحديث حينما قال : « إن أكثر أسباب الرزق متعلق بالتجارة » [2] .

---

[1] كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ١٣٢ وفى رواية أخرى : «من الثمار» بدل النخل ذكر ذلك السيوطى فى الدر ، جـ ١ ص ٣٤١ . والآية فى سورة البقرة رقم ٢٦٧ .

[2] تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٦٤ .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) وفى رواية : (التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة) [١]

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى » وقال قتادة : « التجارة رزق من رزق الله ، وحلال من حلال الله ، لمن طلبها بصدقها وبرها ، وقد كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة فى ظل العرش يوم القيامة » [٢] . وقال الحسن البصرى : « الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها » . والغزالى يروى هذا النص على أنه حديث نبوى [٣] .

وقد يقال إن هناك نصوصا دينية تطعن التاجر وتحمل عليه ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [٤] » ، وكقوله : « إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق » .

يقول ابن الأثير إنه سماهم فجاراً لما فى المال من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذى لا يتحاشاه أكثرهم ولا يفطنون له [١] .

ويجاب بأن أمثال هذه الأحاديث النبوية لا يراد منها ذم التجارة من حيث إنها تجارة ، ولا يراد منها تعميم الحكم بالسوء على كل تاجر ، وإنما هى تحذير من الانحراف فيها أو الانحراف بها عن سواء السبيل ، بدليل أن النبي قد قال : « إلا من اتقى الله وبر وصدق » ، وقد سبقت أحاديث فى فضل التجارة وحمد التاجر القويم ، فيكون التوفيق بين نصوص المدح ونصوص الذم أن يقال إن التجارة عمل شريف ، وإن التاجر المستقيم رجل محمود مثاب ، ولا يتعرض للعقاب هنا إلا من انحرف أو اعتسف أو أسرف ، فمال بالتجارة إلى مذموم أو حرام .

وقد قالوا إن التجارة المذمومة فى نظر الإسلام هى ما استغنى عنها صاحبها ، ومع ذلك أصر على الاشتغال بها ـ لا لمنفعة من منافع العباد المشروعة أو المطلوبة ـ بل سعيا

---

[١] تفسير القرطبى ، ج ٥ ص ١٥٦ .
[٢] تفسير الطبرى ، ٥ ص ٣٢ طبعة الحلبى .
[٣] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٥٧ .
[٤] الحديث رواه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

[١] النهاية فى غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٩ و ١١٠ .

للجمع والكنز ، دون صرف فى الخيرات والصدقات ، لأنها تكون حينئذ من باب الحرص الكريه على الدنيا ، فإذا دخلها بعد هذا الغش والربا والتطفيف ونحوه كانت سوءاً على سوء ، وبلاء فوق بلاء .

وللإمام الغزالى فى هذا المجال مقال ضمن حديثه عن التجارة فى كتابه « الإحياء » يقول : « فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم : (ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، وقيل لسلمان الفارسى : أوصنا ، فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجراً ولا خائنا .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال ، فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقا من كل شىء ، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية ، فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره . لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات ، فهى مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة (١) ، فإن كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق ، وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا خائنا ، وأراد بالتاجر طالب الزيادة ، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل ، لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره ، فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات (١) أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع به الناس فى دينهم ، كالمفتى والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضى والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ، ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعا لهذه المعانى إلى زيادات لا يحيط بها الوصف .

[١] ينبغى أن يراد من الحب هنا ما كان مشتطا أو منحرفا .

[١] قد نتوقف فى موافقة الغزالى هنا موافقة مطلقة.

ولهذا أشار الصحابة على أبى بكر رضى الله عنهم بترك التجارة ، لما ولى الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى ، ثم لما توفى أوصى برده إلى بيت المال . ولكنه رآه فى الابتداء أولى » .

ولو رجعنا إلى تاريخ هذه الأمة المؤمنة لوجدنا أن التجارة كانت عملا شريفا يقوم بها أئمتها . ويرون فيه خيرا وفضلا . ورسول الله عليه الصلاة والسلام قد تاجر قبل الرسالة فى مال خديجة ، وهذا أبو بكر قد تاجر ، وغيره من الخلفاء والصحابة والأئمة قد تاجروا ، حتى قال الغزالى فى مجال حديثه السابق : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ، ويعملون فى نخيلهم ، والقدوة بهم » .

فللتجارة فى الإسلام إذن شأنها ومكانها ، ولا تعاب إلا إذا خرجت عن سواء السبيل ، وأما إذا استقامت كانت ركنا من أركان هذا المجتمع المؤمن . « للبحث صلة »

أحمد الشرباصى

(بقية المنشور على صفحة ١٣٥٥)

هو السماع والتلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد غلط بعض الباحثين حين نسب إلى بعض الصحابة ومنهم ابن مسعود قراءة كلمات من القرآن بالتشهى فى اختيار المرادف ولو لم يكن مسموعا له . . وفى هذا يقول ابن الجزرى :

« وأما من يقول : إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز قراءة القرآن بالمعنى فقد كذب عليه لأنه روى عنه قوله : « نظرت القراءات فوجدتها متقاربة ، فاقرءوا كما علمتم » نعم . . إنهم كانوا يقحمون التفسير فى غضون كلمات القرآن لأنهم فى ذلك العصر كانوا فى أمن من الالتباس لقرب العهد ، وشدة العناية والضبط . . لكن ابن مسعود كان من رأيه كراهة هذا الصنيع ، وقال قولته المأثورة : « جردوا المصاحف » وفى رواية « جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه » ، وعلى هذا فما نسب إلى ابن مسعود من أنه كان يقرأ « للذين آمنوا انظرونا أمهلونا أخرونا » ، وأنه أقرأ رجلا يوما : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » فقال الرجل : طعام اليتيم . فردها عليه فلم يستقم لسانه بها . . حتى قال له : أتستطيع أن تقول . طعام الفاجر . . قال نعم ، قال : فافعل ، كل هذا وأمثاله محمول على سنة الترسم لقراءات الرسول ، ولا ينبغى أن يقال غير ذلك بالنسبة إلى الرجل الذى أمر بتنزيه القرآن عما ليس منه .

محمد محمد الشرقاوى

نهجُ البُردة فى شعر البارودى

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

من يوم أن ظهرت قصيدة « البردة » للإمام البوصيرى [١] فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى قبلة الكثيرين من شعراء العروبة إلى يومنا هذا ؛ قد اتخذوا من موضوعها ، وبحرها ، وقافيتها ، نبراسا ينسجون على منواله ، على تفاوت بينهم فى استيفاء موضوعات السيرة النبوية ، وعدد الأبيات ، والأسلوب ، وتضمين المعارف الإسلامية ، والمقدرة على التصوير .

وفى شعرنا الحديث ، كثير من القصائد قد نحا الشعراء فيها منحى البوصيرى ، مثل : « نهج البردة » للمرحوم أحمد شوقى ، وهى تلك القصيدة الكبرى التى نظمها عام ١٩٠٩ ، وأهداها للخديو عباس بمناسبة حجة فى ذلك العام . ومما يذكر لشوقى بالفضل فى هذا المقام أنه لم يشر إلى مدح عباس فى هذه القصيدة على طولها إذ بلغت أبياتها تسعين ومائة بيت ، فى حين أن الشعراء حينذاك كانوا ينتهزون فرصة المناسبات الدينية المختلفة لينفذوا إلى مدح الولاة والحاكمين ، وشوقى نفسه كان معروفا بأنه شاعر القصر وله الكثير فى مدح السلاطين وأمراء البيت الحاكم . ولقد كان لخلو هذه القصيدة من أى مدح إلا للرسول الكريم ، ثم ما تضمنته من دفاع عن الإسلام ، وإبراز لمزاياه . . أكبر الأثر فى ذيوعها وشهرتها ، ولا سيما بعد أن صارت ألحانا ترددها أم كلثوم على موجات الأثير .

وهناك « ظل البردة » للمرحوم محمد عبد المطلب من ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، و « بردة محفوظ » الشاعر أحمد محفوظ من مائتى بيت وبيت ، و « وُقربَى » للشاعر محمود جبر شاعر آل البيت من تسعة وخمسين ومائة بيت . . إلى غير ذلك .

---

[١] هو الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيرى ، أو الأباصيرى . توفى عام ٦٩٥ هـ فى عصر المماليك . ومن أهم الأسباب التى ضمنت لهذه القصيدة الذيوع والخلود ، هو ما روى عن مناسبة إنشادها : ذلك أن البوصيرى رأى النبى عليه الصلاة والسلام فى منامه وقد خلع عليه بردته الشريفة ، فكان ذلك سببا فى إبرائه من علة مزمنة — ولذلك تسمى قصيدته أيضا : البرأة — فاستيقظ وهو أصفى ما يكون نفسا ، فأنشأ هذه الدرة الخالدة .

ولقد سبق البارودى (١) رحمه الله تعالى سائر شعراء عصرنا الحديث فى هذا المضمار، إذ أنشأ قصيدة كبرى على نهج بردة البوصيرى، تكاد تكون ملحمة مستقلة، إذ بلغت أبياتها سبعة وأربعين وأربعمائة بيت، سماها: «كشف الغمة، فى مدح سيد الأمة». وهى ليست بالديوان المطبوع، لأن جامعى هذا الديوان قد رتبوه أبجديا بحسب القوافى، وآخر ما وصل إليه الجزء الثانى هو حرف «الكاف» (٢).

تضمنت هذه القصيدة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من حين مولده الشريف، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد توسع البارودى فى كثير مما أجمله البوصيرى، وأكمل بعض الموضوعات التى لم يذكرها سلفه مثل الهجرة إلى الحبشة، وبيعة الأنصار، والوفود التى تدفقت على المدينة مسلمة مبايعة بعد فتح مكة.

وقد جعل البارودى لهذه القصيدة مقدمة قال فيها:

«حمداً لله لذاته آية الإيمان والإخلاص. والصلاة والسلام على النبى الأمى، وآله، محجبة الخلاص. وبعد: فهذه قصيدة ضمنتها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم، إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه، وقد بنيتها على سيرة ابن هشام، وسميتها: «كشف الغمة، فى مدح سيد الأمة». ورغبتى إلى الله أن تكون لى ذريعة أمت بها يوم المعاد وسلما إلى النجاة من هول المحشر. اللهم حقق رغبتى إليك، واكسها بفضلك رونق القبول آمين».

ولم أعثر فيما قرأت من مراجع عن البارودى على إشارة ما تبين تاريخ إنشاء هذه القصيدة، وأكثر الذين كتبوا عن هذا الشاعر العظيم لم يشيروا إليها فى قليل ولا كثير. لذلك عولت على استنباط الفترة التى أنشئت فيها من نفس أبياتها، غير أنى لم أصل إلى نتيجة حاسمة فى ذلك.

فللبارودى أشعار تمثل أطوار حياته وقت صباه وشبابه، قبل أن يدخل معترك السياسة، وأشعار تمثل طور كهولته، حين انخرط فى عداد المحاربين ثم الوزراء، وأشعار تمثل طور شيخوخته فى منفاه.

وقد ذكر فى بعض أبياتها ـ حين أخذ يتوسل إلى النبى عليه الصلاة والسلام ما يفيد أنه أنشأها فى أخريات عهد الشباب ـ:

---

[١] هو محمود سامى بن حسن حسنى بك أمير المدفعية فى عهد محمد على. وجده لأبيه عبد الله بك الجركسى ولد عام ١٨٣٤ وتوفى عام ١٩٠٤. والبارودى نسبة لإيتاى البارود إذ كان أحد أجداده ملتزما بها. والبارودى صاحب الفضل فى بعث شعرنا الحديث، ومدرسته تعتبر أولى مدارس التجديد.

[٢] مطبوعة مستقلة عام ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م بمطبعته الجديدة.

هذى مناى ، وحسبى أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والهرم

ولكنه عاد بعد ذلك فقال :

شكوت بثى إلى ربى لينصفنى
من كل باغ عتيد الجور ، أو هكم

وكيف أرهب حيفا وهو منتقم
يخافه كل جبار ومنتقم

لا غرو إن نلت ما أملت منه فقد
أنزلت معظم آمالى بذى كرم

يامالك الملك : هب لى منك مغفرة
تمحو ذنوبى غداة الخوف والندم

وقد تشير هذه الأبيات إلى أنه قالها فى المنفى . وكيفما كان الأمر فإن القصيدة فى مجموعها توحى إلى أنه أنشأها فى مرحلة متأخرة من حياته إذ أنها تضمنت كثيرا من الحكم ، والإشارات إلى أحداث الزمن وشماتة الحساد ، والاستعداد ليوم الرحيل والحساب ...

ولما كان البارودى من أصل شركسى ، ولم يمت إلى العروبة بصلة النسب ، فإنه اتخذ من إيمانه وحبه للرسول الكريم وسيلة ينتسب بها إليه أسوة بسلمان الفارسى ، فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال عن سلمان - وهو فارسى - « سلمان منا أهل البيت » ، ولم يستأهل سلمان هذا الشرف إلا لإيمانه ومحبته للرسول الكريم ، فما على البارودى إذاً أن يقتدى به فى التماس شرف الانتساب ؟ قال :

ياسيد الكون : عفواً إن أثمت ، فلى
بحبكم صلة تغنى عن الرحم

كفى بسلمان لى فخراً إذا انتسبت
نفسى لكم مثله فى زمرة الحشم

ونعرض الآن هذه القصيدة القيمة عرضا سريعا :

بدأ القصيدة بمقدمة غزلية من ثلاثة وعشرين بيتا ، ومطلعها :

يا رائد البرق : يمم دارة العلم
واحدُ الغمام إلى حى بذى سلم

وإن مررت على الروحاء ، فامر لها
أخلاف سارية هتانة الديم

ثم يذكر ما كان من كرامات سبقت مولد النبي فى ثلاثة عشر بيتا ، ينتقل بعدها إلى ذكر المولد الشريف ثم الرضاع وشق الصدر والرحلة إلى الشام وزواجه من خديجة فى ستين بيتا ومنها :

ومذ أتى لوضع ، وهو الرفع منزلة
جاءت بروح بنور الله متسم

ضاءت به غرة الاثنين ، وابتسمت
عن حسنه فى ربيع روضةُ الحرم

وأرضعته - ولم تيأس حليمة - من
قول المراضع : إن البؤس فى اليتم

ثم انتقل إلى بدء الرسالة ونزول الوحى فى اثنين وعشرين بيتا ومنها :

وحين أدرك سن الأربعين وما
من قبله مبلغ للعلم والحكم
حياه ذو العرش برهانا أراه به
آيات حكمته فى عالم الحلم

ونلاحظ فى هذه الأبيات تأثر الشاعر بالسرد التاريخى ، وتفصيل الأحداث مما يجعل قوة الشاعرية تفتر بعض الشىء .

وبعد أن تحدث عن هجرة الحبشة ، وما كان من أمر صحيفة قريش فى واحد وعشرين بيتاً ، انتقل إلى الإسراء والمعراج فى اثنى عشر بيتا ومنها :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى
ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتَم

ولكن أين هذا من بيت البوصيرى :

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلَم

وبعد ذلك ينتقل إلى دعوة الأنصار وبيعتهم وموقف قريش من ذلك فى أربعة وعشرين بيتا ، ومن ذلك :

ولم يزل سيد الكونين منتصبا
لدعوة الدين لم يفتر ولم يجم
يستقبل الناس فى بدو وحاضرة
وينشر الدين فى سهل وفى علم
حتى استجابت له الأنصار واعتصموا
بحبله عن تراض خير معتصم
فاستكملت بهم الدنيا نضارتها
وأصبح الدين فى جمع بهم تمم

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الهجرة وأحداثها ، ثم مسجد قباء ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى اثنين وأربعين بيتا .

ونقف قليلا عند أبيات الهجرة لما فيها من طرافة ودقة فى الوصف ونكتفى بذكر وصف غار ثور إذ استغرق وحده ستة عشر بيتا :

وجاءه الإذن إيذانا بهجرته
فيمم الغار بالصديق فى الغَسَم
فما استقر به حتى تبوأه
من الحمائم زوج بارع الرنم
بنى به عشه ، واحتله سكنا
يأوى إليه غداة الريح والرهم
إلفان ، ما جمّع المقدور بينهما
إلا لأمر بصدر الغار مكتتم
كلاهما ديدبان فوق مربأة
يرعى المسالك من بعد ولم ينم
إن حن هذا غراما أو دعا طربا
باسم الهديل ، أجابت تلك بالنغم
يخالها من يراها وهى جاثمة
فى وكرها ، كرة ملساء من أدَم
إن رفرفت سكنت ظلا ، وإن هبطت
روت غليل الصدى من حائر شبم

مرموقة الجيد من مسك وغالية
مخضوبة الساق، والكفين بالعنم
كأنما شرعت فى قانئ سرب
من أدمعى، فغدت محمرة القدم

* * *

وسجف العنكبوت الغار مختفيا
بخيمة حاكها من أبدع الخيم
قد شد أطنابها، فاستحكمت ورست
بالأرض، لكنها قامت بلا دَعَم
كأنها سابرىٌّ حاكه لبقٌ
بأرض سابور فى بحبوحة العجم
وارت فم الغار عن عين تُلم به
فصار يحكى خفاء وجه ملتثم
فياله من ستار دونه قمر
يجلو البصائر من ظُلْم، ومن ظُلَمَ
فظل فيه رسول الله معتكفا
كالدر فى البحر، أو كالشمس فى القسم

هذا هو تصوير البارودى للغار وتظليل العنكبوت وتعشيش الحمام، وكأنى بالبارودى هنا يصور الاستعدادات العسكرية التى تسبق المعركة، فهو يذكر الديدبان يحرس المسالك من فوق مرتقع، ثم يتحدث عن الخيمة تشد أطنابها حتى لتبدو كأنها بنيان راسخ الأسس. كما نراه يصور ما فى بيئة الأغنياء من مظاهر الترف من مسك وخضاب وحرير. ومجالس طرب. وقد صرفت هذه العناية بالوصف البارودى عن الاهتمام بما فى هذا المقام من عبرة، وما كان من موقف أبى بكر فى اقتداء الرسول بنفسه حين خرجت عليهما حية فاتكة.

نعم: لقد أحسن البارودى فى هذا التفصيل وأبرز صورة فنية رائعة المشهد، غير أنه إن فاق البوصيرى فى هذا التصوير فإن البوصيرى قد فاقه فى سمو المعنى عندما تحدث عن هذا الأمر مع أنه لم يزد على أربعة أبيات:

قال البوصيرى:

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع، وعن عال من الأطم

وقد حاول الشيخ محمد عبد المطلب أن يحاكى البيت الأخير من هذه الأبيات الأربعة فلم يدرك. وذلك حينما قال:

من يحمه الله ساوَى فى حمايته
فعلَ الجمادات فعلُ الناس والبهم

ثم ينتقل البارودى بعد ذلك إلى ذكر السرايا والغزوات، فيذكرها جميعا فى ثلاثة

وثلاثين ومائة بيت ، مجملا حينا ، ومفصلا حينا آخر ، من أول غزوة « وُدّان » أو الأبواء ، إلى غزوة تبوك آخر غزواته صلى الله عليه وسلم :

هذا ، وقد فرض الله الجهاد على
رسوله ، ليبُثَّ الدين فى الأمم

فكان أول غزو سار فيه إلى
« ودان » ثم أتى فى غير مصطدَم

ثم استمرت سرايا الدين سابحة
بالخيل جامحة ، اشتد باللجم

إلى أن يقول :

وحين أوفى على وادى تبوك سعى
إليه ساكنُها طوعا بلا رَغَم

ثم ينتقل إلى ذكر الوفود التى جاءت إلى المدينة بعد الفتح ؛ ثم البعوث والرسائل إلى الملوك :

وأمَّ طيبة مسروراً بعودته
يطوى المنازل بالوَخادة الرُّسُم

ثم استهلت وفود الناس قاطبة
إلى حماه ، فلاقت وافر الكرم

فكان عام وفود : كلما انصرفت
عصابة أقبلت أخرى على قدم

وأرسل الرسل تترى للملوك بما
فيه بلاغ لأهل الذكر والفهم

إلى أن يختم موضوعات القصيدة بالتوسل وطلب الشفاعة ، ومن ذلك :

فهذه الغزوات الغُرّ شاملة
جمع البعوث ، كدرّ لاح فى نظم

جمعتها راجياً نيل الشفاعة من
خير البرايا ، ومولى العرب والعجم

هو النبى الذى لولاه ما قبلت
رجاة آدم لما زل فى القدم

حسبى بطلعته الغراء مفخرة
لما التقيت به فى عالم الحُلُم

* * *

وبعد : فتلك هى إحدى غرر البارودى ، وهى على أهميتها ما تزال مجهولة من كثير من أدبائنا ونقادنا المعاصرين على كثرة ما تناولوا من دراسات فى أدب البارودى .

ولنا بعد هذا العرض السريع بعض الملحوظات :

١ - لم يصرح البارودى بأخذه عن البوصيرى كما فعل شوقى فى « نهج البردة » ولكن مع هذا نجد وحدة الموضوع والبحر والقافية والاشتراك فى روح كثير من الآيات ، فالبوصيرى يقول فى فضل النبى عليه الصلاة والسلام ورجاء شفاعته :

إن لم يكن فى معادى آخذاً بيدى
فضلا ، وإلا فقل : يا زلة القدم

والبارودى يقول فى ذلك :

هو النبى الذى لولاه ما قبلت
رجاة آدم لما زل فى القدم

ويقول البوصيرى :

إن آت ذنبا ، فما عهدى بمنتقض

من النبى ، ولا حبلى بمنصرم

ويقول البارودى :

ياسيد الرسل: عفواً إن أثمت فلى

بحبكم صلة موصولة الرحم

٢ ـ كثيراً ما كان يعمد البارودى إلى إرسال الحكمة عقب ذكر الأحداث ، فمثلا نجده بعد وصف إيذاء قريش للنبى عليه الصلاة والسلام ، وما كان من كيد أبى جهل يقول :

لا يسلم القلب من غل ألم به

ينقى الأديم ، ويبقى موضع الحلم

والحقد كالنار ، إن أخفيته ظهرت

منه علائم فوق الوجه كالحمم

لا يبصر الحق من جهل أحاط به

وكيف يبصر نور الحق وهو عم ؟

٣ ـ كشفت الأبيات عن عقيدة سليمة فيما يتعلق بالحساب والجزاء والخير والشر :

كل امرئ واجد ما قدمت يده

إذا استوى قائما من هوة الأدم

والخير والشر فى الدنيا مكافأة

والنفس مسئولة عن كل مجترم

فلا ينم ظالم عما جنت يده

على العباد ، فعين الله لم تنم

٤ ـ ولما كانت هذه القصيدة تعالج موضوعا تاريخيا يقيد انطلاق الشاعر أحيانا ، كان لا بد أن نجد من بعض الأبيات ما يكاد يكون مجرد نظم مثل :

فبينما هو يرعى البهم طاف به

شخصان من ملكوت الله ذى العظم

، هذا . وقد فرض الله الجهاد على

رسوله ، ليبث الدين فى الأمم

، هذا . وقد فرض الله الصلاة على

عباده ، وهدام واضح اللقم

٥ ـ تصور هذه القصيدة مدى سعة اطلاع البارودى على التاريخ الإسلامى ودراسته لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومقدرته الفنية على التصوير وتأثره بحياته العسكرية .

ولقد كانت هذه القصيدة من أوائل المطولات الإسلامية فى شعرنا الحديث ، ولا غرابة فى ذلك ، فإن شعر البارودى بعامة يعتبر نقطة تحول فى الشعر المصرى الحديث .

ونرجو أن تتاح فرصة أخرى للموازنة بين هذه القصيدة وقصيدتى شوقى وعبد المطلب لبيان خصائص كل منهم فى هذا المضمار مع بيان ما بين البارودى وصاحبيه من تغير الزمن وتطور الأحداث .

وفقنا الله إلى الصواب ؟

دكتور سعد الدين الجيزاوى

دراسات فى علم المعنى
« السيمانتيك »
للدكتور كمال بشر

علم المعنى فى الدراسات اللغوية

— ٣ —

لم يعد علماء اللغة المعاصرون يشغلون بالهم بتوجيه أنظار الناس إلى أهمية علم المعنى ، أو ترويج بضاعته فى البيئات اللغوية ، فذلك أمر قد فرغوا منه منذ أمد بعيد ، وصار الكلام فيه ضربا من فضول القول ، ونوعا من الإسراف فيه ، أما ما يشغل بالهم اليوم فيتمثل فى الإجابة عن السؤالين التاليين :

١ — هل مشكلات المعنى وقضاياه جديرة أن تفرد لها بحوث خاصة تقوم بدراستها وتحليلها تحليلا دقيقا ، يرقى إلى مستوى التحليل العلمى ؟

٢ — وإذا كانت هذه المشكلات وتلك القضايا تستحق هذه البحوث الخاصة ، فما « مكانة » هذه البحوث فى الدراسات اللغوية أو ما « منزلتها » بالنسبة للفروع الأخرى فى علم اللغة الحديث ؟ .

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول ، فإن بعض اللغويين فى الوقت الحاضر لا يزالون يتبعون العرف القديم الذى كان يجرى على تقسيم علم اللغة إلى فروع ثلاثة فقط هى :

(١) علم الأصوات التنظيمى phonology [1]

---

[١] نلاحظ أن هؤلاء اللغويين قد اقتصروا على « علم الأصوات التنظيمى » phonology ، ولم يذكروا « علم الأصوات العام » phonetics فى هذا التقسيم الذى اختاروه . وهذا المنهج فى الواقع إنما يتمشى مع رأى القائلين بالتفريق بين ما سموه « اللغة » language وما سموه « الكلام » speech . وعندهم أن اللغة عبارة عن مجموعة القوانين والنظم اللغوية المخزونة فى ذهن الجماعة التى تملك هذه اللغة . أما الكلام فى رأيهم فهو الأحداث اللغوية الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد وقت الكلام الفعلى نفسه . وتمشيا مع مذهبهم هذا ، رأى هؤلاء القوم ومن سلك مسلكهم أن « علم الأصوات العام » phonetics إنما يختص بدراسة أصوات « الكلام » أما « علم الأصوات التنظيمى » phonology فهو خاص بدراسة الحقائق والنظم الصوتية للغة . (يتبع)

(٢) علم الصرف morphology .

(٣) علم النحو syntax .

ومن الواضح أن هذا الاتجاه قد أهمل مشكلات المعنى اللغوى إهمالا تاما ، وأغلق دونها أبواب الدراسات اللغوية ، أو على الأقل ، يمكن القول بأن هؤلاء العلماء قد قللوا من قيمة هذه المشكلات وهونوا من شأنها ، إذ ضنوا عليها ولم يفردوا لها بحوثا خاصة تقوم على معالجتها ، وتتوافر على دراستها دراسة علمية ذات منهج خاص ، وكل ما فعله هؤلاء — أو بعبارة أدق — كل ما فعله نفر قليل منهم أنهم قنعوا بالتعرض « للمعنى اللغوى » تعرضا خفيفا فى مناقشات متناثرة هنا وهناك فيما قاموا به من بحوث عامة ، كما حدث فعلا فى ذلك البحث الذى دبجه الأستاذ « رايسج » خاصا بعلم اللغة اللاتينية ، حيث كان يعرج من آن إلى آخر على مشكلات المعنى فى أثناء دراسته لقواعد هذه اللغة .

على أن افتراض أن هؤلاء العلماء قد اكتفوا بما يجرى فى المعجمات من دراسة معانى مفردات اللغة — هذا الافتراض لا يشفع لهم ولا يعفيهم من النقد . وذلك لسببين اثنين أولهما : أن دراسة « المعنى » بالمفهوم الذى يرتضيه اللغويون المعاصرون دراسة أشمل وأعمق مما تقوم به المعجمات من تفسير عام سطحى لمعانى المفردات والألفاظ . وحقيقة الأمر أن دراسة المعنى على مستوى المعجم إن هى إلا جزء أو جانب واحد فقط من جوانب دراسات المعنى . بل إن بعض الدارسين المحققين — أمثال فيرث وغيره — يذهبون إلى أن بحوث المعنى على مستوى المعجم لها فرع مستقل من فروع علم اللغة : فرع تختلف مبادئ الدراسة وأسس البحث فيه عن مبادئ وأسس ذلك الفرع الذى اختص بدراسة « المعنى » بالمفهوم الجديد الذى أشاروا إليه بالمصطلح المشهور ، « السيمانتيك » la sémantique

---

وهذا هو سر اقتصار هذا النفر من اللغويين على هذا العلم الأخير ، وإهمالهم العلم الأول فى تقسيمهم المذكور ؛ إذهم بصدد ذكر فروع ذلك العلم العام الذى وظيفته البحث فى « اللغة » لا « الكلام » . أما التفريق بين علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمى — على حسب ما يفهم من كلام أصحاب هذا الرأى ، وعلى حسب ما يتمشى مع مذهبهم فى الفرق بين اللغة والكلام — فهو أن الأول إنما يدرس الأصوات اللغوية من حيث كونها أحداثا فعلية حقيقية ، معتمدا فى ذلك على الناحيتين المادية والميكانيكية للأصوات ، وذلك بطريق وصفها من حيث نطقها ومخارجها وتأثيرها على السمع . أما الثانى — وهو علم الأصوات التنظيمى — فوظيفته تنظيم هذه الأحداث الصوتية وإخضاعها لقوانين عامة ، مراعيا فى ذلك الآثار والصور الذهنية التى تطبعها الأحداث الفعلية للأصوات وتتركها فى الذهن .

السبب الثانى : قد نقبل من هؤلاء القوم اكتفاءهم بدراسة المعنى فى المعجمات وما إليها ولكننا مع ذلك نوجه إليهم النقد من جهة أخرى وهى إهمالهم للمعجمات وصناعتها ، فهم لم يعدوها من فروع علم اللغة . مخالفين بذلك ما سار عليه أكثر اللغويين فى الوقت الحاضر

كل هذه المآخذ وغيرها قد وعتها الأغلبية الساحقة من علماء اللغة ، وتحاشوا الوقوع فيها ، ومن ثم استقر الرأى فيما بينهم على جدارة المعنى ومشكلاته بدراسة مستقلة ، وأفردوا له منهجا خاصا فى الدراسات اللغوية ، ذلك المنهج هو ما اتفقوا على تسميته « بالسيمانتيك » أو علم المعنى . غير أن هؤلاء اللغويين اختلفوا فيما بينهم على درجة الأهمية التى يستحقها هذا المنهج ، وعلى « منزله » من فروع علم اللغة الأخرى وسوف نحاول فى السطور التالية أن نبين أشهر الآراء فى هذه النقطة الأخيرة ولعلنا نخلص من ذلك إلى الإجابة عن السؤال الثانى المذكور فيما سبق .

يرى الأستاذ « جراى » Gray أن اللغة لها جانبان جانب عضوى أو ميكانيكى physiological or mechanical ، وجانب نفسى أو غير ميكانيكى psychological or non - mechanical . فالجانب الأول يقابله فرعان من فروع علم اللغة هما : علم الأصوات التنظيمى [١] ، وعلم الصرف . أما الجانب الثانى — وهو الجانب النفسى أو غير الميكانيكى — فيقابله النحو وعلم المعنى ، ثم يضيف جراى إلى هذه الفروع الأربعة فرعا خامسا هو « علم تاريخ الكلمات وأصولها » etymology .

---

[١] يتضح من هذا التقسيم أن « جراى » قد اتفق مع أصحاب الرأى السابق فى الاقتصار على علم « الأصوات التنظيمى » phonology وإخراج « علم الأصوات العام » phonetics من فروع علم اللغة وفى هذا ما يشير إلى أنه يسلك مسلك القائلين بالتفريق بين « اللغة » و « الكلام » ذلك التفريق الذى يستتبع تخصيص أحد علمى الأصوات باللغة والآخر بالكلام . انظر ص(١٣٧٧) الملحوظة (١) . على أن نظرة جراى إلى جوانب اللغة توجب عليه أن يعكس القضية ، فالمناسب للجانب الآلى أو الميكانيكى للغة إنما هو علم الأصوات العام لا علم الأصوات التنظيمى ، إذ أن الأول هو الذى يدرس الأصوات من الناحية الآلية والميكانيكية . أما الثانى فيدرس وحداتها وصورها الذهنية وهذا ما صرح به فعلا كثير من أتباع مذهب التفريق بين اللغة والكلام ، وهذا التفريق هو أساس هذه النظرة إلى علمى الأصوات ومع ذلك ، من الجائز أن يكون جراى قد استعمل المصطلح phonology (علم الأصوات التنظيمى) مكان المصطلح phonetics (علم الأصوات العام) وهذا ما يفعله أحيانا بعض الدارسين ، وبخاصة أولئك الذين يتبعون المدرسة الفرنسية التى كثيرا ما تستعمل هذين المصطلحين كما لو كان مترادفين .

ويتضح من هذا التقسيم أن جراى قد قنع بالنص على أهمية علم المعنى فى الدراسات اللغوية ؛ إذ أنه قد خصص له منهجا قائما بذاته من مناهج هذه الدراسات ، ولكنه لم يشأ أن يصرح بنوع هذه الأهمية أو « درجتها » . ويبدو من طريقة عرضه لهذه المناهج أنه ينظر إليها جميعا نظرات متساوية ، وأنه لا يفضل بعضها على البعض الآخر ، وإنما يعدها أطرافا متعددة لشىء واحد ذى وظيفة واحدة . هى البحث فى اللغة ، وإن كان ذلك من وجوه مختلفة .

على أن أولمان لا يرى هذا الرأى الذى ذهبنا إليه فى تفسير كلام جراى ، ويعتقد أن هذا الأخير لم يأت بجديد فى منهجه المذكور ؛ إذ أن كل ما قام به هو أنه « ألحق علم المعنى بنظام التقسيم القديم الموجود بالفعل » . كما أنه يوجه اعتراضا آخر ، مضمونه أن الأساس الذى اعتمد عليه جراى فى تقسيمه لفروع علم اللغة لا يستتبع ـ من الناحية المنطقية ـ اعتبار « علم تاريخ الكلمات وأصولها » جانبا من جوانب هذا التقسيم[1] . ونحن وإن كنا ندرك قيمة هذا الاعتراض الأخير ، لا نعتقد أن أولمان قد أصاب فى اعتراضه الأول الذى يتضمن أن جراى إنما جعل علم المعنى تابعا فقط لعلوم موجودة بالفعل .

أما الاعتراض الذى نعتقد أنه أهم مما أثاره أولمان فى هذا المقام ، والذى نرى أنه أجدر بالتسجيل هنا فهو أن نظرة جراى إلى اللغة نظرة تتضمن فكرة « الثنائية » فى الأحداث اللغوية dualism of speech - events .

وهذه الفكرة هى ما تعنيه بعض المدارس اللغوية من أن أحد جانبى اللغة « عضوى أو ميكانيكى » (أو مادى أو جسمانى كما يحلو لبعضهم أن يدعوه) وأن الجانب الآخر « نفسى أو غير ميكانيكى » (أو عقلى على حد تعبير بعض الدارسين) . وفى رأينا أن هذا التقسيم لجوانب اللغة يتضمن أن الأحداث اللغوية مكونة من عنصرين متميزين ، يمكن الفصل بينهما أو عزلها بعضهما عن بعض . والحق أن هذا الاتجاه يفهم صراحة من تقسيم جراى لعلوم اللغة على الوجه السابق . وإلا فماذا يعنى تخصيصه على الأصوات التنظيمى والصرف بالناحية الميكانيكية ، وعلمى النحو والمعنى بالناحية النفسية ؟ إن هذا لا يعنى إلا شيئا واحدا ، هو إمكانية الفصل بين العناصر المكونة للأحداث اللغوية ، بل وجوب هذا الفصل .

ونحن لا نذهب هذا المذهب ولا نأخذ به ؛ إذ أن رأينا فى هذه القضية ـ بل وفى كل قضايا

(1) See Ullmann, The Principles of Semantics, p. 24.

اللغـة ومشكلاتها ـ ينبنى على أساس أن الأحداث اللغوية وحدة متكاملة : وحدة قـد تتضمن عناصر ميكانيـكية وأخرى نفسية ، ولـكنها مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث لا يمـكن لجانب منها أن يستقل بذاته أو أن يكون بنفسه وحدة متميزة ، ومن ثم لا يجوز لنا أيضا أن نفرد فرعا معينا من فروع علم اللغة لدراسة جانب معين من هذه العناصر وفرعا ثانيا لدراسة الجانب الآخر أضف إلى ذلك أن الاعتراف « بثنائية » الأحداث اللغوية فيـه اعتراف ضمنى « بثنائية » الإنسان الذى تصدر عنه هذه الأحـداث dichotomy of man ، أى اعتراف بإمكانية الفصل بين عنصريه : المـادى ، والروحى ، أو الجسمى والعقلى . وهذه قضية إن صحت فى بعض العلوم ـ لا تصح فى علم اللغة ولا يؤخذ بها فى البحوث الخاصة به . والواقع أن الرأى السائد الآن بين المحققين من العلماء هو العمل على وضع قواعد العلوم الإنسانية ونظمها على أساس الوفاء بحاجات الإنسان المـادية والروحية جميعا : حاجاته بوصفه إنسانا متكامل العناصر والجوانب ، وهم بذلك يستهدفون سعادته ورفاهيته ، بعد أن أيقنوا أن الاهتمام بأحد الجانبين وإهمال الآخر لابد أن يقود فى النهـاية إلى الشقاء وعـدم الاستقرار فى مجالات الحياة الإنسانية على اختلاف ضروبها وأنواعها .

ويرى الأستاذ بلومفيلد Bloomfield رأيا مخالفا لمـا ذهب إليه جراى ، ويعتقد أن علم المعنى جدير أن يلقى أهمية بالغة من الدارسين، وخليق أن يحظى بمنزلة تفوق منزلة غيره من علوم اللغـة . ولعل فى طريقة تقسيمه لهذه العلوم مايعبرعن ذلك أوضح تعبير وأصرحه. يذهب هـذا الباحث الأمريـكى إلى أن « الطريقة المثلى » تقتضينا أن نقسم علم اللغـة إلى فرعين رئيسيين هما :

علم الأصوات phonetics وعلم المعنى .

ولم يكتف بلومفيلد بأن جعل علم المعنى وحـده يمثل نصف الدراسات اللغـوية (بل وأكثر من النصف كما سيتبين فيما بعد) وإنما عده كذلك أساسا لفروع أخرى وأصلا لهـا . وهذه الفروع الأخرى تتمثل فى « علم القواعد » grammar وفى « المعجم » lexicon . ولا غرابة فى هذا التقسيم الذى ابتـكره هذا الباحث ، إذ أنه يتمشى مع فهمه لعلم المعنى : ذلك الفهم الذى جعله يتوسع فى مدلول هذا العـلم وفى دائرة اختصاصه وبحـوثه بحيث يصير مساويا أو معادلا « البحوث علم القواعد والمعجم مجتمعة » . أو بعبارة أخرى ، إن اختصاص علم المعنى عند بلومفيلد ليس هـو البحث فى المعنى

بقطع النظر عن الصيغ اللغوية ، وإنما وظيفته - عنده - البحث فى « الصيغ اللغوية ومعانيها معا » (١) .

وهذا الرأى الذى رآه بلومفيلد فيما يختص بمفهوم علم المعنى يمكن ربطه من جهة أخرى بمذهبه فى اللغة نفسها وفى دراستها بوجه عام . إنه يعتقد أن دراسة اللغة إنما تتم على مستويين رئيسيين فقط . المستوى الأول مستوى صوتى محض ، وفيه يقصر الباحث اهتمامه على الناحية المادية للأصوات ، ولا يعير التفاتا من أى نوع إلى المعنى الذى قد تحمله هذه الأصوات أو ترتبط به . وهذا النوع من البحث يتولاه « علم الأصوات » الذى يكرس جهوده حينئذ فى دراسة خصائص الأصوات ومميزاتها من الناحية الصوتية الصرفة ، وذلك بطريق النظر فى مخارجها وتأثيرها على السمع وفى الموجات الصوتية التى تحدثها فى الهواء . أما المستوى الثانى فهو مستوى البحث فى المعنى ، وفى هذه الحالة توجه الدراسة إلى البحث فى علاقة هذه الأصوات بمعانيها وارتباطها بها . وهذه الدراسة يقوم بها الفرع الرئيسى الثانى من فروع الدراسات اللغوية ، وهو « علم المعنى » .

(1) See Bloomfield, Language, PP. 74, 137-138, 513.

ووظيفة هذا العلم الأخير - كما حددها بلومفيلد - تنحصر فى بيان « أن مجموعة معينة من الأصوات اللغوية قد نطقت فى مواقف معينة ذات طابع خاص ، وحملت السامع على أن يقوم بأداء نماذج معينة من السلوك أو أن يستجيب استجابات معينة » (١) .

ثم يذهب بلومفيلد بعد ذلك إلى أبعد من هذا ، فيجعل « علم المعنى » شاملا لكل من علم القواعد والمعجم . وذلك لأنه يرى أن بحوث كل من هذين الفرعين « الثانويين » تقوم بدراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور . أما بالنسبة للمعجم فالأمر ظاهر ، إذ أنه من المعروف أن وظيفة المعجم البحث فى معانى مفردات اللغة ، أو - على حد فهم بلومفيلد لمعنى « المعنى » - وظيفته بيان أن هذه الكلمة أو تلك تناسب هذا الموقف أو ذاك ، وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معين أو بآخر . وأما بالنسبة

(١) انظر بلومفيلد المرجع السابق ص ٧٤ . والذى جعل بلومفيلد يفسر وظيفة هذا العلم على هذا النحو هو مذهبه فى معنى « المعنى » نفسه . إنه يفسر المعنى على أساس ميكانيكى سلوكى ؛ إذ يعتقد أن الأحداث اللغوية - كلمة كانت أو عبارة - إنما هى مثيرات تدفع السامع إلى القيام بنوع معين من السلوك أو إلى الاستجابة بطريقة معينة أو بعبارة أخرى إن معنى الكلمة أو الجملة عنده عبارة عن الأحداث العملية السابقة التالية لهذه الكلمة أو الجملة .

انظر المرجع نفسه ٢٧ ، ١٣٩ .

لعلم القواعد ، فالقضية تحتاج إلى شئ من التوضيح . إن علم القواعد Grammar يتكون عند بلو مفيلد - وعند عدد آخر من العلماء - من علمين اثنين هما :

الصرف Morphology والنحو Syntax

فهذان العلمان يتعاونان فيما بينهما على الوصول إلى قواعد اللغة الصرفية والنحوية ، ووضعها فى مجموعة معينة من النظم العامة التى تميز اللغة المدروسة من غيرها من اللغات . كما أن كلا من هذين العلمين يقوم فى الوقت نفسه بأداء دوره المخصص له فى بيان « معنى » الأحداث اللغوية التى يتعرض لها بالبحث والدراسة . فالصرف يدرس المعنى على مستوى « الصيغة »[1] . وبيان ذلك أن هذا العلم إذ ينص على أن هذه الكلمة أو تلك اسم أو فعل أو حرف ، أو أنها مفرد أو مثنى أو جمع إلخ يكون فى الوقت فى الوقت نفسه قد وجه نظرنا إلى أن هذه « الصيغة » إنما تناسب موقفاً معينا وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معيّن أو بعبارة أخرى ، إن الصرف بعمله هذا يكون قد ربط الأصوات المكونة لهذه الصيغة المعينة بالموقف المناسب والاستجابة المناسبة من السامع ، وبهذا يكون قد قام بوظيفته نحو المعنى على الوجه الذى يراه بلو مفيلد .

أما النحو فيبحث فى المعنى على مستوى العبارة والجملة . فالنحو حين يختبر صحة نظم « الصيغ » أو عدم صحة ذلك النظم ، أى حين يختبر مواقع هذه الصيغ وترتيبها على نسق معين ووضع خاص ، وحين يبحث فى العلاقات بينها طبقا للمألوف والمتعارف عليه فى البيئة اللغوية المعنوية — إنه عند ما يقوم بذلك يكون قد أرشدنا فى الحال إلى ما يناسب هذه العبارة أو الجملة من المواقف الكلامية والاستجابات التى قد يستجيبها السامع . ومعنى ذلك أن النحو حينئذ يكون قد بين نوع العلاقة بين العبارة أو الجملة وبين الموقف الذى يمكن أن « تنطق » فيه والسلوك الذى نتوقع حدوثه من السامع حسب خبرتنا « بعادات » اللغة القومية . وبهذه الطريقة يتم لنا إدراك « معنى » الجملة أو العبارة ؛ بالمفهوم الذى ذهب إليه بلو مفيلد فى معنى « المعنى »[1] .

(١) « الصيغة » مصطلح اخترناه فى هذا المقام ليقابل الكلمة الإنجليزية (form) ، ويقصد بها الكلمة بعد أن نتعرف على قيمتها الصرفية ، أى بعد أن نعرف أهى اسم أم فعل أم حرف مثلا .

(١) من الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن دراسة المعنى على مستوى النحو — بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور — معروفة لدى العرب منذ زمن بعيد ، ومن هذا القبيل ما خلفه لنا عبد القاهر الجرجانى من آراء تتعلق « بنظم الكلام » . وهذه القضية سوف نتعرض لها فى بحث مقبل ، خصصناه لمعالجة « علم المعنى عند العرب » .

تلك خلاصة القول فيما رآه بلومفيلد بالنسبة إلى مكانة علم المعنى فى الدراسات اللغوية.

والواقع أن هذا الرأى الذى رآه بلومفيلد فيما يتعلق بمكانة علم المعنى ، وفيما يختص بفروع علم اللغة بوجه عام — يضطرنا إلى مخالفته من عدة وجوه ، يمكن تلخيصها فى نقطتين رئيستين .

أولاهما : أننا لا ننكر على بلومفيلد اهتمامه بعلم المعنى ، ولكننا ننكر أن يكون هذا الاهتمام على حساب علوم أخرى لا تقل عن علم المعنى نفسه فى الأهمية والمنزلة ، أو أن يكون سببا فى زحزحة هذه العلوم عن بيئاتها الطبيعية ، وفى حشر بحوثها ضمن بحوث تختلف عنها فى المنهج ، ولا تتفق معها فى الوظيفة . والرأى عندنا — كما هو رأى الدارسين المحققين — وجوب استقلال كل من علمى القواعد والمعجم ، وتخليصهما من تلك « التبعية » التى فرضها عليهما بلومفيلد ، إذ أن الكل منهما وظائفه وميادينه الخاصة به فى الدراسات اللغوية .

فالمعجم يدرس المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وقليلا ما يعنى بغير المعنى العام لهذه الكلمة ، بخلاف علم المعنى - بالمفهوم الدقيق المأخوذ من المصطلح « السيمانتيك » - فموضوعه البحث فى المعنى على مستوى الكلمة والعبارة والجملة جميعا ، ولا يكتفى بتسجيل المعنى العام ، بل لا بد له من التعرض للألوان والظلال المعنوية الأخرى التى تستفاد من السياق والمقام أضف إلى ذلك أن السيمانتيك يراعى فى بحوثه دائما ظروف الموقف الكلامى وملابساته : تلك الظروف والملابسات التى ربما لا يقسنى للمعجم مراعاتها . بل التى كثيرا ما يهملها ولا يعيرها التفاتا .

على أنه قد يكون من المقبول أن يعد المعجم داخلا فى دائرة علم المعنى وتابعا لمباحثه . على أساس أن كلا منهما يقوم بدراسة المعنى على وجه من الوجوه [1] ، ولكننا لا نقبل مطلقا تطبيق هذه « التبعية » على علم القواعد . فهذا العلم الأخير قد اختص — فى الدراسات اللغوية الحديثة — بدراسة المميزات الصرفية والنحوية للغة ، معتمدا فى ذلك على منهج معين : ذلك المنهج هو المنهج الشكلى . formal approach الذى تسير خطوات البحث فيه على أساس وصف الخصائص الموجودة بالفعل فى الكلمة أو العبارة والجملة ، وليس من شأنه بعد ذلك أن تكون

(١) ذهب إلى هذا الرأى عدد من اللغويين الذين يرون أن مباحث المعجم تمثل فرعا أو جانبا من جوانب علم المعنى أو السيمانتيك ، بل إن هناك من اللغويين من لا يرى التفريق بين مباحث المعجم ومباحث السيمانتيك . ونحن لا نرى رأى هؤلاء أو أولئك ، وسوف نعرض فى مقال آخر للفرق بين وظيفة للمعجم ووظيفة علم المعنى بشىء من التفصيل ، وكذا الفرق بين المعنى المعجمى والمعنى السيمانتيكى على الوجه الذى نراه .

هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة قد أثارت السامع أو دفعته إلى القيام بعمل معين ، على نحو ما يفهم بلومفيلد من معنى المعنى وهكذا نرى أن مسلك بلومفيلد فى جعله علم القواعد بط فيه — وهما الصرف والنحو — تابعا لعلم المعنى يؤدى إلى الخلط بين علمين متميزين: علم القواعد الشكلى .

formal grammar وعلم المعنى الذى يجرى البحث فيه على أساس استخلاص معانى الكلمات والعبارات والجمل من السياقات المختلفة على مستوى اجتماعى .

وليس معنى ما تقدم على أية حال أن علم القواعد منفصل انفصالا تاما عن علم المعنى : إن جميع فروع علم اللغة بلا استثناء يتصل بعضها ببعض اتصالا من نوع ما ، وكلها تستهدف هدفا عاما واحدا ، هو بيان الحقائق اللغوية للكلام المدروس وعلم القواعد بالذات من شأنه أن يمهد الطريق لدراسة المعنى دراسة دقيقة على مستوى اجتماعى ، ولكنه مع ذلك ليس تابعا لعلم المعنى وإنما هو نده وقريعه .

أما النقطة الثانية : التى نختلف فيها مع بلومفيلد فتتمثل فى تقسيمه علم اللغة قسمين اثنين رئيسين ، هما علم الأصوات وعلم المعنى . إن هذا التقسيم يتضمن فكرة « الثنائية » فى الكلام الإنسانى ، تلك الفكرة التى تعنى أن الأحداث اللغوية لها جانبان متميزان ، هما جانب الصوت أو اللفظ أو الشكل أو القالب ، وجانب المضمون أو المحتوى أو المدلول أو المعنى . وهذه الثنائية تنبىء علنها صراحة تلك « الثنائية » الأخرى التى ذهب إليها بلومفيلد فى تقسيم علم اللغة . فعلم الأصوات — طبقا لهذا التقسيم — يقابل الجانب الأول ، ويقوم فى الوقت نفسه بدراسة هذا الجانب والنظر فيه ، أما علم المعنى فيقابل الجانب الآخر الذى يمثل موضوع البحث فى هذا العلم ، وهذا كله يعنى - بالتضمين أو بالتصريح - إمكانية الفصل بين جانبى الأحداث اللغوية ، وإمكانية دراسة كل جانب منهما على حدة .

ونحن — وإن كنا لا ننكر وجود هذين الجانبين فى الكلام الانسانى — لا نرى إمكانية الفصل بينهما أو جواز عزل أحدهما عن الآخر فى الدراسات اللغوية بوجه خاص . إننا — كما قررنا فيما سبق — ننظر دائما إلى الحدث اللغوى — كلمة كان هذا الحدث أو عبارة أو جملة — على أنه وحدة متكاملة لا انفصام بين عناصرها أو أجزائها المكونة لها ، ودراستنا لهذا الحدث لا تحيد عن هذا الأساس فى كل مراحل الدراسة وعلى كل المستويات اللغوية ، من صوتية وصرفية ونحوية ؟ « للبحث بقية »

دكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

القيمة الحقيقية للفنون الشعبية في العصور الإسلامية

للأستاذ عبد المجيد وافى

جرت عادة المشتغلين بالفنون أن يقسموا الإنتاج الفنى إلى نوعين :

النوع الأول : هو إنتاج للفنان الذى تعمق ودرس وتخصص ، فأصبح له لون من الفن يعرف به وينسب إليه .

ويمثل هذا اللون من الإنتاج ، ما احتوته القصور بين جنباتها فى كل العصور ، من تحف قائمة بذاتها - صورة أو تمثالا ، أو أداة صيغت صياغة خاصة جمعت الجمال والمنفعة ، أو أعمالا زخرفية أو تشكيلات دخلت فى تصميم البناء نفسه ، أو ما أنتج للدولة معبرا عن مرحلة من مراحل تاريخها ، مصورا فترة من حضارتها .

والنوع الثانى : ما أنتجه الفنان الذى لم يدرس دراسة خاصة ، ولم يتعمق فى خواص المواد أو الألوان ، وإنما دفعه إلى ما أبدع من فن ، انفعاله بالبيئة وعناصر الجمال فيها ، وهذا النوع من الفن التلقائى هو ما يعرف بالفنون الشعبية .

ويمثل هذا اللون ما صوره البدائيون على جدران الكهوف ، وما نراه فى عصرنا الحاضر من إنتاج الفنان الريفى ، أو البدائيين من شعوب آسيا وإفريقيا .

والفن الإسلامى ، منذ أن استوى على سوقه خلال المائة الثانية للهجرة ، تحقق فيه هذان اللونان من ألوان التعبير الفنى ، رغم اختلاف البقاع التى ولدت فيها نماذج الفن الإسلامى ، من أقصى الشرق فى الصين والهند ، إلى بلاد المغرب والأندلس ، فترى الأعمال الفنية الخالدة لفنانين متفرغين فى المساجد والخانات وقصور الخلفاء ، وما حوته الكتب من صور توضيحية رائعة ، أو ما روته تلك الكتب من أخبار الروائع التى عكف عليها الفنانون شهورا أو سنوات لإبداعها ومساجد الفاطميين فى مصر ، ومساجد الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام ، وما حوته المتاحف من آثار القصور ومخلفاتها مثال لذلك .

وترى ذلك أيضا ما عثر عليه فى حفريات الفسطاط والقطائع والعسكر بالقاهرة ، من أعمال فنية لم تصل إلى حد روعة تلك

التحف التى ذكرتها فى المثال السابق ، ولكنها لم تفقد طرافتها وبساطة التعبير ، وجد من ذلك بعض الأوانى الخزفية ، والرسم على الجدران ، والنسيج والبسط مما صنعته سيدات الخدور شغلا لوقت فراغهن فيما ينفع .

* * *

والمتأمل فى فنون الأمم الأخرى يرى فرقا كبيرا بين النوعين - الفن الشعبى والفن الخاص - فى القوة الفنية ودقة التعبير والخبرة فى استعمال الخامات ، مما يجعله يحكم بانفصال المستويات .

بينما لو تأمل فنون الإسلاميين لوجد أن الفرق بين طابع العمليين لا يكاد يذكر ، إلا إذا اعتبرنا تنوع الخامات من ذهب وفضة يكفت بهما النحاس ، أو العاج يطعم به الخشب ، أو الديباج والذهب فى النسيج ، فى مقابل الكتان والقطن ، والنحاس العاطل من الذهب أو الفضة ، وإن لم يخل من نقوش جميلة ، والخشب الذى زخرف دون تطعيم ، دليلا على الفرق بين النوعين ، وما عدا ذلك فالأسلوب واحد أو متقارب فى معالجة الرسوم أو الزخرفة ، وإن اختلف الموضوع ، فقد تجد رسماً لفتى جالس بين خاصته وخلانه فى ثياب حسنة وسمت جميل ، على وعاء خزفى ذى بريق معدنى مجلوب من أحد القصور ، وقد تجد رسما لاثنين يتقابلان بالعصى فى رياضة « التحطيب » فى حركة رشيقة وتعبير بسيط واضح ، على وعاء خزفى آخر ، ولكنه ليس مجلوبا من قصر ، ولم يصنعه فنان صناع ، بل هو من صنع عامل تأثر بهذا الشكل فسجله تسجيلا بديعا .

وأطلق اسم الفنون الإسلامية على هذين النوعين من أنواع الإنتاج ولم يفرق المشتغلون بذلك بينهما كما يفعل المعاصرون فى أنواع الفنون غير الإسلامية ، ودرج المؤرخون على اعتبار ذلك تنوعا فى مدارس الفن أو الإنتاج .

وقد لفت النظر إلى حقيقة هذا التنويع أستاذنا العلامة الكبير حسن عبد الوهاب ، الذى أشار إلى هذا الفرق فى بحث من بحوثه الأخيرة .

* * *

وإذا كان المؤرخون للفنون الإسلامية قد فاتهم ذلك الأمر ، فإنه قد فات أيضا نقاد الفنون المعاصرة ، ولكن لسبب آخر : — هو نظرتهم إلى طبيعة الفن الشعبى .

فهؤلاء النقاد يهللون للعمل المنسوب إلى الفن ، وإن كان شديد التعقيد بعيداً عن عرف الناس وذوقهم ، مفرقا فى التشويش والبدائية ويعدون ذلك عملا شعبيا حقا .

وأكثر من ذلك أنهم ينظرون نظرة الإكبار والتقدير إلى الفنان المتخصص الذى

يتخلى عن حصيله دراساته ، وينحدر إلى هذا اللون من التشويه — رغم اصطناعه لهذا الأسلوب مما يجعل فنه متكلفا فى بدائيته ، ويعرضون عن العمل العفوى الذى وافق الذوق ونبع عن فطرة سليمة وذوق حساس.

وهنا نقف لنناقشهم الحساب فى هذا المبدأ ، فإن الفن إما أن يكون فكرة جميلة أو موضوعا استثار شاعرية الفنان فتناوله بالأصول المتعارفة . فيكون كالشاعر المجيد الذى هزه الموضوع وحركته اللمحة فصاغ ذلك فى قصيد من بحر معين وروى خاص ، هذا هو الفن الأصيل .

كذلك يقال فى الفن العفوى الذى هو وإن خلا عن الأدوات التى تجعله يرتفع إلى مستوى الفنان الأصيل ، فإنه فن أيضا يمثل تلقائية الفنان الشعبى .

أما أن يتجرد الفن حتى عن الفكر وعن الإعداد وعن الذوق والحساسية الفنية ، حتى ولو كان تلقائيا فليس ذلك بفن بل هو عبث لا يرقى إلى أى مستوى من مستويات الفنون .

* * *

وهنا نعود إلى الفن الإسلامى الشعبى الذى امتاز عن غيره من الفنون الشعبية الأخرى بالدقة واحترام القيمة الفنية ، لنقرر أنه حقيق أن يعرف له مكانه الحقيق بين الفنون الشعبية .

بقى أن نبحث عن السبب الذى أدى إلى وجود الفرق الشاسع بين مستويات الفنون ، شعبيها وخاصها ، عند الأمم الأخرى ، وأدى إلى التقارب الملموس بين مستوى الفن الشعبى الإسلامى والفنون الرفيعة .

وفى رأيى أن سبب الاختلاف هناك هو انفصال المجتمعات عندهم انفصالا بينا ، فالعامة فى واد والخاصة فى واد ، لا يحس أحدهم بما يحس به الآخر ، لا يجمع الحب أو الفرح بينهم بل فرقتهم أحقاد الطبقات ، حجزت بينهم الفردية وباعدت بينهم .

بينما المسلم يجمعه ، وأخاه المسلم وحى عقيدة واحدة ، قربت بين طوائف الأمة ، ووحدت بين أهل الإسلام على ترامى بلادهم ، فى الاجتماع لعيد واحد أحيانا ، وجمعة واحدة أحيانا أخرى ويتجهون إلى قبلة واحدة ، يصومون شهراً واحداً ، وتلزمهم الزكاة فتؤلف بين الأمة على تفرقها فى مطالبها .

هذا هو المعنى الذى قارب بين الفنان الشعبى المسلم وأخيه المتخصص ، اتحدت رؤاهم واشتركوا فى منابع خيالهم فتقاربت أذواقهم فى الجملة وإن لم يتحدوا فى التفاصيل .

ذلك هو أثر الإسلام يقرب بين أبناء الأمة حتى فى عناصر الوحى الفنى وإلهامه .

عبد المجيد وافى

المثل العليا في التشريع الإسلامي

للأستاذ عباس طه

جاء الإسلام والناس في جهالة عمياء وضلالة شاملة، وتنكب عن طريق الحق، وتشبث بأهداب الباطل واتباع لحماقة الهوى، وابتعاد عن هداية العقل.

فمن تأليه للأصنام، وعبادة الأوثان، وتعظيم للأنصاب، واتخاذ للطواغيت - إلى استقسام بالأقداح، واعتقاد في الكهانة، والعرافة، وزجر الطير والعيافة.

ومن تقديس للموروثات والتقاليد، وثقة في الخرافات والأوهام وانحطاط في النظر والفكر، وتعويل على الأقاصيص والأساطير، إلى عصبية قبلية ونعرة جنسية وتفاضل بالأحساب وتفاخر بالأنساب.

ومن فهم للأخلاق الفاضلة على غير وجهها وإسراف في سوء تقديرها وإباحية مطلقة وتبذير لا حد له. إلى أكل الميتة، وإتيان الفواحش، وقطع الأرحام، وإساءة الجوار، وقسوة في الانتقام، وإفراط في الأخذ بالثأر، واعتداء القوى على الضعيف، وشن الغارات لأقل حدث، وأتفه سبب.

نقول: جاء الإسلام وحال الناس على ما وصفنا من طغيان الجهالة وشيوع الضلالة وانتشار المنكرات فلم تقتصر مبادئه السامية، وقوانينه الوافية، على أن تقرر من النظم، وتسن من الأحكام ما ينتشلهم من مهاوي الرذيلة ويقضى على سوء أثرها وما يخرجهم من ظلمات الجهل ويبدد سحبه الكثيفة، بل رسم من محكم التعاليم وأنشأ من أقوم المناهج، وأهدى السبل، ما هو أعلى مثل في كل فكرة نادى بها، وكل دعوة دعا إليها وما هو أكبر شاهد له على أنه خير دين تعبد الله به عباده، واختتم به شرائعه الأولى وجعله دستوراً كاملا متسعاً لشئون الناس جميعاً، وشاملا لكافة حاجاتهم وصالحا لكل زمان ومكان.

اتجهت التعاليم الإسلامية في تشريعها ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الأول:

العقائد، فأسسها الإسلام على أوطد دعائم وأعلى مثل في التوحيد الخالص، والألوهية الحقة.

انظر إلى القرآن الكريم تجده يقرر في كثير من آياته وحدة الألوهية، ويبطل التعدد، قال تعالى: «فاعلم أنه لا إله إلا الله»، وقال: «وما من إله إلا إله واحد»، وقال: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً».

ثم انظر إليه فى آيات أخرى تجده يقرر شمول الألوهية وعمومها وإحاطتها ويبين أنه تعالى ليس إله قبيلة من القبائل، ولا إله أمة من الأمم، ولا إله عنصر من العناصر ولا إله معنى من المعانى، كالإنس والجن والملائكة وكالخير والشر والجمال، بل هو إله كل شىء ورب كل موجود، وأن جميع ما فى الكون من أسرار ومظاهر، وكل ما يحتويه من معالم ورسوم مملوك له تعالى، وصادر عنه، ومسخر بأمره، وأنه قادر على كل شىء وأنه قد أحاط بكل شىء علما، قال تعالى: «الله ربكم ورب آبائكم الأولين، وقال تعالى: «لله ما فى السموات وما فى الأرض»، وقال: «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره»، وقال: «وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، وقال: «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون»، وقال: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين».

وهكذا حيثما تتبعنا آيات القرآن الكريم نجد أنها قد اهتمت اهتماما عظيما بأمر العقيدة وركزتها فى التوحيد الصرف، ووصف الله تعالى بكل كمال، وتنزيهه عن كل نقص، كما أنها قد اهتمت أيضا بما وراء هذه الحياة من حياة أخرى، من ثواب أو عقاب.

قال تعالى: «يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

الاتجاه الثانى:

محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، فقد عنى الإسلام بها عناية شديدة، وطلب إلى المسلمين أن يتخلقوا بأنبلها، ويأخذوا بأفضلها ويخالقوا الناس بأحسنها وأجملها، وأن يكونوا جميعا أمثلة حية، وصورا ناطقة للعدل والإحسان، والوفاء بالعهد، والصبر فى الشدائد، والعفو عند المقدرة، والشعور بالواجب، وعزة النفس وعلو الهمة وطهارة الضمير، وما إلى ذلك من الخصال الجليلة والخلال الكريمة، قال تعالى «إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى»، وقال «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا»، وقال «واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور». وقال «خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين»، وقال «إدفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم».

فهذا النمط العالى من التهذيب الكامل ، والأدب السامى ، والخلق الرفيع ، هو الذى دعا إليه الإسلام ، ورغب فيه ، وحرصت عليه تعاليمه ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ما جاء إلا لإتمامه وإكماله فقال « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

الاتجاه الثالث :

الأعمال المتعلقة بأفعال المكلفين ، فقد شرع الإسلام منها ما هو خير مظهر من مظاهر الانقياد لله تعالى ، والإخلاص له والإقرار بنعمه والشكر عليها ، وما هو أبلغ تعبير عما يكنه العبد فى نفسه من عاطفة الإجلال والتعظيم لخالقه كما شرع ما يعتبر — بآثاره ونتائجه — أرقى نظام ، وأكفل وسيلة لمساعدة الفقراء والمعوزين ، والترفيه عنهم ، وللمساهمة فى مصالح المسلمين عامة . والقيام بأعباء ما تتطلبه حالة الجماعة . وذلك كفريضتى الصلاة والزكاة ، وما إليهما من بقية ما شرعه الإسلام من أحكام وأعمال كثيرة ، تختلف فى صورتها وأدائها باختلاف الغرض المقصود منها ، والحكمة الداعية إلى تشريعها ، وآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد كثيرة ، لا تحتاج إلى ذكرها .

* * *

من مجموع هذه الاتجاهات الثلاثة التى ألمعنا إليها فى وجازة وتلخيص ، تتجلى دقة التشريع الإسلامى ، وتظهر متانة أصوله ، وقوة تعاليمه ويتبين فى وضوح أنه فى كل ناحية من هذه النواحى الأساسية ، قد أتى بأرقى النظم ورسم أعلى المثل ، ووضع خير الأسس وأتمها ، موافقة لطبيعة العمران ، وروح الاجتماع .

ولا غرو فى ذلك ، فهو يرافق الإنسان فى جميع أطواره ، ويتعهده فى كل أحواله بالتربية والتهذيب ، ويعلمه فى كل مرحلة من مراحل حياته كيف ينظم شئونه ، ويدبر أموره .

فعلاقة المرء بربه يضع لها أقوى الروابط وأوثق العرا ، وحياته البيئية وما يتعلق بها من زيجة ونظام أسرة ، وتربية أولاد ، يؤسسها على ما يكفل لها السعادة ، ويضمن لها الطمأنينة والراحة ، ويجعل جوها نقيا صافيا ، لا يلوح فيه شىء من قتامة الظنون وكدورة الريب والشكوك .

ووسائل الكسب والحصول على المال ، يبين له طرقها المشروعة ، وأبوابها التى لاضرر فيها ولا ضرار ، وموادها التى لا غبن فيها ولا اعتداء .

وصلاته الاجتماعية العامة والخاصة يبنيها على أمتن القواعد ، وأنشأ لها من النظم وشرع لها من الأحكام ما هو خير كفيل بسعادة الناس وهناءتهم فى الدنيا والآخرة .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

إفريقية التي لا تقبل التصديق

للأستاذ عباس محمود العقاد

بعد خمسة قرون من بدء اهتمام الغربيين بالرحلة إلى الشرق ، أصبحت كتابة هذه الرحلات مذاهب متفرقة، وأصبح كل مذهب منها ذا طرائق مختلفة ، على حسب كتابها وأغراضهم منها ، أو قدرتهم على كتابتها .

وقد التقينا على هذه الصفحات بكثير من هذه المذاهب وكثير من هؤلاء الكتاب وأولهم وأسبقهم أصحاب مذهب الإغراب الذين يجتذبون قراءهم برواية الأعاجيب والخوارق المجهولة، ويحسبون أنهم مطالبون بإعطاء اولئك القراء صورة يدهشون لها بديلا من كل صورة يألفونها فى بلادهم ، ولو عمدوا إلى المبالغة والاختلاق .

ومن هؤلاء الرحالين أناس مطبوعون على تشويه كل صورة يلقونها فى البلاد الشرقية والبلاد الإسلامية على التخصيص، وقد تبدو لهم مشوهة منكرة وهى لا تشويه ولا نكر فيها. ولكنهم يكرهون الاعتراف بالحسنات بينهم وبين أنفسهم فيحيلونها إلى سيئات توافق ما عندهم من سوء الظن وسوء الدخلة ، وقد يعترفون بالحسنة ولكنهم يقصدون تشويهها لاعتقادهم أنه أقرب إلى هوى قرائهم وأوفق لخدمة التبشير أو الاستغلال وهم يعملون لحسابه .

ولقد رأينا بعض هؤلاء الرحالين يصدقون فى النقل والوصف لأنهم يتحرون الدقة الجغرافية والتاريخية ، ويعلمون أن هذه الدقة أنفع لهم وأجدى على قرائهم وأوطانهم ، إذ كان تضليل هذه الأوطان عن فهم الواقع على جليته تفويتا لهم عن سبل المنفعة التى يسلكها من يواجهون الحقيقة بغير تضليل .

ولا يندر بين الرحالين ممن يصدقون النقل والوصف أن يكون منهم من يصدرون عن عاطفة حسنة تعطفهم نحو البلاد الشرقية ويبعثها فيهم أنهم ناقمون على ولاة الأمر فى بلادهم ثائرون على سلطان رؤساء الدين فيها ، معتقدون أن اطلاع إخوانهم على حسنات الشرق وسيلة أخرى من وسائل الاطلاع

على سيئات المسئولين فى بلادهم عن عيوبها وأوزارها .

وربما أضيف إلى أولئك وهؤلاء فى الزمن الأخير جماعة الباحثين العلميين الذين يعلمون أن الطريق إلى الشرق مفتوح أمام الكثيرين من طلاب السياحة والاستطلاع ويحذرون على سمعتهم « العلمية » من الخلط والتزيد فى الأمور التى يتناقلها الناس وتتواتر أنباؤها مع أحاديث البرق والإذاعة ولا يصعب على قاصد التحقيق أن يهتدى إلى وجه الصواب فيها .

وكنا نحسب أن مذهب هؤلاء الباحثين العلميين قد غلب على جماعات الرحالين فى الزمن الأخير فضاقت على المغربين مذاهب الإغراب واستغنى قراؤهم عن غرائبهم بالجديد من أخبار البلاد التى تكفل لقارئها الجدة والطرافة وإن لم تكفل له الدهشة ومباينة المألوف كل المباينة .

ولكن الظاهر من متابعة الرحلات الأخيرة أن طريقة الإغراب لم تنقطع بعد وأنها عند بعض الكتاب ضرورة لا يملكون اختيارهم فيها ، وهى على حال من اثنتين فى أكثر الأحايين : ضرورة المزاج الشعرى الذى يضفى على الواقع تزويق الخيال ولو كان من مشاهد وطنه وما ألف بصره وسمعه . وضرورة العجز عن كتابة ما يشوق القارئ ويطيب له بغير تهويل أو تحريف أو مبالغة فى عرض الصحيح من كل مألوف مطروق .

ولا بد أن يكون صاحب الكتاب الذى بين أيدينا واحداً من هؤلاء المغربين توافر له السببان : سبب التزويق الشعرى وسبب العجز عن التشويق بغير خبر غريب لا يقبل التصديق . لأنه جعل عنوان كتابه (إفريقية التى لا تقبل التصديق : Incredible Africa) ليروى فيه ما لا يصدقه القارئ ويلقى الذنب على القارة وأبنائها ولا يلقيه على قلمه ولا على القراء .

ولعله لو استطاع أن يجتذب قراءه بأسلوب غير هذا الأسلوب لما ارتضاه للكتابة عن عقائد المسلمين فى مراكش وهى أقرب إلى معظم الأوروبيين من معظم البلاد الأوربية وسياحهم فيها أكثر من سياحهم فى بعض ربوعها

روى عن أحد الفرنسيين فى طنجة أنه قال له ولصحبه : « إن طنجة عصرية بالقياس إلى بعض مدن الأقطار الداخلية . ولنضرب مثلا ببلدة فاس ... فإننى لم أكد أفرغ من مطالعة كتاب ظهر خلال القرن الرابع عشر ووصفها كما كانت فى تلك الحقبة ، ولم تتغير اليوم عادات أهلها التى وصفها فى كتابه ، فلو طبع الكتاب وعليه تاريخ هذه السنة لعده القارئ من تصانيف آخر ساعة » .

« وعلى أثر تناول القهوة بعد الغداء قالت لى فتاة انجليزية : انى سمعت ذلك الرجل يقول عن طنجة إنها عصرية متمدنة ... انظر إلى هذا ... ورفعت ذيلها لتريننا ساقيها وهما مسودتان مزرقتان من أثر الضربات عليهما .

« ومضت الفتاة تقول : إنى كنت ألتقط بعض الصور فى القصبة ولم تكن غير صور عادية للبيوت والطرقات وفيها اطبيعة الحال أناس من عابرى الطريق ، فأخذ النسوة فى الصياح وأقبل الرجال والأطفال الصغار فأوسعونى ضربا ورفسا بالأقدام ... » .

قال المؤلف معقبا على حديث الفتاة : « . إنها الخرافة القديمة . . فإنهم يعتقدون أن آلة التصوير تلتقط أرواحهم مع أشباحهم ... وقد كاد أحدهم أن يحطم مصورتى حين جئت إلى مراكش لأول مرة لأنه حسب أننى ألتقطت صورته ، ولم أكن قد فعلت وإن كان هو موقنا أن الصورة هناك وأصر على ردها إليه ، فلم يسعنى إلا أن أجاريه على وهمه وأخذت أزمزم وأدمدم وأردد بعض الكلمات التى لا معنى لها ، ثم استخرجت روحا متخيلة من الحقيبة وناولته إياها ، فتناولها ومضى فى طريقه وهو يلفظ باللغة العربية المتواترة : خنزير يهلك على قبر جدك ... » .

واسترسل الكاتب قائلا : « إن خرافة التقاط المصورة الأرواح مع الأشباح شائعة فى أرجاء العالم ، ولكن الأمر فى بلاد المسلمين يداخله عامل آخر من عوامل كراهة التصوير ، فليس فى الفن الإسلامى المشروع صور للخلائق الآدمية ، وإنما يسمح هذا الفن بتمثل الرسوم الهندسية ليس إلا ، لأن القرآن يحرم تمثيل الإنسان لكون الإله الأعلى نفسه غير منظور ، ولا ينبغى للإنسان أن يظهر والله الذى خلقه غير ظاهر . وشرحت ذلك للفتاة فلم تقنع بهذا التفسير وأجابتنى قائلة إنها ترى صور السلطان فى كل مكان ، وعلى رأس البواب فى هذا الفندق واحد منها ... فقال الفرنسى الذى حدثنا من قبل : إن السلطان مستثنى من هذا التحريم ؛ لأنه نصف إله ، ولا تسرى عليه الأحكام التى تسرى على سائر المخلوقات ... » .

إن عنوان القارة « التى لا تقبل التصديق » ليس بالتعويذة التى تحمى المؤلف من الشك الكبير فيما رواه ، وهبه شهد فى طنجة ما لم نشهده معه فأين هو كلام القرآن الذى يحرم على الإنسان أن يظهر والله غير ظاهر ؟ وأين هو المسلم الذى يطيق أن يسمع بتأليه حاكم أو تشبيهه بالإله وهو يتلو فى الكتاب أن نبيه صلوات الله عليه بشر لا يميزه عن غيره من أبناء آدم وحواء إلا أنه بشر يوحى إليه ؟

[البقية على صفحة ١٣٩٧]

مختار من الشعر القديم والحديث

المكفوف

للأستاذ حسن جاد

من لسار فى الليل طال سراه   ومحا نور ناظريه دجاه
كل ليل يمضى فياليت شعرى   ليله السرمدى ما منتهاه ؟
الضحى والأصيل والصبح والليـ   ـل تساوت فكلها أشباه
وضروب الألوان متفقات   فى سواد تحسه مقلتاه
لا يرى جلوة الربيع إذا اختا   ل ولا البدر حين يبدو سناه
لا ولا يجتلى سنا الشمس رقرا   قاً إذا فضض الوجود ضحاه
وإذا ذهب الأصيل روابيـ   ـه عدا طرفه اجتلاء رباه
وإذا الطير ردد اللحن فى الدو   ح مضى لا يحس إلا صداه
كل ما فى الوجود من فتن الدنيا   لوته عن سحره دنياه
أبداً يحتويه سجن لياليه   وما فيه من سجين سواه

* * *

إن مشى سار مرعش الخـ   ـطو وئيداً تخشى الأذى قدماه
وإذا لم يجد رفيقاً وفياً   أرشدته إلى الطريق عصاه
أودع الله نفسه دقة الحـ   ـس ففى حسه الدقيق هداه
وجلا سمعه فلا يخطئ الهمـ   ـس ونجوى النسيم فى مسراه
يرهف الأذن حين لا تسـ   ـعف العين خطاه ، فعينه أذناه
وإذا ضل راح يفغر فاه   مستغيثاً ولوحت كفاه
لو تراه محملقاً مصغى الجيد   رأيت العجيب فيما تراه
لهفة للرؤى تثير أمانيه   فيرجو اجتلاءها ناظراه

ثم يرتد شوقه حسرات ... يا لشوق الأعمى ويا لمناه
ليس أشقى من فاقد نور عينيه ... وأغلى ما فى الفتى عيناه
أى طعم للعيش إن لم ير الدنيا ؟ ... وما حظه ؟ وماذا جناه ؟

* * *

هون الخطب يا أخى إن هذا ... زمن لم تعد تسر رؤاه
حسبك العزلة التى أنت فيها ... حين شاهت دنيا بنيه وشاهوا
إن فى نفسك الجميلة دنيا ... من جمال يغنيك عما عداه

* * *

لك يا رب فى النوازل سر ... عى فهم العباد عن معناه
كل خطب قدرته يا « رحيما » ... لك فيه لطف يدق خفاه
قد سلبت الأعمى وأعطيت حتى ... صح عدل القضاء فيما قضاه
إن تكن قد حرمته نور عينيه ... ففى قلبه يشع ضياه
ليس بالعين مبصر أو كفيف ... بصر المرء قلبه أو عماه
رب أعمى منحته منك نورا ... ورفعت الحجاب حتى رآه
وسكبت الذكاء فى حسه المرهف ... حتى أنسيته ما دهاه
يدرك الخاطر الخفى بحس ... يسمع النمل فى دبيب خطاه
وأديب ماضى اليراع براه ... خالق النابغين حين براه
ومجل فى شعره عبقرى ... ينفث السحر أو يفض رقاه
وصناع تجيل أنمله النول ... على لحمة الكسا أو سداه
وشجى الألحان إن رتل الذكر ... أتى الله تائبا من عصاه
وفتاة غطى الجمال عماها ... وكساها من سحره وحلاه
نعم هانت المصائب فيها ... وعزاء ينسى المصاب أساه

* * *

أيها الناعمون بالحدق النجل ... وما فاتهم غنى أو جاه
اذكروا نعمة الإله عليكم ... وأعينوا الأعمى على بلواه

أطلعوا صبح ليله بالأماني وأصيخوا إلى مرير نداه
وانشلوه من بحره الهادر المـــوج ومن لجه الذى قـد طواه
اوكلوه فربما صار يوما علما يهتدى الحمى بهداه
شر ما يقتل المواهب إغفال وداء النبوغ أن تنساه
لا يضيع الإله حسن صنيع فاغنموا شكره وحوزوا رضاه

حسن جاد
مدرس بكلية الدراسات العربية
بجامعة الأزهر

(بقية المنشور على صفحة ١٣٩٤)

وكيف يستطيع مسلم أو غير مسلم أن يفهم أن تمثيل الإنسان مستكثر عليه ولكن هذا التمثيل الظاهر لا يستكثر على الحيوان والجماد ؟ .

إن إفريقية التى لا تقبل التصديق هى إفريقية على صفحات هذا الكتاب وليست إفريقية كما خلقها الله ظاهرة للأعين قبل أن تظهر مصورة على الخرائط أو على الصفائح الشمسية ، وليست القصة التى نقلناها هنا غير مثل واحد من أمثلة شتى رويت عن البلاد الإسلامية وسائر البلاد المعروفة من أقطارها ، وقد يكون شفيعا للكاتب أنه سلك هذا المسلك للتهويل على ولده بما يستغربه من عظمة مراكش بالأمس كما سلكه للتهويل عليه وعلى عامة القراء بغرائب العقائد والعادات فيها اليوم ...

فإن ابنه كان يسأله عن المراكشيين : هل هم مستوحشون ؟ فيقول له : إنهم إن لم يكونوا متمدنين حق التمدن فهم الذين علموا الأوربيين المدنية قبل حين .

وتصيح به زوجته : لا تبلبل دماغ الغلام يا صاح ، فيدفع هذا البلبال عن دماغها ودماغ وليدها وليده بصفحة وافية يشرح فيها فضل العرب على حضارة الغرب ، بعد زوال الحضارة من ربوع اليونان والرومان ؟

عباس محمود العقاد

علمتنى الحياة

علمتنى الحياة أن أتغنى   بجمال الحياة كل صباح
فأرانى قد عدت طيراً سعيداً   يتسامى بين السنا الوضاح
وأرانى قد صرت روحا طليقاً   يتهادى فى عالم الأرواح
وأحس الحياة تَنفْـتَر فى نفسـ   ـى ، وتخضر كالربيع المتاح
وأرى قلبىَ الرقيق ... من الفر   حة يشدو كالبلبل الصداح
قل لمن يملأ الحياة بكاء   وهـو ثاو فى ظلمة الأتراح
إن من يزرع المدامع يوما   ليس يجنى غـير الأسى والنواح
فازرع الفرحة العميقة فى نفـ   ـسك تُنبتْ حديقة الأفراح

* * *

علمتنى الحياة أن عبير الـ   ـود يُهدى للروح عطر الصفاء
فطلبت الوداد فى كل قلب   من قلوب الأصحاب والنظراء
ومنحت الوداد صفوا من القلـ   ـب بلا منة ، ودون رياء
غير أنى — ويا لشقوة نفسى —   قد عدمت الوفاء فى أصدقائى
بعضهم خاننى لتنعم بالغد   ر نفوس كالحية الرقطاء
وفريق قد شام مجدى سماء   فأثار الرعود حول سمائى
أترانى ألومهم ؟ هل ألوم الـ   ـبوم إن ساءها بريق الضياء ؟
إن أردت الوفاء يا قلب فانعم   فى الأمانى بطيفه الوضاء

* * *

علمتنى الحياة أن أتمنى   فتغنى نفسى بسحر الأمانى
إن — المنى يحيل حياتى   جنة شاعرية الألوان
هو — المجهول يذهب عنه   كل سحر إذا بدا للعيان

رب أمنية قضيت حياتى   أشتهيها بمهجتى وكيانى
ثم جاءت وقد خبت نار شوقى   حين جاءت إلىّ بعد الأوان
أى نفع فى نسمة الصيف تأتى   إذ يكون الشتاء فى العنفوان ؟
حسب نفسى من الأمانى نداء   دائب الشوق ، دائم التحنان
ولقاء فى جنة الوهم إن عزّ (م)   لقاء فى عالم الإنسان

* * *

علمتنى الحياة أن عذاب النفس (م)   أقسى من نار كل عذاب
فى فؤادى الحزين جرح عميق   عاش فيه من قبل عهد الشباب
أى جرح هذا ؟ أجرح غرام   من عيون كحيلة الأهداب ؟
ذاك سرى ، وان أبوح به ما   عشت ... حتى للأهل والأصحاب
أنا وحدى سأكتوى بلهيبى   من عذابى وحيرتى واضطرابى
إنما الناس يا فؤادى ، عدو   شامت لو درى بسر مصابى
أو حبيب يأسى لما بى ، وإنى   لا أسوق الأسى إلى أحبابى
ولهذا سأختنى بدموعى   حين أبكى ، وأرتمى خلف بابى

* * *

علمتنى الحياة أن ليس فيها   أى شىء يبقى مدى الأيام
كم عزيزاً كنا نراه منى العمـ   ر ، فلو مات لم نعش بعض عام
وقضى نحبه فقلنا سنقضى   عمرنا فى الدموع والآلام
ومضت فترة ، فضاع أسانا   فى غمار الأحداث ، بين الزحام
ومضت فترة . فصرنا نغنى   لحياة سحرية الأنغام
لو تدوم الأحزان فى هذه الدنـ   يا ، لكانت حياتنا كالحطام
أو تدوم الأفراح فيها ، سئمنا   كل شىء فى عمرنا البسام
آفة العيش أن يكون رتيبا   رب فوضى تضم روح النظام

ابراهيم محمد نجا

الكتب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

١ - الفكر الإسلامي الحديث :

للدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر

هذه هي الطبعة الثالثة لكتاب : الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربي، والتي قامت بنشرها مكتبة وهبة بعابدين .

في قائمة الكتاب يعرض الدكتور تسلل الاستعمار الغربي إلى العالم الإسلامي منذ بداية منتصف القرن التاسع عشر ، كما يعرض نظرة الغرب المستعمر إلى العالم الإسلامي ، ثم يقدم صوراً من وسائل هذا الاستعمار في إضعاف المسلمين في إسلامهم ، وأبرز هذه الصور :

* قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدمية في الإسلام لتقرير سلطة المستعمر ...

* قيام بعض مفكري الغرب بحركة تهدف إلى بعث الخلافات المذهبية في الإسلام ...

وفي مقابل هاتين الصورتين تبرز صورة ثالثة ، هي حركة المقاومة للاستعمار الغربي .

في الباب الأول يناقش الدكتور الاتجاه الفكري الموالي للاستعمار لحمايته ، فيسلط أضواء على حركة « السيد أحمد خان » وحركة « ميرزا غلام أحمد » مؤسس « الحركة القاديانية » وكلتا الحركتين نشأت بالهند ، وكانت بمثابة أداة انجليزية طيعة لخدمة الاستعمار الغربي ، وموالاته على حساب الفكر الإسلامي .

أما الصورة الأخرى لموالاة الاستعمار ، فتتمثل في الدراسات الاستشراقية التي تستهدف إضعاف القيم الإسلامية ، وتمجيد القيم الغربية المسيحية ، وفي مقدمتها دراسات المستشرقين الفرنسيين : رينان وكيمون .

وفي الباب الثاني يعرض الدكتور البهي اتجاه مقاومة الاستعمار الغربي ، والمقاومة هنا مزدوجة ، تقوم على النقد النظري ، والمنهج العملي ، فنرى نقداً لحركتي أحمد خان وميرزا غلام أحمد ، ونقداً الدراسات الاستشراقية ، والناقدون لهذه العناصر من أمثال الأفغاني ومحمد عبده ، وإقبال ، لم يفتهم أن يضعوا منهجاً فكرياً آخـــر لتقوية المسلمين في معارضتهم للاستعمار .

وفي الباب الثالث : يناقش الكتاب « التجديد في الفكر الإسلامي » وكيف اعتبره بعض المتأثرين من المسلمين محاولة لا احتياط

فيها — لمتابعة التفكير الأوربى فى اتجاهه ، وكيف تأثر بعض المجددين فى مصر بالفكر الغربى إلى حد بعيد ، ففكرة بشرية القرآن التى حفلت بها دراسة المستشرق الانجليزى « جب » والتى تعتبر القرآن انطباعا فى نفس محمد ، وتعبيرا عن الحياة التى عاش فيها ، هذه الفكرة تجلت واضحة فى كتاب « الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ، وفكرة فصل الدين عن الدولة ، والتى بدت واضحة فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للأستاذ على عبد الرازق ، إنما هى فكرة مستمدة من تفكير الغرب فى فصل الكنيسة عن الدولة دون ما نظر إلى الفرق بين طبيعة المسيحية وطبيعة الإسلام .

وإذا كانت فكرتا « بشرية القرآن وإبعاد الدين عن الدولة » . تمثلان اتجاه الاستشراق الغربى ونفوذه فى تفكير « المجددين » فى تاريخ الفكر الإسلامى ، فإن هناك اتجاها آخر تناول فكرتين أخذتا طابع الرواج فى الشرق الإسلامى ، هما : « خرافة الدين ، والدين مخدر » الأولى وليدة الفكر المادى السابق على ظهور الشيوعية ، والأخرى شعار الشيوعية أو الماركسية ، وهاتان الفكرتان واضحتان بعض الوضوح فى كتابى : « من هنا نبدأ » للأستاذ خالد محمد خالد ، والله والإنسان « للدكتور مصطفى محمود » ، والأول فى « فصل الدين والكهانة » ، تأثر بكتاب الغرب الماديين الاشتراكيين ضد الكنسية الكاثوليكية ، والأخير تأثر ببعض الفلاسفة الوضعيين ومنهم الفيلسوف الألمانى « فيرباخ » ، أما تسلل الماركسية فى التجديد فى الفكر الإسلامى ، فقد وضح فى الأدب العربى أو أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد اتسعت صفحات الصحف لهذا التسلل وكذلك السلاسل الدورية .

وفى الباب الرابع : يتحدث الكتاب عن الإصلاح الدينى ، فى مجال الإسلام ، وهو تفكير ومنهج ، يقوم على نقد وبناء ، وقد ظهر على مسرح الإصلاح الدينى شخصيتان ، إحداهما عربية مسلمة هى شخصية الإمام محمد عبده ، والأخرى آرية هندية هى شخصية « محمد إقبال » أولهما كان يعى من الثقافة الإسلامية بقدر ما كان يعى الآخر من الثقافة الغربية ، وإن كانت محاولة الإمام قريبة من منطق الإسلام ، ومحاولة إقبال قريبة من منطق الفكر الغربى والدافع لإقبال فى الحركة الإصلاحية هو تخلف المسلمين عن المشاركة فى السيطرة على الطبيعة والواقع

وإقبال صاحب تجديد الفكر الدينى فى الإسلام ، يعرض المؤلف منهجه كمسلم أولا ، ومفكر غربى فى الصناعة والمنهج ثانيا ، ويلاحظ عليه ملاحظات ، فيما يتعلق بالبعث

والخلود فى النار أو الجنة ، وفى حسن ظنه بدراسات المستشرقين ، وتأثره بالمذهب الوضعى « لأوجست كومت » وإن لم يرض عما فيه من إلحاد .

وفى الباب الأخير « الإسلام غدا » يرى الدكتور أن العالم الإسلامى اليوم يواجه الصليبية والماركسية معا . وأنه قد أصاب الإسلام منهما كما أفاد الإسلام منهما أيضا فى إيقاظ الوعى الإسلامى وإيجاد المحاولات الفكرية الإسلامية الواعية .

وبعد — فالدكتور بهذا الكتاب القيم يزجى للفكر الإسلامى خدمة جليلة. والشجاعة الأدبية التى وضحت من خلال هذه الدراسة تعتبر مثلا أعلى لمن يتصدون للكتابة عن الفكر الإسلامى ليدفعوا عنه غوائل العدوان من الصليبية الباغية ، التى لا تمت إلى روح المسيحية الأصيلة بصلة ، ومن الماركسية المادية التى لا تمت إلى العقل بسبب ، والتى لا زال لها أتباع فى الشرق الإسلامى يحترفونها احترافا ، لينالوا الثمن الأدبى والمادى على السواء .

٢ — التفسير البيانى للقرآن :

للدكتورة بنت الشاطىء .

هذا الكتاب الجديد نشرته دار المعارف بالقاهرة للدكتورة بنت الشاطىء ، وهو محاولة جديدة وجدية أيضا ، هى إيجاد تفسير بيانى لكتاب الله عز وجل « حيث ظل التفسير الأدبى له حتى اليوم محصورا فى نطاق مادة التفسير دون أن ينتقل إلى مادة الأدب العربى مع المعلقات والمفضليات والنقائض ، والمقامات والرسائل والأمالى » .

فالأصل فى منهج التفسير كما ترى الدكتورة هو التناول الموضوعى الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، وقد طبق بعض الأساتذة هذا المنهج تطبيقا ناجحا فى موضوعات قرآنية اختاروها فى دراسات لهم .

والدكتورة بنت الشاطىء اختارت لهذه المحاولة بعض السور المكية القصار « الضحى . الانشراح ، الزلزلة النازعات ، العاديات ، البلد ، التكاثر » واستطاعت أن تعرض تفسير هذه السور تفسيرا بيانيا ذا قيمة أدبية لها تقديرها ، فهى تناقش أسباب النزول أولا ، وتناقش آراء المفسرين ثانيا ، ثم تبرز فى النهاية نصيب البيان من آيات القرآن .

وهى حين تعرض هذا وذاك تستبعد الآراء التى لا تتفق وذوق القرآن فى إعجازه البيانى ، سواء فى أسباب النزول أو فى أغراض المعانى ، وليس بمستساغ مثلا أن يكون سبب انقطاع الوحى فترة ، هو وجود « كلب » تحت سرير الرسول ، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو تمثال .

كما عنيت الدكتورة بإحصائيات مقبولة لبعض الألفاظ القرآنية ، فى محيط دراستها هذه السور ، والهدف من ذلك إيجاد وحدة تربط بين معانيها ، وعنيت أيضا بالربط بين السورة والأخرى تارة ، وبين الآيات وما يقابلها أو ما يجانسها تارة أخرى ، لتبرز أيضا الإعجاز البيانى للقرآن .

والمهمة الشاقة التى اضطلعت بها الدكتورة بنت الشاطىء هى مناقشتها لآراء المفسرين القدامى - وهى مهمة ليست باليسيرة ، فالمفسرون مثلا اختلفوا فى تفسير « والنازعات غرقا » ومعظمهم فسر النازعات بشىء معنوى ، إلا الزمخشرى الذى فسرها « بالخيل » والمؤلفة ترى أن السور المفتتحة بواو القسم ، نلحظ أن القرآن يتجه فيها غالبا إلى أن يلفت إلى مادى محسوس وواقع مشهود ، ويجب أن ينطبق على « والنازعات » وأن تفسر بالخيل المغيرة دون تحديد لها بخيل الغزاة كما رأى الزمخشرى وغيره .

والدكتورة فى منهجها هذا ، تطرح جانبا ، الخلافات الشكلية التى زخر بها كثير من كتب المفسرين ، فمدة انقطاع الوحى عن الرسول ، لا تعنينا بالمرة ، وكان من الحشو الذى لا جدوى منه ، أن يقحم هؤلاء المفسرون عقولهم فى تحديد فترة انقطاع الوحى بالأسابيع أو الشهور ، ما دام القرآن سكت عن تحديدها ، وكان الأفضل أن تلتزم أدب القرآن فى هذا . وتعتز المؤلفة بالراغب الأصفهانى الذى اتجه إلى شىء من الاهتمام بتتبع اللفظ ، بينما أهمله معظم المفسرين من القدامى .

والدكتورة بنت الشاطىء اكتفت بعدد قليل من تفاسير المفسرين القدامى ، ولعلها أبرزها ، وتجاهلت بقيتها ، مع أن لهذا الجزء المهمل مذهبه فى التفسير ، واكتفت أيضا من التفسير الحديث بآراء الإمام محمد عبده ، مع أن بعضا من التفاسير ظهر بعد الإمام ، ولعل أبرزها « فى ظلال القرآن » للأستاذ سيد قطب ، وكتابات المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف فى مجلة لواء الإسلام ، وغيرها .

كما أن سيادتها قد جانبها التوفيق فى قليل من آرائها ، فهى فى صفحة ٥٩ تعقب على الزمخشرى فى قوله « ومعنى اصطحاب اليسر والعسر أن الله أراد أن يصيبهم - يعنى المؤمنين - بيسر بعد عسر ... » تعقب بقولها : هو ملحظ دقيق وإن كان التعبير عنه قد خان الزمخشرى فى موضعين : الأول حين قال : يصيبهم بيسر ، واستعمال الإصابة فى مقام البشرى غير مقبول . . . » .

وحسبنا أن نذكر سيادتها ببعض من آيات القرآن :

« نصيب برحمتنا من نشاء » يوسف ، « إن تصبك حسنة تسؤهم » التوبة ، « فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون » أى المطر « الروم » « فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » الخ .

فأنت ترى أن الإصابة تستعمل فى مقام البشرى وضدها .

هذه لفتة لا تمس هذه المحاولة القيمة فنحن فى حاجة إلى أمثالها ، ولعل الدكتورة بعد هذه المحاولة الموفقة تتبعها بمحاولات ، فالقرآن سيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فى مسيس الحاجة إلى إبراز إعجازه البيانى . .

٣ — قضية الألوهية بين الفلسفة والدين :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هذا الكتاب الجديد للأستاذ الخطيب والذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، دراسة تناولت قضية لها شأنها وخطورتها وأثرها فى سير التفكير فى العالم بأسره .

غاية هذه الدراسة : الدعوة إلى الإيمان بالله ، والوقوف فى جبهة المدافعين عن الدين فى وجه المذاهب الإلحادية .

هذه الدراسة بحق على مستوى رفيع ، جاءت بمثابة جولة عقلية ممتعة مجردة من جفاف الأسلوب وعنت اللفظ ، وقد تناولت « الله » ذاتا وموضوعا ، فناقشت ماهية الدين كصلة روحية بين الإنسان وربه ، وكغريزة ضرورية وحيوية لاستكمال وجود الإنسان ، واستقرار حياته ، كما ناقشت مجالات البحث عن الله ، وحركة العقل فى مواجهة الحقيقة الكبرى ، ومدركاته فيما وراء الطبيعة ، وقصوره فى مواجهة هذه الحقيقة الكبرى . . الله ، وتهافت الفلاسفة فى هذا الصراع الفكرى ، كما ناقشت نظرية وحدة الوجود بين الفلاسفة والمتصوفة ، وموقف الإسلام منها — ومعارضته إياها ، وكذلك ناقشت هذه الدراسة ، وحدانية الله وتجسيد الذات وتجريدها — حيث لا تجسيد ولا تجريد ، ومفهوم هذه الذات عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأرسطو وفيثاغورث — والمحدثين كبرجسون ووليم جيمس .

وفى الباب الأخير عرض الكاتب الأديب قضية الألوهية فى الإسلام ، تحدث عن المنهج السماوى فى الدعوة إلى الله ، وعن أسلوب القرآن فى الدعوة إلى الله ، وعن مفهوم الإلهية فى شريعة الإسلام ، ومفهوم الذات عند المعتزلة والأشاعرة ، والفلاسفة الإسلاميين : كالغزالى وابن سينا وغيرهما ممن لم يرتضوا أن يكونوا مع المعتزلة أو أن يكونوا مع الأشاعرة ، فاتخذوا لأنفسهم

موقفا خاصا بهم ، أرادوا أن يوفقوا فيه بين مختلف الآراء المتنازعة فى صفات الله عز وجل ، بين نفى وإثبات ، أو فى ذات الله بين تجريد وتجسيد .

الحق - أن الكتاب دراسة عميقة فى أخطر قضية عقلية ، والمجهود الذى بذله المؤلف مجهود واضح فيه الإجهاد الذهنى ، إلا أن عنوان الدراسة « قضية الألوهية » يفهم منه الشمول لا الخصوص ، فالجانب الفلسفى وفاه حقه ، وأما الجانب الدينى فيكاد يكون قاصراً على الإسلام وحده ، دون ما تعرض واضح لهذه القضية فى الأديان السماوية أو الأديان الوضعية . وهى قضية البشرية عامة فوق ظهر البسيطة .

كما أن المؤلف أسهب فى النقل عن فلاسفة الغرب ، وأوجز فى النقل عن فلاسفة المسلمين ، ونصيب التحليل والتعقيب على آراء هؤلاء الفلاسفة جميعا متواضع ، لأن معظمها مؤيد لدراسة الكتاب نفسها ...

والكتاب بعد ذلك جدير بكل تقدير ...

٤ — شاعر العروبة والإسلام :

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى .

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ الجيوشى عن شاعر العروبة والإسلام « أحمد محرم » ، والمؤلف من شباب علماء الأزهر ، وهو مدير الشئون الدينية بالإذاعة ، ومنذ أربع سنوات وهو يتابع البحث عن حياة الشاعر وشعره ، معتمدا أولا على ديوانه المطبوع منه الجزءان الأول والثانى ، ثم على ديوانه المخطوط « مجد الإسلام » ، وقد ألزمته الأمانة العلمية الانتقال إلى بيئة الشاعر ، ولقاء معارفه وذويه والاطلاع على الصحف المعاصرة له ، والتى طالما غذاها بأدبه فى الشعر والنقد معاً .

جاء الكتاب فى بابين : فى الأول تناول أهم وأبرز الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية التى كان لها صدى فى شعر محرم ، كما تناول ترجمة وافية عن الشاعر نفسه ، أما الباب الثانى فتناول فيه شعر محرم ورسالة الشعر فى نظره ، ومصادر شعره ، ثم الموضوعات التقليدية التى سار الشاعر فيها على منوال من سبقه ، ثم الموضوعات التجديدية التى أوحى بها العصر ، وفى الفصل الأخير من هذا الباب ، عقد المؤلف موازنات بين حافظ وشوقى من جهة ، وبين محرم من جهة أخرى ، خاصة فى حقل الوطنية والإسلام . كما عرض للسمات الفنية لشعر محرم ، وعرض لرأى النقاد فيه ، ومكانته فى الشعر المصرى الحديث .

ثم عقد فى الخاتمة فصلا لخص فيه الدراسة ، الحقائق الجديدة فيها .

يرى المؤلف أن من الأحداث التى أثرت فى الشاعر ، الاحتلال البريطانى لمصر ، ودعوة الأفغانى إلى الجامعة الإسلاميّة ، ودعوة الإمام عبده إلى الإصلاح الاجتماعى عن طريق الدين ، وحركة مصطفى كامل لتحرير البلاد من وصمة الاحتلال الأجنبى ، ودعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة ، ومقتل بطرس غالى ، الذى نتج عنه إهاجة الفتن بين المسلمين والأقباط ، فانبرى لها الشاعر يطفىء لهيب الفتنة بشعره ، ومن الأحداث كذلك ثورة ١٩١٩ الوطنية ، وقضية فلسطين والجامعة العربية والحرب العالمية الثانية .

وأنت ترى هذه الأحداث تكاد تكون محلية إذا استثنينا قضية فلسطين ، مع أن هناك أحداثا ضد الوطن الإسلامى عاصرها الشاعر ، أبرزها عدوان إيطاليا على ليبيا ، وفرنسا على المغرب العربى والشام ، وانجلترا على العراق وشرق الأردن ، والهندوكية على مسلمى الهند وغير ذلك .

المؤلف ينفرد بهذه الدراسة المستقلة عن شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، وخفف قليلا من وصمة الجحود لهذا الشاعر الفحل ، وكنت أود أن ينال تحليل المؤلف لشعر محرم نصيبا أوفى حتى يتبين بوضوح منهجه ومذهبه الشعرى ، كما كنت أود أن لا يفوت المؤلف عقد موازنة واسعة بين ديوانى الشاعر : المطبوع والمخطوط ، ليتجلى بوضوح انتقال الشاعر بشعره من مرحلة إلى مرحلة .

والدراسة بعد ذلك مجهود له تقديره والاعتزاز به .

إلى السادة القراء

بهذا العدد ينتهى المجلد الثالث والثلاثون ، وبه فهرس أبجدى عام لموضوعاته .

وسيصدر عدد المحرم فى موعده .

بريد المجلة

الجفرى والعرب فى أندونيسيا :

فى أثناء زيارة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمود شلتوت لمدن أندونيسيا استقبل بمدينة صولو الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى وسأله عن أحوال المسلمين والأندونيسيين بوجه عام . وعن شئونهم الدينية والاجتماعية بوجه خاص . ثم طلب منه أن يفصل حديثه فى دراسة شاملة تبين مقدار حظهم من التعليم ومبلغ فهمهم لرسالة الإسلام ، وتكشف عما يعوزهم من الوسائل لبلوغ الغاية المرجوة من فقه الدين وتحصيل العلم وجهادهم فى الحياة .

فقام السيد الجفرى بهذه الدراسة وبعث بها إلى الإدارة الثقافية بالأزهر ، وعن طريق هذه الإدارة جاءت المجلة فنشرتها معتمدة على سعة اطلاع الكاتب وحسن نيته وسمو غرضه ، نشرت من هذه الدراسة الطويلة قسمين فى عددين متتاليين ثم كفت عن نشر الباقى ، لأن القراء فى أندونيسيا نبهونا على أن الكاتب كتب ما كتب متأثرا بعلويته لا بأندونيسيته وكان المفروض فى مثل هذا المقام أن يكون لسان صدق لجميع مواطنيه يعبر عن أعمالهم وآمالهم بالكلمة الجامعة والحقيقة الواقعة ، لا أن يتبع غير سبيل المصلحين من إثارة العصبية وإحياء الطائفية . أنكر عليه القراء تعصبه لقومه وتحامله على قوم آخرين . وكان مظهر هذا الإنكار جملة من الردود اخترنا منها ردين أحدهما للأستاذ شوكت البحرى الأستاذ بجامعة شكرو أمينوتو والآخر للأستاذ عمر سليمان ناجى من جاكارتا نشرناهما فى عدد شعبان من هذه المجلة وقدمنا لهما بقولنا :

« وردت إلى المجلة تعقيبات على هذه الدراسة التى كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى . وسنكتفى بنشر كلمتين من هذه الكلمات نرى فيهما غناء . ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلبه عن العصبية البغيضة التى فرقت كلمة المسلمين فى الماضى فإن ديننا الحنيف يقوم على التوحيد والوحدة ، ويدعو إلى الوئام والمحبة ، وليس منا من دعا إلى عصبية » .

وبعد فلعل فى هذا بلاغا لقوم لا يزالون يعيشون فى البيئة الإسلامية بالعقلية الجاهلية فينسبون لأنفسهم ما ليس لهم ، ويرمون

غيرهم بما ليس فيهم ، وينسون أن الإسلام أخوة بين الناس ومساواة بين الأجناس ووحدة بين الشعوب ، وعسى أن تكون فى هذه الكلمة تعزيراً لمن أخطأ ومعذرة لمن غضب) .

هل كانت الأحرف السبعة لضرورة زالت ؟ :

قال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى أستاذ علوم القرآن فى معهد التخصص ، الآستانه تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا فى تفسيرها إلى نحو أربعين قولا لا تعويل إلا على القليل الأقل منها : وقال الطحاوى فى مشكل الآثار إنما كانت السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم موسعا لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا فكانوا كذلك حتى كثر فيهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها . اهـ قال القرطبى : « قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك . ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد » اهـ « وقد أطال الطحاوى النفس فى (مشكل الآثار ج ٤) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه ومما قاله هناك : إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه وإن كان الذى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم إنما نزل بألفاظ واحدة » : فإقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقتية نسخت فى عهد المصطفى صلوات الله عليه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف

تعليق على تعليق :

لم أقل فيما كتبت فى تعليقى على كلمة الأستاذ المرحوم أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام إن معنى قوله تعالى : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها » الخضوع للشرائع طوعا وكرها كما نسب إلى الأستاذ محمد فخر الدين حتى يرتب على ذلك ما رتب مما قرأه القراء فى العدد السابق وإنما قلت بالنص : إن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية بتمامها وهى « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » وليس فيها بتمامها ما يشعر بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين ، كما قال رحمه الله وغفرله وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز فى النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن مآله إليه . ولأن الله

قادر عليه إن يشأ يذهبه أذهبه وإن يشأ يعذبه عذبه . وإن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت » .

هذا ما قلته . أرجو أن يتأمله الكاتب مرة أخرى. فسيعرف بعد التأمل أن قوله: « وله أسلم من فى السموات والأرض » تشنيع عليهم أن يبتغوا غير الإسلام دينا وإنكار عليهم أن يكونوا بتمردهم على الإسلام نشازاً فى النظام العام ، وهذا القدر يكفى فى معرفة أنهم لم يطلق عليهم كلمة الإسلام ، وحسبنا هذا القدر من الكلام ؟

عبد الرحيم فودة

صلات . . مصرية صومالية

صلات عريقة خالدة تضرب جذورها فى أعماق تاريخنا القديم ... ثم تمتد عبر فترات التاريخ المتعاقبة حيث عاش آباؤنا وأجدادنا هنا وهناك على ظهر الأرض الطيبة من قارة إفريقيا الحبيبة يكدون ويكدحون ويصنعون للدنيا أصول الحضارة .

هنا فى الصومال وهناك على ضفاف النيل الخالد حيث قامت حضارة مصر العريقة ...

ونرجع إلى أغوار التاريخ نستشرف قمة تلك الروابط الأصيلة فنجد (حتشبسوت) الملكة المصرية القديمة فى أزهى عصور تاريخنا القديم تمد يد الأخوة والصداقة إلى أشقائها فى الصومال فترسل بعثة تجارية بحرية تسير عبر البحر الأحمر إلى الخليج ثم تلقى مراسيها عند أول ميناء صومالى فى « بوصاصو » ...

ويخرج حاكم الصومال فى ذلك الوقت مع زوجته وحاشيته لمقابلة تلك البعثة المصرية ، ويتقبل الهدايا التى حملتها السفينة الكبيرة وقلوب الجميع تخفق بالود والإخلاص ... ثم يكرم الوفد ويحييه ... وتمتلىء المراكب بالعطور والبخور والتحف وتعود أدراجها فى أمان وسلام ويكون ذلك الغرس أول بذور الود والإخلاص والصداقة التى تنمو مع الأيام ، وتسجل الملكة تلك الرحلة الخالدة على جدران (معبد الدير البحرى) حيث تظل مكتوبة إلى الآن تقرؤها الأجيال ويذكرها الأبناء والأحفاد ، ويفخر كل مصرى وصومالى بذلك اليوم المجيد :

يوم أن كانت وفود حرة
تعبر الشاطىء فى عز وجاه
فتنادى ها هنا إخوتنا
ها هنا أبناء إفريقيا الحماه
فليبع التاريخ ودا خالداً
لبنى الصومال والنيل الأباه

ثم يبزغ فجر الإسلام الحنيف ، وينتشر نوره فى الآفاق هنا وهناك وتصبح العقيدة المقدسة رباطا وثيقا طاهرا يشد القلوب ، ويجمع الأفئدة ويوحد الأهداف .

رباط شده الله بإخلاص وإيمان .

وتزدهر الصداقة المصرية الصومالية مع ازدهار الإسلام فى مصر والصومال معا وتقوى معها الروابط التجارية والوطنية وتجد المصنوعات المصرية فى الصومال سوقا رائجة ...

يقول المؤرخ الإسلامى الرحالة ابن بطوطة : إنه لما نزل الصومال أنعم سلطانها عليه بكسوة تشريفة — وهى فوطة من الحرير يلفها على وسطه وذراعه وهى من صنع مصر وأنعم عليه بعمامة مصرية أيضاً وقال له باللسان العربى : « قدمت خير مقدم ، وشرفت بلادنا » ...

ويقول الرحالة أيضاً : إنه رأى فى الصومال تجارة واسعة وتجارا أمناء وإن التجارة المصرية رائجة وإنهم يعتزون بما يرد إليهم من المصنوعات المصرية ...

القضاء فى أندونيسيا :

أندونيسيا دولة آسيوية — تقع فى الشرق الأقصى — تحررت من الاستعمار الهولاندى بعد كفاح طويل ، وهى الآن تعتنق سياسة الحياد الإيجابى ، وأندونيسيا هذه تتكون من ثلاثة آلاف جزيرة تقريبا لكل منها عاداتها وتقاليدها ولغتها الخاصة ، فنى أندونيسيا خمسة وعشرون لغة تقريبا ومائتان وخمسون لهجة ولكن الآن تجمعها لغة واحدة هى لغة أندونيسيا — وهى اللغة الرسمية للبلاد ، ويربطها رباط واحد وهو الإسلام فسكان أندونيسيا تسعون مليونا تقريبا ، تسعون فى المائة منهم مسلمون وخمسة فى المائة ديانات مختلفة والخمسة الباقية لادين لهم .

وعلى الرغم من كل ذلك فالقضاء فى أندونيسا قسمان : قضاء شرعى ، وآخر مدنى أما القضاء الشرعى فهو يتمثل فى المحاكم الشرعية المنتشرة فى المدن وقليل من المحاكم الشرعية العليا وهو يختص بالفصل فى شئون الزواج والطلاق والميراث والنفقة والحضانة .

وليست لهذا القضاء سلطة تنفيذية ؛ ولكن إذا رفض أحد المتخاصمين تنفيذ الحكم يرفعه المتخاصم الآخر إلى المحكمة المدنية لتقوم بالموافقة على الحكم السابق أو تغييره ثم تنفيذه .

وبالقرى والمدن أيضا موظف حكومى مهمته توثيق عقود الزواج ، والصلح بين الزوجين المتخاصمين فإن لم يمكن فيقوم بعملية فسخ العقد عند الطلاق — لأن الطلاق لا يتم بدونه — وإذا رفضت الزوجة الطلاق لسبب من الأسباب كأن يكون لها على زوجها بعض المال أو غير ذلك فلها أن ترفع الأمر إلى المحكمة الشرعية لتفصل فى الموضوع .

وهناك عادة غريبة وهى أن الرجل إذا طلق

زوجته يصبح لها الحق فى أخذ نصف المال أو العقار الذى جمعاه بعد الزواج ـ ولو كان هذا المال اكتسبه الرجل وحده ـ وكذلك إذا مات أحد الزوجين فللآخر نصف ما جمع أثناء فترة الزواج والنصف الآخر يقسم تقسيما شرعيا . أما المال المملوك قبل الزواج فليس لأحد الزوجين أخذ نصفه عند الطلاق أو الوفاة .

كما يوجد أمر غريب آخر : وهو : أنه لو حدث أن تزوجت مسلمة ـ وهذا نادر ـ من غير مسلم فإن القضاء الشرعى لا يملك التدخل وكذلك القضاء المدنى لا يتدخل حيث إن الدستور لم ينص على علاج تلك المشكلة . كما أنه لم ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام .

بقى أن تعرف ــ أيها القارئ الكريم ـ أن القضاء الشرعى يتبع وزارة الشئون الدينية .

أما القضاء المدنى فإنه يتبع وزارة العدل وهو يختص بشئون الحياة الأخرى التى لم يتناولها القضاء الشرعى ، وهذا القضاء متأثر لحد بعيد بالقضاء الهولندى وبعض القوانين الفرنسية والانجليزية والرومانية كما أنه يقتبس قليلا من القوانين الإسلامية ولهذا فكليات الحقوق بأندونيسيا تدرس بعض أبواب الفقه الإسلامى كالميراث والزواج والطلاق والنفقة وغير ذلك كما أنها تدرس التاريخ الإسلامى باختصار أيضا .

هذه خلاصة موجزة عن القضاء فى أندونيسيا الشقيقة الحبيبة المسلمة المكافحة .

محمود جاد عطارى
مراسل مجلة الأزهر بأندونيسيا

تصويب :

كتب لنا الأستاذ إسماعيل عبد الحميد برغوث مراقب معهد شبين الكوم أنه وقع خطآن فى مقال الأستاذ محمود الشرقاوى : « ربكم أعلم بما فى نفوسكم » المنشور فى عدد رمضان الأخير من المجلة .

والخطأ المطبعى وقع فى آيتين كريمتين نعيد تصحيحهما فيما يلى :

١ ـ « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

٢ ـ « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

قراءة القرآن من أواسط السور :

فى تعقيب على مقالى : « قراءة القرآن من أواسط سوره » ، نشرت مجلة الأزهر رأيين :

الأول لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد اللطيف السبكى مؤداه أن فى قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » ما يغنينا فى الاستدلال

على البداءة بالبسملة عن التماس ذلك فى حديث « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع » ، ومن ثم لا داعى للبحث عما فى الحديث من ضعف وصحة ورفع وإرسال .

وفى الآية أيضاً غناء عن الاستناد إلى قواعد أصولية مذهبية لا إجماعية فى تقرير الاستدلال بآية « وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » وردى على هذا أنه لم ترو عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة تدل على أنه بسمل مرة واحدة حين قرأ القرآن من أواسطه وهذا محل إجماع بين القراء ، كما أن الآراء فى تفسير الآية التى استند إليها فضيلته فى تقرير البسملة فى أواسط السور كثيرة ، والوجه الذى اعتمده فى فهم الآية لبعض المفسرين عورض بأوجه كثيرة لمفسرين آخرين ، فضلا عن اصطدام هذا الوجه بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم

أما التعقيب الآخر فهو للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، ويعتمد فيه السيد المعقب وراء ما تقدم من الاستدلال بالآية السابقة على معارضة القاعدة الأصولية التى أوردتها بقاعدة أصولية أخرى : وهى « أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال »

ولو سلمت له هذه المعارضة ، واجهته بدليل آخر وهو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا يسوغ بعده قياس مخالف أو رأى مضاد ، فلنترسم طريقته صلى الله عليه وسلم فى القراءة من أواسط السور باعتباره المبين لما أجمله القرآن والموضح لما أشكل من أمره ، وكتب القراء على اختلافها وتباين أفهامها تقرر ما أقول وتؤكد أن ذلك لم يثبت رواية والسبب الأول والأخير لهذا إنما هو اليمن والبركة ، والأصل بقاء المعدوم على عدمه حتى تقوم البينة بإثبات جديد . أما ردى على ما أورده السيد المعترض من قصة سليمان عليه السلام فهو أنى لا أعارض فى بدء الأعمال أى أعمال بالبسملة ؛ ولكنى هنا بصدد تخطيط قرآنى محدد لطريقة قراءة القرآن ، وبعد :

فإن الفكرة فى ذاتها قديمة وهى فى الوقت نفسه حية ماثلة فى أعراف أهل نجد والصومال وغيرهم كثيرا وأختم هذه المناقشة بأن الخير كل الخير فى ترسم أعمال الرسول وأقواله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الإسكندرية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق — عبد الرحيم فوده

تعالوا أيها الاشتراكيون ، فاعرفوا نبيكم الأعظم

... وجاء (صلى الله عليه وسلم) من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها ، فرأى على بابها ستراً . وفى يديها قلبين من فضة ، فرجع : فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى ، فأخبرته برجوع أبيها ، فسأله فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسوارين.

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت به ، فضعه حيث ترى . فقال لبلال : اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة . فباع القلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشا) وتصدق بها عليهم .

يا بنت النبى العظيم . ! وأنت أيضا لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإن فى المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ... ؟

أى رجل شعبى على الأرض كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيه للأمة كلها غريزة الأب ، وفيه على كل أحواله اليقين الذى لا يتحول ، وفيه الطبيعة التامة التى يكون بها الحقيقى هو الحقيقى . . !

يا بنت النبى العظيم . . ! إن زينة بدرهمين ونصف ، لا تكون زينة فى رأى الحق إذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف ، إن فيها حينئذ معنى غير معناها : فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة ؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكما على الإيمان بالخير ، وفيها ما ليس بضرورى قد جار على ما هو الضرورى ؛ وفيها خطأ من الكمال إن صح فى حساب الحلال والحرام لم يصح فى حساب الثواب والرحمة .

تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم ؛ إن مذهبكم ما لم تحيه فضائل الإسلام وشرائعه — إن مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار تشدونها بالخيط ... كل يوم تحلون ، وكل يوم تربطون ، ولا ثمرة فى الطبيعة . .

مصطفى صادق الرافعى

من كتاب وحى القلم

إيضاح :

(١) القلب بضم القاف سوار من الفضة غير ملوى هو الذى يقال له اليوم : الغويشة . وهو خفيف .

(٢) أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه .

قاعدة نظام الحكم

كانت القاعدة الأساسية التى أقام أبو بكر وعمر عليها نظام حكمهما هى أن يسيرا سيرة النبى فى المسلمين ما وجدا إلى ذلك سبيلا ، وسيرة النبى فى المسلمين معروفة إلى أبعد حد ممكن ، وكان قوام هذه السيرة تحقيق العدل الخالص المطلق بين الناس ، وما نحتاج فيما نظن أن نقيم على ذلك دليلا ، وحسبنا أن نذكر من لا يذكر أن الإسلام إنما جاء قبل كل شىء بقضيتين اثنتين : أولاهما التوحيد ، وثانيهما المساواة بين الناس ، والله عز وجل يقول : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وكان أغيظ ماغاظ قريشا من النبى ودعوته أنه كان يدعو إلى هذا العدل وإلى هذه المساواة ولم يكن يفرق بين السيد والمسود ، ولا بين الحر والعبد ، ولا بين القوى والضعيف ، ولا بين الغنى والفقير ، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعا سواء كأسنان المشط ، لا يمتاز بعضهم عن بعض ، ولا يستعلى بعضهم على بعض ، وقد يقال : إنه لم يلغ الرق ولم يمنع الناس من أن يملك بعضهم بعضا ، ولكن الذين يفقهون الإسلام ويعرفونه حق معرفته لا ينكرون أن هذه الخطوة الهائلة التى خطاها الإسلام حين سوى بين الحر والعبد أمام الله كانت وحدها حدثا خطيرا فى تاريخ الناس ، وحدثا خطيرا له ما بعده لو مضت أمور المسلمين على وجهها ولم يعترضها ما اعترضها من الفتن والمحن والخطوب فالله فرض الصلاة على الأحرار والرقيق ، كما فرض عليهم الصوم . وكما فرض عليهم أن يخلصوا قلوبهم له ، والله قد عصم دماء أولئك وهؤلاء على السواء ، والله قد شرع دينه واحدا لأولئك وهؤلاء ، لم يشرع بعضه للأحرار وبعضه للعبيد ، وهذا وحده خليق لو مضت الأمور على وجهها أن يمحو الرق محوا ويحرمه تحريما ، فكيف وقد جعل الله فك الرقبة وإعتاق الرقيق من الأمور التى يتنافس فيها المسلمون يدخرون بها الأجر من الله والمثوبة عنده ، وكيف والله قد فتح فى الدين أبوابا كثيرة لا يكاد يلجها الرقيق حتى يعتق ، والله قد مد فى أسباب الإعتاق والتحرير لمن شاء أن يتصل بها ، فجعل الإعتاق كفارة لبعض الخطايا ، ولم يدع وسيلة تيسر الإعتاق وتغرى به وتعين عليه وتفرضه على الناس فرضا إلا دعا إليها ورغب فيها وشرعها للمسلمين .

وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفه

على النبي لما أظهر من ذلك ، حتى لأكاد أعتقد أنه لو قد دعاها إلى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون أن يسوى بين الحر والعبد وبين الغني والفقير وبين القوى والضعيف ، ودون أن يلغى ما ألغى من الربا ، ودون أن يأخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء — أقول لو قد دعاهم النبي إلى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لأجابته كثرتهم في غير مشقة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها إيمانا خالصا ، ولا كانت قريش حريصة على آلهتها حرصا صادقا ، وما كانت قريش إلا شاكة ساخرة ، تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية ، وسيلة إلى استهواء العرب واستغلالها ، أو لأجابه من قريش من أجاب ، وامتنع عليه منها ما امتنع ، دون أن يلقى في ذلك مشقة أو عنتا ، إلا أن يكون حرص قريش على آلهتها نتيجة حرصها على مكانتها من العرب وانتفاعها بما كان يجلب إليها من الثمرات ، ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريش على النبي لأنه عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع ساداتها وكبرائها أكثر مما سخطت عليه لأنه عاب آلهتها ودعاها إلى أن تلغي الوساطة بينها وبين الله .

الدكتور طه حسين

من كتاب الفتنة الكبرى وعثمان

تعليق :

لم يهدر الإسلام مكانة « البيت » الذي كان العرب يحجون إليه وكانت قريش تنتفع بما يجبى إليه من ثمرات بل لقد أعلى الإسلام مكانته وجعله « قياما للناس » لا للعرب وحدهم . ولم يكن حرص قريش على مكانتها من العرب هو السبب الأكبر فيما كانت تبديه من سخط على النبي . فقد كان النبي من قريش ثم كان الأئمة من قريش ، وإن لم نجد في القرآن ولا في حديث النبي عليه الصلاة والسلام ما يدل دلالة قاطعة على ضرورة أن تكون الإمامة في قريش ، ولم يكن الإسلام قد اكتمل نزوله حتى يفسر سخط قريش عليه بأنه كان لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع سادتها وكبرائها ، إنما كان سبب سخطها لذلك ولكثير من الأسباب غير ذلك كما يفهم من قول وفدها لأبي طالب : « يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا . وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فنكفيكه » . وكما يفهم من قول جعفر ابن أبي طالب للنجاشي :

« أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد

الأصنام . و نأكل الميتة ، و نأتى الفواحش . و نقطع الأرحام . و نسىء الجوار ، و يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده ، و نخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول لزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات » ... إلخ .

فالظاهر من هذه النصوص أن الإسلام كان ثورة عامة على كل ما كان عليه العرب من عرف فاسد جامد ، وفساد فى العقل والشعور والضمير والسلوك ، وأنه كذلك كان ثورة على الوضع الاقتصادى والاجتماعى الذى كان قائما على الظلم والإثم والعدوان بل كان ثورة عالمية على الذين يعبدون الأصنام والأوثان من العرب ، والذين يعبدون النار من المجوس ، والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، والذين يعبدون الكواكب والجن والملائكة من أولئك وهؤلاء وغير أولئك وهؤلاء . ، وقد ووجه الإسلام بكل هذه القوى فصبر وانتصر ، وكأنما كان صلى الله عليه وسلم يشعر بهذه القوى ويسخر منها ويتحداها حتى أجاب عمه أباطالب بهذه الكلمات وهو فرد أعزل لا يملك غير إيمانه بدعوته : « ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولا غبار بعد ذلك على كل ما قاله الدكتور فى هذا الفصل الرائع الممتع من كتاب «عثمان» .

إباء شاعر :

كان « محرم » يتحرق غيظا من زمانه الذى تأخر به عن أقرانه ، ووقف به دونهم ، وربما فاقهم فى الطاقة الشعرية . وسبقهم فى محراب الفن .

وسارت الحياة بمحرم سيرة قلقة مجحفة ، فلم تلن قناته ، ولم يتخل عن مثله ، أو يتنكر لمبادئه ، بل ظل وفيا لها . حفيظاً عليها حتى لقى ربه .

وكثيراً ما كان هذا الإباء وعلو النفس سبباً فى حرمانه من خير كثير كان يستحقه بماله من مكانة أدبية وقدم راسخة فى فقه العربية وآدابها ، فقد حدثنى ابنه سليمان محرم ، أن اتجهت النية فى العقد الرابع من هذا القرن إلى الانتفاع بمواهب محرم فى المجمع اللغوى ، وسار الأمر فى طريقه الطبيعى ، وكان فى حاجة إلى توقيع من رئيس الحكومة ـ وكانت حكومة ... إذ ذاك ـ فتأخر القرار

عن موعده كثيراً ، ولما ذهب ابنه يستطلع الخبر ، ويقف على سبب هذا التأخير ، - وكان يومئذ طالباً بكلية الآداب بجامعة - القاهرة - أخبره وزير المعارف أن اعتماد القرار متوقف على التوقيع ، وأن أبياتا معدودة من الشعر يبثها الشاعر ، ويطرى فيها الحكومة كفيلة باعتماد القرار على الفور، فذهب الطالب إلى أبيه فى دمنهور ، وخيال النعمة ورياح الاستقرار تطوف على أحلامه، وحاول أن يظفر من أبيه بهذه الأبيات المنشودة فكان جوابه ابتسامة مشفقة ساخرة ، وربت الوالد على كتف الابن المشوق إلى برد الراحة من عناء الحياة ومشقاتها وقال : محال أن يكون هذا يا بنى .

ومن هذا القبيل فى حياة الشاعر ، أن حاول بعض رجال الأحزاب استغلال شاعريته ، ورأوا أن ينتزعوا منه بعض الأبيات يحيى بها زعيمهم الذى اعتزم زيارة مدينة دمنهور فأبى عليهم ذلك ، فأغروه بالمال - وهو الفقير - ولوحوا له بالذهب - وهو المعدم - وجعلوا له على كل بيت ينشده « جنيها » أملا منهم أن يسيل لعابه . وينزله المال عن كبريائه ، ويفارق عناده ، فرفض فى اعتزاز وشمم ، وقال قولة مشهورة حينما أكثروا عليه . تعبر عن روح الشاعر الذى لا يهتف بالشعر إلا استجابة لإحساسه ووجدانه (يأبى على الشعر ولا يطاوعنى) ، وما كاد الحفل ينتهى ، وينفض سامره ، حتى خرجت الصحف فى اليوم التالى وفى إحداها قصيدة لمحرم يسخر فيها من المحتفين وأساليبهم سماها : (الموكب الذائب فى دمنهور) ومطلعها :

ها هنا الأعلام كانت تنصب
ها هنا بالأمس كان الملعب

من كتاب شاعر العروبة والإسلام
« أحمد محرم »
للأستاذ
محمد إبراهيم الجيوشي

عرق نزعه :

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابى فقال : يا رسول الله . إن امرأتى ولدت غلاما أسود . فقال : هل لك من إبل . . ؟ قال نعم . قال : ما ألوانها . . ؟ قال : حمر قال أفيها أورق . . ؟ قال : نعم . قال : فأنى ذلك . . ؟ قال : أراه عرق نزعه . قال فلعل ابنك هذا نزعه العرق .

قال صاحب الإصابة : وقد قدم بعد ذلك عجائز من عجل - قبيلة المرأة - فشهدن بأنه كان للمرأة جدة سوداء .

من كتاب المرأة العربية
للأستاذ المرحوم
عبد الله عفيفى

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الثالث والثلاثين

الموضوع	صفحة
حرف (أ)	
ابتداء القراءة بالبسملة فى أوائل السور	١٢٤٢
أبحاث ودراسات... لحرب الإسلام	٦٤١
ابراهيم مصطفى «تأبينه»	١٣٠٥
ابن تيمية «شيخ الإسلام»	١٦٢
ابن خلدون إمامته فى المعرفة ...	١٠٤٦
ابن خلدون «مؤسس علم الاجتماع	٦١٩-٧٤٦ ٩٨٧
ابن خلدون «كلمة الإمام الأكبر فى مهرجانه»	٩٠٧
ابن خلدون - مهرجانه	١٠٢٩
ابن قيم الجوزية	٤٤٨
إبليس الأول - أو إبليس آدم ...	١١٣٠
أثر الحضارة الإسلامية فى المدنية الأوربية	٣٣٠
أجاب تحريريا (استعمالها) ...	٣٥٢
أحبه كما لم يحب والد ولده (استعمالها)	١٠٥
أحمد بن حنبل «كتاب»	٥١٣
أحمد الغزالى	٨٧٧
أحمد شفيع السيد «وفاته»	٥١٦
أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام	٨٦٠
اختلاط الجنسين فى الإسلام ...	٥٩٧
أخذت خمسة كتب فحسب	٣٥٠
الإخلاص فى تقدير الشريعة وعلماء النفس	٦٩٩
الأزهر فى نظامه الجديد	٦٦٥
الأزهر والحملة الفرنسية	٩٧٠
أسئلة علمية وأجوبتها	٣٧٧
أسباب البدع ومضارها	٥
أسس التعامل فى الإسلام كما يقررها القرآن الكريم	٢٩
الأسرة فى الإسلام «كتاب» ...	٢٣٤
الإسلام دعوة عالمية	٣٦٦
الإسلام دين الوحدة الكبرى ...	٦٠١
الإسلام . لفظه ومعناه	١١٥٤
إسلامنا «كتاب»	٦٣٥
أسلوب الدعويات للمعرى	١٢٩٦
الإسلام فوق كل اعتبار	١٧٥
الإسلام فى التاريخ الحديث لولفريد كانتويل سميث	٨٨٢

الموضوع	الصفحة
الإسلام فى سيلان	١٧٠
الإسلام فى أوغنده	٣٩
الإسلام فى فيلبين	٦٤٥
الإسلام واللغة العربية فى مستقبل إفريقيا الجديدة	٨١٨
الإسلام ونزعة الفطرة «كتاب»	٩٠١
الإسلام لا «الشيوعية» «كتاب»	٧٦١
الإسلام والتقدم «قصيدة» ...	٧٥٧
الإسلام والتكافل الاجتماعى ...	٩١٠
الإسلام والقومية العربية «كتاب»	٣٨٦
الإسلام والمجتمع	٢١
الإسلام والمسلمون فى أمريكا ...	١١٣٤
الاشتراكية نضيلة إنسانية	١٠٧٦
اشتراكية الإسلام	٦٦٩
الاشتراكية فى الإسلام حقيقتها ...	١٠٩٨
أصالة الفقه الإسلامى	١٢٤٥
أصول التشريع الإسلامى وفلسفته	٢١٧
أصول الإثبات والتعاقد فى الشريعة الإسلامية	١٢٠٥
إصلاح «كتاب»	٥١٥
أطلس العالم العربى والشرق الأوسط	٦٢٧
إفريقيا الجديدة	١٠٠٠
إفريقية التى لا تقبل التصديق ...	١٣٩٢
أفلسفة جديدة للبوذية ؟	٨٩٠

الموضوع	الصفحة
الاقتباس من القرآن	١٢٨٤
اقتصاديات السكان عند ابن خلدون	٨٧١
أقدم اللغات	١٠٤٢
أمانة القومية العربية فى ذمة الأزهر	٦٥٥
ألا رحم الله الشعر	٣٦٢
ألفاظ القرآن وألوان الطيف ...	٦٦٧
إلى إخواننا العرب من الإمام الأكبر	٦٣٣
إلى السيد الرئيس من الإمام الأكبر «بمناسبة الحركة» الانفصالية فى سورية	٦٣٢
إلى صاحب اللغويات	٥١٨
أوبة الإسلام ونوبته	٢
أوربا والإسلام	٦٤٦
الأم للإمام الشافعى ـ «كتاب» ...	٨٩٩
الإمام الغزالى والفلسفة	١٣٣٤
الأمن فى القرآن	١١٠٨ ، ١١٣٢
أنماط من الأدب العربى الرفيع ...	١٢٥٦
إننا عائدون	٤٩٤ ، ٦٠٧
أول أضواء الفجر	١٣٥٦

(ب)

الموضوع	الصفحة
بحث مقارن فى المنازعات الدولية ...	١٢١١
بدء هجرة المسلمين إلى أمريكا ...	٤٦٨

الموضوع	الصفحة
بين رئيس البعثة الأزهرية فى الصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية	٧٧٦
بركان الدماء	٧٦٤
البسملة فى قراءة القرآن	١١٥١
بطولات عربية «كتاب»	١٢٥
بعتك الدار بما فيها الأثاث (استعمالها)	١٠٤
بناء الاقتصاد فى الإسلام	٧٦٤
بين العربية والفارسية	٣٠٥ ، ٤٣٤
بين الأدب والصحافة «كتاب» ...	١٢٦
بين يدى عمر «كتاب»	٥١٣
البيان فى تصحيح الإيمان «كتاب»	٢٣٦
(ت)	
تأملات فى المجتمع العربى «كتاب»	٥١٢
تأنيث أفعل على فعلى «بين عضيمة والزيات»	٧٧١
التبشير بالخير	٩٥٥
تبيانا لكل شيء من رب كل شيء	١١٢٣
التجديد فى الدعوة الإسلامية يبتدئ من المفاهيم	١١٧٤ ، ١٣٠٠
التجارة فى القرآن	١٣٦٣
التدين ضرورة لحياة الأمم	١٢٥٠
تركستان ومكانتها فى التاريخ والإسلام	٩٥٠ ، ١٠٦٦

الموضوع	الصفحة
أسلمة المحزونين «كتاب»	٥١٥
تطور الأزهر كان حلم المفكرين	٢٢٤
التعريف والعدد فى اللغة العربية واللغات الأوربية	٩٢٢
تعالوا نجاهدهما معاً	٩٤٦
التفسير البيانى للقرآن «كتاب» ...	١٤٠٢
التفسير والمفسرون «كتاب»	١٢٦٨
التفكير العلمى فى الشعر العربى	٥٣٧
التقابل دون التشابه عامل من عوامل النمو الاجتماعى	٢٧٥
التكبير فى أوائل السور هل له أساس صحيح؟	٨٠
تكافؤ الفرص فى رسالة الإسلام	٤٠٨
التكافل فى الإسلام	٧٩٥
(ث)	
الثورة الباقية	١١٢٦
الثورة الرابعة تتحقق	١٢٩
(ج)	
الجانب العاطفى من الإسلام «كتاب»	١٢٧٠
جرائم الحدود «كتاب» ...	٧٥٩
جرم السرقة فى التشريع الإسلامى والقانون الوضعى	٩٨٢
جريمة الزنا هل تحرم المصاهرة؟	٨٣٧

الموضوع	الصفحة
الجريمة والعقاب فى الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية	٢٠٩
الجفرى والعرب فى أندونيسيا	١٠٢٢، ١٤٠٧
الجلال السيوطى والتفسير	٣٢٠
الجمهورية العربية المتحدة تتلق نور محمد باليمن	٣٩٦

(ح)

الموضوع	الصفحة
الحاجة إلى هداية الرسل	٧٦٦
حديث الاشتراكية	٨٩٣
الحروف والمعانى فى اللغة العربية	١٧
حرية الكلمة فى الإسلام	١١١٥
الحضارة الإسلامية تقاس بالكيف لا بالكم	١٣٩
الحقوق الطبيعية للمواطنين كما قررها الإسلام	١٣١٣
حكاية الشعر الجديد	٧٨٣
حكم الشريعة فى التلقيح الصناعى ...	٨٩٤
الحل الأول هو الحل الأخير ...	٧٦٥
حول الأولياء والقديسين	٢٣٠
حول رأى الأستاذ أحمد أمين فى معنى الإسلام	١٢٨٤
حول عقوبة الإعدام	٧٧٣
حول فلسفة الفكر الإسلامى	٨٩٦
حول « فلان كفء للعمل »	٢٢٦
حول كتاب بحوث فى تفسير القرآن	٢٣١
حول مشكلة الأغانى	٦٤٢
حول المهدى المنتظر	٣٨١
الحياء من كلام النبوة الأولى ...	٥٤٥
حياتنا الدنيا مرحلة اختبار فى العمل	٣٤
حيرة الأوهام	٤٧٨

(خ)

الموضوع	الصفحة
خطأ المقارنين لا خطأ المقارنة ...	٢٢٠
خطأ فى فهم التعبئة الروحية	١١٩٩
خطوات فى النقد « كتاب »	٦٣٥

(د)

الموضوع	الصفحة
دراسة تاريخ العلم عند المسلمين واجب الكليات بجامعة الأزهر	٦٧٩
دراسة عن العرب فى أندونيسيا والرد عليها	١٠٢٠
دراسات فى علم المعنى « السيمانتيك »	٤٨٢، ٦١٣، ١٣٧٧
درس من جزيرة مالطة	٢٧١
الدعوات الإسلامية	٥٠١
دور الأدب فى المجتمع الاشتراكى	١٢٨٨
ديموقراطية رعوية فى شمال الصومال	١١٢٧
الدين والسياسة فى باكستان ...	١٢٥٩
ديوان شاعر آل البيت « كتاب »	١٢٧٤

الموضوع	الصفحة
(ذ)	
ذو القرنين عربي مؤمن	٦٤٣
(ر)	
رائد الفضاء	٧٠٧
رأي الأزهر في الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو	١٨٦
الرأي العام في الإسلام	٤٥٨
رأي في الشعر الجديد	٤٨٨
ربكم أعلم بما في نفوسكم	١٠٦٠
ربيعك في نفسك	١٢٨٩
رسالة الأزهر في ضوء قانونه الجديد	٧٧٩
الرسول ... الإنسان	٥٨٥
رمضان بين الأمس واليوم ...	١٠٩٣
رمضان من شعائر الوحدة الإسلامية	١٠٢٨
(ز)	
زعماء المسلمين في الهند وموقفهم من الاستعمار الانجليزي	١٩٧، ٣٢٥
زواج المسلم بغير المسلمة ...	٨٤، ١٩٢، ٣٥٤
الزيات يعقب على رثاء الجزيرة إياه	٧٧٥
(س)	
السبعة الأحرف التي أنزل عليها القرآن	١٣٥١
السرقة في التشريع الإسلامي «كتاب»	٦٣٦
سلطان الضمير	١٢١٥
سلمت يا بلادي	٦٢٩
السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي «كتاب»	١٢٤
سوء الاختيار مهلكة	١٥٩
السياسة الشرعية لابن تيمية «كتاب»	٦٣٦
(ش)	
شاعر أعمى يصف العمى «قصيدة»	٤٥
شاعر العروبة والإسلام	١٤٠٥
الشخصية الأدبية ومقوماتها ...	٥٦٧
شخصية البحتري	٥٢٣
الشخصية الدينية لجماعة المسلمين ...	١٢٩١
شعر القاضي الفاضل	٩٤
شمائل «مفردها»	١٢٨٣
الشوقيات المجهولة «كتاب» ...	١٠١٠
(ص)	
صحيفة بشر بن المعتمر	٨٢٨
صلات مصرية صومالية	١٤٠٩
الصفة في اللغة العربية	٧٨٧
صفحات مشرقة من تاريخ القضاء في الإسلام	٥٧٨
صفحات من العروة الوثقى	١٢٢١
صهيب بن سنان	١٠٠٣
صوم رمضان اشتراكية روحية ...	١٠٣٥

الموضوع	الصفحة
الصوم عبادة توجيهية	١٠٥١

(ط)

الموضوع	الصفحة
طاعة الله ورسوله شيء واحد ...	١٠٥٥
الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية «كتاب»	٣٨٤

(ظ)

الموضوع	الصفحة
الظرف فى اللغة العربية	١٣٦

(ع)

الموضوع	الصفحة
عاد الشعر فى العالم كما بدأ	١٢٢٩
عاش شقيا فى الدنيا ومات سعيدا بالدين	٦٥١
عاشوراء فى تاريخ الإسلام	٧٣
العاطفة الدينية فى شعر أحمد شفيسع	٥٧١
عبد الله بن سبأ «كتاب»	٧٦٠
عبد الله بن عباس إمام المفسرين ...	٨٠٤
عبرة فى حياة أديب	٧٠٠
العرب فى أندونيسيا	٥٤٩، ٧٢٤
عروبة مصر	١١٤٧
على بئر أريس . من ذكريات ربيع الأول فى طيبة	٢٦٥
علمتنى الحياة «قصيدة»	١٣٩٨
على مبارك «دراسة»	٤٢٤، ٥٥٨، ٦٨٣، ١١٨٨، ١٣٣٨
العلمية الجديدة فى نيجريا	١٠٩
عناصر التأثير فى خطابة الرسول ...	١٠٧٨
العيد فى الدين وفى اللغة	١١٦٣
العيد ولمن يكون	١٢٧٦
عيد الثورة التاسع - عيدان - عيد الإصلاح الدنيوى وعيد الإصلاح الدينى	٢٦٩

(غ)

الموضوع	الصفحة
الغزالى والمتكلمون	١٠٧٢
غزوة أحد «كتاب»	٩٠٠

(ف)

الموضوع	الصفحة
الفاعل فى اللغة العربية بين المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول	٥٢٣
فتاة من جنوب إفريقيا تشيد بجامعة الأزهر وترغب الدراسة فيها ...	١٠١٩
فريضة الصلاة تطهير للنفس ...	٧١٩
الفصل والفصلة «استعمالها» ...	١٠٥
فضل بعض الأيام بدعة	٥٢٠
الفقة فى الدين أمان من الزلل ...	٧١٤
الفكر الإسلامى والتطور «كتاب»	٢٣٥
الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى «كتاب» ...	١٤٠٠
فلان كف. للعمل «استعمالها» ...	١٠٢
فلسفة أرسطو للفارابى «كتاب»	٦٣٤
فلسفة تاريخ محمد «كتاب» ...	٢٣٢

الموضوع	الصفحة
فلسفة الفكر الإسلامى للكاتب الفرنسى هنرى سيروبا « كتاب »	٩٠٠
فن كتابة السيرة الشعبية « كتاب »	١٢٧١
الفنون الشعبية فى العصور الإسلامية	١٢٢٦
فولتير ومأساته « محمد »	٦٤٥
فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو	٦٣
فى إطار الاشتراكية الإسلامية	٩٤٠
فى ذكرى مولد الرسول الكريم	٣٥٩
فى ذكرى الهجرة النبوية	١٠٦
فى ظلال الهجرة « كتاب »	٩٠١

(ق)

الموضوع	الصفحة
قانون الأزهر الجديد ومذكرته الإيضاحية	٢٣٧
قانون الأزهر الجديد فى حديث الإمام الأكبر	٣٧٥
قبسات من الرسول « كتاب » ...	١٢٧٤
القدوة الحية لأخلاق الحركة ...	٣٤٦
قراءة القرآن من أواسط سوره	٩٧٥
قصة الإيمان	١١٤١
القضاء فى أندونيسيا	١٤١٠
قضية الألوهية بين الفلسفة والدين	١٤٠٤
القضاء والقدر « كتاب »	٥١٤
قلة ذوق فى مأتم مجاهد	١١٤٩
قولوا الجنس العربى لا الجنس السامى	٢٩٧
القوى الشعبية وكيف تعبأ نحو الاشتراكية العربية	٧٩١ ، ٩٢٦
القيم الحقيقية للفنون الشعبية فى العصور الإسلامية	١٣٨٦
قيم جديدة للأدب العربى « كتاب »	١١٤٣

(ك)

الموضوع	الصفحة
كان مولد محمد مولد عالم جديد ...	٤٠٢
كراهية الحق نزعة جاهلية ونقيصة خلقية	٩٩٧
كما تحدث القرآن « كتاب »	١٢٧٣
الكوكب المعذب	١١٥٦
كيف تبنى الأوطان	٧٧٧
كيف تحج أيها المسلم	١٣٢٤
كيف دخلت فى الإسلام	٦٦١
كيف انتشر الإسلام	٤٩٩
كيف عرفت الشنقيطى	٣٩١

(ل)

الموضوع	الصفحة
اللغة العربية فى إفريقيا	٤٦٣
اللغة العربية فى مدارسنا	٢٢٩
الله أعلم حيث يجعل رسالته ...	١١٧٩

(م)

الموضوع	الصفحة
مؤتمر أديان لإقرار السلام	٣٧٠
ماذا صنع بنا الاستعمار	١٢٨٢

الموضوع	الصفحة
ماذا يراد بالإسلام فى إفريقيا ...	٩٩٢
مبادئ ومثل «كتاب»	٧٦٣
المثل العليا فى التشريع الإسلامى	١٣٨٩
مناهج الحياة فى نظر الإسلام ...	١٢٣٨
متى محدد إقامة هذه الكتب ...	١٠٢٦
مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر ...	٥٨
مجمع الأولياء	٢٢٨
مجلس البحوث الطبية والشرعية بأندونسيا	١١٥٣
مجمع البحوث الإسلامية مجال أمين لدراسة تاريخ المسلمين	٩٦٤
محمد كاتب أجود منه شاعر «استعمالها»	١٠٣
محمد يرى ما أمامه جيدا ، ولا يخطئه	٣٥٢
محمود الخميف ، صفحة من كماحه ،	٨٥٢
مخالفات دينية فى فيلم	٧٧
مدينة كانو أكبر مراكز الإسلام فى إفريقيا الغربية	٦٩١
مراكز اللغة العربية فى الهند	٧٣٢ ، ٥٩٠
مراكش مستقلة بقلم روم لاندو	٧٥٣
مرحبا بالجزائر	١٣٢٩
المسرح والتوجيه الدينى	٢١٤
المسلمون فى الهند أيضا ...	٨٩ ، ٤٧١
المسلمون فى اليونان	٦٥٠
مصر تحتفل بالمولد النبوى	٢٩٢
المطامع مثار الفرقة بين الناس ...	٦٧٥
مع البحترى فى ذكراه	١٠٨٥
المعرفة الصوفية عند ابن سينا ...	١٣٤٦
مع المرابطين على الحدود	٨٦٥
مع المسيح فى أناجيله الأربعة	١١٤٤
«كتاب معنى العلم فى الإسلام ...	٦٤٨
مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الأخرى	٧٥٠
مقارنة لغوية بين الجنس والعدد	٦٥٨
مقارنات ومفارقات بين الجن والإنس والأنعام	٢٨٧
مقومات التطور فى الإسلام ...	٦٢٥
المكابرة فى الحق بلاء والتمادى فى الباطل شقاء	١٣١٨
المكفوف «قصيدة»	١٣٩٥
مناجاة الهلال لحافظ إبراهيم ...	٢٠٢
مناهج تجديد «كتاب»	١٢٦٩
من تاريخ الصحابة	٦٣٧
من خصائص الرسالة الأمانة ... فى العلم	٤١٩
من شعر شوقى بعد المنفى	٤٦
من شئون المجتمع ـ هدى القرآن فى الأمانات والأموال والأولاد	١١٨٣
من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامى	

الموضوع	الصفحة
بمناسبة عيد الأضحى المبارك ...	١١٦
من قفص الاتهام	٦٦٩
من المقارنة بين اللغات الجملة الاسمية	٣٩٩
من وحى الروضة النبوية	٣٤٢
من وحى الهجرة	١٣٣
مهرجان الشعر فى دمشق	٨٤٢
مولد الرسول فى المدائح النبوية ...	٣٢٥
موقف الإسلام من المستغلين ...	١١٦٨
موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة	١٨١
موكب النور « قصيدة »	١١٤

(ن)

الموضوع	الصفحة
نظرات فى فقه عمر	١٤٤، ١٨١، ٤١٤
نهج البردة فى شعر البارودى ...	١٣٧٠
النور أولى « كتاب »	١١٤٥

(هـ)

الموضوع	الصفحة
هكذا أنشد « قصيدة »	٦٣٨
هل كانت الأحرف السبعة لضرورة زالت ؟	١٤٠٨
هل محمد يحضر « استعمالها »	٣٥١
هل نحن مسلمون ؟ « كتاب لمحمد قطب »	٨٩٨
هل يجوز بناء حوانيت تحت المسجد	٥١٨

(و)

الموضوع	الصفحة
الوحدانية فى الأديان الإفريقية ...	٥٤
الوحدة العربية	١٥١
الوحدة العربية والخلافة الإسلامية	١٠٣٢
وحدة الحق وتعدده فى أصول الفقه	١١٩٥
وسطية الإسلام « كتاب » ...	٥١١
وزارة الداخلية تشكر الأزهر على محاربة المخدرات	١٠٢٨
وللرجال عليهن درجة	١٢٨٦
الولى ضرورة فى عقد الزواج ...	٩٥٩

(ى)

الموضوع	الصفحة
يا شباب الفصحى « قصيدة » ...	١٢٦٦
يُجادِلونكَ فى الحق	٨٩٢، ١٠٢٥

سقط فى طباعة بعض أعداد المجلة التى صدرت للقراء الإشارة إلى أنه استؤنس فى تقسيمات الفقرات ٤ ، ٥ ، ٦ من هذا الموضوع بما جاء فى كتاب (اشتراكية الإسلام) للدكتور مصطفى السباعى من ص ١٩١ — ٢٣٤ طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦١ الحلقة ١٠٨ من سلسلة اخترنا لك .

وجدت هٰذه القصاصة في الصفحة ٩١٣

THE NATIONAL POWR

HOW TO BE MOBILSIZED TOWARDS THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

corrupted condition of the past. They were able to raise their belief to be above the level of the happenings — without being involved in its direction or by its impression — and this will enable them to observe the happenings and to put plans to face them, then to turn them to the side of welfare, to restore the social equilibrium or to realize the arabic Socialism.

Leaders, mostly, are those who naturally elected, in the atmosphere which has its effect on some people and has no effect on the others.

The work which should be done now is to prepare an intellectual and spiritual atmosphere for directing the specific national towards the arabic socialism.

In fact, I do not believe neither in what so called in west " Democrotic " nor in its way. West had illustrated it as the true and the correct system, inspite of the fact that a little number of the individuls direct and take care of the affairs of the selection, they control and tur n it to right side or to the left one, according to their will. So, in my openion, the european countries have no freedom or abstract policy from the external Infleuce, and consquenty, they turn in the sycle of subordination as that their production is of no human services, Therefore, the people of these countries cannot be at all discribed as human sobieties. because they permanently involved in a friction, cold and hot war. These features denote that the human values have a little share among these societies. In these countries, the authority is given to those who have wealth, and not to those who have human values. If there is freedom in these societies, it will be nothing but selfishness. But as a matter of fact, the human civilization is the consequence of the human relations which aro based on peace, security, fraternity and co-operation.

either repeated or obsecure. This was because he studied in the second stage the same that he studied in the first one, in spite of the fact that his thinking is growing as any other human being.

But indeed, the reorganization of Al-Azhar gives the society complete opportunities in order to get a strong scientific and educational studies which can steadily face all the various differentiations, as it will surely give a permanent shelter to those who receive its studies.

Really, it is a new law for a new life with a new organization. Its results will surely be to bear the pure heritage and restore the advantage of the islamic values in their heydays.

Praise be to God for the advent of the revolution and its leader, and we beseech Him to support Al-Azhar in order to perform its duty towards the Islamic message and its principles.

United Arab Republic is as similar as any other student who comes as a delegate student from both Asian and African countries.

The university of Al-Azhar — according to the new law — has become the holder of the higher studies in all the islamic and the arabic fields, and also in all the different aspects of the human knowledge under various names of colleges. The new law also imposed itself on the azharite institutes in its three stages to, strongly and clearly, prepare the students for such standard of studies. Hence, the graduates of these institutes and then of the university of Al-Azhar, will have a clear knowledge and a pure belief in Islam and its message. The new law also imposed on the Academy of the islamic researches. in its different aspects, whether by means of reviving haritage, writing books and essays, translation, publishing reseaches, sending missions of the learned men to abroad or receiving delegates students to receive education in both islamic and arabic studies.

These are the three united organizations which aim at one objective. This objective is the revival of the islamic values, calling to them, guiding people according to their teachings and declaring them in a modern style. Therefore, the society will be benefitted by the guidance of Al-Azhar which leads it to be a human one in its aims, in the relation between the individuals, in carrying out their duties and understanding their rights. Doing that, our society will be a strong and a united one which works hard to fulfill its supreme goals and removes the causes of weakness, such as : Selfishness of the souls, illness of the bodies, stupidity of the minds and emptiness of the hearts from the belief in God.

Surely, what had happened — before the reorganization of Al-Azhar- was only as a painting for a weak building which could not face the various differentiation, or at least to protect those who get shelter through it. It was not more than a kind of keeping certain style or ways of research and studies, and keeping certain books with a specific way for the mental arguments, and a certain direction in selecting problems and clearing how to solve them. These books were nothing but repeated pictures to each other. The stages of education which student spends a long time of his life to pass them were nothing but repeated stages as it was the state of the books since they were similar to each other. Consequently the knowledge of the student of Al-Azhar was

duty in this concern, is to call people to that society. And our laxness in perfo·ming that duty will be considered as a laxness in performing our duty towards preaching the islamic message itself.

The Re-organization of Al-Azhar :

Because the leadership of the to revolutionarv society conceives the importance of Al-Azhar in calling that revolutionary and socialist society; it promulgated the law No, 103 o 1961, concerning the re-organization of Al-Azhar. This was to enable it to perform perfectly its message and to revive the islamic values on which stands the society. The aim of the re-organization of Al-Azhar is to perepare its graduates, and scholars to have a full understanding for Islam and its message, and also to be of powerful ways in preaching that message and guiding the society. On the other hand, its purpose is to restore the heydays of the islamic message and the position of the preacher at the time of the prophet. The preacher who fully understands his message, lives for the sake of the call and who does not use it as a mean to earn his living. Its aim also is to remove the separateness and the loneliness which were caused by the stagnation of the past relations between Al-Azhar and the society. Consequently, the society misundertood the message of Al-Azhar and its scholars who also misunderstood the society, and this by turn led to the creation of the sectarianism which was followed by the fanaticism and this also led man to turn the back upon the other people.

Thence, the new law of Al-Azhar contains the establishment of new scientific and practical colleges beside the theoretical ones which should be applied solely to the arabic and the islamic studies, in order to realize the objectives that we previously mentioned. Such colleges will be established to enable the students of Al-Azhar to have more studies — besides that which they accustomed to receive at Al-Azhar — in order to help them to penetrate the different fields of which they cannot do by means of preaching and sermons alone. Getting throug that, the student of Al-Azhar will he an active member of the society who produces scientific and practical services, while in the same time, he will be a preacher and caller to truth and the islamic value by means of his character, behaviour, deeds and talking. In this connection, the student of the

moment, by means of misusing fortune which surely leads to slavery or to the social injustice which is represented by the prevalent needs of the majority of people. But how socialism can be realized? It will be realized, if the production of the individual becomes — in its value — more than what he charges as a recompense for it.

As a matter of fact, the professional people, whether they work in the educational, medical, engineering or industrial fields, will not be true socialists; unless they produce a free human services to those who badly need them. The renters, workers and farmers will not be true socialists; unless they save some of their production to cover the needs of the other individuals who lack the technical experiences in the industrial and the agricultual fields. Hence, the needy people can use the excessive production to cover their needs, and it can be said that the community gives the individuals. And also every person who has the ability to work will give the spare goods which he produces to the others, so we can say that the individual gives the community. Consequently, if the aim of the socialism is to realize equilibrium in the society and covers the needs of the needy people" Surely the society will be a co-operative and united one.

Our socialist society is a human one :

The aim of the socialist society is to realize a human society which looks after the human values and utilizes them in its practical life. If the society is not an Islamic one; it will be at least a human society which revives the picture that Islam has called people to it since its advent, such as : to liberate the slaves, to remove the social injustice and to restore the human consideration to those who were deprived of it by means of misusing fortune and properties.

Our socialist society is an Islamic one :

If the socialism of our society is an arabic one which based on religion and considered Islam as the source of the human values; it will be indeed an Islamic one.

The attitude of Al-Azhar :

The attitude of the Azharite people towards the mobilization of the national power, in order to realize the aims of the arabic socialist society, is surely the attitude of those who recall the islamic values and their advantage in the human life to the memories of the people. Our

reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God; and for the wayfarer. " [S. The Repentance, V. 60.], its purpose was to pave the way to the human consideration for those who were deprived of it, by means of anther factor beyond the humanity itself, such as : misusing fortune in order to enslave the human kind, and monopolizing money which led to the slavery and wide - spread poverty. Consequently, the misusing of fortune led to the humiliation of the slaves and the poor people. So, when Islam calls to manumission, it intends to restore the slaves humanism. And when it calls to alms giving, it intends to restore the poor consideration after the humility of neediness.

Verily, Islam ordains fasting, prayer and pilgrimage to create readiness and abilities in the hearts of the Muslim people, in order to achieve gladly its teachings and principles, especially with regard to manumission, alms giving and modification with the other people in a mutual understanding and co-operation to realize the good and remove the harm. In fact, the Islamic treatments are the fields of the mutual feelings in their relations with each other.

In this concern, we can say that ordaining these worships — though it seems in a coercitive way — leads at the end to a human meaning which urges one to do an active work needless to any external observance. Consequently, the obligation of worship in Islam differs from that of the modern legislative laws. As a matter of fact, these laws mostly deals with the external surface of the human life without going deeper into the individual's soul. But gradually the human souls accept them and carry them out too.

The new society is a socialist one :

Since July 23rd, 1962, the revolutionary society has described itself as a socialist one. It also used the term " Socialism " to be going with the terms which are used by the thinkers in our present time. But is the describtion of " The socialist society " changes it from being a revolutionary society which was existed to restor the human consideration, especially for those who were deprived of it ?

Really, the socialism, by which this revolutionary society called itself, can be explained as follows : " One is for all, and all are for one " or in other words, solidarity and unity in order to prevent the demolition of the human consideration at any

for the benefits of the wealthy people. The Revolution did not arise to prevent the individuals to own, to express their ideas freely or to impose on them a certain belief, but it stood for organizing their freedom, to direct them towards the common welfare and to prevent them to gain an illegal fortune or to suppress the openions of the others, in order to force them to follow a certain policy which will be against the interest of the society.

Further more, it did not stand to bless the sectarianissn and the partiality of the people into classes, or to confirm the separation among the people; but it stood for removing that partiality and sectarianism, and to realize the attainment of equality according to work and ability.

Lastly, this Revolution only arose to restore the consideration to those who lost it, or those who were prevented from it. It did not happen to realize equality among people in properties, the power of production or opportunities of work because they are out of the human capacity and against the nature of man. And though the individuals of the society may be nearer in their views of life or in their tenacity and co-operation for realizing aims and purposes of their society; they surely differ in understanding and mentality, in determination and activity, in comprehension and impressionability, in hope and expectation and also differ in abilities and energy which help them to perform their duties. Thence, the stages—through which they pass in order to realize their aim — are different, and the results which they acquire are also different according to the kind and the easiness or the difficulty of the individual's striving. Consequently, it is rarely to find similarity in the human struggle in its various stages and kinds.

So, the aim for which arose the egyptian revolution at July 23, 1952; is actually the equality in the human consideration and values, not equality in what the human beings gain by means of their personal qualities and abilities.

If we come back to the previous Islamic society and the Islamic message too, we will find that its aim was to realize and keep the consideration of the individuals. So, when Islam called for manumission " And what will explain to thee the path that is steep. (it is) freeing the bondman." (S. The city, Vs. 12 — 13.) and when it superimposed alms giving " Alms are for the poor and needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently)

aspects of the islamic society: When it calls to Islam, when it stands upon the examples of the islamic message, when it strives hard to realize these examples and when it revives the principles of Islam and the human values. Surely, the Message of Al-Azhar is the message of the human values. It is the message of Islam which clarifies these values and calls people to put them into practice, whether in one's belief, thought or behaviour. The Azharite man is only a caller and a preacher makes his utmost to clarify the Islamic values, whether by means of saying or by action.

As a matter of fact, Al-Azhar is nothing but a pioneer and a guide of the society to realize its objectives which will be very useful to the while, if it has a full understanding for its message. But if Al-Azhar grows weak in preaching these values, it will be a dangerous guide for the society and also for the values.

The Part of Al-Azhar in our new society :

The first question which we should now ask is: What is the socialist society? Is it differs from the diviated one which is wanted to be revived and be become a human one?

In order to have a clear answer to these questions, we should review the history of the Egyptian revolution, since its brith up till now, to know its objectives.

Actually, the Revolution of 23rd July 1952, had arisen for nothing, but to remove the corruption and the deviations: disruption of tyranny, and obliquity of richness, capitalism and the political parties which aimed at realizing only the personal needs of their members, and which neglected the benefits of the society as a whole.

Moreover, the Revolution stood up against the despotism of royalty and the arbitrariness of capitalism in misleading the governing policy, and misusing the authorities in order to gain richness on the account of the majority of people. It aimed at the liberation of the egyptian society from the hindrances and the obstacles which prevented people to be equal to each other, and which prevented them to enjoy the fruits of their struggle.

Surely, the Revolution did not only stand to remove the royalty and to put it in the hands of the state and the society; but also to prevent it from being a mean of despotism and tyranny, or to become a mean of domination which leads

in the different ages and places and who were supported and helped by the believers and suffered from the obstinates. Of course they are well known stories and they still preach and give sermons to every one· Moreover, Islam did not neglect to use the happenings, which took place in the heydays of Islam, to confirm the advantage of belief in God and human values and utilizing them in the practical affairs of life. In this respect, the holy Qur'an says about Badr campaign and its result " God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force; then fear God; thus may ye show your gratitude. " (S. The Family of Imran, V. 123,), and about " Al-Ahzab" parties campaign and its results " And God turned back the unbelievers for (all) their fury : no advantage did they gain; and enough is God for the believers in their fight, And God is full of strength, able to enforce His will. " (S. The Angels, V. 25.). This is actually to clarify the superiority of the belief, and how it leads people to success, victory, spiritual mastery, security and settlement of the socitey and individuals.

The glorious Qur'an also tells us the happenings which took place in OHOD compaign and its results "Behold! Ye were climbing up the high ground, without even casting a side glance at any one, and the messenger in your rear was calling you back. There did God give you one distress after another by way of requital, to teach you not to grieve for (the booty) that had escaped you and for (the ill) that had befallen you. For God is well aware of all that ye do." (S. The family of Imran, V. 153.), and the happenings of Honain campaign and its results " Assuredly God did help you in many battle — fields and on the day of Hunain : Behold ! your great mumbers elated you, but they availed you naught : The land, for all that it is wide, did constrain you, and ye turned back in retreat. " (S. The Repentance, V. 25.), which illustrate the obstract influence that emanated from the belief in another thing beside the human values.

Thinking in the verses in which the Qur'an relates Honain compaign, we shall observe that the mumerical power is not as valuable as the specific one which mostly represented in the sincere belief in God and the values.

Al-Azhar and the islamic values :

Undoubtedly, the Azharite people have a full understanding of the whole

to believe in justice, co-operation, unity in doing good and removing aggression "Held ye one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour" (S. The Table. V. 3.), and also to believe in the mutual kindness, amity and in the other significances of the humanity in its supreme level. This is because, it is quite impossible to find an actual belief in the Almighty God; where no justice and co-operation are existed.

Really, Justice is one of the main attributes of God who supports righteous people to do good, to remove harm, danger and evil. Sura " Omul ketab " which is the first chapter of the holy Qur'an — and which every Muslim repeats it several times a day during prayers — illustrates the main human values which are actually extracted from the attributes of the Almighty God. Consequently, when Muslim reads in this sura the verse " Thee do we worship and thine aid we seek ", surely he asks God to help him in doing good, and in the same time he should help himself and support the others to do good. Also when he reads "Show us the straight way", he asks God to guide him to be just—whether in saying or in action — owing to the fact that the straight path is not something other than justice, balance and non-inclination to one side more than the other.

So, belief in God is the main prop on which stands the belief in the human values. Therefore, belief in God is not separable from belief in the human values. One who separates between belief in God and human values in understanding or utilizing, his belief is not of his heart but it is only mere expression in words The desert Arabs say, "we believe" say, " Ye have no faith; but you (only) say ' we have submitted our wills to God ', for not yet has faith entered your hearts" [S. The Rooms, V. 14.]. This verse really means : O Mohamad, say to them " surely you are not believers, so do not say " we are believers " but say " we are Muslims " related to this nation. In order to enable Muslims to have a deep and hearty belief in it, Islam used history and the happenings of the past wich show that the belief in God and His message, is the way which leads humanity to happiness and security. These happenings show also that the rejection of faith is the way which leads mankind to hostility, anxiety and confusion. In several verses, the holy Qur'an details the novels of the different messengers and prophets who bore the responsibility to convey the divine message to their people

THE DUTY OF AL-AZHAR

Towards the Mobilization of the National Power

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

The National power is a specific one :

The national power is not only a quantity; but it is also a quality, it is not only individuals; but it is also activities. It is the factor and the motive power which realizes the aims and the objectives.

In fact, every society composes of individuals, but in its unionization, duration and struggle; it really needs a power other than the numerical one in order to create an attentive society and to help in materializing its aims.

The specific power differs in its definitiveness according to the aim and the purpose of the society. For instance: the islamic society — since its existence — had devoted itself for the revival of the human values, as it urges people to utlilize them through their practical life. Actually, the message of Islam — in its main principle — is a human one which expresses these values, and calls people to embrace them.

In the islamic society :

Since the main purpose of Islam was the revival of the human values, it used the belief in these values as a way to realize that goal. Then it assured that belief in the hearts of the people by the history of humanity and the previous natiens, as well as by the happenings and the occurances which successively took place in the islamic society as they are mentioned in the history of the islamic wars.

Islam, when it discussed the human values, and the belief in them; it used only the belief in God as a way to attain a complete understanding for these values and also a way to carry them out through the practical life of the human beings. Therefore, the belief in God entails belief in the human values, such as

"For the scum disappears like forth cast out; while that which is for good of mankind remains" (S. The Thunder, V. 17). He shows His faithful bondmen, how to protect themselves and their call against the lies of the unbelievers. He promised that He will support them if they follow His right way and fight in His cause "And those who strive in our (cause), We will certainly guide them to our paths" (S. The Spider, V. 69.). God asserted that all what the unbelievers will do in order to weaken Islam or to cause harm to its followers, they will surely gain its wicked results, He says : "The unbelievers spend their wealth to hinder (men) from the path of God, and so wilt they continue to spend; but in the end they will have (only) regrets and sighs." (S. The Spoils of war, V. 36).

He also asserted that the believeres - because of their true belief, faithfulness and patience - will be always the victorious " God is with those who restrain themselves, and those who do good." (S. The Bees, V. 128.) " In the case of those who say " our Lord is God " and, further, stand straight and steadfast, the angels descend on them (from time to time) "fear ye not " (they suggest), " nor grieve ! but receive the glad tidings of the garden (of bliss,) that which ye were promised. " [S. Fussilat, V. 30]. Then God guided the believers to their super position because of their sacrifice for the sake of the call "Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says " I am of those who bow in Islam ?" (S. Fussilat, V. 33.)

As a matter of fact, the call of truth has many aspects, for instance : The call of people to believe in the oneness of God, the struggle against tyranny doing justice, purifying the souls and the societies of the bad habits, the liberty of their countries from the imprialists, accomplishing right and prohibiting wrong and not to be loyal to the unbelievers, all that is a call for truth. To call people to deny their personalities and to make their utmost in order to benefit the common, and to preach Islam and its teachings faithfully among mankind, is a call for truth. The call to truth is a call to God whatsoever it will be, and those who call people to God are his faithful bondmen who had been promised to be supported and helped by God. This was the way of God towards the first Muslims and it will last to the Day of judgement, the holy Qur'an says : " Already has our word been passed before (this) to our servants sent (by us,) that would certainly be assisted. And that our forces, they surely must conquer." (S. Those who ranged in ranks, V. 171 : 173.)

nature, correct conception and pureness of souls. Hence, before Truth people are divided into two sections: The first one are those who do righteous deeds and those who in order to satisfy God, they guide people into the correct way of life and call them to believe in Truth and to be far away from the falshood. The second section are those who have bad spirits. They are similar to the wild animals; opress people and steal their money and properties — They make their utmost to lead the other people astray and to inculcate doubts in their hearts. Verily, people are of two sections : The first guides people to the right way " Of those we have created are people who direct (others) with truth and dispense justice therewith." (S. The Heights, V. 181.) And the second leads them a chase "Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. (Disdainfully) bending his side in order to lead (men) astray from the part of God : For him there is disgrace in this life, and on the day of judgement we shall make him taste the penalty of hurning (Fire) (S. The Pilgrimage, Vs. 8 — 9.)

In the different ages, God's messengers and their followers were the representatives of the first section. They knew truth, beleived in it and, faithfully. made their utmost to call people to it. But the hypocrites and those who rejected faith were the representatives of the second section. Periodically, the Almighty God examined his faithful bondmen by such people who rejected faith in truth and induced people not to belive in. In the Qur'an, God explains: how they rejected Faith " They Say : " our hearts are under veils, (concealed) from that to which thou dost invite us, and in our ears is a deafness and between us and thee is a screen." [S. Fussilat, V. 5.], how they prevented people from following the islamic call " The unbelievers say : " listen not to this Qur'an, but talk at random in the midst of its (reading) that ye may gain the upper hand." [S. Fussilat, V. 26.], or the messengers " They are the ones who say : " spend nothin on those who are with God's messenger. " (S. The Hypocrites. 7).

In all the different ages, the unbelievers denied the truth and tried to frighten people lest they should follow it as they also fought against those who believed in it. Hence, the conflicts happened especially between truth and the falsehood. In fact, God is the Truth, and truth is His call. Also the Satan is the falsehood, and falsehood is his call. God gives an example for truth and falsehood

religion of both spirit and material, heart and mind, individual and society and this world and the Hereafter. So, we call all humanity to embrace it and to carry out its worships and treatments and its systems and morals. The Qur'an says: " O mankind! Verily there hath come to you a convincing proof from your God: For we have sent unto you a light (that is) manifest. Then those who believe in God and hold fast to Him, soon will He admit them to mercy and grace from Him and guide them to Himself by a straight way." [S. The women, Vs. 174 — 175.]

Peoples before the truth :

" Say " O ye men! Now truth hath reached you from your God! Those who receive guidance, do so for the good of their own souls, those who stray, do so to their own loss : and I am not (set) over you to arrange your affairs." (S, Younis, V. 108.)

Verily, the instructions and the teahings of Islam — which is the general religion of God that all messengers were ordered to convey it and all the holy books were revealed to clarify it — are turning around one word. That is the Truth of which the pure natures only admit, the faithful hearts trust and by which the life of those who are righteous people will be calm.

Actually, Truth is devided into many kinds such as: Truth in faith " Say : " He is God, the one and only; God the eternal. absolute; He begetteth not, nor is He begotten, and there is none like unto Him." (S, purity of faith). Truth in worship " That is God , your Lord! there is no God but He, the creator of all things : then worship ye Him: and He hath power to dispose of all affairs." [S. The Cattle, V. 102.]. Truth in treatment " O ye who believe! stand out firmly for justice, as witnesses to God, even as against yourselves." (S. The women, V. 135). Truth in conduct " It is part of the mercy of God that thou dost deal gently with them. Wert thou severe or harsh — hearted, they would have broken away from about thee : so pass over (their faults), and ask for (God's) forgiveness for them and consult them in affairs (of moment)." (S. The family of Imran, V. 159.) " Nor can goodness and evill be equal. Repel (Evil) with what is qetter: Then will be between whom and thee was hatred become as it were Thy friend and intemate!" (S. Abbreviated letters, V. 34.). in souls, furthest regions of the earth and societies: There are signs that distinguish Truth from false and guide people to follow it. But people are not alike, there are some differences among them in goodness of

As a result of what we obove mentioned, Islam orders Muslims to establish the prayers in their fixed times, and to empty their hearts — during their performance — from all the worldly affairs to declare their faithfulness to God. The Qur'an says: "Guard strictly your (habit of) prayers, especially the middle prayer' and stand before God in a devout (frame of mind). [S. The cow, V, 238.]

The effect of patience and prayer on soul's rectification :

The glorious Qur'en states that patience and prayer are of a great effect in rectifying the souls of people, as they purify them from the state of despair in facing difficulties, and from at receiving wide provisions. In the tyranny respect of patience Godsays in the holy Qur'an : "IF we give man a taste of mercy from ourselves, and then withdraw it from him, behold ! he is in despair and (falls into) blasphemy. But if we give him a taste of (our) favour after adversity hath tauced him, he is sure to say "all evil has departed from me : " behold ! he falls into exultation and pride. Not so do those who show patience and constancy and work righteousness; for them is forgiveness (of sins) and a great reward." [S. Houd, vs. 9 : 11]. And with regard to prayer, He says also "Verily, man was created very impatient; fretful when evil touches him, and neggardly when good reaches him : Not so those devoted to prayer, those who remain steadfast to their prayer." [S. The ways of Ascent, vs. 19 : 23].

In fact, patience and prayer are the strongest articles of the believer in his life. By them wishes can be realized and distress may be removed as well as the believer will gain and score the support of God "Verily God supports those who are Patient" and this is enough for man to keep him in a permanent happiness because he feels always that God is with him.

This is the actuality of the religion, and that is its blessed effects which purify the soul, please the human being and direct the affairs of life to the good direction. Surely, religion is one of the human necessities which neither an intellectual idea, nor a civil law can replace it Actually, man in the present time, is in need of religion. This is because he failed to realize happiness and security, although he succeeded in conquering the universe's space. This scientific advancement led to distructive and international wars, and will lead to another great one with unimaginative results. Verily, no salvation to humanity, unless it has a faith in the true religion which is Islam (the last message). It is the

perservere, their reward according to the best of their actions." [S. The Bees, V. 96.]

An excellent reward for those who do (good). Those who perservere in patience, and put their trust in their God and cheersh." (S. The Spider, V. 58.)

God ordered His prophet to give glad tidings to those who patiently face the hateful results and the bad events, He did not explain what are these tidings to show that they combine all what please the human being. He also showed how to know those who are patient in His sayinh " Who say, when afflicted with calamity", wheter it was great or simple, they receive it with faithful hearts and have a consolation when they repeat the saying of God " To God we belong" who is our creator and provider " And to Him is our return". The next verse cleared their merit " They are those on whom (descend) blessings from God, and Mercy, and they are the ones that receive guidance."

The Prayer :

Ii is the second factor which helps one to face the difficulties of life. It is the prayer which is mentioned in the following verse " And establish regular prayer : For prayer restrains from shameful and unjust deeds" [S. The spider, V. 45.]. As a matter of fact, the prayer is a divine Journey which God superimposed his bondmen to perform it five times a day. It is the worship in which man departs from the enjoyments of the world, and communicates with his God to ask Him support and guidance. It was the habit of the prophet Mohamad " peace may be upon him" to establish prayer if he met any difficulty, and to repeat the saying " I used prayer as a factor of tranquility".

Hence, the prayer has become one of the five pillars of Islam as it is the first worship known with the religion, the Qur'n says : " And remember We took a covenant from the children of Isreal (to this effect): Worship none but God, treat with kindness your parents and kindred, and orphan and those in need; speak fair to the people; be steadfast in prayer; and practise regular charity." [S. The cow, V. 83.]

Actually, through prayer man presents the greatness of God and be frightened of His punishment, then he will obey him and carries out faithfully his constitution and instructions. This, by turn, will purify the souls, fill the minds with conception and improve the condition of the society.

order to enjoin the right and to forbid the wrong, not to transgress the limits that which God " exalted be He " ordained, to make their utmost to realize the happiness for their nation and to sacrifice their souls and properties in the cause of their society's security, stability and freedom. The glorious Qur'an says " And fight them on until there is no more tumult or oppression and there prevail justice and Faith in God" [S The cow, v. 193.]

The calamities of the life and its problems :

The believer-as the other people-may be exposed to the calamities and the problems of life, such as : death after life, illness after health, poverty after richness and humiliation after honour. But the struggle among one's wishes will leave him alone facing these calamities and problems. Unless man was supplied with the guidance of God - which he believe in - in case of his failure in overcoming the problems of life, he would lose his position to be the vicegerent of God on the earth and to be the bearer of the deposit which skies, earth and mountains refused to bear it. Therefore, God supported his faithful bondmen, inculcated in them the spirit of work and guided them to what helps them towards the performance of their social duties and what enables them to face the difficulties of life. In this respect the glorious Qur'an says : " O ye who believe ! Seek help with patient perseverance and prayer : For God is with those who patiently persevere. And say not of those who are slain in the way of God : "they are dead" Nay, they are living, though ye perceive (it) not. Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the fruits (of your toil) but give glad tidings to those who patiently persevere. Who say when afflicted with calamity : " To God we belong, and to Him is our return" : They are those on whom (descend) blessings from God and mercy and they are the ones that receive guidance." [S. The cow, vs 153 : 157.]

The patience :

It is to face the difficulties of life with a bold heart and to perfrom the social duties and the religious, obligations without despair. God "exalted be He" guides people not to be hopeless, because despair is one of the qualities of those who reject faith. The Qur'an says : " And never give up hope of God's truly soothing mercy, no one despairs of God's soothing Mercy, except those who have no faith. " [S. Yousof, V. 87.] In the holy Qur'an, God mentioned work following the patience through many verses : " And We will certainly bestow, on those who patiently

the fact that no one can conquer it. So make it easy not difficult and give glad tidigs not seary ones."

It was the duty of those who misunderstood the religion to look into its partial legislations to be assured of its facility and easiness. For instance : In belief, to be a true believer, it is enough to raise one finger as to denote the belief that their is no God but one. In worship, if Muslim can not use water for the ablution, Islam gives him permission to use dust instead of water "Taiamom". In preyer, Muslim can perform it sitting or by means of moving his head up and down instead of bow and prostration if this causes him troubles. In Fasting, Islam allows the ill person and the traveller one to break their fast. From all what we mentioned above, we come to the conclusion that the Islamic religion is very easy and that its legislations and regulations are based upon facility and at the same time Islam calls Muslim to complete himself and to maintain his dignity and honour.

The aim of the religion :

In fact, religion intends to purify souls and hearts, to clarify the spirit of obediance and feeling of the greatness of God and to affirm the goodness and the piety on earth on a strong base that links man to his creator. The religious legislations have mentioned that, and the religion does not oblige people to carry out all its partial legislations, but it gives them a chance to put law in order to control their affairs according to their needs and circumstances, and the common welfare. With regard to these laws, religion asks Muslims to do nothing but to issue them after consultation, and mutual understanding among themselves. This will realize equality, justice, mercy and goodness. In this respect, the prophet Mohamad "peace may be upon him" said : "Verily, God superimposed the oblegations, and it is your duty to obey Him, He ordained limits, so don't neglect them, He prohibited some other things, so don't disobey Him and He does not mention somethings — not because of forgetfulness, but as a mercy for you — so, don't seek them" The holy Qur'an says : "But God knows the man who means mischief from the man who means good. And if God had wished, He could have put you into difficulties : He is indeed exalted in power, wise." [S. The cow, V. 220.]

The demands of belief :

As a matter of fact, believer — by the regulations of their religion — have been ordered to keep their faith away and pure from doubt, to purify their souls and to avoid any bad inclination, to strive hard in

Actuality of the Religion is very obvious :

It was the duty of those who misunderstood Religion and who led people astray to 'purely' think in two aspects :

Firstly, to behold all that is in the universe and what God "exalted be He " Created and harnessed for them, such as ainmals, plants planets and other things. Actually, God had created the universe and what it contains and He also had revealed the religion in which He ordered people to seek the secrets of that universe to benefit themselves and the others too. It is impossible that the universe was created in such way that induce every one to think on its marvels, and at the same time be prevented by the regulatons of the religion to think upon it and knows its secrets to benefit himself and his society. It is impossible also that God who created the universe and brought man into being and provided him with the mind which is the article of thinking, to prevent him from thinking. knowing, moving. and also from completing himself Hence, it is one of the necéssities of the religion - which is the guidance of God - to direct people to think upon the universe and its wonders. The glorious Qur'an urges people tc use their minds and to think on that universe and to seek its secrets for the advantages of themselves and their societies.

Secondly, they should deeply think upon the true sources of the religious teachings, to know if they prohibit man to enjoy his life or they do not, and to rerlize whether all the instructions of the religion are going with the nature of the human beings or not. Verily, these sources are taking a moderate position in responsing the needs of people, the Qur'an says : " Say : who hath forbidden the beautiful (gifts) of God, which He hath produced for his servants, and the things clear and pure, (which He hath provided) for sustinance ? " [S. The Heights, V. 32]. It was the duty of those who misunderstood the religion to know the basic fundamentals on which religious legislations were built and to read the sayings of God " exalted be He " " On no soul doth God place a burden greater than it can bear. " [S. The cow, V. 286.] " God intends every facility for you; He deos not want to put you to difficulties. " [S. The cow, V. 185.] " He had chosen you, and has imposed no difficulties on you in religion " [S. The pilgrimage, V. 78.] It was their duty to hear the saying of the prophet Mohamad " peace may be upon him " " Verily, religion causes no difficulties, in spite of

this connection the holy Qnr'an says: "Verily, this Qur'an Doth guide to that which Is most right (or stable) and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward" [S. The children of Israil, V. 9.]

From what we above mentioned, we come to conclusion that religion is one of the human being life necessities. But what is the religion which has this effect in the life of man? Some people are of the openion that the religion is the facts which revealed to them in a form of the divine message. And other people claimed that it is something other than that. The latter openion is the consequence of different intellectual aspects which lead people astray and take them away from the right way. Verily, it is not God that has wronged them, but they wrong themselves.

The misunderstanding of Religion :

During certain ages, people misunderstood " the Religion ". They prevented themselves from receiving education, free thinking and also from enjoying a better life. They lived in a complete loneliness where no mercy or kindness for themselves. They subjected themselves to the happenings and humiliated thier bodies and souls. Consequently, some people claimed that the religion is of no use to the human being in the world, but it will benefit him only in the Hereafter, and hence, they called people not to take the religion as a constitution or as a system for their life. They asked them to enjoy themselves irrespective of the instructions of the religion and to spend their life according to their wishes. This is because they believed that the religion and revelation are only for the heaven, while power and wantonness are for the earth. As a result of that, people considered the human estimation as a reckoning, and this by turn exposed the world to a confusion and conflicts and led people to be ill-mannared and to the disintegration. In this respect the holy Quran says: " But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the Day of judgement. He will say: " O my Lord! why hast thou raised me up blind, while I had sight (before)?" God will say. "Thus didst thou, when Our Signs came unto thee, disregard them: So wilt thou, this day be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God: and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [S. Taha, vs. 124: 127.]

The religious conscience is the base of goodness :

Surely, God knows that the religious conscience is the sole factor which leads people to the straight path and which shows them the right way. It is the factor that God " exalted be He " intended when He said to the angels " surely I know what ye know not ". God has considered it as the fundamintal of the human life since he created the first human being "Then learnt Adam from his God words of inspiration, and his God turned towards him; for He is oft-Returning, Most merciful. We said : Get ye down all from here; and if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve." [S. the cow, Vs. 37 — 38] " But if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily, For him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the day of judgment. " [S. Taha, Vs. 123 — 124,]

Abraham, the great father of the Arab people, and his son Ismail believed in the religious conscience. To create happiness for their predecessors, so they prayed to God in order to send one from among themselves as to guide them in the straight path and to teach them God's signs and teachings, the holy Qur'an says : "Our God ! Send amongst them a Messenger of their own who shall rehearse Thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom and sanctify them for thou art the exalted in Might, the wise" [S. The Cow, V. 129.]

Surely, they knew that their sons have minds to think and to put laws to control the different affairs of their life, but they were also sure that the human thinking-whatsoever it might be-is very weak, as it is also in need to be supported by the divine power. Hence God took care of the human beings through the different stages of their life and directed them to the right way : He sent to them His Messengers, revealed to them books and prepared them to receive the great Message of Islam which combined all what man needs, whether in the present time or in the future. This Message was revealed to Mohamad "peace may be upon him". To guide His bondmen to the straight path and to grant them His blessings, God revealed the holy Qur'an to them to be the last book sent down to the last Prophet. As a matter of fact, the way of happiness is very evident in the glorious Qur'an to those who have a faithful vow. In

and the people who promulgated them claimed that the aim of these laws was to maintain peace and to keep on the human rights. But as a matter of fact, they were issued for nothing but to realize personal wishes and special aims. And to deceive people the promulgators claimed that the laws were for the benefits of all people.

3 — Because the minds are of a limited conception, they have no ability to foretell what will be the needs and the happenings of the future which God " exalted be He " prepared. For instance : we notice that many laws were issued, then their weakness obviously appeared and other laws replaced them, but also their weakness appeared and so on. This led the nation to live in a confusion and the promulgation of the laws put the hindrances in the way of the people's superiority and completeness.

4 — As the people always believe in the law which they optionally put it, they will respect and carry it out faithfully. But if they are obliged to secure it, they will pay no respect or oppreciation to it. This is because they carry out the regulations only to avoid the punishment. So, if they know that there is no eye to wach them, they will act against that law. Hence, the laws which are issued on the basis of the intellectual idea do not prevent man to commit crimes at all, but they may prevent him only to commit them openly.

From all what we above mentioned, we come to the conclusion that the dependance upon the human idea in organising the international affairs, surely means a dependance on nothing. Moreover, it will lead to an international calamity and wordly distruction. So it is our duty to seek other basis than the intellectual idea. And this basis should have the ability to affect man within and without.

The Religious Conscience :

It is the only basis which humanity should depend upon it, because it links the human being to the attentive Observer who never sleep, the most knower who does not ignore and the strong who all people believe in His indefinite power " God exalted be He ". Surely, God supplied man with the systems of life, and man respects these systems as he appreciates their source. He makes his utmost to satisfy God, and hence he accomplishes the good deeds, as he performs his duties without treachery or deception and spends his life in security and peace.

prophecy of the angels when God said to them " I will create a vicegerent on earth, " they said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood ? whilst we do celebrate The praises and glorify thy holy (name) ?" [S. The cow, V. 30.]

But to realize the divine wisdom of the ceation of the human beings and to declare the meaning of God's words to His angels "Veriy I know what you do not know", the goodness power of the human beings is in need of a support in order to help it against tyranny and the evil power on one hand, while on the other hand to use the two powers of desire and anger in the cause of his own benefits. But what is supposed to support goodness against evil ? We suppose that it is the intellectual idea which man put its measurements and uses it to demonstrate right from wrong and good from bad. Besides, man considers this intellectual idea as the constitution of his llfe which he follows whether choicefully or compulsory - according to the will of his society - This hypothesis is that which the civilized nations are following now and which philosophers, thinkers, rich and strong people are using as a way to enslave people and to organize the human life according to their wishes.

As a matter of fact, the intellectual idea can not realize the reason of the human being creation as to be the vicegerent of God on the earth and to establish security and peace everywhere. This is because humanity tried it during a period of its history and this led it to spend its life in a complete darkness : Permanent wars, tyranny and slavery. Actually these were the consequences of following the intellectual idea for the next reasons :

1 — There is a distinction among the minds which are the source of this idea. Also, some minds accept what the others refused. In our present time, we notice many aspects of the intellectual idea which cause peoples to spend their life in astonishment and confusion. For example : There are the systems of communism, capitalism, Democracy and Dectatorship. These systems are of bright in appearance but they are implicitly false.

2 — The minds in their thinking are exposed to be conquered by the human lusts and to be influenced by the other personalities, nationalities or by the other factors which existed in the human souls and which neither science nor phylosophy can purify souls from them. For instance, many laws were issued on the basis of the intellectual idea,

PEOPLE AND RELIGION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

People in need of Religion :

It was the will of God to create the human bieng — according to His knowledge about the nature of His bondmen — and to supply him with two immaterialistic powers. The first power is that which urges him to do evils, as to commit adultery crimes, to usurp the rights of the others or to shed blood. The other power is that which guides him to the straight path, as to call him to do Justice, to spread equality, to help the needy people, to support the helpless ones and to direct the society to the way of success and goodness.

As a matter of fact, man is standing in a moderate position between these two powers. But the beauty of the world, its decorations and lusts induce him to do wrong or to incline to evil. In this respect the glorious Qur'an says : " Nor do I absolve my own self (of blame) : The (human soul) is certainly prone to evil, unless my God do bestow Him mercy : But surely my God is oft — forgiving, most merciful. " [S. Jousef, V. 53.].

" By (the token of) time (through the ages). Verily, man is in loss. Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth and of patience and constancy." [S. Time through the ages] "Truely, man was created verily impatient. Fretful when evil touches him. And niggardly when good reaches him. Not so those devoted to prayer. " [S. The way of Ascent, V. 16 — 22.].

Consequently, if man had been left alone to himself, under the effect of these two powers, he would fail in realizing balance between them. And hence, his sentimentals would conquer his mind and the inclination towards evils would defeat his good one, and this by turn would reflec tthe wisdom of the human being creation and realize the